

2020

8.1.2020

عافى ببحاوي



أحياء الشجر

البرودي والزهاوي وشوقي
وحافظ والصافي والجواهري



المشرق

إحياء الشعر

البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ والرصافي
والجواهري

عارف حجاوي



إحياء الشعر

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار المشرق

حجاوي، عارف

إحياء الشعر: البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ
والرصافي والجواهري/ عارف حجاوي.

٦٣٩ ص.

١. شعر. أ. العنوان.

???

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المشرق
الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٨

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

٧ مقدمة وعرفان
١٧ محمود سامي البارودي (١٨٣٩م - ١٩٠٤م)
٧٧ جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣م - ١٩٣٦م)
١٣٩ أحمد شوقي (١٨٦٨م - ١٩٣٢م)
٤٠٣ حافظ إبراهيم (١٨٧١م - ١٩٣٢م)
٤٨٥ معروف الرصافي (١٨٧٥م - ١٩٤٥م)
٥٥٩ محمد مهدي الجواهري (١٩٠٢م - ١٩٩٧م)
٦٢١ فهرس القوافي العام

مقدمة

نفخ البارودي في صورهِ وأقام الشعر العربي من قبره، فنهض يفرك عينيه،
ولبس جبته، واعتجر عمامته وركب ناقته.
لا، ليس كذلك بالضبط.

أريد أن أدخل إلى أشعار هذا العصر من باب أكاديمي، ولو على سبيل
التغيير. هذا العصر الذي يتناول كتابنا أشعاره عصر قريب منا، بعضنا عاشه،
وكلنا عايشه. فآخر من تناولنا من شعراء هذا العصر توفي عام ١٩٩٧، وله
حضور قوي بصوته وصورته، ذلك هو الجواهري. وكل شعرائنا في هذا
الكتاب - وهو الكتاب الرابع من سلسلة الزبدة - ماتوا في القرن العشرين.
وسترى أننا في الكتاب الخامس والأخير سنعرض لشعراء ماتوا جميعاً في القرن
العشرين أيضاً. سيعترض أحدهم قائلاً: ما أراك جعلت القرن العشرين في
كتابين إلا لأن المادة كثرت عليك، فلم يكن لك بد من القسمة. في هذا
الاعتراض شيء من الحق. وليس كل الحق.

سأقنع القارئ بأن ثمة فارقاً بين هذا الكتاب الرابع، وبين الخامس الذي
سيبعثه. ومن هنا التمسث مدخلاً أكاديمياً. والكلمة المفتاح هنا هي الكلاسيكية.

عندما انتصف إنتاج بيتهوفن ركه عفریت «التعبير». صار يعبر في موسيقاه
عن الحنان والرقّة والغضب. تسمعه في سيمفونياته المتأخرة ويدك على مفتاح
الصوت حتى تخفضه خفضاً سريعاً عندما يجن جنون صاحبنا وتأخذ الأوركسترا
تصرخ بطبولها ونحاسها بغضب.. أنت لا تريد أن يدق لك ساكن الشقة
المجاورة على الحائط.

خرج صاحبنا من الكلاسيك إلى نمط جديد، سيسميه أهل الصناعة
«الرومنس».

الكلاسيك انضباط ووقار، والتزام بالأعراف الفنية في الشكل وفي المشاعر. والرومنس حرية في التعبير عن مكونات الفؤاد، وقسط من الحرية في الخروج عن الشكل المعروف.

في الشعر العربي أعراف راسخة من حيث الشكل، فالأوزان أوزان الخليل، واللغة لغة الخليل، فإذا أدخل الشاعر في قصيدته لفظة عامية فلا يكون ذلك إلا من باب التطرف، وسرعان ما يستغفر آلهة اللغة ويعود إلى الفصحى المعجمية.

عندما «أحيا» البارودي الشعر العربي لم يخرج عن الكلاسيك، بل عاد به إلى زمن أوغل في القدم من زمن مجاليه. لا بل جعل معظم شعره مصبوحاً في قوالب الشعراء القدامى تقليداً في الشكل واللغة، ومجاراة في المعاني وطريقة سوقها.

الكلاسيك انضباط، والرومنس تحرر. لكن، حنانيك، الرومنس ليس فلتاناً. فيه تحرر عظيم في المشاعر وفي التعبير عنها، ولكنه يتخذ لنفسه ضوابط. فماذا لو مل الشعراء من الرومنس، وابتغوا التجديد؟

سأعيدك إلى الموسيقى هنيهة. بعد بيهوفن، الذي جاء عند مسمار المقص بين الكلاسيك والرومنس، أتحننا أهل الرومنس بموسيقى بديعة فسمعنا برليوز وتشايكوفسكي وبيزيه. ثم حدثت أشياء.

المشعوذون

في سنة ١٩٥٢ قُدمت على مسرح في نيويورك قطعة موسيقية غريبة اسمها ٣٣:٤. جلس العازف إلى البيانو، وصممت القاعة. وضع العازف النوبة الموسيقية أمامه بعناية، وأخرج من جيبه ساعة وقف، وضغط على الزر. وظل جالساً أربع دقائق وثلاثاً وثلاثين ثانية، لم يلمس البيانو. ثم قام. هذه القطعة «الموسيقية» هي موسيقى بلا صوت. يقول «الموسيقار» جون كيج إن الموسيقى في قطعه تلك «ليست صوتاً منبعثاً من البيانو، بل هي همهمات الجمهور». فإذا كنت تملك حاسوباً وكان عندك إنترنت فاكتب ٣٣:٤ وستسمع تلك القطعة العبقريّة. وستسمع أن الجمهور لم يهمهم ولا صنع شيئاً بل قعد مؤدباً وصفق للعازف، الذي لم يعزف، عندما قام - قامت قيامته - عن البيانو. ولك أن تسمع هذه الموسيقى الفريدة معزوفة - بغير صوت - على أوركسترا كاملة.

ولي مع هؤلاء الدجالين تجربتي الخاصة. كان ذلك في الإسكندرية في نحو عام ٢٠٠٩. وكان ملتقى إعلامياً - فنياً في شبه قرية سياحية قرب بحيرة مريبوط. حضر من لبنان بعض مشاهير الممثلين، حضرت نضال الأشقر وحضر روجيه عساف، ومن فلسطين حضرت ممثلة عن مؤسسة يبوس، ومن تونس حضرت فتاة لا أذكر اسمها، وكنت أمثل مؤسسة إعلامية عربية، وحضر من مصر كثيرون بالطبع؛ لكن المصيبة كانت لبنانية.

جرى نقاش حاد في إحدى الجلسات عن الأعمال الفنية وحظها من الظهور إعلامياً. وصعد الحاضرون رأسي بكلمات من قبيل الفضائات والمَدَيَات والإبداع والجديد وما بعد الجديد والحدائق والحرائث في السباح. فقلت في مداخلتي إن ما يهمني عرضه إعلامياً - وكنت أشغل موقع مدير البرامج في مؤسستي - هو الفن الذي يصل إلى الجمهور ويحمل قضية أو فيه على الأقل متعة، ويجعل المشاهد يشاهد. ولعلي أيضاً مسحت بلاط القاعة بتلك المصطلحات التي أراها بضاعة الضعيف. وانبرت لي الفتاة التونسية. تكلمت واقفة ومتشجعة، وشتت هجوماً عليّ كاد أن يكون شخصياً. ولأنها تصغرنى كثيراً فقد آثرت أن يكون ردي رد الشيوخ الهادئين المحتملين نزوات الشباب. وانتهت تلك الجلسة.

وقبل ختام المنتدى دعينا إلى حفل موسيقي. حملونا في حافلة كبيرة إلى وسط الإسكندرية. الفرقة لبنانية. وعلى المسرح أشياء عجيبة. وفي الصالة مجموعتنا الكبيرة، وراهبان، وبضعة أشخاص آخرين. وبدأ العزف. بدأ «العزف» على لوح فيه ترانزستورات وأسلاك ويصدر أصوات صعقات كهربائية مصحوبة ببعض الشرر، وهناك آلة نفخ في الزاوية تقول شيئاً واحداً أعفع أعفع. وفي الوسط منشار كهربائي راح يلوث الجو بضجيجيه. بدأ الناس ينسلون واحداً واحداً، وخرجت الراهبان بعد نحو عشر دقائق. وصبرت أنا حتى أرى آخرتها. وانتهى العرض. ولا أتذكر إن كان الخمسة أو الستة الباقون قد صفقوا.

في طريق العودة إلى منتجعنا كنت جالساً في الحافلة صامتاً. وسمعت من خلف ظهري الفتاة التونسية تقدم لي اعتذاراً.

وسأنتقل إلى الرسم حتى تكتمل لديك صورة الحادثة وما بعدها. لعلك تقف متأدباً أمام تلك اللوحات الخرايش؟ مؤكداً أن تقف متأدباً. أنا مثلك. لا أحب أن أقول للرسام: إلى الجحيم بك وبلوحاتك يا مشعوذ.

قد أحتمل سلفادور دالي، فلديه الريشة وجنون التعبير، ولديه الشكل. وقد أحتمل بيكاسو مع بعض التفسير. لكن فن الرسم أصبح شعوذة خالية من أي شكل ومن أي معنى، اللّهُمَّ إلا تلك المعاني التي يجب أن يقولها لك الرسام، بيد أنك لا تراها في لوحته.

كلاسيك الكراسي

كنا في سن اليفاعه نشتغل في مشغل في الحي نقشش الكراسي بقشور الخيزران. القشة طولها نحو متر وعرضها مليمتران، وننسج القش في ست طبقات: الأولى عرضية بأجر قرشين، والثانية طولية بأجر قرشين، والثالثة موروبة قطرية بستة قروش، والرابعة تكرر للأولى بقرشين، والخامسة طولية بثمانية قروش (السبب أن القشة في هذه الطبقة يجب أن تقتحم ما بين الأولى والرابعة)، والسادسة موروبة قطرية بستة قروش. ولربط القشة بالقشة طريقة معينة، ولا بد من بلّ القش بالماء باستمرار وشده شداً. ويخرج الكرسي بخلاياه السداسية المميزة آية في الجمال. كلاسيك. ثم أخذ أصحاب المقاهي يسترخصون، فيطلبون وضع قطعة من الخشب المعاكس، الأبلكاج، بدل القش، فيخرج الكرسي قبيحاً، وغير مريح. لكن، البشر تفننوا في الكراسي، وإنك لتجد تصميمات بالعشرات للكراسي بتوقيع جماعة الباو هاوس المعمارية المشهورة، وفيها تفنن كثير، وبعضها يعتمد النقشيس الذي كنا نصنعه بالخلايا السداسية نفسها.

صادف في مدينة دارمشتادت بألمانيا ذات سنة أن كنت في جلسة لعب ورق مع الشباب العرب، وذكر صديقي المخضرم في البلد - كان في السنة السادسة عشرة من دراسته. - تلك ألمانيا التي كانت تبتلع الشاب العربي ابتلاعاً - أن له صديقاً ألمانياً يملك كراسي موروثه ثمينة ولكن للأسف! لقد تخرق القش عليها، ولا سبيل لتجديده لأن إنتاج هذ النوع من الكراسي توقف منذ زمن طويل. في اليوم التالي كانت الكراسي عندي في غرفتي، وجلبت القش الفرنسي الملائم، وبعد أيام كنت أدفئ جيبي ببعض الماركات.

للكلاسيك رونقه. وأنت لا تطلب من الشعر أن يشبع معدتك، لا بد من الجمال، ولا بد للجمال من شكل، ومن ضوابط.

كتابنا هذا يضم الكلاسيك الجديد، وكتابنا المقبل يضم الرومنس المنضبط

عمودياً. . فأما عندما خرج الشعر العربي إلى التفعيلة، وهذا نمط جميل وله انضباطه وإيقاعه الحلو، فقد اجترح فعلاً صახباً وكبيراً، وسيحتاج شعر التفعيلة إلى بضعة عقود كي تبرز قممه، فالزمن يغربل كل الأشياء. عندها سيكون الأمر، والعمر، قد خرج من يدنا. نعم، قد قصرنا جهودنا على الشعر العمودي التقليدي في هذه السلسلة الخماسية كلها.

شعراء الإحياء

كان البارودي يعيش طفولته وصباه في برج عاجي هو طبقته المتميزة عن بقية الناس. فهو من الجراكسة، ولكنه أتيح له أن يكون عربي اللسان، وأن يكون متعلقاً بالأدب منذ الطفولة. واتصل سريعاً بحماسة الشعر القديم. . لم يدرس - لحسن حظه - المتون والحواشي، وعاش يقرأ الفصيح من كلام الفصحاء القدماء. وقلدهم. وليس البارودي طفرة بأي حال. ففي زمنه وقبل زمنه كانت الأشعار تجري على ألسنة الفصحاء. في لبنان نسمع مدائح الشعراء في أمراء الجبل، ونسمع أكثر ما نسمع تهادي الشعراء بقصائد المدح، وهذه القصائد من أركّ ما ورد في باب «الإخوانيات»، وفي مصر انتشر شعر الإخوانيات في غياب السلطان الذي يفهم الشعر أو يقدره. وطرق الشعر باب الهزل، والغزل، وباب الرقاعة.

لكنه لم يقيض للشعر رجل تلقى الفصاحة عن غير طريق حلقات المساجد حتى جاء البارودي. كان ضابطاً فوزيراً، وكان يشعر في أعماقه بأنه من حكام البلاد، وكان يعيش في بلد مستقل استقلالاً لا بأس به عن الدولة العثمانية وله جيشه ويملك إلى حد بعيد قراره، وكان ثائراً عانى النفي الطويل. . فجعله كل ذلك - الذي لم يتوفر لغيره - أكبر شاعر عربي في القرن التاسع عشر. زودته تجاربه الحربية ووضعه الطبقي بالشموخ، وزودته المعمة الثورية - المتمثلة في اشتراكه بعض الاشتراك في ثورة عرابي وما تلا ذلك سريعاً من العيشة القاسية في المنفى - برقة ومرارة وبعثي فهم للطبيعة البشرية.

لا، لم يقل البارودي للشعر العربي قم فقام. لكن ظروفه جعلته المرشح لاستهلال شعور العربي بذاته في عالم الشعر.

وفي العراق بدأ الزهاوي يقول الشعر في أواخر القرن التاسع عشر، لم يكن الزهاوي صاحب سيف، لكنه كان صاحب قلم وكتاب، وكان من كبار

المثقفين، وبدأ يشم ريح التحرر ضمن الدولة العثمانية مع الدستور، ١٩٠٨، ثم ربح الاستقلال السياسي للعراق مع الحكم الفيصلي، وكان مهادناً للإنجليز كمليكه. لكنه كان يشاق إلى أن يتحرر العربي من الجهل ومن الأمية ومن الخرافات ومن حجب المرأة عن النشاط الاقتصادي والاجتماعي. كأنما لم ير الزهاوي أن الاستقلال السياسي سيكون شيئاً عظيم الأهمية في حضور الجهل والأمية والتخلف الاجتماعي. وستصدق السنين. وكالزهاوي في فكره كان الرصافي في العراق، مع اختلاف في المزاج، ومثلهما كان الجواهري في الفكر وفي أشواق الانعتاق من أسر التخلف؛ ولكنهم، ثلاثتهم، تمسكوا بالشكل الشعري الكلاسيكي. الأقدمان منهما كانا مع سهولة اللفظ، والجواهري ابن القرن العشرين ميلاداً كان أميل إلى اللفظة القديمة، وإن عاقه السير في طرق ملتوية لبلوغ المعنى الدقيق عن أن يبلغ صاحبيه في الفصاحة.

وفي مصر كان شوقي ابن ثقافة واسعة، وبيئة مترفة. أحس في نفسه بشموخ واستقلال لأن أميره الذي يمدحه ابن بلده. نعم، قد مدح سلطان الدولة العثمانية ونال منه رتبة البكوية؛ لكن، كان له في مصر من دواعي الفخر الكثير، فبنى صرح فخره على صخر الفراعنة، وأحس بما في مصر من نهضة تبشر بعودة النهضة الأولى في عصر محمد علي، والثانية في عصر إسماعيل فافتخر ببنك مصر وبما كانت مصر تعالجه من وضع دستور جديد وحياة سياسية نشطة. ورغم أن شوقي كان من كبار المثقفين، فلم يكن في جرأة الزهاوي. على أن ثقافة شوقي العريضة، وخياله الواسع، وتبحره في شعر القدماء فتحت له أبواب القول، فديوانه بستان. لم يجعله شعر البارودي - وهو أكثر شعر أثر في نفسه، على اختلافه في السياسة مع البارودي - ينظر نظرة مراجعة في مسألة تقليد القدماء. لا، بل مضى يصب الشعر في قوالبهم. لكن، ديوان شوقي ليس نمطاً واحداً، ففيه أشعار في أولاده، وفيه أناشيد للأطفال، وفيه تلك المسرحيات، التي جعلها ضعفة النقاد ميزته الكبرى. شوقي دنيا شعرية جميلة، وقد أنفقنا صفحات كثيرة معه في كتابنا، عرضنا فيها أحداث ذلك الزمن، وتتبعناها تتبعاً من خلال شعره.

وقرين شوقي حافظ إبراهيم صوت شعري رنان. ولم يكن حافظ بأقل محافظة من شوقي. كان إمعة في مسائل الفكر والمجتمع، وكثير التحفظ في جانب السياسة، لا سيما بعد أن نال الوظيفة السمينية.

بثلاثة من مصر، وثلاثة من العراق قام الشعر العربي في القرن العشرين، وقبله بقليل، ليكون صوتاً لضمير أمة خرجت بعد أربعمئة سنة من القمم العثماني، وأخذت تفرك عينيها. ترى في هذا الشعر الأمة العربية تتوق إلى التقدم والاستقلال، وترى أيضاً أنها غير واثقة، وأنها لا ترى معالم الطريق الذي يؤدي إلى اللحاق بالأمم المتقدمة. أعاد شعراؤنا الستة إلينا بعض الثقة بأن لغتنا الفصحى لم تمت، فها هي على ألسنتهم تترنم بشعر جميل. لكنهم أدركوا وأدركنا أن شعرهم شعر النخبة. فلئن كانت الفصحى لغة حية وقادرة على أداء كل المعاني فإن عامة الناس لا يتقنونها، لا قولاً ولا فهماً، إلا بقدر.

حال بين الناس وبين إتقان الفصحى أن قواعد النحوية ليست كقواعد لهجاتهم، وأن مفردات اللغة الأدبية تختلف اختلافاً غير هين عما يستعملون من مفردات. وحال بينهم وبين شعر الفصحى الذي أتاها به هؤلاء الرواد، علاوة على القواعد والمفردات، أن أوزان الشعر العربي خرجت من آذانهم منذ قرون. قال شوقي، فيما نقل إلينا، «أخشى على الفصحى من بيرم». واعترف الرصافي للملا عبود الكرخي الشاعر العامي بأن أشعاره العامية هي ما يفهمه الناس.

لكننا لا نقول إن الفصحى كائن لا مبرر لوجوده، ليس فقط لأننا نكتب هذه الأسطر بها، بل لأنها هي ما يجمع العرب. هذا مظفر النواب يعد نفسه شاعر العامية البغدادية، ويقول إنه لا يعرف العروض، ثم رأيناه في السبعينات، عندما دعت دواعي النضال والسياسة، يقول أشعاراً فصيحة موزونة على التفعيلة مع قليل جداً من التجاوزات، فيتسامع بشعره العالم العربي كله، ويخرج من ضيق بغداد إلى رحاب العالم العربي، ويعبر عن أوجاع العرب السياسية أحر تعبير وأقواه.

المعركة بين الفصحى والعامية مستمرة في مجال الشعر، وفي كل مجال.

عرفان

صحوت على موظفة المصرف تقول لي «البوليس». وبما أنني «صحوت» فلا شرطة ولا بوليس، هو كابوس. والذي فتح الباب للكابوس أمران: الأول أكلة دسمة شبت منها وبقيت في الطبق بقية، لا هي تصلح للثلاجة، ولا أنا

أصلح أن أرمي طعاماً في كيس القمامة، فرميت بالباقي في معدتي. والثاني أنني كنت في المصرف فعلاً قبل هذه القيلولة الثقيلة.

للمرة الكذا يعيدون لي صكوك أجرة المنزل.. ويطلبونني لفرع المصرف كي أوقع أمامهم. لكن هذه المرة، وهي المرة الكذا، كانت مختلفة. أحالي الموظف إلى الموظفة ذات الخال كي أسجل بضمتي في الحاسوب، فمنذ اليوم لن يُقبل مني أي توقيع. وعلي، أسوة بالحاجة فلانة والحاج فلان، أن أبصم بإبهامي الأيمن. وفرحت. وبعد طول استعلام، كانت المسألة قد وصلت إلى نائب المدير. وانشغل نصف موظفي المصرف بهذه القضية العجيبة. (هذا ليس الكابوس، بل هو ما حدث فعلاً).

ثم تبين أن البصمة غير مقبولة في الصكوك.

أخذ نائب المدير بنفسه يدريني على توقيع جديد. وتوقيعي الجديد مثل القديم، هو كتابة اسمي ليس غير. لكنني مبتلىً بمرض لم يكن مكتشفاً حتى ظهر اليوم: أنا لا أستطيع التوقيع مرتين بنفس الطريقة. وأنا عارف هذا الشيء عن نفسي، فقد واجهت مشكلات في معاملاتي في أكثر من مناسبة للسبب نفسه. لكن مصرفي الحالي أراد أن يداويني. وبعد أن اتفقنا على صورة مبسطة جداً لكتابتي اسمي، أخذت أتدرب على ورقة وموظف الصندوق يرفع أمامي النموذج قبل أن يعتمد في الحاسوب.

ثم وقعت. ثم ذهب الموظف إلى نائب المدير، ثم عاد وهو يمزق ورقة المعاملة. ومرة أخرى وقعت. وهذه المرة مشت المعاملة مع شفتين تتحركان من الموظف المرهق. وعندما ستكون لي معاملة مقبلة فسوف تتكرر المأساة.

لم أقل لأحد في المصرف إنني كنت أعمل ذات سنة خطأً في وزارة حكومية، تلك وزارة الدفاع في الكويت في أواخر السبعينات. ولم أقل لهم إنني رجل صحب القلم والورقة سنين طويلة قبل دخول الحاسوب في حياتنا. فلم يكن ينقصهم المزيد من الأعاجيب في تلك الظهيرة.

قواعد الخط العربي

القواعد في الخط العربي مقيسة قياساً دقيقاً بالنقاط التي تضبط النسبة بين عرض القلم وحجم الحرف، وهي ترشد الخطاط حتى يكتب الحرف في كل مرة بالكيفية نفسها. وتعلمت هذه القواعد وسرت عليها وأصبحت خطاطاً. لكن

علتي ليست في أصابعي فحسب، هي في عقلي أيضاً. والخطاط الجيد يضبط عقله ضبطاً محكماً فيسكب الحرف على وجه الورقة سكباً من قالب ذهني لا يتغير. وأقص هنا قصة عن خطاط لم أر أضبط من ذهنه، هو المرحوم عبد الغني الباشا، وكان لي زميلاً في القدس، يعمل خطاطاً في جريدة الشعب، وكنت فيها محرراً.

ذات يوم زرت صديقاً لي يعمل أستاذاً في مدرسة الأمة في ضواحي القدس. وبينما نحن نهبط الدرجات رأيت على مبعدة مجلات الحائط. قلت لصاحبي: تلك المجلة هل تراها! يبدو أن أحد الطلبة من أقارب الخطاط عبد الغني، فخطوط عناوينها بقلم عبد الغني. صاح بي الصديق: هذه خطوط بأقلام ملونة رفيعة، فلوماستر، وكيف حكمت من هذه المسافة أنها من خطوط عبد الغني؟ وعبد الغني أهم خطاط في القدس. وتحققنا من الأمر - ولم يكن بي حاجة للتحقق أصلاً - فتيقن صاحبي أنني على حق، وتعجب. فشرحت له أنني أميز خط الرجل ولو من حرف واحد. لكن أحداً لا يميز خطي أنا، لا من حرف ولا من فقرة فهو شديد الثقل.

أنا لا أصنع كوب شاي ولا طبخة مقلوبة مرتين بنفس الطريقة.

عزيزي القارئ، أكتب لك فقرة من هذا الكلام، وأنصرف بعدها إلى ورقة بجانب الحاسوب أتدرب على توقيعي المبسط الجديد.

لهذه العلة في ذهني، ولعلة أخرى، عرفت باكراً أنني لن أصبح خطاطاً ماهراً. العلة الأخرى أن يدي غير ثابتة الثبات المطلوب من يد الخطاط.

العرفان الآن

في الكابوس - وقبل أن تتوعدني الموظفة بالك «بوليس» - سألتها وماذا يكون شأن رصيدي في المصرف وأنتم قد حجزتم عليه؟ فقالت لي ببساطة: اشتر به لوحة فنية. وثمرت بها ثورة عارمة ربما هي التي أدت إلى ذلك التهديد. وعندما سأنام الليلة سأقول للموظفة في الكابوس المقبل: يا فالحه، عندما سأشتري لوحة فنية سأكتب للبائع صكاً بالمبلغ وأوقع عليه، وسيعود الصك مرفوضاً. ألم تفكر في هذا؟

خليق بمن يكتب كتاباً أن يكون لديه ميزان في رأسه، بحيث يضبط الإملاء فلا يكتب بعض الكلمات كتابة مختلفة في كل مرة. وأنا قد اعتمدت في هذا

الكتاب على أخي الشاعر عمران القفيني، اعتمدت عليه في الإملاء، وفي ضبط النحو والصرف، وفي بضعة أمور أخرى، منها مراجعة فهمي المنحرف لبعض الأبيات. في كل مرة يصحح لي خطأ في النحو أقول في نفسي: لعلي معذور، فأنا أشكل بعض الكلمات «على الوهم». وهذا من معاذير قدامى الكتاب. ولعله يقول في نفسه: حسناً، هذا مشكول خطأ «على الوهم». ثم أسمعه بأذن التوهم يردف قائلاً: ما أكثر أوهامك يا أخي!

قد قرأ عمران معي هذا الكتاب منجماً لم يغادر منه باباً، وأشرت القارئ في ملاحظاته واستحساناته حتى يقرأ ما يقرأ وكأنه جالس إلينا.

وللصديق محمد عبد العزيز الشكر الجزيل لأنه يأبى أن يتركني بحالي، فهو يلح علي أن أوافيه بالمخطوط حتى يدفعه إلى المطبعة. وما إن يطبع الكتاب في بلد بعيد حتى أراه تجشّم أجر البريد السريع - وهو أجر غير هين - لكي يأتيني بنسخة سريعة. لعله رأى فيّ، أنا الكسول المتواني، فرخاً في العش لم ينبت ريشه، فهو يزقني زقاً، أو سيارة تعطلت في الطريق الصحراوي، فهو يزقها زقاً.

محمود سامي البارودي

(١٨٣٩م - ١٩٠٤م)

كان محمود سامي البارودي - الذي تعبت الأقلام وهي تصفه بأنه الشاعر الذي قاد عملية «إحياء الشعر العربي» - زعيم حركة شعرية رجعية. خرج من الركافة التي وجدها في شعر زمانه ماشياً إلى الوراء. ركب «آلة الزمن» وضغط على الزر الخطأ فأعاده تسعمئة سنة، فرأى من النافذة رياضاً حسنة فتزل.

هذا قدر، ولا نناقش في القدر. ولا نقول لو.

كان البارودي شاعراً. كان في قلبه شعر حق، وكانت نفسه نفس شاعر، وكان ذا خيال خصب. وكان لديه من خفة الدم قدر صالح، لعله كان صالحاً جداً. . غير أن اصطناع شاعرنا اللغة القديمة عقْد لسانه.

مشكلة البارودي - ومشكلتنا جميعاً، المستمرة حتى اليوم، ومشكلتي وأنا أكتب هذا الكلام - أن إرثنا اللغوي قديم ومكتنز، فنحن لا نريد أن نخلع ذلك الثوب خلعاً. لا نريد أن نكتب باللهجة التي تعلمناها من أمهاتنا، بالعامية كيما كانت، باللهجة التي نتحدث بها في الشارع وفي الجلسة الثقافية، وفي كل مكان. باللهجة التي ليس فيها «تشكيل»، وليست فيها ألفاظ وأساليب عتيقة. نحن كلنا - حتى دعاة الحداثة، وحتى كاتبو قصيدة النثر - نكتب بالفصحى. والفصحى ليست لساننا البريء. وقد ورثنا، ضمن ما ورثنا، شعراً كثيراً طال تردادنا له في المدارس، وهذا الشعر ذو رائحة نفاذة، وهو طيبخ معقد فيه مكونات كثيرة وتوابل، له أوزان كثيرة ولهذه الأوزان قواعد صارمة. وله طرائق في التعبير بناها القدماء عبر قرون كثيرة. فكل عصر شعري يتخذ من كل ما سبقه أساساً، ويضيف مداماً.

انظر إلى شعر إيليا أبو ماضي في بواكيره، وستفتح عينيك دهشة. . ستسمع صليل السيوف، وستقابل لغة متبثية.

البارودي قدّر شعر الفصحى. قدر هذا الشعر أن يستأنف مسيرته الطويلة بعملية «مراجعة». عز علينا أن نرمي ما بقي في القدر من طبخة الأمس - التي وضعنا فيها ألواناً من التوابل وبالغنا في تجويدها بمقادير محسوبة من المكونات المختلفة - ونطبخ طيخاً جديداً؛ فأضفنا إلى طبخة الأمس بعض الخضار ورفعنا القدر على النار.

قد وفر البارودي على نفسه كثيراً من الجهد إذ جعل الشعر العباسي وحده نموذجاً، وهذا واضح من «مختاراته» التي لم تضم شيئاً سوى الشعر العباسي. على أن الشعر العباسي يحمل في جوفه قدراً كبيراً من طبخة أول أمس. فهو امتداد للشعر الأموي والجاهلي.

حتى الطرماح والكميت، اللذان عاشا في قلب العصر الأموي، كانا موضع انتقاد لأنهما كانا يحاولان تمثل القديم ويسعيان في ذلك سعيًا. وحتى الفرزدق، فهو كان يحفظ الشعر الجاهلي ويطلع شعره عليه.

هذه السمة الرجوعية التي نجدها بتفاوت في شعرنا العربي كله جعلت من هذا الشعر إراثاً واحداً، وجعلته لوحة جدارية ضخمة يروعك وأنت تنظر إليها من بعيد ذلك التماسك رغم كثرة التفاصيل. وهذه الجدارية البديعة هي ما أدى بنا إلى تعقب أكثر من أربعين شاعراً في سلسلة «الزبدة» هذه، التي بيدك الجزء الرابع منها. . أردنا أن ننظر إلى اللوحة التي اكتمل تشكيلها وقعدت داخل إطارها. فأما لو نظرت إلى الشعر الذي قلناه بعد أن طلقنا العمودي فسوف ترى لوحة أخرى مختلفة، ولعلها لم تكتمل بعد.

المتنبى والبارودي والمتقمصات الهنديات

ترفع سماعة الهاتف وأنت في بيتك في كاليفورنيا، عذراً للتعبير العتيق. . بل أنت تدق الرقم على موبايلك. تريد أن تعرف عن العرض المغري الذي طرحته شركة السيارات. ويأتيك على الخط صوت فتاة رقيقة تحدثك بلهجة نيويورك وتشرح لك العرض وشروطه، وتجيب عن أسئلتك. هذه الفتاة ليست من نيويورك، وليست أميركية. هي تعيش في شقة ضيقة في نيودلهي بالهند على مسافة ١٢ ألف كيلومتر. وهذه الفتاة تعيش حياة غريبة. . تلبس الملابس التي تلبسها فتيات نيويورك، وتصبغ شعرها كشعورهن، وتتعاطى مساحيق تبييض البشرة، وتنفق ساعات عمرها وهي تتقمص شخصية فتاة نيويورك، وتتخذ

لنفسها اسماً ملائماً للحالة.. تسمي نفسها ماري مثلاً. وتخوض مع نفسها صراعاً، قد تجده لذيذاً، لتقمص شخصية أخرى، ونقطة البداية هي «دي إنديانايزشن» أي «نزع الهنديّة»، تخلع الفتاة شخصيتها الهندية، وتتعلم طريقة الكلام النيويوركية من حيث اللهجة ومن حيث الكلمات المستعملة، ومن حيث اتخاذ الموقف الأميركي من الأشياء. وفي النهاية تنجح.. وآلاف نجح. عندما تطلب رقاقة بيتزا من المطعم المجاور لبيتك في سان فرانسيسكو فالفتاة الهندية على بعد اثني عشر ألف كيلومتر ستسألك إن كانت البيتزا التي تريدها رقيقة أم منفوخة، وستخوض معك في الزوائد التي تريدها فوق بيتزتك.. لائحة المطعم محفوظة في عقلها.

تعيش «ماري» هندية في الصباح ونيويوركية في الليل. قد لا تستطيع أن تتخلى عن الكاري والماسالا لصالح البيتزا الرديئة التي تبيعها، لكنها تستطيع أن تفرض على إنسانيتها شيزوفرينا لذيذة.

في حياته اليومية كان المتنبي إنساناً يعيش عصره، فإذا جنه الليل أوقد شمعته وكتب أبياتاً يستحضر فيها روح الشعراء القدامى وأساليبهم.

والبارودي عاش فصامه، يتقمص الشعراء القدامى حيناً ويحاكيهم حيناً. ومثلما كانت تبرز شخصية المتنبي الحقيقية عندما يغضب كانت شخصية البارودي الحقيقية تظهر عندما يحزن. فأما إن غضب البارودي فكان يستعير ثوب المتنبي ليغضب فيه.

عارض البارودي أبا فراس الحمداني في قصيدته (أراك عصي الدمع)، فقال قصيدة في بحرهما وقافيتها، ولم نأخذ من قصيدة البارودي شيئاً. وسترانا - إذا قرأت ما صنعناه عن أبي فراس - نأخذ أبياتاً الأربعة والخمسين كلها، لم نترك منها بيتاً واحداً. أعود الآن وأقرأ قصيدة أبي فراس، يا لها قصيدة! هذا شيء لا يحاكي.

لئن جازت الهندية المتقمصة قميصَ نيويورك في الأميركيات فإن الشاعر المحاكي لا يجوز في الشعراء الأصل.

الآن، كيف أخلع نفسي من أبي فراس ومن المتنبي ومن أبي نواس وأعود إلى البارودي المقلد؟ هل أستطيع بعد الشوكولاتة السويسرية والبلجيكية أن أعود إلى شوكولاتة بلدنا التي كنا نمضغها طويلاً وتأبى أن تذوب.

أضع القلم. وأنتظر سائحة أكمل فيها هذه المقدمة.

الإمساك بالقلم

فلماذا، بعد كل هذا الذي قلته عن البارودي المقلد، أختار من شعره وأكتب مقدمة عنه؟ لا بل لماذا أهتم أصلاً بكل الشعر العربي الذي قيد نفسه بقيود محاكاة القديم؟

هذا كله تاريخنا، وهذا ما عندنا من زاد شعري. وقد قرأت أمس مقالة لأحمد أمين شن فيها حرباً هوجاء على الشعر العربي، وطالب بأن لا ندرس التلاميذ إلا أقل القليل منه. وكنت طالبت بذلك كثيراً، وقد فرحت إذ وجدت من يؤيدني. وثمة شيء آخر. أنا نفسي نتاج كل هذا التاريخ. فلا تظن أبداً أنني لا أستمتع بشعر المتنبي، وبشعر شوقي، و.. بشعر البارودي أيضاً. أنا عتيق في ذوقي الشعري. هكذا رمتني رحم أمتي. هكذا شكلتني العصور السابقة. ومثلما أشتهي أن أعتمر طربوش جدي، وأرتدي بذلته ذات الصدرية، وأن أضع في جيب تلك الصدرية ساعة بسلسلة مثل ساعته، أشتهي أن أطالع الشعر القديم. لكنني لا أرتدي ملابس جدي، ربما خشية أن أصبح أضحوكة في البلد. فلماذا أطالع الشعر القديم؟ ثمة ههنا أمران: فائدة تاريخية، فالشعر القديم أبلغ في وصف عصوره المختلفة من كتابات المؤرخين، وومضات شعورية، فكل شعر - حتى ذلك الذي يحاكي في موضوعاته، وأسلوبه، ومفرداته العصور السابقة عليه - فيه شيء من نبض الشاعر، وفيه قدر من مشاعره.

حياة البارودي

سماه محمود شاكر «الإمام الأول» الذي «ردّ الشعر إلى شباب فقده في عصور متتابعة». ومدحه مصطفى صادق الرافعي كثيراً، ونبهنا إلى أن البارودي ولّد شوقي. وقال فيه العقاد إنه «وثب بالعبارة الشعرية وثبة واحدة من طريق الضعف والركاكة إلى طريق الصحة والمتانة. . . فإذا أرسلت بصرك خمسمئة سنة وراء عصر البارودي لم تكد تنظر إلى قمة واحدة تساميه أو تدانيه» فهو «الإمام القدير» و«الفضل الذي له على عصره أكبر من الفضل الذي لعصره عليه. . . وذلك وحده خليف أن يبوئه زعامة جيله، ويقدمه إلى طليعة معاصريه وتابعيه». وفي الكلمة الأخيرة «تابعيه» يريد العقاد أن يجعل البارودي أعلى من شوقي مقاماً.

ذكروا في تاريخ مولده ثلاثة أعوام ميلادية متتالية، فإن صح ما اتفقوا عليه من أنه ولد في رجب عام ١٢٥٥ للهجرة فقد ولد محمود سامي البارودي عام ١٨٣٩.

ولد جركسياً ابن جركسي وجركسية. وهؤلاء من بعض المماليك. وكان محمد علي باشا قد قتل قادة المماليك في مذبحه القلعة قبل ولادة شاعرنا بثمان وعشرين سنة. قتل منهم بضع مئات غيلة وغدرًا، ثم تعقبهم جنوده بالقتل في أنحاء مصر. واستتب الأمر لمحمد علي. والبقية الباقية من المماليك الذي لجأوا إلى دنقلة بشمال السودان ظلوا فيها حتى بعد أن اكتسحتها جنود محمد علي. واحتفظ الصف الثاني من المماليك بمزارعهم وبوظائفهم وخدموا دولة محمد علي جنوداً وموظفين، فهذا الحاكم الباطش دخيل على مصر وقادته دخلاء، والمماليك دخلاء. بانتهاء سطوة المماليك دخلت بقيتهم في خدمة الدولة، ومن هؤلاء والد شاعرنا حسن حسني بك أحد أمراء المدفعية.

لعل العائلة منسوبة إلى إيتاي البارود في مديرية البحيرة بمصر، ولعله كان لها أملاك في الدلتا، وفي القاهرة، فقد قيل لنا إن محمود سامي ولد في القاهرة. وقد ذاق اليتيم باكراً، فأبوه يعيش في دنقلة بالسودان وهو يعيش عند أخواله بمصر، وما بلغ السابعة حتى توفي أبوه في دنقلة.

تھمنا هذه السنوات السبع الأولى في حياة البارودي، وفي حياة كل إنسان نحاول أن نفهمه. لقد عاش فيها مدلاً عند أخواله، ولا نظنه عانى كل ما يعانيه يتيم الأب. وكان خاله إبراهيم شاعراً. وبخاله افتخر في الشعر، كأنما أراد أن يقول إنني من بيت فيه شعر. وخير ما صنعه له بيت خاله أنه جنبه دخول تلك المدارس التي كانت موجودة في القاهرة آنذاك - وسيأتي زمن تغلق فيه، ثم سيأتي زمن تفتح فيه من جديد -، لقد درس في البيت. درس على خاله وعلى معلمين كانوا يَتَشَوْن ذلك البيت. وطالع كتب النحو والصرف والعروض والبلاغة. (وقد مزق الباحثون الجادون أسطورة، اخترعها حسين المرصفي وتلقاها دون تمحيص الرافي، بأن البارودي لم يعرف شيئاً من علوم اللغة). على أن دراسة البارودي كانت تلك الدراسة الحرة التي تؤتي ثمراتاً أطيب بكثير من الدراسة المقيدة في المدارس.

لعله بين السابعة والثانية عشرة لم يقرأ سوى الأشعار والقصص، على أنه بعد ذلك ثقف نفسه بعلوم العربية، ما وسعه.

في الثانية عشرة دخل المدرسة الحربية أسوة بأبناء الجراكسة. وتخرج بعد

أربع سنين وعمره ست عشرة سنة. وأصبح ضابطاً في الجيش. في تلك السنة نفسها تولى سعيد باشا عرش مصر.

وهو طفل يقرأ القصص في بيت خاله كان البارودي يسمع عن أمجاد محمد علي العجوز الذي حكم مصر قرابة خمسين سنة، وما دخل المدرسة الحربية إلا وعباس الأول على عرش مصر، وتخرج منها وسعيد في الحكم. ومكث البارودي بضع سنوات لاهياً، ثم توجه إلى إستانبول، والتحق بوزارة الخارجية، وفي عاصمة الدولة العثمانية - وكانت مصر تتبعها بعض التبعية - أتقن البارودي التركية، وتعلم الفارسية، وزعموا أنه قال شعراً في اللغتين، غير أنه لم يصلنا شيء من هذا. ولا نظنه إلا قد انشغل بما في إستانبول من كتب عربية مطبوعة ومخطوطة، ولا سيما دواوين الشعراء القدامى.

ومات سعيد باشا، وتولى عرش مصر إسماعيل، وفي سنة توليه الحكم توجه إسماعيل باشا إلى إستانبول، ليعود منها وبصحبه محمود سامي البارودي الذي كان بلغ الرابعة والعشرين. وترقى البارودي في الجيش، وحضر دورة عسكرية في فرنسا وأخرى في بريطانيا، وكانت هاتان الدولتان قد بدأتا تعدان الخطط لتضييق الخناق على مصر التي كانت تُحفر فيها قناة السويس، وتعد بموقع استراتيجي متزايد الأهمية.

وكان إسماعيل باشا (وسنقول «الخديوي» إسماعيل منذ سنة ١٨٦٦ حين نال اللقب من السلطان العثماني، ونال معه الحق في توريث العرش لأكثر أبنائه) قد بدأ نهضة كبيرة في التعليم وال عمران ذكّرت الناس بجده محمد علي. في هذه السنة نفسها قامت في جزيرة كريت (في اليونان حالياً) ثورة على الحكم العثماني، فأرسل إسماعيل جيشاً لقمعها كان من بين ضباطه البارودي. وأخمدت الثورة. وقال البارودي في ذلك شعراً، غير عالم أنه سيشارك عما قليل في ثورة ستُخمد، وسيقول فيها شعراً من نوع آخر.

ثم استرخى البارودي في مزرعته، يلهو ويقول الشعر، ويتصل بأقطاب البيان في مصر، وأهمهم الشيخ حسين المرصفي، صاحب الكتاب التعليمي المدرسي المهم «الوسيلة الأدبية»، وأهم شيء في هذا الكتاب على الإطلاق أنه احتوى على قصائد عديدة للبارودي. كان حسين المرصفي شيخ العربية في دار العلوم التي أنشئت في أواسط عهد إسماعيل. وكانت داراً للعلوم حقاً، وفيها عدد من الأساتذة الأوروبيين وخصوصاً الفرنسيين يدرسون العمارة والسكة

الحديد والآلات والفلك والتاريخ. وجاءها المرصفي من الأزهر، وهو شيخ معمم أعمى يحب اللغة ويحب الأدب، ويعرف كيف يصيخ بسمعه إلى شعر متين السبك حتى لو جاء من شاب يافع. وباعتناء الشيخ بأشعار الشاب ونشره لها في كتابه الخطير عرف شوقي أن الشعر العربي المتين يمكن له أن يولد في هذا الزمن أيضاً. ويخبرنا الرافعي بأن تأثر شوقي بالبارودي أهم من تأثره بالمتنبي والبحري لما بين شوقي والبارودي من معاصرة.

في هذه الفترة عب البارودي من شعر القدماء ما شاء له أن يعب.

ولما كنا قلنا «ما شاء له» وهي عبارة طه حسين الأثيرة، فنحن نذكر المرصفي الآخر «سيد بن علي المرصفي» الذي تلقى عليه طه حسين وعدد من كبار الأدباء في زمنه علمهم، وكان سيد المرصفي محباً للأدب راعياً للشباب كابن قريته حسين المرصفي.

اثنا عشرة سنة وضع فيها البارودي السيف في قرابه، وراح يدرس الأدب، ويحفظ روائع الشعر القديم، وقد يقوم بمهام دبلوماسية إلى إستانبول، وقد يخلد إلى مزرعته يلهو ويشرب، ويقول في ذلك الشعر. ثم قامت حرب البلقان بين روسيا والدولة العثمانية سنة ١٨٧٨، فأرسل البارودي، وهو الآن ضابط مهم في نحو الأربعين من عمره، إلى الجبهة. وقال في ذلك شعراً كثيراً.

بعد هذه الحرب بقليل نُحي إسماعيل عن الحكم بضغط من فرنسا وبريطانيا، وتولى عرش مصر ابنه توفيق. وكان البارودي قريباً من توفيق وهو ولي عهد. فترقى البارودي وأصبح مديراً للأوقاف، ثم جمع إليها الحرية. ثم اختلف مع رئيس النظار (رئيس الوزراء) رياض باشا، فاستقال، وجيء بشريف باشا، فعاد البارودي، ثم استقال شريف، فعين البارودي في عام ١٨٨٢ رئيس وزراء لأربعة أشهر. وسميت وزارته «وزارة الثورة» لأنها ضمت ثلاثة من أقطاب الثورة.

كان الجيش متململاً، يشعر ضباطه أن أقدار البلاد ومقدراتها تتسرب لتكون بيد الإنجليز والفرنسيين. وكان في الجيش سخط على عدم إعطاء الوطنيين، وعلى رأسهم أحمد عرابي، المكانة التي يستحقون بإزاء الجراكسة. ومع أن البارودي كان رأس الجراكسة فقد كان محبوباً من الجميع، وكان يعطف على قضية الجيش في وجه التضيق الأوروبي.

كانت ديون مصر كثيرة، فقد أسرف إسماعيل في الاستدانة ليني البنايات وينشئ المدارس ويقوي الجيش، و.. ليكون مسرفاً.. واتخذ الأوروبيون من

هذه الديون حجة للاستيلاء على مصر التي جعلت لها قناة السويس من الموقع الاستراتيجي ما أسال لعاب أوروبا.

أراد الجيش خلع الخديوي توفيق، ولكن عرابي تلكاً في إعلانها صريحة، ولعل حلم السلطة نما في عقل البارودي، ولكنه أثر الاكتفاء بالتعاطف مع الجيش، دون التقدم خطوة أخرى نحو الانقلاب على توفيق.

ودخل الإنجليز مصر، وهزموا جيش عرابي، وحكموا عليه وعلى البارودي وعلى بعض كبار الضباط بالنفي. وعلى سفينة إنجليزية حُمل الضباط إلى جزيرة سيلان، سرنديب.

قضى البارودي سبع سنين في كولمبو، ولما استفحل الشقاق بين الضباط وتراشقوا بالاتهامات بشأن أسباب فشل حركتهم، انتحى البارودي في «كاندي» في وسط الجزيرة (و١٤٪ من سكانها الآن، بحسب الويكيبيديا، مسلمون). وراح يعلم المسلمين العربية ويؤمهم في صلاتهم. وقيل إنه تعلم الإنجليزية هناك. ومن سرنديب (جزيرة سيلان، وهي الآن دولة سريلانكا) كان البارودي يتصل بمصر بالبريد، ويتساجل مع الأدباء كالأمير شكيب أرسلان.

كان منفاه السرنديبي سبع عشرة سنة قال فيها بعض أجمل شعره، ورجع بعدها إلى مصر بعفو في مايو/أيار ١٩٠٠، وفي القاهرة توفي في ديسمبر/كانون الأول ١٩٠٤.

خدم البارودي شعره بأن جمعه قبل وفاته، وكتب له مقدمة. وقد غير في أبياته بعض التغيير، وخفف من غلواء الغزل والمجون بعض التخفيف، ويبدو هذا واضحاً من خلال مقارنة أبيات الديوان بأبيات نشرها المرفص في «الوسيلة الأدبية». كان البارودي في آخر سنواته قد فقد بصره، على أن بيته أصبح مجلساً عامراً بأهل الأدب.

وقد طبع ديوانه بعد وفاته، طبعته أرملته، وطُبعت مختاراته التي هي قصائد لثلاثين شاعراً عباسياً جمعها البارودي ورتب شعراءها تاريخياً، وهي تملأ ثلاثة مجلدات كبيرة.

عاش شعر البارودي، واخترنا منه صفحات كثيرة رغم ما قلنا عن صاحبه من أنه رجع للوراء. . فقد عاش شعر البارودي لأنه شعر جميل فيه قوة وفيه تعبير صادق عما في نفس صاحبه من فرح وألم. هذا شعر طيب، فإن كنت ما زلت تحت تأثير كلامنا الأول فهذه دعوة إلى الاتزان: شعر البارودي شعر ذكي، وفصيح.

١ شقيقة القمرين

يا هاجري مِنْ غيرِ ذَنْبٍ فِي الهوى ، مهلاً ، فهجرُكَ والمنونُ سَوَاءُ
المنون: الموت

أَغْرَيْتَ لَحْظَكَ بِالْفَوَادِ فَشَفَّهُ وَمِنْ الْعَيُونِ عَلَى النَفُوسِ بَلَاءُ
أغریت نظرك بفؤادي فشفه (براه برياً فجعله شفافاً)، وقد يقع البلاء على النفوس من عيون
الجماليات

هِيَ نَظْرَةٌ ، فَاْمُنُّنْ عَلَيَّ بِأَحْتِهَا فَالْخَمْرُ ، مِنْ أَلَمِ الْخُمَارِ ، شَفَاءُ
انظر إليَّ أيها المحبوب مرة أخرى تشفيني من النظرة الأولى، فهذا مثل الخمر التي تصيب المرء
بالخمار (صداع السكر) فيداويه بشرب مزيد من الخمر

لَا أَنْتَ تَرْحَمُنِي ، وَلَا نَارُ الْهَوَى تَخْبُو ، وَلَا لِلنَفْسِ عَنْكَ عَزَاءُ
فِي قَلْبٍ كُلِّ فَتَى غَرَامٌ كَامِنٌ وَبِعِظْفٍ كُلِّ مَلِيحَةٍ خِيَلَاءُ
العطف: الخصر، الخيلاء: الزهو والتشي

فَدَعَ التَّكْهُنَ يَا طَبِيبُ ، فَإِنَّمَا دَائِي الْهَوَى ، وَلِكُلِّ نَفْسٍ دَاءُ
أَلَمِ الصَّبَابَةِ لَذَّةٌ تَحْيَا بِهَا نَفْسِي ، ودائي لو علمت دواء
حَكَمَ الْجَمَالَ لَهَا بِمَا تَخْتَارُهُ فَتَحَكَّمْتُ فِي النَّاسِ كَيْفَ تَشَاءُ
أَشْشِيقَةَ الْقَمَرَيْنِ ! أَيُّ وَسِيلَةٍ تُذْنِي إِلَيْنَا ، فليس لي شُفْعَاءُ
يا شقيقة الشمس والقمر، كيف أتقرب منك؟ فليس لي من يشفع عندك

وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ ، وَلَكِنْ فَرَّقَتْ مَا بَيْنَهُمْ فِي الرُّتْبَةِ الْآرَاءُ
الناس متشابهون جسماً، والفوارق بينهم في المتزلة قائمة على الآراء (الفكر والمواقف). التسويد
لعمران القفيني

وَالنَّفْسُ إِنْ صَلَحَتْ زَكَتْ ، وَإِذَا خَلَّتْ مِنْ فِطْنَةٍ لَعِبَتْ بِهَا الْأَهْوَاءُ
النفس الصالحة تزكو (تسمو وتنمو)، وإذا خلت من الفطنة تميل مع شتى الأهواء

كَيْفَ الْوُثُوقُ بِذِمَّةٍ مِنْ صَاحِبٍ وَبِكُلِّ قَلْبٍ نُقْطَةٌ سُودَاءُ ؟
كيف أتق بصاحب وكل امرئ له قلب وكل قلب فيه نقطة سوداء (يشير إلى تعبير سوداء القلب أي
وسطه/إن فلقت قلب دجاجة رأيت النقطة السوداء)

فَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَالْسَّعْيُ فِي طَلَبِ الصَّدِيقِ هَبَاءُ

٢ الصغيرة الواسعة

قال يمدح الخديوي عباس حلمي الثاني:

أَوَلَيْتَنِي مِنْكَ الرِّضَا، وَجَلَوْتُ لِي وَجْهًا قَرَأْتُ الْبِشْرَ فِي أَثْنَائِهِ
أَوَلَيْتَنِي: منحتني، جلوت لي: بينت لي

الْعَدْلُ مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَالْعِلْمُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَالْجِلْمُ مِنْ أَسْمَائِهِ
هذا الخديوي عادل عالم حليم، والحلم من أسمائه إشارة إلى اسمه المركب «عباس حلمي»
لَا غَرَوَ أَنْ جَمَعَ الْمَحَامِدَ يَافِعًا وَسَمَا بِهِمَّتِهِ عَلَى نَظَائِرِهِ
لا غرو: لا عجب، يافعا: فتى، وارتفع بهمته (طموحه) على أقرانه

فَالْعَيْنُ وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي حَجْمِهَا تَسْعُ الْفَضَاءَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
فهو في صغره واسع المعرفة والطموح، ولا عجب فالعين على صغرها ترى الأرض والسماء
فكانها تسعها

٣ في الواقع .. هي نار

قال يذكر أياماً مضت له بالجيزة:

حَمْرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ، كَأَنَّهَا شَفَقَ بَدَتْ فِيهِ نَجُومُ سَمَاءِ
خمر حمراء دار على وجه كأسها الحباب (الفقايع)، فكان الخمر بحمرتها شفق الشمس عند
المغيب، وكان الفقايع نجوم تتلألأ

وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْبَاقِيْنَ فَإِنَّهَا نَارٌ تَحَلَّلَ جِسْمُهَا فِي مَاءِ
وفي الواقع فالخمر بلونها الأحمر ومذاقها اللاسع كالنار، وعند مزجها بالماء فكان جسمها يتحلل
فيه

تَجْرِي فَتَفْعَلُ بِالْعَقُولِ كَوُوسُهَا مَا تَفْعَلُ الْأَلْحَاطُ بِالْأَحْشَاءِ

التسويد لعمران البقيني

هِيَ جَمْرَةُ الْفُرْسِ الَّتِي سَجَدَتْ لَهَا أَمْلَاكُهَا فِي سَالِفِ الْآنَاءِ
الخمر كنار المجوس التي كان يسجد لها أملاكها (ملوكها) في سالف الآناء (الآزمان)

أَنَا فِي زَمَانٍ غَادِرٍ، وَمَعَاشِيرِ يَتَلَوَّنُونَ تَلَوَّنَ الْحَرَبَاءِ
شَقِيَّ ابْنُ آدَمَ فِي الزَّمَانِ بِعَقْلِهِ إِنَّ الْفَضِيلَةَ أَفَةُ الْعُقْلَاءِ

٤ حفل زفاف

أَلَا عَاطِنِيهَا بِنْتُ كَرَمٍ تَزَوَّجَتْ عَلَى نَعَمَاتِ الْعُودِ بِابْنِ سَمَاءٍ
عاطنيتها (بادلني كؤوسها) بنت كرم (معصورة من عنب الكروم) وقد مزجت بالماء الذي هو ابن السماء، وهكذا تزوجت بنت الكرم ابن السماء على نعمات العود في مجلسنا هذا

إِذَا اتَّقَدْتُ فِي الْكَأْسِ خِلْتِ وَمِیْضَهَا عَلَى وَتَرَاتِ الْكَفِّ نَضَحَ دِمَاءٍ
تشعل الخمر في الكأس بلونها الأحمر وتظن وميضها إذ ينعكس على وترات الكف (المجلد الذي بين الأصابع) نضح دماء (دم مرشوش)

أَبِي آدَمَ بَاعَ الْجِنَانَ بِحَبَّةٍ وَيَبِغْتُ أَنَا الدُّنْيَا بِجَرْعَةِ مَاءٍ
آدم أخرجه من الجنة تفاحة، وأنا بعث دنياي بشربة ماء (يبحث بالتعبير العامي، وهنا تورية لطيفة، فشربة الماء هي الخمر، وهي أيضاً أنه باع الدنيا بسهولة.. بشربة ماء). التسويد لعمران القفيني

٥ إلا أقلهم

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ سَلِيمًا وَبِهِ لِلْحُقُودِ دَاءٌ عَيَاءٍ
سليماً: بريئاً، الحقود: الأحقاد، داء عياء: أعياء الأطباء

فَاخْذِرِ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ النَّاسَ، إِلَّا أَقْلَهُمْ، أَعْدَاءُ

٦ سواي

قال في صباه يَرُوضُ القول:

سِوَايَ يَتَخَنَّنُ الْأَغَارِيدَ يَطْرُبُ وَغَيْرِي بِاللُّذَاتِ يَلْهُو وَيُغْجَبُ
لست أنا من يهتم بالأغاريد (الأغاني) وبالم لذات.. فأنا أخو حرب وضرب

وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لُبَّهُ وَيَمْلِكُ سَمْعِيهِ الْبِرَاعُ الْمُثَقَّبُ
ولا تستولي الخمر على قلبي (يشربها لكن دون أن يكون عبداً لها)، ولا يستولي على سمعي البراع المثقَّب (القصة ذات الثقوب، أي الناي، أي الموسيقى)

وَلَكِنْ أَخُوهُمْ، إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعُلَا رَاحَ يَذَابُ
لكنني أخوهم (صاحب طموح) إذا ترجحت به (تأرجحت) سورة (فورة نشاط و غضب) تؤدي نحو المجد فهو يحث خطاه

نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسٌ أَبْيَّةٌ لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبُ
أسهرته نفسه الأبية (الرافضة لما يشين) التي تجد مطلبها في الكفاح بين الأسنان (أطراف الرماح)

وَمَنْ تَكُنِ الْعَلِيَاءُ هِمَّةً نَفْسِهِ فكلُّ الذي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبٌ

من تكن العلياء (المجد) همة نفسه (طلبه ومطمحه) أحب الصعوبات التي يلقاها في سبيل الوصول

إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا فَلَا عَزَنِي خَالٌ، وَلَا ضَمَنِي أَبٌ

إذا لم أبدأ للمكارم (الأمجاد) ما تستحق من جهد فليس لي أن أعتر بأحوال ولا أعمام

وَلَا حَمَلْتُ دِرْعِي كُمَيْتٌ طِمْرَةً وَلَا دَارَ فِي كَفِّي سِنَانٌ مُدْرَبٌ

ولا معنى لركوبي، لباساً درعي، الكميت (الفرس الداكنة اللون) الطمرة (الفرس العالية)، ولا لحملي الرمح ذا السنان المدبب الحاد

خُلِقْتُ عَيْوُفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ لَدَيَّ يَدًا أَعْضِي لَهَا حِينَ يَغْضَبُ

خلقت عيوفاً (أبياً) لا أرى لأحد يداً علي (فضلاً يمن به) بحيث أغضي (أطأطى رأسي) عند غضبه

فَلَسْتُ لِأَمْرٍ، لَمْ يَكُنْ، مُتَوَقِّعًا وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أَتَعْتَبُ

لا أترقب بخوف أمراً لم يحدث بعد، ولا أتعجب (أتذمر) على شيء حدث وانتهى

أَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ، لِكُلِّ أَمْرٍ فِيمَا يَحَاوُلُ مَذْهَبُ

طريقي خلاف ما يرى الناس، ولكل إنسان في تحقيق أغراضه طريق

وَبَحْرٍ مِنَ الْهَيْجَاءِ خُضَّتْ عُبابُهُ وَلَا عَاصِمٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمُشْتَطَبُ

ورب هيجاء (حرب) كأنها البحر، وقد خضت عبابه (موجه) إذ لم يكن هناك ما يعصم المرء (يقيه) إلا الصفيح المشطب (السيف ذو الحزوز)

تَظَلُّ بِهِ حُمْرُ الْمَنَايَا وَسُودُهَا حَوَاسِرَ فِي أَلْوَانِهَا تَتَقَلَّبُ

وبحر الحرب هذا فيه المنايا الحمر والسود (الموت جرحاً أو خفقا)، وهذه المينات حواسر (كاشفة رؤوسها) وتتقلب بين المتحاربين آخذة هذا وذاك

تَوَسَّطْتُهُ وَالْخَيْلُ بِالْخَيْلِ تَلْتَقِي وَبِيضُ الظُّبَا فِي الْهَامِ تَبْدُو وَتَغْرُبُ

دخلت وسط القتال حيث الخيل تلتقي بالخيل، وحيث بيض الظبا (شفرات السيوف) تظهر ثم تغرب (تغيب) داخل الرؤوس

فَمَا زِلْتُ حَتَّى بَيَّنَّ الْكَرُّ مَوْقِفِي لَدَى سَاعَةٍ فِيهَا الْعُقُولُ تَغَيَّبُ

ظللت في المعركة أقاتل حتى بدأ الكر (التقدم) فشوهدتُ هاجماً بعد إذ كنت مختفي الشخص في الالتحام، وهذه ساعة تغيب فيها العقول لهولها

لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ، وَالتَّقَى عَلَى غَيْهَبٍ مِنْ سَاطِعِ النَّقْعِ غَيْهَبُ

هذا عند غدوة (باكراً) . . ثم استمر القتال حتى الليل فالتقى غيهب (ظلام) ساطع النقع (الغبار المرتفع) بظلام الليل

يَوَدُّ الْفَتَى مَا لَا يَكُونُ طَمَاعَةً وَلَمْ يَذَرِ أَنْ الدَّهْرَ بِالنَّاسِ قُلُوبَ

المرء يتمنى ما لا يكون (المستحيل) طمعاً، غير مدرك أن الزمن يتقلب بالناس

وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ نَفْعُهُ لِأَبْصَرَ مَا يَأْتِيهِ وَمَا يَتَجَنَّبُ

ولو علم المرء سلفاً الأمر الذي فيه فائدة له، لكان عرف ما الذي يجب أن يأتيه (يفعله) وما الذي يجب أن يتجنبه. التسويد لعمران القفني

٧ ذو الهية والبدية

في مدح الخديوي إسماعيل:

ذُو هَيْبَةٍ تَكْفِيهِ سَوْقَ جُنُودِهِ وَبَدِيهِةٍ تُغْنِيهِ عَنِ التَّجَرُّبِ

له هيبة لا حاجة به معها إلى أن يقود الجنود ليحارب عدواً، فالعدو لا يجرؤ على تحديه أصلاً، وله بدية (فكر فطري) يجعله يدرك الأمور قبل أن يجربها

٨ نعاشر من لقينا

قال يذكر أيام الشباب:

زَمَانٌ كُلَّمَا لَاحَتْ بِفِكْرِي مَخَايِلُهُ بَكَيْتُ لِفَرْطِ مَا بِي

مخايله: صوره المنطبعة في الخيال

مَضَى عَنِّي وَغَادَرَ بِي وَلُوعاً تَوَلَّدَ مِنْهُ حُزْنِي وَاكْتِئَابِي

الزُّلُوع، ونقول اليوم الزُّلُوع، وهي أقيس: شدة التعلق

وَكَيْفَ تَلَدُّ بَعْدَ الشَّيْبِ نَفْسِي وَفِي اللَّذَاتِ إِنْ سَنَحْتُ عَذَابِي

إن أتيت اللذات وجدتها تعذبني لأنني شبت

أَصْدُ عَنِ النَّعِيمِ صُدُودَ عَجَزٍ وَأُظْهِرُ سَلُوءَ، وَالْقَلْبُ صَابٍ

أتجنب الحياة المرفهة عجزاً عن الاستمتاع بها، وأبدي سلوة (انصرافاً عنها)، مع أن قلبي يصبو (يحن)

حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ مَلَبّاً وَذُقْتُ الْعَيْشَ مِنْ أَرْزِي وَصَابٍ

حلبت الدهر أشطره (تمرت واحتنكت) ملياً (كثيراً)، وذقت الأري (العسل) والصاب (المِر)

فَمَا أَبْصَرْتُ فِي الْإِخْوَانِ نَذْباً يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامَةِ وَالْعِتَابِ

لم أجد في الأصدقاء نذباً (مبادراً للنصرة) يرتفع قدره عن اللوم والعتاب

ولكنّا نَعاشرُ مَنْ لَقِينَا على حُكْمِ المُرُوءَةِ والتَّغَابِي

نعاشر من تلقى ونستعمل معهم المروءة والتغابي (التغاضي بادعاء الغباء)

٩ انتهاء العمران بدء الخراب

قال وهو بِسَرْنَدِيبٍ يتشوق إلى مصر، ويرثي صديقه الشيخ حسباً المَرَصَفِي، وعبد الله باشا فكري:

كُلُّ شَيْءٍ يَسْأَلُوهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا ماضِي اللَّهْوِ فِي زَمَانِ الشَّبَابِ
ينصرف العاقل عن كل شيء إِلَّا ذكرى لهوه في شبابه

فَلَمَّا زَالَ، فَاشْتَبَاقِي إِلَيْهِ، مِثْلُ قَوْلِي، بَاقٍ عَلَى الْأَحْقَابِ
زال الشباب ولكن اشتياقي إليه باق على مرور الأزمان، وكذا شعري... فشعري باق على الزمان

يَا نَدِيمِي مِنْ «سَرْنَدِيبٍ» كُفَّا عَنْ مَلَامِي، وَخَلْيَانِي لِمَا بِي
سرنديب: جزيرة سيلان، وهي دولة سريلانكا، وكان البارودي منفياً فيها

كَيْفَ لَا أُنْدُبُ الشَّبَابَ وَقَدْ أَضْمَ بَحْتُ كَهْلًا فِي مِحْنَةٍ وَاغْتَرَابِ
أَخْلَقَ الشَّيْبُ جِدَّتِي، وَكَسَانِي خِلْعَةً مِنْهُ رَثَّةَ الْجِلْبَابِ
أخلق (أبلى، وهرا/ من الاهتراء) الشيب ما كان جديداً من جسمي ونفسي، وكساني خلعاً (ثوباً) رثة (مهترئة)

وَلَوَى شَعَرَ حَاجِبِي عَلَى عَيْنِ نَيٍّ، حَتَّى أَطَّلَ كَالْهَدَابِ
الهداب: الشراشيب، الخيوط المتدلّية من أطراف النسيج

لَا أَرَى الشَّيْءَ حِينَ يَسْنَحُ إِلَّا كَخَيَالٍ كَأَنِّي فِي ضَبَابِ
أرى الأشياء حين تسنح (تبدو) خيلاً كأن حولي الضباب لضعف بصري

وَإِذَا مَا دُعِيتُ حِرْزْتُ كَأَنِّي أَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
إذا ناداني أحد تحيرت لا أعرف مصدر الصوت، كأنه يناديني من وراء ستر

كَلَّمَا رُمْتُ نَهْضَةً أَقْعَدْتَنِي وَنِيَّةً لَا تُقِلُّهَا أَعْصَابِي
إذا رمت (ابتغيت) نهضة (قياماً) أقعدتني ونية (ضعف) لا تحملها أعصابي

لَمْ تَدْعُ صَوْلَةَ الْحَوَادِثِ مِنِّي غَيْرَ أَشْلَاءٍ هَمَّةٍ فِي ثِيَابِ
هجمة الحوادث (المصائب) علي تركتني أشلاء همة (بقايا عزيمة)

فَجَمَعْنِي بِوَالِدَيَّ، وَأَهْلِي ثُمَّ أَنْحَتْ تَكْرُّ فِي أَتْرَابِي
فَجَعَتِي الْمَصَائِبُ بِأَبَوِي وَأَهْلِي، ثُمَّ أَنْحَتْ (مالت) تَكَرَّ (تهجم) عَلَى أَتْرَابِي (مَنْ هُمْ فِي سَنِي، لِدَاتِي)

أَيْنَ مِنِّي (حُسَيْنُ) بَلْ أَيْنَ (عَبْدُ) الْ لَهُ رَبُّ الْكَمَالِ وَالْآدَابِ؟
لَمْ أَجِدْ مِنْهُمَا بَدِيلًا لِنَفْسِي غَيْرَ حُزْنِي عَلَيْهِمَا وَاكْتِنَابِي
لَيْسَ لِي مَنْ يَعُوضُنِي عَنْ فَقْدِهِمَا، وَبَقِيَ لِي مِنْهُمَا الْحُزْنُ وَالْاِكْتِنَابُ

قَدْ لَعَمْرِي عَرَفْتُ دَهْرِي، فَأَنْكَرُ ثُ أُمُورًا مَا كُنُّ لِي فِي حِسَابِ
وَتَجَنَّبْتُ ضُحْبَةَ النَّاسِ حَتَّى كَانَ عَوْنًا عَلَى الثَّقَاةِ اجْتِنَابِي
اجْتِنَابِي النَّاسَ أَعَانَنِي عَلَى التَّقْوَى

لَا أَبَالِي بِمَا يُقَالُ، وَإِنْ كُنْتُ ثُ مَلِيًّا بِرَدِّ كُلِّ جَوَابِ
مَلِيًّا: قَادِرًا

قَدْ كَفَانِي بُعْدِي عَنِ النَّاسِ أَنِّي فِي أَمَانٍ مِنْ غَيْبَةِ الْمُغْتَابِ
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ، وَلَكِنْ أَتَغَابِي، وَالْحَزْمُ إِلْفُ التَّغَابِي
الْحَصَافَةُ مُصَاحِبَةٌ لِلتَّغَابِي، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ حَازِمًا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ يَتَغَاضَى عَنِ السَّفَاسِفِ، وَهُوَ مُدْرِكُ
إِيَّاهَا

وَكَفَى بِالْمَشِيبِ، وَهُوَ أَخُو الْحَزْ مِ دَلِيلًا إِلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ
إِنَّمَا الْمَرْءُ صَوْرَةٌ سَوْفَ تَبْلَى وَانْتِهَاءُ الْعُمُرَانِ بَدْءُ الْخَرَابِ

١٠ سبب فيضان النيل

قال يَرُوضُ القول:

إِذَا لَمْ تُعِينُونِي وَأَنْتُمْ عَشِيرَتِي فَسِيرُوا، وَخَلُّونِي، فَلَسْتُ بِذَاهِبِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْصُرْ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ لَدَى كُلِّ مَكْرُوهِ فَلَيْسَ بِصَاحِبِ
لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ، وَهِيَ رَحِيبةٌ كَغَزَلَانِ هَذَا الْحَيِّ عُذْرٌ لِنَاسِبِ
لَيْسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى اتِّسَاعِهَا مِنْ عُذْرٍ لِلنَّاسِبِ (الْمَتَغَزَّلِ) مِثْلُ غَزَلَانِ (قَتِيَاتِ) هَذَا الْحَيِّ (هُؤْلَاءِ
الْقَوْمِ). فَمَنْ يَتَغَزَّلُ مَعْذُورٌ لِفَرْطِ جَمَالِهِنَّ

فَلَا تَطْلُبَنَّ الْحُسْنَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ فَأَبْدَعْ مَا فِي الْأَرْضِ حُسْنَ الْأَعَارِبِ
فَهَنَّ الْأَلَى عَوْدَنَ قَلْبِي عَلَى الْهُوَى وَأَخْلَقَنَ ظَنِّي بِالْعِدَاتِ الْكَوَادِبِ
عُودَنَ قَلْبِي عَلَى الْهُوَى، ثُمَّ أَعْطَيْتَنِي الْوَعْدَ الْكَاذِبَةَ

وما زاد ماء النبل إلا لأتني وقفتُ به أبكي فراق الحباب
يقول إن دموعه رفعت منسوب مياه النيل. أواثق يا محمود باشا من هذا؟ مبالغة قد يراها بعضهم
سمجة، لكنها جارية على طريقة القدماء في صنع صورة كاريكاتيرية

١١ ملكت حلمي

وقال وهو بسرديب:

أَضَعْتُموني وَكَانَتْ لِي بِكُمْ ثِقَةٌ مَتَى خَفَرْتُمْ ذِمَامَ الْعَهْدِ يَا عَرَبُ؟

خفرتم ذمام العهد: نقضتم العهد

أَبَيْتُ فِي غُرْبَةٍ لَا النَّفْسُ رَاضِيَةٌ بِهَا، وَلَا الْمُلتَقَى مِنْ شِيعَتِي كَتَبُ

أصبحت في غربة فلا نفسي راضية، ولا اللقاء بشيعتي (أصحابي) كتب (قريب)

فَلَا رَفِيقٌ تَسُرُّ النَّفْسُ طَلْعَتُهُ وَلَا صَدِيقٌ يَرَى مَا بِي فَيَكْتَتِبُ

فَهَلْ دِفَاعِي عَنْ دِينِي وَعَنْ وَطَنِي ذَنْبٌ أَدَانُ بِهِ ظُلْمًا وَأَغْتَرِبُ؟

فَلَا يَظُنُّ بِي الْحَسَادُ مَنْدَمَةً فَإِنِّي صَابِرٌ فِي اللَّهِ مُحْتَسِبٌ

مندمة: تدم، محتسب: راض بنيل الثواب من الله

لَا يَخْفِضُ الْبُؤْسُ نَفْسًا وَهِيَ عَالِيَةٌ وَلَا يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَامِلِ النَّشْبُ

الخامل: غير المعروف، النشب: الشب: المال

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَرُدُّ الْخَوْفُ بَادِرَتِي وَلَا يَحِيفُ عَلَى أَخْلَاقِي الْغَضَبُ

بادرتي: إقدامي، يحيف: يجني ويتقص

مَلَكْتُ حِلْمِي فَلَمْ أَنْطِقْ بِمُنْدِيَةٍ وَصُنْتُ عِرْضِي فَلَمْ تَغْلُقْ بِهِ الرَّيْبُ

مندية: كلمة مخجلة يندى لها الجبين، الريب: الشبهات

١٢ في المعركة

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ، وَاشْتَبَكَ الْقَنَا وَدَارَتْ كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ..

لما دعا القوم بعضهم بعضاً، واشتبكت القنا (الرمح)، ودارت الحرب كما تهوى على قطبها (دون أن يتحكم بها أحد) على قطبها (محورها) مثلما تدور الرمح فتطحن..

وَزَيْنَ لِلنَّاسِ الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ، وَالتَّهَبَ الضَّرْبُ..

زين للناس الفرار (صار حسناً في عيونهم الهرب) من الموت، وصارت صدور الخيل تتلأق كاللحم، واشتد الضرب بالسيوف..

وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءَ كَأَنَّا سُقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرِبٌ . .

. . ودارت بنا الأرض الفضاء (الواسعة) كأننا سقينا بكأس لا يصحو لها شرب (شاربون) . .

صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاوُهَا وَإِنِّي صَبُورٌ إِنْ أَلَمَ بِي الْخَطْبُ

عندئذ صبرت حتى انجلت سماء المعركة وركد غبارها، وأنا صبور إن ألم بي (عرض لي) خطب ومصيبة

١٣ الجود بالنفس والمال

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مَنْ إِذَا هَتَفَتْ بِهِ الْحَمِيَّةُ هَزَّ الرِّمَحَ وَانْتَصَبَا

يَسْتَسْهَلُ الصَّعْبَ إِنْ هَاجَتْ حَفِيزَتُهُ وَلَا يُشَاوِرُ غَيْرَ السِّيفِ إِنْ غَضِبَا

حفيظته : غضبه

إِنْ حَلَّ أَرْضاً حَمَى بِالسِّيفِ جَانِبَهَا وَإِنْ وَعَى نَبَأَةً مِنْ صَارِيخِ رَكِبَا

إن وعى نبأ (سمع صوتاً خفيفاً) يطلب النجدة، ركب حصانه لتلبية النداء

فَذَاكَ إِنْ يَحْيَى تَحْيَى الْأَرْضُ فِي رَعْدٍ وَإِنْ يَمُتْ يَنْقَلِبُ صِدْقُ الْمُنَى كَذِبَا

فَاحْمِلْ بِنَفْسِكَ تَبْلُغْ مَا أَرَدْتَ بِهَا فَالِئْتُ لَا يَرَهْبُ الْأَخْطَارَ إِنْ وَثَبَا

لَا يَقْعُدُ الْبَطْلُ الصَّنْدِيدُ عَنْ كَرَمٍ مَنْ جَادَ بِالنَّفْسِ لَمْ يَبْخُلْ بِمَا كَسَبَا

الصنديد (الشجاع) لا يقعد (لا يتوانى) عن كرم، فمن يجود بروحه لا يبخل بماله

١٤ صوني القناة

أَفْتَانَةَ الْعَيْنَيْنِ كُفِّي عَنِ الْقَلْبِ وَصُونِي حِمَاهُ، فَهُوَ مَنْزِلَةُ الْحُبِّ

منزلة : موضع

وَلَا تُسْلِمِي عَيْنِي لِلشَّهْدِ وَالْبُكَاءِ فَإِنَّهُمَا مَجْرَى هَوَاكِ إِلَى قَلْبِي

١٥ يَا حُسَيْنَ مِنْ حَدِيثٍ

قَالَتْ، وَقَدْ سَمِعْتَ شِعْرِي فَأَعْجِبْهَا: إِنِّي أَخَافُ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ أَبِي

تخاف عليه من سطوة أبيها

أَرَاهُ يَهْتَفُ بِاسْمِي غَيْرَ مُكْتَرِثٍ وَلَوْ كُنْتُ لَمْ يَدْعُ لِلظَّنِّ مِنْ سَبَبٍ

لو كنتي: لو تحايل ولم يذكر الاسم صراحة

فكيف أصنع إن ذاعت مقالته ما بين قومي، وهم من سادة العرب؟
 فنارعتها فتاة من صواحبيها قولاً يؤلف بين الماء واللّهب
 نازعتها (خالفتها) صديقها بقول توفيقي يجمع بين المتناقضين

قالت دعيه يصوغ القول في جمل من الهوى، هي آيات من الأدب
 وما عليك وفي الأسماء مشترك إن قال في الشعر يا ليلى ولم يعب؟
 يا حسنه من حديث شف باطنه عن رقة ألبستني خلعة الطرب
 ما أجمل حديث صاحبها

١٦ النائحات

قال وقد مرّ بصحراء القرافة، فرأى نسوة يئنحن على ميت:
 رأيتُ بصحراء القرافة نسوة نوازع، لا يأوين حُزناً إلى بيت
 نوازع: خارجات من بيوتهن
 يئنحن على ميت سيتبعن أثره ومن عجب ميت ينوح على ميت

١٧ براءة بلا براهين

قال يمدح النبي ﷺ:

أبيت أرعى نجوم الليل في ظلم يخشى الضلالة فيها كل مدلج
 أراقب النجوم في ظلمات ليل يخشى أن يضل فيه كل مدلج (سائر ليلاً)
 كأن أنجمه والجو معتكر غيد بأخبية ينظرون من فرج
 كأن النجوم والجو معتكر (مسود) عيون الغيد (الحسان) وهن ينظرن من فرج (شقوق) الأخبية
 (الخيام)

ليل غياهبه خيرى، وأنجمه حسرى، وساعاته في الطول كالجحج
 ليل غياهبه (ظلماته) حيرى، أي يتحير فيها المرء، ونجومه حسرى (متعبة)، أي تتعب في مراقبتها
 العين، وساعاته طويلة كأنها كالجحج (السنوات)

فليت من لا مني لانت شكيمته فكف عني فضول المنطق السمج
 ليت اللائم لانت شكيمته (خفف تشده)، فكف عني فضول المنطق (أي الزائد من الكلام)
 هيئات يسلك لوم العاذلين إلى قلب يحب رسول الله ممترج

يَا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى هَبْ لِي، وَإِنْ عَظَمْتُ جَرَائِمِي، رَحْمَةً تُغْنِي عَنِ الْحُجَجِ
 أعطني يا رب، بشفاعته النبي، رحمة تغني عن تقديم الحجج (البراهين على براءتي) مهما كبرت ذنوبي
 مَا لِي سِوَاكَ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، إِذَا ضَاقَ الزَّحَامُ غَدَاةَ الْمَوْقِفِ الْحَرَجِ
 ما لي سوى شفاعته النبي في زحمة الموقف الحرج (يوم القيامة)

١٨ حسام الفجر

قال يوازن قصيدة ابن النيه (يا ساكني السفح كم عين بكم سفحت):
 خَفَّتْ مَعَاطِفُهَا لَكِنْ رَوَّادُفُهَا بِمِثْلِ مَا حَمَلْتَنِي فِي الْهَوَى رَجَحْتُ
 معاطفها (خصرها) رقيقة، وأردافها ثقيلة وراجحة مثل الهم الذي حملتني إياه في حبها
 وَلَيْلَةٍ سَالَ فِي أَعْقَابِهَا شَفَقٌ كَأَنَّهَا بِحُسَامِ الْفَجْرِ قَدْ دُبِحَتْ
 ليلة جاء بعدها شفق (غسق، النور الخفيف المؤذن بالفجر) كأنه دم سال عندما ذبح سيف الفجر
 ظلمة الليل

طَالَتْ وَقَصَّرَهَا لَهْوِي بِغَانِيَةٍ إِنْ أَعْرَضْتُ قَتَلْتُ، أَوْ أَقْبَلْتُ فَضَحْتُ
 طالت الليلة وأحسست أنها قصيرة وأنا ألهم مع غانية (جميلة)، إعراضها يقتلني وإقبالها علي
 يفضحني (يفضح شهواتي، أو يفضحني بين الناس)
 دَارَتْ عَلَيْنَا بِهَا الْكَاسَاتُ مُتْرَعَةً بِخُمْرَةٍ لَوْ بَدَتْ فِي ظُلْمَةٍ قَدَحَتْ
 مترعة: مملوءة

١٩ ابنة الفرخ

قال علي وزن مخترع:

إِمْلَأِ الْقَدْحَ وَاغْصِ مَنْ نَصَّخَ
 وَارِوْ غُلَّتَنِي بِابْنَةِ الْفَرَّخِ
 غلتي: عطشي

وَهَمِّي إِنْ سَرَرْتُ فِي الْعَلِيلِ صَخْ

٢٠ روح بلا جسد

وقال في الروح بعد مفارقة الجسم:

بَلَّغْتَ مَدَاكِ مِنْ أَرْبٍ فَسِيحِي فَأَنْتِ الْيَوْمَ فِي جَوْ فَسِيحِ
 بلغت أيتها الروح، بعد موت الإنسان، أقصى المدى من أربك (مبتغاك) فانطلقني

فَعَادَتْ صُورَةُ الْجُثْمَانِ عُظْلًا لِفَقْدِكَ مِثْلَ دِينَارٍ مَسِيحٍ
أصبح الجسم معطلاً من روحه، فهو كالدينار الذهبي المسيح (الممسوح، فلا كتابة ولا صورة عليه)

فَلَيْتَكَ تَرْجِعِينَ لَنَا بِصَدْقٍ يُبَاغِتُ كُلَّ خَتَالٍ مَسِيحٍ
ليتك ترجعين للجسم في البعث فيفاجأ كل منكر ختال (ماكر) مسيح (دجال)

بِرَبِّكَ هَلْ وَجَدْتَ كَمَا وَجَدْنَا خِلَافًا بَيْنَ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحِ؟
سؤال للروح: هل ثمة فعلاً خلاف بين دين أحمد، الإسلام، ودين المسيح؟

٢١ عش عزيزاً

قال يفخر ويمرّض بالمظالم على عهد الحكومة الاستبدادية:

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَا أَوْدُهُ وَأَيُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلَى الدَّهْرِ زَنْدُهُ
رضيت من الدنيا بما لا أرغب فيه فعلاً، وليس هناك إنسان يستطيع زنده (ذراعه) أن يلوي ذراع
الدهر

أَحَاوُلُ وَضَلًا، وَالصُّدُودُ خَصِيْمُهُ وَأَبْغِي وَفَاءً وَالطَّبِيعَةُ ضِدُّهُ
أحاول وصل المليحة، ولكن الصدود يعترضني، وأطلب الوفاء ولكن طبع الأشياء ضد الوفاء
حَسِبْتُ الْهَوَى سَهْلًا، وَلَمْ أَذِرْ أَنَّهُ أَخُو عَدَرَاتٍ يَتَّبِعُ الْهَزْلَ جِدُّهُ
وما الحبُّ إلّا حاكمٌ غيرٌ عادلٍ إذا رامَ أمراً لم يجد مَنْ يصدُّهُ
لَعَمْرِي لَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ، وَحَلَّ بِي مِنَ الشَّيْبِ خَطْبٌ لَا يُطَاقُ مَرَدُّهُ
حل بي من الشيب خطب (مصيبة) لا سبيل إلى مقاومته

وَكَيْفَ أَلُومُ النَّاسَ فِي الْعَدْرِ بَعْدَمَا رَأَيْتُ شَبَابِي قَدْ تَغَيَّرَ عَهْدُهُ؟
كيف ألوّم الناس على الغدر وشبابي غدر بي، وذهب

أَطَالِبُ إِيَّامِي بِمَا لَيْسَ عِنْدَهَا وَمَنْ طَلَبَ الْمَعْدُومَ أَعْيَاهُ وَجَدَهُ
أعياه وجده: أعجزه إيجاداه والعثور عليه

أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَسُودَ وَضِيعُهُ وَيَمْلِكَ أَعْنَاقَ الْمَطَالِبِ وَغَدُهُ
أبى الدهر إلا أن يجهل الوضع يصبح في موقع سيادة، وأن يتحكم اللوغد في الأرزاق

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَّتْ عَلَيْهِ، فَلَا يَأْسَفُ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ
من لم يقاوم يد الجور (الظلم) عندما تسطو عليه فلا يأسف عندما يضيع مجده

وَأَقْتُلْ ذَا رُؤْيَةِ الْعَيْنِ ظَالِمًا يُسِيءُ وَيُتَكَلَّى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ
مما يؤذي المرء أن يرى ظالماً مسيئاً ومع ذلك يشيدون به في المجالس

عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ بِهَا بَطْلاً يَحْمِي الْحَقِيقَةَ شَدُّهُ
عفاء على الدنيا (لتنذهب إلى الجحيم) إذا لم يعش المرء بطلاً يحمي شدُّه (إقدامه) الحقيقة
(الشرف)

أَبْتٌ لِي حَمَلِ الضَّيْمِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ وَقَلْبٌ إِذَا سِيمَ الْأَذَى شَبٌّ وَقُدُّهُ
نفس الأبوة ترفض تقبل الظلم، وقلبي إذا سيم الأذى (تعرض للأذى) شبت ناره غضباً

وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْداً إِذَا طَالَبَ الْعُلَا بِمَا كَانَ أَوْصَاهُ أَبُوهُ وَجَدُّهُ
كفى المرء مجداً أن يطلب من المكارم ما كان أوصاه به أبوه وجده

أَصْدُ عَنِ الْمَرَمَى الْقَرِيبِ تَرْفَعاً وَأَطْلُبُ أَمراً يُعْجِزُ الطَّيْرَ بُعْدُهُ
أترك المرامي (الأهداف) السهلة مترفعاً عنها، وأطلب البعيد العالي الذي لا يصل إليه الطير في
سمائه

وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَلَاعَبَ بِالْقَنَا أُسُودُ الْوَعَى فِيهِ وَتَمَرَحَ الْجُرْدُ جُرْدُهُ
لا بد من يوم تتلاعب بالرماح فيه أسود الوعى (الحرب)، وتمرح الجرد (الخيـل)

يُمَزَّقُ أَسْتَارَ النَّوَاطِرِ بَرْقُهُ وَيَقْرَعُ أَصْدَافَ الْمَسَامِيعِ رَعْدُهُ
لمعان السيوف يمزق أستار النواظر (العيون) والعيون مستورة بغبار المعركة، ويقرع رعد الضرب
صواوين الأذان التي كالأصدا ف

تُدَبِّرُ أَحْكَامَ الطَّعَانِ كُھُولُهُ وَتَمْلِكُ تَصْرِيفَ الْأَعْنَةِ مُرْدُهُ
الكهول يدبرون سير المعركة، والمرد (الشباب الذين لم تنبت لحاهم بعد) يصرفون الأعنة
(يتحكمون في مقادير الخيل). أي أن التخطيط للكهول والقتال للشباب

فَإِمَّا حَيَاةً مِثْلُ مَا تَشْتَهِي الْعُلَا وَإِمَّا رَدًى يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ وَقُدُّهُ
إما حياة عزيزة ترضى عنها المكارم، وإما موت يشفي وفده (قدومه) ما بالنفس من حمية ضد الظلم

٢٢ مسحتها وخلبتها

وقال على روي قصيدة النابغة الذبياني التي أولها «أمن آل مية رائح أو مغتد»:

قالوا غداً يوم الرحيل، وَمَنْ لَهُمْ خَوْفُ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى عَدٍ؟
قالوا سيرحلون غداً، فقلت إنني لشدة خوفي من فراقهم قد لا أعيش إلى يوم الغد

هِيَ مُهْجَةٌ ذَهَبَ الْهُوَى بِشَغَافِهَا مَعْمُودَةٌ، إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَأَنَّ قَدْ
 مهجتي (قلبي) ذهب الهوى بشغافها (غشاء القلب) وهي معمودة (منهكة حباً) إِنْ لَمْ تَمُتْ نَفْسِي
 فَكَأَنَّ قَدْ (كادت)

يَا أَهْلَ ذَا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ أَدْعُوكُمْ يَا قَوْمُ دَعْوَةً مُقْصِدٍ
 يَا أَهْلَ الْبَيْتِ الْعَالِي أَدْعُوكُمْ دَعْوَةً رَجُلٍ مُقْصِدٍ (مصাব بطعنة)

إِنِّي فَقَدْتُ الْيَوْمَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ عَقْلِي، فَرُدُّوهُ عَلَيَّ لِأَهْتَدِي
 أَوْ فَاسْتَقِيدُونِي بَعْضُ قِيَانِكُمْ حَتَّى تَرُدَّ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ تَدِي
 استقيديني (ادفعوا دية قلبي) بإعطائي بعض قيانكم (إحدى فتيانكم)، حَتَّى تَرْجِعَ لِي نَفْسِي أَوْ تَدِي
 (تدفع الدية)

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فِي إِبَانِهَا وَلَيْسَ رَاعِي الْحَيِّ إِنْ لَمْ أَشْهَدْ
 شهدت الحرب في إبانها (في عزِّ انتهابها)، وَسَاكُونُ بَشَرِ رَاعِي الْحَيِّ (حامي القوم) لَوْ لَمْ أَشْهَدْهَا

بِمُضْمَرٍ أَرِنِ كَأَنَّ سَرَاتَهُ بَعْدَ الْحَمِيمِ سَبِيكَةً مِنْ عَسْجِدٍ
 شهدت الحرب بمهر مضمر (مدربٌ نحيل اكتملت عضلاته بالجري) أَرِنِ (ممرح) كَأَنَّ سَرَاتَهُ
 (ظهره) بَعْدَ الْحَمِيمِ (العرق) سَبِيكَةً عَسْجِدٍ (ذهب)، فَجَسَمَهُ يَلْمَعُ مَعَ الْعَرَقِ

خَلَصَتْ لَهُ الْيُمْنَى وَعَمَّ ثَلَاثَةٌ مِنْهُ الْبَيَاضُ إِلَى وَظِيفٍ أَجْرَدٍ
 قائمته اليمنى خلصت من البياض، فَلَوْنُهَا كَلَوْنُ سَائِرِ جَسَمِهِ، وَالْقَوَائِمُ الثَّلَاثُ الْآخَرَى فِيهَا بَيَاضٌ
 مِنْ الْحَافِرِ حَتَّى الْوُظِيفِ (الساق تحت الركبة) الْأَجْرَدِ (ذِي الشَّعْرِ الْقَصِيرِ)

فَكَأَنَّمَا انْتَزَعَ الْأَصِيلَ رِدَاءَهُ سَلْبًا، وَخَاضَ مِنَ الضُّحَى فِي مَوْرِدٍ
 كأنه بلونه المحمر قد انتزع من الأصيل (وقت الغروب) رداءه سلباً (أي غنيمَةً)، وَكَأَنَّهُ خَاضَ
 شَمْسَ الضُّحَى بِدَلِّ أَنْ يَخُوضَ مَوْرِدَ الْمَاءِ، فَلَوْنُهُ مَحْمَرٌ عَلَى أَصْفَرٍ

مُتَلَفِّتًا عَنْ جَانِبَيْهِ، يَهْرُهُ مَرَحُ الصَّبَا كَالشَّارِبِ الْمُتَعَرِّدِ
 يتلفت بمرح كأنه شارب خمرة يترنم

فَإِذَا ثَنَيْتَ لَهُ الْعِنَانَ وَجَدْتَهُ يَمْطُو كَسِيدِ الرِّدْهَةِ الْمُتَوَرِّدِ
 إِنْ ثَنَيْتَ عَنَانَهُ (مقوده) وَشَدَّدْتَهُ فَهُوَ يَمْطُو (يسير حثيثاً) كَسِيدِ الرِّدْهَةِ (كثبِ الرابية) الْمُتَوَرِّدِ (الوردي
 اللون)

وَإِذَا أَطْلَتَ لَهُ الْعِنَانَ زَايَتَهُ يَطْوِي الْمَهَامَةَ فَذَفْدًا فِي فَذْدَفٍ
 وَإِذَا أَرَخِيتَ مَقُودَهُ أَسْرَعَ وَصَارَ يَطْوِي الْمَهَامَةَ (الصَّحَارَى) فَذَفْدًا بَعْدَ فَذْدَفٍ (فَلَاةٌ بَعْدَ فَلَاةٍ)

نِعَمَ الْعَتَادُ إِذَا الشَّفَاءُ تَقَلَّصَتْ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْعَجَاجِ الْأَرْبَدِ
المهر خير عتاد (عدة الحرب) إذا اشتد القتال وتقلصت شفاء المحاربين لشدة التوتر في يوم
الكرهية (الحرب) وسط العجاج (الغبار) الأربد (القاتم)

بَلْ رُبَّ غَانِيَةٍ طَرَفَتْ خِبَاءَهَا وَالنَّجْمُ يَظْهَرُ عَنْ لَوَاحِظٍ أَرْمَدِ
رب غانية طرقت خبائها (أتيت خيمتها ليلاً) بينما النجم يظهر كأنه لواحظ (عيون) شخص
مصاب بالرمد تطرف

قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيَّ: فَضَحَّتَنِي فَارْجِعْ لِشَانِكَ فَالرَّجَالُ بِمَرْصَدِ
فَمَسَحَتْهَا حَتَّى اطْمَأَنَّ فَوَادُهَا وَنَفَيْتُ رَوْعَتَهَا بِرَأْيِ مُحْصَدِ
مسحتها مثلما يسمح الحالب ضرع البقرة لتهديتها عند الحلب، ونفيت روعتها (خوفها) برأي محصد
(سديد). تعليق عمران القفيني: هل أنت متأكد أن البارودي كان يفعل هذا؟ الجواب: لعله!

وَحَلَبْتُهَا بِالْقَوْلِ حَتَّى رُضَّتْهَا وَطَوَيْتُهَا طَيِّ الْحَبِيرَةِ بِالْيَدِ
وحلبتها (فتتها) بالكلام حتى روضتها، ثم ضممتها كما يضم المرء الحبيرة (الثوب) بيدي. البيت
أسقطه البارودي عندما جمع ديوانه، لكنه موجود في كتاب الوسيلة الأدبية للمرصفي

وَوَجَّهْتُ أَخْتَرِقُ الصُّفُوفِ مِنَ الْعِدَا مَتَلَثِّمًا وَالسَيْفُ يَلْمَعُ فِي يَدِي

٢٣ سرى البرق

وقال وهو بأقريطش (جزيرة كريت) أيام الحرب يتشوق إلى مصر (١٨٦٥ م):
سرى البرق مصرياً، فأرَّقَنِي وَحْدِي وَأَذْكَرَنِي مَا لَسْتُ أَنْسَاءُ مِنْ عَهْدِ
سرى البرق (سار ليلاً) أتياً من مصر فسهرت له وحدي، وذكرني بعهود لن أنساها
فيا برقُ حدِّثني، وأنت مُصَدِّقُ، عن الآلِ والأَصْحَابِ: ما فعلوا بَعْدِي

٢٤ صؤول ضروب

وقال وهو في حرب الروس مع الدولة العثمانية ١٨٧٧م، وأرسل بها إلى الشيخ حسين
المرصفي:

وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِي تَصَدَّعَتْ لِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا، وَذَلَّلَتْ لَهُ الْأَسْدُ
يقول إن نفسه كبيرة شديدة عزيزة تتصدع (تشقق وتتكسر) لها الدنيا وتذل الأسود
وَمِنْ شِيَمِي حُبُّ الْوَفَاءِ سَجِيَّةٌ وَمَا خَيْرُ قَلْبٍ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ
سجيتي وشيمتي (خُلقي وطبعي) الوفاء، وما خير (لا خير في) قلب لا يدوم له عهد

ولكنَّ إخواناً بمصرَ ورُقَّةَ نَسُونَا، فَلَا عَهْدَ لَدَيْهِمْ وَلَا وَغْدَ
فِيَا سَاكِنِي الْفُسْطَاطِ مَا بَالُ كُتُبِنَا ثَوَتْ عِنْدَكُمْ شَهْرًا وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ؟
الفسطاط: القاهرة القديمة، ثوت: قعدت

نَأَتْ بِي عَنْكُمْ غُرْبَةً، وَتَجَهَّهَتْ بِوَجْهِي أَيَّامَ خَلَائِفُهَا نُكْدُ
أبعدتني عنكم غربة، وكشرت بوجهي أيام خلافتها (طباعها) نُكْد (مشاكاة)
أَدُورُ بِعَيْنِي لَا أَرَى غَيْرَ أُمَّةٍ مِنَ الرُّوسِ بِالْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعَدُوُّ
الروس: يعني السلافيين بشكل عام

جَوَاثٍ عَلَى هَامِ الْجِبَالِ لِغَارَةٍ يَطِيرُ بِهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا يَبْدُو
هؤلاء القوم جواث (جاثون رابضون) على رؤوس الجبال مستعدون لغارة، يطرون فيها من جبالهم
مع بزوغ شمس الصباح

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَخَ الشَّرُّ بِاسْمِهِ وَصَاحَ الْقَنَا بِالْمَوْتِ، وَاسْتَقْتَلَ الْجُنْدُ
إذا مشينا إلى أعدائنا غداً واضحاً أن شراً سيقع، واستدعى القنا (الرماح) الموت استدعاءً، ورمى
الجنود أنفسهم على الموت

إِذَا اشْتَبَكُوا، أَوْ رَاجَعُوا الرَّخْفَ، خَلَّتْهُمْ بُحُورًا تَوَالَى بَيْنَهَا الْجَزْرُ وَالْمَدُّ
ففي الاشتباك، وفي الكر والفر، تحسب جموع الجند مثل بحر يعتوره الجزر والمد

فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ، وَهَارِبٍ طَلِيحٍ، وَمَأْسُورٍ يُجَاذِبُهُ الْقَدُّ
الجنود موزعون بين مقتول مطروح أرضاً وبين فار طليح (مرهق) ومأسور يجاذب القد (القيد
المصنوع من سير جلدي)

نَرُوحُ إِلَى الشُّورَى إِذَا أَقْبَلَ الدُّجَى وَنَغْدُو عَلَيْهِمْ بِالْمَنَايَا إِذَا نَغْدُو
في الليل نتشاور ونخطط، ونغدو (نتطلق صباحاً) ومعنا للأعداء المنايا (الموت)

وَنَقَعُ كُلِّجِ الْبَحْرِ خُضْتُ عِمَارَهُ وَلَا مَعْقِلٌ إِلَّا الْمَنَاصِلُ وَالْجُرْدُ
رب نقع (غبار) كلج البحر (مائه) خضت في غماره (مياهه العميقة)، وليس من معقل (حصن
يحميني) إلا المناصل (السيوف) والجرد (الخيول)

صَبِرْتُ لَهُ وَالْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً وَيَنْغَلُ طَوْرًا فِي الْعَجَاجِ فَيَسْوَدُ
صبرت وحولي الموت يحمر بدم القتلى تارة، وينغل (يتغلغل) طوراً وسط العجاج (الغبار) فيكون
موتاً أسود

فَمَا كُنْتُ إِلَّا اللَّيْثَ أَنْهَضَهُ الطَّوْىِ وَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ فَارَقَهُ الْغَمْدُ
كنت كالليث نهض شرساً للصيد بفعل الطوى (الجوع)، وكالسيوف الذي فارق غمده (بيته)

صَوُولٌ وَلِلْأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْوَنَى ضَرُوبٌ وَقَلْبُ الْقِرْنِ فِي صَدْرِهِ يَعْدُو
صوُول (هاجِم) بينما الأبطال يهمسون من الونى (التعب)، وضارب بينما قلب القرن (الخصم)
يركض في صدره خوفاً

فَمَا مُهْجَةٌ إِلَّا وَرُمَحِي ضَمِيرُهَا وَلَا لَبَّةٌ إِلَّا وَسِيفِي لَهَا عِقْدُ
رمحي دخل في كل مهجة (قلب) فصار كأنه ضمير لها مختبئ فيها، ولا لبة (عق) إلا جعلت
سيفي لها مثل العقد

إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَمَا السِّيفُ إِلَّا آلَةٌ حَمَلُهَا إِدُ
إذا لم يكن قلبك قوياً فينصرك فلا نفع في السيف وحده، فهو فقط أداة حملها إد (يؤودك ويتعبك)

٢٥ الصبا في وادي الفناء

وقال يَرُوضُ الشعر:

تَوَلَّى الصَّبَا عَنِّي، فَكَيْفَ أُعِيدُهُ وَقَدْ سَارَ فِي وَادِي الْفَنَاءِ بَرِيدُهُ
البريد هو البغل، وكانت البغال تحمل الرسائل من بلد إلى بلد. المعنى: ذهب عهد الصبا ولا
عودة له، فقد سار عني إلى.. وادي الفناء..

أَحَاوَلُ مِنْهُ رَجْعَةً بَعْدَ مَا مَضَى، وَذَلِكَ رَأْيِي غَابَ عَنِّي سَدِيدُهُ
أحاول إرجاع الصبا وهذا ليس بالرأي السديد

وَفِي الْحَيِّ ظَبْيِي إِنْ تَرَنَّمْتُ بِاسْمِهِ تَنَمَّرَ وَاشِيَهُ وَهَاجَ حَسُودُهُ
في الحي (القوم) فتاة حسناء إن ترنمت باسمها في شعري تنمر الواشي (تحفز) واستنفر الحسود
تَهَيَّمُ بِهِ أَسْتَارُهُ وَخُدُورُهُ وَتَعَشَّقُهُ أَقْرَاطُهُ وَعُقُودُهُ
تهيم بالظبي أستاره وخدوره (تلفه وتحوطه) والخدر بيت داخل البيت، أو خيمة داخل الخيمة،
كانت المرأة تستتر بها عن الغرباء قديماً/واليوم لبست المرأة في بلادنا خيمتها)، وتعلق بالظبي
المحجوب. أقراطه (والقرط الحلق) وعقوده

تَأْتَقُ فِيهِ الْحُسْنُ فَامْتَدَّ فَرْعُهُ إِلَى قَدَمَيْهِ، وَاسْتَدَارَتْ نُهُودُهُ
الجمال تأتق في صوغ هذا الظبي فطال فرعه (شعره) ووصل إلى قدميه، واستدارت أُنْدَاوُهُ

فَلِلْمِسْكِ رَيَّاهُ، وَلِلْبَانِ قَدُّهُ وَلِلزُّورِدِ خَدَّاهُ، وَلِلظَّبِيِّ جِيدُهُ
رياه (رائحته) منسوبة للمسك، وقده منسوب لغصن البان، وخداه في حمرتها كالورد، وجيده
كجيد الظبي

أَضَاحِكَ وَجْهَ الْمَرءِ يَغْشَاهُ بِشْرُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَلْبَ تَغْلِي حُقُودُهُ

حكمة: أبادل المرء الضحك إذا كان يغشى (يغطي) وجهه البشر والانشراح، مع أنني أعلم أن الحقوق (الأحقاد) تغلي في قلبه. التسويد لعمران القفنيي.. وأنبني لأنني لم أكن سودته، في المسودة، فهي قد سودناه يا سيدي

وَمَنْ لَمْ يُدَارِ النَّاسَ عَادَاهُ صَحْبُهُ وَأَنْكَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ يَسُودُهُ

لكن من لا يداري الناس يعاديه مصاحبه، ويستكر أفعاله من قومه من هو سيد لهم، والسيد يجب أن يكون بشوشاً، حليماً لا يعادي الناس بسهولة

٢٦ رجال السياسة

وقال يذم رجال الحكومة الاستبدادية في عهد إسماعيل خديوي مصر:

لَنْ يَسُودَ الْفَتَى وَلَوْ مَلَكَ الْحِكْمَ سَمَةٌ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَجْوَادِ

السيادة ليست بامتلاك الحكمة فقط، بل لا بد من أن يكون المرء أيضاً من الأجواد (الأسخياء)

رُبَّ خِلٍّ تَرَاهُ طَلَّقَ الْمُحْيَا وَهُوَ جَهْمُ الضَّمِيرِ بِالْأَحْقَادِ

رب خل (صديق) تراه طلق المحيا (بشوشاً) وضميره جهم (مسود) بالأحقاد

فَتَأْمَلُ مَوَاقِعَ اللَّحْظِ تَعْلَمُ مَا طَوْنُهُ صَحَائِفُ الْأَكْبَادِ

فأمعن النظر في مواقع اللحظ (النظرات) فالعيون تفصح ما طوته صحائف الأكباد من حقد ونية غدر (شبه الكبد بكتاب له صحائف مكتوبة فيها أشياء)

إِنَّ فِي الْعَيْنِ وَهْيَ عُضْوٍ صَغِيرٍ لَدَلِيلًا عَلَى خَبَايَا الْفَوَادِ

أَنَا مَا بَيْنَ نِعْمَةٍ وَحَسُودٍ وَالْمَعَالِي كَثِيرَةُ الْحُسَادِ

فَلْيَمُوتُوا بِغَيْظِهِمْ، فَاحْتِمَالُ الْغَيْظِ مَوْتُ لَهُمْ بِلا مِيعَادِ

الغيط للحاسدين عقاب، فهو كالموت جاءهم قبل مواعده

كَيْفَ تَبْيَضُّ مِنْ أَنْاسٍ وَجُودِ صَبَغَ اللَّوْمِ عَرَضُهُمْ بِسَوَادِ؟

فَتَرَى الْمَرءَ مِنْهُمْ ضَاحِكُ السِّنِّ - وَفِي ثَوْبِهِ دِمَاءُ الْعِبَادِ

مَعَشَرَ لَا وَلِيْدُهُمْ طَاهِرُ الْمَهِّ - وَلَا كَهْلُهُمْ عَفِيفُ الْوَسَادِ

حَكَمُوا مِصْرَ وَهِيَ حَاضِرَةُ الدُّنَى - يَا، فَأَمَسَتْ وَقَدْ خَلَّتْ فِي الْبَوَادِي

أَضْبَحَتْ مَنْزِلَ الشَّقَاءِ، وَكَانَتْ جَنَّةً لَيْسَ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ

وَقَلِيلًا مَا يَصْلُحُ الْمَرءُ لِلْجِدِّ - إِذَا كَانَ سَاقِطَ الْأَجْسَادِ

٢٧ رثاء الزوجة

وقالي يرثي زوجته وقد ورد إليه نعيها وهو بسرنديب، وتوفيت سنة ١٨٨٣ بالقاهرة:

أَيْدَ الْمَنُونِ! قَدَحَتْ أَيْ زِنَادٍ وَأَطْرَتْ أَيْةَ شُعْلَةٍ بِفُؤَادِي
يا يد الموت، قدحت أي زناد (حجر النار)! فأوقعت الحريق بقلبي

أَسْتَنْجِدُ الزَّفَرَاتِ وَهِيَ لَوَافِحُ وَأُسْفُهُ الْعَبَرَاتِ وَهِيَ بَوَادٍ
أطلب النجدة من زفاتي اللوافح (الحارة)، وأسفهُ الدموع (لا أدرك وجودها) وهي ظاهرة

لَا لَوْعَتِي تَدْعُ الْفُؤَادَ، وَلَا يَدٌ تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْعَادِي
لا لوعتي ترك قلبي، ولا يدي تستطيع رد الحبيب الغادي (المفارق)

يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ كَانَتْ خُلَاصَةً عُذَّتَنِي وَعَنَادِي
فيم (لماذا) فجعتني يا دهر بحليلة (زوجة) كانت خلاصة عدتي في هذه الحياة. تعليق عمران
الفقيني: (رغم أنه استخدم «حليلة» بدل «حبيبة»، إلا أن البيت يبقى تحفة.. انظر إليه تراه يقطر
نفجاً)

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَائِي لِبُعْدِهَا أَفْلا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي
أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنْمُنْ تَوَجُّعاً قَرَحَى الْعَيُونَ، رَوَّاجِفَ الْأَكْبَادِ
بناتي أصبحن في وحدة، وعيونهن قرحى من البكاء (مجرحة)، وأكبادهن راجفة

أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ، وَصِغْنَ مِنْ دُرِّ الدَّمُوعِ قَلَائِدَ الْأَجْيَادِ
رمين لآلى العقود واستبدلن بها لآلى هي الدموع في الأجياد (الأعناق)

وَلَهِيَ عَلَيْكَ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي وَالدَّمْعُ فِيكَ مُلَازِمٌ لِيُوسَادِي
ولهي عليك (حزني) بصاحبي في مسيرة النهار، ودمني فيك يلازم وسادتي ليلاً

فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِي وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي
التسويد لعمران الفقيني. وعبارته: أدرك هذا البيت بالتسويد

فَلَيْتُنَّ «لَبِيدُ» قَضَى بِحَوْلٍ كَامِلٍ فِي الْحَزَنِ فَهَوَ قَضَاءُ غَيْرِ جَوَادٍ
ليبد الشاعر، الذي يقول إن الذي يبكي حولاً (سنة) قد بلغ المدى واكتفى، لم يكن جواداً
(سخياً).. فالسنة لا تكفي

كُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا مُلَاقٍ رَبِّهِ وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مِيعَادٍ
الناس في دنياهم ماكنون على ميعاد يكون في الآخرة حين يلاقون ربهم

فاسْتَهْدِ «يا محمودُ» رَبِّكَ، والتمسْ منه المَعُونَةَ فَهُوَ نِعْمَ الْهَادِي
يا محمود سامي البارودي اطلب الهداية من ربك واستعن به

٢٨ واكبيدي يا علي بعدك

وقال يرثي ولده علياً من زوجته الثانية التي تزوجها وهو في المنفى أواخر سنة
(١٨٨٥):

كَيْفَ طَوَّنْتَ الْمَنُونُ يا ولدي؟ وكيف أودَعْتُكَ الثَّرَى بِيَدِي؟
واكِبِدِي يا «عليُّ» بَعْدَكَ! لو كانت تَبْلُ الغَلِيلَ «واكِبِدِي»
فَقَدْكَ سَلَّ العِظَامَ مِنِّي وردَّ الصَّبْرَ عَنِّي، وَفَتْ في عَضْدِي
فت في عضدي: أنهكني

كم لَيْلَةٍ فيكَ لا صَبَاحَ لها سَهَرْتُها باكيّاً بلا مَدَدٍ

٢٩ رثاء الوالد

وقال في صباه يرثي والده:

أَبِي، وَمَنْ كَأَبِي في الْحَيِّ نَعْلَمُهُ أَوْفَى وَأَكْرَمُ في وَعْدٍ وإِعَادِ
والدي ليس في الحي (القوم) مثله، وهو وفِّيَّ عندما يعد وعندما يوعد (يهدد)

لا يَسْتَبْدُ بِرَأْيٍ قَبْلَ تَبْصِرَةٍ ولا يَهْمُ بِأَمْرٍ قَبْلَ إِعْدَادِ
كان حصيماً لا يستبد برأيه إلا بعد التبصرة (إدامة النظر)، ولا يهم بتنفيذ أمر إلا وقد أعد له عدته
تَراه ذا أَهْبَةٍ في كُلِّ نائِبَةٍ كاللَيْثِ مَرْتَقِباً صَيْداً بِمِرْصَادِ

٣٠ حوار العاشق مع سيفه

وقال وهو بسرنديب يتشوق إلى مصر:

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنِّي مُولَعٌ بِمَنْ لَيْسَ يَعْنيهِ بُكَائِي ولا سُهْدِي
أَبَيْتُ عَلِيلاً في «سَرَنْدِيب» سَاهِراً أَعَالِجُ ما أَلْقَاهُ مِنْ لَوْعَتِي وَخُدِي
ولا صَاحِبٌ غَيْرُ الحُسَامِ مَنُوطَةٌ حَمَائِلُهُ مِنِّي على عَاتِقِي صَلْدِ
صاحبي الوحيد السيف المنوطة حمائله (المعلقة سيوره) على عاتقي (كفني) الصلد (الشديد)
لقد كُنْتُ لي عَوْناً على الدهرِ مَرَّةً فما لي أَرَاكَ اليومَ مُنْثَلِمَ الحَدِّ

فَقَالَ: إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعَ سَوْرَةَ الْهَوَى وَأَنْتَ جَلِيدُ الْقَوْمِ، مَا أَنَا بِالْجَلِيدِ
قال السيف: إِذَا لَمْ تَقْرَ عَلَى سُورَةِ (هَجْمَةِ) الْهَوَى، وَأَنْتَ الْجَلِيدُ (الصَّبُور) فَأَنَا لَنْ أَكُونَ أَصْبَرَ
منك

وَهَلْ أَنَا إِلَّا شِقَّةٌ مِنْ حَدِيدَةٍ أَلَحَّ عَلَيْهَا الْقَيْنُ بِالطَّرْقِ وَالْحَدِّ؟
ما أنا - يقول السيف - سوى قطعة حديد بالغ القين (الحداد) في طرقها وتمضية شفرتها
فَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنَّنِي وَاهِنُ الْقَوَى أَعْلَقْتُ فِي خَبِطٍ وَأُخْبَسْتُ فِي جِلْدٍ
وَأَنَا جَمَادٍ - يقول السيف - وَلَوْلَا أَنَّنِي ضَعِيفُ الْقَوَى لَمَا عَلَّقْتُ بِخَبِطٍ، وَلَمَا حَبَسْتُ فِي قِرَابٍ مِنْ
جلد

فَدُونُكَ غَيْرِي، فَاسْتَعْنُهُ عَلَى الْجَوَى وَدَعْنِي مِنَ الشَّكْوَى فَدَاءُ الْهَوَى يُعْدِي
دونك (التمس) غيري ليعينك على الجوى (حزن العاشق)، واطركني بحالي فداء الهوى يعدي

٣١ ما لي وللناس

لَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا أَضْمَرَتْ أَحْبَابُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الْعِدَا
لو علم الإنسان ما تضرع له الأحباب من غدر لهان عليه الأعداء

مَا لِي وَلِلنَّاسِ وَأَعْمَالِهِمْ؟ كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ حِسَابٍ عَدَا
نصبنا رهن على الظرفية، ولك أن تنصّبها على أنها مفعول مطلق، ولك الرفع على الإخبار فعل
شارحي الديوان

هَلْ هِيَ إِلَّا مَدَّةٌ نَنْقُضِي؟ وَكُلُّ نَفْسٍ خُلِقَتْ لِلرَّدَى

٣٢ طلب اللّهُ

هَلْ فِي التَّصَابِي عَلَى امْرِئٍ فَنَدٌ؟ أَمْ هَلْ يَعْيبُ الْكَرِيمَ دَدٌ؟
هل في التصابي (لهو الكهل) فند (خطأ) أم هل يعيب الفتى الكريم دد (لعب)؟

وَأَيُّ لَوْمٍ عَلَى امْرِئٍ طَلَبَ اللَّبَّ هُوَ وَأَنْوَابُ عَمْرِهِ جُدُدٌ؟
وهل ثمة لوم على من التمس اللّهُ وأنوَابُ عمره جديدة (وهو شاب)؟

فَاصْغَعْ لِمَا شِئْتَ غَيْرَ مُتَّبِدٍ فَلَنْ يَحُوزَ الْكِمَالَ مُتَّبِدٌ
اصنع ما شئت غير متبد (بلا إبطاء)، فالمتردد لا يصل إلى الكمال

٣٣ اللوم في الحب من الحسد

دَعْنِي مِنَ اللُّومِ إِنْ كُنْتُ أَمْرًا قَطِنًا فاللومُ في الحبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْحَسَدِ
لو كان للمرء عقلٌ يَسْتَدِلُّ به على الحقيقة لم يَعْتَبْ على أَحَدٍ

التسويد لعمران القفيني

إِنْ كُنْتُ ذَا إِمْرَةٍ فَإِنَّهُ الصَّبَابَةُ عَنْ قلبي لَتَغْنَمَ سُكْرِي آخَرَ الْأَبَدِ
إِنْ كُنْتُ ذَا إِمْرَةٍ (قدرة) فاجعل الصبابة (الغرام) تنتهي عن الحلول بقلبي، وأنا لك شاكر

أَوْ لَا، فَدَعْنِي وَلَا تَغْنُفْ عَلَيَّ فَمَا أَمْرِي إِلَيَّ، وَلَا حَكْمُ الْهَوَى بِيَدِي
وإلا فاتركني، فليس أمر الهوى طوع يدي

٣٤ عنصراً الدنيا

وما الدنيا سوى عَجَزٍ وَحِرْصٍ هما أَصْلُ الْخَلِيقَةِ فِي الْعِبَادِ
فلولا العجزُ ما كان التَّصَافِي ولولا الحرصُ ما كان التَّعَادِي
عجز المرء عن مقارعة عدوه يلجئه إلى التصافي (المصالحة)، وحرص المرء على جرّ النفع إلى نفسه يوقعه في معاداة الآخرين. وكل شيء سوى هذين تفاصيل، الحياة صراع

٣٥ واحدة بواحدة

قال يصف أيام الربيع ويذكر مواسم اللهو في عصر الشباب:

وقد شاقني، والصُّبْحُ فِي خِذْرِ أُمِّهِ، حَنِينُ حَمَامَاتٍ تَجَاوِزُنَّ فِي وَكْرِ
شاقني (أهاج شوقي) والصبح لم يطلع بعد صوت حمامات يتردد في عشن

هَتَفْنَ فَأَطْرَبْنَ الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا تَعْلَمُنَ الْحَانَ الصَّبَابَةَ مِنْ شِعْرِي
فَبَادِرُ لِمِيقَاتِ الصَّلَاةِ، وَمِلُّ بِنَا إِلَى الْقَصْفِ مَا بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالنَّهْرِ
لنصل أولاً، ثم لنذهب للقصف (اللهو) في ذلك المكان على النيل

إِذَا مَا قَضَيْنَا وَاجِبَ الدِّينِ حَقَّهُ فليس علينا في الخلاعة مِنْ وَزْرِ
لا إثم علينا في الخلاعة بعد أن أدينا واجب الدين

لدى روضة رَيَّا الغصونِ تَرَنَّنَتْ مَعَاظِفُهَا رَقْصًا عَلَى نَعْمَةِ الْقُمْرِي
نلهو في روضة ريا (طرية) الغصون، تترنح جنباتها على نعمة القمري (الحمام)

تدور علينا بالمُدَامَةِ بَيْنَهَا تَمَائِلُ إِلَّا أَنَّهَا بَيْنَنَا تَجْرِي

تدور الفتيات الشبهات بالتمايل لحسنهن علينا بكؤوس الشراب

لَوَى قَدْهَا سُكْرُ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا فَمَالَتْ بِشَطْرِ، وَاسْتَقَامَتْ عَلَى شَطْرِ
تلوي قدود الفتيات نشوة اللهو والشباب، فنصف الجسم الأسفل معتدل والنصف الأعلى يتمايل.
أو العكس. للرجل الذي لم يفهم معنى البيت نقول: استعمل عينك

وَعَلَّمَهَا وَخِي الدَّلَالِ كَهَانَةً فَإِنْ نَطَقَتْ جَاءَتْ بِشِيءٍ مِنَ السُّحْرِ
الدلال أوحى للفتيات بكهانة (سحر) فينطقن بكلام يذيب قلوبنا

٣٦ قلبي ولساني: سراج وسيف

وَلَا تَحَسَبَنَّ الْجِلْمَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَقُوعَ الْأَذَى، فَالْمَاءُ وَالنَّارُ مِنْ صَخْرٍ
لا تظنن أن الشخص الحليم السمع يتمتع من إيقاع الأذى بالآخرين، ففي الإنسان كل المتناقضات
فهو مثل الصخر الذي ينبجس منه الماء، لكنه أيضاً يُخرج الشر عندما يُقدح

بَلَعْتُ مَدَى خَمْسِينَ وَازْدَدْتُ سَبْعَةً جَعَلْتُ بِهَا أَمْسِي عَلَى قَدَمِ الْخَضِرِ
عمري سبع وخمسون سنة، وطفلت بلاداً كثيرة كأنني أرافق النبي «الخضر»، النبي الرحالة

فَكَيْفَ تَرَانِي الْيَوْمَ أَخْشَى ضَلَالَةً وَشَيْبِي مَصْبَاحٌ عَلَى نُورِهِ أُسْرِي؟
لا أخشى أن أضل عن الطريق السوي فشيبى مصباح أسري (أسير ليلاً) على نوره. يعني أنه أصبح
رزيناً وتقياً يمنعه الشيب من العبث

أَقُولُ بِطَبْعٍ لَسْتُ أَحْتَاجُ بَعْدَهُ إِلَى الْمَنْهَلِ الْمَطْرُوقِ، وَالْمَنْهَجِ الْوَعْرِ
أقول الشعر عن طبع، فلا أضطر إلى المنهل المطروق (الحوض الذي يرده الناس) ولا إلى المنهج
الوعر (الطريق الوعر)، أي أنه لا يأتي بالمعاني المعروفة المطروقة ولا بالمعاني الملتوية

وَلِي مِنْ جَنَانِي، إِنْ عَزَمْتُ، وَمَقُولِي سَرَاجٌ وَعَضْبٌ: ذَا يُضِيءُ وَذَا يُفْرِي
جناني (قلبي) ومقولي (لساني) هما لي كالسراج والسيف: قلبي يضيء لي الطريق، ولساني يفري (يقطع)

إِذَا جَاشَ طَبْعِي فَاضَ بِالْدَّرِّ مَنْطِقِي وَلَا عَجَبٌ فَالدَّرُّ يَنْشَأُ فِي الْبَحْرِ
إذا جاش طبعي (زخر وماج) فاض من كلامي الدر (اللؤلؤ)، أليس اللؤلؤ يتكون في البحر؟

سَيَذْكُرْنِي بِالشَّعْرِ مَنْ لَمْ يُلَاقِنِي وَذَكَرُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنَ الْعُمَرِ

من لم يلتق بي في الحياة سيذكرني من شعري، وذكر المرء (شهرة الحسنه) امتداد
لعمره بعد إذ يموت. تعليق عمران القفيني: (قال المتنبي: ذكر الفتى عمره الثاني
وحاجته/ ما قاته وفضول العيش أشغال، وسيأتي أحمد شوقي ويقول: فاحفظ لنفسك
بعد موتك ذكرها/ فالذكر للإنسان عمر ثان، ولا نعلم من سيمضغ هذا المعنى لاحقاً)

٣٧ دوران الكرة الأرضية

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدْرِهَا، فَإِنَّمَا بقاء الفتى بعد الشبابِ يَسِيرُ
أدز كؤوس الشراب فالحياة قصيرة

إذا ما شربناها أَقَمْنَا مَكَانَنَا وظَلَّتْ بنا الأرضُ الفضاءُ تَدُورُ
نشرب الخمر، ونمكث في مجلسنا قاعدين، ولكننا نشعر أن الأرض تدور بنا

٣٨ عندي أمل

وقال بعد وصوله إلى جزيرة سَرَندِيب، وقد رأى ابته الوسطى في المنام:
صَبْرْتُ عَلَى كُرِّهِ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَدْوَحَةً فَهُوَ صَابِرٌ
من لم يجد مندوحة (بديلاً) فلا بد له من الصبر

وَمَا الْجَلْمُ عِنْدَ الْخَطْبِ، وَالْمَرْءُ عَاجِزٌ، بِمَسْتَحْسِنٍ كَالْجَلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ
الحلم والتسامح عند وقوع الخطب (المصيبة) ليس مصدر فخر عندما يكون الإنسان عاجزاً، فهو إذ
ذاك مضطر للحلم، ولا كذلك الحلم عندما يكون المرء مقتدرًا

وَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ اغْوِجَاجِهِ وَتَنْهَضُ بِالْمَرْءِ الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
قد تنصلح الأحوال، وقد تنهض بالمرء الجدود العوائر (الحظوظ المتعثرة)

وَلِيَّ أَمَلٌ فِي اللَّهِ تَحِيًّا بِهِ الْمُنَى وَيُشْرِقُ وَجْهُ الظَّنِّ، وَالْخَطْبُ كَاشِرٌ
أملِي في الله يحيي في قلبي الأمنيات ويجعل وجه الظن (الفكر) يشرق بينما الخطب كاشر (المصيبة
صعبة مكشرة)

وَلَوْ لَا تَكَالِيفُ السِّيَادَةِ لَمْ يَخْبُ جَبَانٌ، وَلَمْ يَخْوِ الْفَضِيلَةُ نَائِرُ
لولا تكاليف السيادة (مطلباتها) لكان كل الناس سادة، وكان الجبان لا ييؤ بالخيبة، ولما كان
الناثر على الظلم يعد ذا فضل. المعنى: صعوبة الوصول إلى السيادة تكشف معدن الإنسان،
وتجعل الجبان يقصر عنها، والناثر على الظلم ينالها

وَلَوْ رُمْتُ مَا رَامَ امْرُؤٌ بِخِيَانَةٍ لَصَبَّحَنِي قِسْطٌ مِنَ الْمَالِ غَامِرٌ
لو طلبت ما يطلبه الإنسان عن طريق ارتكاب الخيانة لجهاني صباحاً المال الغامر الكثير

وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْغِنَى لَكَاتَرَ الْغَنَى رَبُّ الْفَضْلِ بِالْمَالِ تَاجِرٌ
ولو كانت السيادة بالغنى لكاتر (افتخر) التاجر الغني رب الفضل (صاحب الفضل)

٣٩ تاريخ اللهو

فَيَا لَهَا لَيْلَةً كَانَتْ بِرَوْنَقِهَا تَارِيخُ لَهْوٍ، لِمَا أَحْرَزْتُ مِنْ وَطَرٍ
حوت تلك الليلة برونقها (بهائها) كل عناصر اللهو فهي تاريخ اللهو كله، وقد نلت فيها وطري
(بغيتي)

لو كَانَ يَسْمَحُ لِي دَهْرِي بِعَوْدَتِهَا لَبِغْتُ فِيهَا لِذِيذِ النَّوْمِ بِالسَّهْرِ

٤٠ لا تكلني لمن يعذبني

وقال، ولعله قالها وقد لجأ إلى عزبه بعد إخفاق حركة عرابي:
صُبْحُ مَطِيرٌ، وَنَسْمَةٌ عَطِرَةٌ وَأَنْفُسٌ لِلصَّبُوحِ مُنْتَظِرَةٌ
الصباح: شرب الخمر عند الصباح

فَيَا ابْنَ وُدِّي هَلُمَّ نَفْتِسِمْ اللَّهَ وَ، فَنَفْسِي إِلَى الصَّبَا حَسِرَةٌ
يا صديقي تعال للهو فنفسى تتحسر على انقضاء الشباب

وَحَلَلْنَا مِنْ سِيَاسَةٍ دَرَجَتْ بَيْنَ أَنْاسٍ قُلُوبُهُمْ وَغَرَةٌ
وغرة: حاكمة

يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ عَلَى خَطَرٍ فَيُبْسِ عُقْبَى السِّيَاسَةِ الْخَطِرَةَ
السياسة يحيط بحياتهم الخطر، وبس عقبي السياسة (نتيجتها)

مَا لِي وَلِلنَّاسِ، لَا لَدَيَّ لَهُمْ حَقٌّ يُؤَدِّي، وَلَا عَلَيَّ تَرَةٌ
ليس للناس عندي حقوق، ولا ترات (ثارات)

يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الْكِرَامَةِ مَا يَسُرُّ نَفْسِي، فَإِنَّهَا وَجِرَةٌ
وجرة: خائفة

وَلَا تَكِلْنِي لِمَنْ يُعَذِّبُنِي فَإِنَّ نَفْسِي إِلَيْكَ مُفْتَقِرَةٌ

٤١ كرم العنصر

صَبَرْتُ عَلَى رَيْبِ هَذَا الزَّمَانِ وَلَوْلَا الْمَعَاذِرُ لَمْ أَضِيرِ
المعاذر: السعي لتجنب اللوم

فَلَا تَحْسَبْنِي جَهْلْتُ الصَّوَابَ وَلَكِنْ، هَمَمْتُ فَلَمْ أَقْدِرِ

وَكُنَّا جَمِيعاً، فَلَمَّا وَقَعْتُ صَبَرْتُ وَغَادَرَنِي مَعْشَرِي

كنا معاً فلما وقعت في المشكلة صبرت وغادرني صحابي

وَلَوْ أَنَّنِي رُمْتُ إِعْنَاتَهُمْ لَقُلْتُ مَقَالَةً مُسْتَبْصِرٍ

لو قصدت إعناتهم (إرهاقهم) لقلت قول مستبصر يعرف حقيقة تخاذلهم

وَلَكِنَّنِي حِينَ جَدَّ الْخِصَامُ رَجَعْتُ إِلَى كَرَمِ الْعُنْصُرِ

لكنني حين اشتد الخصام رجعت إلى طيب أصلي فلم أقل شيئاً

٤٢ معاكسة في «شبرة»

سَمُرَاءُ تَهْفُو بِقَدِّ كَالرَّمَحِ لِيناً وَسُمْرَةً

تتحرك بقد مثل الرمح في لينه ولونه الأسمر

مَرَّتْ عَلَيَّ تَهَادَى مِثْلَ الْمَهَاةِ بِشُبْرَةٍ

مرت تهادى كالمهاة (البقرة الوحشية) في حي شبرا بالقاهرة

فَقُلْتُ يَا نَوْرَ عَيْنِي! مَا لِي عَلَى الصَّبْرِ قُدْرَةٌ

فَنَقَّبْتُ وَجَنَّتِيهَا يَدُ الْحَيَاءِ بِحُمْرَةٍ

يد الحياء وضعت نقاباً من الحمرة على خديها. أي أنها احمر وجهها خجلاً

٤٣ أعطيه فرصة بعد فرصة

أَصَافِي خَلِيلِي مَا صَفَا لِي، فَإِنْ جَفَا عَتَبْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ جَافٍ وَلَا وَغَرٍ

أصافي خليلي (أعامل صاحبي بصفاء نية) ما دام لي مصافياً، فإن جفا وابتعد عتبت عليه بلا جفاء وبلا خشونة

فَإِنْ عَادَ لِي بِالْوُدِّ عُذْتُ، وَإِنْ أَبَى صَبَرْتُ لِأَرْعَى ذِمَّةَ الْوُدِّ بِالصَّبْرِ

فإن عاد إلى الود عدت، وإن رفض صبرت احتراماً لذمة الود (لعهد المودة السابق)

فَإِنْ زَادَنِي هَجْراً ضَرَبْتُ عَلَى اسْمِهِ، وَأَمْسَكْتُ عَنْ سُخْطِي عَلَيْهِ وَعَنْ شُكْرِي

فإن زاد في الهجر ضربت على اسمه (محوت اسمه)، ولم أكن لا ساخطاً ولا شاكراً

وَمَا تِلْكَ مِنِّي نَبْوَةٌ، غَيْرَ أَنَّنِي أَنْزَعُ نَفْسِي عَنْ مُلَابَسَةِ الْعَدْرِ

وهذا اللين من جانبي ليس نبوة وليس انحرافاً في الخلق، ولا ضعفاً... بل إنني أترفع عن ملابسة (مخالطة) الغدر

٤٤ نعيش مرة واحدة

فَخُذْ فِي أَفَانَيْنِ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا وَدَعْنِي مِنْ زَيْدِ النُّحَاةِ وَمِنْ عَمْرٍو

مارس أفانين (صنوف) الخلاعة والصبا (العبث)، واترك هذا العلم العتيق

وَكَيْفَ يَعْيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ آمِنًا وَلِلْمَوْتِ فِينَا وَثْبَةٌ اللَّيْثِ وَالنَّمْرِ؟

على أن الإنسان لا يعيش آمناً وهو يرى الموت يختطف الناس، ويثب عليهم كأنه أسد أو نمر

٤٥ العصامي والعظامي

أَتَلَفْتُ دُنْيَاكَ الَّتِي أُوتَيْتَهَا وَلَسَوْفَ تَهْلِكُ حَسْرَةً فِي الْآخِرَةِ

أتلفت دنياك التي أعطيتها بما ارتكبت، وسوف تهلك حسرة (حزناً) في الآخرة

حَتَّامٌ تَفْخَرُ بِالْجُدُودِ، وَلَمْ تَنْلُ مَا أَحْرَزْتَ تِلْكَ الْجُدُودُ الْفَآخِرَةَ؟

إلى متى تظل تفتخر بجودك، وأنت لم تحرز ما أحرزته تلك الجودود؟

فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ فَعَالِكَ شَاهِدًا يُغْنِيكَ عَنْ ذِكْرِ الْعِظَامِ الْفَآخِرَةِ

ليكن شاهدك فعالك أنت، بحيث تستغني عن ذكر عظام أجداد الناحرة (المنخورة). انظروا من يقول هذا!

٤٦ سلطان الشعر

لِلشَّعْرِ فِي الدَّهْرِ حُكْمٌ لَا يُغَيِّرُهُ مَا بِالْحَوَادِثِ مِنْ نَقْضٍ وَتَغْيِيرٍ

الشعر يحكم على الحوادث حكماً يبقى على الدهر

لَوْلَا أَبُو الطَّيِّبِ الْمَأْثُورُ مَنْطِقُهُ مَا سَارَ فِي الدَّهْرِ يَوْمًا ذِكْرُ كَافُورٍ

لولا المتنبي ذو القول المأثور الخالد لما سار لكافور الإخشيدي ذكر ولما سمع به أحد

٤٧ صفة الحاكم

وَقَالَ فِي مَا يَجِبُ عَلَى الْحَاكِمِ:

إِذَا سُدَّتْ فِي مَعْشَرٍ فَاتَّبِعْ سَبِيلَ الرَّشَادِ وَكُنْ مُخْلِصًا

إن كنت سيداً لقوم فكن رشيداً مخلصاً

وَوَالِ الْكَرِيمَ، وَدَارِ السَّفِيَةَ وَصِلْ مَنْ أَطَاعَ، وَخُذْ مَنْ عَصَى

حالف الكريم الأصل، ودار السفية مداراة، وصل (كافئ) المطيع وخذ (عاقب) العاصي

وَنَقَّبَ لِتَعْلَمَ غَيْبَ الْأُمُورِ فَإِنَّ مِنَ الْحَزْمِ أَنْ تَفْحَصَا

تعقب الأمور لتعرف الخفايا

وَلَا تُبْقِيَنَّ عَلَى فَاجِرٍ فَإِنَّ اللَّئَامَ عَبِيدُ الْعَصَا

لا تبقي (لا تترك بدون عقوبة) الفاجر الذي لا يبالي بأي أخلاق، فاللائام لا يرتدون إلا بالعقوبة

وإِنْ خَفِيَ الْحَقُّ فَاصْبِرْ لَهُ وَبَادِرْ إِلَيْهِ إِذَا حَضَرَ حَضَا

اصبر حتى تتبين وجه الحق، فإذا حضر حضر (ظهر) فأسرع إليه

٤٨ سطور على وجه الماء

قال يَرُوضُ القول:

وَمَرْبَعٌ، لِنَسِيمِ الْفَجْرِ هَيْئَةً فِيهِ، وَلِلطَّيْرِ لَفْطٌ أَرْجَائِهِ لَفْطٌ

رب مربع (مكان معشوب) لنسيم الفجر فيه هيئة (غمغمة، همس) وللطيور لفظ (كلام غير مفهوم)

كَأَنَّمَا الْقَطَرُ دُرٌّ فِي جَوَائِبِهِ بِكَادٍ مِنْ صَدَفِ الْأَزْهَارِ يُلْتَقِطُ

كأن حبات المطر في أنحائه لآئي، نلتقطها من أوراق الأزهار الشبيهة بالأصداف

وَلِلنَّسِيمِ خِلَالَ النَّبْتِ غُلْغُلَةٌ كَمَا تَغْلُغَلُ وَسَطَ اللَّمَّةِ الْمُشْطُ

ويتغلغل النسيم خلال النبات كما يتغلغل المشط في اللمة (الشعر)

وَالرِّيحُ تَمْحُو سُطُوراً ثُمَّ تُثْبِتُهَا فِي النَّهْرِ، لَا صِحَّةَ فِيهَا وَلَا عِلْطُ

والريح تصنع على وجه مياه النهر أمواجاً صغيرة كأنها السطور. . لكنها سطور ليس فيها كلمات صحيحة وكلمات خطأ

٤٩ فيم اقتناء الدرع؟

قال يروض القول:

فَلَا تَحْسَبَنَّ الدَّهْرَ لُعْبَةً هَازِلٍ فَمَا هُوَ إِلَّا صَرْفُهُ وَالْفَجَائِعُ

ليس الدهر لعبة، ولا هزل فيه، فكله صروف (أحداث مؤلمة) وفجائع (مصائب)

فِيَا رَبِّمَا بَاتَ الْفَتَى وَهُوَ آمِنٌ وَأَصْبَحَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِعُ

قد بات المرء شاعراً بالأمان، ويأتي عليه الصباح وقد سدت في وجهه المطالع (الطرق)

فَفِيمَ اقْتِنَاءِ الدَّرْعِ وَالسَّهْمِ نَافِذٌ؟ وَفِيمَ ادِّخَارِ الْمَالِ وَالْعَمْرِ ضَائِعٌ؟

لماذا نقتني الدرع والسهم ستنفذ في جسمنا؟ ولماذا ندخر المال والعمر كله زائل؟

٥٠ شيب القلب

إذا شَابَ رأسُ المرءِ شَابَ فؤادُهُ ولم يَبْقَ فيه للبَشاشةُ مَوْضِعُ
فعلاً لا نرى شيخاً مستبشراً ضاحكاً إلا في الفلتات. فإن رأيت شيخاً هازلاً لاعباً فهو بالتأكيد ذو
صحة جيدة أولاً، وذو عقل خفيف. . أو ربما كان فيلسوفاً عرف أن الدنيا شيء سخيف

٥١ النصح التقرير

لكلِّ قولٍ مَنَارٌ يستقيمُ به عند الخطابِ فَمَلْفُوظٌ ومسموعٌ
لكل قول ميزان يوزن به: عندما يقال، وعندما يصل إلى أذن السامع
فالعُتْبُ إن جازَ حَدَّ العَدْلِ مَقْطَعَةٌ والنُّصْحُ ما لم يكن في السرِّ تَقْرِيرُ
العتاب الذي يتجاوز حد العدل (درجة التوسط) مقطعة (يؤدي للقطعة)؛ والنصح العلني تقرير
(توبيخ)

٥٢ همي بين أضلاعي

قال وهو بسرنديب:

وَيْلَاهُ من حاجةٍ في النفسِ هَامَ بها قلبي، وَقَصَّرَ عن إدراكِها بَاعِي
الويل لي من حاجة لنفسي لا يدركها باعي (لا أستطيع تحقيقها)
يا هل أراني بِذاكَ الحَيِّ مجتمِعاً بِأهلِ وُدِّي مِن قَوْمِي وأشْياعي؟
يا هل أراني (يا هل ترى) أجمع بذاك الحي (القوم) من أحبابي وأشْياعي (رفاقي)
وهل أسوقُ جَوَادِي للظُّرَادِ إلى صيدِ الجَاذِرِ في خَضِرَاءِ مِمْرَاعٍ؟
وهل يتاح لي أن أسوق حصاني للطراد (الصيد) فأصيد الجاذر (بقر الوحش) في أرض خضراء
ممرعة (خصبة)؟

منازلُ كنتُ منها في بُلْهَنْجِيَّةٍ مُمْتَعاً بين غِلْمَانِي وأتباعي
منازل (مواضع) كنت أعيش فيها في بلهنية (رخاء) مستمتعاً بالحياة بين غلماني وأتباعي
فاليومَ أَصْبَحْتُ لا سَهْمِي بِذِي صَرْدٍ إذا رَمِيتُ، ولا سيفي بِقِطَاعِ
اليوم أصبحت عاجزاً: لا سهمي ذو صرد (صائب)، ولا سيفي قاطع
لا في «سَرَنْدِيبَ» خِلُّ أَسْتَعِينُ به على الهمومِ إذا هَاجَتْ، ولا رَاعِ
لا صديق بسرنديب يعينني على الهموم إن تكاثرت علي، ولا من يرعاني

يَظُنُّنِي مَن يَرَانِي ضَاحِكًا جَذَلًا أَنِّي خَلِيٌّ، وَهَمِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي
 مَن رَأَى ضَاحِكًا جَذَلًا (مُشْرَحًا) ظَنَّ أَنِّي خَلِيٌّ مِنَ الْهَمِّ، وَلَكِنْ هُمُومِي مَكُونَةٌ دَاخِلَ صَدْرِي
 فَإِنْ يَكُنْ سَاءَ نِي دَهْرِي، وَغَادِرَنِي رَهْنُ الْأَسَى بَيْنَ جَذَبٍ بَعْدَ إِشْرَاعٍ ..
 إِنْ كَانَ دَهْرِي قَدْ سَاءَنِي وَتَرَكَنِي بِيَدِ الْأَسَى فِي جَذَبٍ رُوحِيٍّ بَعْدَ زَمَنِ الْخُصْبِ ..
 .. فَإِنَّ فِي مِصْرَ إِخْوَانًا يَسْرُهُمْ قُرْبِي، وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِبْدَاعِي
 فِهْنَاكَ فِي مِصْرٍ مِّنْ يَسْرِهِ قُرْبِي وَمَنْ يَعْجِبُهُ شِعْرِي

٥٣ العثور على صديق

وَقَالَ يَجِبُ رَجُلًا عَنْ قَصِيدَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ مِنَ الْهِنْدِ يَخْطُبُ بِهَا مَوَدَّتَهُ:
 قَلِيلٌ بِآدَابِ الْمَوَدَّةِ مَنِ يَفِي فَمَنْ لِي بِخَلِّ أَصْطَفِيهِ وَأَكْتَفِي؟
 مَا أَقْلُ مِنْ لَدَيْهِمُ الْوَفَاءَ وَمِرَاعَاةَ أَدَبِ الْمَوَدَّةِ، فَكَيْفَ لِي بِالْحَصُولِ عَلَى صَاحِبِ أَصْطَفِيهِ وَأَكْتَفِي
 بِصَحْبَتِهِ؟

بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا، فَلَمْ أَرِ صَاحِبًا يَدُومُ عَلَى وَدٍّ بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ
 بَلَوْتُ (جَرَبْتُ) النَّاسَ فَلَا صَاحِبَ يَدُومُ عَلَى الْوُدِّ الْخَالِي مِنَ التَّكَلُّفِ
 رَضِيتُ بِمَنْ لَا تَشْتَهِي النَّفْسُ قُرْبَهُ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ بَدِيلًا فَهُوَ يَتَكَلَّفُ (يَتَجَسَّمُ مَا لَا يَرِيدُ)
 رَضِيتُ بِالْمَتَّاحِ الَّذِي لَا أَشْتَهِي مَعَاشِرَتَهُ؛ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ بَدِيلًا فَهُوَ يَتَكَلَّفُ (يَتَجَسَّمُ مَا لَا يَرِيدُ)
 أَدِيبٌ لَهُ فِي جَنَّةِ الشُّعْرِ دَوْحَةٌ أَفَاءَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِأَجْمَلِ زُخْرُفٍ
 هَذَا أَدِيبٌ لَهُ دَوْحَةٌ (شَجَرَةٌ وَارِفَةٌ) فِي عَالَمِ الشُّعْرِ، أَفَاءَتْ (ظَلَّلَتْ) عَلَى الدُّنْيَا بِظِلَالِ مَزْخَرَفَةٍ بَدِيعَةٍ
 تَأَلَّفَ نَفْسِي بَعْدَمَا زَالَ أَنْسُهَا وَنَوَّةٌ بِاسْمِي بَعْدَمَا كَادَ يَخْتَفِي
 تَأَلَّفَ نَفْسِي (جَعَلَهَا الْيَفَّةَ) بَعْدَ أَنْ تَوَحَّشَتْ وَزَالَ مِنْهَا الْأَنْسُ، وَذَكَرَ اسْمِي بِخَيْرٍ بَعْدَ أَنْ نَسِيتِي
 النَّاسَ

تَوَسَّمتُ فِيهِ الْخَيْرَ قَبْلَ لِقَائِهِ وَأَحْمَدْتُ مِنْهُ الْخُبَرَ بَعْدَ التَّعَرُّفِ
 تَأَمَّلْتُ خَيْرًا مِنْهُ قَبْلَ الْلِقَاءِ بِهِ، وَأَحْمَدْتُ الْخَبَرَ (وَجَدْتُ حَقِيقَتَهُ حَمِيدَةً) بَعْدَ التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ

٥٤ .. وقامتي ألف

وِعِصَابَةٌ غَلَبَ الْكِمَالُ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ، وَغَذَّاهُمْ التَّعَرُّفُ
 رَبُّ جَمَاعَةٍ فِيهِمْ كِمَالُ الْأَخْلَاقِ، وَنَشَأُوا عَلَى التَّرَفِ

لِلَّهِ أَيَّامٌ بِهِمْ سَلَفَتْ لو أَنَّهَا بِالْوَصْلِ تُؤْتَنَفُ
ما كان أجمل الأيام القديمة بصحبهم، ويا ليتها توتف (تستأنف)

إِذِ لِمَّتِي فَيَنَانَةٌ، وَيَدِي فَوْقَ الْأَكْفِ، وَقَامَتِي أَلْفُ
أيامئذ كانت لمتي (شعري) فينانة (طويلة، كأنها ذات أعصان)، وكانت يدي فوق الأكف (كنت محسناً للناس/فاليد العليا خير من اليد السفلى)، وكانت قامتي معتدلة كحرف الألف

٥٥ استخفاف

قَلْبِي عَلَيْكَ يَرِفُ وَعَبْرَنِي لَا تَجِفُ
وَأَنْتَ يَا نُورَ عَيْنِي بِلَوْعَتِي تَسْتَخِفُ

٥٦ خذي ما بقي

عُودِي بِوَصْلٍ، أَوْ خُذِي مَا بَقِيَ فَقَدْ تَدَاعَى الْقَلْبُ مِمَّا لَقِيَ
عودي للوصل أو خذي ما بقي من قلبي، فهو قد تداعى (تهدم) مما لقي من هجرانك
عَلَّمَنِي الذَّلَّ، وَكُنْتُ أَمْرًا أَفْعَلُ مَا شِئْتُ وَلَا أَتَّقِي
علمتني الذل في العشق وكنت أفعل ما أشاء لا أحسب حساب أحد

٥٧ وحيداً في سرنديب

وقال وهو بسرنديب يتشوق إلى وطنه:

قَدْ كَانَ أَبْقَى الْهُوَى مِنْ مُهْجَتِي رَمَقًا حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فَاسْتَوَلَى عَلَى الْبَاقِي
الهوى كان قد استولى على مهجتي مبقياً رمقاً (بقية قليلة)، ثم جاء البين (الفراق) فذهب بهذه البقية

حُزْنُ بَرَانِي، وَأَشْوَاقُ رَعَتْ كَبْدِي يَا وَنَحْ نَفْسِي مِنْ حُزْنٍ وَأَشْوَاقٍ
الحزن أنحلني وبرى جسدي، والشوق أكل كبدي فيا ويلي

لَا فِي «سَرَنْدِيبٍ» لِي خِلٌّ أَلَوْذُ بِهِ وَلَا أَنْيْسُ سِوَى هَمِّي وَإِطْرَاقِي
ليس لي بسرنديب صديق ألجأ إليه وآتس به، اللهم إلا الهم والإطراق بالرأس في تفكير

يَا قَلْبُ، صَبْرًا جَمِيلًا، إِنَّهُ قَدَرٌ يَجْرِي عَلَى الْمَرَّةِ مِنْ أَسْرِ وَإِطْلَاقٍ
يا قلبه على الصبر، فالأسر والإطلاق قضاء وقدر

لا بد للضيّق بعد اليأس من فرج وكل داجية يوماً لإشراق
كل ليلة داجية (مُظلمة) ستؤول إلى إشراق

٥٨ الخذلان

وقال يعرّض برؤساء الجند الذين تخاذلوا في الثورة العرابية:

بَلَوْتُ بني الدنيا فلم أَرِ صادقاً فأين لَعْمَرِي الأكرمون الأصادق؟
بلوت: جربت

أحاولُ أمراً قَصَّرتُ دونَه النُّهى وشابْتُ، ولم تَبْلُغْ مداهُ، المَفَارِقُ
أسمى لتحقيق أمر قَصَّرتُ دونَه النُّهى (العقول)، وشابت المفارِق (الرؤوس) قبل أن تبلغ آخره
وأعْظَمُ ما تَرْجُوهُ ما لا تَنالُهُ وأكثرُ مَنْ تَلْقاهُ مَنْ لا يُوافِقُ
الأمانيات الكبرى تبقى بلا تحقق، وأكثر من تلقى من الناس من لا يوافق طبعه طبعك. التسويد
لعمران القفيني

مَعاشِرُ سَادُوا بالنِّفاقِ، وما لَهُمْ أَصُولُ أَظَلَّتْها فُرُوعُ بَواسِقُ
قوم وصلوا إلى السيادة بالنفاق، وليس لهم أنساب عريقة تكون لهم كالجذور التي لها فوقها
أغصان بواسق (عالية) ترمي بظلها

طَلاقَةٌ وَجْهِ تَحْتَهَا الغَيْظُ كاشِرٌ وَنَعْمَةٌ وَدُ بَيْنَها الغَدْرُ ناعِقُ
يتسمون لك ويكتمون غيظاً مكشراً، ويتكلمون بنعمة ود، ولكنها تكتم نبيق الغدر

تَعَلَّمْتُ كَظَمَ الغَيْظُ فِيهِمْ، وإنه لَحِلْمٌ، ولكنَّ لِلحَفِيفَةِ ما حِقُّ
تعلمت بوجودي بينهم أن أظلم غيظي، وهذا من الحلم (التسامح) ولكنه يمحى الحفيظة (الغضب
للشرف)

دَعَوْنِي إلى الجُلَى فقمْتُ مُبادِراً وإنِّي إلى أمثالِ تِلْكَ لَسابِقُ
دعوني إلى الجلى (العمل العظيم) فأسرعت وبادرت، وأنا لمثل هذا مبادر سابق

على أَنني حَذَرْتُهُمْ غِبَّ أَمْرِهِمْ وَأَنذَرْتُهُمْ لو كانَ يَفْقَهُ مائِقُ
لكنني حذرتهم غب (عاقبة) أمرهم، وأنذرتهم لو كان المائق (الأحمق) يفقه

فيا لِيَتَنِّي راجِعْتُ حِلْمِي ولم أَكُنْ رَعِيماً، وعاقَتْنِي لِذاكَ العَوائِقُ
ليتني كنت راجعت حلمي (عقلي) ولم أرض بالزعامة، وليتها كانت عاقتي العوائق عن ذلك

هُمْ عَرَّضُونِي لِلْقَتَا ثُمَّ أَعْرَضُوا سِرَاعاً، وَلَمْ يَطْرُقْ مِنَ الشَّرِّ طَارِقٌ

لقد عرضوني للقنا (الرماح) ثم أعرضوا سريعاً وقبل أن يلم بهم أي خطر

وَقَدْ أَقْسَمُوا أَلَّا يَزُولُوا، فَمَا بَدَا سَنَا الْفَجْرِ إِلَّا وَالنِّسَاءَ طَوَالِقُ

وكانوا قد أقسموا بالطلاق ألا يزولوا (يفروا)، فما إن بدا سنا الفجر (ضوءه) حتى فروا، فلذا نساؤهم يجب أن يكنَّ طوالق!

وَلَكِنْ دَعَتْهُمْ نَبَأَةٌ فَتَفَرَّقُوا كَمَا انْقَضَ فِي سِرْبٍ مِنَ الطَّيْرِ بَاشِقُ

دعتهم نبأ (مهمة بسيطة) فتفرق جمعهم، كأنهم سرب طيور انقض عليه باشق (طير كاسر)

إِذَا أَبْصَرُوا شَخْصاً يَقُولُونَ جَحْفَلُ وَجُبْنُ الْفَتَى سَيْفٌ لِعَيْنَيْهِ بَارِقُ

إذا رأوا شخصاً قالوا هذا جحفل (جيش)، والجبن سيف مسلط يبرق أمام عيني الجبان ويخيفه

أَسْوَدُ لَدَى الْأَبْيَاتِ بَيْنَ نِسَائِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ نَقَانِقُ

أسود في بيوتهم، وعند الهياج (المعركة) نقانق (نعام)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ بِقَائِمٍ سَيْفِهِ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ تُحْمَى الْحَقَائِقُ؟

إذا المرء لم ينهض وقائم سيفه (مقبضه) بيده، فكيف تُحمى الحقائق (الشرف)

٥٩ الصديق الحق

إِذَا مَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْفَعْ أَخَاهُ عَلَى الْحَالَيْنِ فِي سَعَةٍ وَضِيقٍ..

من لم ينفع صديقه، سواء أكان في سعة من الرزق أم في ضيق..

فَدَعَهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ فَخَيْرٌ مِنْهُ إِخْوَانُ الطَّرِيقِ

فأتركه، فأحسن منه إخوان الطريق (زملاء السفر الذين تنتهي صحبتهم بانتهاء السفر)

٦٠ العين بالعين

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْمِ الْهَنَاءَ بِمِثْلِهَا لِيَذْفَعَ ضَيْمًا فَهُوَ بِالذَّلِّ أَخْلَقُ

إذا لم يرد الإنسان على الهناء (الإساءة) بمثلها كي يذفع الظلم، فهو خليق (مستحق) بالذل

وَمَنْ شَهِدَ الْهَيْجَاءَ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ يَذُودُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ أَحْمَقُ

فهو كمن يشهد الحرب بغير سلاح

٦١ أنا والشعر

وما كَلَفَنِي بِالشُّعْرِ إِلَّا لِأَنَّهُ مَنَارٌ لِسَارٍ، أَوْ نَكَالٌ لِأَحْمَقٍ
كَلَفِي بالشعر (غرامي به) إنما هو لأنه ينير الطريق للساري (الساثر ليلاً)، أو يمثل تقريباً وتنكيلاً
بالأحمق وهجاء له

عَلِقْتُ بِهِ طِفْلاً وَشَبْتُ، وَلَمْ يَزَلْ شَدِيداً بِأَهْدَابِ الْكَلَامِ تَعَلَّقِي
تعلقت بالشعر منذ الطفولة، وقد شاب رأسي وما زلت شديد التعلق بأهداب الكلام (شديد الشغف به)
بَلَعْتُ بِشِعْرِي مَا أَرَدْتُ، فَلَمْ أَدْعُ بَدَائِعَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفْتَقِ
بلغت بشعري ما أردت من ذبوع الصيت، ولم أترك إبداعاتي مخبأة كالزهر الذي ظل في أكمامه لم
يفتح

٦٢ تبرير بعد الهزيمة

كَفَى بِمُقَامِي فِي «سَرَنْدِيبَ» غُرْبَةً نَزَعْتُ بِهَا عَنِّي ثِيَابَ الْعَلَائِقِ
كفى بهذه الغربة في جزيرة سرنديب (سيلان) أنني نزعت بها عني صلاتي بكل من كنت أعرف
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ رَنْقَنَ مَشْرِبِي وَتَلَمَّنْ حَدِّي بِالْخَطُوبِ الطَّوَارِقِ . .
إن يكن الزمن قد رنق مشربي (كدر عيشتي)، وتلمن حدي بالخطوب الطوارق (المصائب
التي تهجم ليلاً) . .

فَمَا غَيَّرْتَنِي مِحْنَةٌ عَنْ خَلِيقَتِي وَلَا حَوْلَتْ لِي خُدْعَةٌ عَنْ طَرَائِقِي
فالمحنة لم تغير أخلاقي، والخداع لم يحرفني عن طريقي في الحياة

فَحَسْرَةُ بُعْدِي عَنْ حَبِيبٍ مُصَادِقٍ كَفَّرَحَةَ بُعْدِي عَنْ عَدُوٍّ مُمَادِقٍ
فالحزن لبعدي عن الحبيب يقابله الفرح ببعدي عن العدو المماذق (المخادع). التسويد لعمران
القفايني

فَتِلْكَ بِهَذِي، وَالنَّجَاةُ غَنِيمَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَالدُّنْيَا مَكِيدَةٌ حَادِقٍ
فهذه واحدة بواحدة، والنجاة من الناس غنيمة، والدنيا كلها كأنها مكيدة من تدبير حاذق (ذكي)

يَقُولُ أَنَاسٌ إِنَّنِي ثُرْتُ خَالِيعاً وَتِلْكَ هَنَاتٌ لَمْ تَكُنْ مِنْ خَلَائِقِي
يقولون إنني ثرت خاليعاً طاعة من ولاني الأمر، وهذه هنات (صفات) ليست من أخلاقي

وَلَكِنَّنِي نَادَيْتُ بِالْعَدْلِ طَالِباً رَضَا لِلَّهِ وَاسْتَنْهَضْتُ أَهْلَ الْحَقَائِقِ
فأنا ناديت بالعدل طالباً لرضا الله، واستنهضت أهل الحقائق (الشرف) وأهبت بهم للخروج

فَإِنْ كَانَ عِصْيَانًا قِيَامِي، فَإِنِّي أَرَدْتُ بِعِصْيَانِي إِطَاعَةً خَالِقِي
فَإِنْ كَانَ قِيَامِي بِمَا قَمْتُ بِهِ عِصْيَانًا فَلَمْ أَرِدْ بِهِ إِلَّا طَاعَةَ اللَّهِ

عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَلْ نُصْحًا لِمَعَشَرٍ أَبَى غَدْرُهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا قَوْلَ صَادِقٍ
لَكُنْتِي لَمْ أَلْ (لَمْ أَقْصِرْ) نَصْحًا لِلْقَوْمِ، وَلَكِنْ غَدَرَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ قَبُولِ نَصَحِي

فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ قَامَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْجُنْدِ تَسْعَى تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ
فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ قَامَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجُنُودِ تَسْعَى لِتَحْقِيقِ الْعَدْلِ تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ (الرايات)

وَشَايَعَهُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ سِرَاعًا بَيْنَ آتٍ وَآخِرٍ
وَشَايَعَهُمْ (نَاصِرُهُمْ) أَهْلُ الْبِلَادِ فَالْتَفَوْا حَوْلَهُمْ بَيْنَ مَبَادِرٍ سَرِيعَةٍ وَآخِرَةٍ بِمَا بَعْدَ

يَرُومُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلَادِ نَفَادًا مَا تَأَلَّاهُ مِنْ وَعْدٍ إِلَى النَّاسِ صَادِقٍ
يَطْلُبُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلَادِ (الْخَدِيوِي) تَنْفِيزَ مَا تَأَلَّاهُ (أَقْسَمَ عَلَيْهِ) مِنْ وَعْدٍ

فِيَا مِصْرُ مَدَّ اللَّهُ ظِلَّكَ، وَارْتَوَى ثَرَاكَ بِسَلْسَالٍ مِنَ النَّيْلِ دَافِقٍ
يَدْعُو لِمِصْرٍ بِدَوَامِ النِّعَمِ، وَلِثَرَاكِ بِالْإِرْتَوَاءِ مِنْ سَلْسَالِ النَّيْلِ (مَائِهِ الْمَتَدَفِّقِ)

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ سَاءَتْ ضُرُوفُهَا فَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوَّلُ وَآخِرُ
فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ اغْوِجَاجِهِ وَيَرْجِعُ لِلْأَوْطَانِ كُلِّ مُفَارِقٍ

٦٣ تحريض

وَقَالَ يَذِمُّ سِيرَةَ الْحُكَّامِ، وَيَحْضِضُ النَّاسَ عَلَى طَلَبِ الْعَدْلِ فِي الْأَحْكَامِ، وَذَلِكَ فِي عَهْدِ
الْخَدِيوِي إِسْمَاعِيلَ:

فَانْهَضْ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ مُعْتَلِيًا، فَالْبَازُ لَمْ يَأُو إِلَّا عَالِي الْقُلَلِ
قَمُّ لِعَتْلَاءِ صَهَوَاتِ الْمَجْدِ، وَالْبَازُ (الطَيْرُ الْجَارِحُ) لَا يَسْكُنُ إِلَّا الْقُلُلَ (الْقِمَمَ) الْعَالِيَةَ. صَهَوَاتُ
النَّخِيلِ ظُهُورُهَا، وَجَعَلَهَا صَهَوَاتِ مَجْدٍ، وَعِنْدَمَا انْصَرَفَ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْبَازِ خَلَطَ طَيْرًا بِدَابَّةٍ فَجَعَلَ فِي
الْبَيْتِ طَعْمًا شَتَّى كَذَلِكَ الطَّبَاحُ الَّذِي حَشَا جُوفَ الْخُرُوفِ بِدَيْكٍ رُومِيٍّ فَاضْطَرَبَ مَذَاقُ طَبَخْتِهِ

وَدَعَّ مِنَ الْأَمْرِ أَذْنَاهُ لِأَبْعَلِيهِ، فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَشَلِ
أَتْرَكَ الْأَمْرَ الْقَرِيبَ لِصَالِحِ الْأَمْرِ الْبَعِيدِ، فَفِي لُجَّةِ الْبَحْرِ (وَسَطِهِ) مِنَ الصَّيْدِ وَاللُّؤْلُؤِ مَا يُغْنِيكَ عَنِ
الْوَشَلِ (الْمَاءِ الضَّحَلِ)

حَلَبْتُ أَشْطَرَ هَذَا الدَّهْرِ تَجْرِبَةً وَذُقْتُ مَا فِيهِ مِنْ صَابٍ وَمِنْ عَسَلٍ
حَلَبْتُ ضُرُوعَ هَذَا الزَّمَنِ مِثْلًا يَحْلِبُ الْمَرْءُ الْبَقْرَةَ لِكَثْرَةِ مَا جَرَبَتْ، وَذُقْتُ الصَّابَ (الْمَرَّ) وَالْعَسَلَ

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقِيَةً أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حُرِّيَةِ الْعَمَلِ
أشهى شيء أن يعمل المرء بحرية ودون أن يتقيد بتنفيذ أمور سخيفة يريده عليها مديره أو رئيسه .
فعلاً المرء يستمتع بالعمل الحر، فمهنة اللص أمتع من مهنة الشرطي، ومهنة الروائي أمتع من مهنة
كاتب المحكمة

لَكُنَّا غَرَضٌ لِلشَّرِّ فِي زَمَنِ أَهْلِ الْعُقُولِ بِهِ فِي طَاعَةِ الْخَمَلِ
نحن هدف للشر في زمن يسيطر فيه الخمل (الخاملون البليدون) على أهل العقول، ويجعلونهم
عاملين في طاعتهم

قَامَتْ بِهِ مِنْ رِجَالِ الشُّوءِ طَائِفَةٌ أَدَهَى عَلَى النَّفْسِ مِنْ بُؤْسٍ عَلَى ثَكَلٍ
قامت به (بهذا الزمن) مجموعة من رجال السوء وأخذت تحكم، وهي أسوأ تأثيراً على نفس
الإنسان من بؤس يأتي بعد ثكل (فقدان عزيز)

مِنْ كُلِّ وَغْدٍ يَكَادُ الدَّسْتُ يَدْفَعُهُ بُغْضًا، وَيَلْفِظُهُ الدِّيَوَانُ مِنْ مَلَلٍ
هؤلاء مكونون من كل وغد يكاد الدست (المنصب) يرفضه كراهة له، ويكاد ديوان الوزارة يلفظه
(يطرده) لأنه ممل

ذَلَّتْ بِهِمْ مَصْرُ بَعْدَ الْعِزِّ، وَاضْطَرَبَتْ قَوَاعِدُ الْمُلْكِ حَتَّى ظَلَّ فِي خَلَلٍ
وَلَا تَلْجُوا إِذَا مَا الرَّأْيُ لَاحَ لَكُمْ إِنَّ اللَّجَاجَةَ مَدْعَاةٌ إِلَى الْفَسَلِ
يا صحتي لا تلجوا (لا تكثرُوا الجدل) إذا اهتديتم إلى الرأي الصحيح، فاللجاجة مدعاة (سبب)
للفشل (الجن)

وَلَا تَخَافُوا نَكَالًا فِيهِ مَنْشُوكُمْ فَالْحَوْثُ فِي الْيَمِّ لَا يَخْشَى مِنَ الْبَلَلِ
لا تخافوا النكال (العقوبة) فقد نشأتم في ظل العقوبات والمظالم، فأنتم متعودون، ومثلكم في هذا
مثل الحوت الذي لا يخاف من البلل لأنه نشأ في جوف البحر

٦٤ مَضَى اللّهُو

وقال، وكتب بها إلى الشيخ حسين المرصفي:

مَضَى اللّهُو، إِلَّا أَنْ يُخَبَّرَ سَائِلٌ وَوَلَّى الصُّبَا إِلَّا بَوَاقٍ قَلَائِلُ
انتهى زمن اللهو، ولم يبق منه إلا كلام أقوله جواباً لسؤال من يسألني، وولّى عهد الشباب إلا بقية
قليلة

رَضِينَا بِحُكْمِ الْحُبِّ فِينَا، وَإِنَّا لَلَّذُ إِذَا التَّقَّتْ عَلَيْنَا الْجَحَافِلُ
رضينا بحكم الحب فينا، مع أننا لَد (شديدو) الخصام) في الحرب حيث تلتف علينا جموع الجند

وَأَنَا رِجَالٌ تَعَلَّمُ الْحَرْبَ أَنَّنَا بَنُوهَا، وَيَدْرِي الْمَجْدُ مَاذَا نَحَاوُلُ

نحن أبناء الحرب، وهي تعلم ذلك؛ ويعلم المجد ما الذي نسعى إليه

إِذَا مَا ابْتَنَى النَّاسُ الْحُصُونُ فَمَا لَنَا سَوَى الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ اللَّدَانِ مَعَاقِلُ

الناس يبنون الحصون يحتمون بها، ونحن نحتمي بالبيض (السيوف) والسمر اللدان (الرماح السمراء اللينة) فهي فقط معاقلنا

إِذَا أَنْتَ أَعْظَمْتَكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا فَأَضْيَعُ شَيْءٍ مَا تَقُولُ الْعَوَاذِلُ

إذا أتاح لك حسن طالعك أن تسيطر على مجريات الأمور، عجزت العواذل عنك وضاع كلامها سدى. والعواذل كالفوارس تصلح لجماعة الذكور ولجماعة الإناث

بَلَوْتُ ضُرُوبَ النَّاسِ طُرّاً فَلَمْ يَكُنْ سَوَى الْمَرْصُفِيِّ الْحَبْرِ فِي النَّاسِ كَامِلُ

جربت صنوف الناس طراً (جميعاً) فلم يكن فيهم من كامل سوى الحبر (العالم) الشيخ حسين المرصفي

٦٥ تصديق الأباطيل

لَا تَحْسَبِ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَمْرِهُمْ، بَلْ عَلَى ظَنٍّ وَتَخْيِيلِ

يظهر لك الواحد من الناس وكأنه واثق من كل شيء، كلام فارغ... كل أمورهم قائمة على الظنون والتخيل (الوهم)

حُبُّ الْحَيَاةِ وَيُغْضُ الْمَوْتَ أَوْرَثَهُمْ جُبْنَ الطَّبَاعِ وَتَصْدِيقَ الْأَبَاطِيلِ

حب الحياة وكره الموت أورثهم (زودهم) الجبن في الطبع، وتصديق كل باطل. كأنني ألمح بادرة جحد عند البارودي في هذين البيتين اللذين وردا وحدهما، كأنه يقول إن حب الحياة والخوف من الموت جعل الناس يتخيلون حياة أخرى، لا نضع الكلام في فمه، بل نحاول قراءته، والبارودي في شعره من أشد الناس إيماناً بالله وتمسكاً بالإسلام، لكن كذلك كان أبو العتاهية وقالوا في دينه ما قالوا

٦٦ عدو في ثياب صديق

لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي تَعْلُو مَنَاسِبُهُ بَلِ الصَّدِيقُ الَّذِي تَزْكُو شَمَائِلُهُ

ليس صديقك الحق من كان ذا نسب عال، بل من كان ذا شمائل زكية (طبائع طيبة)

لَا كَالَّذِي يَدَّعِي وُدّاً وَبَاطِلُهُ بِجَمْرِ أَحْقَادِهِ تَغْلِي مَرَايِلُهُ

فهذا ليس كمن يدعي الود بينما باطنه كالمرجل الذي يغلي بجمر الحقد

يَذُمُّ فَعَلَ أَخِيهِ مُظْهِراً أَسْفَا لِيُوْهِمَ النَّاسَ أَنَّ الْحُزْنَ شَامِلُهُ

هذا النوع من الناس يؤنبك على أفعالك وهو يظهر الأسف، ليُوهم الناس أنه حزين من أجلك

وَذَاكَ مِنْهُ عَدَاءٌ فِي مُجَامَلَةٍ فَاحْذَرُهُ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ خَائِذُكُمُ

فهذا عداء من جانبه يسوقه سَوَقُ المجاملة، فاحذر منه فسوف يخذل الله مسعاه. في هذه الآيات
لقطة بارعة لما عند أهل النفاق من طباع

٦٧ هجاء الصَّعْل

وقال يهجو عثمان رفقِي، وهو ناظر الحربية الذي عزله الخديوي توفيق وعين بدلاً منه
البارودي:

صَعُرَتْ رَأْسُهُ، وَأَفْرَطَ فِي الطُّو لِي شَوَاهُ وَعُنُقُهُ، فَهَوَ صَعْلُ

رأسه صغير وشواه (أطرافه) وعنقه طويلة، فهو صَعْل (أي صغير الرأس). وأنت الرأس على العامة
المصرية، وعلى وجه ضعيف في الفصحى

أَبْرَزْتَ قُدْرَةَ الطَّبِيعَةِ مِنْهُ شَكْلَ لُؤْمٍ، إِنْ كَانَ لِللُّؤْمِ شَكْلٌ

قدرة الطبيعة أرتنا شكل اللؤم في شخصه، هذا إن كان للؤم شكل

هَدَفٌ لِلْعُيُوبِ، فِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ سَهْمٌ لِلطَّاعِنِينَ وَنَضْلٌ

في كل عضو من جسمه هدف لأسهم ونصال الطاعنين

نَسَلَتْهُ مِنْ أَسْتِهَا أُمُّ سُوءٍ مَا لَهَا غَيْرُ طَائِفٍ اللَّيْلِ بَعْلٌ

ولدت أمه من خلف، وهي أم سوء ليس لها زوج سوى شخص يطوف ليلاً ويدخل عليها

نَارَعَتْكَ الْيَهُودُ وَاخْتَلَفَتْ فِيكَ لَكَ النَّصَارَى، فَأَنْتَ لَا شَكَّ بَعْلٌ

اليهود تدعيك لنفسها والنصارى مختلفون هل أنت منهم أم لا، فأنت كالبعول أبوه حمار وأمّه فرس

إِنَّ بَيْتَ الْوَزَّانِ لَمْ يَزِنُوا شَيْئاً، وَلَكِنْ فِيهِمْ عَلَى ذَاكَ ثِقْلٌ

أسرة الوزان لم تزن شيئاً (ليس لها وزن ولا قيمة)، ومع ذلك فهم ثقلاء. من هذه

الأسرة، والأغلب أنها كانت يهودية، مصطفى رياض الذي أصبح رئيس وزراء في

عهد توفيق، وكان البارودي يعد عثمان رفقِي من أقارب هذه الأسرة. . ولم أجد

مصدراً يصل نسب رفقِي بأسرة الوزان

كَثُرُوا عِدَّةً، وَلَوْ أَحْصَنَ الْبَا بَ أَبْوَهُمْ عَنِ الزُّنَا لَقَلُّوا

عدهم كثير، ولو كان أبوهم أحصن الباب (أغلقه) ولم يسمح للزناة بالدخول، لقلوا. . أي أنهم أولاد زنا

لَوْ عَزَوْنَا كُلَّ امْرِئٍ لِأَبِيهِ مِنْ فِرَاحِ الْوَزَّانِ لَمْ يَبْقَ نَسْلٌ

لو نسبنا أولاده لأبائهم الحقيقيين لم يبق للوزان نسل

كُلُّ وَغْدٍ أَهْدَى إِلَى اللُّؤْمِ مِنْ بَا زٍ، وَلَكِنْ مِنَ الْجِمَارِ أَضْلُ
كل وغد منهم أهدى (أكثر اعتداء) إلى اللؤم من الباز (الطير الجارح ذي البصر الحديد) ولكنه أكثر
ضلالاً من حمار

كُنْتُ لَا أَحْسِنُ الْهَجَاءَ، وَلَكِنْ عَلَّمْتَنِي صِفَاتُهُمْ كَيْفَ أَتْلُو
لم أكن أحسن الهجاء، ولكن صفاتكم علمتني كيف أتلوه

٦٨ ها هي الأهرام

ذَهَبَ الصُّبَا وَتَوَلَّتِ الْأَيَّامُ فَعَلَى الصُّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلَامٌ
تَجْرِي عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَجَالِسٍ فِيهَا السَّلَامُ تَعَانَقُوا وَلَزَامُوا
في مجالس الشراب تلك كان سلامنا عناقاً ولزماً (بالاحضان)

حَتَّى انْتَبَهْنَا بَعْدَمَا ذَهَبَ الصُّبَا أَنَّ الْخَلَاعَةَ وَالصُّبَا أَحْلَامُ
لَا تَحْسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتَرَفٍ هِيَهَاتَ، لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامُ
تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي أَيَّامُهَا لَمَعَ السَّرَابِ وَتَنْقُضِي الْأَعْوَامُ
فَادِرًا هُمُومَ النَّفْسِ عَنكَ إِذَا اعْتَرَتْ بِالْكَأْسِ فَهِيَ عَلَى الْهَمُومِ حُسَامُ
ادراً (ادفع) عنك الهموم بالكأس فهي سيف مضت على الهموم

مِنْ خَمْرَةٍ تَذُرُّ الْكَبِيرَ إِذَا انْتَشَى بَعْدَ اشْتِعَالِ الشَّيْبِ وَهُوَ غُلَامُ
حُسِبْتَ بِأَكْلَفٍ لَمْ يَقُمْ بِفَنَائِهِ نُورٌ وَلَمْ يَبْرَحْ عَلَيْهِ ظَلَامُ
حبست الخمر في دن أكلف (جرة كبيرة مغبرة اللون) في قبو مظلم لم يظهر نور في فناءه، وما برح
الظلام سائداً حوله

فَاطْمَحْ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أُمَّةٍ خَلَدَتْ، وَهَلْ لَابِنِ السَّبِيلِ مَقَامُ؟
اطمح بطرفك (ارفع رأسك وانظر بعينيك) هل ترى أمة خلدت؟ وهل لابن السيل (المسافر) مكوث؟

هَذِي الْمَدَائِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا بَعْدَ النَّعِيمِ، وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ

هذه المدن خلت من أهلها الأولين، وها هي أمامك الأهرام. . كل قوم إلى زوال. يواز
زكي مبارك بين قصيدة البارودي هذه وبين قصيدة أبي نواس (يا دار ما فعلت بك الأيام)،
وينصف ديباجة البارودي الجميلة، ولا يعجبه وصفه للخمر، فهو ليس منغمساً في حماتها
انغماساً مقنعاً، فأما أبو نواس ففي شعره حرارة جعلت زكي مبارك يقف عند البيت (وبلغت
ما بلغ امرؤ بشبابه/ فإذا عصارة كل ذاك أنام) قائلاً: «الله أكبر، هذا هو الشعر، وذلك هو
الشاعر، أبو نواس!» وعن وصف الشاعرين للخمر يقول زكي مبارك: «إن خمرة البارودي
هذه لن تهوي بأحد إلى الجحيم، ولن يسأل عنها يوم الحساب، أما خمريات أبي نواس
فقد صيرت قبره سعيراً لا يخمد له أوار، وسيكون يوم الدين جبلاً يتفجر بالبراكين»

٦٩ لَذَات فَانِيَات

وقال يصف روضة المقياس:

وَمَنْزِلَةٌ لِلْأُنْسِ كُنَّا نَحُلُّهَا وَنَرَعَى بِهَا اللَّذَاتِ رَغْيَ السَّوَائِمِ
رب مكان أنس ولهو كنا نحل فيه ونستمتع باللذات كأننا نرعاها رعي السوائم (المواشي)

عَفْتُ وَكَأَنْ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ، وَالتَّقْتُ عَلَيْهَا أَعَاصِيرُ الرِّيحِ الْهَوَاجِمِ
هذه المنزلة (المكان) عفت (امّحت) كأنها لم تكن عامرة بالأمس، والتقت فيها الرياح الهاجمة عليها فغيرت معالمها

وَمَا خَيْرُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لِعَهْدِهَا وَمَا طِيبُ عَيْشٍ رَبُّهُ غَيْرُ سَالِمٍ؟
ما خير دنيا (لا خير في دنيا) لا يبقى لها عهد، ولا طيب لعيش ربه (صاحبه) غير سالم، فلا بد له بعد العيش من موت

٧٠ إلى كم تنام؟

وقال، وكتب بها من حرب الدولة العثمانية مع روسيا (١٨٧٧م) إلى صديقه الشيخ حسين المرصفي:

يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ إِلَى كَمْ تَنَامُ؟ أَسَهَرْتَنِي فَيْكَ وَنَامَ الْأَنَامُ
يا أيها المحبوب الناعس الطرف (النائم)، أسهرني عشقي لك، ونام الناس

أَوْشَكَ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ يَنْقُضِي وَالْعَيْنُ لَا تَعْرِفُ طِيبَ الْمَنَامِ
اللّه في عين جفاها الكرى فيكُم، وقلب قد براه الغرام
اتق الله في عيني التي جفاها الكرى (هجرها النوم) فيكم (بسيكم)، وفي قلب براه (أنهكه) الغرام

طَالَ النَّوَى مِنْ بَعْدِكُمْ، وَانْقَضَتْ بِشَاشَةُ الْعَيْشِ، وَسَاءَ الْمَقَامُ
طال النوى (البعاد) وذهبت بشاشة العيش (طيه)، وساء وجودي هنا

أَرْتَاخُ إِنْ مَرَّ نَسِيمُ الصَّبَا، وَالْبُرْءُ لِي فِيهِ مَعَاً وَالسَّقَامُ
نسيم الصبا يذكرني بك فهو لي برء (شفاء)، لكنه أيضاً سقام (مرض)

يَا لَيْتَنِي فِي السَّلَكِ حَرْفٌ سَرَى أَوْ رِيْشَةً بَيْنَ خَوَافِي الْحَمَامِ
ليتني حرف يسير في سلك التلغراف فأصل إليك بشخصي، أو ليتني ريشة بين خوافي الحمام (الريشات الداخلية في الجناح)

حَتَّى أُوَافِيَ مِضْرَ فِي لَحْظَةٍ أَقْضِي بِهَا فِي الْحُبِّ حَقَّ الذَّمَامِ
حتى آتي إلى مصر فأقضي حق الذمام (العهد) للحب

٧١ عذر العاشق

أَلَا لَا تَلَمَّ صَبَّاً عَلَى طَوْلِ سُقْمِهِ وَدَعُهُ فَلَيْسَ الْأَمْرُ فِيهِ لِحُكْمِهِ
لا تلم الصب (العاشق) على طول سقمه (مرضه)، فهذا أمر ليس خاضعاً لحكمه
إِذَا مَا أَقَرَّ الْمَرْءُ يَوْمًا بِذَنْبِهِ فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي لِحَاجَةً خُصْمِهِ؟
لحاجة: جدال، ومباحكة

٧٢ أنا كمجلة الأحكام

أَنَا فِي الدَّهْرِ ضَائِعٌ بَيْنَ فَهْمٍ فَاتِيكِ حَدُّهُ، وَجَدَّ كَهَامٍ
أنا ضائع بين فهم حاد وذكاء، وبين جدّ (حظّ) كهام (متلّم). يعني أنه فاهم وذكي لكن حظه سيء
حُزْتُ عِلْماً، وَمَا رَزَقْتُ قَبُولاً فَكَأَنِّي مَجَلَّةُ الْأَحْكَامِ
أحرزت العلم، ولكنني لم أحرز القبول، تماماً كمجلة الأحكام الرسمية التي تنشر بنود القوانين:
فهي مملوءة بالمعلومات، لكنها جافة لا يقبل الناس عليها

٧٣ صديق صعب

أَلَا مَنْ مُعِينِي عَلَى صَاحِبٍ جَرَعْتُ بِصُحْبَتِهِ الْعَلَقَمَا؟
من يعينني على صديق تجرعت في صحبته العلقم؟
يَلُومُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ جَرَى وَيَغْضَبُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْهَمَا
سريع اللوم سريع الغضب
فَإِنْ قُلْتُ مَهْلًا لَوَى شِدْقُهُ وَإِنْ لَمْ أُجِبْ قَوْلَهُ بَرَطَمًا
برطم: زعل

٧٤ ارغب عن الدنيا

الْمَرْءُ طَوُّعٌ يَدِ الزَّمَانِ، يَقْوَدُهُ قَوْدَ الْجَنِيْبِ لِغَايَةِ لَمْ تُعْلَمِ
المرء بيد الزمان يقوده مثلما يقود المرء الجنيب (الحصان) ويأخذه إلى غاية مجهولة
إِنْ الْحَيَاةَ شَهِيَّةٌ مَا لَمْ تَكُنْ عَرَضًا لِأَمْرَةٍ ظَالِمٍ لَمْ يَرْحَمِ
ما لم تكن أنت مستهدفاً من ظالم
لَا أَرْضِي عَيْشَ الْجَبَانِ، وَلَا أَرَى فَضْلًا لِذِي حَسَبٍ إِذَا لَمْ يُقَدِّمِ
لا فضل للشريف ذي الحسب إذا لم يكن شجاعاً مقداماً

لو كان للإنسان علمٌ بالذي في الغيبِ لم يفرّخ ولم يتندّم
فدع الأمور إلى مدبرِ شأنها وارغب عن الدنيا بنفسك تسلم

٧٥ سيف وقيد

سكوتي إذا دام الحديثُ كلامٌ وتقلّب عيني في الوجوه ملامٌ
سكوتي وهم يتكلمون له معنى فهو كالكلام، ونظراتي في وجوه المتحدثين تحمل اللوم لهم
وصبري على الأيام لا من مدّة ولكن يد مغلولّة وحسامٌ
صابر على الأيام ليس لأنني ذليل، لكن لأن يدي مغلولّة (مقيدة) وإن كانت تحمل سيفاً
ألام على أنني صبرْتُ، وهل فتى على الصبر، إن قلّ المعين، يلام؟

٧٦ المال الضعيف

لا تغذّلني على وفّر سمحت به للمعتفين فإنني ماجد الشيم
لا تلمني على مال سمحت به (تفضلت به) للمعتفين (الفقراء) فأنا ماجد الشيم (شريف الطباع)
فإن يكن قلّ مالي بعد وفّره فإنّ مالي لا يقوى على كرمي
فإن كان مالي قد أصبح قليلاً بعد ثراء، فذلك لأن مالي لا يتحمل سخائي

٧٧ الذم بالمدح

أيها الشاعرُ المُجيدُ تدبّر واجعل القول منك ذا تحكيم
لا تذمّ اللئيم، واندخ كريماً إن مدح الكريم ذمّ اللئيم

٧٨ القامة المقوسة

حتى الشيبُ عُودي، فاستقامت رويتي ولولا انحناء القوس ما صرّد السهم
حتى العمر قامتي، فاستقامت رويتي (حكمتي)، وكذا القوس فإنها محنية ولذا فالسهم الذي ينطلق
عنها يصرد (يصيب)

٧٩ رب السيف والقلم

ولو كان للإنسان علمٌ يذّله على خافيات الغيب ما كان يندّم
لو علم الإنسان الغيب لما ندم على شيء، إذ سيعرف أن كل شيء مقدر محتوم

كَتَمْتُ الْهَوَى خَوْفَ الْوُشَاةِ، فَلَمْ يَزَلْ بَيِّ الدَّمْعِ حَتَّى بَانَ مَا كُنْتُ أَكْتُمُ

كتمت حبي خوفاً من الوشاة، وظل دمعي يسيل حتى ظهر ما أكتم

وَيَضْحَبُنِي فِي كُلِّ رَوْعٍ ثَلَاثَةٌ: حَسَامٌ، وَطَرَفٌ أَعْوَجِيٌّ، وَلَهْذَمٌ

بصحبني في الروع (الحرب) سيف، وطرف أعوجي (حصان أصيل) ولهزم (رمح)

وَيَنْصُرُنِي فِي كُلِّ جَمْعٍ ثَلَاثَةٌ: لِسَانٌ، وَبُرْهَانٌ، وَرَأْيٌ مُحْكَمٌ

ينصرني في المجالس لساني، وما عندي من براهين على ما أقول، ورأيي الصائب

فَلَا تَحْتَقِرْ فَضْلَ الْكَلَامِ، فَإِنَّهُ مِنْ الْقَوْلِ مَا يَبْنِي الْمَعَالِي وَيَهْدِمُ

لا تحتقر أهمية الكلام، فمنه ما يصنع للمرء المعالي (الأمجاد)، ومنه ما يسقط صاحبه ويفضحه

فَمَا كُلُّ مَنْ حَاكَ الْقِصَائِدَ شَاعِرٌ وَلَا كُلُّ مَنْ قَالَ النَّسِيبَ مُتَمِّمٌ

فإن يك عصر القول ولي، فإنني بفضلي، وإن كنت الأخير، مُقدِّمٌ

لئن ولي عصر الفصاحة فإنني مقدم متميز وإن جئت في هذا الزمن المتأخر

٨٠ بين يوسف وكافور

وَمَا مِصْرُ، عُمُرُ الدَّهْرِ، إِلَّا غَنِيْمَةٌ لِمَنْ حَلَّ مَغْنَاهَا، وَنَهَبُ مُقَسَّمٌ

مصر، طول عمرها، غنيمة لمن ينزل في مغناها (جنانها) ومنهوبة مقسمة بين الفاتحين

تَدَاوَلَهَا الْمُلُوكُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَنَالَ بِهَا حَظًّا فَصِيحٌ وَأَعْجَمٌ

تداولها الملوك، ونال بها الغنى الفصيح والعجمي. فالعرب الفصحاء نالوا بها حظوة عندما فتحوها،

وفي زمن البارودي كان للإيطاليين واليونانيين والفرنسيين ثم الإنجليز مكانة، واغتنوا بمصر

فَمَا أَهْلُهَا إِلَّا عَبِيدٌ لِمَنْ سَطَا وَلَا رَيْعُهَا إِلَّا لِمَنْ شَاءَ مَغْنَمٌ

سطا: استبد

عَدَاذُكَ فِي سِلْكِ الْبَرِيَّةِ خِزْيَةٌ وَدَعَاؤُكَ حَقَّ الْمُلِكِ أَذْهَى وَأَعْظَمُ

أن نعدك في سلك البشر شيء مخزٍ، وادعائك الملك أذهى، وينطبق هذا القول على الخديوي

توفيق الذي شايع الإنجليز

لَقَدْ هَانَتِ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ عِنْدَمَا رَأَوْكَ بِهَا فِي مُلْكِ «يُوسُفَ» تَحْكُمُ

الدنيا هان شأنها على الناس عندما رأوك تحكم مصر التي حكمها ذات يوم النبي يوسف

فَإِنْ تَكْ أَوْلَتْكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا فَقَدْ حَازَهَا مِنْ قَبْلُ عَبْدٌ مُزَنَّمٌ
إِنْ كُنْتَ تَوَلَّيْتَ أَمْرَ مِصْرَ، فَقَدْ تَوَلَّاهَا قَبْلَكَ عَبْدٌ مُزَنَّمٌ (دعي منسوب إلى غير أبيه)، يقصد كافوراً
الإخشيدي الذي هجاه المتنبي

٨١ الداء القديم

أَعِذْ عَلَيَّ السَّمْعِ ذِكْرَ الْبَانَ وَالْعَلَمِ وَاعِذْ شَايِبَ دَمْعِي إِنْ جَرَتْ يَدِي
كرر على مسامعي ذكر البان والعلم (مكانين في الحجاز)، واعذني على شاييب (زخات) دمعِي إِنْ
جَرَى مَعَهَا الدَّمُ لَشِدَّةِ الْبُكَاءِ

وَكَيْفَ أُنْسَى دِيَاراً قَدْ نَشَأْتُ بِهَا فِي مَنِيَةِ الْعِزِّ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ؟
يتذكر الآن مكان نشأته بمصر في بيئة العز وحوله الأهل والحشم (الخدم)

وَدَعْتُ شَطَرَ حَيَاتِي يَوْمَ فُرْقَتِهِمْ وَصَافَحْتَنِي يَدُ الْأَحْزَانِ وَالْهَرَمِ
ودعت شطر (نصف) حياتي عندما فارقتهم، وجاءني الحزن وهجمت علي الشيخوخة

تَغَيَّرَ النَّاسُ عَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ وَاسْتَحْكَمَ الْعَذْرُ فِي السَّادَاتِ وَالْحَشَمِ
وظَلَّ أَعْدَلُ مَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ رَجُلٍ أَغْدَى عَلَى الْخَلْقِ مِنْ ذُنْبٍ عَلَى غَنَمٍ
أعدل الناس صار أكثر اعتداءً من الذئب على الغنم

لَمْ أَذِرْ هَلْ نَبَعْتُ فِي الْأَرْضِ نَابِعَةً أَمْ هَذِهِ شَيْمَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْقِدَمِ؟
هل انبثقت طفرة من الطفرات فصار الأمر كذلك، أم أن هذه شيمة الدنيا منذ القدم؟

٨٢ تفرَّد

كَلَّمَا قُلْتُ قَدْ أَصَبْتُ خَلِيلاً أَضْحَكْتَنِي مِنْ غَدْرِهِ الْأَيَّامِ
أصبت خليلاً: عثر على صديق

فَتَفَرَّدَ تَعِشْ بِنَفْسِكَ حُرّاً رُبَّ فَرْدٍ يَخْشَاهُ جَيْشٌ لِهَامٍ
عش وحيداً حراً، فرب فرد يخشاه الجيش اللهام (الكبير)

٨٣ وداع الوطن

وقال يذكر وداعه للوطن، (كان ذلك في ديسمبر/ كانون الأول ١٨٨٢)، إذ احتل الإنجليز
مصر، ونفوا البارودي وعرابي وخمسة آخرين من قادة الثورة إلى جزيرة سيلان التي كانت
مستعمرة بريطانية):

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبَقْتُ عَيُونَ الْمَهَا مَنِّي فَشَيْتُ، وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ سِنِّي
محا الفراق ذلك القليل الذي أبقته عيون المها مني، فداهمني الشيب قبل أن أقضي اللبانة (الحاجة) من شبابي

فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الدِّيارَ فَلِيْ بِهَا فَوادُ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ الْمَها مِنيْ

لئن فارقت البلاد فلي بها قلب ضيعته مني عيون المها

فهل مِنْ فِتْيٍ في الدَّهرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا؟ فليس كِلانا عَنْ أَخِيهِ بِمُسْتَعْنٍ

فهل أجد من يجمعني بقلبي؟ فلا غنى لي عنه، ولا غنى له عني

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلوَداعِ، وَأَسْبَلْتُ مدامعنا فوقَ التَّرائِبِ كالمُزْنِ..

لما وقفنا لتوداع، وأسبلت دموعنا (نزلت) فوق الترائب (أعلى الصدر) كالمزن (السحاب)

أَهْبْتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعودَ فَعَزَّنِي وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَثوبَ فَلَمْ يُعِنْ

طلبت من صبري أن يعود فعزني (قوي علي وأبي)، وناديت حلمي (عقلي) أن يثوب (يعود) فلم يغن ندائي شيئاً

وَلَمْ تَمْضِ إِلَّا خَظَرَةً ثُمَّ أَقْلَعْتُ بِنَا عَنْ شُطُوطِ الْحَيِّ أَجْنَحَةَ السُّفْنِ

وما هي إلا خطرة (برهة) حتى أقلعت بنا السفن ناشرة أجنحتها (أشرعتها)

وَلَوْلَا بُنَيَّاتٌ وَشَيْبٌ عَوَاطِلٌ لَمَّا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى قَائِتِ سِنِّي

لولا بناتي الصغيرات، والنساء الكبيرات العواطل (غير المتزينات) من الأهل لما قرعت نفسي السن (لما ندمت) على ما فات من أمر

وَمَنْ شَاغَبَ الْأَيَّامَ لَانَ مَرِيرُهُ وَأَسْلَمَهُ طَوْلُ الْمِرَاسِ إِلَى الوَهْنِ

من عاند الأيام لان مريره (قوته)، وأسلمه (أدى به) طول المراس (المعافاة ومزاولة المخاطر) إلى الضعف

٨٤ واطول شوقي

وقال وهو بسرنديب:

وَاطُولُ شَوْقِي إِلَيْكَ يَا وَطَنُ! وَإِنْ عَرَّتْنِي بِحَبِّكَ الْمِحَنُ

عرتني: اعترتني

لَسْتُ أَبَالِي، وَقَدْ سَلِمْتَ عَلَى الدَّيِّ هُرِّ، إِذَا مَا أَصَابَنِي الْحَزَنُ

إن سلم الوطن فلست أبالي ما أصابني من حزن

٨٥ المكتفي بعقله

رَضِيتُ مِنَ الْهَوَى بِنُحُولِ جِسْمِي وَمِنْ صِلَةِ الْبَخِيلَةِ بِالْأَمَانِي

ولست بطالِبٍ في الناسِ خِلاً يُنَاصِحُنِي، فَعَقَلِي قد كَفَانِي

٨٦ ليلة أنس

لَاعَبَ الشُّكْرُ قَدَّهُ فَتَثْنَى ودعاهُ فَرَطُ السُّرُورِ فَعَنَى

سكر المحبوب فأخذ يميل بقده ويتثنى، ومن فرط سروره أخذ يغني

رَشَأُ تَعْبُدُ النَّوَاطِرُ مِنْهُ وَاحِداً في الجَمَالِ ليس يُثْنَى

رشأ (غزال) تعبد النواظر (العيون) إذ تنظر إليه الواحد الذي لا ثاني له، يقول الناس سبحان الله الخالق عندما يرون مثل هذا الجمال

أَنْبَتَ الْحُسْنُ فَوْقَ حَدِيثِهِ وَرَدًا ليس إِلَّا بِغَمْزَةِ اللَّحْظِ يُجْنَى

الحسن جعل في خديه ورداً هو الاحمرار، ونقطف هذا الورد بنظراتنا

لَمْ يَزَلْ يَرْضَعُ السُّلَافَةَ حَتَّى غَابَ عَنَّا كَأَنَّهُ ليس مِنَّا

شرب المحبوب كثيراً من السلافة (الخمير) حتى غاب عن الوعي

٨٧ حبيب افتراضي

يَا ذُكْرَةً أَبْصَرْتُ فِي مِرَاتِيهَا صُورَ التَّمَنِّي

يا ذكورة (خاطرة) رأيت فيها صورة من صور التمني

خَطَرْتُ عَلَيَّ فَنَفَّرْتُ طَيْرَ الْكَرَى مِنْ وَكْرِ جَفْنِي

خطرت لي، فنفرت طير الكرى (أبعدت النوم) من وكر جفني

عَلِقْتُ حِبَالَهُ خَاطِرِي مِنْهَا بِمَكْحُولٍ أَعْنُ

حباله خاطري (مصيدة ذهن) أمسكت هذا الغزال المكحول الأغن (الأكحل العينين ذا الصوت الذي فيه غنة)

كَانَتْ مِثْلًا خَطَّهْ بِمَخِيلَتِي نَقَّاشُ ذَهْنِي

كانت هذه الخاطرة كالمثال (الصورة) التي رسمها ذهني فكانه نقاش يرسم بإزميله على الحجر رسماً

هِيَ لُفْيَةٌ وَهْمِيَّةٌ سَمَحَتْ بِهَا خَطَرَاتُ ظَنِّي

هذا لقاء وهمي، من بنات الظنون

٨٨ نصحت قومي

نصحتُ قومي وقلتُ الحربُ مَفْجَعَةٌ وربما تَاحَ أمرٌ غيرُ مَظنونِ
قلتُ لقومي: الحربُ تأتي بالفِواجعِ، وقد يأتي أمرٌ لم يخطر بالبالِ
فخَالَفوني، وشَبَّوها مُكَابِرَةً وكان أَوْلَى بِقومي لو أَطاعوني
خالفوني وأشعلوا نار الحرب مكابرة وعناداً، وكان أولى بهم لو أطاعوني
تأتي الأمورُ على ما ليس في خَلْدٍ ويُخَطِئُ الظنُّ في بعضِ الأحيانِ
الأمور تأتي بما ليس في خلد (عقل) والظن يخطئ أحياناً

٨٩ علّمت الحمام الأغانيا

وما لي ذنبٌ عندهم، غيرَ أنني شَدَوْتُ فَعَلَّمْتُ الحمامَ الأغانيا
وهل يكتمُ المرءُ الهوى وهو شاعرٌ ويُنْثني على أعقابِهِنَّ القوافيا
الشاعر لا يكتم الهوى، ولا يرد القوافي على أعقابها ولا يرفضها

فيا نَسَمَاتِ الفَجْرِ مَا لَكَ كَلَمًا تَنَسَّمْتَ أَضْرَمْتَ الهوى في فؤاديا
ويا رَوْضَةَ المِقْيَاسِ جَادَكَ سَلْسَلٌ مِنَ النِيلِ يَدْعُو لِلْحَنِينِ السَّوَابيا
أيتها الروضة جادك سلسل من مياه النيل يجعل السواقي تدور وتصدر صوتاً كحنين الإبل. وفي جزيرة الروضة هذه مقياس يقيس ارتفاع النيل

هِيَ الوطنُ المألوفُ والنفْسُ صَبَّةٌ بِمَنْزِلِهَا الأَذْنَى، وإن كان نائِيا
هذا وطني الذي ألفته، والنفس صبة (مغمومة) بمنزلها القريب إلى القلب حتى وإن كان بعيد المسافة
فلا حَبَّذَا الدنِيا إذا هِيَ أَذْبَرَتْ وإن أَقْبَلَتْ يَوْمًا فيا حَبَّذَا هِيا
الدنيا رديئة عندما تدبر عن المرء وتولييه ظهرها، وما أجملها عندما تقبل

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

١٧	مُدْلَجِ	١	سَوَاءِ
٢٠	فَسَحِ	٥	عِيَاءِ
١٩	نَصَحِ	٣	سَمَاءِ
١٨	رَجَحَتْ	٤	سَمَاءِ
٣١	الْعِدَا	٢	أَثْنَائِهِ
٢٤	الْأَسْدُ	١٣	وَانْتَصَبَا
٣٢	دُدُ	١٢	الْحَرْبُ
٢٦	الْأَجْوَادِ	١١	عَرَبُ
٣٣	الْحَسَدِ	٦	وَيُعْجَبُ
٣٤	الْعِبَادِ	١٥	أَبِي
٢٧	بِفَوَادِي	٧	التَّجْرِبِ
٢٨	بِيَدِي	١٤	الْحُبِّ
٣٠	سُهْدِي	٩	الشَّبَابِ
٢٣	عَهْدِ	١٠	بِذَاهِبِ
٢٢	عَدِ	٨	مَا بِي
٢٩	وَأَيْعَادِ	١٦	بَيَّتِ

٦٠	أَخْلَقُ	٢٥	بَرِيْدُهُ
٥٨	الْأَصَادِقُ	٢١	زَنْدُهُ
٦١	لَأَحْمَقِ	٣٨	صَابِرُ
٥٧	الْبَاقِي	٣٧	يَسِيرُ
٦٢	الْعَلَاتِقِ	٤١	أَصْبِرِ
٥٦	لَقِي	٣٦	صَخْرِ
٥٩	وَضِيقِ	٤٤	عَمْرُو
٦٧	صَغْلُ	٤٦	وَتَغْيِيرِ
٦٤	فَلَائِلُ	٣٩	وَطَرِ
٦٣	الْقُلَلِ	٤٣	وَعَرِ
٦٥	وَتَخْيِيلِ	٣٥	وَحَرِ
٦٦	شَمَائِلُهُ	٤٥	الْآخِرَةُ
٧٣	الْعَلَقَمَا	٤٠	مُنْتَظَرَةُ
٨٢	الْأَيَّامُ	٤٢	وَسُمْرَةُ
٧٨	السَّهْمُ	٤٧	مُخْلِصًا
٦٨	سَلَامُ	٤٨	لَعَطُ
٨٠	مُقَسَّمُ	٥٠	مَوْضِعُ
٧٥	مَلَامُ	٤٩	وَالْفَجَائِعُ
٧٩	يَنْدَمُ	٥١	وَمَسْمُوعُ
٦٩	السَّوَائِمِ	٥٢	بَاعِي
٧٦	الشَّيْمِ	٥٤	التَّرَفُ
٨١	يَدِمُ	٥٥	تَجِفُّ
٧٧	تَحْكِيمِ	٥٣	وَأَكْتَفِي

٨٤	المِحْنُ	٧٤	تُعَلِّمِ
٨٥	يَا أَمَانِي	٧٢	كَهَامِ
٨٣	سِنِّي	٧٠	الْأَنَامِ
٨٨	مَظْنُونِ	٧١	لِحُكْمِهِ
٨٩	الْأَغَانِيَا	٨٦	فَقَعْنِي
		٨٧	الْتَمَنِّي

جميل صدقي الزهاوي

(١٨٦٣م - ١٩٣٦م)

يذهب الرجل للتعزية. وما يكاد يسخن تحته الكرسي حتى يتنحى ويسأل ابن الفقيد أو أخاه هامساً: كيف مات؟ أبجلطة على قلبه، أم ببيلة شقت رأسه؟

وما لك ولهذا السؤال البارد يا ثقل!

وهبك تريث بعد أن تنحنت، ولم تشعر بعد أنك استجمعت ما يكفي من الشجاعة كي تسأل سؤالك. لا بأس عليك! لا تستجمع شجاعتك يا أخي، لا لزوم لذلك. فذوو الفقيد سيصدعون رأسك بوصف الميتة كيف ميتت، وبالميت كيف لفظ آخر أنفاسه. ولن تجدهم يذرفون دموعاً وهم يقصون القصة بأدق التفاصيل، لا بل سيتدفقون في الحديث بحماسة وشهوة حكي عجيبتين.

وكيف مات جميل صدقي الزهاوي؟ وقع وهو يمشي داخل بيته وتفتت عظم في قدمه، فلزم سريره. ومات.

فكيف إذن عاش؟

كل الكتب والمقالات تعدد لك وظائفه ومناصبه كأنها تكتب سيرة وظيفية لإرفاقها بطلب عمل. الزهاوي أكبر من وظائفه ومناصبه.

لا أكتفك أنني أذكر وظائفه ومناصبه في بعض ما أكتب وبعض ما أقول. وقد تراني أفعل ما يفعله صغار النفوس من دسّ عبارة في أثناء كلامي تُشعر بأنني توليت ذات يوم الوظيفة الفلانية أو الفلانية. هذا بعض ما في طباعي من لؤم. وإنما أفعل ذلك كي أدرك عن نفسي تهمة كان ينبغي أن أشرف بها: تهمة أنني فاشل في المناصب.

لا، لا، لست فاشلاً فقد كنت ذات يوم كذا أو كذا. سبحان من خلقتني!
لا شيء أجلب للشرف على الكاتب من أن يكون فاشلاً في سباق
الجرذان، هذا السباق على المناصب.

على أنني، ككل الناس، أريد أن أبدؤ ناجحاً اجتماعياً ووظيفياً. لكنني ما
سمعت بكاتب أو أديب ذي مناصب إلا وهو مخفق في أدبه بقدر نجاحه في
مناصبه. وعندما تدبرت حياة الشاعر ابن المعتز، الذي تولى الخلافة يوماً وليلة
ثم قتل، قلت في نفسي: هكذا ينبغي للأمر أن يكون.

لن أذكر لك مناصب الزهاوي. لكنني سأقول لك إنه كان يعيش في بيت
مريح بناه هو بماله في بغداد مع زوجته «زكية» التي تصغره كثيراً. ولم ينجبا،
غير أنه كان عنده كلب أسود وحمارة بيضاء يتنقل بها بين مقاهي بغداد.

وقد تعجّب بعض الأدباء من رفائيل بُطي كيف يعتني في كتابه عن تاريخ
الأدب المعاصر في العراق بذكر كلب الزهاوي وبذكر اسمه، واسمه بالمناسبة
«ولك»، وأما اسم الحمارة فهو من غوامض الأمور التي تحتاج إلى دفتر من
هذه الدفاتر التي يسمونها رسائل دكتوراه لتحقيقها.

أحذرك من أن ما ستقرأه من شعر الزهاوي مزعج. فالزهاوي متمرّد على
المعتقدات حد الجحد. وهو علماني، وإن لم يكن ملحداً ولا عديمياً.. قد كان
صاحبنا يؤمن بالإنسان. لكنه سيزعج كثيرين الآن مثلما أزعج كثيرين في حياته.
يكفي أن ابن أخيه الفقيه الدّين رفض أن يشيع جنازته.

عاش الزهاوي مع زوجة أحبته وخدمته، وكان لها محباً مخلصاً. وكان
على بعض اليسار، (ربما بسبب الوظائف والمناصب، لا حول ولا قوة إلا
بالله.. وهل تريده أن يعيش سائلاً أمام باب المسجد؟)

هذا رجل عتيق.. ولد والعراق عثمانية جداً. ولد عام ١٨٦٣، بحسب
المتواتر، أو قبلها بعشرة أعوام إن صدّقنا إبراهيم عبد القادر المازني وأحمد
حسن الزيات. وانتزعه أبوه، وحده من بين إخوته، وأعاشه في بيته. يبدو أن
أمه كانت تعيش وأولادها في بيت آخر. لعل والده رأى فيه نبوغاً باكراً. وأبوه
رجل فقه وعلم وفنيا، ورجل شعر أيضاً، وكان يتقن الفارسية وينظم بها علاوة
على نظمته بالعربية.

كان أبوه يعطيه درهماً على كل بيت يستقيم له نظمته بغض النظر عن معناه.

ذلك بالعربية. ونشأ الزهاوي على اللغة العربية. لكنه تعلم الفارسية والتركية حدثاً، وأجادهما إجادة بلغت أن كان ينظم بالفارسية، وينشد بها شعره، وأن كان يكتب في الصحف التركية ويترجم القوانين من التركية إلى العربية، ويتولى التدريس في معاهد إستانبول العليا. وقيل إنه عرف الكردية، وبعض الفرنسية.

آن أن نقول لك إنه كردي. قال إبراهيم الدروبي صاحب كتاب «البغداديون في أخبارهم ومجالسهم» إن أصل العشيرة من مخزوم القرشية، غير أن العائلة أخذت اسمها من «زهاو» التي عاش بها الأجداد، وهي اليوم في إيران. وقيل إنه من أصل كردي.

لا تلمس في كل شعر الزهاوي وحياته شيئاً من كرديته. فهو قد نشأ في حضن أبيه الفقيه المفتي على حب اللغة العربية، ونشأ عربياً.

الزهاوي فحل من فحول البيان العربي. انظر في الصفحات السبع التي كتبها تقديماً لديوانه المطبوع بمصر، عام ١٩٢٤، وسترى قلماً بديعاً. وأنظر في شعره وسترى الرجل يعرف العربية معرفة عميقة. ولا تغتر بهذه البساطة في شعره، ولا بأسلوبه المعاصر والمباشر، هذا كله وليد فكره المعاصر والمتمرد على القديم.

أشبه الزهاوي بابن الرومي في هذه، وأشبهه به في كثير غيرها. فهو بغدادى جداً، وابن الرومي لم يكذب ببحر بغداد طول عمره. والزهاوي يبلغ به تطلّب المعنى أن يسترسل في «نثرية» يتملّل منها الشعر ويكاد يأبأها، والزهاوي يطيل جداً ويكرر المعنى نفسه باللفظ نفسه في القصيدة بعد القصيدة، والزهاوي كان مضطرب الأعصاب مصاباً في نخاعه الشوكي منذ سن الخامسة والعشرين، وكان نحيلاً شديد النحول. وهذه كلها كانت في ابن الرومي. وكان الشاعران كلاهما متمردين، وكانا على معرفة عميقة بالعربية يسترها الأسلوب السهل. على أن ابن الرومي، المعتزلي المتمرد الرافض، كان يثوب إلى الإيمان بين الحين والحين فيقول أشياء تشعرنا بإيمانه الديني العميق، ولكن الزهاوي كان في هذه شبيهاً بالمعري.

يقول الزهاوي الأبيات الكثيرة في الجحد ثم يدس بيتاً يتقي به تهمة الإلحاد. وقد يلقي قصيدة في احتفال المولد النبوي فتأتي باردة.

عاش الزهاوي في بغداد، وقضى فترات تطول وتقصّر في إستانبول،

وأزعج عن بغداد، أي هجَّ منها وطفش، فرحل إلى الشام فيبيروت وزار مصر
وتعرف على أدبائها وعلمائها. وقابل يعقوب صروف.

كانت صحيفة «المقتطف»، التي أسسها يعقوب صروف ثم حررها خمسين
سنة، معلماً درس الزهاوي على يديه العلم والفكر. كان والده يحتفظ بمجلدات
من هذه المجلة، والتهمها الزهاوي يافعاً. وكانت المقتطف مدرسة تقدم العلم
والأدب. وعلى هذه الصحيفة - التي بدأت في بيروت ثم انتقلت إلى مصر -
نشأ خلق من كبار الأدباء والعلماء. منها ومن الكتب التركية المترجمة عن
اللغات الأوروبية استقى الزهاوي العلم.

طريف أن ترى الزهاوي والعقاد يتناقشان عبر الصحف في نظرية آينشتاين
عن الضوء والكون المحدث وطبيعة الجاذبية. ولعل العقاد كان أحسن اطلاعاً
على الكتب الأوروبية لأنه كان يقرأها مباشرة بالإنجليزية، غير أن الزهاوي كان
أثقب ذهناً.

كان الزهاوي من الأدباء الذين اشتھوا أن يكونوا علماء طبيعيين. مثله في
ذلك مثل غوته الألماني الذي حبر مئات الصفحات في العلم المحض، وأصاب
وأخطأ، وظل مجرد أديب يرفض تحويل أمور العلم إلى «الجهات المختصة».
مثل غوته كتب الزهاوي في العلم كتباً، ونشرها. وما بقي لها من القيمة هو
أنها تنبئ عن ذهن منفتح وتوق شديد إلى العلم.

غير أن ما تعلمه الزهاوي من المقتطف، ومن الكتب التركية المترجمة عن
أصول أوروبية، كان ثميناً. كان الأساس في فلسفة الرجل. وللزهاوي فلسفة
حقيقية: هو مادي يرى الحياة مجرد تعبير عن التركيب المعقد للمادة، فالجماد
مادة دنيئة بسيطة التركيب، والحي معقد التركيب بدرجات بين حيوان وحيد الخلية
وإنسان فيه ما بين ٣٧ تريليون خلية (دراسة من الدراسات لشخص وزنه ٧٠ كغم)،
و٧٢٤ تريليون خلية (دراسة أخرى). والروح هي الحياة، هي تعبير عن هذا
التعقيد في التركيب. وعليه فإذا فني الجسم، أي تفكك التركيب، فالروح تفتى.

ولأن الروح من أمر ربي فلا نمعنُ في مناقشة الزهاوي، ونظل نطالب
العلماء بتخليق خلية حية في المختبر - وهو أمر حاولوه مراراً منذ خمسينات
القرن العشرين، ومنتهى ما توصلوا إليه أن اشتقوا حياة من حياة عن طريق
الاستنساخ - قبل أن نحملهم على محمل الجد. الاستنساخ شيء وتخليق الحياة
شيء آخر.

وقد عالج الزهاوي المقولة الإلهية معالجة عابثة جرّت عليه كثيراً من العنت، وألجأته مرةً إلى التزام بيته أياماً خوفاً على نفسه من «الاغتيال» على يد العامة ببغداد. والعامة اليوم تغتال الزهاوي على صفحات الإنترنت. لا تراهم يصفونه إلا بالكلب، أو لعل أحدهم وصفه بهذه الكلمة ثم بيّنها الناس من بعده، فالإنترنت حديقة حيوان يكثر فيها على وجه الخصوص طائر البيغاء.

عرف الزهاوي أنه كان في القديم آلهة، وعرف أنهم في القديم وحّدوها في إله. ولو كان حسن الإيمان بالدين لما أتعّب نفسه وأزعج القوم بعشرات الأبيات التي يرواح فيها بين الجد والهزل متناولاً قضية أصل الكون وخالق الكون.

ونحن لسنا ممن أزعجهم الزهاوي، بل نقول: ليقبل ما شاء كيفما شاء. إيماننا بحرية الفكر وحرية الجهر به فوق أن نزعج من أي رأي.

كان يجلس في مقاهي بغداد، وكان يجلس إليه بعض مريديه. ولا يندر أن يتلاسن بأبيات الهجاء مع رضا الطالбاني، وبأبيات المديح مع معروف الرصافي. ومن عجب أنه كان للطالباني صديقاً، وللرصافي خصماً. فكان بين شاعري العراق الكبيرين منافسة شديدة ثور فتصبح خصومة، فتعقبها مصالحة ينشد فيها كل منهما أبياتاً في تقرّظ صاحبه.

في إستانبول مدح الزهاوي السلطان عبد الحميد ثم هجا الاستبداد، ثم سجن سجنَةً صغيرة، ثم رحّلوه إلى بغداد. كانت الأمور في تلك الحقبة، في أواخر القرن التاسع عشر، مختلفة عما عهدناه بعدها، حتى إنه ليصعب عليّ تخيّل أن العراق وسوريا ولبنان.. الخ، لم تكن سوى قطعة من الدولة العثمانية.

وعندما انقلب ضباط الاتحاد والترقي على السلطان ثم خلعه رحب الزهاوي بالخطوة وبالدستور الجديد. ثم بدأ يشعر بتوجه الحكام الجدد إلى مزيد من التتريك. ولئن كان شاعرنا يحسن من الثقافة التركية ما يحسنه أهلها فإنه كان عربياً منزوعاً في تراب اللغة العربية. وهبه كان تركي الهوى، أفلا يعني التتريك أن حكام إستانبول قد جعلوا هذا المشترك في درجة ثانية بعد درجة التركي الأصل؟

مع تفكك الدولة العثمانية في أخريات الحرب العالمية الأولى انقلب

الزهاوي عليها، فأصبح أكثر عروبية، ومالاً للإنجليز الذين احتلوا العراق بعد الحرب، وتقرب من فيصل بن الحسين الذي عينوه ملكاً.

لكنه ظل يشكو من أنه لم يعين في وظيفة كبيرة.

وظل الزهاوي ينظم. برغم قلمه الثري الجميل فإن الزهاوي عاش للشعر، وأدمن النظم. عندما أصدر ديواناً له في مصر باسم «ديوان الزهاوي»، عام ١٩٢٤ في ٤٤٣ صفحة، قال إن الديوان يضم أقل من الثلث وأكثر من الربع من شعره. وقد ترجم ما صح له من رباعيات الخيام نثراً وشعراً، مثبِتاً الأصل الفارسي فوق الترجمتين لكل رباعية. وطبع دواوين أخرى وكتباً في العلم، قد لا تريد أن تعد كتابه عن لعبة «الدامة» أحدها.

في الزهاوي خفة تجدها في شعره مختلطة بغير قليل من التذمر. يصطاد قوافيه بمهارة، وقد تتحكم فيه الفكرة فيلقي بالقوافي على عواهنها، ولكنه في كل ذلك محافظ على العربية القويمة السليمة المتينة، لا غرو فقد حفظ جزء عم من القرآن طفلاً لم يتعلم النطق سوى أول أمس.

نقلوا عنه كثيراً قوله إنه كان يسمى «المجنون» في طفولته لحركاته غير المألوفة، و«الطائش» في شبابه لنزوعه إلى الطرب، و«الجريء» في كهولته لمقاومته الاستبداد، و«الزنديق» في شيخوخته لمجاهرته بآرائه الفلسفية. كان كذلك.

إن كنت ممن يقرأون الشعر بآذانهم، ويحسون بوزنه - وهذا ما ينبغي للشعر، وإلا كان الشعر كطبخة صاحبنا الذي وجد امرأته تلف أوراق العنب ورقة بعد ورقة على حشوة من الأرز واللحم وتقضي في ذلك بياض يومها، فجاءها باختراع جديد: فتت أوراق العنب تفتيتاً وجعلها في القدر مع الأرز واللحم وصب على ذلك الخليط ماء وطبخه، فكانت طبخته بدعة منكرة، ونال من زوجته المثل المعروف: العين هي اللي تأكل، وهنا نقول: الأذن هي التي تأكل الشعر. فعندما تقرأه بعينك وحدها غير حاسٍ بما فيه من إيقاع يفوتك شيء هو الفارق بين الشعر والنثر - إن كنت ممن يحسون بالوزن فسوف تجد في الزهاوي ما يزعجك، بخلاف آرائه الخارجة عن المألوف إن كنت من أهل المألوف.

الزهاوي يحب البحر الخفيف. وكأنه لم يكتف بما في هذا البحر من علة

وقوع الكلمة بين الشطرين، وهي علة ظاهرة في الخفيف ظهوراً لا تراه في أي بحر آخر، فصاحبنا يُجلس كلماته فيما بين التفعيلات في داخل الشطر على هيئة غير مألوفة. وقد ظن العقاد - بعد إذ سمع الزهاوي ينشد - أن شاعرنا إنما تأثر بالطريقة الفارسية في الإنشاد. وليس لنا على قول العقاد تعليق، فلا نحن نعرف الفارسية ولا طريقة إنشادها، ولا ندري إن كان العقاد يعرف. وزاد العقاد فقال أشياء عن مستفعلن ومتفعلن، ونرى أن الأمر أهون من ذلك، فكل شعراء العربية ركبوا هذا الزحاف المستساغ كل الاستساغة، على أن شاعرنا كان لا يبالي أن يقطع الكلمة بين التفعيلة وجارتها في مكان غريب (فأنت إن قطعت بعد آل التعريف ساغ ذلك ولم يجلب تلك الضعضة التي تحدث عند تحطيم الكلمة من منتصفها).

لن أحدثك عن معارك الزهاوي الأدبية الكثيرة، فتفاصيلها موجودة في الكتب، ولكنني أطللت من خلالها على خصلة في شخصية الزهاوي، فهو كثير الامتداح لشعره عميق الإيمان بشاعريته، ينافح عن نفسه وعن آرائه وشعره ويمقت النقد مقتاً - كلنا ذلك الرجل - ويزيد صاحبنا فيجأ بالشكوى من النقد، وكثيرون منا يكرهون النقد لكنهم يسكتون تعالياً أو دهاء، فإهمال الناقد أسكت له من الرد عليه، ولا كذلك الزهاوي، فهو يرد على كل ناقد.

الزهاوي على نور أبيض

ذكرني بالزهاوي الليلة مصباحي الأثير ذو الضوء الأبيض، وهو مصباح لا يكاد ينفق شيئاً من الكهرباء، وإذا انقطعت الكهرباء فهو يبقى مشتعلاً ساعات، فإذا شئت وصلته بالحاسوب فيستمد قليل ما يحتاجه من طاقة من جوف الحاسوب، غير أنني أركبته قائم سريري ليلقي عليّ أشعته البيضاء من خلف كتفي فينير صفحة كتابي. أخذت في ساعات المساء أقرأ عن الزهاوي على نور مصباحي الأبيض - الواقع أن المصباح نفسه أبيض، لكنني أقصد أن نوره أبيض، وأنا عاشق للنور الأبيض من مصابيح النيون، ولا أرى ما يرى كثيرون من أن النور البرتقالي يعطيهم إحساساً بالدفء؛ ويتفوق مصباحي على مصابيح النيون، وهي اقتصادية، في أنه اقتصادي جداً حتى إنني لأخجل منه وهو يدوي بنوره ساعة بعد ساعة لا يكل ولا يمل فأكاد أخرج من جيبتي بعض الدراهم لأعوضه بها عما يبذله في خدمتي - ومرت ساعات المساء ودخلت في عمق الليل، وأشحت بوجهي عن كتبي، وعادت بي الذاكرة عقوداً.

قبل أربعين سنة، قد تنقص سنة لا أكثر، وقد تزيد سنة لا أكثر، اشترى لي أبي مصباح نيون للمنضدة. كان في متجر ورأى المصباح، وقال في نفسه: ما أجدر أن يكون هذا ذا نفع لولدي الذي يقرأ كثيراً. لم يكن والدي ﷺ يعرف ما سأصنع بالمصباح فور استقبالي الهدية الثمينة. كنت آنذاك في نحو العشرين من العمر، أصغر من ذلك بسنة لا أكثر، أو أكبر من ذلك بسنة لا أكثر.

نصبت المصباح على منضدة عالية سوداء بجانب سريري، واتفق أن كانت والدتي رحمها الله وسائر إخوتي مد الله في أعمارهم. . هل سأمضي هكذا في الحديث عن أفراد العائلة الكريمة؟ الحاصل. . أنهم كانوا جميعاً مسافرين. . ربما كانوا يحضرون مناسبة ما في بلد قريب. . لا أدري. كنت وحيداً في البيت مع أبي. مثلما كان الزهاوي ملازماً لأبيه الذي انتزعه من بين إخوته واختص نفسه بالطفل النابغ. على أن أبي لم يكن يقرأ عليّ ديوان المتنبي مثلما فعل والد الزهاوي بطفله، كان أبي صاحب مخيطة يروح إلى عمله صباحاً ويغدو إلى البيت عند العصر فيؤلف من بطن الثلاجة طبقاً تنغدى به. لكنه في تلك المدة رأى مني عجباً. . كان يصحو ومصباحي مشتعل وأنا تحته أقرأ، ويعود من عمله ومصباحي مطفاً لكنني أقرأ، ويهبط الظلام فيشتعل المصباح وأنا أقرأ، فإذا أيقظت أبي حاجة في قلب الليل رأى المصباح مشتعلاً ورآني أقرأ. مضت علي ست وثمانون ساعة وأنا أقرأ. كنت أنام ساعتني الثماني على الكتاب وأصحو عليه. وهذه الساعات تعد ثلاثة أيام ونصف يوم وساعتين، وبانقضائها عاد أهل البيت إلى البيت واعتدلت حياتي. وقعدت فور عودتهم أحسب كم مضى علي وأنا منشغل بقراءاتي، فمن هنا جاء الرقم الدقيق ٨٦. والشاهد في الموضوع أنني في تلك الأيام المضاءة بالأبيض كنت أقرأ الزهاوي وعن الزهاوي في كتب كانت تحفل بها المكتبة العامة في بلدنا نابلس بفلسطين.

تركت كتبني في ليلتي هذه التي أكتب لك فيها، وقلت في نفسي: أما اكتفيت من الزهاوي؟ أما أعدت قراءة شعره كله كي أنتخب منه أبياتاً، ثم شرحتها؟ لا، لم أكتف. قد عدت إلى الزهاوي وقرأت عنه في كتب أخرى يسرّها الإنترنت في صورة بي دي إف، ونبشت مواقع النت - وأنا أفعل ذلك عادة حتى أتجنب ترداد ما في النت من أشياء، فقد أصابتنني مواقع النت بعقدة لكثرة ما فيها من القص والوصف - ورأيت أننا بحاجة إلى كتاب سيرة حقيقي عن الزهاوي. وهذا يحيلني إلى استطراد جديد.

أولعت، بعد ذلك المصباح القديم بنحو عشر سنين، بكاتب إنجليزي هو سومرست موم، وقرأت معظم ما كتب في سنوات حياته الاثنتين والتسعين. إدمان. ولما صار الرجل شغلي الشاغل مضيت إلى الكتب التي كتبت عنه فقرأت منها اثنين، وقرأت له هو نفسه ثلاثة كتب تحدث فيها عن مهنته ككاتب. ثم؟ طبعاً نسيت كل شيء قرأته.

وبقي عالقاً في نفسي أن القوم يكتبون السيرة بحرفية عالية. وقرأت بعد ذلك حمل بعير من كتبهم التي تروي سير المشاهير. ثمة حرفة ههنا. أذكر كتاباً من ثلاثة أجزاء عن برنارد شو، بلغ فيه كاتبه مايكل هولرويد أن اندس في أدق تفاصيل حياة وفكر وإنتاج الرجل. كان برنارد شو يحب أن تصنع له شطيرته أمه لا الخادم، لأن أمه كانت تضع زبدة ومربى أكثر في الشطيرة. تلك طرفة أتت في سياقها، ومثلها مئات، لكن الكتاب ليس كتاب طرائف، هو كتاب منسوج نسجاً محكماً ومبحوث بحثاً لا أصفه إلا بأنه ذلك النوع من البحث الذي لم نعرفه نحن العرب حتى الآن.

وأسارع بالإقرار بأنني لست كاتب سيرة ولا باحثاً. أنا هنا، وهناك أيضاً وفي كل ما أكتب، امرؤ يسجل انطباعاته. فاعلم أنني لا أنتقد الآخرين لأنني صنعت ما لم يصنعوا، بل أنتقدهم لأنني أريد أن يصنعوا ما عجزت أنا عن صنعه، وما رأيت قوماً آخرين يصنعونه.

كتاب السير الأدبية الكبير الذي انحدر إلينا عبر العصور هو الأغاني للأصفهاني. وسيرة كل أديب داخل الأغاني هي مجموعة من الطرائف والخرافات، والروايات المتضاربة. قد كنا في ذلك العصر، قبل أكثر من ألف سنة مرت على تأليف الأغاني، متفوقين على غيرنا.

واليوم تغيرت الدنيا، وتوفرت المعلومات، وتيسرت أدوات البحث. ولكننا لم نقطع شوطاً بعيداً، وما زالت الكتب التي تترجم لأديب أو لسياسي بعيدة عن التجرد، قريبة من الخرافة. نحن في دائرة السيرة التمجيدية، فإن خرجنا منها فإلى دائرة سيرة اللعنات. فالمشهور عندنا إما قديس أو شيطان. وهناك شيء أسوأ: أن نكتب عن المشهور كتاباً مثل الماء لا لون ولا طعم له ولا رائحة، ولكنه لا يروي كالماء بل يهوم تهوياً في ثرثرة باردة. عند أهل الثقافة السكسونية من بريطانيا وأمريكا كثير من السير التمجيدية، ووجدت عندهم في القديم، قبل مئة سنة مثلاً، سيراً فيها الثرثرة والتهويم، لكن أدب

السيرة عندهم ظل في صعود، وأحسبهم فيه الآن رواداً في العالم.

فماذا يصنع الأكاديميون في جامعاتنا؟ هؤلاء قاعدون - أقعدوا - ينتظرون مستشرقاً يأتي ويكتب لهم كتاباً يسرقون مادته ويشوهونها ثم ينشرونها مشوهة، ثم.. يشتمون المستشرقين. رأيتهم بعيني يمشون في ممرات الأبنية الجامعية فيلتقي الواحد منهم بزميله الدكتور الآخر - وبالمناسبة فدكاتيرنا ينادون بعضهم بعضاً بيا دكتور - يقول له: يا دكتور. ويتلمظ ويتمطق. هو لا يريد أن يقول له شيئاً سوى يا دكتور، فيجيب الآخر: يا دكتور.

لست أتهمهم بالغباء، ولا والله لن تجدني في أي شيء أقوله أو أكتبه أتهم أحداً بالغباء، فكل إنسان لديه عقل، ولكن بعض خلق الله يملك من القحة أن يأخذ ثمن عقله ثم لا يستعمله، ويمد يده - شلّت - لأخذ مرتبه وهو لا يصنع شيئاً سوى تشغيل الطلبة في كتابة أبحاث ليست بالأبحاث، ويحسبها لجهله أبحاثاً فيسرقها ويضمنها كتاباً له يضيفه إلى قائمة الكتب التي يتغني بها نيل ترقية جامعية. يؤذيني الدكاتير التقليديون الذين يلوذون بالماضي ليأذ خائف من أسد مزير. ويؤذيني من بين هؤلاء التقليديين أكثر من هو نشط متبحر في علوم الأوائل. تراه يمشي كالطاووس، مستشهداً بألفية ابن مالك، أو متكئاً - مالت عليه - على نص لابن جني، أو كاتباً كتاباً ثقيلاً، في وزن نكبتنا بوجوده، عن خزعبلة تافهة أساسها رمل رجراج، لكنها - والله غالب - قد وردت في نص قديم.

وقد رأيت في الأشهر الأخيرة كتاباً من أربعة أجزاء لكاتب عباسي، قامت على نشره وزارة الثقافة في دولة نفطية. ذهبت الوزارة إلى بلد عربي آخر فيه رمل، ولكن لا يوجد تحت رمله سوى مزيد من الرمل، ووظفت لتحقيق الكتاب خمسة من الرجال. وطبعوا الكتاب مرة ثم صدرت بعد تسع عشرة سنة طبعة ثانية، وهذه الطبعة الثانية وقعت، ووقع محققوها، في يدي.

خمس من الدكاتير أصروا على وضع كلمة «الدكتور» كاملة قبل اسم كل منهم، غير قانعين بحرف الدال. ثم إذا التحقيق - وفي طبعته الثانية، وبعد طول المهلة - مشحون بالأخطاء، وبالحواشي القلقة، وبالفهارس غير النافعة. أحسب هذه الدراهم التي أهدرتها في ذلك الكتاب. ليس أنه يخلو من كل فائدة، فالمرء يستطيع أن يعثر في صفحاته على معلومة مفيدة هنا وهناك، لكن ثمة فرقاً بين أن تمشي واثقاً في ردهات كتاب حققه محقق أمين، وأن تمشي خائفاً متحسباً في ممرات مظلمة داخل كتاب مملوء بالأغلاط وبإساءة الفهم.

بعد هذه الوصلة المعتادة في قده الأكاديميين لا بد من عودة إلى جميل
صدقي الزهاوي.

هذا رجل داعية: يدعو إلى السفور، ويدعو إلى العلم، ويدعو إلى نظرية
داروين. وهو ابن عصر بدأت تنفتح فيه لنا طاقة صغيرة على الغرب فملأت
الدهشة نفوسنا.

ما زلنا في هذا العصر.

١ أبيات فرائد

وما زلتُ في جَوْ مِنْ الفكرِ طائراً ومن عادتي أَلَا أَطِيرَ مَعَ السَّرْبِ

* * *

إنني إِنْ حَمِدْتُ رَبِّي عَلَى مَا أَتَشَكَّى مِنْهُ أَكْذَبُ نَفْسِي

* * *

يحيا الجمادُ إذا الشروطُ تَوَفَّرَتْ والحيُّ إِنْ فَقَدَ الشروطَ جَمَادُ
الحياة لا تكون بوجود روح، بل بتوفر «الشروط»

* * *

ذهبَ الشبابُ وَأَنْتَ بَعْدَ ذَهَابِهِ مُتَمَسِّكٌ بِالْعَيْشِ مِنْ أَذْنَابِهِ

* * *

وليسَ بِعَقْلِ المَرءِ يَكْبُرُ شِعْرُهُ ولكنَ بما في رُوحِهِ مِنْ تَكْهَرُبِ

٢ نتف

من كان في سَعَةِ تَسِيرٍ وراءَهُ أتباعُهُ، فكأنَّهُمْ أَفْيَاءُ
كانهم أفياء: أي يتبعونه كظله

وإذا الليالي غَيَّرَتْ سَعْدَ امْرِئٍ يخْفَى الصديقُ وتظهرُ الأعداءُ

* * *

يا سماءَ العراقِ إِنِّي مريضٌ يا سماءَ العراقِ أَنْتِ شِفائي
وانظُريني بِعَيْنِكَ شِقْأاً

* * *

مَنْ لَمْ يَجِئْ بِحُجَّةٍ فَلَإِيَّائِهِ الصَّخَبُ
لَا تَسْتَقِلُّ أُمَّةٌ فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ

* * *

لَا خَيْرَ فِي نَاسٍ إِذَا أَفْحَمْتَهُمْ وَلَّوْا غَضَابَا
عَزَّوْا الْحِجَابَ إِلَى الْكِتَابِ بَ، فَلْيَتَّخِذُوا الْكِتَابَا

* * *

أَنَا لَا يَسْأَلُ عَنِّي أَحَدٌ حِينَ أَغْيِبُ
أَنَا كَالرَّحْمَةِ مَنْبُوءُ ذُ، وَكَالْحَقِّ غَرِيبُ

* * *

أَهْوَى الصَّبَاحَ فَإِنِّي فِي ظِلِّهِ أَنْسَى اكْتِسَابِي
وَكَأَنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ رَجَعْتُ إِلَيَّ مِنَ الشَّبَابِ

* * *

يَا جَهْلُ أَنْتَ بَرِّعِ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ مَمْتَعٌ بِعُلُوقِ الْجَوِّ وَالرُّتَبِ
يَا جَهْلُ يَأْتِيكَ عَفْوَاً مَا تَحَاوَلُهُ يَا جَهْلُ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ مِنْكَ أَوْ تَعَبِ

* * *

لَكَ فِي الْحَيَاةِ، فَلَا تَخَفْ مِنْ أَنْ تُفَارِقَهَا، تُبَوِّتْ
وَمِنَ الطَّبِيعَةِ أَنْتَ جُزْءٌ هُ، وَالطَّبِيعَةُ لَا تَمُوتُ

* * *

فِي حَيَاتِي أَنَا لَأَقْبَى نْتُ صُنُوفِ الْمُشْكَلَاتِ
غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مُثْلِي كِلَّةً مِثْلَ حَيَاتِي

* * *

إِنَّ الَّذِينَ عَنِ الْأَقْرَادِ قَدْ بَعُدُوا لَمْ يَجْعَدُوا أَنَّهُمْ مِنْهُمْ قَدْ وُلِدُوا
النَّاسَ الَّذِينَ تَطَوَّرُوا كَثِيراً وَابْتَعَدُوا عَنِ جِنْسِ الْقَرْدَةِ، وَآمَنُوا بِنَظَرِيَةِ التَّطَوُّرِ، لَا يَنْكُرُونَ أَنَّ أَصْلَ الْإِنْسَانِ قَرْدٌ

أَمَّا الْأَلَى لَمْ يَزَالُوا فِي مَدَارِكِهِمْ أَدْنَى إِلَى أَصْلِهِمْ مِنْهَا فَقَدْ جَعَدُوا
وَمِنْ ظَلَمُوا فِي مَدَارِكِهِمْ، فَهَمُّهُمْ، قَرِيبِينَ مِنْ أَصْلِهِمُ الْقَرْدِي فَهَمَّ يَنْكُرُونَ نَظَرِيَةَ التَّطَوُّرِ

* * *

أَقُولُ لِبَاكِ صُنْ مِنَ الدَّمْعِ بَعْضَهُ لِآتِي الرِّزَايَا، إِنَّهَا تَنْجِدُ
وَمَا بِي عَلَى عَيْنِكَ خَوْفٌ مِنَ الْعَمَى إِذَا بَكْتَا، لَكِنْ دُمُوعُكَ تَنْقُدُ
وَفَرَّ دُمُوعُكَ لِلرِّزَايَا، الْمَصَائِبُ، الْمُقْبِلَةُ . . . وَلَسْتَ خَائِفًا عَلَى عَيْنِكَ وَلَكِنْ دُمُوعُكَ تَنْقُدُ . . . لَا
يُقْتَكُ مَا فِي الْبَيْتَيْنِ مِنْ سَخَرِيَّةٍ

أَيُّهَا الرُّوحُ الَّذِي اسْتَقَرَّ أُنْتَهُ بِأَذْلًا فِي الْبَحْثِ عَنْهُ جَلَدِي
إِنَّكَ الْمُخُّ الَّذِي قَدْ ذَهَبَتْ شُعْبًا أَعْصَابُهُ فِي جَسَدِي
الرُّوحُ، الَّذِي ظَلَّتْ أُبْحَثُ عَنْهُ، هُوَ فِي الْوَاقِعِ الْمَخُ وَالْأَعْصَابُ الَّتِي انْتَشَرَتْ فِي الْجَسْمِ

مَنْعَ الَّذِينَ تَسَيِّطُرُوا أَنْ يُحْسِنُوا ثَخُنُ الْوُجُوهِ وَغِلْظَةُ الْأَكْبَادِ
مَهْمَا تَقْدَمَ فِي حَضَارَتِهِ الْفَتَى لَمْ يَخُلْ مِنْ هَمَجِيَّةِ الْأَجْدَادِ

عَجَبِي مِنَ الْإِنْسَانِ يَهْجَعُ أَمْنًا وَالْمَوْتُ لِلْإِنْسَانِ بِالْمَرْصَادِ
لَا تَطْمَئِنُّ بِكَوْنِ لِبِلِكَ هَادئًا فَلَسَوْفَ يَأْتِي السَّبِيلُ مِلْءَ الْوَادِي

لَا تَخُونُ الْعُقُولُ أَصْحَابَهَا فَيَ مَا تَرَاهُ، وَقَدْ يَخُونُ الضَّمِيرُ
قِيلَ لِي قِفْ فَقُلْتُ غَيْرَ مُلَبٍّ: أَنَا إِنْ لَمْ أُسِرْ فَمَنْ ذَا يَسِيرُ

غَيْرِ مُلَبٍّ: غَيْرِ مُسْتَجِيبٍ، وَلَا أَلْبِي الدَّعْوَةَ لِلْوُقُوفِ

فَتَنُ عَمَّتِ الْبِلَادَ فَمَا أَغْفُ نِي عَنْ الْمَرْءِ أَهْلُهُ وَالْعَشِيرُ
وَإِذَا تَارَتْ الْجَمَاعَةُ يَوْمًا فَهِيَ قَدْ لَا تَدْرِي لِمَاذَا تَثُورُ

يَا عَلِّمُ يَا كُلَّ الْهِدَايَةِ لِلْوَرَى صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْأَبْرَارُ
الْحَرْبُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَرْبُ سِيَاسَةٍ وَالْغَالِبُونَ بِهَا هُمُ الْأَحْرَارُ

لِسَانِي عَلَى الصَّمْتِ الطَوِيلِ مُوَاطِبٌ وَفِي الصَّدْرِ آرَاءٌ يَضِيقُ بِهَا صَدْرِي

وقد كنتُ لا أدري حقيقةَ ما أرى زماناً، ولا أدري بِأنِّي لا أدري

* * *

أقولُ لِشعري أَيها الشعرِ ضلُّ وُجُلُ فأنتَ بميدانِ الفصاحةِ فارسُ
يُمارسُ شعري اليومَ إصلاحَ أمةٍ فليلهُ شعري اليومَ ماذا يُمارسُ

* * *

قلتُ للشاعرِ والشا عرُّ ذو سهمِ يَطيشُ
أنتَ إن عشتَ تُمُتْ جو عاً وإن مُتَّ تَعيشُ
المبدعون يكرمون بعد موتهم

* * *

إذا ما قضى ربُّ السماواتِ حاجنا حَمَدُناهُ حَمَدَ المخلصينَ على الأرضِ
وإنْ يَأْبَ مِنْ بعدِ الدعاءِ قضاءُها نَكُنْ نحنُ أرباباً لحاجتنا نَقْضي
أرباباً: أصحاباً

* * *

رثاء عبد الله، والد الشاعر اللبناني بشارة الخوري:

جزعتُ لِعبدِ اللَّهِ إذ ماتَ إنني على كلِّ ذي فضلٍ يموتُ جَزوعُ
فَتَيَ مثلاً ترجوه: أَمَا لِسائِهِ فَرَطُبُّ، وَأَمَا كُفُّهُ فَرَبِيعُ

* * *

ما في السُّفورِ مَعَرَّةٌ تُخشى على امرأةٍ عفيفةٍ
إنَّ النِّظيفَةَ في قِرا رةٍ نَفْسِها تَبقى نَظيفَةٌ

* * *

أنا يا شمسُ دَرَّةٌ فوقَ أرضِ هِيَ في سِيرِها عليكِ تَطوِّفُ
لا تكوني مغرورةً، إنَّما مثـ لُك في أجوازِ الفضاءِ أُلُوفُ

* * *

لا يخافُ الرَّاعي ذئباً تَعَاوى مِنْ بَعِيدِ مُلِحَّةٍ في الطَّوافِ
إنَّما خَوْفُهُ إذا الليلُ أَدجَى مِنْ ذئابٍ تَنَدَسُّ بَيْنَ الخِرافِ

* * *

وَإِنَّ الَّذِي يَسْعَى لَتَحْرِيرِ أُمَّةٍ يَهُونُ عَلَيْهِ النَّفْيُ وَالسَّجْنُ وَالشَّنَقُ
إِذَا رُمَتْ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ رِحْلَةً فَمِيزَ قَبْلَ أَنْ تَنْسَدَ فِي وَجْهِكَ الطُّرُقُ

* * *

أَخْبَبْتُ النَّاسَ صَدِيقُ عَنْ نِفَاقٍ يَتَحَرَّكُ
فَمَعَ الْمَظْلُومِ يَبْكِي وَمَعَ الظَّالِمِ يَضْحَكُ

* * *

أَحْبَلَ اللَّيْلَ نَهَارُ قَدْ نَزَا ثُمَّ تَوَلَّى
أَحْبَلَ: جعله يحبل ويحمل جنيئاً، نزا: اعتلى

فَانْتَظَرُ مَا تَلِدُ اللَّيْلُ لَيْلَةً، فَالْلَّيْلَةُ حُبْلَى

* * *

أَمَّا النِّجَاحُ فَلَا نِجَاحَ لِأُمَّةٍ مَا أَيَّدَتْ أَقْوَالَهَا أَفْعَالُهَا
غُلَّتْ فَمَا أَبَدَتْ أَقْلَ تَذْمُرٍ فَكأنَّما طَابَتْ لَهَا أَغْلَالُهَا
غُلَّتْ: قِيدَتْ

* * *

إِنِّي إِذَا حَادِثَةٌ غَيَّرْتُ حَقِيقَةً، غَيَّرْتُ أَقْوَالِي
لَوْ نَبَتَتْ لِحَاكَتِي لِحَيَّةٍ سَمَّيْتُهَا عِنْدِي خَالِي
كَانَ الْعِقَادُ يَفَاخِرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَغْيِرْ قَطُّ آرَاءَهُ، الزَّهَاوِيُّ يَفَاخِرُ بِأَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لِتَغْيِيرِ آرَائِهِ بِحَسَبِ مَا يَجِدُ مِنْ حَقَائِقَ

* * *

يَا حَامِلَ الصَّمْصَامِ لَا يَحْمِي بِهِ حَقًّا، لِمَاذَا تَحْمِلُ الصَّمْصَامَا؟
الصَّمْصَامُ: السِّيفُ

جَهْلَ الَّذِينَ عَلَى قَدِيمٍ عَوَّلُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُغَيِّرُ الْأَحْكَامَا

* * *

النَّاسُ إِمَّا أَذُوبُ فَتَّائِكَةٌ أَوْ غَنَمُ
الذُّوبُ لَا يَرُوي غَلِيًّا لَ جَوْفِهِ إِلَّا السَّدَمُ
غَلِيْلٌ: عطش

* * *

لم نكنْ بالأرْزَاءِ نَعْباً حَتَّى أَخَذَ المَوْتُ قَاهِراً إِدْسُونَا

الأرزاء: المصائب، توماس إديسون: المخترع الأميركي المشهور

أَيُّ شَيْءٍ تَرَكْتَ لِأَخْرَجِنَا أَيُّهَا المَبْدَعُ الكَثِيرُ المَنَاحِي

وَوَاعِظُ غَارِقٍ فِي لِحْيَةٍ كَبُرَتْ بِأَنِّي بِكُلِّ قَبِيحٍ ثُمَّ بَنَهَانَا
لَا وَاللَّحَى، وَالَّذِي فِي الْوَجْهِ أَتْبَتْهَا مَا إِنْ تَكُونُ اللَّحَى لِلْفَضْلِ مِيزَانَا

يَقُولُونَ إِنَّ الشَّعْرَ نَحْنُ عِمَادُهُ فَمَنْ أَنْتُمْ حَتَّى يَكُونَ لَكُمْ «نَحْنُ»
وَمَنْ لَمْ يَزِنْ عِنْدَ التَّكَلُّمِ نَفْسَهُ فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا يُقَامَ لَهُ وَزْنُ

لَقَدْ جَاءَ شَيْطَانٌ مِنَ الْجِنَّ دَاعِياً إِلَى جَنَّةٍ فِيهَا عَذَارَى وَعِلْمَانُ
فَقُلْتُ لَهُ: اغْرُبْ أَنْتَ لَسْتُ بِخَادِعِي فَإِنِّي شَيْطَانٌ كَمَا أَنْتَ شَيْطَانُ

بأَعْمَالِهِ الْإِنْسَانُ يُعْرِفُ عَقْلُهُ فَلَيْسَ سِوَاهَا لِلنُّهَى مِنْ مَوَازِينِ

النهي: العقول

سَلِيمَا يَظُلُّ الْحَيْظُ بَيْنَ أُولِي النُّهَى وَيَنْقَطِعُ الْجَنْزِيرُ بَيْنَ المَجَانِينِ

الجنزير: السلسلة الحديدية. وتسمى البنت المخطوبة السوار الذهبي الذي هو عبارة عن حلقات من ذهب يمسك بعضها ببعض، وتمسك كلها بخناق الخطيب المسكين، جنزيراً

فَهْتُ بِالْحَقِّ فَجَارَوْ نِي بِسَبِّ وَامْتِهَانِ

فهت: تفوّهت

إِنَّنِي يَا لَشَقَائِي جِئْتُ فِي غَيْرِ زَمَانِي

أَنْتَ فِي صُورَةِ الْأَطْيَافِ لَيْلِي لَيْلِي فِيهِ قَدْ هَاجَتْ شُجُونِي

جَعَلْتُ لِنَوْمِهَا صَدْرِي فِرَاشاً فَعَاقَتْهُ، وَنَامَتْ فِي عُيُونِي
تعليق صديقي الشاعر عمران القفيني: (هذا نفسه: بذلت لها المطارف والحشايا - فعافتها ونامت في عظامي)، وتعليقي أن بيت المتنبي أشهر من أن يسرق، ولكن كان الزهاوي «استعان» بالكبير العظيم

* * *

لَقَدْ جُنِنْتُ بِلَيْلِي فطابَ فيها جنوني
سَيرُوا.. ارجِعُوا، عند ليلى لا تَذْكُرُونِي، اذْكُرُونِي

* * *

فِي حَبَّةِ الرَّمْلِ فَوْقَ الْأَرْضِ سَاكِنَةٌ مِنَ الْقُوَى مَا بِهِ الْأَطْوَادُ تَنْفَطِرُ
لَيْسَ الْقُوَى غَيْرَ بَعْضِ الْجِسْمِ قَدْ لَطَفَا وَالْجِسْمُ إِلَّا قُوَى مَجْمُوعَةٌ كَثُفَا
هذان البيتان يختصران النظرية الذرية الحديثة: الذرات مادة تتحول إلى طاقة تنفطر بها الأطواد، تحطم الجبال. فالقوى، أي الطاقة، هي مادة في الأصل. والمادة ليست سوى طاقة مجموعة كثفاً، أي جماعات

* * *

إِنْ طِبْتُ طِبْتُ وَإِنْ هُنَّ تَ، يَا عِرَاقُ، أَهْوَنُ
إِنِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ كَمَا تَكُونُ أَكُونُ

* * *

أَنَا يَا شِعْرُ كَيْبٌ مَثَلَمَا أَنْتَ كَيْبٌ
وَكِلَانَا أَثُهَا الشُّغْفُ رُبِّبْغَدَادَ غَرِيبٌ

* * *

أَهْ مِنْ هَمْ تَظَلُّ النَّـ فَنَسُ فِيهِ وَتَبِيبُ
لَا تَمُوتُ النَّفْسُ بِالْهَمْـ وَلَا الْهَمْ يَمُوتُ

* * *

لَا تُطِلْ شِعْرَكَ وَابْذُلْ كُلَّ جَهْدٍ أَنْ تُجِيدَهُ
رَبِّ بَيْتٍ هُوَ إِنْ أَحـ سَنَنْتَ خَيْرٌ مِنْ قَصِيدَةٍ

* * *

لَأَمَّا الْمَرْأَةُ وَالْمَرْ ءُ سَوَاءٌ فِي السَّجْدَةِ

عَلِّمُوا الْمَرَأَةَ فَالْمَرْءُ أَقْصَانُ الْحَضَارَةِ

* * *

يَرْفَعُ الشَّعْبَ قَرِيبًا ن: إِنَّاكَ وَذِكُورُ
وَقَلِ الطَّائِرُ إِلَّا بِجَنَاحَيْهِ يَطِيرُ

* * *

أَصْحَبُ النَّاسِ وَمِنْهُمْ حَذَرِي مِثْلُ وَثُوقِي
كُلُّ إِنْسَانٍ عَدُوِّي، كُلُّ إِنْسَانٍ صَدِيقِي

* * *

لَا تَقِفْ فِي وَجْهِ لَدَا تَكَ مَكْتُوفَ الْبِدِينِ
أَنْتَ لَا تَأْتِي إِلَى دُنَا بِيَاكَ هَذَا مَرَّتَيْنِ

كان عباس العقاد يحب هذين البيتين للزهاوي

* * *

إِنَّ جِسْمَ الْمَرْءِ لِلرُّوْحِ حِ التِّي فِيهِ يَمُوتُ
فَإِذَا مَا مَاتَ جِسْمُ الْـ مَرءٍ فَالرُّوْحُ تَمُوتُ

سيظل الزهاوي يكرر هذه المقولة، ومن مجمل شعره فالرجل «مادي» فلسفياً

* * *

الْغَرْبُ يَلْقَاكَ مِنْ مَكَا رِهِ بِوَجْهِ طَلِيقِ
يَا شَرْقُ لَا تَأْتِمِنُهُ فَالْغَرْبُ غَيْرُ صَدِيقِ

* * *

سُئِمْتُ كُلَّ قَدِيمٍ عَرَفْتُهُ فِي حَيَاتِي
إِنْ كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنَ الْجَدِيدِ فَهَاتِ

* * *

إِنَّ الْحَقِيقَةَ تَأْبَى لِنَظَرِي أَنْ تَبِينَا

تبين: تظهر

إِذَا جَمَعْتُ شُكُوكِي فَلَا تُسَاوِي يَقِينَا
مجرد شكّي في أمور كثيرة لا يعني أنني وصلت إلى معرفة يقينية.. صفر + صفر = صفراً

* * *

قَالُوا لِشَاعِرٍ مِضْرٍ قَصْرُ الْإِمَارَةِ يُبْنَى

فَقُلْتُ: يَا أَهْلَ مِضْرٍ، مِنْكُمْ أَمِيرٌ وَمِنَّا..

قال الزهاوي البيتين عندما نصب الناس أحمد شوقي أميراً للشعراء، في حفل كبير عام ١٩٢٧، ويرد الزهاوي قول الأنصار للمهاجرين بعد وفاة الرسول: «منكم أمير ومنا أمير». وحذف الأمير الأخيرة اكفاء.. وظرف في هذين البيتين ما شاء له.. واته القافية أي موأاة

* * *

قَدْ مَدَحْتُ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِئُوا مَدَائِحِي

إِحْسِبُوهَا عَلَى ضَرُو رَتِّهَا مِنْ قَبَائِحِي

على ضرورتها: أي رغم أنها جاءت لضرورة. والمدح لا يأتي إلا لضرورة نفاقية. قد حسبناها من قبائحك، ولم نقتطف منها شيئاً في مختاراتنا

* * *

إِرْتَجِلْ عَنْ بَلَدٍ أَنْتَ فِيهِ مُهْمَلٌ

إِنَّمَا الْخُرُّ إِذَا سِيمَ خَسَفًا يَرْحَلُ

سيم خسفاً: عُرِضَ للذل

* * *

لَيْسَ تَرَقَى الْأَبْنَاءُ فِي أُمَّةٍ مَا لَمْ تَكُنْ قَدْ تَرَقَّتِ الْأُمَهَاتُ

أَخَّرَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ أُمَمِ الْأَرَضِ حِجَابٌ تَشْقَى بِهِ الْمُسْلِمَاتُ

* * *

إِنَّ الْخِيَالَ نِهَايَةً فِي أُمَّةٍ لِسُكُونِهَا، وَبِدَآءُهُ الْحَرَكَاتِ

كُنَّا نَذُمُ مِنَ الشُّعُوبِ خَيَالَهَا وَإِذَا الْخِيَالُ مُوَلَّدُ الرِّغَبَاتِ

مشكلة المدارس أنها تقتل في الطفل الخيال، لصالح الواقع، المدرسة تسعى لنحويلك إلى خروف اجتماعي يساهم في تثبيت الأحوال، والخيال يجعلك تسعى لتغيير الأحوال

* * *

لَقَدْ عَلِمْتُ، لَوْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنِي، مِنْ طَوْلٍ مَا جِئْتُ قَبْلًا أَدْرُسُ النَّاسَ..

أَنَّ الْجَمَاعَةَ دُونَ الْفَرْدِ مَعْرِفَةٌ وَفَوْقَهُ بِصُرُوفِ الدَّهْرِ إِحْسَاسَا

* * *

ما زالَ لِلْمَرْءِ مِنْ لَذَاتِ عَيْشَتِهِ رِضًى، وَلِلْمَرْءِ مِنْ آلاَمِهِ بَرَمٌ

برم: صجر

لم يعرفِ المرءُ في كُلِّ الحَيَاةِ سِوَى حَقِيقَتَيْنِ هُمَا اللَّذَاتُ وَالْأَلَمُ

* * *

مَنْ اطمَأَنَّ بِدِينٍ كَانَ يَرْضَعُهُ فَلَيْسَ يَسْمَعُ تَأْنِيْبَ الْبَرَاهِينِ
وَلَيْسَ يَقْبَلُ فِي دِينٍ مُعَارَضَةً إِلَّا الَّذِي هُوَ فِي شَكٍّ مِنَ الدِّينِ

في نظر الزهاوي فالدين فكرة مهيمنة تستولي على الإنسان استيلاء، وتصنع سدا يمنع دخول فكرة أخرى. والمرء يصادف في حياته المتدين الذي يقبل أن يناقش في العقائد، والمتدين الذي يقبل أن يناقش في «المسح على الخفين» ثم يقف عندها. قلت: «المرء»، ولم أقل أنا، فأنا فرغت من مثل هذا النقاش منذ أن كنت في المرحلة الإعدادية، وأعددت نفسي لاستقبال المعلومات عن هذه الدنيا تاركاً الأخرى لصاحب الكون الجليل

* * *

إِنَّهَا الْعَادَاتُ لَا يَخْلَعُهَا غَيْرُ ذَاكَ الْمَارِقِ الْمُنْطَلِقِ
قَدْ تَلَقَّاهَا ثَرَاءً سَيِّئاً أَحْمَقُّ عَنْ أَحْمَقٍ عَنِ أَحْمَقٍ

* * *

قَدْ اسْتَطَابَ فَوْقَ صَدِّ رَهَا الْهَوَى رُقَادَهُ
مُتَّخِذاً لِنَفْسِهِ مِنْ ثَدِيهَا وَسَادَهُ

* * *

جَمَلًا أَبْصَرْتُ فِي حَوْ مَانَةِ الدَّرَاجِ أُمْسٍ

حومانة الدراج: موضع تغنى به قدامى الشعراء

يَتَرَاءَى كَالْكَثِيبِ الْفَرْدُ، فَاسْتَضَعَرْتُ نَفْسِي

* * *

لَيْسَ يَسْتَطِيعُ وَإِنْ جَدَّ ابْنُ آوَى أَنْ يَطِيرَا
قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَ رِيْشًا كَافِيًا أَوْ يَسْتَعِيرَا

ولماذا اخترت هذين البيتين؟ لا أدري. ربما لأنهما يعبران عن هذا الشاعر المهذار الذي لا يقدر يقعد دون أن ينظم شيئاً. لا يستطيع ابن آوى أن يطير.. لكن، لا تعجلوا.. بإمكانه الطيران إن امتلك الريش.. أو إن استعار ريشاً. بالله عليك يا جميل صديقي ما هذا؟ أرجوك! أرايتم كيف يمكن لعبث صراح أن يكون شعراً؟

* * *

رَأَيْتُ بِالْأَمْسِ شَيْخاً قَدْ انْحَنَى بِاضْطِرَابٍ
فَقُلْتُ: يَا شَيْخُ، مَاذَا أَضَعْتُ؟ قَالَ: شِبَابِي
يَا سَلام!

٣ الجماعة الخشب

لَيْسَ تَسْتَحِقُّ حَيَا ةَ جَمَاعَةٍ خَشَبُ
مَعِشَرٍ إِذَا وَعَدُوا فِي كَلَامِهِمْ كَذَبُوا
أَوْ إِذَا بَدَأَ وَهْنٌ مِنْ أَخٍ لَهُمْ وَتَبُّوا

٤ ذهبت السعادة

سَكُنْنَا حِينَ ذَمُّنَا وَعَابُوا وَإِنْ سَكَوْنَا عَنْهُمْ جَوَابُ
سَأْرَحَلُ جَاعِلًا بَغْدَادَ خَلْفِي فَمَا عَيْشِي بِهَا إِلَّا عَذَابُ
وَلَا أَرْجُو السَّعَادَةَ بَعْدَ شَيْبِي فَقَدْ ذَهَبَتْ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ

٥ الزهاوي يتمشى في دروب بغداد

لَقَدْ كُنْتُ فِي دَرْبٍ بِبَغْدَادَ مَاشِياً وَبَغْدَادُ فِيهَا لِلْمُشَاةِ دُرُوبُ
فَصَادَفْتُ شَيْخاً قَدْ حَنَى الدَّهْرُ ظَهْرَهُ لَهُ فَوْقَ مُسْتَنِّ الطَّرِيقِ دَبِيبُ
مستن الطريق: أي الطريق المستن، أي الممهّد

عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ غَيْرَ أَنَّهَا نِظَافٌ فَلَمْ تَدْنَسْ لَهُنَّ جُيُوبُ
تدنس: تتسخ، جيب الثوب: فتحة العنق فيه

تَدُلُّ عُضُودٌ فِي وَسِيعِ جَبِينِهِ عَلَى أَنَّهُ بَيْنَ الشَّبَوِخِ كَنِيبُ
يَسِيرُ الْهُوَيْنَا وَالْجَمَاهِيرُ خَلْفَهُ يَسْبُوتُهُ، وَالشَّيْخُ لَيْسَ يُجِيبُ
لَهُ وَقْفَةٌ يَقْوَى بِهَا ثَمَّ شَهَقَةٌ تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الشَّفِيقِ تَذُوبُ
فَسَاءَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ مُجَابِبُ هُوَ «الْحَقُّ» جَاءَ الْيَوْمَ فَهُوَ غَرِيبُ
فَقُلْتُ لَهُ: «إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ»

تضمين لبيت امرئ القيس المشهور

٦ رسالة إلى الدمة

أَنْتِ مَا إِنَّ تُخَفِّفِينَ مُصَابِي دَمَعَتِي؛ فَارْجِعِي عَلَى الْأَعْقَابِ
أَنْتِ لَا تَدْفَعِينَ وَظَاةَ شَيْبِي أَنْتِ لَا تُرْجِعِينَ عَهْدَ شَبَابِي
إِنَّمَا أَنْتِ قَطْرَةٌ سَتَبُلُّي نَ إِذَا سَلَّتْ بُقْعَةً مِنْ ثِيَابِي
يَا ابْنَةَ الْهَمِّ إِنَّ عُرْفَتِكَ الْقُلْدُ بُ، فَلَا تَخْرُجِي إِلَى الْأَبْوَابِ
أَنَا لَمْ أَسْأَلِ الْعَيُونَ بُكَاءَ لَتَكُونِي عَنِ السُّؤَالِ جَوَابِي

٧ غروبها وشرقها

مَاذَا تُحَسُّ الشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ بَاعِثًا لَشُحُوبِهَا؟
مَا إِنَّ رَأَتْ عَيْنِي وَقَدْ رَاقَبْتُهَا كَالْفَرْقِ بَيْنَ طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا
إِنِّي لَيُخْزِنُنِي الْغُرُوبُ، فَإِنَّهُ لَمَذْكَرٌ نَفْسِي بِكُلِّ كُرُوبِهَا

٨ ميت ابن موتي

تَنَاسَيْتَ يَا إِنْسَانُ أَنْكَ مَيِّتٌ وَأَنْتَ مِنَ الْأَمْوَاتِ تَرْفَعُ أَبْيَاتَا
الْإِنْسَانِ بَيْنِي بَيوتًا ويرفعها، والتراب الذي يستخدمه فيه شيء من رفات البشر الذين ماتوا قبل
أزمان

وَتَمْشِي عَلَى الْأَمْوَاتِ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ وَتَأْكُلُ أَمْوَاتًا وَتَلْبَسُ أَمْوَاتَا
تَنَاسَلْتُ مِنْ أَمْوَاتِهَا ثُمَّ رُمْتُ أَنْ تَعِيشَ بِهَا عِيشَ الْخُلُودِ وَهَيْهَاتَا
وَأَنْتَ فِي أَعْمَاقِ قَبْرِكَ لَا تَرَى وَجُوهًا، وَلَا فِي الْقَبْرِ تَسْمَعُ أَصْوَاتَا
وَلَسْتُ بِمَسْئُولٍ إِذَا مَا سَكَنْتَهُ أَكُنْتُ عَبْدَتُ اللَّهَ قَبْلًا أَمْ اللَّاتَا
اللات: اسم صنم

٩ نهاية الحركات

تَبْكِي الشَّبَابَ عَلَى شَيْءٍ بِ فِي الْحَفَائِرِ بَاتُوا
الشيب: الشيوخ الشائبون، الحفائر: القبور
وَالشَّيْبُ تَبْكِي شَبَابًا عَاشُوا قَلِيلًا وَمَاتُوا
إِلَى سَكُونٍ طَوِيلٍ سَتَنْتَهِي الْحَرَكَاتُ

يَرْدَى الصَّدِيقُ وَتَبْقَى مِنْ بَعْدِهِ الذِّكْرِيَّاتُ

يردى: يموت

١٠ ورقة الأسئلة

هَاتُوا اذْكُرُوا لِي هَاتُوا مَا هَذِهِ الْكَائِنَاتُ
مَا أَنْتَ، مَا أَنَا، مَاذَا وَجُودُنَا وَالْحَيَاةُ؟
وَمَا الْمَكَانَ، وَمَاذَا مِنَ الْمَكَانِ الْجِهَاتُ؟
مَا الْجِسْمُ، مَا الْجَذْبُ، مَاذَا السُّ كَوْنُ وَالْحَرَكَاتُ؟
وَمَا لِشَيْءٍ زَوَالٌ وَمَا لِشَيْءٍ ثَبَاتٌ
لا شيء يزول، بل يتحول إلى صورة أخرى، ولا شيء ثابت فالحركة أساس الكون

وَرَبِّمَا سَوْفَ تَنْحَلُّ- هَذِهِ الْمُشْكِلَاتُ
إِذَا تَفَكَّرْتُ كَيْفَ أَنْتَ لِّلشَّيْءِ بِي وَخَزَاتُ
دَعِ الْمُتَرَوِّعَ فَمَا فَبِ- لَكَ وَحَدِّكَ الْمَلَكَاتُ
يخاطب الإنسان: لست وحدك صاحب الملكات، أي المواهب والمهارات

إِنْ كُنْتَ طِيرْتَ فَقَدْ طَا رَتْ قَبْلَكَ الْحَشَرَاتُ
أَوْ كُنْتَ غُضَّتْ فَقَدْ غَا صَتْ مِنْكَ السُّلْحَفَاتُ
الأكثر في اللغة السُّلْحَفَةُ بفتح اللام، وأورد تاج العروس السُّلْحَفَةُ كما أجاء الوزن الزهاوي إليها. يومئ عمران القفيني إلى أن هذه القصيدة تناظر قصيدة «الطلاسمة» لإيليا أبو ماضي، فهذه طلاسمة الزهاوي

١١ النهايات المتشابهة

سَتَجِدُ الْأَبْنَاءَ سَيْرًا لِدَارٍ نَزَلَتْهَا الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ
رُبَّ قَوْمٍ عَاشُوا بِأَمْنٍ زَمَانًا ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهِمُ الدَّائِرَاتُ
وَقَبِيلٍ بَاتُوا جَمِيعًا بِلَيْلٍ فَإِذَا هُمْ فِي صُبْحِهِ أَشْتَاتُ
قبيل: قوم، جميعاً: مجتمعين

١٢ لن أسكت

إِنَّ هَذَا الْحِجَابَ قَبْرٌ كَثِيفٌ حَالٌ بَيْنَ الْفِتَاةِ وَالنِّسَمَاتِ

إن هذا إثمٌ أَقْبَحُهُ، ما جاءَ حَضُّ عَلَيْهِ فِي الآيَاتِ
أَيُّهَا الْمُسْكِتِي عَنِ الْقَوْلِ مَا أُنَدِ بِذِي قُدْرَةٍ عَلَى إِسْكَاتِي

١٣ أسفل الدرجات

جَنَّةٌ عِنْدَ جَنَّةٍ عِنْدَ أُخْرَى هَكَذَا يَمْتَدِّدْنَ مُتَّصِلَاتِ
غَادَرَتْهَا أَيْدِي الْجَهَالَةِ قَفْرًا بَعْدَ تِلْكَ الرِّيَاضِ وَالْجَنَّاتِ
قفراً: قاحلة غير مزروعة

مَنْ رَأَى الْأَرْضَ فِي الْعِرَاقِ مَوَاتًا ذَهَبَتْ مِنْهُ نَفْسُهُ حَسَرَاتِ
وَانْتَهَتْ سُلْطَةُ الْبِلَادِ لِقَوْمٍ خُلِقُوا لِلرُّشَى وَلِلسَّرِقَاتِ
إِزْتَقَتْ سُلَّمُ التَّقَدُّمِ نَاسٌ وَوَقَفْنَا فِي أَسْفَلِ الدَّرَجَاتِ
فَخَرُّوا بِالْعِلْمِ إِذْ رَفَعْتُهُمْ وَفَخَرْنَا بِالْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ

١٤ سوف تاتي!

يَرْجُو وَصَالَ الْخُورِ بَعْدَ ذَ الْمَوْتِ قَوْمٌ بِالصَّلَاةِ
هَيْهَاتَ، لَيْسَ لِمَنْ بِهِ تُودِي الْمَنِيَّةُ مِنْ حَيَاةِ
إِلَّا إِذَا أَتَتِ الْبَقِيَا مَهْ، وَهِيَ يَوْمًا سَوْفَ تَآتِي

١٥ الموت ميراثاً

أَحْدَثْنِي الْأَيَّامَ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَهِيَ مَدْفُوعَةٌ إِلَى إِحْدَاثِي
أَحْدَثْنِي، وَبَعْدَمَا أَحْدَثْنِي أَلْبَثْتَنِي فَلَمْ تُطِلْ إِلْبَاثِي
أحدثني: أوجدتني، إلبائي: إبقائي

إِنَّمَا الْمَوْتُ خَيْرٌ مَا خَلَفْتُهُ لِبَنِيهَا الْآبَاءُ مِنْ مِيرَاثِ

١٦ الامتزاج

نَظَرْتُ إِلَيْهَا، وَهِيَ بِيضَاءُ تَبْهَجُ بِحَدِّ بِه مَاءُ الصُّبَا يَتَمَوَّجُ
تبهج: تتألق. قال بيرم التونسي: ليه يا بنفسج بتبهج/ وانت زهر حزين

عَلَى صَدْرِهَا نَهْدَانِ قَامَا أَمَامَهَا وَمِنْ خَلْفِهَا أَرْدَافُهَا تَتَرَجَّرُجُ
بل «قاما» وقعدا بك يا جميل صدقي

وقد خَرَجْتُ مِنْ دَارِهَا لِلْبَّانَةِ فَأَحَسَسْتُ مِنْهَا أَنَّ رُوحِي تَخْرُجُ

لبانة : حاجة

مَشْتُ وَمَشَى قَلْبِي الْمَتِيمُ خَلْفَهَا يُقْبِلُ آثَارَ الْخُطَى حَيْثُ تَنْهَجُ

تنهج : تسير في النهج أي الطريق

أُرِيدُ إِذَا قَابَلْتُهَا أَنْ أَبْثُهَا غَرَامِي بِهَا، لِكِنِّي أَتَلَجَلَجُ

أتلجلج : أتلثم

تَمَنَيْتُ يَا لَيْلَى، وَهَلْ تَنْفَعُ الْمَنَى لَوْ أَنَّ حَيَاتِي فِي حَيَاتِكَ تُمَزَّجُ

كان ابن الرومي، على صراحته، أعفَّ إذ جعل الروحين يمتزجان

١٧ الفرار

يُثَبِّطُنِي حُبُّ لِبَغْدَادَ لَازِمٌ وَيَدْفَعُنِي شَوْقٌ إِلَى مِصْرَ مُشْتَدُّ

يثبطني : يفل عزمي ويحبطني

وَلَمْ تَكْ بَغْدَادُ سِوَى دَارِ كُرْبَةٍ نَهَارِي فِيهَا مِثْلُ لَيْلِي مُسَوِّدُ

مَشَيْتُ إِلَى مِصْرٍ أَسَارِعُ قَبْلَمَا طَرِيقِي إِلَى مِصْرَ الْجَمِيلَةِ يَنْسَدُّ

شهد الزهاوي الدولة العثمانية شاباً فرجلاً وكانت إستانبول قبلته وورثته الثقافية، يهرب إليها من العراق ويتمتع بالاقتراب من مركز الكون (بالنسبة إلى عربي يعيش في ظل الدولة العثمانية)؛ وفجأة تبخرت إستانبول من عالم الزهاوي. فأصبحت مصر بالنسبة إليه هي الجنة، وهي المهرب: فيها نشر شعره، وفيها لقي التكريم، وهي الملاذ... بعيداً عن بغداد وما يلقى فيها من عنت المتشددین في الدين، وما يعاني فيها من ضيق الأفق الثقافي

١٨ فرار الشيخ

جَعَلْتُ عَلَى سَيَارَةِ ذَاتِ سُرْعَةٍ إِلَى الشَّامِ أَطْوِي قَدْ قَدْ أَمْ ثُمَّ قَدْ قَدْ

جعلت : بدأت، القفد: الأرض الخلاء

فَأَدْرَكْتُهَا مِنْ بَعْدِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمِنْهَا إِلَى بِيْرُوتَ قَدْ جِئْتُ مُوَفِّدًا

وَكُنْتُ بِبَغْدَادٍ أَكْبَادُ جَفْوَةٍ وَكَانَ يُسَمِّيَنِي بِهَا الْقَوْمُ مُلْجِدًا

وَقَالُوا لِي أَحْمَدُ فِي الْبِلَادِ هُمَامًا فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا هُمَاماً لِأَحْمَدَا

الهمام، بالمعنى القديم: الزعيم

إذا المرء رامَّ البُعدَ عن أرضٍ ذلَّةٍ فلا ينبغي للمرء أن يترددا
ولا خيرَ في غمٍّ خلا من حُسامِهِ ولا في حسامٍ ظلَّ يصدأ مُغمدا
وإنِّي على شيخوختي وزمانتي أريدُ بشعري في الحياة التَّجددا
زمانتي: مرضي المزمَن

ولا خيرَ في شعري مَضَى اليومَ عهدُهُ وفي شاعري إن قالَ قالَ مُقلدا
وما شاعِرُ العصرِ الجديدِ سوى الذي على دولة الشعرِ القديمِ تَمَرَّدا
هذا الزهاوي شيخاً. وكان شهد العز وارتقاء الحال أيام الدولة العثمانية، ثم جاء الإنجليز وجاء فيصل ملكاً على العراق فتعلق الزهاوي بالعصر الجديد متأملاً أن يزداد رفعة، وتقرب من الحكم الجديد، ومات فيصل وأحس الزهاوي بوطأة الشيخوخة، ووطأة الناس الذي ضجوا لأفكاره، فهو الآن شيخ برم بالحياة.. يفر من بغداد إلى الشام وإلى مصر كأنه يفر من زمن لم يعد زمنه

١٩ الفيلسوف المؤمن!

ملأوا صُدُورَ الصُّخفِ حِقْدًا والحقُّ قد سَمَّوهُ نَقْدًا
قالوا دَخِيلٌ في القَرَبِ ضٍ فَمَا أَجَادَ وَلَا أَجَدًا
قالوا صَغِيرٌ لَا يُعَدُّ مِنَ الفُحُولِ وَلَنْ يُعَدَّ
ولهُ جَرَاءَةٌ فِيلَسُو فِي يُوسُفَ الأديانَ جَحْدًا
كَذَبُوا فَلِئَنِّي شَاعِرٌ وَأَدِينُ بِالإِسْلَامِ جِدًّا
إِنَّ الخُطُوبَ نَزَلْنَ بِي فتركنني عَظْمًا وَجِلْدًا

٢٠ اللامتناهي

لقد صَحَّحْتُ فكان الضُّحْكُ مِلءَ فَمِي مِنَ الذي قالَ إِنَّ الكونَ محدودٌ
ما الأرضُ بين شُموسٍ لا عِدَادَ لها إِلَّا حِصَاةَ حَوَالِيهَا جَلَامِيدُ
جلاميد: صخور

وكم بِهَا سُدُمًا تَمَتَّدُ وَاسِعَةً فيها النجومُ عناقيدُ عناقيدُ
السُّدُم، وواحدها سديم: الغيوم الكونية، مجموعات من الشمس تبدو كأنها غيوم

٢١ القيامة؟

ما لِلحَيَاةِ وراءَ الموتِ تَجْدِيدُ فلا يَقُومُ مِنَ الأَجْدَاثِ مَلْحُودُ

فيها النهارُ كَلِيلٍ لا صباحَ له أما الليالي فَتَلُكُمُ كُلُّها سُودُ
القبرُ آخرُ بيتٍ لِلأُلَى هَلَكُوا والحسُّ في الهالكِ المَلُحودِ مَفقودُ

٢٢ معاهدات

تُلغى معاهدةٌ وأخرى تُعَقَّدُ والشعبُ يُسْتَفْتَى لها، ويُهَدَّدُ
والشعبُ يُطْرِي لِلجهالةِ خِنْجَرًا في صدره عَمَّا قَرِيبٍ يُغْمَدُ
أَمَّا الزعيمُ فما تحرَّكْ، ذائِدًا عن حقِّهم، منه اللِّسانُ ولا اليَدُ

٢٣ قصيدة عتيقة

يُحوَّلُ عنها العَيْنَ ثم يُعيدُها حِذارَ عَدِيٍّ تَغْلِي عليه حُقودُها
ويُغْضِي خِلَالَ النُّظَرَتَيْنِ مُحاذِرًا رقيباً لها، إن لم يَكْذِبْ بِكَيْدِها
بداية غزلية ثم دخول في معنى آخر

تُنازِعُهُ حَوْضَ المَنْبَةِ نَفْسُهُ فَتَطْلُبُ وَرْدًا عِنْدَهُ وَيَذودُها
نفس الشاعر تنازعه حوض الموت طالبة وروده، ولكنه يذود نفسه ويصدها عن حوض الموت
إذا هِيَ ماتَتْ ماتَ كُلُّ همومِها وأقْلَعَ عنها نَحْسُها وسُعودُها
إذا النفس ماتت انتهى كل شيء

سِوَاهُ على مَنْ باتَ في بطنِ حُفْرَةٍ رَهينَ البلى بِيضُ الليالي وسُودُها
يَعِزُّ على عَيْنِي أَنْ تَنْظُرَا إلى بلادِ تَسوُسُ الناسَ فيها قُروُدُها

٢٤ شوق إلى المجد

وَهُوَ العِراقُ يَسوؤُنِي أَلَّا يَرى مَتَقَدِّمًا ولِأَهْلِهِ اسْتِعْدَادُ
لا ريبَ في أن العِراقَ بِأَهْلِهِ يَسْمُو إذا أَهْلُ العِراقِ أَرادوا
يَغْلِي سُروري كُلِّما فَكرْتُ في مجدٍ إلى بَغدادَ سوف يُعادُ
شعور متوقع من ابن مدينة كانت عاصمة الدنيا ذات يوم. على أن المجد الزائل لا يعود، بل يخلق مجد جديد. . . إذا أراد الناس

٢٥ قيود الشعر

بِسادتِ شُعوبٌ لا تَريدُ وإذا أَرادَتْ لا تَبِيدُ
لا تريد: ليس عندها إرادة

لا النار تُوقِفُ ما أرا دَنُّهُ الشُّعُوبُ ولا الحَدِيدُ
 العِزُّ فِي صِدْقِ العَزِيزِ مِةً، والشُّعُوبُ كما تُرِيدُ
 والنَّاسُ إِمَّا سَادَةٌ لَهُمُ الإِرَادَةُ أو عَبِيدُ
 كُلُّ الفَنُونِ تَجَدَّدَتْ والشُّعْرُ يُعَوِّزُهُ الجَدِيدُ
 ما قَامَ حَتَّى أَثَقَلْتُ هُ مِنْ قَوَافِيهِ القُيُودُ
 وَضَعَ الْوَرَى حَدًّا لَهُ والشُّعْرُ لَيْسَ لَهُ حَدُودُ
 ما ضَرَّ سَامِعَهَا لو اُخِرَ تَلَقَّتْ قَوَافِيهَا القَصِيدُ
 مَنْ كَانَ يَنْظِمُ عَنْ شَعْوِ رِ صَادِقٍ فَهُوَ الْمُجِيدُ
 وفي أخريات حياته كتب الزهاوي قصائد مرسله القوافي، لكنه ظل حبيس الأسطر المتساوية،
 وسيتنظر الشعر في العراق بعد الزهاوي عشرين سنة حتى يكسر شعراؤه قالب الشطرين المتساويين

٢٦ فلسفتي

حَيَّرْتُكَ الحَيَاةَ وَهِيَ لَعَمْرِي لَيْسَ إِلَّا تَطَوُّرًا فِي الجَمَادِ
 فكرة فلسفية عميقة في نفس الزهاوي: الكائن الحي ليس شيئاً مختلفاً نوعياً، بل هو مادة تعقدت
 في تركيبها فنشأت فيها «الحياة»

تَخِذْ النُّوعَ فِي الْوَرَى لِلتَّعَالِي سُلَّمًا مِنْ جَمَاجِمِ الْأَفْرَادِ
 اتخذ: اتخذ، أي أن أجيالاً تموت وتأتي أجيالاً وتتعاقبها يتطور الكائن

لَيْسَ مَنْ يَدْرُسُ الطَّبِيعَةَ بَحًّا ثَأً بِنَاجٍ مِنْ تُهْمَةِ الإِلْحَادِ
 أَنْتَ يَا عَقْلُ، فِي جَمِيعِ حَيَاتِي، سَنَدٌ يَنْتَهِي إِلَيْهِ اعْتِمَادِي
 قَدْ نَعَمَّدْتُ أَنْ أَكُونَ صَرِيحاً فَأَقُولُ الَّذِي عَلَيْهِ اعْتِقَادِي
 إِنْ تَكُنْ مِنِّْي الصَّرَاحَةُ إِثْمًا فَهُوَ جِزْءٌ مَتَمِّمٌ لِجِهَادِي
 فَقَدْ اخْتَرْتُ لِي جَهَنَّمَ مَثْوًى وَتَرَكْتُ الْجَنَانَ لِلزُّهَّادِ
 أَنَا هَذَا، وَلَسْتُ أَقْوَى عَلَى تَغْيِ يَبِيرُ نَفْسِي يَوْمًا أَوْ اسْتِعْدَادِي

٢٧ كفر وإيمان

سَبَقْتُنِي إِلَى الْمَقَابِرِ مَوْتِي أَنَا فِي الرَّاحِلِينَ غَيْرُ وَحِيدِ
 مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَنَامَ بِقَبْرِ لَا يُبَالِي طَوْلَ اللَّيَالِي الشُّوْدِ

لَسْتُ أَدْرِي أَلِإِلْفَنَاءِ سَنَمْضِي
حَبْنًا لَوْ حَظِيتُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِي
إِنِّي فِي شَكٍّ وَإِنْ مَلَأُوا سَمْفَ
لَا تَثِقُ بِالْجُمْهُورِ يَا عَقْلُ يَوْمًا
يَمُمِّي يَا نَفْسِي السَّمَاءَ فَإِنِّي
أَنْتَ إِنْ تَعَزِمِي يَهْنُ كُلُّ صَغْبٍ
أَحْمَدُ الْبَارِي الَّذِي يَتَسَاوَى
قِيلَ إِنَّ الشَّهيدَ يَحْيَا لَدَى الرَّبِّ
كُلُّنَا مُؤْمِنٌ يَسْبَحُ لِلرَّحْمَنِ
إِنِّي مَا سَجَدْتُ يَوْمًا لِغَيْرِ اللَّهِ

بَعْدَ أَنَا نَمُوتُ أَمْ لِلْخُلُودِ
بِحَيَاتِي الَّتِي انْتَهَتْ مِنْ جَدِيدٍ
عَيِّ بِوَعْدِ يَرُوءُنَهُ وَوَعِيدٍ
إِنَّ رَأْيَ الْجُمْهُورِ غَيْرُ سَدِيدٍ
لَا أَرَى فِي الثَّرَى طَرِيقَ الْخُلُودِ
لَا يَنَالُ الْمَرَادَ غَيْرُ الْمُريدِ
عِنْدَهُ إِيمَانِي بِهِ وَجُحُودِي
فَمَنْ ذَا فِي الْأَرْضِ غَيْرُ شَهِيدٍ
مَنْ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ الْمَمْدُودِ
هـ، فَالْلَّهُ وَحْدَهُ مَعْبُودِي

٢٨ العربة والحصان

لَيْسَ مِنَّا الْأَجْسَادُ بِالرُّوحِ تَحْبَا
أَنَا بِالشَّعْرِ وَحْدَهُ أَتَسَلَّى
وَإِذَا وَاقَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلِي

إِنَّمَا يَحْيَا الرُّوحُ بِالْأَجْسَادِ
إِنَّهُ كُلُّ طَارِفِي وَتِلَادِي
فَاحْفَرُوا حَفْرَةً لَهُ فِي فُؤَادِي

٢٩ زجاج المعري

بَعْدَ أَنِّي أَمُوتُ فَلَنُ
لَا تُؤْمَلُ تَجْجَدُ
أَتَرَى الرُّوحَ بِأَقْيَسًا

يَدْفَعُوا بِي إِلَى سَقَرِ
لِزَجَاجٍ قَدْ انْكَسَرَ
بَعْدَ جِسْمٍ لَهُ ذَكْرُ

قال المعري: يحطنا رب الزمان كأننا/ زجاج ولكن لا يعاد له سبك

٣٠ درجات الهيام

أَوَّلُ الْحَبِّ فِي الْقُلُوبِ شَرَارَةٌ
ثُمَّ يَرْقَى حَتَّى يَكُونَ حَرِيقًا
ثُمَّ يَرْقَى حَتَّى يُمَثَّلَ بُرْكَاءُ
ثُمَّ يَرْقَى حَتَّى يَكُونَ جَحِيمًا

تَخْتَفِي تَارَةً وَتُظْهِرُ تَارَةً
فِيهِ هُلُكٌ لِأَهْلِيهِ وَخَسَارَةٌ
نَا يَرَى النَّاسُ مِنْ بَعِيدِ نَارَةٍ
عَنْ تَفَاصِيلِهَا تَضِيقُ الْعِبَارَةَ

٣١ سياسة وشعر

عَامَلَ النَّاسَ بِالْعَدَالَةِ وَالظُّلْمَ سَمَ فَكَانُوا يَلْقَوْنَ نُوراً وَنَاراً
يتحدث عن الوالي العثماني المنصرف

جَرَّ عِزّاً إِلَى الْعِرَاقِ وَذُلّاً وَحَيَاةً لَأَهْلِيلِهِ وَبَوَاراً
وَأَصَارَ النَّهَارَ لَيْلاً بَهِيماً وَأَصَارَ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ نَهَاراً
جعل النهار ليلاً بظلمه، ولكنه اهتم بالمرافق العامة فأثار الشوارع ليلاً

أَفْقَرَ الْقَوْمَ بِالْعِرَاقِ، وَأَغْنَى وَسَّعَ الطَّرِيقَ، ضَبَّقَ الْأَفْكَارَ
إِخْتَفَى عَنْ قَوْمٍ وَخَالَطَ قَوْمًا فَأَرَى النَّاسَ خَفَّةً وَوَقَاراً
أَخْضَعَ النَّاسَ، نَقَّذَ الْحُكْمَ فِيهِمْ، وَطَدَّ الْأَمْنَ، أَرْخَصَ الْأَسْعَارَ
عَرَّبَ الْأَبْرِيَاءَ، بَثَّ الْجَوَاسِيَةَ سَسَّ عَلَى النَّاسِ، أَسَعَفَ الْفُجَّارَ
مَقَّتَ الْعِلْمَ سَاخِراً مِنْ ذَوِيهِ بَدَّرَ الْمَالَ، جَرَّ الْأَشْرَارَ
قَالَ لِلنَّاسِ إِنَّمَا الْأَمْرُ شُورَى بَيْنَنَا، ثُمَّ إِنَّهُ مَا اسْتَشَارَا
أَيُّهَا الْمُسْتَبِيدُ بِالْأَمْرِ إِيهًا لَا تَحَارِبْ بِظُلْمِكَ الْأَحْرَارَ
إيه: كلمة لا معنى لها

إِنْ شَمَسَ الدِّسْتُورُ لِلْقَوْمِ لَاحَتْ فَأَضَاءَتْ بِنُورِهَا الْأَبْصَارَا
أيها الوالي العثماني.. لقد جاء دستور ١٩٠٨، فأضاء الطريق

قَدْ مَشَاهَا خُطًىي تَعَثَّرَ فِيهَا لَا أَقَالَ الرَّحْمَنُ مِنْهُ الْعِشَارَا
لَمْ يَكُنْ مَجْلِسُ الْإِدَارَةِ إِلَّا أَلَةً فِي يَدَيْهِ تُمَضِّي الْقَرَارَا
إِنْ فِي مَجْلِسِ الْإِدَارَةِ عُضْوًا حَيْثَمَا دَارَتْ الزَّجَاجَةُ دَارَا
رَبِّ إِنَّ الْمَنَافِقِينَ بِبَغْدَا دَ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَتَوْا أَضْرَارَا
رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ فَتَمَادَوْا وَأَصْرُوا، وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارَا
لَأَنِّي وَالْهَزَارَ قَرَعَانِ مِنْ أَصْـ لِي كِلَانَا قَدْ مَارَسَ الْأَشْعَارَا
الهزار: عصفور مغرد

وَكِلَانَا بَثَّ الصَّبَابَةَ إِلَّا أَنَّنِي قَدْ صَرَّحْتُ وَهَوَ أَشَارَا
وَكِلَانَا أَجَادَ نَظْمَ الْقَوَافِي غَيْرَ أَنَّنِي قَدْ فُقْتُ فِيهَا الْهَزَارَا

أنا قد طرُتُ في سماءِ المعاني وَهُوَ فِي جَوِّ رَوْضَةٍ قَدْ طَارَا
وَجَنَاحُ الْهَزَارِ رِيشٌ قَلِيلٌ وَجَنَاحِي فِكْرِي الَّذِي لَا يُجَارَى
أَعَشَقُ الزُّهْرَ فِي السَّمَاءِ فَأَشْدُو وَهُوَ فِي الْأَرْضِ يَعَشَقُ الْأَزْهَارَا

الزهر: النجوم اللامعة

هُوَ فِي نَظْمِهِ يَقْلُدُ طَيْرًا سَبَقْنَاهُ وَإِنِّي ابْتِكَارَا
يَصِفُ الْحُبَّ وَحْدَهُ، ثُمَّ إِنِّي أَصِفُ النَّاسَ وَالْهَوَى وَالْديَارَا
وَقُصَارَى أَنْغَامِهِ الْوُجُدُ، أَمَّا نَفْمَاتِي فَمَا لَهْنٌ قُصَارَى
إِنَّهُ شَاعِرٌ يَكْرَرُ مَا قَا لَ، وَإِنِّي لَا أَحْمَدُ التَّكْرَارَا
شِعْرُهُ فِي الْحَيَاةِ وَقَفَّ عَلَيْهِ فَهُوَ إِنْ عَاشَ عَاشَ أَوْ بَارَ بَارَا

بار: هلك

وَقَرِيفِي يَعْيشُ بَعْدِي طَوِيلًا وَيَجُوبُ الْبِلَادَ وَالْأَمْصَارَا
إيه، يا جميل صدقي - وإيه كلمة لا معنى لها، هي تسليك حنجرة - إيه، قد والله عاش شعرك
بعدك. هذا كلام فصيح غاية الفصاحة، جار على سنن العربية اللطيف جري، دونما إغراب. ما
أجهل من تفتته سهولة الزهاوي عن فصاحته!

٣٢ ثورة في الجحيم

هذه القصيدة تعد ٤٣٣ بيتاً وفيها يقص الزهاوي كيف مات وكيف حوسب، واقتطفنا
منها أبياتاً تحكي القصة وبقدر من التفاصيل. نشرها الزهاوي عام ١٩٣١، وقيل إن
الملك فيصل ملك العراق أنبه عليها، فرد الزهاوي: عجزت عن إشعال ثورة في
الأرض فأشعلتها في السماء:

بعد أن مُتُّ واحتواني الحَفِيرُ جَاءَنِي يَبْلُؤُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
يلو: يمتحن

مَلَكَانِ اسْطَاعَا الظُّهُورَ، وَلَا أَد رِي لِمَاذَا وَكَيْفَ كَانَ الظُّهُورُ
وَلِكُلِّ أَنْفٍ غَلِيظٌ طَوِيلٌ هُوَ كَالْقَرْنِ بِالنُّطَاحِ جَدِيرُ
كَنْتُ فِي رَقْدَةٍ بِقَبْرِي إِلَى أَنْ أَيْقَظَانِي مِنْهَا، وَعَادَ الشُّعُورُ
أَتَيَا لِلسُّؤَالِ فَظَّيْنِ، حَيْثُ الـ مَمِيتُ بَعْدَ اسْتِيقَاضِهِ مَذْعُورُ .
عن أمورٍ كَثِيرَةٍ قَدْ أَتَاهَا يَوْمَ، فِي الْأَرْضِ، كَانَ حَيًّا يَسِيرُ

صِيْحَةً نَحْتَ الْأَرْضِ ثُمَّ حَوَّارُ
وَاقِفًا لِي كَأَنَّمَا هُوَ نَسْرُ
قَالَ مَنْ أَنْتَ، وَهُوَ يَنْظُرُ شَرْرًا
قَالَ مَاذَا أَتَيْتَ إِذْ كُنْتَ حَيًّا
قَالَ مَا دِينُكَ الَّذِي كُنْتَ فِي الدِّنِ
قُلْتُ كَانَ الْإِسْلَامُ دِينِي فِيهَا
قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي عَبَدْتَ فَقُلْتُ اللَّهَ
قَالَ هَلَّا كَسَبْتَ غَيْرَ الْمَعَاصِي
كَانَ إِثْمِي أَنِّي إِذَا سَأَلُونِي
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ رَأَيْ
رُبَّ أَمْرٍ يَقُولُ فِي شَأْنِهِ الْعَقْدُ
قَالَ هَلْ صَدَّقْتَ النَّبِيِّينَ فِيمَا
وَالْكِتَابَ الَّذِي مِنَ اللَّهِ قَدْ جَاءَ
قُلْتُ فِي خَشْيَةٍ: بَلَى، وَفُؤَادِي
شُعَاع: دَمٌ مُتَشَرِّبٌ. لَعَلَّهُ يَقْصِدُ إِنْ قَلْبُهُ أَرَادَ أَنْ يَطِيرَ مَفَارِقًا دَمَهُ؟

بَيْنَ أَقْسَاهُمَا وَبَيْنِي يَدُورُ
وَكَأَنِّي أَمَامَهُ عُصْفُورُ
قُلْتُ: شَيْخٌ فِي لَحْدِهِ مَقْبُورُ
قُلْتُ: كُلُّ الَّذِي أَتَيْتُ حَقِيرُ
يَا عَلَيْهِ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرُ
وَهُوَ دِينَ بِالْاحْتِرَامِ جَدِيرُ
لَهُ رَبِّي، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
قُلْتُ إِنْ لَمْ أَكْسِبْ فَرَبِّي عَفُورُ
لَمْ أَقُلْ مَا يَقُولُهُ الْجُمُهورُ
لِي أَفْضِي بِهِ فَلَا أَسْتَعِيرُ
لَمْ نَقِضْ الَّذِي يَقُولُ الضَّمِيرُ
بَلَّغُوهُ وَلَمْ يَعْقُكِ الْعُرُورُ
ءَ، فَأَذَلَّى بِهِ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ
مِنْ شُعَاعٍ بِهِ يَكَادُ يَطِيرُ
شُعَاع: دَمٌ مُتَشَرِّبٌ. لَعَلَّهُ يَقْصِدُ إِنْ قَلْبُهُ أَرَادَ أَنْ يَطِيرَ مَفَارِقًا دَمَهُ؟

إِنَّهُ مُنْزَلٌ مِنَ اللَّهِ يَهْدِي النَّاسَ
قَالَ: هَلْ كُنْتَ لِلصَّلَاةِ مُقِيمًا؟
إِنَّمَا فِي أَفْتِنَاءِ خُورٍ حَسَانِ
قَالَ هَلْ كُنْتَ قَائِلًا بِنُشُورِ؟
فَإِذَا شَاءَ لِلْعِبَادِ نُشُورًا
قَالَ مَاذَا تَقُولُ فِي الْحَشْرِ وَالْمِيبِ
وَالسُّؤَالِ الدَّقِيقِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
قُلْتُ مَهْلًا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُلْدُ

سَ طُرًّا فَهُوَ السُّرَّاجُ الْمُنِيرُ
قُلْتُ: عَنْهَا مَا إِنْ عَرَانِي فُتُورُ
بِصَّلَاةٍ، تَجَارَةٌ لَا تَبُورُ
قُلْتُ رَبِّي عَلَى النُّشُورِ قَدِيرُ
فَمِنْ السَّهْلِ أَنْ يَكُونَ نُشُورُ
زَانَ، ثُمَّ الْحَسَابِ، وَهُوَ عَسِيرُ
وَالصَّرَاطِ الَّذِي عَلَيْهِ الْعُبُورُ
حِجْفٌ مَهْلًا، فَإِنَّ هَذَا كَثِيرُ

الملحف: الملح

كَانَ إِيمَانِي فِي شَبَابِي جَمًّا
مَا بِهِ نَزْرَةٌ وَلَا تَقْصِيرُ
نَزْرَةٌ: قَلَّةٌ

غَيْرَ أَنْ الشُّكُوكَ هَبَّتْ تُلَاحِيهِ نِي، فَلَمْ يَسْتَقِرَّ مِنِّي الشُّعُورُ
تلاحيني: تتجاذبني

ثُمَّ عَادَ الْإِيمَانُ يَقْوَى إِلَى أَنْ سَلَّهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ الْعُرُورُ
ثُمَّ آمَنْتُ ثُمَّ أَلْحَدْتُ حَتَّى قَبِلَ هَذَا مُذْبَذَبٌ مَمْرُورُ
ممرور: ملثا، به شيء من اكتاب جنوني

ثُمَّ إِنِّي فِي الْوَقْتِ هَذَا لِيَخُوفِي لَسْتُ أَدْرِي مَاذَا اعْتِقَادِي الْآخِيرُ؟
لَمْ يَرِنِّي أَمْرُ الصُّرَاطِ مُقَامًا فَوْقَ وَادٍ مِنَ الْجَحِيمِ يَفُورُ
غَيْرَ أَنِّي أَجِلُّ رَبِّي مِنْ إِنْـ يَانَ مَا يَأْبَاهُ الْجِجَا وَالضَّمِيرُ
فَإِذَا صَحَّ أَنَّهُ كَغَرَارِ السَّـ يِفْ أَوْ شَعْرَةٍ، فَكَيْفَ الْعُبُورُ؟
غرار السيف: حده

وَلَعَلَّ الَّذِينَ صَحَّحُوا بِأَكْبَا شِ، عَلَيْهِمْ بِهَا يَهُونُ الْمُرُورُ
بها: أي بسبب تلك الأكباش التي ضحوا بها في دنياهم سيهون عليهم المرور على الصراط
أَنَا لَوْ كُنْتُ بِالْبَعِيرِ أَضْحَى سَارَ بِي مُرْقَلًا عَلَيْهِ الْبَعِيرُ
مرقلاً: مسرعاً. عليه: أي على الصراط

قَالَ مَاذَا رَأَيْتَ فِي الْجِنِّ قَبْلًا وَمِنْ الْجِنِّ صَالِحٌ وَشَرِيرٌ
ثُمَّ فِي جِبْرِيلَ الَّذِي هُوَ بَيْنَ اللَّـ فِي ذِي الْعَرْشِ وَالرَّسُولِ سَفِيرٌ
قُلْتُ لِلَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُنَّ خَلَقَ كَثِيرٌ
غَيْرَ أَنِّي أَرْتَابُ فِي كُلِّ مَا قَدْ عَجَزَ الْعَقْلُ عَنْهُ وَالْتَفَكِيرُ
لَمْ يَكُنْ فِي الْكِتَابِ مِنْ خَطَأٍ كَلَّاـ وَلَكِنْ قَدْ أَخْطَأَ التَّفْسِيرُ
قَالَ هَلْ فِي السُّفُورِ نَفْعٌ يُرْجَى قُلْتُ خَيْرٌ مِنَ الْحِجَابِ السُّفُورُ
إِنَّمَا فِي الْحِجَابِ شُلٌّ لَشُعْبٍ وَخَفَاءٌ، وَفِي السُّفُورِ ظُهُورٌ
كَيْفَ يَسْمُو إِلَى الْحَضَارَةِ شَعْبٌ مِنْهُ نِصْفٌ عَنْ نِصْفِهِ مَسْتُورٌ؟
لَيْسَ يَأْتِي شَعْبٌ جَلَائِلٌ مَا لَمْ تَسْتَقْدَمَ إِنَائُهُ وَالذُّكُورُ
جلال: أعمال جليلة

قَالَ هَلْ فِي الْإِلَهِ عِنْدَكَ شَكٌّ؟ قُلْتُ لَا، وَالَّذِي إِلَيْهِ الْمَصِيرُ

إِنَّمَا هَذِهِ الطَّبِيعَةُ ذَاتُ الْإِلَهِ لَا تَنَاهِي كِتَابُهُ الْمَسْطُورُ
 إِنْ هَذَا مَا قَدْ تَلَقَّنْتُهُ وَالْإِلَهَ قَلْبُ مَنْ شَكَّوْهُ يَكَادُ يَخُورُ
 يخور: يضعف

وَأَرَى فِي الصُّفَاتِ مَا هُوَ لِلَّهِ هِ، تَعَالَتْ شُؤُونُهُ، تَصْغِيرُ
 من التصغير لأمر الله أن نصفه بصفات نستمدّها من بيتنا
 مَا عِقَابِي مِنْ بَعْدِمَا صَحَّ نَقْلًا أَنْ مَا قَدْ أَتَيْتُهُ مَقْدُورُ؟
 ما وجه معاقبتي بعد أن صح ما نقل عن السلف من أن كل أفعالي مقدرة سلفاً، وليس لي فيها
 اختيار؟

وَإِذَا كَانَ مِنْهُ كُفْرِي وَإِيْمَا نِي فَإِنَّ الْجَزَاءَ شَيْءٌ نَكِيرُ
 أَمِنَ الْحَقُّ خَلْقُ إِبْلِيسَ وَهُوَ الْإِلَهَ مُسْتَبِيدُ الْمُضَلَّلِ الشَّرِيرُ
 قَالَ إِنِّي أَرَى بِخَدِّكَ تَضَعِي رَأْفَةً فَهَلْ أَنْتَ بَزْدَهِيكَ الْغُرُورُ؟
 التصغير: إمالة الخد، كناية عن التكبر

قُلْتُ مَنْ مَاتَ لَا يُصْعَرُ خَدًّا لَيْسَ بِالْمَوْتِ يَخْلُقُ التَّضْعِيرُ
 يخلق: يجدر

إِنِّي أَخْشَى الظَّالِمِينَ فَلَا أَفْ ضِي إِلَيْهِمْ بِمَا بِرَأْسِي يَدُورُ
 لَا تَكُونَا عَلَيَّ فَظًّا فِي قَبْرِ رِي فَإِنِّي شَيْخٌ، بِعَظْفٍ جَدِيرُ
 إِنْ قَوْلَ الْحَقِّ الصُّرَاحِ عَلَى الْأَحَدِ رَارٍ حَتَّى فِي قَبْرِهِمْ مَحْظُورُ
 الصراح: الخالص الصافي

فَدَعَانِي فِي حُفْرَتِي مُسْتَرِيحًا أَنَا مِنْ ضَوْضَاءِ الْحَيَاةِ نَفُورُ
 إِنَّمَا قَدْ سَأَلْتُمَا عَنْ أُمُورٍ هِيَ لَيْسَتْ تُغْنِي وَلَيْسَتْ تَضِيرُ
 وَلِمَاذَا لَمْ تَسْأَلَا عَنْ ضَمِيرِي وَالْفَتَى مَنْ يَعْفُ مِنْهُ الضَّمِيرُ
 وَلِمَاذَا لَمْ تَسْأَلَا عَنْ جِهَادِي فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَهُوَ شَهِيرُ
 وَلِمَاذَا لَمْ تَسْأَلَا عَنْ وَفَائِي وَوَفَائِي لِمَنْ صَحَبْتُ كَثِيرُ
 وَسَلَانِي عَمَّا نَظَّمْتُ مِنَ الشَّعْرِ رِ، فَبِالشَّعْرِ يَرْتَقِي الْجُمْهُورُ
 وَسَلَانِي عَنْ جَعْلِي الصَّدَقَ كَالصَّخْرِ رِ أَسَاسًا تُبْنَى عَلَيْهِ الْأُمُورُ
 أَسْكُوتُ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ حَقٌّ وَسُؤَالٌ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ زُورُ؟

قَالَ كُلُّ الذِي عَرَضَتْ عَلَيْنَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْهِمُّ شَيْءٌ حَقِيرٌ

الشيخ الهم: الممن الضعيف

نَحْنُ لَسْنَا بِسَائِلِينَ سِوَى مَا قُلْتُ مَا لِي بِكُلِّ ذَلِكَ عِلْمٌ
كَانَ حَوْلَ الدِّينِ الْمُبِينِ يَدُورُ فَبَجَحْدِي عَقْلِي عَلَيَّ يُشِيرُ
كُنْتُ حَيًّا فَمُتُّ، وَالْمَوْتُ حَقٌّ شَاهِدَاتُ بِمَا هُنَاكَ الْقُبُورُ
كُنْتُ فَوْقَ الثَّرَابِ بِالْأَمْسِ أَمْشِي وَأَنَا الْيَوْمَ تَحْتَهُ مَقْبُورُ
قَالَ مَا أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجْسُ إِلَّا مُلْجِدٌ قَدْ ضَلَّ السَّبِيلَ، كَفُورُ
ثُمَّ تَلَّانِي لِلْجَبِينِ وَقَالَ لِي: ذُقْ أَنْتَ الْفَيْلَسُوفُ الْكَبِيرُ

تلاني للجين: ألقاني أرضاً

قُلْتُ صَفْحًا فَكُلُّ فِلَسْفَتِي قَدْ كَانَ مِمَّا يُمْلِيهِ عَقْلِي الصَّغِيرُ
لَمْ تَكُنْ أَقْوَالِي الْجَرِيئَةَ إِلَّا نَفَثَاتُ يَرْمِي بِهَا الْمَضْدُورُ
أَقْوَالِي الْجَرِيئَةُ كَانَتْ نَفَثَاتُ، بِصَقَاتُ بَلْغَمُ، يَرْمِي بِهَا الْمَضْدُورُ، الْمَصَابُ بَدَاءُ فِي صَدْرِهِ، فَهُوَ
يَرْمِي بِالْبَلْغَمِ فَيَسْتَرِيحُ قَلِيلًا

فَأَجَابَنِي قَائِلِينَ بِصَوْتٍ لَا يَسُرُّ الْأَسْمَاعَ مِنْهُ الْهَدِيرُ
ثُمَّ صَبَّأَ بِقَسْوَةٍ فَوْقَ رَأْسِي قَطْرَانًا لِسَوْءِ حَظِّي يَفُورُ
القطران: الزيت، مستخرجاً من نَفْطٍ أَوْ مِنْ فَحْمٍ

فَشَوَى رَأْسِي ثُمَّ وَجَّهَنِي حَتَّى بَانَ، مِثْلَ الْمَجْدُورِ، فِيهِ بُثُورُ
ثُمَّ طَارَا بِي فِي الْفَضَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ مَهْ حَتَّى يُغْرَى بِلُؤْمِي الضَّمِيرُ
وَأَسْرًا فِي أُذُنِ «رِضْوَانَ» شَيْثًا فَأَبَاحَ الْجَوَازَ وَهُوَ عَسِيرُ
رضوان: حارس الجنة

لَمَسْتُ، إِذْ دَخَلْتُهَا، الْوَجْهَ مِنِّي نَفْحَةٌ فَاحَ عِطْرُهَا وَالْعَبِيرُ
جَنَّةٌ عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ضُ بِهَا مِنْ شَتَّى النِّعَمِ الْكَثِيرُ
فَطَعَامٌ لِلْأَكْلِينَ لَذِيذٌ وَشَرَابٌ لِلشَّارِبِينَ طَهُورُ
سَمَكٌ مَقْلِيٌّ وَطَيْرٌ شَوِيٌّ وَلَذِيذٌ مِنَ الشَّوَاءِ الطَّيْبُورُ
وَعَلَى أَرْضِهَا زَرَائِي قَدْ بُشْتُ ثُ حِسَانٌ كَأَنَّهُنَّ زُهُورُ

زرايي: سجاجيد

وعليها أسيرة وفراش، وعلى نلكم الأسيرة حور
ليس يخشين في المجانة عاراً
وكأن الولدان حين يطوفو
إنت ما شئتة ولا تخش بأساً
فإذا ما اشتهيت طيراً هوى من
وإذا رمت أن يحول لك التيب
لو قال حماماً أو إوزاً لكان الطيران معقولاً، فأما الدجاج الذي يطير فهو . . لا علينا، ربما كان
دجاج الجنة كذلك

أو إذا شئت أن يصير لك الحص
ولقد رمت شربة من نمير
النمير: الماء العذب

وتذكرت أنني رجل جي
قلت غوداً من حيث قد جئتما بي
أخرجاني منها وشدا وثاقي
نسوع: أحزمة من جلد

ثم قاما فدلّيانِي ثلثاً
ثلاثاً: ثلاث مرات، أو ربما ثلاث قامات . . أي بقدر طول الرجل ثلاث مرات

وأخيراً في جوفها قذفا بي
ربّي اضرف عني العذاب فلاني
وأشدّ العذاب ما كان في الها
حيث لا ينصّر الهضيم أخوه
الهضيم: الضعيف المهزول، العشير: الصاحب

الطعام الزقوم في كل يوم
اليحوم: الأسود، اليعمور: الأحمر

ولقد يسقى الظالمون عصيراً
هو من حنظل وساء العصير

يَضْرَعُ الْمُجْرِمُونَ فِيهَا عِطَاشًا وَالضَّرَاعَاتُ مَا لَهَا تَأْيِيرُ
وَلَهُمْ مِنْ غَيْظِ تَأَجَّجٍ فِيهِمْ نَظَرَاتُ شَرَارِهَا مُسْتَطِيرُ
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ الْفَرَزْدَقَ يَضُوءًا يَتَلَوَّى وَوَجْهُهُ مَغْضُورُ
نضوا: مهزولاً

وَالِى جَنْبِهِ، يَقَاسِي اللَّظَى الْأَخْرَ ظَلُّ مُسْتَعِيرًا، وَيَشْكُو جَرِيرُ
مستعيراً: باكياً

قُلْتُ مَا شَأْنُكُمْ؟ فَقَالُوا دَهَانَا مِنْ وَرَاءِ الْهَجَاءِ ضُرٌّ كَثِيرُ
وَلَقَدْ كَانَ آخَرُونَ حَوَالَيْنَا هُمْ جُشُومًا وَكُلُّهُمْ مَوْتُورُ
كانوا جثوماً: كانوا جائمين، موتور: شاعر بظلم وطالب للثأر

مِنْهُمْ الْعَالِمُ الْكَبِيرُ وَرَبُّ الْفَنِّ وَالْفِيلَسُوفُ وَالنُّخْرِيرُ
التحرير: المتبحر في علمه

لَمْ أَشَاهِدْ، بَعْدَ التَّلَقُّتِ، فِيهَا ثُمَّ حَيَّانِي أَحْمَدُ الْمَتَنَّبِيُّ
وَلَقَدْ كَادَ يَخْنُقُ الْغَيْظُ بَشًّا وَيَلِيهِمْ أَبُو نُوَّاسٍ كَثِيبًا
مِثْلُهُ الْخِيَامُ الْعَظِيمُ، وَدَنْتِي وَلَقَدْ كَانَ لَامِرِي الْقَيْسِ بَيْنَ الْـ
قُلْتُ مَاذَا يَكُمُ؟ فَقَالُوا لَقِينَا ثَبِير: جبل في بلاد العرب كبير
جَاهِلًا لَيْسَ عِنْدَهُ تَفْكِيرُ وَالْمَعْرِيّ الشَّيْخُ، وَهُوَ ضَرِيرُ
رَأَى، وَفِي وَجْهِهِ الدَّمِيمِ بُشُورُ وَهُوَ ذَاكَ الْمِمْرَاحَةُ السَّكِيرُ
وَأِمَامُ الْقَرِيضِ شَاكِسْبِيرُ قَوْمِ صَدْرٍ، وَلِلْمُلُوكِ الصُّدُورُ
مِنْ جَزَاءِ مَا لَا يُطِيقُ ثَبِيرُ

إِنَّا كُنَّا نَسْتَخِفُّ بِأَمْرِ الدَّـ ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُ سُقْرَاطَ يُلْقِي
وَالِى جَنْبِهِ، عَلَى النَّارِ، أَقْلًا وَأَرِسْطَالِيْسُ الْكَبِيرُ وَقَدْ أَغْدُ
ثُمَّ كُوبَرْنِيكَ الَّذِي كَانَ قَدْ أَقْدُ تَتَبَعَ الشَّمْسَ أَيْنَمَا هِيَ سَارَتْ
يَنْ فِي شَعْرِنَا، فَسَاءَ الْمَصِيرُ خُطْبَةٌ فِي الْجَحِيمِ، وَهِيَ تَفُورُ
طُونُ يُصْغِي كَأَنَّهُ مَسْرُورُ رَقٍّ مِنْهُ الْمَشَاعِرُ التَّفَكِيرُ
هَمَمْنَا أَنَّ الْأَرْضَ جِزْمٌ يَدُورُ وَعَلَيْهَا مِثْلُ الْقَرَاشِ تَطُورُ

تطور: تحوم

ثُمَّ دَرَوَيْنَ وَهُوَ مَنْ قَالَ إِنَّآ
وَنُيُوتُونُ الْحَبْرُ ثُمَّ رِنَانُ
وَزَرَادَشْتُ ثُمَّ مَزْدَكُ يَأْتِي
وَالْحَكِيمُ الْكِندِيُّ ثُمَّ ابْنُ سِينَا
نَسْلُ قِرْدٍ قَضَتْ عَلَيْهِ الدُّهُورُ
ثُمَّ رُوشُو وَمِثْلُهُ فُؤْلَتِيرُ
وَجُمُوعُ إِمَامُهُمْ أَبِقُورُ
وَابْنُ رُشْدٍ، وَهُوَ الْحَفِيّ الْجَسُورُ

الحفي: العالم المستقصي

كَانَ سُقْرَاطُ أَثَبَّتَ الْقَوْمَ جَاشِئاً
قَالَ، مِنْ بَعْدِ شَرْحِهِ مَنْشَأُ النَّآ
فَهُوَ ذُو عَزْمٍ فَائِقٍ لَا يَخُورُ
رِ، وَفِي قَوْلِهِ إِلَيْهَا يُشِيرُ

كان يشرح منشأ النار، وهو يشير بيده نحوها

سَوْفَ يَقْضِي فِينَا التَّطَوُّرُ أَنْ نَقْدَ
إِنْ فِي ذَا الْوَادِي السَّحِيقِ عُيُوناً
وَلَقَدْ تَنْضِبُ الْعُيُونُ، فَلَا نَا
مَكْنُوتَا حَتَّى جَاءَ مِنْهُمْ حَكِيمٌ
آلَةٌ تُطْفِئُ السَّعِيرَ إِذَا شَا
وَلَقَدْ قَامَ فِي الْأَخِيرِ فَنَى يَخِ
قَالَ يَا قَوْمَنَا جَهَنَّمَ غَصَّتْ
قَالَ يَا قَوْمَنَا أَرَى الْأَمْرَ مِنْ سُو
أَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي جَهَنَّمَ أَسْرَى
أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْأَكْثَرُونَ وَأَمَّا
فَعَلَا مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ ضَجِيجٌ
وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي جَهَنَّمَ أَسْرَى
أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْأَكْثَرُونَ وَأَمَّا
فَعَلَا مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ ضَجِيجٌ

الساعور: التنور

أَطْفَأُوا جَمْرَةَ الْجَحِيمِ فَكَانَتْ
ثَوْرَةً فِي الْجَحِيمِ أَرْجَفَتِ الْعَرْ
فَنَنَةً مَا جَرَى بِهَا التَّقْدِيرُ
شَ، وَكَادَتْ مِنْهَا السَّمَاءُ تَمُورُ

تمور: تموج

زَحَفُوا ثَائِرِينَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
لَكُمْ الْأَكْوَاخُ الْمَشِيدَةُ بِالنَّآ
إِنْ خَضَعْتُمْ فَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيبٍ
فِي ضُفُوفٍ كَأَنَّهِنَّ سَطُورُ
ر وَلِلْبُلْبُلِ فِي الْجَنَانِ الْقُصُورُ!
فِي طَوَالِ الدُّهُورِ إِلَّا السَّعِيرُ

ولقد أَسْرَعَتْ زَبَانِيَةُ النَّارِ
 ثُمَّ جَاءَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ أَنْصَابًا
 كَانَ إِبْلِيسُ قَائِدًا لِلشَّيَاطِينِ
 وَلَقَدْ جَاءَ مِنْ مَلَائِكَةِ الْعَزَّةِ
 وَتَلَقَّى فَوْقَ الْجَحِيمِ الْفَرِيقَا
 يَتَرَامُونَ بِالصَّوَاعِقِ صَفْقًا
 حَارَبُوا بِالْجَبَالِ تُقَذَّفُ بِالْأَيْدِ
 بِالْبَرَائِكِ نَائِرَاتٍ، جَرَتْ مِنْ
 وَقْدِ اهْتَزَّ عَرْشُ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِ
 كَانَتْ الْحَرْبُ فِي الْبِدَاءِ سِجَالًا
 ثُمَّ لِلنَّاطِرِينَ بَانَ جَلِيلًا
 وَلِأَهْلِ الْجَحِيمِ تَمَّ، بِإِنْجَا
 فَاسْتَرَأَوْا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي كَانُوا
 ثُمَّ طَارُوا عَلَى ظُهُورِ الشَّيَاطِينِ
 يَطْلُبُونَ الْجَنَانَ حَتَّى إِذَا مَا
 طَرَدُوا مَنْ بَهَا مِنَ الْبُلْهِ وَاحْتَلُّوا
 غَيْرَ مَنْ كَانُوا مُصْلِحِينَ، فَهَذَا الـ
 فَرَّ رِضْوَانُ لِلنَّجَاةِ وَمِنْ أَنْ
 وَأَقَامُوا لِفَتْحِهِمْ حَفْلَةً أَعَدَّ
 إِنَّهُ أَكْبَرُ انْقِلَابٍ بِهِ جَاءَ
 وَتَنَبَّهْتُ مِنْ مَنَامِي صُبْحًا
 وَإِذَا الْأَمْرُ لَيْسَ فِي الْحَقِّ إِلَّا

رِإِيهِمْ وَكُلُّهُمْ مَذْعُورُ
 رَأَى، وَمَا جِيئَ الْمَارِدِينَ حَقِيرُ
 مِنْ إِبْلِيسَ، حَيْثُ كَانَ، قَدِيرُ
 شَيْءٍ لِإِرْجَاعِ الْأَمْنِ جَمٌّ غَفِيرُ
 نِ، وَهَذَا نَارٌ وَهَذَا نُورُ
 نِ، فَيَسْتَدُّ الْقَتْلُ وَالتَّدْمِيرُ
 لَدِي تَبَاعًا كَأَنَّهُنَّ فُشُورُ
 حُمَمٍ فِيهَا أَنْحَرُ وَنُهِورُ
 لِدُسْكَوْنِ، وَالذَّائِرَاتُ تَدُورُ
 مَا لِصُبْحِ النَّصْرِ الْمَبِينِ سُفُورُ
 أَنَّ جِيئَ الْمَلَائِكِ الْمَذْهُورُ
 دِ الشَّيَاطِينِ، فِي الْقِتَالِ الظُّهُورُ
 نُورًا يُقَاسُوتُهُ وَجَاءَ السُّرُورُ
 مِنْ خِفَافًا كَمَا تَطِيرُ النَّسُورُ
 بَلَّغُوهَا جَرَى نِضَالٍ قَصِيرُ
 الْقُصُورِ الْعُلْيَا، وَنَعَمَ الْقُصُورُ
 قِسْمُ مِنْهُمْ، بِالْاحْتِرَامِ جَدِيرُ
 بَاعِ رِضْوَانٍ، مُسْرِعًا، جُمُهورُ
 قَبَّهَا مِنْهُمْ الْهَتَافُ الْكَثِيرُ
 دَثَّ عَلَى كَرِّهَا الطَّوِيلِ، الدَّهْورُ
 وَإِذَا الشَّمْسُ فِي السَّمَاءِ تُنِيرُ
 حُلْمًا قَدْ أَثَارَهُ الْجَرْجِيرُ

سودنا ما سودنا من الآيات التي اخترناها من هذه القصيدة الطويلة كي تنسق القصة، وهي قصيدة تلبس ثوب الملحمة، لكنه ثوب مرقع بألوان كثيرة من السخرية ومن التندر بالمعتقدات الشائعة، ومن آراء الزهاوي المعروفة عن الحجاب والسفور وحرية الرأي، إلخ. ويغفر للزهاوي هذه النثرية العالية روحه الفكاهة، وتمرده، وأنه مختلف عن غيره؛ وأما تناوله عرش رب الكون الجليل فلا يغفره إلا رب الكون الجليل

٣٣ الهامس والجاهر

وليس بِحُرٍّ مَنْ تَكَلَّمَ هَامِساً وَلَكِنْ مَنْ نَادَى جَهَاراً هُوَ الْحُرُّ
يقولون في الإيمانِ كُلُّ نَجَاتِنَا وَيَا رَبِّ إِيْمَانٍ قَوِيٍّ هُوَ الْكَفَرُ
وينتظرون الفجرَ في ليلِ قَبْرِهِمْ وَلَكِنْ لِيَالِي الْقَبْرِ لَيْسَ لَهَا فَجْرُ

٣٤ سفر سفر

أَحْيِيكَ يَا مِصْرُ الْجَمِيلَةَ يَا مِصْرُ بِشَعْرِ يُزَكِّيهِ شَعُورِي وَالْفِكْرُ
إِذَا الشَّعْرُ لَمْ يَهْزُزْكَ عِنْدَ سَمَاعِهِ فَلَيْسَ خَلِيقاً أَنْ يُقَالَ لَهُ شَعْرُ
التسويد من عمران القفني

إِلَى بَلَدٍ يَلْقَى بِهِ الْحَقُّ دَادَةً وَيَنْعُمُ فِي أَكْنَافِهِ الشَّاعِرُ الْحُرُّ
أَسِيرُ إِلَى بَلَدٍ يَلْقَى بِهِ الْحَقُّ مِنْ يَذُودٍ وَيَدَافِعُ عَنْهُ

قَصِدْتُ بِسِيرِي مِصْرَ حَتَّى وَصَلْتُهَا وَلَا بُدَّ مِنْ مِصْرٍ وَإِنْ بَعُدَتْ مِصْرُ
صَبْرْتُ عَلَى ضَيْمِي بِبَغْدَادَ حِقْبَةً فَمَا سِرْتُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَفَدَ الصَّبْرُ
وَقَدْ ذُقْتُ حُلُوَّ الْعَيْشِ دَهْرًا وَمُرَّةً إِلَى أَنْ تَسَاوَى فِي فَمِي الْحُلُوُّ وَالْمُرَّةُ

٣٥ الطفل الضرير

أُمَّاهُ إِنِّي ضَرِيرٌ وَالْقَلْبُ مِنِّي كَسِيرٌ
يَا أُمُّ إِنْ شَقَائِي لَوْ تَعْلَمِينَ كَبِيرٌ
يَوْمِي وَلَيْلِي سَوَاءٌ كِلَاهُمَا لَا يُنِيرُ
يَا أُمُّ إِنْ لَمْ يَضُرَّنِي الْـ عَمَى فَمَاذَا يَضِيرُ؟
هَلِ الضُّيَاءُ جَمِيلٌ كَمَا يَقُولُ الْبَصِيرُ
وَهَلِ هُنَاكَ خَفَاءٌ وَهَلِ هُنَاكَ ظُهُورُ
وَهَلِ هُنَاكَ سَمَاءٌ فِيهَا النُّجُومُ تَدُورُ
وَهَلِ إِذَا جَاءَ فَصْلُ الرَّـ بَيْعِ تَزْهُوِ الزَّهْوَرُ
وَهَلِ جَمِيلٌ عَلَيْهَا الْـ قَرَّاشُ حِينَ يَطِيرُ
مَا لِي غَنَى عَنْ جَوَابِ يَا أُمُّ إِنِّي ضَرِيرٌ

هذه القصيدة تشبه قصيدة أخرى عذبة جداً مطلعها: (يا أم ما شكل أنساء وما الضياء وما القمر)، وهي منسوبة إلى ولي الدين يكن، ولم أجدها في ديوانه، وإن وجدت له قصيدة رقيقة عن فتاة ضريبة

٣٦ مهتي كشاعر

إِنِّي أَمْرُؤٌ لَا أَجْهَرُ إِلَّا بِمَا أَنَا أَشْعُرُ
 إِنَّ نَابِنِي شَرٌّ فَإِنَّهُ بِي مِنْهُ لَا أَتَذَمَّرُ
 أَوْ جَاءَنِي خَيْرٌ فَلَا أَغْتَرُّ مِنْهُ وَأُبْطَرُ
 وَلَقَدْ قَنِعْتُ مِنَ الطَّعَا مِ بَبُلْعَةٍ تَتَيَسَّرُ
 لَا كَالَّذِينَ عَلَى طَعَا مِ وَاحِدٍ لَمْ يَصْبِرُوا

قال العباس بن الأحنف «لكنني جريتكم فوجدتكم/ لا تصبرون على طعام واحد» يتهم محبوبته بأنها تواصل سواه

أَوْ كَالَّذِينَ إِذَا تَغَيَّرَ رَتِ الظُّرُوفُ تَغَيَّرُوا
 لَيْسَ الْقَرِيبُ بِطَوْلِهِ بَلْ قَدْ يَفُوقُ الْأَقْصَرُ
 وَإِذَا شَرَعْتُ بِنَظْمِهِ لِلذَّمِّ فِيهِ أَحْضَرُ
 فَإِذَا نَظَّمْتُ الْبَيْتَ مِنْهُ لَهُ أَعْيَدُهُ وَأَكْرَرُ
 وَإِذَا رَأَيْتُ اللفظَ لِي سَ كَمَا أُرُومُ أَغْيَرُ
 وَأَظْلُ أَصْفُلُهُ إِلَى أَنْ تَسْتَقِيمَ الْأَشْطَرُ
 مَا إِلَّا دَيْبٌ بِسُقْطَرِهِ فِي الشَّرْقِ قَدْ يُذَكَّرُ
 وَلَقَدْ يُصَادِفُ عِرَّةً مِنْ بَعْدِمَا هُوَ يُقْبَرُ
 مِنْ بَعْدِمَا فِي قَبْرِهِ أَوْصَالُهُ تَتَبَعَرُ .
 مَاذَا مِنَ التَّكْرِيمِ يَرُ جُومَيَّتٌ لَا يَشْعَرُ؟

٣٧ في المغني عبد الوهاب

وَصَبَوْنَا إِلَى اللَّقَاءِ، وَلَكِنْ حَالَ دُونَ اللَّقَاءِ شَحْطُ الْمَزَارِ
 شحط المزار: بُعِدَ الْمَكَانُ

ولقد كان صوتك العذب قبلاً فِي الْفُنُغْرَافِ مَالِئاً كُلَّ دَارٍ

الفونوغراف: البك أب، جهاز له إبرة تسلط على قرص مخدد بأخدود لولبي دقيق في جوفه مضاب ووديان، ويدور القرص وتسير الإبرة صاعدة هابطة، وتنقل ذبذباتها إلى سماعة مكبرة مكهربة فتتحول الذبذبات إلى صوت. بهذه الطريقة الميكانيكية تمكن الإنسان لأول مرة في التاريخ من حفظ الصوت (يسمى القرص أسطوانة لأن المخترع إدسون أدار إبرته الأولى على أسطوانة، ١٨٧٧). ودخل الفونوغراف العالم العربي عام ١٩٠٤

فَإِذَا مَا رَفَعْتَ فِي مِصْرَ صَوْتًا رَدَّدَتْهُ بَقِيَّةُ الْأَمْصَارِ
إِنَّ مَنْ لَا يَهْزُهُ مِنْكَ لَحْنٌ حَجَرٌ جَامِدٌ مِنَ الْأَحْجَارِ

٣٨ أنا والمتعصبين

يَا قَوْمَ مَهَلًا مُسَلِّمٌ أَنَا مِثْلُكُمْ اللَّهُ ثُمَّ اللَّهُ فِي تَكْفِيرِي
الله: اتقوا الله

أَسْفِي عَلَى مُتَعَصِّبِينَ تَأَلَّبُوا يَحْمُونَ حَوْضَ الْجَهْلِ بِالسَّاطُورِ
الساطور: سكين القصاب الكبير

مَاذَا عَلَيَّ مِنَ الَّذِي قَدْ قَلَبْتُهُ أَوْلَسْتُ حُرَّ الرَّأْيِ وَالتَّفْكِيرِ
يَا ظَلَمُ إِنْ طَالَتْ يَدُكَ بُرْهَةً فَالْعَدْلُ لَيْسَ ذِرَاعُهُ بِقَصِيرِ

٣٩ رثاء

قال في رثاء صديقه عبد الرحمن عميد آل جميل:

الْقَلْبُ مِنِّي مُضْغَةٌ وَالْهَمُّ أَكْبَرُ مِنْ ثَبِيرِ
ثبير: جبل كبير... يقع في قصائد القدماء

إِنَّ اعْتِمَادَ الْأَكْثَرِ نَ عَلَى الْحَيَاةِ مِنَ الْغُرُورِ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَصِيرَهُمْ فَعَرَفْتُ حِينَئِذٍ مَصِيرِي
أُمَّا النِّسَاءُ فَقَدْ أَقْمَ نَ مَنَاحَةً حَوْلَ السَّرِيرِ
يَلْدِمْنَ بِالْأَيْدِي هُنَا لَكَ عَلَى التَّرَائِبِ وَالنُّحُورِ
يلدمن: يلطمن

يَنْدُبُنَ فَقَدْ وَلِيَّهِنَّ- وَضِيعَةَ الْحَامِيِ الْكَبِيرِ
لَمْ يَبْقَ فِي بَغْدَادَ، غِب- رَ الْحَزَنَ، بَعْدَكَ مِنْ كَبِيرِ

٤٠ منتهى العجز

وَأَرَى بَيْنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَمَامِي وَحَيَاتِي فِي كُلِّ يَوْمٍ صِرَاعَا
أَمَهَلْتَنِي الصُّرُوفَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ رَ فَلَمَّا أَتَيْنَ جِئْنَ سِرَاعَا
وَكَأَنِّي أَرَى حَفِيرِي بِعَيْنِي فَاغِرًا قَاهُ يَبْتَغِي لِي ابْتِلَاعَا

وَأَرَى أَيْدِيَّ تُحَاوِلُ دَفْنِي نَمِ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ دِفَاعًا

٤١ الروح

وَإِذَا تَصَدَّعَ مِنْكَ جِسْمُكَ لِلرَّدَى يَوْمًا فَرُوحُكَ مِثْلَهُ تَتَصَدَّعُ
وَالرُّوحُ لَيْسَ سِوَى الْحَيَاةِ تَشَارَكَتْ زُمْرًا خِلَايَا الْجِسْمِ فِيهَا أَجْمَعُ
هِيَ فِي الْجَمَادِ خَفِيَّةٌ لِبَسَاطَةٍ فِيهَا، فَلَا تَبْدُو وَلَا تَتَفَرَّعُ
الروح لا تظهر في الجماد، ولا تتفرع أي لا تتكاثر الجمادات

أَمَّا النَّبَاتُ فَلِإِنَّهَا مُنْحَطَّةٌ فِيهِ فَلَا يَرْنُو وَلَا يَتَسَمَّعُ
فلسفة الزهاوي ببساطة: الروح هي الحياة لا غير

٤٢ العقل والخلق

قَدْ مَيَّرْتُكَ رَجَاحَةً فِي الْعَقْلِ، وَالْخُلُقِ الْوَسِيعُ
وَصَنَعْتُ مَا بَلَغَتْ يَدَا لَكَ وَحَبَّذَا مِنْكَ الصَّنِيعُ
وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِفَاعِلٍ إِلَّا لِمَا هُوَ يَسْتَطِيعُ

٤٣ يَا رَبِّ

قَرَأْتُ اسْمَكَ الْمَحْمُودَ فِي اللَّيْلِ وَالضُّحَى إِذِ الشَّمْسُ تَسْتَخْفِي إِذِ الشَّمْسُ تَطْلُعُ
فَأَبْقَنْتُ أَنَّ الْكَوْنَ بِاللَّهِ قَائِمٌ وَأَمَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لِلْكَوْنِ مُبْدِعُ
وَأَنَّكَ مَعْنَى وَالْخَلِيقَةَ لَفُظَةٌ وَأَنَّكَ حُسْنٌ وَالطَّبِيعَةَ بُرْقُعُ
أَبْذَكَرُكَ الْإِنْسَانُ فِي الْعُسْرِ جَانِعًا وَيَنْسَاكَ عِنْدَ الْيُسْرِ إِذْ هُوَ يَشْبَعُ
تَعَالَيْتَ أَنْتَ اللَّهُ مُقْتَدِرًا فَمَا يَضُرُّكَ نِسْيَانٌ وَلَا الذُّكْرُ يَنْفَعُ

٤٤ خَرَجَ وَلَمْ يَعُدْ

قَدْ طَلَعْتَ فِي خَيْلِكَ فَيَا لِحُسْنِ الْمَظْلَعِ
الخيلع: البلوز الحفر، الذي بلا أكمام، وهو الخيلع أيضاً، وهو الإثْبُ والشُّوْذَرُ
والقَرَقَرُ والصُّدَارُ والمِجُولُ والشَّامَالُ. وقال قوم السامال، وهو العِلْقَةُ. وهو عندنا
اليوم الكَطْ، مَسْمُومٌ بِالْكَلِمَةِ الْأَجْنِبِيَّةِ. وهو الحفر، بتسمية الشيء بالمصدر كقولك
حديد سَكَبٌ، وهذه أفصح من كل ما سبق، وقد ترى المرأة نزعَت الكمين ولم
تكتف بهذا فحفرت في قماش قميصها حفرتين أخريين كي تعرض علينا المزيد من
لحم ترائبها، فالحفر على هذا كلمة مناسبة جداً

دَعْنِي بِحَسَنِ وَجْهِهَا لِنَظَائِرِي أَمْتَّع
فَإِنَّ عَيْنِي بَعْدُ مِنْ رُؤْيَيْهَا لَمْ تَشْبَعِ
وَدِدْتُ لَوْ أَنَّي أَرَا هَا بِمُحِبِّينَ أَرْبَعِ
ذَهَبْتُ فِي حُبِّي لِلْمُ بَاءً، وَلَمَّا أَرْجِعِ

٤٥ المُرْبِثُ

اِفْتَحُوا لِلْفَتَى الْهَاضِمِ الطَّرِيقَا فَلَقَدْ جَاءَ يَزْبُثُرُ حَنِيْقَا
الهضم: النحل، يزبثر: يتفش ويتها للصرع

رَافِعاً رَايَةَ التَّمَرْدِ تَهْفُو حَامِلاً مِنْ بَرَاعِهِ مَنْجَنِيْقَا
لَا يُبَالِي مِنْ بَعْدِ إِدْرَاكِهِ الشَّأْ رَ أَلَا قَى سَلَامَةً أَمْ زُهَوَا
ذَاكَ خُرٌّ يَأْبَى الْقَبُولَ لِضَبْمِ وَائْتِاقاً فِي صِرَاعِهِ أَنْ يَفُوقَا
جَاءَ يَمْعِدُو لِیَسْتَرِدَّ بِمَا أَوْ تَيَّ مِنْ قُوَّةِ الْجَنَانِ الْحُقُوقَا

الجنان: القلب

رُبَّ غِرٍّ إِذَا عَلَا أَكْمَةً ظَنَّ- غُروراً أَنْ صَافَحَ الْعَيُّوقَا
أكمة: الأكمة التلة، العيوق: نجم بعيد. ويزعم صديقي عمران القفيني أن ناسا تبحث عنه منذ أن
سمعت به من الشعراء العرب. . دون جدوى

سَيُلَاقِي الْبُغَاةَ يَوْمًا ثَقِيلًا فِيهِ لَا يَنْفَعُ الصَّدِيقُ الصَّدِيقَا
مَا يَزَالُ الْهَاضِمُ يَشْهَقُ يَأْسًا ثُمَّ لَا يُشْبِهُ الشَّهِيقُ الشَّهِيقَا
أَيُّهَا الدَّائِسُونَ بِالرَّجْلِ حَقِّي لَيْسَ حَقِّي بِأَنْ يُدَاسَ حَقِيقَا
حقيقاً: مستحقاً

يَحْزَنُ الْعَنْدَلِيبُ أَنْ يَحِدَ الْجَوَّ- جَمِيلاً وَلَا يَكُونُ طَلِيقَا
قُلْ لِمَنْ أَحَقُّظْنَتْهُ زَنْدَقَةٌ لِي سَيِّدِي أَنْتَ لَا تَكُنْ زَنْدِيقَا
أحفظته: أغضبته

ذَاكَ أَمْرٌ لَهُ مَسَاسٌ بِنَفْسِي فَمِنْ الْحُمَقِ أَنْ تَكُونَ حَنِيقَا
وَهُوَ الْعِلْمُ لَا يَقُولُ بِمَا لَمْ تَأْتِ فِيهِ الْعَيُونُ فَحَصْناً دَقِيقَا
وَهُوَ الْعِلْمُ شَكٌّ فِي حِسِّ مَيِّتٍ مَرْقُتُهُ أَيْدِي الْبَلَى تَمْرِيقَا

البلى: اهترأنا بعد إذ نموت

إِنِّي مُؤْمِنٌ، عَلَى الشَّكِّ مِنِّي وَمِنَ اللَّهِ أَطْلُبُ التَّوْفِيقَا
 حَيْثُمَا أَلْتَفِتْ أَشَاهِدْ بِعَيْنِي سَاحِقًا فِي الْحَيَاةِ أَوْ مَسْحُوقَا
 وَإِذَا نِمْتُ فِي قَرَارَةٍ رَمْسِي فَمِنَ الْخَيْرِ الْجَمُّ أَلَّا أَفِيقَا
 حَبِّذَا جَنَّةً سَتَشْرَبُ فِيهَا لَبْنًا طَابَ طَعْمُهُ وَرَحِيقَا
 وَهَنَاكَ الْحُورُ الْجِسَانُ يُقَعِّقُفُ نَ حَوَالِيكَ الْكَأْسَ وَالْإِبْرِيقَا
 إِنْسِي لَا أَلْتَذُّ إِلَّا بِدَنْبِيَا يَ، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بِهَا مَرْزُوقَا
 وَإِذَا الْبَاسُ كَظَّ نَفْسِي فُضِيقْتُ مِنْهُ فَرَجْتُ بِالْخِيَالِ الضَّيِّقَا

كظ: ملأ

٤٦ المملوكة

لَقَدْ أَضَاعْتُ عَنْدَهُ مِّنَ الْحَيَاةِ حَقَّهَا
 فَهَلْ تَزَوَّجْتُ بِهِ أَمْ مَلَّكَتُهُ رِقَّهَا
 يَسُومُهَا الْخَسْفُ، فَإِنْ تَذَمَّرْتُ طَلَّعَهَا

يسومها الخسف: يظلمها

٤٧ الحياة حريق

يُودِي الْفَتَى مِّنْ حَيْثُ يَسْلُمُ غَيْرُهُ مَا لِلسَّلَامَةِ مِنْهُجٍ مَطْرُوقُ
 يودي: يموت

الْكُونُ بَحْرٌ مِّنْ لَّهَيْبٍ لَّهَيْبٍ وَالنَّاسُ فِيهِ سَابِغٌ وَغَرِيقُ
 فِي كُلِّ حَيٍّ شُعْلَةٌ مِّنْ نَّارِهِ فَكَأَنَّمَا هَذِي الْحَيَاةُ حَرِيقُ

٤٨ في السياق

إِنَّ أَعْدَائِي فِي الْعِرَاقِ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ فِيهِ آخِذٌ بِخِنَاقِي
 سَأُولِي رُبُوعَ بَغْدَادَ ظَهْرِي تَارِكًا خَيْرَهَا لِأَهْلِ النِّفَاقِ
 أَصْلَحَ اللَّهُ ثُلَّةً شَتَمُونِي وَأَطَالُوا فِي مَوْطِنِي إِرْهَاقِي
 لَيْسَ قَصْدِي مِمَّا ذَكَرْتُ عِتَابًا غَيْرَ أَنِّي أُرْدُتُهُ فِي السَّبَاقِ

هذا البيت الأخير تحفة في الخفة واقتناص النكتة

٤٩ الجامعة البائدة

قد أَمَنَّا المُسْتَنْصِرِيَّةَ صُبْحاً فوجدناها أَرْسُماً وطُلولاً
وَكِلَانَا يَا مَعَهْدَ الْعِلْمِ مُبْدٍ جسداً ناحلاً وجسماً عليلاً
قد لَعَمْرِي أُمِسْتُ عَلَيْكَ اللَّيَالِي وَعَلَيَّ الْحَيَاةُ عِبْثاً ثَقِيلاً
أَيُّهَا الْمَعَهْدُ الْجَلِيلُ سَلامٌ ليس ما قد قَاسَيْتَ شَيْئاً قَلِيلاً

٥٠ تأمل

ينسب كتاب إبراهيم الدروبي «البغداديون وأخبارهم ومجالسهم» هذه الأبيات إلى والد الزهاوي. ويقول إبراهيم المازني في مقال له عن شاعرنا إن الزهاوي نفسه أسمعته هذه الأبيات - وفيها ما يشير إلى بلوغ صاحبها التسعين - وهو ببغداد، ويزعم المازني أن الزهاوي أسن بكثير مما هو مرقوم في كتاب رفائيل بطني من أنه مولود عام ١٨٦٣. ونظرة إلى ما توفر لنا من صور الزهاوي تجعلنا نرى في افتراض المازني بعض الوجهة، ويقول الزيات عن أول لقاء له بالزهاوي إنه وجد أمامه شيخاً في حوالي الثمانين، وكان عمر الزهاوي عندما التقاه الزيات في عام ١٩٣٠ سبعة وستين عاماً بحسب رفائيل بطني. وليس يعني ورود «التسعين» في القصيدة أن الزهاوي يتحدث عن نفسه:

بَانَ لِي فِي الْمَرَاةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ عاشَ حَتَّى تَعَرَّفَ الْأَحْوَالُ
قَلْتُ كَمْ عِشْتُ قَالَ تَسْعِينَ عَاماً قَلْتُ مَاذَا فَعَلْتُ فِيهَا فَقَالَا:
أَكَلَاتُ دَفْعَتُهَا فَضَلَاتٍ وَشُرُوباً أَرَقْتُهَا أَبْوَالُ
وَنِيَاباً لَبِسْتُهَا فَآخِرَاتٍ جُدُداً وَانْتَزَعْتُهَا أَسْمَالُ
كُلُّ شَيْءٍ مَعَ الْجَدِيدَيْنِ يَفْنَى ثُمَّ يَبْقَى جَلالُ رَبِّي تَعَالَى
الجديدان: الليل والنهار، فهما يتجددان دوماً ويبليان كل شيء

٥١ مقالة

فِي الْغَرْبِ حَيْثُ كِلَا الْجَنْسَيْنِ يَشْتَغِلُ لَا يَفْضُلُ الْمَرَاةَ الْمِقْدَامَةَ الرَّجُلُ
كِلا الْقَرِينَيْنِ مَعْتَرِضٌ بِصَاحِبِهِ عَلَيْهِ إِنْ نَالَ مِنْهُ الْعَجْزُ يَتَّكِلُ
وَقَدْ يُطْلَقُهَا أَوْ قَدْ تَطَلَّقَهُ إِذَا قَضَى بِالطَّلَاقِ الْكُرْهُ وَالْمَلَلُ
أَمَّا الْعِرَاقُ فَفِيهِ الْأَمْرُ مُخْتَلِفٌ فَقَدْ أَلَمَ بِنَصْفِ الْأُمَّةِ النِّشْلُ
وَقَدْ يُطْلَقُهَا فِي حَانَةِ نِمْلٍ وَلَيْسَ تَدْرِي لِمَاذَا طَلَّقَ الثَّمِلُ
كَمْ قَدْ تَزَوَّجَ ذُو السَّتِينِ يَافِعَةً وَالشَّيْبُ فِي رَأْسِهِ كَالنَّارِ يَشْتَعِلُ

يقضي لُبَانَتَهُ مِنْهَا إِلَى أَجَلٍ وَقَدْ يَكُونُ قَصِيرًا ذَلِكَ الْأَجَلُ
وَلَمْ تَكُنْ أَرْبَعٌ يُشْبِعُنَ نَهْمَتَهُ وَالذَّنْبُ يُشْبِعُهُ مِنْ جُوعِهِ حَمْلُ

٥٢ المصير

تَتَوَلَّى حَيَاتِي بَعْدَ الرَّدَى وَلَكِنْ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَتَوَلَّى؟
أَسِيرٌ بَلِيلٌ مِنَ الشُّكِّ دَاجٍ عَلَى ضَوْءِ عَقْلِي، وَهُوَ ضَنِيلُ
دَاجٍ: مَظْلَمٌ

سَيَبْقَى شَقَائِي بَقَاءَ حَيَاتِي فَإِنْ هِيَ زَالَتْ فَهَذَا يَزُولُ
وَأَنْتِي عَلَى كَبْرَتِي هَذِهِ أَوْدُ لَوْ أَنَّ حَيَاتِي تَطُولُ

٥٣ بيروت الأمل

لَوْلَا تَفَاقُؤُكُمْ شَرٌّ لَيْسَ يُحْتَمَلُ مَا كُنْتُ عَنْ وَطَنِي بَغْدَادَ أَرْتَحِلُ
قَدْ كَفَرُونِي لِأَنْتِي فِي مَجَالِسِهِمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِمَّا قُلْتُ أَتَكِلُ
إِمَّا قُلْتُ: كَلِمَا تَكَلَّمْتُ

الْيَأْسُ بِالْأَمْسِ مِنْ بَغْدَادَ أَخْرَجَنِي وَالْيَوْمَ جَاءَ إِلَى بَيْرُوتَ بِي الْأَمَلِ

٥٤ المستبدّ

فِيَا وَيْحَ قَوْمٍ فَوَّضُوا أَمْرَ نَفْسِهِمْ إِلَى مَلِكٍ عَنْ فِعْلِهِ لَيْسَ يُسْأَلُ
وَذِي سُلْطَةٍ لَا يَرْضِي رَأْيَ غَيْرِهِ إِذَا قَالَ قَوْلًا فَهُوَ لَا يَتَبَدَّلُ
أَيَّامُ ظِلِّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ بِمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَالْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ
فَيُفْقِرُ ذَا مَالٍ وَيَنْفِي مُبْرَأً وَيَسْجُنُ مَظْلُومًا وَيَسْبِي وَيَقْتُلُ
تَمَهَّلْ قَلِيلًا لَا تُغْظِ أُمَّةً إِذَا تَأَجَّجَ فِيهَا الْغَيْظُ لَا تَتَمَهَّلُ
وَأَيْدِيكَ إِنْ طَالَتْ فَلَا تَغْتَرَّرْ بِهَا فَإِنْ يَدُ الْأَيَّامِ مِنْهُنَّ أَطْوَلُ

٥٥ التعايش مع المرض

سَاكِتٌ أَنْتَ وَالْأَعَادِي تَقُولُ وَمُضِرٌّ بِكَ السَّكُوتُ الطَوِيلُ
أَيْنَ ذَاكَ الشَّعْرُ الرَّقِيقُ الْمُنْقَى أَيْنَ ذَاكَ النَّثْرُ النَفِيسُ الْجَمِيلُ

لَكَ فِي الذَّبِّ مِنْ لِسَانِكَ سَيْفٌ شَهِدَ اللَّهُ إِنَّهُ مَصْقُولٌ

الذَّبُّ: الدفاع

القَوَافِي، يَا شَاعِرَ الْعَصْرِ فَاَنْظِمْ، بَيْنَ أَيْدِيكَ وَأَقْفَاتِ مُثُولٍ
إِنْ تُسَالِمُ بِهَا فَتِلْكَ أَغَانٍ أَوْ تَحَارِبُ بِهَا فَتِلْكَ نُصُولُ
أَيُّهَا اللَّائِمِي عَلَى الصَّمْتِ إِيهَا أَوْ مَا قَدْ دَرَيْتَ أَنَّي عَلِيلُ
قَبْلَ عِشْرِينَ حِجَّةً جَاءَ دَاءٌ نَازِلًا بِي، وَذَاكَ ضَيْفٌ ثَقِيلُ
هُوَ دَاءٌ مَبِيتُهُ فِي نُخَاعِي إِنْ دَاءَ النُّخَاعِ دَاءٌ وَبِئِلُ

كان الزهاوي مضطرب الأعصاب شديد التحول، وألم به مرض في النخاع الشوكي وهو في الخامسة والعشرين

فَتَهَاوَنْتُ فِي الْبِدَايَاتِ فِيهِ رَاجِيًا أَنْ وَطْأَهُ سَبَزُولُ
فَمَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَدَائِي ذَلِكَ الدَّاءُ نَفْسُهُ لَا يَحُولُ
وَتَدَاوَيْتُ عِنْدَ كُلِّ طَبِيبٍ وَنَصِيبِي مِنَ التَّدَاوِي نَحُولُ
كَنتُ فِي أَوَّلِي أَقَاوِيهِ حَتَّى خَارَ جِسْمِي فَقُلْتُ صَبْرًا «جَمِيلُ»

الصبر الجميل: الصبر الكبير، و«جميل» هو اسم الشاعر

ثُمَّ صَافَحْتُهُ أَدَارِيهِ بِالْأَلْبِ نِي كَمَا صَافَحَ الْخَلِيلَ الْخَلِيلُ

٥٦ رثاء العروبيين

قال الزهاوي في رثاء نحو أربعين رجلاً شفقهم جمال باشا في بيروت ودمشق بين ١٩١٥ و ١٩١٧ لتخليهم عن الدولة العثمانية وسعيهم للاستقلال في سنوات الحرب العالمية الأولى:

عَلَى كُلِّ عَوْدٍ صَاحِبٌ وَخَلِيلُ وَفِي كُلِّ بَيْتٍ رَنَّةٌ وَعَوِيلُ
رنة: نواح

وَفِي كُلِّ عَيْنٍ عَبْرَةٌ مُهَرَّاقَةٌ وَفِي كُلِّ قَلْبٍ حَسْرَةٌ وَغَلِيلُ
غليل: غيظ

كَأَنَّ وَجْهَ الْقَوْمِ فَوْقَ جُذُوعِهِمْ نَجُومُ سَمَاءٍ فِي الصَّبَاحِ أَفُولُ
دَنُوا فَرَّقُوها وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَقَالُوا وَجِيزًا لَيْسَ فِيهِ فُضُولُ
اقتربوا ورفقوا، أي صدعوا، سُدَّةُ المَشْنَقَةِ وكانت لكل منهم عبارة قصيرة

وَلَلَّهِ مَا كَانُوا يُجْسُونَ مِنْ أَدَى إِذِ الْأَرْضِ تَنَأَى تَحْتَهُمْ وَتَزُولُ
سَرَتْ رَوْحُهُمْ تَطْوِي السَّمَاءَ لِرَبِّهَا وَمَا غَيْرَ ضَوْءِ الْفَرَقْدَيْنِ دَلِيلُ
وَلَلَّهِ عِيدَانٌ مِنَ اللَّيْلِ أَثْمَرَتْ رَجَالاً عَلَيْهِمْ هَيْبَةٌ وَقَبُولُ
لله امر هذه الأعواد الخشبية التي كأنها أغصان لها ثمر هو أولئك الرجال الذين شفقوا عليها
وَيَا لَكَ مِنْ رُزْءٍ حَمِدْتُ لَهُ الْبُكَاءَ وَقَبَّحْتُ فِيهِ الصَّبْرَ وَهُوَ جَمِيلُ
هذا رزء، مصيبة، يحسن فيه البكاء ويقبح الصبر

فَمَا رَدَّ عَنْهُمْ بِالشَّفَاعَةِ غَضَبُهُ وَلَا ذَبَّ عَنْهُمْ بِالسَّلَاحِ قَبِيلُ
ذب عنهم: دافع

لَعَمْرُكَ لَيْسَ الْأَمْرُ ذَنْباً أَصَابَهُ قِصَاصٌ، وَلَكِنْ بَعْرُبٌ وَمَقُولُ
المسألة ليست عقاباً على ذنب ارتكبه، بل هو الصراع بين العرب والمغول، أي الأتراك ذوي
الأصول الآسيوية

وَإِنِّي عَلَى مَا بِي مِنَ الْحَرِّ وَالصَّدَى لَا أَنْظُرُ مَاءً مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
الصدى: العطش

أَفَكَّرُ فِي الْمَاضِي فَيَأْتِي خَيَالُهُ جَمِيلًا أَمَامَ الْعَيْنِ ثُمَّ يَزُولُ
كان الزهاوي منعماً في ظل الدولة العثمانية، ولكنه يرى الآن تفككها، ويرى قومه العرب يريدون
الاستقلال. . . وكان الزهاوي سريع الانصراف عن ولائه العثماني، بخلاف زميله معروف الرصافي
الذي ظل على هذا الولاء زمناً وانتقده الناس لأنه لم يتحرك لشنق الوطنيين، لقد رأى أنهم خانوا
الدولة في وقت محنتها

أَبْعَدَ بَنِي قَوْمِي أَنَّهُنَّ عَبَّرَتِي وَأَمْنَعُهَا؟ إِنِّي إِذَنْ لَبَخِيلُ
أنهنه عبرتي: أحبس دمعتي

قَدْ اسْوَدَّ لَيْلُ الظُّلَمِ حَتَّى كَأَنَّهُ سِتَارٌ عَلَى الْأَرْضِ الْفُضَاءِ سَدِيلُ
وَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ يَرُوعُ كَأَنَّمَا بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُ يَرْقُبُ غُولُ

٥٧ حيرة

لَسْتُ أَدْرِي مَا غَايَتِي مِنْ حَيَاتِي مَا وَجُودِي، مَا مَبْدَئِي مَا مَالِي
وَإِذَا مَا قَلْبِي عَصَى حُكْمَ عَقْلِي لَمْ يُفِدْ مَنْطِقِي وَلَا اسْتَدْلَالِي
خَطَلِي بَعْدَ أَنْ ضَلَلْتُ سَبِيلِي هُوَ أَنِّي أَرَى الْهُدَى فِي ضَلَالِي
خطلي: حمقي

٥٨ انهيار الشعر

قد أَنهَارَ صَرَحُ الشَّعْرِ إِلَّا أَقْلُهُ وقد كَانَ مِلءَ الْعَيْنِ كَالْجَبَلِ الْعَالِي
لَقَدْ ظَلَّ هَذَا الشَّعْرُ خَمْسِينَ حِجَّةً يُهَذَّبُ أَقْوَالِي وَيُصْلِحُ أَعْمَالِي
نَشَأْتُ عَلَى اسْتِقْلَالِ نَفْسِي تَمَرَّدْتُ فَلَا أَرْضِي نَسْجاً عَلَى غَيْرِ مَنَوَالِي

٥٩ مؤمن نصف إيمان

أَنَا فِي حَيَاتِي مَا كَذَبْتُ تَ لِنَيْلِ شَيْءٍ لَيْسَ لِي
أَنَا مَا كَفَرْتُ بِكُلِّ عُمٍّ رِيَّ بِالْكِتَابِ الْمُنْزَلِ
أَنَا لَمْ أَزَلْ أَشْدُو بِنَعْمٍ تَ لِلنَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
أَنَا لَسْتُ بِالْمَسْؤُولِ عَنْ نَزَوَاتِ عَقْلِ مُبْطِلِ
مَا زَالَ يُبِيدِي رَأْيَهُ سَأَلُوهُ أَمْ لَمْ يُسْأَلِ
قَدْ شَاءَ عَقْلِي بِعَدِّ نَفْسٍ كَبِيرٍ وَطُولِ نَأْثِلِ
بِاللَّهِ حَلَّ الْمَشْكِلا تَ، فَكَانَ أَكْبَرَ مُشْكِلا

أراد عقلي أن يحل مشكلة الوجود بإرجاع كل أمر إلى الله، فكانت فكرة الله أكبر مشكلة

مَا ضَرَّنَا لَوْ ظَلَّ هـ هَذَا الْكَوْنُ غَيْرَ مُعَقَّلٍ؟

بالله نعلل هذا الكون فهو السبب والمسبب، ولكن ماذا يضيرنا إن ظل الكون بلا تعليل؟

الْكَوْنُ مَاضِيهِ يَعُودُ دُ بِنَا إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ
وَتَعُودُ هَذِي الْأَرْضُ بَعْدَ مَدَّ خَرَائِبِهَا كَالْأَوَّلِ
وَنَعُودُ نَحْيَا مِثْلَمَا كُنَّا بِغَيْرِ تَبَدُّلِ
وَنَمُوتُ ثُمَّ نَعُودُ فِي أَدْوَارِهَا بِتَسْلُسُلِ
كَذَبَ الَّذِي قَدْ قَالَ إِنَّ- الْقَبِيرَ آخِرُ مَنْزِلِ

هَذَا لَعَمْرِي مَا يَرَى عَقْلِي بِوَجْهِ مُجْمَلِ

عقله يقول له إن المرء يموت ثم تنتشر مكوناته ثم يخلق منها خلق جديد، فليس ثمة فناء

أَمَّا الضَّمِيرُ فَقَائِلٌ لِي بِالْحِجَا لَا تَحْفَلِ

يقول له ضميره، أي قلبه، لا تحفل بالعقل ولا تهتم بما استتجه

الذِّينُ مَعْقِلُ أَهْلِهِ وَالذِّينُ أَمْنَعُ مَعْقِلِ

وأخافُ ناراً في الجحيمِ هم بها الأثيمُ سيصطلي
أما الصُّرَّاطُ فإنَّه فوق الجحيمِ كمنْضَلِ
المصل: السيف

لا يَأْمَنُ الماشي بأر جُلِه سُقوطاً من عل
إلا إذا عَبَرَ الصُّرَّاطَ ط على أَعْرَ مُحَجَّلِ
أغر محجل: فرس له غرة وبياض في أسفل قوائمه

أو فوقَ كَبْشٍ قَرْنُهُ في رأسه كالْمِغْوَلِ
يا ربِّ، حينَ أَجْوِزُهُ مَشياً، عليك تَوَكُّلي
صَغَبٌ عليَّ عبورُهُ يا ربِّ ثَبَّتْ أَرْجُلي

٦٠ الحمار والجزرة

ولستُ مِنَ المَوْتِ ذا خَشْيَةٍ وإن كان حينَ يُلِمُّ رُؤُوسا
الموت الزوام: السريع

ولكنَّ حَشَوَ الحِياةِ مُنَى تُحَبِّبُها لِي عاماً فعاماً
لقد عَشْتُ عُمراً أَوْمِلُ أن تُمِيطَ الحَقِيقَةُ عنها اللُّثاماً
ولمَّا أَبَتْ أن تُمِيطَ اللُّثاماً مَ باتَتْ شُكوكي رُكاماً رُكاماً

٦١ الاستقلال

عِشْ هكْذا في عُلُوِّ أيها العَلَمُ فإننا بكَ بعدَ اللهِ نَعْتَصِمُ
عِشْ لِلْعُرُوبَةِ، عِشْ لِلْهاتِفِينَ لها عِشْ لِلأَلَى في العِراقِ اليَوْمَ قد حَكَمُوا
عِشْ خافِئاً في الأعالِي لِلْبَقَاءِ، وثِقْ بأنْ تُؤَيِّدَكَ الأَحْزابُ كُلُّهُمْ
كَأَنَّمَا النَّاسُ في بَغدادَ إِذْ هَتَفُوا بَحَرٍ خِصَمٌ به الأَمواجُ تَلْتَطِمُ
إِنَّ العِيونَ قَرِيراتٌ بِما شَهِدَتْ والقلبُ يَفْرَحُ والآمالُ تَبْتَسِمُ
هذا الهَتافُ الَّذي يعلُو فَتَسْمَعُهُ جَمِيعُهُ لَكَ فَاسَلِّمْ أيها العَلَمُ

٦٢ شاكٌّ ظانٌّ

يُسائِلُنِي عن مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي فَرِيقٌ مِنَ الأَشْيَاخِ ما أنا مِنْهُمْ

فقلتُ لَهُمْ أَمَّا السَّوَالُ فَبَارِدٌ وَأَمَّا جَوَابِي فَهُوَ أَنِّي مُسْلِمٌ
ولكنني ما كنتُ يوماً مقلداً يرى أن حُكْمَ العقلِ في الدينِ مَأْنٌ
فما القلبُ مِنِّي بِالسَّخَافَاتِ مُوَلِّعٌ ولا الرأسُ مِنِّي بِالْخِرَافَاتِ مُفْعَمٌ
ولم أَكْ يوماً بِالْإِصَابَةِ وَائِقاً فَإِنِّي فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ أَرْجُمُ
أرجم: ألقى بالظنون

٦٣ أصابني ما أصابك

قد قلتُ «حقاً» فلم تقبلْهُ أَذْهَانٌ وحرابَتُكَ سياساتٌ وأديانٌ
فأنتَ مِن بعدِ إنكارِ الجميعِ «له» شهرتهُ فَهُوَ مِثْلُ السَّيْفِ عُريَانٌ
بعد إنكار الجميع للحق شهرته وأبرزته
وكنْتَ أنتَ البصيرَ الفردَ يومئذٍ وحوْلَكَ الناسُ كُلُّ الناسِ عُميَانُ
تَخِذْتُ بِبَيْتِكَ سِجْناً ثَانِياً فَقَدْأ وأنتَ فيه سَجِينٌ ثُمَّ سَجَانُ
وألجأ عوامُ بغداد الزهاوي مرة إلى بيته لا يجرؤ يخرج منه لما سمعوه من بعض المتشددين عن
انحراف شاعرنا عن الدين

الشرقُ ما زالَ يَحْبُو وَهُوَ مُغْتَمِضٌ والغربُ يركضُ وَثَباً وَهُوَ يَقْظَانُ
الغربُ يَشْعَلُهُ مَالٌ وَمَثْرَبَةٌ والشرقُ يَشْعَلُهُ كُفْرٌ وَإِيْمَانُ
الغرب منشغل بالمال وبالمترية، بقضايا الفقر

أصَابَنِي فِي زَمَانِي مَا أَصَابَكَ مِنْ حَيْفٍ فَمَا رَدَّ هَذَا الْحَيْفُ إِنْسَانُ

٦٤ يا ضيعة الشعر

مَسْرُوقَةٌ كُلُّهَا تِلْكَ الْمَضَامِينُ وليس منها لهم إِلَّا الْعَنَاوِينُ
لقد أَهَانَكَ مِنْهُمْ غَيْرُ ذِي أَدَبٍ يا شِعْرُ إِنِّي عَلَيْكَ الْيَوْمَ مُحْزُونُ
قد يَفْضُلُ الْبَيْتُ دِيواناً بِرُمْتِهِ وقد تُقْصَرُ عَنْ بَيْتٍ دَوَائِينُ

٦٥ في مدح النبي

قالوا امتدِّحْ فخرَ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدَا بقصيدة تشدو بِرِفْعَةِ شَانِهِ
فأَجَبْتُهُمْ مَاذَا أَقُولُ بِمَدْحِ مَنْ أَنْنِي عَلَيْهِ اللَّهُ فِي فُرْقَانِهِ

مَنْ ذَا أَنَا حَتَّى أَقَوْمَ بِمَدْحِهِ بَلْ أَيْنَ شِعْرِي مِنْ عُلُوِّ مَكَانِهِ
كَمْ قَدْ رَدَدْتُ الشَّعْرَ عَنْهُ قَائِلًا هَذَا مَجَالٌ لَسْتُ مِنْ فُرْسَانِهِ

٦٦ المسببة والبرهان

إِلَيْكَ يَا نَفْسُ عَنِّي لَا تَلُومِينِي إِنَّ الْمَلَامَ عَلَى مَا جِئْتُ يُؤْذِنِي
يَا نَفْسُ لَوْ مَكَ هَذَا مُكَثِّرٌ شَجْنِي أَلَيْسَ مَا بِي مِنَ الْأَشْجَانِ يَكْفِينِي
نَشَرْتُ لِلْقَوْمِ آرَاءَ أُرِيدُ بِهَا إِصْلَاحَ دُنْيَاهُمْ لَا الطَّغْنَ فِي الدِّينِ
فَإِنْ أَصَبْتُ فَهَذَا نَافِعٌ حَسَنٌ أَوْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فِيهَا فَلْيَبْرُدُونِي
رَدُّوا بِسَبِّي عَلَى مَا خَطَّهَ قَلَمِي كَأَنَّمَا السَّبُّ مِنْ بَعْضِ الْبَرَاهِينِ
إِنَّ الْأَكْفَفَ الَّتِي قَدْ كُنْتُ أَمْلُهَا لِلذُّودِ صَارَتْ مَعَ الْأَيَّامِ تَرْمِينِي

للذود: للدفاع

أَمَسْتُ رِمَاحُ بَنِي عَمِّي وَقَدْ غَضِبُوا تَنَوَّشُ جِسْمِي وَكَانَتْ شُرْعًا دُونِي
صَارَتْ رِمَاحُ قَوْمِي تَنَوَّشُ جِسْمِي، تَصِيْبُهُ وَتُؤْذِيهِ، وَكَانَتْ مَرْفُوعَةٌ مَشْرَعَةً دُونِي، لِلدِّفَاعِ عَنِّي
لِلْجَهْلِ حَقٌّ رُعَاةُ الْجَهْلِ تَضَمَّنُهُ لَهُ، وَلِلْعَلَمِ حَقٌّ غَيْرُ مَضْمُونٍ
قُمْ مِنْ ضَرِيحِكَ يَا مَأْمُونٌ وَاشْكُ إِلَى أَبِيكَ حَامِي ذِمَارِ الشَّعْرِ هَارُونِ
قُمْ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ الْمَأْمُونُ يَا نَاصِرَ الْعُلُومِ، وَارْفَعِ الشُّكُوكَ إِلَى أَبِيكَ هَارُونِ الرَّشِيدِ الَّذِي كَانَ يَحْمِي
ذِمَارَ الشَّعْرِ، وَالذِّمَارَ هِيَ الْأَعْرَاضُ وَالْأَمْلَاكُ، وَذِمَارُ الشَّعْرِ... حِمَاةُ

وَقُلْ عَنَادِلُ بَغْدَادٍ قَدْ اكْتَأَبَتْ عَلَى الْمَعَالِي قِمَاتٌ فِي الْبَسَاتِينِ
إِلَّا شَقِيَّيْنِ: هَذَا طَارَ مُرْتَحِلًا وَذَا أَقَامَ طَرِيدًا لِلشَّوَاهِينِ

ارتحل الشاعر معروف الرصافي، وكانت في دينه رقة كتلك التي في دين الزهاوي،
عن بغداد في العشرينات فأراً بأرائه السياسية والفكرية فمكث في بيروت قليلاً ثم
توجه إلى القدس فعمل في التدريس. وأقام الزهاوي ببغداد والشواهين، الطيور
الكاكرة، تطارده.. وسيفر الزهاوي إلى بيروت فمصر وسعود.. وسعود الرصافي
أيضاً. الحال لم تتغير بالمناسبة. ولن تجد في العالم العربي اليوم - وأكتب في يناير
٢٠١٧ - أحداً يقول نصف ما قاله شاعراً العراق. فأما في المهجر فتجد كثيرين

لَهُ بِبَغْدَادَ عُسٌّ لَا يُفَارِقُهُ بَنَاهُ فِي دَوْحِهَا بَيْنَ الْأَفَانِينِ

الدوح: الشجرة، الأفانين: الأغصان

وَقَدْ يُغَرِّدُ فِي الْوَادِي عَلَى وَجَلٍ مُرْقِرِفًا فَوْقَ أَوْرَاقِ الرِّيَّاحِينِ

٦٧ رثاء أحمد شوقي

خَرَّتْ لِعِرَّةِ شِعْرِكَ الشُّعْرَاءُ فكَأَنَّهُمْ أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاءُ
يَا رَاحِلِينَ لِعَيْرِ عَوْدِ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ فِرَاقَكُمْ فَخَذُونَا
سِيرُوا خِفَافاً إِنْ أَرَدْتُمْ أَوْ قِفُوا إِنَّا عَلَى أَثَارِكُمْ أَتُونَا

* * *

مِنْ بَعْدِ دُرٍّ كُنْتَ تَنْظِمُ عِقْدَهُ بَرَزْتَ تُرِيدُ لِتَلْمَعَ الْحَضْبَاءُ
عَجَلْتَ فِي التَّرْحَالِ يَا شَوْقِي وَقَدْ بَقَيْتُ هَنَالِكَ، لَمْ تُقَلْ أَشْيَاءُ

القصيدة ملونة القوافي

الأبيات فيما سيلي من شعر الزهاوي منتخبة من ديوان له لم ينشره في حياته، بل تركه كي ينشر بعد موته، لما فيه من أبيات فلسفية قاسية لا يحتملها الناس. وقد نشر هذا الديوان، واسمه «النزغات» أي وساوس الشيطان، الأديب العراقي هلال ناجي، وأبدل كلمات معينة بنقاط بقدر عدد حروف الكلمة المبدلة.. ونحن نصنع صنيعه حتى لا نؤذي مشاعر من مشاعره رقيقة. وقد أشار الزهاوي نفسه إلى ديوان النزغات المخطوط في مقدمة ديوانه المطبوع بمصر عام ١٩٢٤

٦٨ دع المحال

دَعِ الْمُحَالَ وَكُلُّم بِلَهْجَةِ الْمُسْتَدِلِّ
دع المحال، المستحيل قبوله عقلاً، وكلمني بلهجة المستدل، أي الذي يقدم دليلاً على كلامه
مَا كُنْتُ أَقْبَلُ إِلَّا مَا لَيْسَ بِأَبَاهُ عَقْلِي

٦٩ الخفاء والظهور

هَذِهِ الدُّنْيَا دَارُ كُلِّ جَزَاءٍ فَهِيَ لِلنَّاسِ جَنَّةٌ وَسَعِيرٌ
وَلَقَدْ يُعْقِبُ الظُّهُورَ خَفَاءً ثُمَّ لَا يُعْقِبُ الْخَفَاءَ ظُهُورٌ

٧٠ الترهيب

لَا تَخَفْ بَعْدَ الْمَنَايَا مِنْ عَذَابٍ وَشَقَاءٍ
إِنَّ مَا قَالُوهُ تَرْهِيْبٍ بِّ إِنْسَانٍ بِسَطَاءٍ

٧١ الصلاة

الْخُمْسُ مِنْ صَلَّوَاتِي عِبْنُ عَلِيٍّ ثَقِيلُ
أَمَّا لِإِرْضَاءِ رَبِّي غَيْرَ الصَّلَاةِ سَبِيلُ؟

٧٢ الدليل

قَالُوا سَنَحْيَا جَمِيعاً بَعْدَ الرَّدَى خَالِدِينَ
فَقُلْتُ: هَاتُوا دَلِيلاً إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

٧٣ أين الدليل؟

فَكَرْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمٍ
فَلَمْ أَشَاهِدْ دَلِيلاً عَلَى (...) حَكِيمٍ

٧٤ المسير

أَنَا لَوْ كُنْتُ مُخْتَاراً لَمَّا جِئْتُ إِلَى الدُّنْيَا
وَأَكْبَرُ سَلَوَاتِي أَنْ بَعْدَ الْمَوْتِ لَا أَحْيَا

٧٥ التجديد

إِنَّ دِينَ الْخَلْفِ مِنْ ثَرَاثِ السَّلَفِ
وَهُوَ الْيَوْمَ بِحَا جَاتِهِمْ لَيْسَ يَفِي

٧٦ قد بُحِتَ الآن

مَا عَلَى كُفْرِي عَنْ دُخْصُومِي سَنَدُ
أَنَا مَا بُحِتُ لَهُمْ بِالسَّيِّئِ أَعْتَقِدُ

٧٧ قد تزندق لكن غير متعمد

وَلَا تَحْسَبْنِي قَدْ تَزَنَدْتُ عَمِداً لِأُخْرِزَ مُكْثاً فِي جَهَنَّمَ خَالداً
وَلَكِنِّي لَمْ أَقْتَنِعْ بِكَلَامِهِمْ فَأَصْبَحْتُ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ جاحداً

٧٨ مشكلة أكبر

لما جهلتِ مِنَ الحَقِيقَةِ أَمْرَهَا وَأَقَمْتَ نَفْسَكَ فِي مَقَامِ مُعَلِّلٍ
أَبَيْتَ (...) تَبْتَغِي حَلًّا بِهِ لِلْمُشْكَلاتِ، فَكَانَ أَكْبَرَ مُشْكِـلٍ

٧٩ الجنة والسعير

يَرْجُو أَناسٌ أَنْ يَنَالُوا بَعْدَ مَا يَعْثُو الرَّدَى فِيهِمْ وَصَالَ الحُورِ
يعثو: يفسد

أَوْ يُبْصِرُوا فِي العَالَمِ المَسْتَوْرِ مَا لَمْ يُبْصِرُوا فِي العَالَمِ المَنْظُورِ
أَمَّا أَنَا فإِخَالْنِي فِي هَذِهِ الدُّـ... نِيَا مُلَاقِي جَنَّتِي وَسَعِيرِي

٨٠ غير واثق

تَوَقَّفْتُ لَا أَدْرِي تَجَاهَ الحَقَائِقِ أَأَتِي خَلَقْتُ (...) أَمْ هُوَ خَالِقِي
لِئِنْ وَثِقَ الجَمْهُورُ (...) خَالِقًا فَرُبَّ حَكِيمٍ بَيْنَهُمْ غَيْرُ وَاثِقٍ
أَكْفُرُ لَمَّا شَاءَ لِي الكُفْرَ سَاعَةً وَأَخْلُدُ فِي النِّيرَانِ غَيْرَ مُفَارِقِ

٨١ المستريب

إِلَى (...) أَشْكُو أَنِّي مِنْهُ فِي رَيْبٍ تَمَكَّنَ مِنِّي فِي شَبَابِي وَفِي شَيْبِي
إِذَا كَانَ هَذَا فِيَّ عَيْبًا يَشِينُنِي فَلِأَنِّي بِإِقْرَارِي أَدُلُّ عَلَى عَيْبِي
وَمَا رَابَنِي (...) الشَّهَادَةُ وَحْدَهَا وَلَكِنَّمَا (...) الشَّهَادَةُ وَالْعَيْبِ

هذا البيت الأخير فيه فوق الزندقة مجون

٨٢ اقتناص فرصة

قَالُوا بَلَّأَنَّ (...) حَيٍّ لَهُ عَلَى عَرْشِهِ ثُبُوتٌ
فَقُلْتُ مَا (...) غَيْرَ وَهْمٍ أَكْبَرُهُ الوَصْفُ وَالنُّعُوتُ
إِنَّ حَيِّي العِلْمُ فِي أَنَاسٍ (...) مِنْ ذَاتِهِ يَمُوتُ
أَوْسَعَنِي المُؤْمِنُونَ سَبًّا فَكَانَ بِي يَحْسُنُ السَّكُوتُ
لَكِنَّنِي قُلْتُهَا لِأَنِّي حَسِبْتُهَا فُرْصَةً تَفُوتُ

٨٣ أهل الديانات السماوية

إِنَّ الْيَهُودَ أَصَابُوا مِنْ التَّجَارَةِ مَا لَا
وَلِلنَّصَارَى مَكَانٌ مِنْ الرُّقِيِّ تَعَالَى
وَالْمُسْلِمُونَ تَرَاهُمْ بِكُلِّ أَرْضٍ كَسَالَى

٨٤ خالق الناس والطاعون

مَا ذَكَرْتُ (....) ذَا إِلَّا - تَذَكَّرْتُ جَحِيمًا
لَيْسَ (..) النَّاسُ لِنَا سِ كَمَا قَالُوا رَحِيمًا
خَلَقَ الطَّاعُونَ وَالْهَيْبُ ضَعْفٌ وَالسُّلَّ الْأَلِيمَا
الهضة: الكوليرا

٨٥ محنة الإنسان

جَاءَ وَلَمْ يَذْرِ السَّبَبَ وَهُوَ كَمَا جَاءَ ذَهَبَ
جِيءَ بِهِ إِلَى الْوُجُو دَ، وَهُوَ قَطُّ مَا طَلَبَ
وَقِيَّدُوهُ بِالْحَلَا لٍ وَالْحَرَامِ وَالْأَدَبَ

٨٦ عتاب

النَّاسُ إِمَّا غَنَمٌ سَارِحٌ لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ، وَإِمَّا ذُنَابَ
لَيْسَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا مَا جَنَى يُزِيلُ جُوعَ بَطْنِهِ مِنْ عِقَابِ
بَلْ إِنَّمَا الْعَثْبُ عَلَى بَارِيٍ قَدْ سَلَحَ الذَّنْبُ بِظُفْرِ وَنَابِ

٨٧ النعيم الدنيوي

مَا النَّاسُ إِلَّا نَبَاتٌ يَحُورُ بَعْدُ هَشِيمًا
فَلَا تَخَافَنَّ يَوْمًا قِيَامَةً وَجَحِيمًا
وَلَا صِرَاطًا كَمَا يَذُّ كُرُونَهُ مُسْتَقِيمًا
وَفِي حَيَاتِكَ فَاَنْعَمْ إِذَا أُرِدْتَ نَسِيمًا

٨٨ استغفار

أَتَى غَيْرَ مُخْتَارٍ وَقَارَقَ مُضْطَرًّا وَلَمْ يَكْ لَمَّا عَاشَ فِي نَفْسِهِ حُرًّا
تَرَأَّفَ وَلَا تَقْذِفَ بِنَارِ جَهَنَّمَ فَتَى غَيْرَ مُسْطَبِعٍ عَلَى حَرِّهَا صَبْرًا
إِذَا لَمْ تَكُنْ دَارٌ يُجَازَى بِهَا الْفَتَى تَسَاوَى إِذَنْ مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ وَالشَّرًّا
لَقَدْ قُلْتُ قَوْلًا بَاطِلًا بِجَهَالَةٍ وَأَلْحَدْتُ قَالِ اللَّهُمَّ يَا خَالِقِي غُفْرًا

٨٩ الدين والحجاب

لَقَدْ جَهِلُوا الْإِسْلَامَ كُلَّ جَهَالَةٍ فَأَذَوَّهُ ذَمًّا شَأْنٌ مَنْ لَيْسَ يَفْهَمُ
وَقَالُوا بَنَى الْإِسْلَامَ عُمَرَانُ أَهْلِهِ زَمَانًا، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَهُوَ يُهْدَمُ
وَعَدُّوا مِنَ الْأَسْبَابِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ لَدَيْهِمْ، حِجَابَ الْمُسْلِمَاتِ وَأَعْظُمُوا
وَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ الْحِجَابُ لَوْ أَنَا رَجَعْنَا إِلَى أَحْكَامِهِ نَتَفَهَّمُ

٩٠ أنا وعقلي

مَا قُلْتُ شَيْئًا بِقَمِي إِلَّا وَعَقْلِي مُلْهِمِي
أَنَا ابْنُ عَقْلِي وَحَدُّهُ تُنْبِئُ عَنِّي كَلِمِي
بِهِ اهْتَدَيْتُ فِي شَبَابِي بِي مِثْلَمَا فِي هَرَمِي
وَرَبِّمَا كَانَتْ أُمُورِي رَأَيْتُ عَنْهُمْ عَمِي
أَوْ قَدْ رَمَيْتُ أَسْهُمًا فَمَا أَصَابَتْ أَسْهُمِي

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٧	لِشُحُوبِهَا	٢	أَفْيَاءُ
٨	أَبْيَاتَا	٦٧	سَمَاءُ
٢	الْأُمَّهَاتُ	٢	شِفَائِي
١٠	الكَائِنَاتُ	٧٠	وَشَقَاءُ
٩	بَاتُوا	٢	غِضَابَا
٢	ثُبُوتُ	٢	أَغْيَبُ
٨٢	ثُبُوتُ	٤	جَوَابُ
١١	وَالْأُمَّهَاتُ	٣	خَشْبُ
٢	وَتَبَيْتُ	٥	دُرُوبُ
٢	يَقُوتُ	٢	كَتِيبُ
٢	الْحَرَكَاتِ	٢	اِكْتِنَابِي
٢	المُشْكَلَاتِ	٦	الْأَعْقَابِ
١٤	بِالصَّلَاةِ	١	السَّرْبِ
٢	حَيَاتِي	١	تَكَهْرُبِ
١٣	مُتَّصِلَاتِ	٨١	شَيْبِي
١٢	وَالنَّسَمَاتِ	٢	وَالرُّتَبِ
١٥	إِخْدَائِي	٢	الصَّخْبِ
١٦	يَتَمَوَّجُ	٨٥	دَهَبُ
٢	مَدَائِحِي	٨٦	ذُنَابُ
٧٧	خَالِدَا	١	أُذْنَابِهِ

٢	والأبرارُ	١٨	فَدَفَدَا
٢	والعشيرُ	١٩	نَقَدَا
٣٤	والفكرُ	٢٤	استعدادُ
٢	وذُكُورُ	٢٥	تَبِيدُ
٣٢	ونكيرُ	٢	تَتَجَدَّدُ
٧٩	الحُورِ	١	جَمَادُ
٣٧	المَزارِ	٧٦	سَنَدُ
٣٨	تكفيري	٢٠	محدودُ
٣٩	ثَبِيرُ	١٧	مُشْتَدُّ
٢	صدري	٢١	مَلْحُودُ
٦٩	وسَعِيرُ	٢	وُلِدُوا
٢٩	سَقَرُ	٢٢	ويُهَدَّدُ
٢	الْجِدَارَةُ	٢	الْأَكْبَادُ
٣٠	تَارَةُ	٢٦	الْجَمَادِ
٢	النَّاسَا	٢٨	بالْأَجْسَادِ
٢	فَارَسُ	٢	بِالْمَرْصَادِ
٢	أَمْسِ	٢	جَلَدِي
١	نَفْسِي	٢٧	وَحِيدِ
٢	يَطِيشُ	٢	تُجِيدُهُ
٢	الأَرْضِ	٢	رُقَادَهُ
٤٠	صِرَاعَا	٢٣	حُقُودُهَا
٤٢	الْوَسِيعُ	٨٨	حُرًّا
٤١	تَتَصَدَّعُ	٣١	وَنَارَا
٤٣	تَظْلُعُ	٢	يَطِيرَا
٢	جَزْرُوعُ	٣٦	أَشْعُرُ
٤٤	الْمَظْلَعِ	٣٣	الْحُرُّ
٢	تَظُوفُ	٢	الضَّمِيرُ
٧٥	السَّلَفِ	٢	تَنْقَطِرُ
٢	الطَّوَافِ	٣٥	كَسِيرُ

٢	الصَّنَمَاصَا	٢	عَفِيفَةٌ
٨٤	جَحِيمَا	٤٥	حَنِيقَا
٦٠	زُؤَامَا	٤٧	مَطْرُوقُ
٨٧	هَشِيمَا	٢	وَالسَّنَقُ
٢	بَرْمُ	٢	الْمُنْطَلِقِ
٢	عَنَمُ	٤٨	يَخْنَأَقِي
٦٢	مِنْهُمْ	٨٠	خَالَقِي
٦١	نَعْتَصِمُ	٢	طَلِيقِ
٨٩	يَقْفَهُمُ	٢	وُثُوقِي
٩٠	مُلْهِمِي	٤٦	حَقَّهَا
٧٣	وَقْدِيمِ	٢	يَتَحَرَّكُ
٢	إِدْسُونَا	٥٠	الْأَحْوَالَا
٢	تَبِينَا	٢	تَوَلَّى
٧٢	خَالِدِينَا	٨٣	مَالَا
٢	يُبْنَى	٤٩	وُطْلُولَا
٢	يَنْهَانَا	٥٣	أَرْتَجِلُ
٦٤	الْعَنَاوِينُ	٥١	الرَّجْلُ
٢	أَهْوُنُ	٥٥	الطَوِيلُ
٢	نَحْنُ	٥٢	تَوَوُلُ
٦٣	وَأَدْيَانُ	٧١	ثَقِيلُ
٢	وَعِلْمَانُ	٢	مُهْمَلُ
٢	الْبَرَاهِينِ	٥٦	وَعَوِيلُ
٢	الْيَدِينِ	٥٤	يُسْأَلُ
٢	جَنُونِي	٢	أَقْوَالِي
٢	شُجُونِي	٥٨	الْعَالِي
٢	مَوَازِينِ	٦٨	الْمُسْتَدِلُّ
٢	وَامْتِهَانِ	٥٩	لِي
٦٦	يُؤْذِنِي	٥٧	مَالِي
٦٥	شَانِهِ	٧٨	مُعَلِّلُ
٧٤	الدُّنْيَا	٢	أَفْعَالُهَا

أحمد شوقي

(١٨٦٨م - ١٩٣٢م)

قرأتُ شعر شوقي، هذه المرة، ويدي قلم. فكلما وقعت على بيت جميل جعلت بإزائه علامة. ولما أنهيت المجلدات العشرة، وعدد صفحاتها أكثر من أربعة آلاف، انتهت المتعة وبدأ الشغل.

رحتُ أنظر في الأبيات التي أخذتها من كل قصيدة، فأزيد بيتاً هنا أو هناك، حتى تقف القصيدة.

ثم دفقت ذلك كله بيدي على الحاسوب، وشكلته. ثم عرضته على المصدر الذي منه أخذت، وهو «الموسوعة الشوقية» لإبراهيم الأبياري، وعارضته بـ «الشوقيات».

وبعد ذلك سميت كل قصيدة باسم من عندي، وأخذت أكتب تحت كل بيت شرحه، وصنعت فهرساً للأشعار على القوافي.

أما معيار الاختيار فهو ذوقي. وأما طريقة الشرح فامش بضع صفحات حتى تراها.

ولا أزعج أنني فتحت فتحاً، فقبلي اختار الناس من أشعار الناس، وقبلي شرحوا. لكنني أرى شرحي متميزاً بثلاث: الاجتهاد، والأمانة، والتفاعل.

فأما الاجتهاد فأنني كنت أقلّب البيت المشكل على أوجهه، وأنظر في المعاجم، وفي شروح الشوقيات والموسوعة الشوقية، وفي كتب التاريخ؛ وأنني قرأت مرات وظللت أصحح حتى اطمأن القلب.

وأما الأمانة فأنني لم أترك معنى بقي غامضاً علي إلا أشرت إلى ذلك؛ ولم أكن أعرض للكلمة السهلة فأشرحها تاركاً الكلمة الصعبة دون شرح. ذلك

عمل لم أعمله. ولم أذكر حادثة أو مناسبة قصيدة إلا وأنا مطمئن إلى صحتها، فإن داخلني شك فيها فلما أن أضرب عن ذكرها، أو أن أذكرها، لطرافتها، مع التنبيه على الشك في صحتها.

وأما التفاعل فأنني تعمدت أن أنقل إليك ما أشعر به حيال بعض الأبيات. فالبيت الذي يحسن اقتباسه وحفظه للمذاكرة جعلته بالحرف المشدد، فإذا كانت فيه تورية لطيفة أو علة خفيفة أشرت إليهما. وإذا رأيت القصيدة معبرة عن حادثة ذكرت ذلك في صدرها أو في ذيلها. ومسعاي في كل ذلك أن يحس القارئ أنني أقرأ معه وأشاركه. فإن أحس القارئ في خلال ذلك، ما لا بد أن يحس، من ميل إلى التعالم والتفاسح، فهذه نقيصة ابن آدم، وستزول عني عندما أزل.

شرحت مختاراتي هذه من أبيات شوقي للكبير والصغير والمقمط في السرير. كنت أحياناً أحس أنني أفرط في التبسيط وأنني أشرح كل كلمة، فأرفع القلم عن الكلمات التي يفهمها عامة المثقفين؛ ثم أعود وأكرر عليها كرة أخرى فيبدو لي فيها، فأشرحها، وفقاً بشاب في مقتبل ثقافته العربية. وألزم نفسي بشرح الكلمة في كل موضع ترد فيه، فلعل من قرأ شرحها أول ورودها يكون قد نسي معناها عندما ترد مرة أخرى بعد صفحات، ولست افترض أنك تقرأ الباب من أوله إلى آخره، فهذا ليس رواية.

عليّ في هذا الكتاب دينٌ لصاحب الموسوعة الشوقية، إبراهيم الأبياري، فقد أفدت من شرحه الوافي؛ ولئن خالفته في فهم المعنى في أبيات كثيرة، ووجدته لم يعط البيت حقه من الشرح في أبيات أكثر، فذلك لأنه شرح الثلاثين ألف بيت كلها ملزماً نفسه ألا يهرب من بيت مغلق؛ فأما أنا فاخترت ما راقني وما سهل عليّ، وكنت إذا اعترضني بيت عسير تجاوزته مُريحاً نفسي من تمحل وجه له، وجارياً على معتد لي في الأبيات الصعبة: وهذا المعتقد هو أن البيت المغلق الصعب هو نتاج مخاض صناعي تكبده الشاعر، ويكون بعيداً عن القريحة الحرة، وصفاء الروح. وليس من المصادفات أن البيت الجميل يكون سهلاً قريب المأخذ.

وعليّ دينٌ لشارحي الشوقيات على اختلافهم، فلئن كانت شروحهم قليلة الغناء في معظم الأحيان، فقد اجتهدوا في ضبط الشعر ضبطاً طيباً.

ولا أذكر الكتب الكثيرة التي تحدثت عن شعر شوقي وحياته حتى لا

أغمس لساني فيما لا ينفع . وما استفدت منه ذكرته في محله .

أما أن أصنع صنيع الأكاديميين فألملم أسماء الكتب ومؤلفيها في جريدة بآخر الكتاب، فقد كُفيت، وأنا أكل لقمتي من مائدة أخرى غير تلك المعابد التي يسمونها جامعات .

أردت في هذا الكتاب بأبوابه أن أثبت لنفسي طريقة في اختيار الشعر وشرحه، واستندت إلى تراث عربي غني في مضمار الاختيار والشرح . وقد بسطت رؤيتي العامة للشعر العربي في مكان آخر من هذه المقدمة .

سميت أحمد شوقي «شاعرَ الألف سنة» لأنني لم أجد بين المعري وبينه شاعراً أهم ولا أعظم منه . وكنت أطلقت هذا الاسم على البرنامج التلفزيوني الذي أعدته وأخرجته لقناة «الجزيرة» الزميلة هويدا طه في الذكرى الخامسة والسبعين لوفاة شوقي، ثم اكتشفت أنني لست أول من فكر بهذه الفكرة . فقد كتب الشاعر شفيق جبري بعد أيام من وفاة شوقي مقالاً بعنوان «أحمد شوقي: شاعر لم يظهر مثله من ألف سنة» في جريدة الأيام الدمشقية .

وقد انغمست في شعر شوقي أكثر وأنا أقدم برنامجاً آخر قصيراً في قناة «الجزيرة» كان اسمه «قال الشاعر» أنتجته الزميلة نغم عيتاني . وقد خصصت شوقي باثنتين وعشرين حلقة من أصل نحو مئتين وعشرين حلقة تم إنتاجها قبل توقف البرنامج، ولو قبض له أن يستمر لأربت الحلقات المخصصة لشوقي على الخمسين .

سميت كل قصيدة أو قطعة في هذه المختارات باسم من عندي . واستندت إلى الطبعة البيروتية الثانية من «الموسوعة الشوقية» . فأما الطبعة الأولى - التي ازدانت مجلداتها جميعاً بصورة خليل مطران - فكنزتها على أحفادي حتى يبيعوها بالمال الكثير بيع النوادر . وأذكر للناس البيروتي، سوى جودة أحرفه وورقه، أنه ضبط الأبيات بالشكل ضبطاً جيداً، فلم يقصر في هذا عن الطبعة المصرية .

وأما الشوقيات فهي ديوان شوقي الذي نشره بنفسه في مارس عام ١٩٠٠ (وإن كان مؤرخاً في عام ١٨٩٨)، وسماه «الشوقيات» على حياء، لا نذاً بأن شكيب أرسلان هو من اقترح التسمية، وهذه حقيقة يؤكد لها أرسلان في كتابه عن شوقي . ثم صدرت طبعة أخرى وشوقي في السابعة والخمسين من عمره

فأضاف إليها الكثير، لكنه - أيضاً - حذف كثيراً من المدح في أولياء نِعَم لم يعودوا أولياء نعم. وكانت طبعة الشوقيات الأولى محلاة بمقدمة ثمينة وطويلة من قلم شوقي، فأسقطها في الطبعة الثانية وأبدل بها مقدمة من قلم محمد حسين هيكل. وأضيف إلى الشوقيات الكثير بعدئذٍ، فطبع منها جزء ثانٍ في حياة شوقي، وجزء ثالث بعد وفاته بأربع سنوات، ثم رابع بعد وفاته بعشر سنوات. وعبثت السياسة بطبعات الشوقيات بعد ثورة ١٩٥٢ في مصر. وجاءت بعدئذٍ طبعات لبنانية رديئة كثيرة. على أن طبعة إميل كبا محققة تحقيقاً حسناً، ومخدومة بقطع نثرية قد تعين الطلبة. وفيها «مداخلات» تذوقية طيبة. وسعت إلى الالتزام بالطبعات الأصلية، بدلاً من التسكع في تيه الطبعات «المهذبة». وفهرسها ممتاز، بخلاف فهرس الموسوعة الشوقية الذي جعل له مجلد برأسه ولكنه قليل النفع.

وفي الستينات نشر محمد صبري السوربوني كتاب «الشوقيات المجهولة»، فكان جهداً علمياً طيباً. لكن بعض شعر شوقي ظل دفين الجرائد. فكان نشر الموسوعة الشوقية في مطلع الثمانينات خدمة جليلة للأدب، ولئن سبقتها ولحققتها كتب حاولت جمع شعر شوقي الغنائي ومسرحياته ونثره، فإن الموسوعة الشوقية هي التي جمعت فاستوعبت.

قد بذلتُ جهداً في ترتيب هذه الأشعار التي اخترتها ترتيباً زمنياً صارماً يجعلك تقرأ الكتاب وتتابع فيه حياة الرجل وتطور فنه ومواقفه السياسية والاجتماعية. ولكن التناقض في التأريخ بين كتاب وكتاب حال دون الترتيب الصارم، وحال دونه أيضاً إهمال المؤلفين، وكثرة أغلاطهم. وأكبر المهملين أحمد شوقي. فهذا الرجل الذي عاش لشعره، كان مهملاً في جمعه. كان أحياناً ينشر القصيدة في جريدة أو مجلة باسم مستعار ثم يعود إليها فيحكيكها ويزيد في أبياتها وينقص، ثم ينشرها في طبعة من ديوانه. أو تنشرها له بعلمه أو بدون علمه جريدة أخرى.

وحاد بي عن الترتيب الصارم قليلاً أنني جمعت قصائده التي على لسان الحيوان في مكان واحد. فهو، وإن يكن نظمها كلها تقريباً في سن الشباب الباكر، غير أنه أضاف إليها قصائد قليلة كهلاً. فضممت الشبيه إلى الشبيه.

قد صدعتك بمزايا مختاراتي هذه، وأزيدك في الختام واحدة: اخترت ما اخترته لك بمزاج.

حياة أحمد شوقي

إذا آمَنْتَ، مثلما أومن، بأن الشاعر بجيده لا برديته، وبأن أكثر ما يعنينا من سيرة الشاعر شعره، فخير سيرة لأحمد شوقي هي ما يتضمنه هذا الباب من شعر. فقد عرضت لك مختاراتي من شعر الرجل: ما كتب في صباه فشابه فرجولته فكحولته، مرتباً ترتيباً زمنياً، مشروحاً، مع ذكر المناسبات والمواقف والمعلومات التي تُعينك على فهم الجو السياسي والاجتماعي الذي أحاط بالقصائد.

ولكنك قد تحب أن تعرف عن نشأة الرجل.

نشأته

اسم جده «أحمد شوقي» أيضاً، وهو كردي - عربي، «سمعت أبي، رَحِمَهُ اللهُ، يَرُدُّ أصلنا إلى الأكراد فالعرب».

قدم الجد إلى مصر حاملاً رقعة توصية من أحمد باشا الجزار والي عكا إلى محمد علي باشا والي مصر. وكان الجدُ يتقن العربية والتركية ويكتب بهما، فالتحق بالمعينة؛ وما زال يتقدم حتى صار أميناً للجمارك المصرية في منتصف القرن التاسع عشر. وجمع ثروة طيبة بددها ابنه «علي» سريعاً.

عاش «علي»، أبو شاعرنا، من عمله. وتزوج فتاة أبوها مصري من أصل تركي وأمها يونانية أسرت في الحرب وجيء بها لتكون وصيفة أو شبه ذلك عند إبراهيم باشا ابن محمد علي. وأنجبا ابناً في عام ١٨٦٨ سمي به باسم جده. فهذا «أحمد شوقي» الشاعر. وقيل، استناداً إلى شهادة الليسانس الفرنسية، بل ولد عام ١٨٧٠.

يذكر شوقي جدته أمّ أمه، واسمها تمزار، كثيراً. فهي بنت القصر، جاءت سبيةً وعمرها عشر سنين، واعتنقت الإسلام بالطبع؛ ولعلها نسيت كل ما تعرف من لغتها اليونانية، فكانت تتكلم - فيما أحسب - العربية والتركية. وكبرت، وزوّجها القائد الذي أسرها إبراهيم بن محمد علي من رجل عالي المكانة، واحتفظت بصلتها بالقصر. واحتفظت بمعاش زوجها بعد وفاته. وقد أخذت شاعرنا من المهد وكفلته. «حدثني أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه. فطلب الخديوي بدرة من الذهب، ثم نثرها على البساط عند قدميه، فوقعْتُ

على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به، فقال لجديتي: اصنعي معه مثل هذا، فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض. قالت: هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي. قال: جيئي به إليّ متى شئت، إني آخر من ينثر الذهب في مصر». انتهى كلام شوقي في مقدمة الشوقيات.

أدخله أهله في مكتب الشيخ صالح وهو في الرابعة من العمر، «وهي من أهلي جناية على وجداني أغفرها لهم». ثم انتقل للمبتديان فالتجهازية، فكان ترتيبه الثاني في المدرسة وهو في الخامسة عشرة فحصل على المجانية لتفوقه.

نبوغ شاعر

كان دخوله الكُتّاب في هذه السن الطرية الشرارة الأولى التي لن تخبو. لقد عرف اللغة العربية الفصحى وهو طفل صغير، وعرف أن هذا هو المضممار الذي يجب أن يركض فيه. وفي المدرستين اللاحقتين التصق بلغة القرآن ولغة الأدب ولغة المثقفين. هنا التقط شوقي فيروس العربية الذي لن يفارقه. ووضع في جيبه المسطرة التي سيقس بها كل أدب. عرف المتنبي والبهاء زهيراً، وقرأ على الشيخ حسين المرصفي صاحب كتاب «الوسيلة الأدبية» «كشكول» العاملي ثم «الوسيلة»، وكان آنذاك في الرابعة عشرة من عمره. وعثر على قلبه في شعر محمود سامي البارودي الذي قرأ منه عدة قصائد في «الوسيلة». ولمصطفى صادق الرافعي تحليل طيب لسبب التأثر الشديد بالبارودي: السبب هو المعاصرة، «فالمعاصرة اقتداء، ومتابعة على الصواب إن كان الصواب، وعلى خطأ إن كان الخطأ». ويعلل الرافعي خروج البارودي عن غثاثة الشعر في زمنه تعليلاً طيباً: «كان البارودي جاهلاً بفنون العربية وعلوم البلاغة، لا يحسن منها شيئاً، وجهله هذا هو كل العلم الذي حوّل الشعر من بعده، فإلى عجيبة من الحكمة. أكبّ البارودي على ما أطاقه وهو الحفظ من شعر الفحول، إذ لا يحتاج الحفظ إلى غير القراءة ثم المعاناة والمزاولة، وكانت فيه سليقة، فخرج مخرج مثلها في شعراء الجاهلية والصدر الأول. وجاءت بذلك الشعر الجزل الذي نقله المرصفي بإلهام من الله تعالى ليخرج به للعربية حافظاً وشوقي». اهـ.

نظم شوقي وهو في الرابعة عشرة. وجلّي في أول قصيدة وصلتنا، وهي وصف للخريطة، واقتبسنا معظمها هنا، أن هذا التلميذ ذو خيال عجيب، وأنه يمتلك ناصية اللغة، ويتصرف بها باقتدار.

درس شوقي على حسين المرصفي مدة غير قصيرة. قال في مقابلة نشرتها الأهرام عام ١٩٢٧: «أستاذي الوحيد الذي أعد نفسي مديناً له هو الشيخ حسين المرصفي صاحب الوسيلة الأدبية، وتعلمت سنتين لحفني بك ناصف، وهما أستاذاي حقيقة اللذان استفدت منهما».

ثم دخل شوقي مدرسة الحقوق وهو دون السن القانونية، فدرس بها سنتين، وعندما أنشئ بها قسم للترجمة دخله وأقام به سنتين آخرين. ونال إجازة في الترجمة.

كان وهو تلميذ يمدح الخديوي توفيقاً، وكان هذا يصل إلى الخديوي، فتوفيق يتقن العربية ويبدو أنه كان يتذوق أدبها، إذ إنه درس بمصر ولم يتسن له السفر إلى أوروبا للدراسة.

ثم ألحق الخديوي توفيق شوقي في معيته. وعين أباه مفتشاً بعد أن كان فقد وظيفته.

بقي شوقي سنة في معية الخديوي توفيق، ثم أرسله إلى فرنسا للدراسة وخيّرهُ، فاختر شوقي الحقوق، فنصح له الخديوي توفيق أن يجمع بين «الحقوق وبين الآداب الفرنسية بقدر الإمكان».

الدراسة في فرنسا

ركب شوقي البحر إلى مرسيليا في يناير عام ١٨٩١، وأنفق عامين في موندلبيه، وعاماً في باريس، ورجع إلى مصر في نوفمبر عام ١٨٩٣. ومنعه الخديوي من القدوم إلى مصر في العطلة الدراسية، وطلب منه أن يقيم «أربع سنوات كاملة في أوروبا»، وألا يضيع منها دقيقة واحدة، «ثم أرسل إليّ خمسين جنيهاً لأنفقها في رحلة أزمعها إلى أي بلد أشاء، إلا مصر».

في السنة الثالثة نال شوقي شهادة الحقوق الفرنسية، ولكن الخديوي توفيقاً طلب إليه أن يبقى في باريس ستة أشهر ليتمكن من «معرفة أشياء باريس وأهلها». الخلاصة أن شوقي مكث في فرنسا ثلاث سنوات تنقص شهراً.

موظفاً في القصر

رجع شوقي إلى مصر ليجد توفيقاً قد مات، وابنه الشاب عباس حلمي قد

تولى الحكم. عمل شوقي في القصر. ولا شك أنه أحس بغصة، فالخديوي توفيق كان يحب الآداب، وهو رجل تربي على اللغة العربية. أما عباس حلمي فشباب يصغر شوقي بست سنوات، ودرس في مصر ثم في فيينا مدة قصيرة وقطع دراسته بموت والده ليتولى الحكم بعده.

لكن شوقي نال ثقة عباس حلمي، وتولى له رئاسة القلم الإفرنجي. وبعد سنتين مثل مصر في مؤتمر المستشرقين في جنيف بسويسرا عام ١٨٩٤. وعاد فكتب تقريراً «إلى سيدنا ومولانا، وليّ النعم الأكبر، الخديوي المعظم».

في المؤتمر عرض شوقي قصيدة من ٢٩٠ بيتاً قص فيها تاريخ مصر الفرعوني والإسلامي. وقال كلمة بالفرنسية، ترجمها بنفسه لاحقاً إلى العربية، حث فيها المستشرقين على الاهتمام بالحاضر الأدبي للعرب الذي «دخل في الحركة العصرية من نحو نصف قرن»، ودعاهم إلى ألا يقصروا اهتمامهم على ماضي العرب وتراثهم القديم، وعرض عليهم روايته الشعرية علي بك الكبير، و«مجموعة حكايات منظومة على ألسنة الحيوانات، بإنشاء عربي محض، وفكر مصري خالص». وستظل هذه الحكايات من درر أدبنا العربي زمناً طويلاً. وقد اخترنا منها الكثير هنا، ليس لطرافة موضوعها فحسب، بل لأنها من أجمل الأدب.

غزل شوقي بالحسان في مصر وفي إستانبول التي كان يزورها كثيراً. ولم يكن في غزله سوى رجل يحب الجمال، و«الجمال البشري سيد الجمال كله» كما قال ناثراً.

وعرف مكائد الوظيفة، ودسائس القصور جيداً، وانطبع هذا في شعره بشكل جگم كان يقصد إليها قصداً، على أنه كان يغترفها من حياته. وتأثر ولا شك بالأدب الفرنسي، وهو يقول لنا إنه تأثر كثيراً بفكتور هوغو وألفريد دي موسيه ولامرتین، وأما لافونتين القديم فقد تأثر بقصصه وصنع قصصاً على طريقته. وعرف شكسبير باكراً من ترجمات صديقه خليل مطران لبعض مسرحيات شكسبير من الفرنسية إلى العربية. ولكن مثله الأعلى ظل المتنبي «صاحب اللواء، والسماء التي ما طاولتها في البيان سماء، ولو سلم من الغرور، وسلم الناس من لسانه لأجلته إجلال الأنبياء».

الزواج والأولاد

تزوج شوقي خديجة ابنة حسين باشا فهمي شاهين، وأنجبت له أمينة في

الليلة التي مات بها أبوه. ثم وُلد له علي، ثم بعد حين حسين. وأحب أولاده بشغف. وكتب فيهم قصائد فيها مرح وحب وفيها تعلق. وأخذنا معظم أبياتها هنا، ليس فقط لأن مثيلها نادر في شعر العربية، ولكن لأنها جميلة أيضاً. ولم يقل في زوجته شيئاً، ولعله كان في هذا الأمر الرجل الشرقي الذي يتفنن في إخفاء زوجته عن العيون والأذهان، تقرأ شعره في أولاده فلا تملك أن تسأل: وأين أمهم، ولا تملك أن تظن أنه كان يعثر عليهم تحت الشجرة في الحديقة. ويصرح ابنه حسين في كتابه عن أبيه بأن شاعرنا كان يسهر كثيراً ويهمل زوجته، وهي صابرة لا تؤاخذ في شيء.

شوقي شاعراً متميزاً

كان شوقي رجل سماع، يحب الموسيقى الشرقية، ويألف الموسيقى الكلاسيكية. ونحن نرى هذه الألفة من خلال أذن محمد عبد الوهاب الذي رافق شوقي في فرنسا لاحقاً واستمع بمعينه إلى الموسيقى في مسارح باريس.

ونعرف أنه كان يسهر في مجالس الغناء، ويحضر المسرحيات الغنائية في القاهرة. لكن ارتباطه بالقصر يمنعه من التمادي في علاقات نسائية. ولعل الرجل لم يكن شهوانياً. كان يحب الخمر، ويعاقرها باتشاد. وكان يحب الجمال. ولكنه كان قد أصبح منذ أوائل الصبا راهباً في معبد الشعر.

«كان شوقي يقيد الشوارد ولا يدعها تفوت، ولم يقل لنفسه في وقت من الأوقات: دعينا من هذا الآن لأن لنا ما يشغلنا عنه وسنعود إليه في ساعة أخرى، بل كان المعنى المبتكر هدفاً له كيفما عَنَ وأنى عرض.. لم يخلط شوقي الشعر بالسياسة ولا التجارة ولا الفقه ولا الإدارة ولا الزراعة ولا عمل من الأعمال الأخرى التي يتعاطاها الناس،» كما قال شكيب أرسلان في كتابه «شوقي: صداقة أربعين سنة».

و«كان شوقي يفكر في الشعر قاعداً وحاضراً وبادياً وسائراً وسارياً وفي المركبة وماشياً، إلى غير ذلك. فقد أعطى شوقي نفسه للشعر فأعطاه الشعر ما لم يعطه غيره في هذا العصر»، كما قال عنه صديقه خليل مطران.

ولم يكن موسراً. كان موظفاً نافذاً في معية الخديوي. لا بل يرى شكيب أرسلان أنه «في عام ١٩٠٠ كان شوقي ضعيف الحال، لم يحصل على الثروة التي جمعها فيما بعد، والتي كان السبب فيها شعره بدون نزاع». أما أنه كان

ينفق من سعة بسبب ثروة زوجته وأهلها، فأمر مشكوك فيه. لقد كان شوقي محجة لأصحاب الحاجات سنين طويلة. ولعله كان لا ينسى نفسه من عمولة هنا أو هناك على الطريقة التي كانت متبعة كثيراً في ذلك الزمن التركي. وهذه تهمة يؤكدّها محمد كرد علي في كتابه «المعاصرون»، من حيث نفاهاً ضمناً شكيب أرسلان. ولعل «بدون نزاع» هذه التي وردت في عبارة شكيب أجلب للتهمة منها لدفعها.

لا نعرف الكثير عن معتقد شوقي. لكن شعره يوحي بأنه كان مؤمناً دون تمسك بالعبادات. كان منتصباً إلى أمة الإسلام انتماء روحياً وسياسياً، فقد ناصب الإنجليز العداء مجازاة لأمره، وناصر الخليفة عبد الحميد في إستانبول مثلما ناصره أميره في مصر، وكان نصيراً للدولة الخلافة بمعنيها الزمني والديني. على أنه كان في شعره كثير الشك في الحياة الأخرى. ولكن، أليس هذا دأب كثيرين من الشعراء؟ قد لا يحل لنا التحويل على أبياته تلك في رسم خريطة لوجدانه الديني. على أننا نقول إن شوقي انتمى إلى الإسلام حضارياً وعاطفياً بعد إذ قدس اللغة العربية، وليس العكس.

وإذ رأى السفور في كثير من نساء إستانبول، واجتلى جمالهن ووصفه، أخذ يميل إلى السفور كفكرة، وحبه للمرأة العثمانية في قطعة نثرية طويلة كتبها عن زيارته لعاصمة الإسلام، قبل سنة من كتاب قاسم أمين «تحرير المرأة». ولم يسارع إلى تأييد قاسم أمين في مطلع القرن العشرين. فوقف متحفظاً من صاحب كتابي «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة»، ثم رصد في شعره تحول مواقف الأمة، ومال إلى السفور بالتدريج.

ناصر شوقي الحزب الوطني وزعيمه مصطفى كامل، الذي كان منسجماً مع قصر عابدين ومؤيداً لإستانبول والخلافة، لكن شوقي لم يكن سياسياً حزبياً.

دخل القرن العشرون وشوقي أكبر مثقف في مصر. ولئن فاقه أحمد لطفي السيد، الذي يصغره ببضع سنين، في ثقافته الفلسفية والقانونية، فإن شوقي كان يمسك بزمام العربية كما لم يتسنّ لأحد منذ مئات السنين. وكان العقاد وطه حسين، كلاهما، آنذاك مع بدء القرن في الحادية عشرة من العمر.

وسنرى طه حسين بعد ثلاثين سنة يشهد لثقافة خصمه شوقي: «كان شوقي يحسن التركية، وكان متقناً للفرنسية، فقد برع فيها نطقاً وفهماً. وكان في أول أمره كثير القراءة حريصاً على الفهم، فقد قرأ كثيراً وفهم كثيراً وتمثلت نفسه ما

قرأ وما فهم.. . العنصر الفرنسي عمل في عقله وخياله ومزاجه كله.. . عاشر شوقي العرب في شعرهم وأدبهم فعظم حظهم من العربية، وعاشر الترك في حياته اليومية، واتصل بهم أشد اتصال فعظم العنصر التركي فيه».

وإذا عرفت شح طه حسين في الشهادة لأي أحد - ولا سيما فيما يتعلق بالثقافة الفرنسية - عرفت قدر شهادته هذه في شوقي.

نرى شوقي مُنْقَلَبَ القرن شاباً تخطى الثلاثين، قصيراً، بدأت صباحة الصبا تنحسر عن وجهه سريعاً، ولم يشفع له من جسمه شافع. يحضر حفلات الرقص في قصر عابدين ويستمتع بالجمال وهو يرى الفتيات يرقصن على أنغام الفالس، وتسيل خصورهن من أكف الرجال، والخديوي، الذي درس في فيينا سنة أو سنتين، يعيش الدور بجانب زوجته النمساوية.

ذاق شوقي هجمة نقدية من المويلحي وأخرى من البازجي، في مطلع القرن، وكره النقد وسيظل يكرهه. وهاجم سعد زغلول المقرب من المعتمد البريطاني في مصر. وكان صديقاً لزعيم الحزب الوطني مصطفى كامل. فلما مات هذا عام ١٩٠٨، لم يكن شوقي ميالاً لخلفه محمد فريد.

عاد إلى المسرح الشعري وهو في أواخر الثلاثين بعد تلك الرواية الباكورة التي نظمها وهو في أواسط العشرين من عمره. فكتب مسرحيتين هما «الست هدى» و«البخيلة». وانصرف عن الأمر.

رحب بالانقلاب العثماني وبالدستور عام ١٩٠٨، ثم لم يذرف الدموع على عزل ممدوحه السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩، الذي كان أنعم عليه بالبكوية. وبكوية إستانبول كانت في ذلك الزمن تجعل صاحبها أهلاً لأن يلقب بصاحب السعادة، وكانت، كما زعم محبو شوقي، مساوية للباشوية المصرية.

وانغمس في السياسة المصرية مع اغتيال بطرس غالي رئيس مجلس النظار عام ١٩١٠، لاتهامه بعدم الوقوف بصلاية أمام تجديد ولاية الإنجليز على قناة السويس. وعاش جو مصر وجو الدولة العثمانية المحتضرة شاعراً بما يجري شعوراً دفيناً وقوياً. كان يرتفع عن الأحداث الصغيرة ويرى حاضر الأمة الإسلامية، ويراه في انهيار متسارع.

المنفى

عندما قامت الحرب العالمية الأولى كان شوقي في إستانبول، وفيها كان

عباس حلمي. وطلب الإنجليز من عباس عدم العودة إلى مصر. وأسرعوا فأعلنوا مصر سلطنة وعينوا حسين كامل ابن إسماعيل سلطاناً، ففصلوها بذلك عن الدولة العثمانية التي كانت في المعسكر المعادي.

ورجع شوقي إلى مصر وهنأ السلطان الجديد. ولكن سلطات الاحتلال الإنجليزي في مصر أبعدته، مع كثيرين من أصحاب الولاء للدولة العثمانية، إلى مكان يختاره. فاختار إسبانيا لبعدها - على الأرجح - عن الأطراف المتحاربة.

وعاش مع أسرته وأربعة من الخدم في برشلونة. وانقطع إلى كتب العرب ودواوينهم. وكتب شعراً ونثراً، وأرجوزة قص فيها تاريخ عظماء العرب. ولم يكن له نشاط اجتماعي يذكر في إسبانيا. ولم يتميز شعره هناك عن شعره قبل النفي، إلا في قليل. كتب قصيدتين عامرتين واحدة في الحنين إلى مصر، وأخرى في وصف آثار العرب في الأندلس.

كان أولاده قد شبوا، وكانوا له سلوى في منفاه. يقص علينا ابنه الأصغر حسين، في كتابه «أبي شوقي» الذي كتبه بعد موت والده، قصة طريفة عن أبيه في إسبانيا: «ركبنا الحافلة ذات يوم، هو وأنا، فصعد رجل عملاق بادي الترف والثراء، يعلق سلسلة ذهبية بصدرة وفي فمه سيجار ضخمة، ثم ما لبث أن استسلم للنوم في ركن من العربة، وراح يغط غطيظاً يرهق الأعصاب. وصعد نشال في مقتبل العمر جميل الصورة، وهم بأن يخطف السلسلة، لكنه أدرك أن أبي يلمحه، فأشار إليه إشارة برأسه مؤداها: هل آخذها؟ فأجابه أبي برأسه «خذها»، فنشلها الشاب ونزل، بعدما حيّا أبي برفع قبعته! ولم يكذ ينزل حتى التفت إلى أبي وقلت: هل يصح أن تترك النشال يأخذ سلسلة الرجل وهو نائم؟ فأجاب: شيء عجيب يا بني! لو كنت مقسماً الحظوظ فلمن كنت تعطي السلسلة الذهبية؟ أكنت تعطيها عملاقاً دميماً أم شاباً جميلاً؟ فقلت: كنت أعطيها الشاب الجميل، فأجاب ببساطة: ها هو ذا أخذها».

هذا شوقي وهو يقترب من الخمسين.. شاعر الأخلاق. لكن معياره الأخلاقي داخلي ذاتي. ويصرح ولده حسين بأن أباه كان ذا نزعة بوهيمية دفيئة.

العودة من المنفى

عاد شوقي إلى مصر بعد انتهاء الحرب بقليل، وكانت مصر تخرج من

عقابيل ثورة ١٩١٩، وسعد زغلول لم يعد مقرباً من الإنجليز، بل هو زعيم وطني نفاه الإنجليز، ثم عاد وراح يفاوضهم بعناد.

رجع شوقي إلى مصر وفيها حاكم جديد. السلطان أحمد فؤاد الذي تولى الحكم بعد وفاة السلطان حسين كامل. لم يقرب السلطان أحمد فؤاد أحمد شوقي. ولعل شوقي أحس براحة في البعد عن القصر. وهو الذي كتب قبل عشرين سنة «أو لم يكن من الغبن على الشعر والأمة العربية أن يحيا المتنبي مثلاً حياته العالية التي بلغ فيها أقصى الشباب، ثم يموت عن نحو مئتي صحيفة من الشعر تسعة أعشارها لممدوحه، والعُشر الباقي، وهو الحكمة والوصف، للناس؟ هنا يسأل سائل: وما بالك تنهى عن خلق وتأتي مثله؟ فأجيب: أني قرعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلمه اليوم، ولا أجد أمامي غير دواوين للموتى. والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحاً في مقام عالٍ، ولا يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقام الأسمى في البلاد، فما زلت أتمنى هذه المنزلة. حتى وفقت بفضل الله إليها، ثم طلبت العلم في أوروبا، فوجدت فيها نور السبيل، من أول يوم، وعلمت أني مسؤول عن تلك الهبة التي يؤتيها الله ولا يؤتيها سواه». انتهى كلامه في مقدمة الشوقيات (١٩٠٠).

لكن شوقي أحس بالمرارة التي يحسها كل امرئ كان قريباً من مركز السلطة ثم صار بعيداً. حقاً لم يتعد عن الملك فؤاد كل البعد، بل ظل يمدحه بين الفينة والأخرى مدحاً عارضاً في الأغلب، لكنه لم يعد شاعر القصر، ولا الموظف ذا النفوذ فيه.

انصرف شوقي إلى دنيا من الشعر والفن أوسع. فقال قصيدة في النيل فاخرة. وقال قصائد في رثاء الكبراء كان بها يحافظ على منابره الشعرية، وينفث مخاوفه التي لا تهدأ من الموت. كان يعيش مرتاحاً ثرياً. وأظن أن شوقي الصبي الذي رأى أباه يبدد الثروة ويعيش عيشة عادية عرف كيف يمسك يده على ما نال في زمن الخديوي عباس حلمي من ممتلكات.

بعد المنفى

رجع شوقي إلى تمجيد مصر، وهي نعمة باهى كثيراً بأنه أول من صدح بها. فقد كان وقف على آثار الفراعنة واستوقف وهو شاب في الخامسة والعشرين في قصيدته أمام مؤتمر المستشرقين عام ١٨٩٤.

وقبل الكشف الأثري الباهر عن مقبرة توت عنخ آمون بسنة وقف شوقي يخاطب أبا الهول، ثم جاء الكشف الشهير الذي اهتزت له الدنيا، فتفجر شوقي بشعر كثير في وصف آثار الفراعنة ومناجاتها. وألبس حجارته من فنون القول ما هز النفوس، وكان العصر عصر بحث عن هوية وطنية. لم يتمسح شوقي بمومياءات الفراعنة تمسحاً بليداً، ولا هو تنكر لماضي مصر العربي الإسلامي. لكنه قال شعراً مليئاً بالجمال، وكفى.

كأنما كان في نفس هذا الشاعر حسرة لأنه لن يستطيع أن يقف على الإطلال وقوف شعراء العرب القدماء، الذين كانوا، وظلُّوا، مثله الأعلى وقالبه الخالد، فوجد في قبور الفراعنة مناسبة للوقوف والاستيقاف دون أن يتهم بأنه صدى باهت للقدماء. كان أصيلاً في هذا الشعر ليس لدقة الوصف وحسب، ولكن - أكثر - لأنه رأى الموت حياً أمامه في آثار الأقدمين فتحدث عن شعوره تجاه الموت؛ وتحدث - وأسرف في الحديث - عن الخلود الدنيوي وبقاء الذكر.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى انهارت الدولة العثمانية، فبكاه شوقي. ولكنه أثنى على أتاتورك وتحمس له في حربه مع اليونانيين، وفي مساعيه للحد من أطماع الدول المنتصرة في تركيا. ثم ألغى أتاتورك الخلافة فلامه شوقي ثم انقلب عليه. وأحس شاعرنا أن مصر هي الكيان الوحيد الذي يمكن أن يعده وطناً. ولم يعد إلى إيمانه بدولة الخلافة ولا بالخلافة. ولم يعر أذنًاً للدعوة التي كانت لها جلبة في العشرينات لتجديد الخلافة.

أصبح شوقي قريباً من سعد زغلول يحضر مجالسه، في بيت الأمة ومسجد وصيف، ويمدحه بالشعر. وقربه سعد، وجعله عضواً في مجلس الشيوخ عن محافظة سيناء سنة ١٩٢٤. وكانت هذه السنة بداية الحياة البرلمانية الحديثة في مصر وقد زالت عنها الحماية البريطانية ونالت استقلالاً إسمياً.

في مجلس سعد، وفي جلسات ضاحكة في بار اللوا ومحل صولت، كانت لشوقي جولات ساخرة مع الدكتور محجوب ثابت. واشتهرت قصائده العابثة في حسان الدكتور محجوب وسيارته وعيادته.

شوقي السميع

اتخذ شوقي لنفسه صديقاً شاباً، مطرباً صاعداً لم يبلغ العشرين، هو محمد

عبد الوهاب. آمن بموهبته، وأخذ يصقلها بالمعرفة. كان عبد الوهاب يحضر مجالسه ويلزمه كظله. وكانت له غرفة في قصر شوقي. وأخذ شوقي معه إلى باريس مراراً، وإلى لبنان أخذه، وإلى الشام. وعلى عهدة عبد الوهاب، فيما نقله لنا مجدي العمروسي، فإن شوقي أخذه إلى باريس لأول مرة وعمر عبد الوهاب خمس عشرة سنة. ويروي لنا عبد الوهاب كيف أن شوقي خالف نصيح طبيبه وشرب زجاجة ويسكي كاملة في الباخرة، وذلك عندما علم أن في الباخرة ثقباً وظن أنها غارقة.

وكان لشوقي في باريس معارفه من الناس العاديين في مطعمه وفندقه، تماماً مثلما كان له في القاهرة. وكان يقرأ بالفرنسية كثيراً. وفي إحدى الرحلات الأولى مع عبد الوهاب أحضر كتباً فرنسية كثيرة عن كليوباترا إذ كان يتهيأ لكتابة مسرحيته الشعرية «مصرع كليوباترا».

لقد عرف شوقي عبد الوهاب ولداً صغيراً يغني بين فصول مسرحية تقدمها فرقة عبد الرحمن رشدي، فكلم حكمدار بوليس القاهرة الإنجليزي لمنعه من الغناء لصغر سنه. كان ذلك فيما يروي عبد الوهاب (في كتاب عن سيرته نشر مرتين: مرة بقلم محمد رفعت المحامي ومرة بقلم لطفي رضوان!) سنة ١٩٢١. ثم في سنة ١٩٢٤ سمع شوقي عبد الوهاب في كازينو سان استفانو بالإسكندرية، واستقبله بحرارة ودعاه لزيارته في مكتبه بشارع جلال بالقاهرة. وبعد ثلاثة أشهر وانقضاء موسم التصنيف ذهب عبد الوهاب إلى مكتب شوقي، وكان لقاءً طيباً أعقبته دعوة عشاء، ثم ثماني سنوات من الالتصاق الشديد بين مغن ناشئ وبين أشهر شاعر في العالم العربي.

من عبد الوهاب عرفنا طرائف لا بأس بها عن شوقي. فهو يتناول إذ ينظم الشعر، ثلاث بيضات نيئة - يرفعها عبد الوهاب، عندما يحكي القصة لسعد الدين وهبة، إلى خمس بيضات - يشربها شرباً. وعندما سأله عبد الوهاب عن سر البيض النيء قال: «علشان بحرق فسفور كثير». وشوقي ينظم الشعر في قلبه ولا يدونه إلا بعد أن ينظم عدة أبيات منه. يمشي هائماً في الشوارع، يدخل صيدلية، ويخرج منها دون أن يطلب شيئاً، ويدخل محلاً ويخرج، ثم يكتب أبياتاً على علبة سجائر، وكان مدخناً شهماً، أو يملئها على أحد، ولا يزال كذلك حتى يفرغ من القصيدة. وبعد ذلك.. «ألاقيه بعدما يولد الولادة وشه أصفر، عرقان تعبان منهوك، ويقول لي حتعمل إيه ما مخمد، ها.. تتعشى فين يا مخمد؟» كان يناديه كذلك تحبباً.

ومن حديث عبد الوهاب، وغيره، عن شوقي نعرف أن شاعرنا كان يرجع إلى المعجم كثيراً. نجد ذكراً لرجوعه إلى المعجم وهو في بيته بالقاهرة «كرمة ابن هاني» وهو في السفينة مسافراً إلى فرنسا. وفي بيته كان له من يساعد في إعادة ترتيب كتبه على الرفوف. فبعد الخاطر «تيجي هنا عملية الصنعة».

وقد عرفنا عن طريقة شوقي في النظم من مصادر عدة أهمها وأوثقها رواية سكرتيره الشخصي أحمد عبد الوهاب أبو العز الذي حدثنا كيف نظم شوقي قصيدة «قفي يا أخت يوشع خبرينا»: «جاء من منزله في المطرية فوجدني في المكتب في الساعة الحادية عشرة والنصف فأملئ علي ثمانية وعشرين بيتاً، ثم قال لي لا تبعد عني حتى إذا جاءني شيء أمليته عليك. وخرج يمشي حول العمارة، فكان كل بضع دقائق يعود فيملئ علي خمسة أو ستة أو سبعة أبيات. وأخيراً دخل المكتب وجلس على مقعده وأخذ يمر براحته اليسرى على رأسه ففهمت أنه ينظم في سرّه قال: اكتب، فكتبت وكتبت، ونظرنا إلى الساعة فإذا هي الواحدة بعض الظهر فقال: كفى، أعطني ما كتبت لأنني على موعد في هذه الساعة مع داود [بركات] في جريدة الأهرام، فقدمتها له بعد أن عدت أبياتها ووجدتها أربعة وثمانين بيتاً».

وقد وجدنا القصيدة زادت عشرة أبيات فأصبحت أربعة وتسعين بيتاً اقتبسنا لك منها هنا نحو نصفها.

وعرفنا من عبد الوهاب كيف زار سعد زغلول بيت شوقي لتهنئته بعرس ابنه البكر. وكيف التقط لهما المصور صورة. وأثناء التحضير للصورة بمعدات ذلك الزمن قال أحدهم، هذه صورة تجمع الخلودين: خلود الوطنية، وخلود الشعر. فعلق سعد زغلول ويده على كتف شوقي: «هذا الرجل وحده هو الخلود، فبعد خمسين سنة لن تجدوا من يذكر اسم سعد، ولكن ستجدون للأبد من يذكر شوقي ويترنم بشعره».

كان شوقي عاشقاً للغناء، ولفت نظري وصف الناقد الموسيقي كمال النجمي لعبد الوهاب بأنه «آخر مطربي شوقي». فقد كان شوقي متابعاً لفن محمد عثمان وعبد الحامولي، ثم بعد موتهما منقلب القرن تعلق بيوسف المنيلوي وعبد الحي حلمي وسلامة حجازي ومنيرة المهدي وأم كلثوم. وعرف قيمة سيد درويش جيداً، وبرز تذوقه لما أتى به سيد درويش من جديد في القصيدة التي رثاه بها. وكتب الشعر بالعامية لعبد الحامولي وسلامة حجازي

ثم لمحمد عبد الوهاب. وقد أحصى إدوارد ميخائيل في كتابه المتميز بالدقة العلمية عن عبد الوهاب تسعاً وعشرين قصيدة غناها عبد الوهاب من شعر شوقي، عشر منها بالعامية. والعدد قابل للزيادة والنقصان، لأن الكلمات لم تكن تنسب لشوقي إلا بعد حين.

لقد بلغ من حب شوقي للطرب أنه كان يأتي بالأطباء لعلاج المغني الشيخ محمد المسلوب وهو في المئة من عمره. ويبدو أن هذا العلاج كان نافعاً حقاً فقد عاش الشيخ حتى تجاوز المئة والعشرين.

هجمة نقدية شرسة

في أوائل العشرينات تعرض شوقي لأقسى هجمة نقدية. فقد نشر العقاد والمازني كتاب الديوان (١٩٢١)، وفيه حمل العقاد على شوقي حملة قاسية: «كنا نسمع الضجة التي يقيمها شوقي حول اسمه في كل حين فنمر بها سكوتاً كما نمر بغيرها من الضجات في البلد، لا استضحاماً لشهرته ولا لمنعة في أدبه عن النقد، فإن أدب شوقي ورُصفائه من أتباع المذهب العتيق هدمه في اعتقادنا أهون الهينات، ولكن، تعقفاً عن شهرة يزحف إليها زحف الكسيح، ويضن عليها من قولة الحق ضمن الشحيح، وتطوى دفائن أسرارها طي الضريح. ونحن من ذلك الفريق من الناس الذين إذا ازدروا شيئاً لسبب يقنعهم، لم يبالوا أن يُطبق الملاء الأعلى والملاء الأسفل على تبجيله، والتنويه به. فلا يعنيانا من شوقي وضجته أن يكون لهما في كل يوم زفة، وعلى كل باب وقفة». وحمل العقاد حملته منوهاً إلى أن كثيرين يؤيدونه، ومشدداً النكير على شوقي وعلى آله الدعائية. وكان شوقي ممن يحسنون الذب عن أدبهم بتسخير الأقلام لمدحه، والصحف لنشره. كان إذا غضب غضب له ألف قلم مأجور. فمن هذه الناحية لم يتجن العقاد كثيراً. كان شاباً في الثلاثين يرى أن شوقي ينال اهتمام الصحف، فأراد أن ينال قسطاً من الشهرة بالتعرض لشوقي. وأجابه شوقي الإجابة المتوقعة من مشهور يتعرض له أديب ناشئ ليققطع جزءاً من شهرته لنفسه: سكت عنه سكوت قبر.

ثم انثنى العقاد إلى قضائد شوقي فتناول منها قصيدة متوسطة فلسفها بلسانه. ثم أخذ قصيدة رديئة حقاً فأنشأ يسخر من شوقي في نثر مليء بالحيوية والتدفق. وعرج على قصيدة من الجياد هي مرثيته في مصطفى كامل - واخترنا

في كتابنا ثلث أبياتها - فأوسعها تهكماً. وغرس في قلب شاعرية شوقي، بعد التهكم من قصيدته الجيدة، أربعة نصال: التفكك، والإحالة، والتقليد، والولع بالأعراض دون الجوهر. فأما التفكك فقد عالجته العقاد علاجاً عجباً. كتب قصيدة شوقي بأبياتها الأربعة والستين كاملة، ثم عاد وكتبها مرة أخرى بعد أن بدل وغير مواضع الأبيات فبدأ بالبيت الأول ثم الرابع عشر ثم الحادي والعشرين ثم الرابع والستين وهلم جرا. ورأى العقاد بعد أن صنع ذلك أن القصيدة صارت أحسن نسقاً وأقرب نظاماً. وأكد العقاد نظريته المشهورة بأن الشعر العربي العتيق يقوم على وحدة البيت لا وحدة القصيدة. وأن شعر شوقي مفكك.

وأما الإحالة فهي الإتيان بمعنى مستحيل الحدوث في الواقع كقول شوقي:
يزجون نعشك في السناء وفي السنى فكأنما في نعشك القمران
وعلق عليه العقاد قائلاً: «وزعيمنا الفقيد كان فرداً، والقمران اثنان، فمن كان الثاني في ذاك النعش؟»
وكقوله:

مصر الأسيفة، ريفها وصعيدها قبر أبر على عظامك حان

وعلق العقاد: «مصر، أيها القارئ، ولا تخطئ فتحسبها القاهرة المعزية - فإنها مصر بريفها وصعيدها - مصر كلها، ما هي إلا قبر واحد. فله در شاعرها يرثي رجلاً أحيا نهضة في بلاده فيجعلها قبراً. ولأي ضرورة؟ وليلد على ماذا؟ لا شيء».

وأما التقليد فعنى به العقاد ما عبر عنه نقاد الشعر منذ القدم بالسرقة. ولشوقي سرقات كثيرة، ولكنه إذا قيس بالمتنبي كان عفيف الوجه واليد واللسان.

وأما الولع بالأعراض دون الجوهر فضرب له العقاد مثلاً البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة:

دقات قلب المرء قائمة له: إن الحياة دقائق وثوان

وعلق قائلاً: «إنه بيت القصيد في رأي عشاق شوقي، فعلى أي معنى تراه يشتمل؟ معناه أن السنة أو مئة السنة التي قد يعيشها الإنسان مؤلفة من دقائق

وثوانٍ. وهذا هو جوهر البيت.. بلاغتهم المزورة لا تتعلق بالحقائق الجوهرية والمعاني النفسية، بل بمشابهات الحس العارضة.

كان العقاد متحاملاً، وآية تحامله أنه لم يرض أن يسلم لشوقي بيت واحد جيد أو حتى متوسط. لقد حكم على الرجل حكماً جارفاً، ولم يعجبه من الثلاثين ألف بيت التي نظمها شوقي في حياته شيء.

كانت هجمة نقدية عاتية. وكانت فيها فائدة للأدب العربي. ولكن شوقي، وهو موضوعنا لم يزل، مضى في طريقه لم يغير شيئاً. ظل الحارس الأمين للطريقة الكلاسيكية في الشعر العربي. وظل شعره «مفككاً»، أو إن شئت قائماً على وحدة البيت. وظل يعارض الشعراء الأقدمين ويباريهم، و«يسرق» منهم.

وظل العقاد يهاجم شوقي، ولكن شوقي راح ينعم بالتكريم في مصر والشام ولبنان، إلى أن توجته تلك الحفلة الكبيرة، سنة ١٩٢٧ في دار الأوبرا بالقاهرة برعاية سعد زغلول، أميراً للشعراء.

لقد اضطر حافظ إبراهيم إلى مبايعة شوقي حتى لا يقال حسده فتخلف. لكن العقاد اعترض بصراخ وزئير. وفي العراق قال الزهاوي:

قالوا لشاعر مصر دار الإمارة تسببني
فقلت يا أهل مصر منكم أميرٌ ومنا

مستعيداً قولة الأنصار للمهاجرين بعد وفاة الرسول: «منكم أمير ومنا أمير».

وكان الرصافي أكيس. فقال، وأشار إلى محنة طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي»، ومحنة علي عبد الرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم»:

إذا احتفلت مصر بشوقي فما لها تقيم على الأحرار في العلم حاجرا
فقد أسمعنا ضجة أمطرت بها علياً وطه حاصباً متطائرا
إذا لم تك الأفكار في مصر حرة فليس لمصر أن تكرم شاعرا

وفي لبنان كتب مارون عبود بعد ست سنوات من التتويج: «فهل كانت إمارة شوقي - وهو شاعر جيله - غير منهزلة سجلها الدهر؟» على أن الجملة المعترضة عند مارون «وهو شاعر جيله» لم تكن لمجرد المجاملة، فقد ردها بعد أكثر من عشر سنوات عندما جعل شوقي «خلاصة الرؤوس وخاتمة الشعر

الكلاسيكي»، «كان شوقي قويَّ المخيلة، وعَيْنُهُ أَحَدُ من قلبه، فوثب ووثبات استولى بها على الأمد فكان شاعر جيله.. فلولا وثبات رائعة فاق بها شوقي شعراء جيله ودنا بها من كبار القدماء لما كان هو ذلك «الرأس» الذي نختم به المدرسة القديمة. إن حظ الشعر القديم المصقول قد ختم بشوقي الذي أعاد عهد الديباجة البحتية». انتهى كلام مارون عبود في كتابه الرؤوس.

سافر شوقي في العقد الأخير من عمره كثيراً، إلى فرنسا حيث كان ولداً علي وحسين يدرسان، وإلى لبنان وسوريا حيث كان يلقي الترحيب الكثير. رأيناه يشكو لمحمد عبد الوهاب كثرة مجاملات أهل لبنان، وكان يعجبه من أهل سوريا ولبنان أنهم يحفظون شعره. وكان يطرب لسماع شعره من أفواه الآخرين. وسنراه يسأل كامل الشناوي في أول لقاء بينهما عام ١٩٣١ إن كان يروي شيئاً من شعره، ويطلب إليه أن ينشده قصيدة «أبو الهول». حدث هذا اللقاء في مسرح الأزبكية عقب حضور شوقي لبروفة إحدى مسرحياته، وكان يقوم عليها زكي طليمات.

في السنوات الخمس الأخيرة من حياة أحمد شوقي عاد إلى المسرحيات الشعرية فكتب خمساً أو ستاً منها، وكان شوقي مولعاً بحضور بروفات مسرحياته. ولعل الممثلين كانوا يذوقون الأمرين من تلك النصوص. فماذا يفعلون بيت من الشعر مقسوم بين ثلاثة أو حتى أربعة ممثلين؟ عليهم أن يتقنوا الأداء وأن يلتزموا بالوزن الصارم! عجب ذلك الذي صنعه شوقي في مسرحياته، فقد التزم بأوزان الخليل، وحاول مع ذلك أن يُبقي على التدفق، وأن يراعي تطور القصة. وقد لاقت مسرحياته من اهتمام النقاد الكثير. ولقي من ثناء النقاد الكثير لأنه فتح هذا الباب في الأدب العربي. ولكن أي باب؟

لقد ولد المسرح الشعري على طريقة شوقي ميثاً. وهو الآن نصوص في الكتب، لا تنفع الممثل، وترهق المطالع. وهي قد لاقت المصيرين، ثناء النقاد والموت الزؤام، للسبب نفسه: فكرة طريفة لكنها فظيرة. استوردت على عجل قبل أن تجد في أوزان الشعر العربي ما يساعدها على النمو. ومن أراد أن يحيل الشعر العربي الغنائي بطبيعته وبتاريخه إلى شعر مسرحي عليه أن يجري الكثير من التغييرات ليس فقط على بنية الشعر واللغة، بل أيضاً على نفوس السامعين والمشاهدين. وعندما جاء الرحبانيان فصاعاً مسرحياتهما خالطين الشعر بالثر بالموسيقى نجحا عند الجمهور؛ ثم عاد الجمهور وسقط - الجمهور

هو الذي سقط - لأنه لم يواصل الاهتمام بهذه الأهرامات الفنية الخالدة، وساعد الجمهور في ذلك بلادته ورداءة المؤسسات الإعلامية في الدول العربية.

ارتاد شعراً شوقي في سنواته الأخيرة موضوعات جديدة، وسافر في بلاد العرب، ولا سيما في سوريا ولبنان، وظل هذا الشعر يؤبن الموتى كعادته.

لما مات حافظ إبراهيم رثاه شوقي متمنياً أن يكون حافظ هو الرائي:

قد كنت أؤثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء

وبعد حافظ بشهرين وثلاثة أسابيع مات أحمد شوقي، في ١٤ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٣٢.

لم يكن ناسياً الموت. بل لم تطلع على أحمد شوقي شمس نهار إلا تذكر الموت. ولو اضطرني أحد عشاق التصنيف إلى أن أضع شوقي في زمرة لوضعت في زمرة شعراء «تقديس الحياة»، ولوضعت بجانبه أبا العتاهية وأبا العلاء. فهؤلاء الثلاثة كانوا يحبون الحياة حباً جماً، إلى درجة أنهم نغصوها على أنفسهم بتذكر الموت. فأبو العتاهية شغف بالمال مع شغفه بالحياة وكان زاهداً وبخيلاً في النصف الثاني من حياته؛ وأبو العلاء زهد زهده المشهور في النصف الثاني من حياته ولكنه ظل متعلقاً بالحياة، نعرف ذلك لكثرة ما قال عكسه. وشوقي كان يلهو في النصف الأول من حياته، وفي النصف الثاني أيضاً. ولكنه كان دائماً كالولد الذي أعطته أمه قطعة جاتوه كبيرة، فراح ينظر إليها متحسراً ويفكر في اللحظة التي سوف تنتهي فيها، وظل يكزم من طرفها قليلاً ويتحسر قليلاً.

نظرة ذاتية في الشعر العربي

ليس مستحيلاً أن تمر بك أبيات للبارودي أو لبدوي الجبل ليس عليها اسم الشاعر فتحسبها لعنترة أو للأعشى. وقد تقرأ نصف ديوان البهاء زهير، الذي مات قبل أكثر من سبعمئة سنة، فتحسب أن هذا الشعر قيل قبل سبعين سنة أو سبع سنين.

تلك مشكلة في اللغة، وفي التقدم، وفي الشعر، وفي صدق الشعور والتعبير. وهي ظاهرة. فرغم أن التبدل في مجتمعات العرب كثير: لأن البداوة والارتحال المستمر طابع مسيطر عليهم في قديمهم، وموجود ملموس في

حديثهم، ولأن بلادهم تقع في وسط العالم، فكثرت في أرضهم الغزو والفتح، منهم وعليهم، ولأن بلادهم واسعة ومرقطة بالجماهر البشرية التي تفصل فيما بينها الفيافي والكثبان، رغم ذلك ثبتت لغتهم ثباتاً عجيباً.

القرآن الذي وحد العرب على لسان واحد قبل أربعة عشر قرناً، جعلهم يلفون لغتهم براية القداسة. والقرآن كتاب أحكام ودين لا كتاب لغة، وهو لا يضم من مفردات اللغة إلا ما شاء ربك أن يضم. لكن أثره كان أن قدّس العرب اللغة العربية. ثم دخل في الإسلام وفي اللغة العربية الأعاجم، فقدسوا العربية أكثر من العرب. ومن عرف لغتين كان في اللغة امرأً لعوباً. لقد وجد الأعاجم في العربية لعبة جميلة، وراحوا «يخدمونها» بتأسيس قاعدة ثابتة لها من النحو والصرف وتحقيق المفردات. وما انقضت مئتا سنة على نزول القرآن إلا والناطقون بالعربية قد اشتعلوا شغفاً بتأصيلها. فأخذوا كالمجانين يجمعون المفردات من ألسنة الأعراب، ويقدسون الشعر الجاهلي تقديساً، ويتخذونه مسطرة يقيسون بها كل شعر.

لغة كل عصر هي بصمته التي لا يمكن لعصر آخر أن يقلدها. وقد أنفق العرب ألف سنة وبضعة قرون يحاولون - سدى - تقليد بصمة العصر الجاهلي. يستعملون الكلمات نفسها والتراكيب نفسها، ثم يفلت منهم الوجدان الجاهلي. البصمة لا تقلد. ولكن الإسراف في محاولة تقليدها يسلب المرء أصالته ويسلكه في المقلّدين.

عربية الجرائد اليوم غير عربية الحجاج بن يوسف، وعربية الناس في بيوتهم وأسواقهم غير عربية الجرائد. والتمسك بالفصحى بوصفها جوهراً لم يتغير فيه شيء ألبتة منذ أوقفها الله على لسان آدم، تمسك شكلي بالطبع. فلا قواعد اللغة ظلت على حالها، ولا مفرداتها. فالنحو غير موجود على الألسنة اليوم ومراعاته في الكتابة تقتضي جهداً غير قليل؛ والألفاظ المأنوسة اليوم لا تتعدى عشرين بالمئة مما يضمه «لسان العرب»، فأما الثمانون بالمئة الباقية فمومياءات.

وحالنا في الشعر قريب من هذا في أشياء، بعيد في أشياء.

الشعر العمودي

وصف أبو علي المرزوقي المتوفى قبل ألف سنة (٤٢١هـ/أما ما ورد في

ترجمته في مقدمة شرحه لحمامة أبي تمام من أنه مات سنة ٢٤١، فهو بعض ما تفعله المطابع بالأرقام)، وصف «قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها، حتى تصير جوانبها محفوظة من الوهن، وأركانها محروسة من الوهي، إذ كان لا يُحكّم للشاعر أو عليه بالإساءة أو بالإحسان إلا بالفحص عنها وتأمل مأخذه منها...». واستقرأ صفة «عمود الشعر المعروف عند العرب» واستقر على سبع خصال، فالعرب «كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والثامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر». اهـ كلام المرزوقي.

هذا عمود الشعر أي أساسه، مثلما يكون العمود في وسط الخيمة أساسها. ومن هنا تسمية «الشعر العمودي»، فعندما ابتدع الناس في منتصف القرن العشرين طريقة أخرى في رصف التفاعيل وتوزيع القوافي ظنوا أنهم خرجوا على عمود المرزوقي (أو عمود البحري إن صح أنه أول من نطق بالمصطلح)، فسموا كل الشعر العربي القديم عمودياً، وسموا ما ابتدعوه الشعر الحديث. وما صنعوه في الواقع هو أنهم خرجوا خروجاً محدوداً عن البحور كما وصفها الخليل بن أحمد. فأما عمود المرزوقي الموصوف أعلاه بكلمات صاحبه فلم يخرج عليه - في جانب المعنى - إلا شعراء السريالية والرمزية المغرقة، أما في جانب المبنى فقد خرج عليه شعراء قصيدة النثر. وسوى ذلك من قصائد شعر التفعيلة فمعظمه يتبع عمود الشعر العربي كما وصفه المرزوقي بدرجة كبيرة.

لقد قام الشعر العربي وقعد كثيراً في القرن العشرين. ودخلنا القرن الحادي والعشرين وكثيرون من شعرائنا مصممون على ألا يكون شعرهم كشعر الألف والخمسمئة سنة المنصرمة. لا بد من الاعتراف بأن العرب يشتهون أن يكسروا كل قوالب الماضي في الشعر. لقد وجهوا ضربة لبحور الخليل أحسبها قاضية. وأوغل العديد من شعرائهم في الرمزية، وتحللوا من التفعيلة، ومن القافية. أفليست هذه مناسبة لتأبين الشعر القديم؟ أم لعلها مناسبة للوقوف على معالمه البارزة؟ أم هي من مفترقات الطرق تلك التي تمر بها الأمم فتتنظر في عطفها وتتأمل ما مر بها، وما يوشك أن يرد عليها؟

حفل وداع للشعر العمودي

ما نصنعه في هذه السلسلة هو أن نقدم مجموعة كبيرة ومنتقاة من الشعر العربي بحسب تقاليدته التي ثبتها أهلها تثبيتاً لعدد من السنوات كبير يفترق العقل ويدهش إدهاشاً، وتتعجب منه الثقافات الأخرى. وكما قدمنا فليس هذا بالأمر الممدوح، فمن يمدح الجمود! ولا هو بالأمر المذموم، فمن ذا الذي يملك الفحة الكافية كي يذم حالة من الحالات دامت هذا الدوام! من يملك أن يذم الماء لأنه يتجمد على درجة الصفر المئوية. إنه أمر واقع، وحال وجدنا شعرنا عليها، ونحن نصفها. هذا وضعنا نحن العرب، وهذا شعرنا. وهو من أعظم الشعر الذي عرفته البشرية.

سلسلتنا الحاضرة تستمد سبب وجودها من هذا الانقلاب الذي يشهده الشعر العربي.

إحياء الشعر القديم: حلاوة الروح

جاء البارودي خاتماً لشعراء القرن التاسع عشر، فكان ملححة الوداع. ثقب ثقباً صغيراً في السد الذي أقامه «علماء» الشعر العربي في وجه الإبداع. لكن رشح الماء، وأصيب الشعر العربي بالبلل الذي لا ينفع فيه سوى تغيير الملابس. وجاء شوقي ففتح ثغرة في السد في موضع المقتل. وسيجيء بعد شوقي شعراء يهدمون السد صخرة صخرة فيكون الري ويكون الفيضان، ويدخل إلى الشعر العربي ماء كثير، ويدخل معه طين وحشرات.

والشعر يحب الثورة ويحب التغيير، وهو بين المخلوقات الأدبية مخلوق بوهيمي. لكنه، ويا للغرابة، مخلوق منضبط بإيقاع هو نصف حلاوته.

بعد شوقي جاء عصر رومنسي حالم نام على وسادة الذاتية أعواماً ثم على وسادة العروبة ثم على وسادة الاشتراكية. وكان يتخلله شعراء يديرون الناعورة بالعكس فتسحبهم الناعورة. ثم جاء نزار قباني فكان جسراً عبر عليه الشعر العربي من الإيقاع الرتيب إلى الإيقاع الحر.

وانبهم الوضع العربي انبهماً بعد أن نفق الحصان القومي فلاشترافي. وبعد أن بعثنا رقعة دعوة إلى الاستعمار، أوصلناها إلى باب بيته، وفيها: تفضل بالعودة إلى بلادنا، لأننا لم نستطع أن نصنع شيئاً وحدنا، فنحن مثل الحمار الذي هرب من سيده يريد الصحراء ليتحرر، وفي منتصف الطريق تذكر أنه نسي رسنه، فرجع أدراجة.

والتقط نزار قباني الوضع العربي في لحظة انهيار الأمل فتفجر ينبوعاً من الشعر الفاخر في عام ١٩٦٧ وما بعدها.

والآن في عام ٢٠٠٨ يقف الشعر العربي مذهولاً. (معظم هذه المقدمة وما تلاها من شرح كتب عام ٢٠٠٨، وأنا أحرره وأهيئه للطباعة في آخر شهر من عام ٢٠١٦).

سمع الشعر العربي صرخات قوية من مظفر النواب في السبعينات والثمانينات، وترددت في جنبات الإنترنت نغمات على ربابة أحمد مطر الرتيبة الحانقة. لكننا لا نزال نجد أبناء يوسف الخال يحاولون دخول السينما بلا تذاكر. وهؤلاء قوم بدأوا سيرتهم بالنفور من اللغة العربية الفصحى، واشتدوا في البحث عن شيء يميزهم فقرروا أن يكون ما يسمونه قصيدة النثر.

وهذا موضع يحسن بي فيه أن أبين حد الشعر عندي. حده عندي الكلام الذي فيه إيقاع. وأما الخيال والصدق وأناقة التعبير والموسيقى الداخلية فتجدها جميعاً في الشعر وفي النثر وفي الرواية. ولست متكلماً عن قصيدة النثر بأكثر من ذلك.

لا، بل يطيب لي أن أتكلم.

جبراً لخواطر الحداثيين

تلك الخواطر التي يتهمونها بأنها شعر أحبُّ لها أن تكتب كتابة النثر لسبب اقتصادي، فإن ما يصنعونه من وضع كلمة أو كلمتين في السطر، وبضعة أسطر في الصفحة، يكلفني شراء كتب كثيرة، ثم لا يكون الكتاب كله سوى بضع مئات من الكلمات أقرأها وأنا أنتظر الباص في طريقي إلى البيت، وأود لو أعود إلى بائع الكتب لكي أرد إليه ما اشتريت منه، فأخجل وأتكبد. ويُخرج عليّ هذا في كل شهر غمماً ثقيلاً. ولانبهام وضعنا العربي صارت هذه الخواطر التي يسمونها قصيدة النثر مغرقة في الرمزية أو في التعقيد، وأظن أن هذا فتح باباً واسعاً للمشعوذين.

ولست، بعد، من محبي اللغة العربية الفصحى على الطريقة القديمة. لست ممن يتمطق بعبارة «اللغة الشريفة». وفي قلبي للشعر المقول بالدارجة موقع جليل. أجُلُّ بيرم وأحمد فؤاد نجم ونخلة وكل زجالي لبنان وفلسطين، ولا أضع شعرهم في مرتبة تنحط عن شعر الفصحى بحال، ويلمس وترأ في قلبي

مدى تعلق أهل العراق والخليج بأشعارهم المقولة بالدارجة وإن لم أستطع تذوقها بدون مساعدة. شعر الدارجة شعر ذو لغة معينة ويلمس قلوب من يفهمونها. إنه شعر وحسب، ولكنه مكتوب بلغة أخرى غير اللغة العربية الفصحى.

ولست من كارهي النافرين من الفصحى. وليوسف الخال في قلبي مكانة. أحب إنسانيته وغضبه القوية على التقليديين، وأرضى تعبيره عن مسيحيته وعن لبنانيته، وأحب عذاباته التي تعذبها على السنة القوميين المفلسين، وأقدره تقديرًا. فهو ناثر ذو قلم جميل منفعل. ولكنه لم يصنع شعراء. وأزيد أنني عارف بما قيل عن ارتباطه بمؤسسات أجنبية. وعارف أيضاً أن هذا الوطن العربي كله يقف بأبواب الأجنبي سائلاً صدقة. ومن كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر. وفي زمنه كان شعراء القومية يحررون فلسطين كل يوم بما يتقاضونه من ميزانيات وزارات الثقافة والصحف التابعة لها. فلست ممن يصغي إلى الراجمين الناس بالثهم.

مشكلتي مع قصيدة النثر مشكلة تبويب، مشكلة صغيرة. لكنها كبيرة على من يصنف كتاباً يريد أن يقصره على الشعر.

الحد الذي أرسمه للشعر قائم على الشكل فحسب. وفي هذا كفاية. فالشكل في الشعر عماد.

لا أعرف أحداً يحسنُ يرقصُ على أنغام منشار كهربائي، فلماذا يريدوننا على أن نظرب لشعر لا نحس بإيقاعه ولا نفهم معناه؟

ومثلما كان السدُّ يحجز وراءه ماءً آسناً مليئاً بالديدان فإن السيل الذي جاء بانفجاره جاء بكثيرين مهارتهم في فنون الشعر قليلة، ومعرفتهم باللغة قليلة، وقلوبهم ليس فيها شعر. دخلوا علينا من باب الشللية ومن باب العلاقات العامة. وكان أسلافُ لهم من الدخلاء في مرحلة الركود يدخلون عالم الشعر من باب أنهم يحسنون قول الكلام الموزون المقفى. في الماضي كان إتقان وزن الكلام الشهادة الوحيدة المطلوبة لنيل لقب شاعر. وقد عشنا مئات السنين ولا شعر عندنا إلا ما يقيئه أولئك الوزانون. ولعل بعض ثورتنا على الشعر العمودي ثورة على تلك الشهادة. ثم جاء يوسف الخال وعصبته فرفعوا الشرط فجاءنا دخلاء آخرون.

عودة لحلاوة الروح، ووصف للذهول الحاضر

حطم الشعر العربي سد البلادة في مصر. وكان لصوت شوقي وحافظ في مصر رجعٌ في العراق. ولولا أن الزهاوي كان يشغل نفسه بالحمام المطوق والنظريات العلمية فوق ما يجب، والرصافي يبذل طاقته في نقد الدين والخوض في السياسة، لكان للعراق في الشعر ديباجة أحلى مما كان. على أن الرجلين قالوا شعراً بنكهة تاريخ العراق المضطرب. وجاء بعدهما الجواهري فكان من عبيد الشعر، وجاء السياب فركز راية الشعر العربي في العراق بضع سنين.

ومثلما كان للعباسيين مشرق ومغرب في الشعر، كان لعرب القرن العشرين موطن ومهجر. من المهجر جاءتنا روح إيليا أبو ماضي ورشيد سليم الخوري وإلياس فرحات. وفي لبنان كان بشارة الخوري قيثاراً لها صوت عذب، وكان بالشام بدوي الجبل وعمر أبو ريشة كهربي خفرع ومنقرع، وكان نزار قباني خوفاً الشعر العربي ثلاثين سنة لا ينازعه أحد.

ولست أعرف عن المغارب سوى ما يعرفه كل الناس عن الشابي. ولا أعرف عن فلسطين سوى أن نكبتها أطلقت إبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي، ثم تلاهما شعراء المقاومة الذين نكأفتهم على وطنيتهم بلا حساب، ونحاسبهم في الشعر كما نحاسب الأعراب.

يصعب على المرء أن يرسم خريطة إبداع للشعر المعاصر. فهو كثير، وتجعله المعاصرة عصياً على القياس.

نحن العرب نقف على مفترق طرق. دخلنا عهد الافتقار والاستعمار الجديد منذ أربعين سنة، وجاء احتلال العراق مجرد تأكيد لحقيقة معروفة، ولكننا في هذه الأربعين سنة لم نتحرك، وبقينا نحدق في خيبتنا بذهول. وفي الشعر نقف على مفترق أرجو أن أوفق إلى وصفه.

كان المتعلمون في عصر شوقي والرصافي يحسنون الفصحى إلى درجة يطربون معها للشعر العمودي المألوف لأذانهم من ألف وخمسمئة سنة. وكان وزن الشعر يصنع في أجسامهم إيقاعاً.

ثم ازداد عدد المتعلمين ازدياداً كبيراً. وصار محصولهم من العلم موزعاً بين العلوم المختلفة، ولم يعد للفصحى ما كان لها من شأن. وسقطت أوزان الخليل من الأذن العربية. وصرت ترى أساتذة اللغة العربية يقرأون الشعر

العمودي كما يقرأون مقالاً في جريدة، ويكسرون ما طاب لهم. فجاء اتخاذ التفعيلة لبنة لبناء القصيدة «إجراء» منطقياً يستدعيه حال الأذن العربية، فقصيدة التفعيلة قائمة على لَبْنَةٍ واحدة تتكرر حتى النهاية، وليس فيها ذلك الخلط بين التفاعيل الذي تسمعه في البحور الستة عشر. ثم رأينا الناس لا يحسون حتى بالتفعيلة. ومعنى هذا نهاية الشعر، وبدء عصر الخواطر. وقد بدأ.

قد يترك الناس الفصحى تماماً، فعندئذ يصبح لكل قرية قوالها، يصدق بالمواويل في أعراسها، وكفى الله العرب القتال.

وأظن أن هذا لن يكون. بل ستشتد الفصحى كثيراً لأن فيها قدرة تعبيرية كبيرة، ولأنها تصل إلى مسافة أبعد، ولأن المشاعر الإسلامية نهضت كثيراً، وهي تعيد الفصحى إلى الأذهان بحضور القرآن والنصوص الدينية الكبير في آذان ووجدانات الناس، رغم رطانة كثير من الدعاة المتلفزين بالعامية.

لست واثقاً الثقة نفسها من أن الإعراب سيعيش. لا بل أعرف أنه سيضمحل. أقصد سيموت، فأما الاضمحلال فهو يحدث من زمن أبي عثمان الجاحظ المتوفى قبل ألف ومئة سنة شمسية.

ولن يعاني إيقاع الشعر كثيراً بغياب الإعراب. ولكن هذا الإيقاع يعاني أشد المعاناة بسبب الشعراء. والغريبة العجيبة أن أكثر من يذبحون الإيقاع الشعراء الحريصون عليه. ترى نزار قباني يكتب قصيدته بتفاعيلها وقوافيها الرنانة، ثم يقف يلقيها أمام الناس كأنه يلقي قصيدةً عدو له. يجردها من كل ما أتعب نفسه في حقنه فيها من إيقاع. قصيدته على الورق رقصة وأغنية، وعلى لسانه مجرد خاطرة. شذمًا كان يهتم بإبراز المعنى فينسى الإنشاد. ورأيت محمود درويش يصنع صنعه. أما المذيعات اللائي يهمن بالشعر بعد منتصف الليل فهن أخبر بما يردن ويصنعن. ووالله لو قرأن بدل شعر السياب وقباني افتتاحية جريدة فنلندية لما قل تأثرنا ببحة أصواتهن، وبهمسهن البهيج. وأي حَجَر في ركن السور لا يهتز لهمس امرأة بعد منتصف الليل.

على أن إلقاءهن الهامس ذاك لم يعزز في أذن العرب ضربة الطبل، التي هي تكرار التفعيلة.

وأنا مدرك، من تجربة لي غير قصيرة، أن الذي يلقي الشعر جاهراً به يكون طول الوقت متحيراً بين أن يبرز ضربة الطبل وأن يجلو المعنى. وأنا

مدرك أن الأمر ممكن. وإذا لم يكن الجمع بين الإيقاع والمعنى ممكناً على لسان من الألسنة فخير لي أن أسمع الشعر منه موقعاً توقيعاً بلا معنى من أن أسمعه مجلّو المعاني بلا إيقاع، خلا ما كنت ذكرته عن مديعات آخر الليل.

الاجتزاء من الشعر

يغضب أحدهم، أحد هؤلاء الحداثيين، إذا اقتبست بيتاً أو بيتين. ويجأ بالشكوى مما اقترفت من تشويه لهذا الخلق المكتمل الذي خلقه الشاعر. يقولون في ذلك نظريات يضحك لها المنكوب في البورصة ليومه، يقولون: القصيدة كائن حي، فكيف تقطع جزءاً منه ولا يتشوه!

تلك دعوى فارغة. ألم يسمعوا العرب يستشهدون بالبيت ونصف البيت؟ وبالآية ونصف الآية؟ ألم يروا كتب الأقوال المأثورة عند أمم الدنيا تقتبس نفعاً نتيقة من أشعار الأولين والآخرين. لا أقف عند هذه الدعوى كثيراً، ولكنني أورها مثلاً لصراعات ونظريات يطلع بها علينا الطالعون، ويريدون لنا أن ندين بها، اقتنعنا أم لم نقنع.

كتب الاختيارات كثيرة، وزادت كثيراً في الآونة الأخيرة. والموجود في السوق لا يعجبني أبداً. ولذا، مضيت في طبع مختاراتي.

رأيت بعض المؤلفين ينسخون بضع قصائد من هنا وهناك، ويجعلونها بين جلدتين، وتصب المطابع على الغلاف الألوان الفاقعة، وتجعل فيه نتوءات تغري الناس بشرائه لتزيين رف في صالة البيت. ورأيت بعضهم يهبر من كل قصيدة أبياتاً، أو يهبر قطعة من قطعة أخرى كان هبرها مؤلف قبله، ولا يُشعرني أنه تخير لي. ولا أرى عند الهابر ولا في المهور تحقيقاً ولا ضبطاً ولا شرحاً. وإذا شرح أحدهم بيتاً فسر لك الكلمات التي تعرفها، وترك الكلمات التي لا تعرفها ولا يعرفها.

تكفي ذبابة واحدة لتجعلني أشيح عن الطبق، فكيف بكتاب فيه عشرات الذبابات. وقد وجدت كتب المختارات عامرة بالأغلاط، وجدتها طروحاً ألقاها في وجه الجمهور ناشر مستعجل، ومؤلف عابث ومقصر. فعقدت العزم على أن أمضي في نشر مختاراتي. وقد تعمدت في هذا الباب عن أحمد شوقي أن أشرح وأستقصي، ليكون حجتي فيما أنتقد الناس فيه. ولكنني لا أضمن أن أشرح شرحاً مستفيضاً في كل باب آخر. على أنني لن أرتكب كبيرة «شرح

الكلمة السهلة وترك الصعبة»، فإن عجزت عن كلمة فلن أغادرها إلا وقد أخبرتك بعجزتي. وفي كل مرة مقبلة ستراني اخترت من المصدر الأصلي، وستراني اخترت ما أراه الزبدة. وسترى من التحقيق والضبط ما يرضيك. في هذا الباب عن أحمد شوقي شرحت كثيراً، إلى درجة ثقل الدم. وتصورت قارئ شاباً في مستقبل العمر محتاجاً إلى شرح كثير.

ليتمس لي القارئ المتمكن من الفصحى العذر.

حياة مليئة بأنصاف المواهب

من حقك علي وأنا أتصدى لاختيار شعر من أجلك أن أخبرك عن نفسي. عن حياة مليئة بأنصاف المواهب.

حب النكتة، وفهم النكتة، ولبرالية الذوق، والنملية مواهب وهبتها الذي خلقتني. وسأشرحها لك في فقرة مقبلة متأخرة.

على أنني أكشف لك عن مواطن قصور عندي كنت اكتشفتها واحداً بعد واحد، وكان لكل اكتشاف لسعة بقي لها في نفسي أثر.

زميل لي يصغرني بنحو عشر سنين، يتذوق الشعر كثيراً، ويقول بالفصحى وبالعامية وعلى كل الموازين. خلطت نفسي به زمناً. ففضح كماله من قصوري أنني أسمع في الغناء اللحن وحده، لا أبالي أن يكون عبد الوهاب يغني للجندول أو ينادي على البصل في سوق الخضار، فالكلمة في الأغنية تلبس أمامي طاقة الإخفاء، ولست أهتم إلا باللحن. رأيت صاحبي ذاك وثاباً إلى تذوق الكلمة. ثم سمعته يغني، فوجدته يحسن تصيد الطبقة، ويحتفظ بصحة اللحن، ووجدت له صوتاً. ووجدته يتذوق الألحان كما أتذوقها، وأحسن مما أتذوقها.

فتح في عقلي نافذة مقارنة وحسد. وعرفني بما حرمني الله.

وظللت أسمع الموسيقى والغناء. ومضيت فصنعت برنامجاً للإذاعة عن الموسيقى الكلاسيكية في أربع وخمسين حلقة، وبرامج عن الغناء العربي لا أحصيها. ومضيت فصنعت برامج في الشعر العربي رتل فيها آلاف الأبيات.

رأيت بعد صاحبي ذاك أشخاصاً أفضل مني في تذوق الكلمة. أو لعلهم وجهوا طاقتهم هذه الوجهة. ورأيت من يفضلني في الثقافة اللغوية والأدبية وفي قوة الذاكرة.

ضع فوق ذلك كله تلجلج لساني في المذاكرة، وافتقار حججي إلى الصقل في أتون المناظرة، وتشردم معارفي تشردماً جعلها في أحيان معلومات من نوع ما يحفل به طلبة المدارس.

ما أكثر ما أوبخ نفسي: ويحك! كأنك لم تبرح مقعد الدراسة، لك في المطالعة وفي التفكير، وحتى في التعبير عن نفسك، طريقة هي أشبه بطريقة المراهق الذي فتح عينيه على الدنيا لتوه فهو مندفع مندهش أبداً، مرتبك عندما يكتشف أنه مسبوق إلى كل فكرة من أفكاره، زائع في أحكامه، متمسك بالقديم كما يتمسك الرضيع بثدي أمه، خواف من الجديد، يغوص في الفكر قليلاً ثم يضع في اللجة.

أليس يحق لي أن أياس من نفسي؟ وأن أمضي في ترتيب تقاعد يضمن لي أن أعيش عيشة رجل لا يعرف الثقافة ولا تعرفه الثقافة؟
الآن عرفت لماذا أنفقت ثلاثين سنة متسكعاً بين الوظائف، هارباً فيها من مواهيي الناقصة، متعللاً بها عن الخوض في استهلاك المعرفة وإنتاجها.
طالت علي «سن اليأس»، فلا أزال منذ خمس عشرة سنة أحاسب نفسي على ما لم أنجز.

أما المواهب التي وهبها الله فهي التلذذ بالنكتة وفهمها، لكن دون روايتها. والشعر نكت كثيرة. وكل بيت رائع فيه نكتة دفيئة أو غير دفيئة. تكون النكتة في المعنى، أو في استخدام اللفظة، أو في كلمة القافية، أو في تورية، أو في جلبة تحدثها ألفاظ البيت إماً يتلى أو يُرى بالعين. والنكتة في بيت الشعر ليست زخرفة الجصّ يضيفها البناء إلى سقف البيت بعد الفراغ من بنائه، بل هي بعض البناء، وشمعة يقوم عليها.

لن أضرب لك مثلاً، ثقةً من أنك عرفت ما أقصده بالنكتة، وحتى يبقى لهذه المقدمة عطلها من الأمثلة.

ولبيرالية الذوق، وهذه ثانية المواهب، لها علاقة بفهم النكتة. فأنا أجد في كل شعر شيئاً حسناً، وأسعى في البحث عما في القصيدة من دواعي الدهشة. وليست لبيرالية الذوق بالموهبة النادرة، فانت تجددها عند الملايين، ولكنها في المثقفين أعز منها في عامة الناس. وكائن رأيت من مثقف يقسم الأشعار قسمين: قسماً نفايةً، وقسماً هو شعر شاعره المفضل أو شعره هو، إن كان أخا شعر.

والنملية موهبة أخرى. فأنا أحب الجمع والتصنيف. وترى هذه الموهبة كثيراً عند صغار الموظفين، وعند قليلي الطموح ومحدودي الذكاء. وهل تشك في أن النملة محدودة الذكاء، وأن سلوكها صادر عن غريزة شبه ميكانيكية؟

بمواهبي وعيوبي جمعت أبياتاً لشعراء كثر. كتبتها حيناً بالقلم في اثني عشر دفترًا، ثم جعلتها ملفات على الحاسوب الذي فرض نفسه على حياتي. وتنوقت في ترتيبها وشكلها، ونويت أن أشرحها.

فإذا لم يعنَّ لي شيء أجدى على نفسي وعلى عيالي وعلى البشرية من هذا الذي أنتويه، فسوف يجد الناس بين أيديهم مجموعة كبيرة من المختارات الشعرية تزاخم مئات الكتب المشابهة التي تختنق بها رفوف المكتبات.

لغز بيت الشعر العربي

كل كائن حي أو ميت يوضع في بيئة مدة من الزمن يتشكل بحسبها، ويصبح آية في الكمال النسبي. فمرور السنين يوائم الأشياء مع بيئاتها، ويجعلها الأصلح. تنظر إلى الشجرة الاستوائية فتري أوراقها وجذعها، وثمارها وجذورها ملائمة تماماً لبيئتها. ازرعها في بيئة أخرى ترها أقل نجاحاً.

البيئة قيد. والقيد خلّاق. والبيئة ليست الشيء السهل دائماً ولا هي الشيء الأمثل. فالبركان في مكان ما يخلق بيئة غريبة عما كان مألوفاً. ومع تراكم السنين تتشكل الأحجار والأشجار على نحو يوافق هذه البيئة، ويصنع معها انسجاماً.

اللبناني في أعراسه وفي سهراته الصيفية على الأسطح، وسهراته الشتوية في أكواخه الجبلية، كان يغني ويباري جاره في فنون القول، وقد قيّد نفسه بقوالب من الإيقاع اللفظي، وأخرى من النغم. وصار هذا القيد يفجر المعاني في نفوس شبانه. صاروا يكدون أذهانهم ليرزوا المعاني الغريبة والجميلة من قمقم الوزن، فتنتلق هذه المعاني موقعة توقيعاً ومحلاة بقافية فيها نكتة. فأنت تنتظر القافية لكي تشعر بسعادة شبيهة بسعادتك وأنت تسمع ختام النكتة فتنفجر ضاحكاً. يهتز جسمك مع إنشاد البيت لأنه موقع، وتهتز نفسك وخيالك مع القافية، والمعنى في أثناء ذلك يتسلل إلى مكانين في وقت واحد: يتسلل إلى عقلك، المكان الطبيعي للمعنى، ولكنه يحاول أن يتفلت ليتسلل إلى قلبك قبل عقلك.

أن المعاني مقيدة بقيد الوزن والقافية يجعلها تنطلق بقوة أكبر.

الوزن والقافية للزجال اللبناني بيئة، وهي قيد. وجدهما، بعد أن أوجدهما أجداده، مفروضين عليه. رأى أبناء قريته محتاجين إلى أن يهزوا أجسامهم على كلامه، قبل أن تهتز قلوبهم وتدرك عقولهم، فصنع لهم الشعر فطربوا وهزوا أجسامهم ما شاءوا، وما زالوا يهزونها، وما زالوا يابون أن يهزوها إلا على القُرَّادي والمعنَّى ومع قوافٍ رنانة. ولو قلت كلاماً عذباً باللهجة اللبنانية وسرحت بخيالك إلى الأعالي ثم لم تقيد نفسك بالقافية لما صنعت سوى ما يصنعه أي عجوز يجلس بباب الدكان ويحدث الشباب عن سنة الثلجة الكبيرة.

والعربي في صحرائه، وفي مدنه القديمة في الحيرة ودمشق والطائف، كان يرتجز على إيقاع رتيب، ثم صار يلون رجزه ألواناً. وقيد نفسه بقيود وجدها أحفاده حافزاً، وبيئة إبداع.

واليوم، في سنة ٢٠٠٨، ما مبرر التمسك بهذه القيود؟ لا الشعراء يعرفونها، ولا السامعون يهتزون لها. صار الشعر مقروءاً بالعين في معظم الأحيان. وصارت الأمسية الشعرية ترفاً يمارسه طالب الجامعة مرة في السنة. وصار شعراء هذه الأمسيات يترنمون بمعانيهم يوجهونها إلى العقول كاسرين أوزانها التي تعبوا في إقامتها، أو تكون من الأصل أوزاناً مكسورة لأنهم قليلو المعرفة بالوزن. والفصحى نفسها ضعفت في النفوس كما أسلفنا. فكان لا بدّ من الانصراف عن أوزان الخليل.

وجاء الشعر الحديث مبنياً على نظام التفعيلة لكي يواكب حالة فقدان التوازن وفقدان الوزن هذه، ولكن.. لا الشعراء ولا مستمعوهم يهزون أجسامهم على التفعيلة. ودخلنا عصر الخاطرة، أيضاً كما أسلفنا. وبما أنني بدأت أكرر نفسي فقد آن الأوان للانتقال إلى عنوان جديد.

ما العمل؟

حتى لا تفاجأ في آخر هذه الفقرة، فإن السؤال الذي يطرحه العنوان قد يبقى بدون إجابة شافية.

لست أدعو إلى الرجوع إلى أوزان الشعر العمودي. وما سُميت الرجعية رجعية إلا لأنها رجوع.

ولكن ذخيرتنا من الشعر العربي مليئة بكل ما هو معجّب وجميل . هي ذخيرة، هي تراث، وكفى . علينا أن نمشي إلى الأمام، بشعر أو بدون شعر . الخواطر تكفيننا في هذا الزمن . وليعلم العالم أن أبرع قوم في الشعر في الدنيا قرروا نبذه .

قصتي مع الشعر قصة تستحق سطرين . فقد قرأت منه الكثير، وصارت أحياته تشكل الفواصل والنقط في كتاب عيشتي . صرت أستلهم الشعر العربي في موافقي من الأشياء . به ازددت انتماء إلى العروبة . وبه اهتديت أخلاقياً في كثير من أمري . ومنه صنعت هيكلاً تاريخياً للأحداث . وهو يطربني، ويسليني .

ولأنني قرأته قراءة جهرية في الإذاعات، وحتى في التلفزيون، وأكثر من ذلك، فقد استولى علي صوتياً، أي بصورته الأصلية . فالأصل في الشعر أن يقرع طبلة الأذن لا شبكية العين . وعندما أقرأ شعراً بعيني الآن، تراني أنقله فوراً إلى لساني لكي أسمعته فأتذوقه . ولهذا تراني، إذ لا أبالي أن أقرأ الجريدة على أنغام الموسيقى، لا أستطيع أن أقرأ بيتاً واحداً من الشعر إلا إذا خلا الجو من أي صوت موقّع .

الشعر العربي العمودي ديوان العرب، ليس في جاهليتهم فحسب، بل هو ديوان الناطقين بالعربية في كل العصور . وفيه اخترنوا تجربتهم الإنسانية والشعورية . لا، لن تستطيع صناعة سيارة استناداً إلى مخزونك من الشعر العربي، ولن تستطيع حتى أن تتخيل شكل الناقه من قراءتك لقصائد الأقدمين - وأنصح للراغبين في معرفة شيء عن النياق أن يتفرجوا على فلم وثائقي في ديسكفري، فذلك خير لهم -، لكن الشعر العربي خزان مشاعر ومواقف وأخلاقيات . بعضها منحرف عما نراه صحيحاً، فعندنا من شعر الغزل بالمذكر الكثير .

لن نستغني عن الشعر العمودي لبضع مئات من السنين . سيظل هو السجلات القديمة التي فيها وجدان العرب .

التمسك الزائد بالشعر العمودي ومحاولات إحيائه دليل رجعية . والطوفان الذي نشهده من كتب المختارات الشعرية القديمة ظاهرة رجعية . فالناس كفروا بالمد القومي والمد اليساري، وأدركوا مبكراً وبحساسية مدهشة أن الاتصال بأوروبا والتشبه بها في كل شيء ليس الطريق إلى النهضة . والآن يقف العرب مذهولين، يبتلعون أطناناً من الشطائر السريعة من مكدونالد، ويستهلكون الفلم

الأميركي بجنون. ويسيرون في ركب هذا العالم. وهم كالغريق الذي يبلع ماء البحر، لكن ليس بإرادته. وتنتابهم صحوات يثوبون فيها إلى الدين فيتمسكون بجوهره حيناً وتفسيرات متشعبة أحياناً، ويثوبون إلى التراث الشعري القديم فيمجدونه حيناً وينبذونه أحياناً.

العرب بحاجة إلى صحوة عاقلة. صحوة يابانية. محتاجون إلى كثير من المعرفة المادية، وإلى غذاء روحي متوازن، وإلى أن يخلقوا الثروة من كدهم، وأرضهم. ستنحسر عنهم مرحلة الذيلية الحاضرة بعد بضع سنوات أو بضعة عقود، وسينهضون. وسيكون لهم صوت شعري لا أقدر أنكهن بشكله. لكنهم سيجدون دائماً في شعرهم القديم جذوراً ثقافية مهمة.

من هنا يحتاجون إلى التعرف على تراثهم الشعري.

فضيلة هذه المجموعة التي أسعى في تقديمها أنها معاصرة.

أما ما العمل؟ فأرى أن نستمر في تدريس أبنائنا الصغار قصائد أجدادهم، في مختلف العصور، وأن نزيد جرعة الشعر ذي التفعيلة، وأن نضع ما يسمى بقصيدة النثر ضمن باب الخواطر، وألا نكثر منه، فلا الأولاد سيفهمونه، ولا هو ذو شأن كبير. أما لمن يريد أن يكون شاعراً فأقول: منذ متى يأخذ الشاعر نصائح النقاد؟ انصرف.

مقاييس الاختيار

كُتبت لك كل الكلام السابق وفي ضميري هدف خفي. أردتك أن تعرف من أنا وكيف أفكر وكيف أتكلم، وكيف تتداعى أفكاري، وكيف أسكبها في اللغة، وذلك حتى تعرف مقاييسي في اختيار الشعر. فالمقياس هو أنا، إنه مقياس ذاتي محض. إذا أرسلت ابنك إلى السوق فسوف يشتري من المكسرات ما لا يلائم أسنانك المخلخلة، ومن الحلوى ما لا يلائم السكري الذي معك. سيشتري على هواه. وإذا كان باراً، مثلي، فسوف يحضر لك علبة مياه غازية دايت.

صنعت صنع ذلك الصبي. اخترت أساساً ما يطربني، ثم إنني كنت أمر بالبيت الذي أعرف أنه يستهوي اللاهين فأختاره لهم، ولست باللاهي؛ وقد أمر بالبيت الذي يعجب المتزمتين الجادين كل الجد، فأخذه في طريقي، وما أنا بالمتزمت ولا الكثير الجد.

اخترت الأبيات التي سلمت فيها اللغة، وسلم فيها الخيال، والتي فيها معنى غريب، والتي لها وقع على الأذن جميل، والتي فيها صدق، والتي كانت الصناعة فيها أقرب إلى الفن وأبعد عن التعمُّل. واضطرنني الربط بين الأبيات الجميلة إلى أبيات ليس فيها رواء. ولا بد بين الروض والروض من ممر مفروش بالحصباء.

كنت أختار الأبيات الرائقة، ويزدهيني عملي. وأتلذذ بحصول هذا الكنز الثمين في قبضتي. ثم أقرأها فأجد في المعنى قفزة هنا أو هناك، فأجد بيتاً يصلح جسراً فأختاره. وأدق القصيدة على الحاسوب بيدي وأراها بدأت تتخلق خلقاً جديداً، وتصنع لنفسها موقعاً في قلبي. وقد أعود إلى القصيدة الأمّ باحثاً عن جسر.

وقد أقرأ قصيدة في ديوان الشاعر تكون مغسولة من أولها إلى آخرها، ليس فيها بيت يهزني. فأهملها الإهمال كله. وقد أقرأ قصيدة ليس فيها سوى بيت واحد فيه بريق، فأختاره ولا أختار غيره، وقد أشد أزره بأخٍ يسبقه لغير ما علة سوى أن يسمع القارئ رنين القافية تتكرر على أذنه.

قد أجد بيتاً قامت عليه ضجة نقدية، ليعيب فيه. فإذا كان سخيلاً مردولاً، كقلاقل المتنبي، تركته دفين ديوانه، فإن بعثه ناقد لغرض فذلك من شغل الناقد. وإن أراد قارئ أن يقرأ رديء المتنبي أو رديء شوقي فالديوانان موجودان، ولم أزعم قط أن مختاراتي تلغيهما. وإن كان البيت المعيب في لفظه يضم فكرة لها بريق اخترته لفكرته، وتشجعتني الضجة النقدية على اختياره. وقد يكون البيت قصة طريفة، فأتحمس له حتى لا تفوت القارئ هذه القصة. وقد يكون البيت حزيناً باعثاً على الكآبة، فأريد أن أشرك القارئ معي في اكتتابي به. أو باعثاً على الانشراح والسرور، أو مستنهضاً للهمة، أو مادحاً لفضيلة أو لرديلة بأسلوب فيه فن وفيه جمال، فهذا كله مما أريد إشراك القارئ فيه. وما اختياري الخمریات إلا من هذا الباب. وإلا فأبي خير في الخمر؟ لكن الشعراء عبروا في وصفها وفي وصف مجالسها عن كثير من تمردهم ومن بوهيميتهم، واستثمروا في ذلك فناً كثيراً.

كنت أقرأ الشعر في وسيلة إعلام قبل أشهر فقط. فاخترت أبياتاً في مدح جمال عبد الناصر لنزار قباني، واخترت في مرة أخرى أبياتاً في هجائه لبدوي الجبل. وكنت في كلتا الحالتين سعيداً بما اخترت، وقرأت هذه وتلك

بالحماسة نفسها. وأما موقفي من عبد الناصر فلا أظنه يعينك.

أحب من الشعر الجزل. والجزالة هي الصلابة في الخطب. والخطبة الصلبة تشتعل طويلاً وتدفع كثيراً. والشعر الجزل موجز مكتنز لا ترى به كلمات زائدة. والكلمة فيه مشحونة بالمعنى شحناً.

وأحب من الشعر المهلهل الذي رق نسجه وانساب انسياباً، فأنت تفهمه بالسرعة التي بها تسمعه. فلا تكذ ذهنك في ألفاظه ولا في معانيه.

وأحب الشعر الصادق. يقف أبو الطيب أمام سيف الدولة شاكياً باكياً صارخاً يقول: أنت لا تحبني كما أحبك، وتحب الآخرين وهم لا يحبونك، ظلمتني، وأنا أحسن واحد في الدنيا! فما هذه المعاني؟ أليست كأحط ما تسمعه من موظف يزعم أن مديره تخطاه في الترقيات؟ ثم تجد نفسك تترنم بقصيدة أبي الطيب تلك، ثم تلقى العرب قد ترنموا بها ألف سنة. هذا لما فيها من صدق. ولما فيها من فن أيضاً.

أنا لا أحاكم معاني الشعر محاكمة عقلية محضة، وإلا لكنت خسفت الأرض بكل شعر العرب وغير العرب.

أحب، ككل عاقل متزن، شعر الهجاء. فهو أصدق من غيره. وفيه فكاهة غالباً. وقد تجر الفكاهة والحدق الشاعر فيكذب في هجائه ويجعل المهجو إبليساً. هذا كذب في الوقائع فقط، أما في وصف نفسية الشاعر فالمبالغة في الهجاء هي الصدق كله. وشيطنة المهجو ونزع كل صفة حميدة عنه ضرب من الشعر. ولعل الهجاء المقتصد أشد إيلاًماً. ووالله للقول إن فلاناً «سخي اليد واسع العلم لكنه جبان»، أوجع له من القول إنه «خسيس بخيل جبان».

أحب من شعر الرثاء والمديح ما كان صادقاً، وهذا نادر. وأحب منه ما كان عامراً بالفن، وهذا كثير. وقد رأيت نفسي - عندما اخترت من شعر المتنبي - أخذ من مدحه لسيف الدولة أضعاف ما أخذ من مدحه لكافور، وذلك بفضل ما بين الصادق الجميل، والكاذب الجميل.

أبحث عن الأبيات التي تنطلق من لاوعي الشاعر انطلاقاً يتعجب هو نفسه منه. هذه الأبيات التي يعصرها الشاعر من أعماق وجدانه دون جهد الاعتصار. هذه وثبات نادرة. وأنا قاعد لها، متحفز، محدق بأذني تحديقاً متواصلاً حتى أتصيدها لك.

وتعجبني أبيات الحكمة، ما كان منها أصيلاً وجديداً، وما كان مصنوعاً.
ويعجبني الشعر في المشيب، وشعر النواح على الشباب؛ صار يعجبني
الآن أكثر. والصادق منه، كالصادق من كل شعر، أحلى.

ويعجبني وصف الخمر؛ ويعجبني أكثر، وصف مجلسها.

أحب الشاعر يباهي بشعره، وأحبه أكثر وهو يصف صنعة ويحدثنا كيف
أدرك النعاس ربة الشعر وهو قد توسط لجة القصيدة، وكيف راح يوقظها،
ويرقق لها الهمس حيناً، ويغلظ لها الشكوى حيناً، وهي تغط في سباتها.

أحب الشاعر يعترف بدناءة اقترفها، ويعجبني المفتخر بسموه من غير
تنفج. والمفتخر بقومه يعجبني إن كان صادقاً. والهاجي عشيرته يعجبني.
الصدق هو المحك.

ويكذب الشاعر، فإن كذب ظريفاً فهذا شعر، وإن كذب ثقیلاً دم تركت
كذبه في ديوانه وسترته عليه.

وقد أعجني الشعراء وأنا أتعقبهم بالستر. أستر رديتهم فلا أشير إليه؛ وأستر
أغلاطهم فيما أخذت منهم من شعر حلوا لكنَّ به خللاً، وأتمحل لهم وجهاً في
غوامضهم. وهدفي على الجملة هو أن أجلو لك الشاعر وأقدم خير ما قال.

وأحس بالشاعر إن كان ينظم مرتاحاً أو كان يتجشم. وتقاليد الشعر العربي
الصارمة - التي زادها كره الدهور شدة - تقاليد فضيحة، تخبرك عن الشاعر بأكثر
مما يقول من كلمات، وتنبئك إن كان ينحت من صخر أو يغرف من بحر.

يعجبني البيت تقعد في آخره كلمة القافية مرتاحة، كأنها جاءت لموقعها
عبر صندوق الاقتراع، ولا تجد كلمة أخرى تصلح لتحتل مكانها.

يعجبني بعض الشعر الذي لغته صعبة، وأشترط فيه كي يعجبني فأختاره صدقاً
كثيراً وجمالاً كثيراً. فأنا، بعد، أنتقي بذوقي المعاصر لقارئ معاصر. فإذا أسرف
الشاعر في الوقوف والاستيقاف تراني اكتفي بأبيات قليلة. وأنا أفضل البيت السهل
على البيت المغلق. فإن انفتح لي المغلق بجهدٍ ويقاموسي وبما تيسر من شروح
القدماء، فلي فيه طريقان: إن وجدت وراء كلماته الكالحة وأسلوبه الملتوي معنى
بديعاً أخذته وتوكلت على الله في شرحه شرحاً وافياً، وإن وجدته بعد كل ما بذلت
في فهمه عادياً أطرحته أطراحاً واحتسبت عنائي في فهمه. وقد وجدت الصدق
لصيقاً بالبيت السهل، والتصنع لصيقاً بالبيت المغلق المعقد، فهذه من نعم الله.

يعجبني شاعر يجترئ على اللغة، وشاعر يحترم اللغة. وقلّ شاعر اجتراً عليها إلا وهو يحترمها.

ولا أخوض في النحو والصرف في شرحي. وحسبي أن أضبط الأبيات بالشكل، وألا أدخر جهداً في ضبطها الضبط الصحيح. ولا أكثر أن تكون لغتي وأنا أشرح البيت فصيحة كل الفصاحة. لا بل أضطر إلى كثير من الركافة حتى أظل سائراً مع البيت بنفس ترتيب كلماته وأفكاره. وأسعى أن أضع في مكان الكلمة الصعبة كلمة تطابقها في المعنى وفي الاشتقاق، وفي هذا مشقة غير قليلة. وأرى الشاعر يسهل الهمزة ويصرف الممنوع ويمنع المنصرف، فلا أجاريه، فهو معذور، وأنا غير.

وألقت القارئ بين الفينة والفينة إلى بيت مشهور، أو بديع، أو إلى بيت أحبه كثيراً، فأجعله بالحرف السميك.

الشاعر بجيده لا برديئه. وقد اخترت أجود الشعر. فمن أراد دراسة حياة شاعر من شعره دراسة أكاديمية فليرجع إلى ديوانه. أما من أراد أن يقرأ خير ما قال هذا الشاعر فأنا له، على المقاييس التي بسطتها فيما مضى.

الشاعر الشاب

في هذا الفصل ما اخترته من شعر شوقي في القرن التاسع عشر، والرجل عاش اثنتين وثلاثين سنة في القرن التاسع عشر، ومثلها في القرن العشرين. والقصائد مرتبة تاريخياً. على أنني جعلت القصائد القصصية، ومعظمها على لسان الحيوان، معاً في آخر هذا القسم، وهي على كل حال تتبع هذه الفترة من حياة شوقي. وقد اعتمدت في الترتيب على ما ذكرته «الموسوعة الشوقية» و«الشوقيات المجهولة». ولكنني لم أذكر التاريخ عندما شعرت بوجود تناقض. وشعر شوقي كله محتاج إلى تحقيق تواريخ نظمه بالاستعانة بصحف ذلك الزمان. وهذه مهمة لم أنصّد لها.

١ عنقود في ماء ملح

قال شوقي (وهو تلميذ في الثانوية):

إفريقيّا قِسْمٌ مِنَ الْوُجُودِ فِي شَكْلِهِ أَشْبَهُ بِالْعُنْقُودِ

إفريقيا جزء من الكون، وهذا الجزء أشبه ما يكون في شكله بعنقود العنب. في هذا البيت سذاجة شوقي الفنى، لكن فيه أيضاً طريقة القدماء في أراجيزهم التعليمية. وكان شوقي في أيام التلمذة يقرأ كشكول بهاء الدين العاملي المليء بأمثال هذه الأراجيز

وَذَلِكَ الْعُنْقُودُ فِي الْمَاءِ أَنْغَمَرُ مَا أَمْلَحَ الْمَاءُ، وَمَا أَحْلَى الشَّمْرُ
العنقود منغمر في ماء البحار والمحيطات التي تكتنفه، فما أملح الماء وما أحلى الشمر! فكرة
حلوة، تنبئ عن أن عقل الصبي فيه شعر وفيه غوص على المعاني. وهل ترى جاءت المطابقة بين
كلمتي «أملح» و«أحلى» عفواً؟ وهل التورية في كلمة «أملح» وحدها جاءت عفواً (فمعناها المقصود
أشد ملوحة، والمعنى الذي تستدعيه عبارة «أحلى الشمر» أشد ملاحظة)؟ لعل كثيراً من اللاعبين
شوقي اللفظية يأتيه عفواً، أي يتداعى لاواع. لكنه في الجانب الأعظم صانع صانع

مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدَهَا أَوْرُبَا مِنْ فَوْقِهِ، كَمَنْ يَرِيدُ الْحَبَّ
مدت أوروبا يدها إلى العنقود من الأعلى كأنها تريد أن تأخذ الحب. أهو يصف شكل الخريطة
فقط، أم أنه واعٍ نهب الإنجليز والفرنسيين لمصر، وكان النهب متصلاً من نيف وعشرين سنة؟

وَأَسِيَا بِالْجَنْبِ كَالْمَحْتَالِ تَنْقُضُهُ مِنْ شَرْقِهِ الشَّمَالِي
آسيا من الجانب تقضم جزءاً من إفريقيا من شمالها الشرقي. دقة في وصف الخريطة، فسيناء التي
هي جزء من آسيا تبدو وكأنها مقضومة من جسم إفريقيا

وَبَيْنَ هَذَيْنِ تَرَى الْقَنَا لَا يَتَّصِلُ الْمَاءُ بِهِ اتِّصَالًا
بين أوروبا شمالاً، وآسيا في الشمال الشرقي يقع قنال السويس

أَنْشَأَهُ إِسْمَاعِيلُ عُنْوَانَ الظَّفَرِ فَوَقَعَ الْحَافِرُ فِيمَا قَدْ حَفَرَ
أنجز القنال في عهد إسماعيل الذي احتفل بتمام حفره احتفالاً عظيماً، لكنه وقع في شر تبذيره.
في استخدام كلمتي «حافر» و«حفر» دقة في اللغة وخفة روح، فالقنال حفر حفراً، ومن حفر حفرةً
وقع فيها، والحافر أيضاً هو حافر الفرس، ولست على يقين من أن شوقي قصد هذه. قد قال
صاحب «الموسوعة الشوقية» إن القصيدة فيها خلل في الوزن في بيتين هما:
بثت شكواي فذاب الجليد/وأشفق الصخر ولان الحديد - وقلبك القاسي على حاله/هيهات بل
قسوته تزيد

وقال إن القصيدة ارتجال. فأما أنها ارتجال فمحال، فهي مصنوعة صناعة متقنة. وأما الغلط فغلط
في النسخ، والبيان بعد التصحيح يؤولان إلى:
بثت شكواي فذاب لي الجليد/وأشفق الصخر ولان لي الحديد - وقلبك القاسي على حالته/
هيهات بل قسوته تزيد

الصبي الذي قال هذه القصيدة بلغ في «صناعة» الشعر مبلغ من لا يغلط في الوزن هذا النوع من الغلط،
لا بل هو يلعب بالكلمات لعباً يبعث على الدهشة. وليس شوقي، بعد، بالمعصوم عن الغلط في
الوزن، وقد نهه إبراهيم اليازجي سنة ١٨٩٧ إلى أنه خلط بين السريع والمنسرح مرتين في قصيدة

٢ الجدة الحنون

لِي جَدَّةٌ تَرَأْفُ بِي أَحْنَى عَلَيَّ مِنْ أَبِي
لي جدة تعطف علي، وهي أشد حنوً علي من أبي

وَكُلُّ شَيْءٍ سَرَرْنِي تَذَهَبُ فِيهِ مَذْهَبِي

وكل شيء يسعدني توافقي عليه

مَشَى أَبِي يَوْمًا إِلَيَّ مَشْيَ الْمَوْدِّ

مشى أبي يوماً نحوي يريد تأديبي

غَضَبَانِ قَدْ هَدَّدَ بِالضَّرِّ رَبِّ، وَإِنْ لَسِمَ يَضْرِبُ

وكان غضبان يهدد بضربي، وإن لم يفعل

فَلَمْ أَجْذَلِي مِنْهُ غَيْدَ رَجَدْتِي مِنْ مَهْرَبِ

فَجَعَلْتَنِي خَلْقَهَا أَنْجُو بِهَا، وَأَخْتَبِي

وَهِيَ تَقُولُ لِأَبِي بِلَهْجَةِ الْمُؤَنَّبِ

لم أجد مهرباً سوى جديتي، فوضعتني خلف ظهرها، وأخذت تقول لأبي بلهجة تأنيب:

وَيُخِّ لَهْ، وَيُخِّ لَهْ ذَا الْوَلَدِ الْمَعْدَبِ

مسكين هذا الولد الذي يلاقي منك التعذيب،

أَلَمْ تَكُنْ تَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ إِذْ أَنْتَ صَبِي

ألم تكن تصنع مثله وأنت صبي؟ القصيدة ناضجة في مغزاها على سهولتها وخفتها، ولم نتحقق من تاريخ نظمها، لكنها ليست مما يقوله صبي

٣ كوثر الدنيا

النَّيْلُ الْعَذْبُ هُوَ الْكَوْثَرُ وَالْجَنَّةُ شَاطِئُهَا الْأَخْضَرُ

النيل العذب (وكأن هناك نيلاً ملحاً) هو نهر الكوثر (نهر الجنة)، وضافه الأخضر هي الجنة

رِيَّانُ الصَّفْحَةِ وَالْمَنْظَرُ مَا أَبْهَى الْخُلْدَ وَمَا أَنْضَرُ

النيل ريان (جميل) الصفحة (السطح) والمنظر، فما أجمل الخلد (الجنة)، فهو نهر الجنة لا راح ولا جاء. هذا البحر المتدارك ينساب بإيقاع يشغل الأذن عما في البيت من حاجة إلى ربط عجزه بصدرة

* * *

الْبَحْرُ الْفَيَاضُ الْقُدْسُ السَّاقِي النَّاسَ وَمَا غَرَسُوا

البحر (نهر النيل) الفياض (المتلئ) القدس (المبارك) هو الساقى الناس والساقى ما زرعوا

وَهُوَ الْمِنْوَالُ لِمَا لَبَسُوا وَالْمُنْعِمُ بِالْقَطَنِ الْأَنْوَرُ

والنيل كأنه المنوال (آلة النسج) لملابسهم، إذ ينعم عليهم بالقطن الأنور (ذي التوار الأبيض)

* * *

جَعَلَ الْإِحْسَانَ لَهُ شَرْعاً لَمْ يُخْلِ الْوَادِي مِنْ مَرْعَى
 جَعَلَ النَّيْلَ الْإِحْسَانَ شَرْعاً (أُسْلُوباً) لَهُ . وَلَمْ يُخْلِ الْوَادِي (لَمْ يَتْرَكِ الْوَادِي يَخْلُو) مِنْ مَرْعَى
 فَتَرَى زَرْعاً يَتَلَوَّزَرَعاً وَهَنَا يُجْنَى، وَهَنَا يُبْذَرُ
 الحقول متراصة، فهنا يجني الفلاحون الثمار وهناك يبدرون

* * *

جَارٍ وَيُرى لَيْسَ بِجَارٍ لَأَنَاءٌ فِيهِ وَوَقَارٍ
 النيل يجري، ولا نلاحظ أنه يجري لما فيه من الأناة (التأني) والوقار

يَنْصَبُ كَلَّ مُنْهَارٍ وَيَضِجُ فَتَحَسْبُهُ يَزَارُ
 ثم إذا به يصب ماءه صباً كالثلج المنهار، ويهدر (يضج) فتحسبه يزأراً كالأسد. ويترك لنا شوقي أن
 نفهم وحدنا أن الحالة الثانية هي نقيض الأولى، فالنيل الآن غادر وقاره وتأنيه، ولم يمهّد الشاعر
 للانتقال من الحالة إلى نقيضها

* * *

حَبَشِيُّ اللَّوْنِ كَجِيرَتِهِ مِنْ مَنبَعِهِ وَبَحِيرَتِهِ
 النيل معكّر المياه لما حمله من طين، فلو أنه دأب أهل الحبشة الذين هم جيرانه في المنبع من
 جبالهم، وكذا جيرانه الآخرون في بحيرته فكتوريا. سيكتب شوقي في أخريات حياته أغنية
 لعبد الوهاب تبدأ بـ «النيل نجاشي حلوبة أسمر»

صَبَغَ الشَّطْطَيْنِ بِسُمْرَتِهِ لَوْنًا كَالْمَسْكِ وَكَالْعَنْبَرِ
 وهو يلقي طينه على شاطئيه فيسمر لونهما، ويصبح كلون المسك البني الداكن، أو العنبر (وهو
 داكن اللون في الغالب)

٤ العبث

قال شوقي ضمن رثاء الأميرة نفيدة هانم (١٨٨٩):

النَفْسُ تَرْغَبُ فِي الدُّنْيَا، وَمَا حَصَلَتْ مِنْ الْحَيَاةِ عَلَى صَفْوٍ بِلاَ كَدَرٍ
 النفس ترغب في الدنيا وهي ما حصلت من الحياة على صفو (سعادة) خالص من التكدير

وَلِلْحَيَاةِ مَدًى، وَاللَّهُ يَعْلَمُهُ مَا أَشْبَهَ الطَّوْلَ فِي الْأَعْمَارِ بِالْقَصْرِ

للحياة مدى علمه عند الله. ولكن، بما أن كل الحياة عبارة عن صفو مختلط
 بالتكدير، فالطول والقصر في العمر سيان. كأني بالعقاد يقف لشوقي قائلاً: «بربك
 هل الحياة لها مدى؟ كذا والله نظنها أبدية! وهل يعلم الله حقاً هذا المدى؟ ما أعجب

ما أتيت به!« ولكن الشعر لا يقوم على المعنى وحده. ومع ذلك فالتصنيف الثاني من البيت له رنة جميلة، ومعناه يفضي إلى تفكير في العمر وطوله. حقاً إذا كانت سنوات العمر أشبه بالخبز البلدي المخلوط بالرمل فلا فرق بين أن تأكل رغيفاً أو خمسة. وقد سخر العقاد في كتابه الديوان من طريقة شوقي في الرثاء سخرية بلغ بها في الإضحاح منك الخواصر. تعليق عمران القفيني: «إعجابنا أنت وأنا بشوقي عجيب، حتى إذا أردنا نقده بحثنا عن لسان آخر واستأجرناه للتعليق»

٥ عبدك وابن عبدك

قال يهنئ الخديوي محمد توفيق بعيد الجلوس (١٨٨٩):

شرفاً أبا العباس، هذا مُلْكُ مصر رَ وَذِي خَزَائِنُهُ، وَذَلِكَ دَسْتُهُ
ازدد شرفاً يا أبا العباس، فهذا ملك مصر، وهذي خزائنه (قال يوسف لملك مصر: «اجعلني على خزائن الأرض» يوسف ٥٥)، وهذا الدست (مجلس الحكم) كلها لك. قال البحري «شرفاً بني العباس إن أباكم/عم النبي وعيصه المتفرع»

مُلْكٌ كَبِيرٌ جَاءَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ قَدْماً نَعْتُهُ
ملك كبير ورد في التوراة والإنجيل والقرآن قَدْماً (في الزمن القديم) نعته (وصفه)

مولاي! عُذْراً إِنَّ لِي فِكْراً أَبْتُ إِلَّا الزُّفَافَ إِلَى عَفَافِكَ بِنْتُهُ
مولاي! اعذرنى على السكوت حتى الآن فإن لي فكراً أَبْتُ بنته إلا أن تُزَفَّ إلى مقامك العفيف (جعل «بنات الأفكار» بنتاً وزفها إلى الخديوي)

فَاسْمَعْ لِعَبْدِكَ وَابْنِ عَبْدِكَ مَنْطِقاً مُتَطَايِراً بِكَ فِي الْقَوَافِي صَبِيْتُهُ
فاسمع لعبدك وابن عبدك (وأبو شوقي كان في حاشية الخديوي) منطقاً (كلاماً) صيته يتطايّر بذكرك على هيئة قوافٍ. رنين وقعقة. وتكثيف لغوي مفعم بالإيحاء، وإن كان فيه كثير من لِيْ أعناق التعابير. هذا، إلى سِنَادٍ رَدَفَ أَجَازَهُ شَوْقِي لِنَفْسِهِ وَرَكَبَهُ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ

٦ الوفاء وعدمه

قال شوقي (١٨٩٠):

إِنَّ الْوَفَاءَ سَبَاحُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَنْ حَازَهُ حَازَ الْمَحَامِدَ أَجْمَعَا

الوفاء صباح يحمي أخلاق الإنسان، فمن حازه (مَلَكَهُ) حاز المحامد (الفضائل) كلها

كَمْ مِنْ لَبِيبٍ كَانَ يُرْجَى نَفْعُهُ لَكِنْ أْبَى عَدَمُ الْوَفَا أَنْ يَنْفَعَا
كثيراً ما لقينا عاقلاً رجونا منه النفع، لكنَّ عدم وفائه منع حصول هذا النفع

٧ لا مثيل لها

قال شوقي يمدح الخديوي محمد توفيق (١٨٩٠):

يا مُكْرَمَ الشُّعراءِ كَمْ مِنْ آيَةٍ لي فيكَ ليسَ لِشاعرٍ تبدِيلُها
يا مكرم الشعراء كم من آية (قصيدة كأنها في بلاغتها آية) قلتها فيك، ليس لشاعر تبديلها. فهي
كأي الكتاب الحكيم الذي لا تبديل له

وَيَزِيدُها مَرُّ الزَّمانِ حلاوَةً حتَّى يَلدَّ لأهلِهِ تَرتِيلُها
يزيد مرُّ (مرور) الزمن «آياتي» حلاوة، حتى يلدَّ لأهل الزمن ترتيلها، وليس قراءتها فقط

أَلْبَسْتَنِي حُلَّ القَبولِ، فَنَلْتُ شأً وأَ في القوافي لَمْ يَنلْهُ فُحولُها
ألبستني حلل (أثواب) القبول، فملت شأواً (مدى) في القوافي (القصائد) لم ينله فحول القصائد

فإِلَيْكَها عذراءٌ لا يُرجى لها وَضَلَّ، ولا باعُ الشُّيوخِ يَطوِلُها

إليكها (خذها) قصيدة عذراء (مبتكرة) لا رجاء في وصلها (علاقة معها)، كالحال مع
الفتاة العذراء؛ ولا يطولها باع الشيوخ (فحول الشعر). قال «الشيوخ»، ولم يقل
الفحول، لأنه شبه القصيدة بالعذراء فجعل الشعراء شيوخاً كباراً في السن، فزادهم
بعداً عن عذرائه. وهذا من التكتيف اللفظي والمعنوي عند شوقي. وفي الشعر شبه
من الدعاية التلفزيونية، تكون الدعاية مكتظة بالصور وملينة باللفئات الكثيرة فتشاهدها
المرءة تلو المرة وتكتشف في كل مرة شيئاً جديداً

تَهتَزُّ أعطافُ الملوِكِ لِمِثْلِها لو كانَ يَوجدُ في القَريضِ مِثْلُها
تهتز أعطاف (خصور) الملوك طرباً لمثل هذه القصيدة، هذا لو كان يوجد في القريض (الشعر)
مثيل لها

٨ خدعوها

قال شوقي (١٨٩١):

خدعوها بقولهم: حَسَناءُ وَالغَواني يَغُرُّهُنَّ الثَّناءُ
خدعوها بقولهم إنها حسناء. والغواني (الجميلات) يغرهن الثناء

أَثَرها تَناسَتْ اسمي لَمَّا كَثُرَتْ في غَرامِها الأَسْماءُ
هل تناسست اسمي عندما كثر المغرمون بها كثرة صاروا معها مجرد أسماء؟

إِنْ رَأَيْتَنِي نَميلُ عَنِّي، كَأَنَّ لَمْ نَكْ بَيْنِي وَبَيْنَها أَشياءُ
إن رأيتني تنحرف عني كأنه لم يكن بيني وبينها أشياء. «وأشياء» هذه ملية بالظرف والشعر، وفيها
فخر الرجل وكذبه وتشدقه

نظرةً، فابتسامةً، فسلامٌ فكلّامٌ، فموعدٌ، فلقاء

بيت كهذا لا يتاح إلا في الفلتات

ففراقٌ يكونُ فيه دواءٌ أو فراقٌ يكونُ منه الداءُ

ثم الفراق الذي إما أن يشفي الصدر من العلاقة، أو يكون داء (مرضاً) للقلب

يومٌ كُنّا، ولا تَسَلْ كيفَ كُنّا نَتَهَادى مِنَ الهوى ما نشاءُ

أندكرُ كيف كنا، ولا تسل (تسأل) كيف كنا! كنا نتهادى (نتبادل كالهدايا) ما نشاء من لوازم الغرام كالقبل والهمسات

وعليّنا مِنَ العَفَافِ رقيبٌ تَعِبْتُ فِي مِرَاسِهِ الْأَهْوَاءُ

وكان علينا رقيب هو عفافنا (والعفاف هو الامتناع الجنسي بانتظار الفرصة الأفضل)، وهو رقيب تعبت في مراسه (مغالبته) أهوائنا (رغباتنا)

جاذبُنِي ثُوبِي الْعَصِيِّ، وَقَالَتْ: أَنْتُمْ النَّاسُ أَيُّهَا الشُّعْرَاءُ

جاذبتي (كانت تشد وأنا أشد) ثوبي العصي (الممتنع)، - كما فعلت امرأة العزيز بيوسف عندما جاذبته قميصه طلباً للفعل الجنسي -، وقالت لي: أنتم فقط الناس أيها الشعراء، فلا أحد غيركم جدير بالاهتمام

فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي قُلُوبِ الْعِذَارَى فَالْعِذَارَى قُلُوبُهُنَّ هَوَاءٌ

وقالت: اتقوا الله في قلوب العذارى، فقلوبهن رقيقة كالهواء. كتب أحمد شوقي في مقدمة الشوقيات (١٩٠٠): «رفعت إلى الخديوي السابق [محمد توفيق] قصيدتي التي مطلعها: خدعوها بقولهم حسناء/ والغواني يغرهن الشناء، والتي غزلها في أول الديوان، وكانت المدايح الخديوية تنشر يومئذ في الجريدة الرسمية وكان يحررها يومئذ أستاذي الشيخ عبد الكريم سلمان فدُفعت القصيدة إليه، وطُلب منه أن يسقط الغزل وينشر المدح فود الشيخ لو أسقط المدح ونشر الغزل. ثم كانت النتيجة أن القصيدة برمتها لم تنشر»

٩ نومة القلم موت

قال شوقي يمدح عباس حلمي الثاني (١٨٩٣):

قُلْ لِرَاجٍ أَنْ يَسْتَرْقَ يِرَاعِي أَنَا لَا أَشْتَرِي بِذَا التَّاجِ قَيْدًا

قل لمن يرجو أن يسترق يراعي (يستعبد قلبي) إني لا أرضى قيداً سوى ارتباطي بتاج مصر

نَوْمَةُ السَّيْفِ قَدْ تَكُونُ حَيَاةً وَرَأَيْتُ الْيِرَاعَ إِنْ نَامَ أَرْدَى

نوم السيف في غمده قد يسبب بقاء الحياة للناس وإبعاد شبح القتل عنهم، وأما القلم فإذا نام عن الكتابة أردى (قتل) المجتمع بنومه

خَلَقَ اللَّهُ ذَاكَ صَاحِبَ غَمْدٍ وَبَرَا ذَا لَا يَعْرِفُ الدَّهْرَ غَمْدًا
وقد خلق الله السيف وخلق له غمدا (غلافًا)، وبرأ (خلق) القلم لا يُعَمَدُ أبد الدهر

١٠ كبار الحوادث في وادي النيل

ألقاها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في جنيف بسويسرا في سبتمبر (١٨٩٤)، وكان
مندوباً عن مصر:

هَمَّتِ الْفُلُكُ، واحتواها الماء وَحَدَّاهَا بِمَنْ تُقِلُّ الرِّجَاءُ
همت الفلك (السفينة) بالرحيل، ثم احتواها الماء، وحداها (سبَّرها) بمن تقل (تحمل) رجاء
الوصول بسلام. فكان السفينة ناقة يحدوها (بغني لها) الحادي؛ وما الحادي سوى الرجاء. ما
أخلق مؤلفي كتب البلاغة المدرسية أن يجدوا في مثل هذا البيت مادة لتعذيب التلامذة!

قُلْ لِبَنِي بَنِي فَشَادَ فَعَالِي: لَمْ يَجُزْ مِصْرَ فِي الزَّمَانِ بِنَاءُ
قل لمن يبني الصروح ويبلغ في رفعها: لم يجز (يتفوق على) مباني مصر في كل الزمن أي بناء
زعموا أنها دعائمُ شِيدَتْ بِيَدِ الْبَغْيِ، مِلُّوْهَا ظُلْمَاءُ
زعموا أن مباني مصر، كالأهرام، دعائم للملك العظيم شِيدَتْ (بُنِيَتْ) بيد البغي (الظلم)، وأن
المباني مليئة بالظلام - ظلام تسخير الناس -

فَاعْذِرِ الْحَاسِدِينَ فِيهَا إِذَا لَا مَوَا، فَصَعَبٌ عَلَى الْحَسُودِ الشَّاءُ
اعذر الحاسدين في شأنها إذا لاموا، فصعب على الحسود أن يمدح

لَا رِعَاكَ التَّارِيخُ يَا يَوْمَ قَمْبِي زَرَّ، وَلَا طَنْطَنْتُ بِكَ الْأَنْبَاءُ
لا رحمك التاريخ يا يوم (غزو/ وأيام العرب غزواتها) قمبيز (ملك الفرس)، ولا طنطننت (رددت)
الأنباء بذكرك

بَنَتْ فِرْعَوْنُ فِي السَّلَاسِلِ تَمْشِي أَرْعَجَ الدَّهْرَ عُرْيُهَا وَالْحَفَاءُ
هذه بنت فرعون تمشي في قيودها، وعريها وحفاؤها يزعجان الدهر (أحرار الناس على مر الدهر)

فَكَأَنَّ لَمْ يَنْهَضْ بِهَوْدَجِهَا الدَّهْرُ رَرُّ، وَلَا سَارَ خَلْفَهَا الْأَمْرَاءُ
كأنما لم يحمل الدهر نفسه في أيام العز هودجها (والهودج إنما يحمله الجمل أو الفيل لا الدهر)،
وكانما لم يكن يسير خلفها الأمراء

وَأَبُوهَا الْعَظِيمُ يَنْظُرُ لَمَّا رُدِّيتْ مِثْلَمَا تُرَدَّى الْإِمَاءُ
وأبوها فرعون كان ناظراً عندما رُدِّيتْ (أُلْبِست) كما تُلبَسُ الإماء (الجواري)

أَعْطَيْتُ جَرَّةً، وَقِيلَ إِلَيْكَ النَّهْرُ هَرَّ، قَوْمِي كَمَا تَقُومُ النِّسَاءُ

أعطيت بنت فرعون جرة، وقيل: إليك (ها هو) النهر، قومي كغيرك من النساء!

فَمَشَتْ تُظْهِرُ الْإِبَاءَ، وَتَحْمِي الدَّ - مَعَ أَنْ تَسْتَرْقُّهُ الضَّرَاءُ

مشت وفي مشيتها الإباء (العزة)، وهي تحمي دمعها من أن تسترقه (تستعبده) الضراء (المصيبة)

وَالْأَعَادِي شَوَاحِصٌ، وَأَبُوهَا بِيَدِ الْخَطْبِ صَخْرَةٌ صَمَاءُ

والأعداء شاحصون (رافعو الرؤوس)، وأبوها واقع في قبضة الخطب (المصيبة) وكأنه صخرة صماء (مصمتة) لا تعابير على وجهه

فَأَرَادُوا لِيَنْظُرُوا دِمْعَ فِرْعَوْنَ نَ، وَفِرْعَوْنُ دِمْعُهُ الْعَنْقَاءُ

فأراد الأعداء أن يروا دمع فرعون، وفرعون دمع العنقاء (الطائر الخرافي غير الموجود)، فلا وجود لشيء اسمه «دمع فرعون»

فَأَرَوْهُ الصَّدِيقَ فِي ثَوْبٍ فَقِيرٍ يَسْأَلُ الْجَمْعَ. وَالسُّؤَالُ بِلَاءُ

فأروه صديقه في ثوب يدل على الفقر وهو يسأل الناس إحساناً. والسؤال بلاء

فَبَكَى رَحْمَةً، وَمَا كَانَ مَنْ يَبِ - كَيِّ، وَلَكِنَّمَا أَرَادَ الْوَفَاءُ

عندئذ بكى فرعون رحمة له، وما كان ممن يكون، إنما أراد منه وفاؤه أن يبكي

وَابِكُ عَمْرًا إِنْ كُنْتَ مُنْصِفَ عَمْرٍو - إِنْ عَمُرُوا لِنَيْسِرٍ وَضَاءُ

وابك، أيها السامع، عمرو بن العاص إن كنت منصفاً إياه - وما أكثر أعداء عمرو -، فعمرو نير وضاء (مشرق)

جَادَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّيْلِ، وَالنَّيْدُ - لُ لِمَنْ يَقْتَنِيهِ إِفْرِيقِيَاءُ

فقد جاد للمسلمين (تفضل عليهم) بالنيل بفتح مصر، والنيل لمن يقتنيه (يملكه)، مفتاح إفريقية

وَأَذْكَرِ الْعُرَّ آلَ أَيُّوبَ وَامْدُحْ - فَمِنْ الْمَدْحِ لِلرِّجَالِ جَزَاءُ

وأذكر الغر (المشرقين إشراقاً) آل أيوب (الأيوبيين)، وامدحهم، - فلئن كان كثير من المدح تزلفاً - فإن من المدح أيضاً جزاء (مكافأة) للرجال

هَكَذَا الْمُسْلِمُونَ وَالْعَرَبُ الْخَا - لُونَ، لَا مَا يَقُولُهُ الْأَعْدَاءُ

هذه حقيقة المسلمين والعرب الخالين (الماضين)، لا ما يقوله الأعداء

ليسَ للذَّلْ حِيلَةٌ في نُفوسٍ يستوي الموتُ عندها والبَقَاءُ

لا حيلة للذل في الوصول إلى نفوس - كنفس أولئك العرب الفاتحين - يستوي (يتساوى) بالنسبة لها الموت والحياة. لغة شوقي الشاب (نحو ٢٦ سنة) غنية، مفعمة بالإشارات التاريخية، وتنبع عن ثقافة عربية متينة، وهو يستعمل اللغة باقتدار ويقبلها بين يديه كيف شاء، متعسفاً حيناً، آتياً بالطريف حيناً. وهو مع ذلك يقول ما يريد، ولا تجره الألفاظ إلى أن يقول ما لا يريد. وهو يعبر عن موقف. وهذه القصيدة فيها نَفَسٌ خطابي هو نَفَسُ الشعر العربي في عصوره الزاهية. هذه القصيدة تعود إلى سنة ١٨٩٤ ففيها انعقد مؤتمر المستشرقين العاشر في جنيف. وفي مقدمة شوقي لديوانه الصادر للمرة الأولى عام ١٩٠٠ قال إن المؤتمر عقد سنة ١٨٩٦، ولعل هذا منه نسيان أو إهمال. وقد تكرر هذا الغلط في إعادة طبع مقدمة الديوان في عدة كتب. لكن مؤتمرات المستشرقين مرصودة في عدة وثائق. أول مؤتمر لهم عقد قبل ذلك بمئة وعشرين سنة في باريس، وآخر مؤتمر - فيما وصل إلى علمنا - كان مؤتمر موسكو ٢٠٠٤، وهو السابع والثلاثون. والمؤتمر الذي حضره شوقي عقد في جنيف سنة ١٨٩٤ خلافاً لما تكاد تجمع عليه الكتب ومواقع الإنترنت. لا بد أن المستشرقين هزوا رؤوسهم دهشة وهم يسمعون مندوب مصر يلقي قصيدة، بدل أن يساهم ببحث علمي. ولكننا نعرف أن شوقي صنع علاقات طيبة مع عدد من المستشرقين، ولعل حماسة هذا الشاب الشرقي لمست ركناً في نفوسهم

١١ العاقبة الأكيدة

أرى الموتَ على العَبْرَا هُوَ الجامعةُ الكُبْرَى

أرى الموت على العبرا (الأرض) هو الجامعة الكبرى (هو العنصر الجامع بين الناس كلهم)، فهو القاسم المشترك بين الناس كلهم

هو الدربُ إلى الدنيا هو الدربُ إلى الأخرى

الموت هو الدرب إلى الدنيا، فلولا أن هناك ناساً يموتون لما كان ثمة موضع لناس يولدون، وهو الدرب إلى الأخرى (الحياة الأخرى)

فإنْ لَمْ يَكْ غيرُ المو تِ مِنْ عاقبةٍ تُدرَى

فإذا لم يكن بعد الموت حياة تُدرى (تُعرف) ..

فإنْ شئتَ فمُتْ عبداً وإنْ شئتَ فمُتْ حُرّاً

فإن شئت فمت وأنت عبد، وإن شئت فمت وأنت حر، فما أقل الفرق بين عبد وحر في حياة زائلة لا يترتب عليها شيء

١٢ الدنيا بستان

وروض، كما شاء المُجْبُون، ظِلُّهُ لهُم ولأَسْرارِ الغرامِ مَديدُ
رب روض (بستان) هو كما يريده المحبون، فظله ممتد يضمهم ويضم أسرار غرامهم

تُظِلُّلُنَا، والطيرَ، في جَنَابَاتِهِ غصونٌ قيامٌ للنسيمِ سَجودُ
نظللنا، نحن والطيور في جنباته (نواحيه)، غصون ترتفع وتهبط مع النسيم (كما يقوم ثم يسجد المصلي)
وقامتُ لديها الطيرُ شَتَّى فآيسُ بأهلٍ، ومفقودُ الأليفِ وحيدُ
وروقت عند هذه الغصون أنواع الطير، فمنها الأنس (المنشرح) بأهل (بزوج)، ومنها الوحيد الذي لا أليف له

وبالكِ ولا دمعُ، وشاكٍ ولا جوى وَجَدْلَانُ يشدو في الرُّبى ويُشيدُ
ومنها من يبكي لكن بلا دمع، ومنها الشاكي لكن بلا جوى (حزن)، ومنها الجدلان (الفرح) الذي يشدو (يغرد) في الهضاب ويشيد (يتغنى راضياً)

غشِينَاهُ والأَيَّامُ تَنْدَى شَبِيبَةٌ وَيَقْطُرُ مِنْهَا الْعَيْشُ وَهُوَ رَغِيدُ
غشينا الروض (أثناه) والأيام تندى (يغلفها الندى) لما نحن فيه من حلاوة الشباب، ويقطر العيش كالعسل من أيامنا رغيداً (هانئاً)

وَنَحْكُمُ حَتَّى يَقْبَلَ الدَّهْرُ حُكْمَنَا وَنَحْنُ لِسُلْطَانِ الْغَرَامِ عَبِيدُ
ونحكم (نصر على رغباتنا) والزمن يقبل حكمنا وينفذ إرادتنا، لكننا عبيد لسلطان الغرام

أَقُولُ لِأَيَّامِ الصَّبَا كُلِّمَا نَأَتْ: أَمَا لَكَ يَا عَهْدَ الشَّبَابِ مُعِيدُ
أقول لأيام الصبا كلما نأت (ابتعدت): أليس هناك من يعيدك يا عهد الشباب؟

وَمِنْ عِبَثِ الدُّنْيَا، وَمَا عِثْتُ سُدًى شَبَبْنَا وَشِبْنَا وَالزَّمَانُ وَلِيدُ
ومن عبث الدنيا، وليس عيشها سدى (جزافاً)، أننا كنا شباباً ثم شينا والزمان ما زال وليداً. الإنسان الطبيعي كلما تقدمت به السن يظن أن «الدنيا آخر وقت» لأن الزمن تغير كثيراً إلى حد الظن بأن أشرار الساعة أخذت تظهر؛ ولكنه عندما يرى كيف يستقبل أولاده وأحفاده من الدنيا ما استدبر يوقن أن الزمان يبقى طفلاً، وأنه هو فقط الذي شاخ

١٣ دهاء

قَدْ أَتَعَبَ الْأَعْدَاءُ مَنْ دَارَهُمْ فَأَوْقَمَ عَدُوَّكَ بِاللِّبَانِ وَأَقْعَدَ
قد أتعب أعداءه فعلاً من داراهم. فاجعل عدوك يقوم ويقعد ويضطرب بما تبديه له من اللبان (الملاطفة)

إِنَّ الْأَرَاقِمَ لَا يُطَاقُ لِقَاؤُهَا وَتُنَالُ مِنْ خَلْفٍ بِأَطْرَافِ الْيَدِ

إن الأفاعي لا يطاق لقاءها من الأمام، لكنها تُنال (تُمسك) من الخلف بأطراف اليد (بالأصابع). اتخذ طه حسين، في مقال له من خمسين صفحة صغيرة سماه «حافظ وشوقي»، من هذين البيتين تكملةً لكي يتحدث عن شخصية شوقي وعن نظرتة إلى التجديد: «... هو لا يستقبل التجديد ولكن يستدبره. وهو لا يدخل البيوت من أبوابها، ولكن يأتيها من ظهورها. وهو لا يجتدد في صراحة وشجاعة وثبات للخصوص، ولكنه يجدد في لباقة ومداورة والتواء على المناهضين. وكان هذه القاعدة صيغت من طبع شوقي فسيطرت على حياته الأدبية، وسيطرت على حياته الشخصية أيضاً. فهو لم يواجه الناس بتجديد عنيف في الأدب قط. وهو لم ينهض لخصوصية ناقد من نقاده، بل لم يجرؤ على أن يلقي نقاده بالعتب. إنما كان يعاملهم معاملة الأرقام، لا يلقاهاهم ولكن يأخذهم من خلف بأطراف اليد. يغري بهم ويؤلب عليهم، ثم يلقاهاهم باسماءً مراوغةً. ولا يتخرج من زيارتهم واستزارتهم كأنهم من أحب الناس إليه... يُظهر لهم صفحة واضحة نقية، ومن وراء هذه الصفحة صفحات بيض، وصفحات سود». انتهى كلام طه حسين

١٤ صوني جمالك عنا

قال شوقي (١٨٩٤):

اللَّهَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَبٍّ وَمِنْ عَانٍ تَفْنَى الْقُلُوبُ وَيَبْقَى قَلْبُكَ الْجَانِي
الله (أي اتقي الله) في الخلق: الصَّبُّ (المحب) منهم والعاني (الأسير بحبك). القلوب تفنى عشقاً
ويبقى قلبك الجاني (المجرم)

صُونِي جَمَالِكَ عَنَّا، إِنَّا بَشَرٌ مِنْ التُّرَابِ، وَهَذَا الْحَسَنُ رُوحَانِي

احفظي جمالك بعيداً عن نظرنا، فنحن بشر من تراب وحسبك (جمالك) روحاني

١٥ نَبَتْ بَيْنَ جَوَانِحِي

قال شوقي (١٨٩٤):

مُضْنَى وَلَيْسَ بِهِ حَرَاكٌ لَكِنْ يَخْفُ إِذَا يَرَاكَ

عاشقك مضنى (مريض) وليس به حراك، لكن يخف (يشفى/وينشط) إذا رآك

وَيَمِيلُ مِنْ طَرَبٍ إِذَا مَا مِلْتَ يَا غُصْنَ الْأَرَاكِ

ويميل من الطرب إذا ملت يا غصن الأراك (شجر له ساق طويلة)

إِنَّ الْجَمَالَ كَسَاكَ مِنْ وَرَقِ الْمَحَاسِنِ مَا كَسَاكَ

إن الجمال كساك أيها الغصن ورقاً ليس كورق الشجر بل هو المحاسن نفسها

وَنَبَيْتٌ بَيْنَ جَوَانِحِي وَالْقَلْبُ مِنْ دِمِهِ سَقَاكَ

وقد نبئتُ أيها الغصن داخل جوانحي (أعضائي)، وسقاك قلبي من دمه

حَلَوَ الْوَعُودُ! مَتَى وَفَاكَ أَتُرَاكَ مُنْجِزَهَا تُرَاكَ

يا حلو الوعود متى وفائك بها، هل أنت منجزها يا ترى؟

مِنْ كُلِّ لَفْظٍ لَوْ أَذْنْتُ سَتَ لِأَجْلِهِ قَبَّلْتُ فَاكَ

ووعودك مكونة من كل لفظ عذب لو أذنت (سمحت) لي لقبلت فمك لأجله

يُرَوِّي الْحَلَاوَةَ عَنْ ثَنَا يَاكَ الْعِذَابِ وَعَنْ لَمَّاكَ

وهذا اللفظ يروي (ينقل شفاهاً) الحلاوة عن ثناياك (أسنانك) العذبة، وعن لَمَّاكَ (ريقك)

ظُلْمًا أَقُولُ: جَنَى الْهَوَى، لَمْ تَجْنِ إِلَّا مُقْلَتَاكَ

أنا أظلم الحق إذ أقول الجاني هو الهوى، ما جنى علي إلا مقتلتك (عيناك)

مَنْ عَلَّمَ الْأَجْفَانَ فِي أَهْدَابِهَا مَدَّ الشُّبَاكَ

من الذي علّم الأجفان القابعة خلف أهدابها (رموشها) أن تمد الشُّبَاكَ (تفجع) فيها؟

وَتَصَيَّدَ الْأَسَادَ بِالْأَجَامِ تَسْلُبُهَا الْحَرَكَ

ومن علمها تصيّد الأسود في الآجام (الأدغال) فتسلبها الحراك؟

١٦ المخاطرة

قال شوقي (١٨٩٥):

عَرَضُوا الْأَمَانَ عَلَى الْخَوَاطِرِ وَاسْتَعَرَضُوا السُّمُرَ الْخَوَاطِرُ

لقد عرضوا الأمان على الخواطر (النفوس) إذ استعرضوا قاماتهم الرشيقة الشبيهة بالسمر (الرماح) الخواطر (المهتزة). يتحدث عن الأغصان ويقصد النساء فمن هنا التذكير وخطاب العاقل

فَوَقَفْتُ فِي حَذَرٍ، وَيَا بِي الْقَلْبُ إِلَّا أَنْ يُخَاطِرُ

فوقفتُ حذراً، والقلب يأبى إلا المخاطرة

يَا قَلْبُ! شَأْنُكَ وَالْهَوَى هَذَا الْغُصُونُ وَأَنْتَ طَائِرُ

يا قلبي الزم شأنك مع الهوى (أنت حر بشأن الهوى)، هذه النساء غصون، وأنت كالطائر

إِنَّ السَّيِّئَ صَادَتْكَ تَسْـُٔى عَنِ الْقُلُوبِ لَهَا النَّوَاطِرُ

أمر الحسنة التي صادتك هو: أن نواظر الناس (عيونهم) تسوق قلوب أصحابها إليها

١٧ وإنما الأمم الأخلاق

قال شوقي (١٨٩٥):

الصدق أرفع ما اهتزَّ الرجالُ لَهُ وخيرُ ما عَوَّدَ ابْنًا في الحياة أَبُ
الصدق أرفع (أعلى) شيء اهتزَّ له الرجال (حركتهم الشهامة)، وخير ما يعوِّد الأب ابنه في الحياة

وإنما الأمم الأخلاقُ، ما بقيتْ، فإن هُم ذهبَتْ أخلاقُهُم ذهبوا
والأمم بأخلاقها، طالما بقيت لها أخلاق. فإن لم تبق أخلاق لم تبق الأمم

١٨ الغبيّ والدنيّ

قال شوقي (١٨٩٥):

أخا الحلم مهلاً في المكارم والندى وفي رحمة الحُسادِ والرفقِ بالعدى
يا ذا الحلم (يا صاحب الحلم) تمهل ولا تبالغ في العفو والكرم، وفي الرفق بالحساد والأعداء

فلنْ تُدْنِيْ النفسَ التي قد قصدتَهَا بحِلْمِكَ أَقصى من هواها وأبعدا
فلن تدني (تقرّب) النفس التي طوقتها بحلمك بأكثر من رغبتها في الاقتراب

وَمِنْ حُرْمَةِ النِّعْمَاءِ أَلَّا تُنْبِلَهَا غيباً فَيَنْسَى أَوْ دَنِيّاً فَيَجْعَدَا
ومن واجب النعماء (النعمة) عليك ألا تنبلها (تمنحها) شخصاً غيباً فإنه ينسى المعروف، ولا دنياً
(دنياً حقيراً) فإنه ينكر المعروف

١٩ مماطلة

قال شوقي (١٨٩٦):

أذعنَ لِلْحُسْنِ عَصِيَّ العِنانِ وحاولتْ عيناكَ أمراً فكانْ
أذعن (خضع) للجمال هذا الرجل العصي العنان (الممتنع)، وكأنه الحصان الصعب الإمساك
بعنانه، وحاولت عينك أمراً (إيقاعه في الحب) فكان لك ذلك

يا مُسْرِفاً في التَّيِّهِ ما ينتهي أخافُ أَنْ يَفْتَنَى عَلَيْنَا الزَّمانُ
أيها المترف في التيه (المبالغ في التكبر) الذي لا ينتهي (يقطع) عن إصرافه، أخاف أن ينتهي
الزمان نفسه وأنت ما تزال في تكبرك

ويا كَثِيرَ الدَّلِّ في عِزِّهِ لا تنسَ لي عِزِّي قُبَيْلَ الهَوَانِ
ويا كثير الدلّ (التدلل)، يا مفتخراً بعزه، لا تنس أنني كنت عزيزاً قبل الهوان (الذل) في حبك

٢٠ خير الأمور الوسط

قال في ذكرى الأمير محمد عبد المنعم (١٨٩٦):

وما الدنيا بمثوى للعبيد فكُنْ ضيفَ الرِّعايةِ والودادِ
الدنيا ليست مثوى (مقرراً دائماً) للناس، فكُنْ ضيفاً محاطاً بالرعاية والحب

ولا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الْأَعَادِي فَشَرُّ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ خُصُوماً
ولا تجعل أعداءك كُثراً، فأسوأ الناس أكثرهم خصوماً

ولا نجعلُ تَوَدُّدَكَ ابْتِذالاً ولا نسمحُ بِجِلْمِكَ أَنْ يُبْذَلَ
ولا تبذل ودك بمنحه لمن هب ودب، ولا تتسامح بحلمك أن يذال (يهان)

وَكُنْ مَا بَيْنَ ذَاكَ وَذَلِكَ حَالاً فَلَنْ تُرْضِيَ الْعَدُوَّ وَلَا الْحَمِيمَا
كن وسطاً، فالمبالغة في التودد أو في التشدد غير مفيدة. وأنت - بعد - لن ترضي العدو والصديق
الحميم معاً

٢١ رب الشعر

قال شوقي (١٨٩٧):

قَوَافِ لَرَبِّ الشَّعْرِ، لَا النَّظْمُ طَائِلٌ إِذَا هِيَ سَارَتْ فِي الْبِلَادِ وَلَا النُّقْدُ

هذه قصائد لرب الشعر (صاحب الشعر)، لا النظم الآخر طائل (نافع) في التفوق عليها إذا هي سارت (انتشرت) في البلاد، ولا النقد نافع في الحد من أثرها. كان داود عمون انتقد قصيدة سابقة لشوقي، فشوقي هنا يشير إليه. وقد عاد عمون فرد على شوقي قائلاً:

أَكُلُّ الَّذِي خَطَّتْ يَمِينُكَ مُنْزَلٌ/ وَكُلُّ الَّذِي يَلْقِيهِ فَوْكَ لَنَا شَهْدٌ - على أنه لو كان خصمي مُنْصَفِي/ لَكَانَ جِزَائِي عِنْدَهُ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ - فَإِنِّي قَدْ دَاوَيْتُهُ مِنْ غُرُورِهِ/ وَلَوْلَايَ كَانَ الدَّاءُ يَنْمُو وَيَشْتَدُّ

أَوَانِسُ أَحْيَاناً، شَوَارِدُ تَارَةً لَهَا لَعِبٌ آناً، وَأَنَا لَهَا جِدُّ

القصائد أوانس (أليفة) أحياناً، وشوارد (غريبة كالناقة الشاردة) أحياناً، وهي لاهية أحياناً، وجادة أحياناً

وَتُؤْوِي يَتِيمَاتِ الدُّهُورِ بِيَوْتِهَا فَتُمْسِي وَمِنْ مَبْنَى الْجَلَالِ لَهَا مَهْدُ

وأبيات قصائدي تؤوي المعاني اليتيمة (النادرة) التي لا تأتي إلا نادراً في الدهور، وتمسي هذه المعاني وقد جعل مبنى الجلال (البناء اللفظي الفخم) مهداً لها. إن حل كلام شوقي (تفسيره بالنثر) يلجئنا إلى الكثير من التحايل. تراه يسمي أبيات الشعر بيوتاً، ثم ترى ما وراء ذلك، فالبيت «يؤوي» المعاني، فهي أبيات لأنها من شعر، وهي بيوت لأنها تؤوي. لغة شوقي مركب، ويسير فيها أكثر من تيار في آن معاً. ومن هنا تكتسب رنيناً أقوى، وتشحن المعنى وتكثفه

٢٢ جمدت عيني وعينك

قال شوقي يرثي والده (١٨٩٧):

انْظُرِ الْكَوْنَ وَقُلْ فِي وَصْفِهِ كُلُّ هَذَا أَصْلُهُ مِنْ أَبَوَيْنِ
انظر إلى الكون (يعني أهل الكون) وقل في وصفه: كل هذا أصله من رجل وامرأة

فَقَدْ أَلْجَأْنِي فِي إِجَادِنَا وَنَعَمْنَا مِنْهُمَا فِي جَنَّتَيْنِ
فقد آدم وحواء الجنة في سياق عملية إنجابنا، ونعمنا بهما بجنتين: الأب جنة، والأم جنة

يَا أَبِي! وَالْمَوْتُ كَأْسٌ مُرَّةٌ لَا تَذُوقُ النَّفْسُ مِنْهَا مَرَّتَيْنِ..
يا أبي! بما أن الموت كأس مرة تذوقها النفس مرة واحدة..

لَا تَخَفْ بَعْدَكَ حُزْناً أَوْ بُكَاءً جَمَدَتْ مِنِّي وَمِنْكَ الْيَوْمَ عَيْنُ
فلا تخف علي بعدك حزناً أو بكاءً، فموتك جمدت عيني فلن أبكي غيرك، وجمدت عينك لأنك مت

أَنْتَ قَدْ عَلَّمْتَنِي تَرْكَ الْأَسَى كُلُّ زَيْنٍ مُنْتَهَاهُ الْمَوْتُ شَيْنُ
علمتني ترك الأسى (الحزن)، فكل أمر جميل منتهاه (مسيره) الموت هو على الحقيقة قبيح

لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ لَنَا أَنْ نَلْتَقِيَ مَرَّةً، أَمْ ذَا افْتِرَاقُ الْمَلَوَيْنِ
ليت شعري (يا ترى) هل لنا أن نلتقي مرة أخرى، أم هذا الفراق بيننا كفراق المَلَوَيْنِ (الليل والنهار) فهما دائماً مفترقان لا يأتي أحدهما إلا بذهاب الآخر

٢٣ ليلة عجيبة

قال شوقي في مولد ابنته أمانة ووفاة والده (١٨٩٧):

يَا لَيْلَةً! سَمَّيْتُهَا لَيْلَتِي لِأَنَّهَا بِالنَّاسِ مَا مَرَّتْ
يا لها من ليلة، وقد سميتها ليلتي أنا دون غيري لأن مثلها لم يمر بأحد قلبي

نَبَّهَنِي الْمَقْدُورُ فِي جُنْحِهَا وَكُنْتُ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ
أيقظني المقدور (القدر المحترم) في وسطها، وكنت نصف نائم

الْمَوْتُ عَجْلاً إِلَى الْوَدِيِّ وَالْوَضْعُ مُسْتَعَصٍ عَلَى زَوْجَتِي
كان أبي يحتضر والموت يعاجله، والولادة مستعصية على زوجتي

حَتَّى بَدَا الصَّبْحُ فَوَلَّى أَبِي وَأَقْبَلْتُ بَعْدَ الْعَنَاءِ ابْنَتِي
وبمجيء الصباح ذهب أبي، وجاءت بعد طول التعب ابنتي

فقلت: أَحْكَامُكَ جَزْنَا لَهَا يَا مُخْرَجَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ

فقلت: استبدت بنا الحيرة لأحكامك يا رب، يا من يخرج الحي من الميت

٢٤ الحكم للقوي

قال في الحرب بين تركيا واليونان سنة (١٨٩٧) ويخاطب السلطان عبد الحميد:

بِسَيْفِكَ يَمْلُو الْحَقُّ، وَالْحَقُّ أَغْلَبُ وَيُنْصَرُّ دِينُ اللَّهِ إِيَّانَ تَضْرِبُ

الحق يملو بسيفك، والحق ذو غلبة، ودين الله يُنصر إيان (أيما) تضرب وتحارب

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا آيَةُ الْمَلِكِ فِي الْوَرَى وَلَا الْأَمْرُ إِلَّا لِلَّذِي يَتَغَلَّبُ

وما السيف إلا آية (دليل) الملك عند الناس، وما الأمر (الحكم) إلا لمن يغلب في الحرب

سَهَرَتْ وَنَامَ الْمُسْلِمُونَ بِغَيْطَةٍ وَمَا يُزَعِّجُ النَّوَامُ وَالسَّاهِرُ الْأَبُ

سهرت ترعى شؤون المسلمين فناموا هائنين، ولا ينزعج النائمون أثناء نومهم إذا كان من يسهر عليهم هو أباهم

وَلَمْ يَتَكَلَّفْ قَوْمُكَ الْأَسَدُ أَهْبَةً وَلَكِنْ خُلِقَ فِي السَّبَاعِ التَّأَهُبُ

لم يتكلف قومك الأسود الاستعداد تكلفاً، فالاستعداد خلق (طبع أصيل) في السباع

أَسَأْتُمْ، وَكَانَ السُّوءُ مِنْكُمْ إِلَيْكُمْ، إِلَى خَيْرٍ جَارٍ عِنْدَهُ الْخَيْرُ يُطْلَبُ

أسأتم أيها اليونانيون، وارتد السوء إليكم؛ أسأتم إلى أفضل جار، جار يرتجى منه الخير

فَلَوْلَا سَيْوُفُ التُّرْكِ جَرَّبَ غَيْرُكُمْ وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَا يُجَرَّبُ

ولولا أن للترك قوة لجرب غيركم العصيان، ولكن هناك أشياء لا تجرب لخطورتها

لَقَدْ فَنَيْتَ أَرْزَاقَهُمْ وَرَجَالَهُمْ وَلَيْسَ بِفَانٍ طَيْشُهُمْ وَالتَّقَلُّبُ

هؤلاء اليونانيون نفدت مؤنتهم وقتل رجالهم، ولكن طيشهم وتقلبهم لا ينفدان

فَإِنْ يَجِدُوا لِلنَّفْسِ بِالْعَوْدِ رَاحَةً فَقَدْ يَشْتَهِي الْمَوْتَ الْمَرِيضُ الْمَعْدَبُ

إذا وجدوا في العودة للعصيان راحة، فهم كالمرضى المتألم الذي يشتهي الموت

وَإِنْ هُمْ بِالْعَفْوِ الْكَرِيمِ رَجَاؤُهُمْ فَمِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ أَلَّا يُخَيَّبُوا

وأما إن هم بالعتف الكريم رجاءهم بالعتف الكريم، فمن حسن الأخلاق ألا يُردَّ طلبهم

٢٥ أَكُفَّ تَسِيلَ بِالْخُصُورِ

قال شوقي يصف حفل رقص في قصر عابدين (١٨٩٧):

حَفَّ كَأَسْهَاجِ الْحَبِّ فَهِيَ فِضَّةٌ ذَهَبُ

أحاط بكأس الخمر الحب (الفقاع)، فالفقاع مثل الفضة والخمر كالذهب

الْلُّيُوثُ مَائِلَةٌ وَالطُّبَاءُ تَنْسَرِبُ

الليوث (الأسود/الرجال) واقفون متأهبون، والطباء (الغزلان/النساء) تنسرب (تنساب) أثناء الرقص

فَالْقُدُودُ بَانَ رُبَى بَيْدَ أَنَّهَا تَثْبُ

وقدودهن مثل أغصان البان، بيد أنها (غير أنها) تقفز في الرقص

وَالْخُصُورُ وَاهِيَةٌ بِالْبَنَانِ تَنْجَذِبُ

وخصورهن واهية (نحيلة ضعيفة)، ويجذبها الرجال بالبنان (أطراف الأصابع)

سَالَتِ الْأَكُفُّ بِهَا فَهِيَ أَغْصُنُ نُهْبُ

أكف الرجال سالت بالخصور، فهي غصون مليئة بالثمر وهي منهوبة على أيدي الرجال

وَالْمُدَامُ أَكْوُسُهَا مَا تَغِيضُ وَالْعُلْبُ

لا كؤوس الخمر تغيض (تنضب)، ولا العلب (الأوعية الأكبر/والعلبة هي الوعاء الذي يحلبون فيه الناقة، ولم تكن البيرة في زمن شوقي تُعَبَّأُ في العلب)

وَهِيَ بَيْنَنَا سَلْبٌ وَالنُّهَى لَهَا سَلْبُ

والخمر بين الحاضرين سَلْب (غنيمة)، والنهى (العقول) غنيمة للخمر تأخذها وتذهب بها

لَيْلَةٌ عَالَتْ وَغَلَّتْ لَيْتَ فَجَرَهَا كَذِبُ

ليلة عالية القدر وغالية علينا، ليت الفجر الذي جاء بعدها كان فجراً كاذباً (الفجر الكاذب يسبق الفجر الحقيقي بمدة)

٢٥ لَا أَحَدَ بَعْدَكَ

قال شوقي يرثي سليمان أباظة الذي كان وزير المعارف عقب الثورة العربية (١٨٩٧):

مَنْ ظَنَّ بَعْدَكَ أَنْ يَقُولَ رِثَاءَ فَلْيَرِثْ مِنْ هَذَا الْوَرَى مَنْ شَاءَ

من أراد بعدك رثاء أحد فليرث من الورى (الناس) من يشاء فالناس متشابهون، وأنت فقط كنت المميز

فَجَعَ المَكَارِمَ فَاجِعٌ فِي رَبِّهَا والمَجْدَ فِي بَانِيهِ والعُلِيَاءَ
نَجَعَ المَوْتَ المَكَارِمَ وكانت الفَجِيعَةُ فِي ربِّ المَكَارِمِ (صاحبها/ أي المَرْتَنِي)، وفَجَعَ المَوْتَ المَجْدَ
بِأَخْذِهِ بَانِي المَجْدِ، وفَجَعَ العُلِيَاءَ أَيْضاً

٢٧ أَمِينَةٌ فِي مَصِيدَةِ البَصْرِ

قال شوقي فِي ابنته عِنْدَمَا بَلَغَتْ سَنَةً مِنْ عَمَرِهَا (١٨٩٨):

أَمِينَتِي فِي عَامِهَا الـ أَوَّلِ مِثْلِ المَلَكِ
ابنتي أَمِينَةٌ فِي عَامِهَا الأولِ مِثْلُ المَلَكِ

صَالِحَةٌ لِلْحُبِّ مِنْ كُلِّ وَلِلتَّبَرُّكِ
جَدِيرَةٌ بِالْحُبِّ مِنَ الجَمِيعِ، وَيَتَبَرَّكُونَ بِهَا

فَإِنْ مَشَتْ فَخَاطِرِي يَسْبِقُهَا كَالْمُؤَسِّكِ
إِنْ مَشَتْ فَفَكْرِي يَسْبِقُهَا حَتَّى لِيكَادَ يَمْسِكُهَا خَوْفًا عَلَيْهَا وَشَغْفًا بِهَا

أَلَحَظْتُهَا كَأَنَّهَا مِنْ بَصْرِي فِي شَرَكِ
أَلَحَظْتُهَا (أَتَابَعْتُهَا بِبَصْرِي) كَانَ بَصْرِي لَهَا المَصِيدَةُ فَلَا تَقَلْتُ مِنْهُ

إِنَّ اللَّيَالِي، وَهِيَ لَا تَنْفُكُ حَرْبَ أَهْلِكَ
إِنَّ اللَّيَالِي (مَشْكَلاتِ الدُّنْيَا) وَهِيَ لَا تَنْفُكُ حَرْبًا (مَعَادِيَةً) لِأَهْلِكَ ..

لَوْ أَنْصَفْتُكَ طِفْلَةً لَكُنْتَ بِنْتُ المَلِكِ
لَوْ أَنَّ هَذِهِ المَشْكَلاتِ كَانَتْ مَنْصُفَةً، يَا طِفْلَةً، لَكُنْتَ بِنْتُ المَلِكِ

٢٨ أَنَانِيَةُ الطِّفْلِ

قال شوقي فِي ابنته أَمِينَةٍ وَكَلْبِهَا:

يَا حَبِّذَا أَمِينَةً وَكَلْبُهَا تَحِبُّهُ جَدًّا كَمَا يَحِبُّهَا
يَا حَبِّذَا (مَا أَبْدَعُ!) أَمِينَةً وَكَلْبُهَا! وَهِيَ تَحِبُّهُ وَهُوَ يَحِبُّهَا

جَاءَتْ بِهِ إِلَيَّ ذَاتَ مَرَّةٍ تَحْمِلُهُ، وَهِيَ بِهِ كَالْبَرَّةِ
أَحْضَرْتُهُ إِلَيَّ مَرَّةً تَحْمِلُهُ وَهِيَ كَأَنَّهَا بَرَّةٌ (بَارَّةٌ) بِهِ

فَقُلْتُ: أَهْلًا بِالعُرُوسِ وَابْنِهَا مَاذَا يَكُونُ يَا تُرَى مِنْ شَأْنِهَا
فَقُلْتُ: أَهْلًا بِالعُرُوسِ وَابْنِهَا، فَمَاذَا شَأْنُكَ؟

قالت: غلامي يا أبي جوعانٌ وماله كما لنا لسانٌ

قالت: غلامي جوعان، وليس له لسان ناطق مثلنا ليطلب الطعام

فَمُرْهُمْ يَأْتُوا بِخَبِيزٍ وَلَبَنٌ وَيُحْضِرُوا آنِيَةً ذَاتَ ثَمَنٍ

فلتأمرهم حتى يحضروا له الخبز واللبن الحليب في وعاء ثمين

فَقِمْتُ كَالْعَادَةِ بِالْمَطْلُوبِ وَجِئْتُهَا أَنْظَرُ مِنْ قَرِيبٍ

فقيمت بما طلبت كالعادة، ووقفت أنظر إليها من كثب

فَعَجَنْتُ فِي اللَّبَنِ اللَّبَابَا كَمَا تَرَانَا نُطْعِمُ الْكِلَابَا

فعجنت لب الخبز في اللبن الحليب، كما كانت ترانا نطعم الكلاب

ثُمَّ أَرَادَتْ أَنْ تَذُوقَ قَبْلَهُ فَاسْتَطَعَمَتْ بِنْتُ الْكِرَامِ أَكْلَهُ

وأرادت أن تذوق قبله، فاستطعمت (ذاقت) أكله

هَنَّاكَ أَلْقَتْ بِالصَّغِيرِ لِلرَّوَا وَانْدَفَعَتْ تَبْكِي بِكَاءٍ مُفْتَرَى

عندئذ رمت الكلب الصغير خلفها، وأخذت تبكي بكاء مفترى (كاذباً)

تَقُولُ: بَابَا أَنَا دَحَّا وَهُوَ كُخَّ مَعْنَاهُ بَابَا لِي وَحْدِي مَا طُبِخَ

وتقول: أنا دحَّا وهو كخ، ومعزى كلامها هو أن هذا الذي «طبخته» لها وحدها

فَقُلْ لِمَنْ يَجْهَلُ خَطَبَ الْآنِيَةِ قَدْ فُطِرَ الطِّفْلُ عَلَى الْآنَانِيَةِ

المعنى الملموح: نعم، «كل إناء بما فيه ينضح» والإناء في هذا القول القديم هو نفوس البشر.

فقل لمن يجهل خطب (موضوع) الآنية (النفوس)، إن الطفل أناني بفطرته

٢٩ بتي الغالية

قال شوقي وقد أتمت ابنته أمانة السنة الثانية:

أَمِينَةٌ يَا بِنْتِي الْغَالِيَةِ أَهْنِيكَ بِالسَّنَةِ الثَّانِيَةِ

وَأَسْأَلُ أَنْ تَسْلِمِي لِي السَّنِينَ وَأَنْ تُرْزَقِي الْعَقْلَ وَالْعَافِيَةَ

أسأل الله أن تسلمي لي طول السنين، وأن ترزقي العقل الراجح والصحة

وَأَنْ تُقَسِّمِي لِأَبَرِّ الرِّجَالِ وَأَنْ تَلِدِي الْأَنْفُسَ الْغَالِيَةَ

وأن تقسمي (تكونيني في قسمة ونصيب) لأبَرِّ رجل (رجل كثير البرِّ والفضل)، وأن تنجي أبناء

نفوسهم متطلعة للأعلى

ولكن، سألتك بالوالدين وناشدتك اللعَب الغالية
ولكن، أسألك بالوالدين، وأحلفك بلبعك الغالية عليك (وعلينا أيضاً؟)

أنذرينَ ما مرَّ منَ حادثٍ وما كانَ في السنةِ الماضيةِ
أتعرفينَ ما مرَّ منَ أحداثٍ، وما وقعَ في السنةِ الماضيةِ؟

وكم بُلِّتَ في حُلَلٍ مِنْ حَرِيرٍ وكم قَدْ كَسَرْتَ مِنْ الْآنِيَةِ
وكم قد بُلِّتَ في حلل (أثواب) من حرير، وكم كسرت من الأواني؟

وكم سَهَرْتَ في رضاكِ الجفونُ وأنتِ على غَضَبٍ غافيةِ
وكم سهرت جفوننا لترضيكِ، وأنت تنامين غاضبة؟

وكم قَدْ خَلَّتْ مِنْ أَبيكِ الجيوبُ وليسَتْ جيوْبُكِ بالخاليةِ
وكم مرةً خلا جيب أباك من المال، وجيوبك ملأى (بالحلوى)؟

وكم قَدْ شكا المُرُّ منَ عَيْشِهِ وأنتِ وحَلواكِ في ناحِيَةٍ
وكم شكا أبوك عيشته المرَّ، وأنت متبذة مكاناً قصياً ولا هم لك إلا الحلوى؟

وكم قَدْ مَرَضْتَ فأسْقَمْتِهِ وقمتِ فكنْتَ لَهُ شافيةِ
وكم قد مرضت فمرض أبوك لمرضك، وقمت من المرض فشفيته بقيامك؟

ويَضْحَكُ إنْ جئْتِهِ تَضْحَكِينَ ويبْكِ إذا جئْتِهِ باكيةِ
ويضحك إن ضحكت، ويبكي إن بكيت

وَمِنْ عَجَبِ مَرَّتِ الْحَادِثَاتُ وأنتِ لأَحْدَاثِهَا ناسِيَةٌ
كل هذا مرَّ، وأنت ناسية كل شيء

فلَوْ حَسَدْتَ مَهْجَةً وَلَدَهَا حسَدْتُكِ مِنْ طِفْلَةٍ لاهِيَةٍ
لو كان يمكن أن تحسد المهجة (القلب) ولدها، لحسدتك أيتها الطفلة التي تلهو دائماً

٣٠ وقد جنيت على علي

قال شوقي في مولد ابنة علي، حوالي سنة (١٨٩٨):

صار شوقي أباً علي في الزمان التَّزَلُّلي
صار شوقي «أبا علي» في هذا الزمان التَّزَلُّلي (المتقلب/ كلمة تركية الأصل)

وَجَنَاهَا جَنَائِيَّةٌ لَيْسَ فِيهَا بِأَوَّلٍ
وَجَنَى شَوْقِي جَنَائِيَّةٌ عَلَى وَلَدِهِ بَأَن أَتَى بِهِ لِلدُّنْيَا، وَهُوَ لَيْسَ أَوَّلُ جَانٍ، فَأَبُو شَوْقِي جَنَى عَلَى شَوْقِي

٣١ العبقريّة لا تورث

قال شوقي في مولد ابنه علي، حوالي سنة (١٨٩٨):

رَزَقْتُ صَاحِبَ عَهْدِي وَتَمَّ لِي النِّسْلُ بَعْدِي
رَزَقْتَ وَلِيَّ عَهْدِي، وَضَمَنْتَ أَنَّ يَتِمَّ نَلِيَّ

هُمَّ يَحْسُدُونِي عَلَيْهِ وَيَغْبِطُونِي بِسَعْدِي
يَحْسُدُونِي عَلَيْهِ، وَيَغْبِطُونِي (يَتَمَنُّونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِثْلِي بِلَا حَسَدٍ) بِسَعْدِي (حَظِّي)

وَلَا أَرَانِي وَنَجْجَلِي سَنَلْتَقِي عِنْدَ مَجْدٍ
وَلَا أَرَى أَنَّ ابْنِي سَيَسَاوِينِي فِي الْمَجْدِ وَالْمَكَانَةِ

وَسَوْفَ يَعْلَمُ بَيْتِي أَنِّي أَنَا النِّسْلُ وَحْدِي
سَوْفَ يَعْلَمُ أَهْلُ بَيْتِي أَنَّ النِّسْلَ الْحَقِيقِي الَّذِي سَيَخْلُدُ هُوَ أَنَا فَقَطْ

فِيَا عَلِيَّ لَا تَلُمْنِي فَمَا احْتِقَارُكَ قُضِي
فَلَا تَلْمَنِي عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَا عَلِيَّ، فَلَسْتُ أَقْصِدُ احْتِقَارَكَ (تَصْغِيرَ شَأْنِكَ)

وَأَنْتَ مَنِّي كَرُوحِي وَأَنْتَ مَنْ أَنْتَ عِنْدِي
فَأَنْتَ بِالنِّسْبَةِ لِي مِثْلُ رُوحِي، وَأَنْتَ هُوَ أَنْتَ عِنْدِي وَكَفَى

فَلِإِنْ أَسَاءَكَ قَوْلِي كَذَّبْ أَبَاكَ بِوَعْدٍ
فَإِنْ سَاءَكَ قَوْلِي، فَتَفْضَلْ كَذِّبْنِي بِوَعْدٍ بَأَن تَكُونَ نَابِغاً

٣٢ ظالم

قال شوقي (١٨٩٨):

عَلِّمُوهُ كَيْفَ يَجْفُو فَجْفا ظَالِمٌ لَاقِيْتُ مِنْهُ مَا كَفَى
عَلِّمُوهُ كَيْفَ يَجْفُو (يَهْجُر) فَجْفا، هَذَا الظَّالِمُ لَاقِيْتُ مِنْهُ مَا يَكْفِي

مَسْرَفٌ فِي هَجْرِهِ، مَا يَنْتَهِي أَتُرَاهُمْ عَلِّمُوهُ السَّرْفَا
يَبَالِغُ فِي الْهَجْرِ، وَلَا يَنْتَهِي (لَا يَكْفُ)، فَهَلْ تُرَاهُمْ عَلِّمُوهُ أَيْضاً السَّرْفَ (الْإِسْرَافَ)

٣٣ رثاء الجدة

قال شوقي يرثي جدته لأمه واسمها تمزار، وهي من معتوقات إبراهيم باشا وأصلها من بلاد المورة «اليونان»، جلبت منها أسيرة حرب، قالها عام (١٨٩٨):

خُلِقْنَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ وَمِنْ هَذَيْنِ كُلِّ الْحَادَثَاتِ
خَلَقْنَا لِنَحْيَا ثُمَّ لِنَمُوتَ، وَمِنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ تَشْكَلُ كُلُّ أَحْدَاثِ الدُّنْيَا

صَلَاةُ اللَّهِ يَا تَمَزَارُ تُجْزِي ثَرَاكَ عَنِ التَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ
صَلَاةُ اللَّهِ (ثناؤه) يَا جَدَّتِي تَمَزَارُ تُجْزِي (تُغْنِي) تَرَبَّتْكَ عَنِ التَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ

تَبَنَّاكَ الْمَلُوكُ، وَكَنتِ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَنَيْنِ أَوْ الْبَنَاتِ
تَبَنَّاكَ الْمَلُوكُ، وَكَنتِ مِنْهُمْ (أَيَّ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ) بِمَنْزِلَةِ ابْنِ أَوْ بِنْتِ حَقِيقَتَيْنِ

وَمَا مَلَكُوكُ فِي سَوْقٍ، وَلَكِنْ لَدَى ظِلِّ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ
وَلَمْ يَشْرَوْكَ فِي سَوْقِ الْعَبِيدِ، وَلَكِنْهُمْ أَخَذُوكَ سَبِيَّةً تَحْتَ ظِلِّ الْقَنَا (الرَّمَاحِ) وَالْمُرْهَفَاتِ (السُّيُوفِ)

عَنَنْتِ لَهُمْ بِمُورَةٍ بَنَتْ عَشْرَ وَسَيْفُ الْمَوْتِ فِي هَامِ الْكُمَاةِ
عَنَنْتِ (بَرَزَتْ) لَهُمْ فِي الْمُورَةِ (بِلَادِ الْيُونَانِ) وَعَمَرَكِ عَشْرَ سَنِينَ، وَكَانَ الْمَوْتُ وَقْتُهَا يَنْزِلُ فِي هَامِ (رُؤُوسِ) الْكُمَاةِ (الْمُسْلِحِينَ)

تَبِعْتَ مُحَمَّدًا مِنْ بَعْدِ عِيسَى لِيُخَيِّرَكَ فِي سِنِيكِ الْأَوَّلِيَّاتِ
أَسَلَمْتَ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ عِيسَى، وَهَذَا كَانَ خَيْرًا جَاءَكَ فِي سَنَوَاتِ عَمْرِكَ الْأُولَى

وَلَوْ لَمْ تَظْهَرِي فِي الْعُرْبِ إِلَّا بِأَحْمَدَ كُنْتَ فَخْرَ الْوَالِدَاتِ
وَلَوْ لَمْ تَظْهَرِي (يَبْرُزُ اسْمُكَ) عِنْدَ الْعَرَبِ إِلَّا بِأَحْمَدَ (أَيَّ هُوَ/حَفِيدُهَا أَحْمَدُ شَوْقِي) لَكُنْتَ فَخْرَ الْوَالِدَاتِ (فُضْلَاهُنَّ)

وَأَنْظُرِي فِي تَرَابِكِ ثُمَّ أَغْضِي كَمَا يُغْضِي الْأَبِيُّ عَلَى الْقَدَاةِ
أَنْظُرِي إِلَى قَبْرِكَ ثُمَّ أَغْضِي (أَخْفِضُ بَصْرِي)، مِثْلَمَا يَخْفِضُ الْأَبِيُّ (الْعَزِيزُ النَّفْسُ) بَصْرَهُ عَلَى الْقَدَاةِ (الْوَسْخِ فِي الْعَيْنِ/وَالْمَقْصُودُ الْإِهَانَةُ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ رَدُّهَا)

وَأَذْكُرُ مِنْ حَيَاتِكَ مَا تَقَضَّى فَكَانَ مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى الْغَدَاةِ

عِنْدَمَا أَتَذْكُرُ مَاضِي حَيَاتِكَ الَّذِي انْقَضَى أَرَاهُ كَأَنَّمَا كَانَ مِنَ الْغَدَاةِ (الصَّبَاحِ) إِلَى الصَّبَاحِ التَّالِي، فَعَمَرَ الْمَرْءُ يَمُرُّ بِلَمْحَةٍ بِبَصَرٍ. تَعْلِيْقُ عِمْرَانَ الْقَفِينِي: «شَوْقِي هُنَا الْمُتَنَبِّي لَا رَاحَ وَلَا جَاءَ»، يُشِيرُ إِلَى قَصِيدَةِ الْمُتَنَبِّي فِي رِثَاءِ جَدَّتِهِ.. وَعِنْدَمَا رَأَى شَوْقِي أُمَّهُ اتَّخَذَ قَافِيَةَ الْمُتَنَبِّي وَبَحَرَهُ، وَفِي قَصِيدَتِهِ «ضَخْمًا» أَيْضًا لَكِنْ الضَّخْمُ عِنْدَ شَوْقِي كَانَ مُوَكِّبًا لَا شَخْصًا.. انْظُرِ الْقِطْعَةَ ١٧٢

٣٤ السلام وفطرة السباع

قال شوقي في ديسمبر (١٨٩٩):

صِغَارٌ بِحُلُوانَ تَسْتَبِشِرُ ورؤيتها الفرخ الأكبر
الصغار في «حُلُوان» (الضاحية التي كان شوقي يسكن بها آنذاك) مستبشرون (فرحون) بقدوم العيد،
والفرخ الأكبر هو رؤيتنا لهم

تَهْزُ اللِّوَاءَ بِعِيدِ الْمَسِيحِ وَتُخِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ
يلوحون بأعلام صغيرة في عيد السيد المسيح، ويحيون العيد غير عارفين بمغزاه

وَمِنْ عَجَبٍ مِنْهُمْ الْمَسْلُومُونَ، أَوِ الْمَسْلُومُونَ هُمْ الْأَكْثَرُ
والعجيب أن منهم مسلمين، بل أكثرهم مسلمون

فَلِاسْفَةٍ كُلُّهُمْ فِي اتِّفَاقٍ كَمَا اتَّفَقَ الْأَلُ وَالْمَعْشَرُ
هؤلاء الأطفال فلاسفة في التوافق، ومتفقون على هذا العيد كاتفاق أهاليهم

دِسْمَبْرُ شَعْبَانٍ عِنْدَ الْجَمِيعِ وَشَعْبَانُ لِلْكَلِّ دِسْمَبْرُ
فشهر ديسمبر (وفيه عيد الميلاد عند الغربيين، أما الأقباط فيحتفلون به في أوائل يناير، ولعل
شوقي يصف هنا احتفال أجانب مصر بعيد الميلاد) هو بالنسبة للجميع كشعبان (الذي يحتفل
المسلمون في منتصفه)، والعكس بالعكس

فِيَا لَيْتَ شِعْرِي! أَضَلَّ الصِّغَارُ أَمِ الْعَقْلُ مَا عَنْهُمْ يُؤَثِّرُ
فهل يا ترى أخطأ الصغار، أم ما يؤثر (يؤخذ) عنهم هو العقل بعينه؟

سَوَّالٌ أَقْدَمُهُ لِلْكَبَارِ لَعَلَّ الْكِبَارَ بِهِ أَخْبَرَ
ولي طفلة جازت السننتين كبعض الملائك أو أظهر
ولي طفلة جازت (تخطت) السنتين، وهي كملاك من الملائكة أو أظهر من ملاك

بِعَيْنَيْنِ فِي مِثْلِ لَوْنِ السَّمَاءِ وَسَيْنَيْنِ يَا حَبَّذَا الْجَوْهَرِ
عيناها زرقاوان، ولها سنان كجوهرتين

أَتَنَنِي تُسَائِلُنِي لُغْبَةً لَتَكْسِرَهَا ضَمَنَ مَا تَكْسِرُ
جاءت تطلب مني لعبة، لتكسرها ضمن ما تكسر من أشياء

فَقُلْتُ لَهَا: أَيُّهَذَا الْمَلَاكُ تُحِبُّ السَّلَامَ، وَلَا أُنَكِّرُ
فقلت لها: يا أيها الملاك، أنت تحب السلام، ولا أنكر عليك ذلك

وَلَكِنْ قَبْلَكَ خَابَ الْمَسِيحُ وِبَاءَ بِمَنْشُورِهِ الْقَيْصَرُ

ولكن المسيح من قبلك خاب مسعاه السلمي، والقيصر باء (خاب) بمنشوره الداعي لتوحيد المسيحيين. (أصدر القيصر قسطنطين الأول عقب عقده المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥م، منشوراً بتوحيد عيد الفصح بين المسيحيين في الإسكندرية وروما والقدس وغيرها من أعمال روما. وقد التزم الشرقيون بهذا، ولكن الغربيين نقضوه بعد مئات السنين في عهد البابا غريغوري)

فَلَا تَرْجُ سِلْمًا مِنَ الْعَالَمِينَ فَإِنَّ السَّبَاعَ كَمَا تُفْطَرُ

فلا ترج (تأمل) سلماً من الناس، فالسباع تبقى كما تُفطر (تخلق)

وَمَنْ يَعْدِمُ الظُّفْرَ بَيْنَ الذَّنَابِ فَإِنَّ الذَّنَابَ بِهِ تَظْفَرُ

ومن يعدم (يفقد) الظفر (يقصد التوحش) بين البشر، الذين هم كالذئاب، ظفرت به الذئاب

٣٥ ثَارَ الْقُدْسِ

قال شوقي في «آيا صوفيا» الكنيسة التي شيدت عام ٥٣٢م، وَحَوَّلَتْ إِلَى مَسْجِدٍ عام ١٤٥٣م، ثُمَّ حَوَّلَتْ إِلَى مَتَحَفٍ عام ١٩٣٥م، بعد وفاة شوقي بثلاث سنوات، ولا تزال متحفاً. قال القصيدة سنة (١٨٩٩):

كَنِيسَةٌ صَارَتْ إِلَى مَسْجِدٍ هَدِيَّةُ السَّيِّدِ لِلْسَّيِّدِ

كنيسة تحولت إلى مسجد، فهي هدية السيد المسيح لسيد الإسلام محمد

كَانَتْ بِهَا الْعِذْرَاءُ مِنْ فِضَّةٍ وَكَانَ رُوحُ اللَّهِ مِنْ عَسْجَدٍ

كان بها تمثال للعدراء من الفضة، وكان تمثال روح الله (المسيح) من عسجد (ذهب)

جَلَّاهُمَا فِيهَا وَحَلَّاهُمَا مُصَوِّرُ الرُّومِ الْقَدِيرُ السَّيِّدِ

جلاهما (أبرزهما) في الكنيسة، وحلاهما (زينهما بالخلي) مصور (نحات) الروم ذو اليد الماهرة

فَقُلْ لِمَنْ شَادَ فَهَذَا الْقَوَى قَوَى الْأَجِيرِ الْمُتَعَبِ الْمُجْهَدِ ..

فقل لمن بنى هذا البناء المهيب وهد قوى العمال المتعبين ..

كَأَنَّهُ فِرْعَوْنٌ لَمَّا بَنَى لِرَبِّهِ بَيْتًا فَلَمْ يَقْصِدْ ..

إنه مثل فرعون عندما بنى لربه بيتاً (الأهرام) فلم يقصد (لم يقصد، بل بالغ)

أُيْعِبِدُ اللَّهَ بِسَوْمِ الْوَرَى مَا لَا يُسَامُ الْعَيْرُ فِي الْمَقْوَدِ

قل له: هل يُعبدُ الله بسوم (بتكليف) الوري (الناس) ما لا يسام (يكلّف) العير (الحمار) وهو مقيد بمقوده

كنيسة كالفَدَنِ الْمُعْتَلِي وَمَسْجِدُ كَالْقَصْرِ مِنْ أَضْيَدِ
هذه كنيسة كأنها الفَدَن (القصر) العالي، وصارت مسجداً كانه قصر من الأَصْيَد (الحجر اللامع)
وَاللَّهُ عَنْ هَذَا وَذَا فِي غِنَى لَوْ يَعْقِلُ الْإِنْسَانُ أَوْ يَهْتَدِي
والله في غنى عن المعابد لو يعقل الإنسان ويهتدي للحق

قَدْ جَاءَهَا الْفَاتِحُ فِي عُضْبَةٍ مِنْ الْأَسْوَدِ الرُّكْعِ السُّجْدِ
محمد الفاتح جاء إلى الكنيسة ومعه عصبة (جماعة) من الأسود (الرجال الأشداء) الرُّكْعِ السُّجْدِ
فكَبَرُوا فِيهَا، وَصَلَّى الْعِدَى وَاخْتَلَطَ الْمَشْهَدُ بِالْمَشْهَدِ
فكبروا في الكنيسة، وصلى الأعداء أيضاً صلاتهم، فاختلط المشهذان

فَخَانَهَا مِنْ قِيَصِرٍ سَعْدُهُ وَأُيِّدَتْ بِالْقَيْصَرِ الْأَسْعَدِ
وفيها خان قيصِرُ الروم البيزنطيين سَعْدُهُ (حظه)، ووجدت تأييداً من القيصِرِ الْأَسْعَدِ (ذي الحظ
الأوفر/محمد الفاتح)

وَنَابَ عَمَّا كَانَ مِنْ زُخْرَفٍ جَلَالَةُ الْمَعْبُودِ فِي الْمَعْبَدِ
وناب عما كان فيها من زخارف جلالة الله الذي يُعبد في هذا المعبد

فِيَا لَثَارٍ بَيْنَنَا بَعْدَهُ أَقَامَ لَمْ يَقْرُبْ وَلَمْ يَبْعُدْ
فيا له من ثار بيننا بعد هذا الفتح، وقد أقام (استمر) الثَّارُ، لم يقترب من التحقق ولم يبتعد بل ظل
في النفوس كامناً

بَاقٍ كَثَارُ الْقُدْسِ مِنْ قَبْلِهِ لَا نَنْتَهِي مِنْهُ وَلَا يَنْتَدِي
وهو باق كثار القدس قبله (التي احتلها الصليبيون ثم أخرجوا منها)، ولا تنتهي من أمر هذا الثَّارِ،
ولا هو يتدنى في التحول إلى حرب دموية
قال شوقي هذا قبل أن يجهز الأوروبيون على الدولة العثمانية، وكانوا في زمنه يقضون سيادتها
بشتى الوسائل ويحتلون بعض أطرافها كحصر

فَلَا يَغُرَّنْكَ سَكُونُ الْمَلَا فَالْشَّرُّ حَوْلَ الصَّارِمِ الْمُغْمَدِ
فلا تغترَّ بسكون الملأ (القوم)، فالشر يحوم حول الصارم (السيف) المغمد (الكامن في غمده)

لَنْ يَتْرَكَ الرُّومُ عِبَادَاتِهِمْ أَوْ يَنْزِلَ التَّرْكُ عَنِ السُّوْدَدِ
لن يترك الروم تعبدتهم في هذه التي كانت كنيسة إلا إن ينزل (يتنازل) الترك لهم عن
السيادة عليها. في القصيدة قراءة للتاريخ تشبه كثيراً ما نجده في هذا الزمن (٢٠٠٨م)
عند الإسلاميين من متشددين ومعتدلين، وعند كثيرين من بسطاء الناس. ولعل هذه
القراءة تحتوي على قدر من الصحة أكبر بكثير مما يظن المثقفون، ولا سيما أولئك

الذين صاغ الغرب ثقافتهم أو أثر في وجدانهم. قد قرأ ماركس التاريخ من جهة الاقتصاد، أما توينبي فنظر إليه من جهة الدين. ولا أشك أن هناك طريقة ثالثة أو رابعة تجمع العوامل في توليفة أقرب إلى الصحة. شوقي هنا شاعر الإسلام الذي يحس بالموجة الأوروبية المقبلة، ولكنه يفسرها من ثقب باب الدولة العثمانية دون التفات كبير للمصالح الاستعمارية

٣٦ المستحيل

قال شوقي (١٨٩٩):

لا والقوام الذي، والأعين اللاتي ما خنث ربّ القنا والمَشْرِفِيَّاتِ
لا وحق القوام الذي - سباني -، والأعين اللاتي - ذبحني -، ما خنث صاحب القنا (الرماح)
والمشرفيات (السيف). واضح أن قوامها معتدل كالرمح، وعينها ذبّاحتان كالسيف
ولا أردتُ لِسهمِ اللحظِ في كِبدي رَدّاً، ولا رأيَ لي في المُستحيلاتِ
ولا أردت أن أردّ سهم لحظها (نظرتها) الذي وقع في كبدي، وليس لي حتى رأي (تفكير) في ذلك
فهو من المستحيلات

وأنتَ تَظَرَّبَ للواشي وتُظْمِعُهُ كالطفل ألقى بِسَمْعٍ للخرافاتِ
وأنت أيها المحبوب تطرب لكلام الواشي (ناقل الكلام)، وتُظْمِعُهُ (تشجعه)، كأنك الطفل الذي يلقي سمعه (يصدق) للخرافات

إن السهامَ إذا ما واصلتْ عَرَضاً كانت خواطِئُها مثلُ المُصِيباتِ
إن كلام الواشي كالسهام التي إن ظلت تُرمى نحو المرء تزعجه الخواطئ منها (التي تخطئ الهدف)
كما تزعجه المصيبات (التي تصيب الهدف)
هذا بيت يفهمه من تعرض لحملات تشنيع، ومن اشتغل مديراً

٣٧ زاحم

قال شوقي في دخول ابنه علي السنة الثانية (١٩٠٠):

هـذِهِ أَوَّلُ خُطْوَةٍ هـذِهِ أَوَّلُ كَبُوءَةٍ
هذه أول خطوة لك، وأول كبوة (سَفْطَة)

يا علي! إن أنْتَ أوفيتُ بَ عَلَى سِنِّ الفُتُوَةِ
يا علي! إن أوفيت (قاربت) على سن الفتوة، وصرت فتى يافعاً

دافعِ النَّاسَ وزاحِمِمْ وخذِ العَيشَ بِقُوَّةٍ
فزاحم الناس، وخذ حَقَّك ورزقك بقوة

لَا تَقُلْ: كَانَ أَبِي، إِيَّاهُ أَنْ تَحْذُو حَذْوَهُ

لا تقل: كان أبي يفعل كذا، إياك أن تحذو حذوي

أَنَا لَمْ أَغْنَمْ مِنَ النَّاسِ سِوَى فَنَجَانٍ قَهْوَةً

فأنا لم أغنم من الناس شيئاً، ربما فنجان قهوة فقط

أَنَا لَمْ أُجْزَ عَنِ الْمَدْحِ مِنَ الْأَمْلَاقِ فَسُرُورَةً

ولم أُجْزَ (أكافأ) عن المدح من الأملاك (الملوك) فروة (كسوة فرو) وكانت الملوك تعطي الشعراء الملابس جوائز لهم

أَنَا لَمْ أُجْزَ عَنِ الْكُتُبِ مِنَ الْقُرَاءِ حُظْوَةً

ولم أجز (أكافأ) عن كُتُبِي بحظوة (مكانة) من القراء

ضَيَّعَ الْكُلَّ حَيَاتِي وَعَفَافِي وَالْمُرُورَةَ

كلهم ضيَّع لي حياتي وعفافي والمروءة (كرم النفس)

٣٨ أنا الغريق ..

قُلْ لِلزَّمَانِ يَصُبُّ مِنْ أَحْدَائِهِ أَوْ لَا يَصُبُّ فَمَا بِنَا إِشْفَاقُ

ليصبَّ الزمان أحداثه (مصائبه) إن شاء أو لا يصب فليس بنا إشفاق (خوف)

غَمَرْتُ مَصَائِبُهُ فَأَغْرَقْنَا بِهَا وَالْغَمْرُ فِيهِ تَسْتَوِي الْأَعْمَاقُ

غمرتنا مصائبه، وفي الغمر تستوي (تساوي) الأعماق، فإن غَمَرْنَا من الماء شبر أو متر فالحال واحدة

٣٩ طعين القدود

لَا تَأْخُذَنَّ مِنَ الْأُمُورِ بِظَاهِرٍ إِنَّ الظَّوَاهِرَ تَخْدَعُ الرَّائِيْنَ

لا تأخذ بظواهر الأمور، فهي تخدع الناظرين

فَلَكُمْ رَجَعْتُ مِنَ الْأَسِنَّةِ سَالِمًا وَصَدَرْتُ عَنْ هَيْفِ الْقُدُودِ طَعِينًا

فكثيراً ما عدتُ سالماً بعد مطاعنة بالأسنة (أطراف الرماح)، وصدرت (رجعت) بعد تعرضي للقدود الهيف (بوزن البيض/القدود الهيفاء الرشيقه) طعيناً (مطعوناً)

٤٠ الشكر

هل ترى أنتَ، فلإنِّي لم أجدْ كجميلِ الصُّنْعِ بالشُّكرِ اقترانا
هل ترى رأيي، فأنا لم أجدْ كالاقتران بين المعروف والشكر عليه

وإذا الدنيا خلَّتْ مِنْ خَيْرٍ وَخَلَّتْ مِنْ شَاكِرٍ هَانَتْ هَوَانَا
فإذا خلت الدنيا من خيرٍ ومن يشكره هانت هواناً (أصبحت تافهة)

٤١ عشق العلياء

هِيَ الْجَزِيرَةُ فَاحْذَرْ فِتْنَةَ النَّظَرِ وَكَيْفَ، وَالْحُبُّ يَأْتِي غَيْرَ مُنْتَظَرٍ
إنها الجزيرة (الجزيرة وسط النيل في القاهرة) فاحذر أن يفتك نظرك، وكيف لك أن تنجح في
حذرك والحب يأتي فجأة

أَرْضُ تَرَى الْأَسَدَ تَرَعَى فِي مَلَاعِبِهَا فَكُلُّ مَا شِ عَلَيْهِمَا رَاكِبُ الْخَطَرِ
هذه أرض ترى الأسود ترعى في ملاعبها (رياضها)، فكل من يمشي فيها يركب الخطر

أَلَيْتُ لَا دَارَتْ الْأَشْوَاقُ فِي خَلْدِي وَلَا قَطَعْتُ اللَّيَالِي وَاصِلَ الْفِكْرِ
آليت (حلقت) ألا تدور الأشواق في خلدي (بالي)، وألا أمضي الليالي مفتكراً..

وَلَا أَجَابْتُ سِوَى دَاعِيِ التَّقَى مُقْلِي وَلَا وَقَفْتُ عَلَى غَيْرِ الْعُلَى سَهْرِي
وَألا تجيب مقلي (عيني) سوى ما يدعوني إلى التقوى، وألا أقف (أكرس) سهري على غير العلى
(الطموحات الكبيرة) ..

وَلَا عَشَقْتُ سِوَى الْعَلِيَاءِ غَانِيَةً وَلَا كَلِفْتُ بَغِيرِ الْمَجْدِ وَالْخَطَرِ
وحلقت ألا أعشق غانية (حسناً) سوى العلياء (المجد)، وألا أكلفت (أهيم) إلا بالمجد والخطر ..

وَلَا اسْتَعْنْتُ عَلَى دَهْرِي سِوَى قَلَمِي وَلَا صَحِبْتُ سِوَى الصَّمْصَمَةِ الذَّكْرِ
وحلقت ألا أستعين على زمني بغير قلمي، وألا أصحب سوى الصمصامة (السيف) الذكر (ذي
الحديد الصلب)

٤٢ الفجر الضائع

قَلْبٌ يَذُوبُ وَمَذْمَعٌ يَجْرِي بِأَلِيلٍ هَلْ خَبِرَ عَنِ الْفَجْرِ
مثلاً يسأل المرء عن غائب طال أمد غيابه يسأل شوقي الليل: هل جاءك خبر عن الفجر؟

٤٣ العمر ليلة

يا ناعماً رَقَدَتْ جُفُونُهُ مُضْنَاكَ لَا تَهْدَا شُجُونُهُ
يا ناعماً (متنعماً في عيشته) رقد وأغمض جفونه، مضناك (عاشقك الذي أضنيته وأمرضته) لا تهدأ
شجونه (أحزانه)

حَمَلَ الْهَوَى لَكَ كُلَّهُ إِنْ لَمْ تُعِْنُهُ فَمَنْ يُعِينُهُ
عاشقك حمل وحده ثقل الهوى كله، فإن لم تعنه (تساعده) فمن يعينه؟

مَا الْعَمْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ كَانَ الصَّبَاحُ لَهَا جَبِينُهُ
ما العمر إلا ليلة صباحها يطلع من جبين المحبوب

بَيْنَ الرَّقِيبِ وَبَيْنِنَا وَإِذْ تُبَاعِدُهُ حُزُونُهُ
بيننا وبين الرقيب (العذول) وإذ، ويُبعدُ الوادي عنا حزنونه (جباله)

نَغْتَابُهُ، وَنَقُولُ: لَا بَقِيَ الرَّقِيبُ، وَلَا عِيُونُهُ
نغتاب العذول، وندعو عليه: «عَدِمْنَاهُ وَعَدِمْنَا عِيُونَهُ». ومن حلاوات الغرام، لمن لم يجربه،
اغتيال العذول

٤٤ أحوال العشق

يُرومونَ سُلُوَاناً لِقَلْبِي يُرِيحُهُ وَمِنْ لِيِ السُّلُوَانِ أَشْرِيهِ غَالِبَا
يرومون (يريدون) سلواناً (نسياناً) يحل بقلبي ليرريحه، ومن أين السلوان حتى اشتره ولو غالباً
وما العشقُ إِلَّا لَذَّةٌ ثُمَّ شِفْوَةٌ كَمَا شَقِيَ الْمَخْمُورُ بِالسُّكْرِ صَاحِبَا
وما العشق إلا لذة تليها شقوة (عذاب)، كالمخمور (السكران) يلتذ بالشرب ثم يصحو من سكرته
فيشقى بالصداع

٤٥ الهمشري

يَحْكُونُ أَنَّ رَجُلًا كُرْدِيًّا كَانَ عَظِيمَ الْجِسْمِ هَمْشَرِيًّا
همشري: صائغ لامبال، واقع بين البوهمية والفتك

وَكُلَّمَا مَرَّ هُنَاكَ أَوْ هُنَا يَصِيحُ بِالنَّاسِ: أَنَا أَنَا أَنَا
نَمَى حَدِيثُهُ إِلَى صَبِيٍّ صَغِيرِ جِسْمٍ بَطَلٍ قَوِيٍّ
نمى: بلغ

فَقَالَ لِلْقَوْمِ: سَأُدْرِيكُمْ بِهِ فَتَعْلَمُونَ صِدْقَهُ مِنْ كِذْبِهِ
سَأُدْرِيكُمْ بِهِ: سَأُرِيكُمْوهُ، سَأَعْرِفُكُمْ بِحَقِيقَتِهِ

وَمَدَّ نَحْوَهُ يَمِيناً قَاسِيَةً بِضَرْبَةٍ كَادَتْ تَكُونُ الْقَاضِيَةَ
فَلَمْ يُحَرِّكْ سَاكِناً وَلَا ارْتَبَكَ وَلَا انْتَهَى عَنْ زَعْمِهِ وَلَا تَرَكَ
وَقَفَ الهمشري وما ارتبك، ولكنه ظل على زعمه ولم يتركه

بَلْ قَالَ لِلْغَالِبِ قَوْلًا لَيِّنًا: الْآنَ صَرْنَا اثْنَيْنِ أَنْتَ وَأَنَا
وهكذا الدهاء، لا يخوضون معركة فاصلة، معركة إما قاتلاً وإما مقتولاً، بل يمارسون الخصم
مراساً، فإذا أخذ لنفسه حيزاً أعطوه حيزه وناصفوه وتعايشوا معه. قد أعجبني الهمشري أكثر مما
أعجبني الصبي

٤٦ نديم الباذنجان

كَانَ لِسُلْطَانٍ نَدِيمٌ وَافٍ يُعِيدُ مَا قَالَ بِلاَ اخْتِلَافٍ
نديم السلطان الوفي يساير السلطان في كل ما يقول

فَجَلَسَا يَوْمًا عَلَى الْخَوَانِ وَجِئَ فِي الْأَكْلِ بِبَاذِنْجَانٍ
الخوان: المائدة

فَأَكَلَ السُّلْطَانُ مِنْهُ مَا أَكَلَ وَقَالَ هَذَا فِي الْمَذَاقِ كَالْعَسَلِ
قَالَ النَّدِيمُ: صَدَقَ السُّلْطَانُ لَا يَسْتَوِي شَهْدُ وَبَاذِنْجَانٍ
لا مقارنة بين الشهد (العسل) والباذنجان، فالباذنجان بالطبع أطيب وألذ، أليس هكذا يريد
السلطان؟

قَالَ: وَلَكِنْ عِنْدَهُ مَرَارَةٌ وَمَا حَمِدْتُ مَرَّةً أَثَارَةً
السلطان يتم كلامه: الباذنجان مر. وأثره في المعدة سيء

قَالَ: نَعَمْ مُرٌّ، وَهَذَا عَيْبُهُ مُذْ كُنْتُ يَا مُوَلَايَ لَا أَحِبُّهُ
النديم موافق. ويعلن أنه لم يحبَّ الباذنجان قط

هَذَا الَّذِي مَاتَ بِهِ بُقْرَاطٌ وَسُمِّ فِي الْكَأْسِ بِهِ سُقْرَاطٌ
بل يزيد النديم أن الباذنجان قتل بقراط طبيب اليونان، وكان هو السم الذي شربه سقراط

فَالْتَفَتَ السُّلْطَانُ فِيمَنْ حَوْلَهُ وَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُونَ قَوْلَهُ
يستغرب السلطان من هذا التناقض

قال النديم: يا مليك الناس عذراً فما في فعلتي من باس
جِعلْتُ كي أنادم السُّلطانا ولم أنادم قطُّ بأذنجانا
أنا أنادمك فأمدحك وأسأرك، ولم أكن نديماً للباذنجان فأمدحه

٤٧ ما دام في العالم أم تلد

كَانَ بِرَوْضٍ غُصْنٌ نَاعِمٌ يَقُولُ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُنْفَرِدُ
كان في البستان غصن ناعم يقول: سبحان الله الواحد المنفرد

فقامتي في ظرفها قامتي ومثل حُسنِي في الوري ما عُهد
ويقول الغصن: أما قامتي فهي في ظرفها (جمالها) قامتي - وأنتم أعلم بما هي عليه من جمال -،
ومثل حسني (جمالي) ما عُهد (وُجد) في الدنيا

فأقبلتُ حُنْفُسَةً تَنشِي وَنَجَلُهَا يَمْشِي بِجَنِبِ الْكَيْدِ
فجاءت خنفساء تشي جسمها (فهكذا مشيها، يتحدث ظهرها ثم ينبط) وابنها يمشي قريباً من كبدها
تقول: يا زينَ رياضِ البَها إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُهُ قَدْ وُجِدَ
وهي تقول للغصن المعجب بقامته: إن الحسن الشبيه بحسك، والذي تفتش عنه، موجود

فانظُرْ لِقَدِّ ابْنِي وَلَا تَفْتَحِرْ مَا دَامَ فِي الْعَالَمِ أُمَّ تَلِدُ
فانظر لقدِّ ابني - وقد ابنتها متحدث مثل قدها بالطبع -، ولا تفتخر علينا ما دام هناك في العالم أم
تلد، فكل أم ترى ابنتها في منتهى الجمال

٤٨ من رأيكم في الحمار

الْلَيْثُ مَلِكُ الْقِفَارِ وَمَا تَضُمُّ الصَّحَارِي
الليث: الأسد، القفار: البراري الجرداء

سَعَتْ إِلَيْهِ الرَّعَايَا يَوْمًا بِكُلِّ انْكَسَارِ
الرعايا: أفراد رعيته من مختلف الحيوانات

قَالَتْ: تَعِيشُ وَتَبْقَى يَا دَامِي الْأَظْفَارِ
مَاتَ الْوَزِيرُ فَمَنْ ذَا يَسُوسُ أَمْرَ الصَّوَارِي
يسوس: يدبر، الصواري: الحيوانات المفترسة

قَالَ: الْحِمَارُ وَزِيرِي قَضَى بِهَذَا اخْتِيَارِي

فاسْتَضَحَكْتَ ثُمَّ قَالَتْ: ماذا رأى في الحمار؟
استضحكت: ضحكت، ثم قالت الرعايا لنفسها: ماذا رأى في الحمار من مزايأ حتى يجعله وزيراً؟
وخلَّفتُهُ وطارت بِمُضْجِحِكَ الْأَخْبَارِ
خلفته (تركته) وطارت (انطلقت بسرعة) بالأخبار المضحكة
حتى إذا الشهرُ ولَّى كَلِيلَةً أو نهارِ
ومضى شهر بسرعة كأنه ليلة أو نهار

لَمْ يَشْعِرِ اللَّيْثُ إِلَّا وَمَسْلُكُهُ فِي دِمَارِ
القرْدُ عِنْدَ الْيَمِينِ وَالْكَلْبُ عِنْدَ الْيَسَارِ
وَالْقِطُّ بَيْنَ يَدَيْهِ يَلْهُو بِعَظْمَةٍ فَارِ
فَقَالَ: مَنْ فِي جُودِي مِثْلِي عَدِيمُ الْوَقَارِ
أَيَنْ اقْتِدَارِي وَيَطْشِي وَهَيْبَتِي وَاعْتِبَارِي
فَجَاءَهُ الْقَرْدُ سِرّاً وَقَالَ بَعْدَ اعْتِذَارِ
يَا عَالِي الْجَاؤُ فَبِنَا كُنْ عَالِي الْأَنْظَارِ
يا صاحب الجاه (المكانة) بين الحيوانات، كن صاحب نظر وتدبر

رَأَى الرَّعِيَّةَ فِيكُمْ مِنْ رَأْيِكُمْ فِي الْحِمَارِ
رأى الرعية فيكم مشتق من رأيكم في الحمار

٤٩ فوق التفاصيل

كَانَ لِلْغُرَبَانِ فِي الْعَصْرِ مَلِيكٌ وَلَهُ فِي النَّخْلَةِ الْكُبْرَى أَرِيكَ
ملك: ملك، أريك، أريك: سرير، أريكة

فِيهِ كُرْسِيٌّ وَخِذْرٌ وَمُهَوْدٌ لَصِغَارِ الْمَلِكِ أَصْحَابِ الْعُهُودِ
فيه كرسي (عرش) وخدر (ستر تقبع وراءه النساء) ومهود للصفار أولياء العهد

جَاءَهُ يَوْمًا «نُدُورٌ» الْخَادِمُ وَهُوَ فِي الْبَابِ الْأَمِينُ الْحَازِمُ
ندور: اسم الغراب الخادم الواقف بباب ملك الغراب

قَالَ يَا قَرَعَ الْمَلُوكِ الصَّالِحِينَ أَنْتَ مَا زِلْتَ تَحِبُّ النَّاصِحِينَ
قال للملك: يا سليل الملوك الصالحين، أنت دوماً كنت تحب الناصحين

سُوسَةً كَانَتْ عَلَى الْقَصْرِ تَدُورُ جَازَتْ الْقَصْرَ وَدَبَّتْ فِي الْجُدُورِ

وهناك سوسة (حشرة قارضة) كانت تدور قرب قصركم ثم دبت في الجذور تقرضها

فَابْعَثِ الْغُرَبَانَ فِي إِهْلَاكِهَا قَبْلَ أَنْ نَهْلِكَ فِي أَشْرَاكِهَا

فابعث الغربان لقتلها قبل أن توقعنا في أشراكها (مصايدها) ونهلك

ضَحَكَ السُّلْطَانُ مِنْ هَذَا الْمَقَالَ ثُمَّ أَذْنَى خَادِمَ الْخَيْرِ وَقَالَ

المقال: القول، أدنى: قرَّب

أَنَا رَبُّ الشَّوْكَةِ الضَّافِي الْجَنَاحِ أَنَا ذُو الْمِنْقَارِ، غَلَّابُ الرِّيحِ

أنا ربُّ (صاحب) الشوكة (القوة) الضافي (الواسع) الجناح، أنا ذو المنقار، وأنا الذي يغلب الرياح

أَنَا لَا أَنْظُرُ فِي هَذِي الْأُمُورِ أَنَا لَا أَبْصُرُ تَحْتِي يَا نُدُورُ

أنا أعالج الأمور الخطيرة فقط

ثُمَّ لَمَّا كَانَ عَامٌ بَعْدَ عَامٍ قَامَ بَيْنَ الرِّيحِ وَالنَّخْلِ خِصَامٌ

اشتدت الريح وأخذت تهز النخل

وَإِذَا النَّخْلَةُ أَقْوَى جَذَعُهَا فَبَدَأَ لِلرِّيحِ سَهْلًا قَلَعُهَا

أقوى: صار فارغاً منخوراً

فَهَوَّتْ لِلْأَرْضِ كَالْتِّلِ الْكَبِيرِ وَهَوَى الدِّيَّوَانُ وَانْقَضَّ السَّرِيرُ

فسقطت النخلة أرضاً كأنها «التل الكبير» (كسقوط جيش عرابي السريع أمام الإنجليز في معركة التل الكبير، ولا أرى شوقي يعني شيئاً آخر، وهو الذي أسرف في تبكيت عرابي على هذه الهزيمة)،

وهوى ديوان الملك وانقضَّ (سقط) السرير (سرير الملك: العرش)

فَدَهَا السُّلْطَانُ ذَا الْخَطْبِ الْمَهُولِ وَدَعَا خَادِمَهُ الْغَالِي يَقُولُ

فدها (فاعترى) السلطان ذا (هذا) الخطب (الشان) المهول، ونادى خادمه يقول له: ..

يَا نُدُورَ الْخَيْرِ أَسْعِفْ بِالصَّبَاحِ مَا تُرَى فَعَلْتُ فِينَا الرِّيحَ!

أسعف: ساعد

قَالَ: يَا مَوْلَايَ لَا تَسْأَلُ نُدُورُ أَنَا لَا أَنْظُرُ فِي هَذِي الْأُمُورِ

فالأمر الآن خطير و«ندور» لا ينظر في هذه الكارثة الخطيرة بل ينظر في التفاصيل

٥٠ دودتان

لِدُودَةِ الْقَرِّ عِنْدِي وَدُودَةُ الْأَضْواءِ

دودة القز: دودة الحرير، دودة الأضواء: الدودة المضيفة

حكايةٌ تَشْتَهِيهَا مَسَامِيعُ الْأَذْكِياءِ

لَمَّا رَأَتْ تِلْكَ هَذِي تُسْنِيرُ فِي الظُّلْماءِ

سَعَتْ إِلَيْهَا وَقَالَتْ: تَعْيِشُ ذَاتُ الضُّيَاءِ

أَنَا الْمُؤَمَّلُ نَفْعِي أَنَا الشَّهِيرُ وَفَائِي

حَلَا لِي النَّفْعُ حَتَّى رَضِيتُ فِيهِ فَنَائِي

فدودة القز تموت أثناء عملية استخراج الحرير، فعندما تنسج حول جسمها شرنقة من الخيوط الحريرية يضعونها في الماء المغلي لتموت ولْيأخذوا الشرنقة الحريرية

وَقَدْ أَتَيْتُ لِأَحْظَى بِوَجْهِكَ الْوَضَاءِ

فَهَلْ لِنُورِ الثَّرَى فِي مَوَدَّتِي وَإِخْثَائِي

فهل لك يا نور الأرض أن تقبلي مودتي وإخائي (صداقتي)

قَالَتْ: عَرَضْتِ عَلَيْنَا وَجْهًا بَغِيرِ حَيَاءِ

مَنْ أَنْتِ حَتَّى تُدَانِي ذَاتَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ

السنا: الضوء، السناء: الرفعة

فَامْضِي، فَلَا وَدَّ عِنْدِي إِذْ لَسْتَ مِنْ أَكْفَائِي

وَعِنْدَ ذَلِكَ مَرَّتْ حَسَنَاءُ مَعَ حَسَنَاءِ

تَقُولُ: اللَّهُ ثَوْبِي فِي حُسْنِهِ وَالْبَهَاءِ

كَمْ عِنْدَنَا مِنْ أَيَادٍ لِسِلْسُودَةِ الْغَفَرَاءِ

هناك أيادٍ (أفضال) لدودة القز الغراء (المشرقة)

ثُمَّ انْتَنَتْ فَأَتَتْ ذِي تَقُولُ لِلْحَمَقَاءِ

ثم انتنت (التفتت) فأنت دودة القز تقول للحمقاء دودة الضياء

هَلْ عِنْدَكَ الْآنَ شَكٌّ فِي رُتْبَتِي الْقَعْسَاءِ

هل عندك الآن شك في رتبتي (مرتبتي) القعساء (العظيمة)

وقد رأيت صنيعةً وقد سمعت ثنائياً
إن كان فيك ضياءً إن الثناء ضياءاً

٥١ الغزال والكلب

كَانَ فِيمَا مَضَى مِنَ الدَّهْرِ بَيْتٌ مِنْ بَيُوتِ الْكِرَامِ فِيهِ غَزَالٌ
بَيْتٌ لِأَحَدِ كِرَامِ النَّاسِ فِيهِ غَزَالٌ

يُطْعَمُ اللُّوزَ وَالْفَطِيرَ، وَيُسْقَى عَسَلًا لَمْ يَشُبْهُ إِلَّا الزُّلَالُ
يَقْدَمُ لِلْغَزَالِ اللُّوزَ وَالْفَطِيرَ (المخبوز المكلف بالسكر أو الدَّسَم)، ويسقى عسلاً لم يشبهُ (يخالطه)
إلا الماء الزلال (العذب)

فَأَتَى الْكَلْبَ ذَاتَ يَوْمٍ يُنَاجِيهِ فِيهِ، وَفِي النَّفْسِ تَرْحَةٌ وَمَلَالٌ
جاء إلى الكلب يوماً يناجيه (يهامسه) وفي نفس الغزال ترحة (حزن) وملال (ملل)

قَالَ: يَا صَاحِبَ الْأَمَانَةِ قُلْ لِي كَيْفَ حَالُ الْوَرَى وَكَيْفَ الرُّجَالُ
قال الغزال: يا صاحب الأمانة (فالكلب مشهور بها) كيف حال الدنيا والرجال

فَأَجَابَ الْأَمِينُ وَهُوَ الْقَوْلُ الصَّدِّ سَادِقُ الْكَامِلِ النَّهْيِ الْمِفْضَالُ
قال الأمين (الكلب) وهو القول للصدق، الكامل النهي (العقل) المفضال (صاحب الفضل)

لَا يَغُرُّنَكَ يَا أَخَا الْبَيْدِ مِنْ مَوْ لَكَ ذَاكَ الْقَبُولُ وَالْإِقْبَالُ
لا تغترّ يا أخا البيد (صاحب الصحارى) من مولاك (سيدك) بقوله لك، وإقباله عليك

أَنْتَ فِي الْأَسْرِ مَا سَلِمْتَ فَإِنْ تَمَّ رَضٌ تُقَطَّعُ مِنْ جَسَمِكَ الْأَوْصَالُ
فأنت مجرد أسير لديه وستظل أسيراً ما بقيت سالماً، فإذا مرضت ذبحوك وقطعوا أوصالك
(أعضاءك)

فَاطْلُبِ الْبَيْدَ، وَارْضَ بِالْعُشْبِ قُوتًا فَهَنَّاكَ الْعَيْشُ الْهَنِيُّ الْحَلَالُ
فاطلب البيد (اذهب للصحارى)، وارض بالعشب قوتاً (طعاماً)، فهناك العيش الهنيء الحلال

أَنَا لَوْلَا الْعِظَامُ، وَهِيَ حَيَاتِي لَمْ تَطْبُ لِي مَعَ ابْنِ آدَمَ حَالُ
أنا لولا العظام وهي أصل حياتي، لم تكن لتطيب لي مع ابن البشر الحال

٥٢ سليمان والهدد

وَقَفَ الْهُذُودُ فِي بَا بِ سُلَيْمَانَ بِذِلَّةٍ

قَالَ يَا مَوْلَايَ كُنْ لِي عَيْشَتِي صَارَتْ مُمْلَةً

قال الهدهد لسليمان: يا مولاي كن لي معيناً، فعيشتي صارت مملة

مُتُّ مِنْ حَبَّةٍ بُرٍّ أَحْدَثْتُ فِي الصَّدْرِ غُلَّةً

كدت أموت من حبة بُرٍّ (قمح) أحدثت في صدري غُلة (عطشاً)

لَا مِيَاهُ النَّيْلِ تَرْوِيهِ هَا، وَلَا أَمْوَاهُ دَجَلَةٌ

وهذه الغلة (العطش) لا ترويهها مياه النيل ولا أمواه (مياه) دجلة

وَإِذَا دَامَتْ قَلْبِيلاً قَتَلْتَنِي سَرَّ قِتْلَةٍ

فأشار السيد العا لي إلى مَنْ كَانَ حَوْلَهُ:

قَدْ جَنَى الْهُدْهُدُ ذَنْباً وَأَتَى فِي اللَّوْمِ فَعْلَةً

قال سليمان لمن في مجلسه: قد ارتكب الهدهد ذنباً، وجاء بفعلته لئيمة

تِلْكَ نَارُ الْإِثْمِ فِي الصَّدْرِ، وَذِي الشَّكْوَى تَعْلَةٌ

وما في صدره إنما هي نار الإثم، وأما شكواه فهي تعله (حجة باطلة)

مَا أَرَى الْحَبَّةَ إِلَّا سُرِقْتُ مِنْ بَيْتِ نَمْلَةٍ

إِنْ لِلظَّالِمِ صَدْرًا يَشْنُكِي مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ

كان من فضل المدرسة عليّ أن جعلتني أحفظ هذه القصيدة، فلما حاق بالحافظه المحاق، واكتفى الذهن بما ضمه وضاق، ظلت هذه القصيدة من المحفوظ القديم الذي أؤدي به صلاة الأدب. وقد عجبت كثيراً لهذا الشاب الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين ينظم، وهو يطلب العلم في فرنسا، أشعاراً عن الحيوان فيها أصالة وظرف وذكاء، وتنم عن تجربة واسعة ومعرفة بأغوار النفس الإنسانية. وقرأت أشعار لافونتين، وبه اقتدى شوقي في قصائده عن الحيوان، وأنا أتمنى ألا يكون شوقي سرق منه شيئاً. قرأت لافونتين بترجمة الأب نقولا أبو هنا، وسعدت به، بخفته وظرفه وجمال حكاياته. وسعدت أكثر لأن قصائد شوقي أحلى منها. وبلغت سعادتي منتهاها عندما وجدت شاعراً مبدعاً في كل قصصه. فهو لم يسرق من الفرنسي شيئاً، بل استوحى الفكرة لا غير. وأما لافونتين فقد تأثر بإيسوب ونقل عنه، وتأثر بكليته ودمنة ونقل عنها. وشوقي في قصائده التي على لسان الحيوان صنع قصصه وصنع لكل منها حكمتها، وبعضها ليس فيه حكمة ذات بال، بل فيه نكتة أو كشف لتفاق الإنسان. شوقي في هذا الشعر شاعر خطير، وفنان كبير، وظريف من ظرفاء الأدب العربي النادرين، وعبقري نضج في روحه ونفسه مبكراً. وهذه القصائد تصلح للأطفال، وتصلح للكبار أكثر. وكثير منها يحتاج تذوقه إلى نضج ومعرفة بدقائق النفس البشرية لا يتأتى لطفل. على أن شوقي كتب في المقدمة التي جعلها في صدر الشوقيات عندما صدرت أول مرة عام ١٩٠٠: «أتمنى لو وفقتي الله لأجعل لأطفال المصريين مثل ما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتقدمة: منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم».

٥٣ النملة والمقطم

كَانَتْ النَّمْلَةُ تَمْشِي مَرَّةً تَحْتَ الْمُقَطَّمِ
المقطم: جبل في القاهرة

فَارْتَخَى مَفْصِلَهَا مِنْ هَيْبَةِ الطَّوْدِ الْمُعْظَمِ
التود: الجبل

قَالَتْ الْيَوْمَ هَلَاكِي حَلَّ يَوْمِي وَتَحَتَّمِ
لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْجُو، إِنَّ هَوَى هَذَا، وَأَسْلَمِ
هوى: سقط

فَسَعَتْ تَجْرِي وَعَيْنَا هَا تَرَى الطَّوْدَ فَتَنْدَمِ
تندم؟ ربما على مجيئها لهذا المكان. ولا أراها إلا ولدت فيه

سَقَطَتْ فِي شِبْرِ مَاءٍ هُوَ عِنْدَ النَّمْلِ كَالْيَمِ
ثم إنها وهي تجري سقطت في شبر ماء، وهو بالنسبة للنمل كاليم (البحر)

فَبَكَتْ يَأْساً وَ ٢١٥ قَبْلَ حَلِّ تَجْرِي الْمَاءِ فِي الْفَمِ
ثم قالت، وهي أدري بالذي قالت وأعلم:
البيت كله حشوة طريفة

لَيْتَنِي لَمْ أَتَأَخَّرْ لَيْتَنِي لَمْ أَتَقَدِّمْ
لَيْتَنِي سَلَّمْتُ، فَالْعَا قُلْ مَنْ خَافَ فَسَلِّمْ
صَاحِ! لَا تَخْشَ عَظِيماً فَالَّذِي فِي الْغَيْبِ أَعْظَمُ
صاح: يا صاحبي

٥٤ الثعلب الزاهد

بَرَزَ الثَّعْلَبُ يَوْمًا فِي شِعَارِ الْوَاعِظِينَا
ظهر الثعلب يوماً في شعار (لباس) الواعظين

فَمَشَى فِي الْأَرْضِ يَهْدِي وَيُسَبُّ الْمَاكِرِينَا
ويقول الحمد للهِ إلى العالمينَا

كهف: ملاذ

وازهّدوا في الطّير إنّ الـ عيشَ عيشُ الزّاهدينَا
واطلبوا الديك يؤدّنُ لصلاة الصّبح فينا
فأتى الديك رسولٌ مِن إمام النّاسكينا
فجاء للديك رسول من الثعلب الذي ادعى أنّه إمام النّاسكين

عرَضَ الأمرَ عليهِ وهو يرجو أن يَلينَا
فأجابَ الديك: عُذراً يا أضلّ المُهتدينَا
أنت أيها الرسول مهتدٍ وصالح، ولكنك ضال لعدم فهمك لنوايا الثعلب

بلّغ الثعلب عني عن جدودي الصّالحينَا
أنهم قالوا، وخيرُ الـ قول قولُ العارفينَا:
مُخطئٌ من ظنَّ يوماً أن للثعلب دينَا

٥٥ وجه الشؤم

مرّ الغرابُ بِشاةٍ قد غابَ عنها الفطيمُ
الفطيم: المفطوم، ابنها

تقولُ والدمعُ جارٍ والقلبُ مِنها كليمُ
كليم: مجروح

يا ليتَ شعري يا ابني وواحدي، هل تدومُ
هل تدوم: هل تعيش لي

فقالَ يا أمّ سَعْدٍ هذا عذابُ اليمِ
أم سعد: الشاة، وقال الأبياري إن العوام يلقبون الخروف سعداً

لكلّ يومٍ خطوبٌ تكفي، وشغلٌ عظيمُ
خطوب: مصائب

وبينما هو يهذي أتى النّعيّ الذّميمُ
بينما الغراب يهذي (يثرثر) جاء النعي (الناعي) الذميم (المذموم)

يَقُولُ خَلَّفْتُ سَعْدًا وَالْعَظْمُ مِنْهُ هَشِيمٌ

هشيم: مهشم

رَأَى مِنَ السَّدْذِيبِ مَا قَدْ رَأَى أَبَوْهُ الْكَرِيمُ

فَقَالَ «ذُو الْبَيْنِ» لِلأَمِّ حِينَ وَلَّسْتُ تَهِيمُ

ذو البين: الغراب الذي ينذر بالبين (الفراق)

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ تَوًّا لِكُلِّ يَوْمٍ هُمُومُ

قَالَتْ صَدَقْتَ، وَلَكِنْ هَذَا الْكَلَامُ قَدِيمُ

فَإِنْ قَوْمِي قَالُوا: وَجْهُ الْغُرَابِ مَشُومُ

مشوم: مشوم

٥٦ خيانة صغيرة

كَانَ ابْنُ دَاوُدَ يُقَرَّرُ بِي فِي مَجَالِسِهِ حَمَامَةٌ

ابن داود: النبي سليمان، يقرب: يفضل. والحاكم إذا قرب شخصاً يقربه فعلاً في المجلس فيجلسه قريباً منه

خَدَمَتْهُ عُمَرَاءُ مَثَلَمَا قَدْ شَاءَ، صِدْقًا وَاسْتِقَامَةً

فَمَضَتْ إِلَى عُمَّالِهِ يَوْمًا تُبَلِّغُهُمْ سَلَامَةً

وَالْكُتُبُ تَحْتَ جَنَاحِهَا كُتِبَتْ لَهَا فِيهَا الْكَرَامَةُ

فقد حملها سليمان كتباً (رسائل) وفيها تكريم لها

فَأَرَادَتْ الْحَمَقَاءُ تَعْرِيفُ مِنْ رَسَائِلِهِ كَلَامَةً

عَمَدَتْ لِأَوَّلِهَا، وَكَانَ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِرَامَةً

«رامة»: مكان يعرفه سليمان والحمامة وأحمد شوقي

فَرَأَتْهُ بِأَمْرٍ فِيهِ عَامِلَةٌ بِتَاجٍ لِلْحَمَامَةِ

عاملة: واليه

وَيُشِيرُ فِي الثَّانِي بِأَنْ تُعْطَى رِياضاً فِي تَهَامَةٍ

تهامة: منطقة في الحجاز

وَأَتَتْ لثَالِثِهَا وَلَمْ تَسْتَخِيْ أَنْ فَضَّتْ خِتَامَهُ

فضت ختامه: فكت الختم

فَرَأَتْهُ يَأْمُرُ أَنْ تَكُونَ نَ لَهَا عَلَى الطَّيْرِ الزَّعَامَةُ
فَبَكَتْ لَذَاكَ تَنَدُّمًا هِيَهَاتَ لَا تُجْدِي النَّدَامَةُ
وَأَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ وَهِيَ يَ تَقُولُ: يَا رَبَّ السَّلَامَةُ
قَالَتْ: فَقَدْتُ الْكُتُبَ يَا مَوْلَايَ فِي أَرْضِ الْيَمَامَةِ
لَتَسْرُعَنِي لَمَّا أَتَا نِي الْبَارُ يَدْفَعُنِي أَمَامَةَ
الْبَارُ: طَائِرٌ مِنَ الْكَوَاسِرِ

فَأَجَابَ بَلْ جِئْتَ الَّذِي كَادَتْ تَقُومُ لَهُ الْقِيَامَةُ
لَكُنْ كِفَاكِ عَقُوبَةً مَنْ خَانَ خَانَتُهُ الْكَرَامَةُ
من خان الأمانة خانتته (خللته) الكرامة (التكريم)

٥٧ الثعلب الساذج

قَدْ سَمِعَ الثَّعْلَبُ أَهْلَ الْقُرَى يَدْعُونَ مُخْتَلًا بِـ «يَا ثَعْلَبُ»
فَقَالَ: حَقًّا هَذِهِ غَايَةٌ فِي الْفَخْرِ لَا تُؤْتَى وَلَا تُطْلَبُ
سُرَّ الثَّعْلَبُ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مَثَلًا فِي الْإِحْتِيَالِ. وَهَكَذَا الطِّفْلُ، وَمَعْظَمُ الْكِبَارِ، إِنْ
تَعَجَّبْتَ مِنْ شَيْءٍ يَصْنَعُونَهُ أَسْرَفُوا فِي صَنْعِهِ. قُلْ عَنْ طِفْلٍ إِنَّهُ يُوَسِّخُ ثِيَابَهُ كَثِيرًا، يَأْتِيكَ
بَعْدَ قَلِيلٍ وَثِيَابُهُ مَلَطُخَةٌ بِالطِّينِ. وَقُلْ عَنْ رَجُلٍ إِنَّهُ سَكِيرٌ، تَرَاهُ أَخَذَ يَبَالِغُ فِي السُّكْرِ
حَتَّى يَعْزِزَ هَذِهِ الْمَزِيَّةَ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مَنَا يَبْحَثُ عَنْ مَزِيَّةٍ تَجْعَلُهُ مُنْفَرِدًا لَا يَشْبَهُ غَيْرَهُ.
فَإِنْ كَانَتْ مِمَّا يَسْتَحْسِنُ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَهِيَ أَكْثَرُ تَمَيِّزًا لَهُ

مَنْ فِي النَّهْيِ مِثْلِي، حَتَّى الْوَرَى أَصْبَحْتُ فِيهِمْ مَثَلًا يُضْرَبُ
من مثلي في النهي (العقل)، فحتى الآدميون أصبحوا يضربونني مثلاً
مَا ضَرَّ لَوْ وَاقَيْتُهُمْ زَائِرًا أَرِيهِمْ فَوْقَ الَّذِي اسْتَغْرَبُوا
ها هو يريد تعزيز سمعته بأنه داهية

لَعَلَّهُمْ يُخَيُّونَ لِي زِينَةً يَخْضُرُهَا الدِّيكُ أَوْ الْأَرْنَبُ
زينة: مهرجاناً

وَقَصَّدَ الْقَوْمَ، وَحَيَّاهُمْ وَقَامَ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَخْطُبُ
فَأَخَذَ الزَّائِرُ مِنْ أُذُنِهِ وَأَعْطَى الْكَلْبَ بِهِ يَلْعَبُ
فَلَا تَشُقُّ يَوْمًا بِذِي حِيلَةٍ إِذْ رُبَّمَا يَنْخَلِيعُ الثَّعْلَبُ

٥٨ الْمَنْصِبُ الْفَصِيحُ

مِنْ أَعْجَبِ الْأَخْبَارِ أَنَّ الْأَرْنَبا لما رأى الديك يسبُّ الثعلبا
وهو على الجدارِ في أمانٍ يغلبُ بالمكانِ لا الإمكانِ
رأى الأرنب (ويبدو أنه أرنب ذكر) الديك واقفاً على الجدار العالي متحصناً بمكانه لا بإمكانه
(بقدرته) يسب الثعلب

دَاخَلَهُ الظَّنُّ بِأَنَّ الْمَاكِرا أمسى مِنَ الضَّعْفِ يُطَبِّقُ السَّاخِرَا
داخله (خالجه) الظن بأن الثعلب صار ضعيفاً ولذلك فهو يطبق (يصبر على) الديك الساخر منه
فجاءه يَلْعَنُ مِثْلَ الْأَوَّلِ عِدَادَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مُغْفَلٍ
فجاء الأرنب وبدأ يسب الثعلب مثل الأول (يعني الديك) يسبه عداد (بعدد) ما في الأرض من
مغفلين (ومن المغفل سوى الأرنب؟)

فَعَصَفَ الثَّعْلُبُ بِالضَّعِيفِ عَصَفَ أَخِيهِ الذِّيبِ بِالْخُرُوفِ
ففتك الثعلب بالأرنب مثلما فتك أخوه الذئب بالخروف
وَقَالَ لِي فِي دِمِكَ الْمَسْفُوكِ تَسْلِيَةً عَنْ خَيْبَتِي فِي الدِّيكِ
لي تسلية: لي عزاء

فَالْتَفَتَ الدِّيكُ إِلَى الذَّبِيحِ وَقَالَ قَوْلَ عَارِفٍ فَصِيحِ
فقال الديك من فوق جداره للأرنب الذبيح (المذبوح)

مَا كُلُّنَا يَنْفَعُهُ لِسَانُهُ فِي النَّاسِ مَنْ يُنْطِقُهُ مَكَانُهُ
ليس المهم الفصاحة، المهم الموقع الذي تتكلم منه. كان ليون تروتسكي أفصح من جوزيف
ستالين، ولكن ستالين صنع لنفسه موقعاً داخل الحزب، وكوّن قاعدة ولاء غلب بها تروتسكي

٥٩ النملة العابدة

كَانَتْ بِأَرْضٍ نَمْلَةٌ تَنْبَالَةٌ لَمْ تَسْلُ يَوْمًا لَذَّةَ الْبِطَالَةِ
كان هناك نملة تنبالة (كسولة)، لم تسل (لم تنس) يوماً لذة البطالة (القعود عن العمل)

وَاشْتَهَرَتْ فِي النَّمْلِ بِالتَّقَشُّفِ وَاتَّصَفَتْ بِالزُّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ
لكن، يقوم الليل مَنْ يقاتُ فَالْبَطْنُ لَا تَمْلَأُهُ الصَّلَاةُ

لكن - يقول شوقي - يستطيع قيام الليل وإحياءه بالعبادة من يقات (يأكل)، فالبطن لا تملأه الصلاة

وَالنَّمْلُ لَا يَسْعَى إِلَيْهِ الْحَبُّ وَنَمَلْتَنِي شَقٌّ عَلَيْهَا الدَّابُّ
وَالنَّمْلُ يَسْعَى لِلْحَبِّ وَلَيْسَ الْعَكْسُ، وَأَمَّا نَمَلْتَنِي فَقَدْ شَقَّ عَلَيْهَا (صَعِبَ عَلَيْهَا) الدَّابُّ (الاجتهاد)

فَخَرَجْتُ إِلَى التَّمَّاسِ الْقَوْتِ وَجَعَلْتُ تَطُوفُ بِالْبُيُوتِ
فَخَرَجْتُ تَلْتَمِسُ (تَطْلُبُ) الْقَوْتَ (الطَّعَامَ) وَتَطُوفُ بِبُيُوتِ النَّمَلَاتِ الْأُخْرَيَاتِ

تَقُولُ: هَلْ مِنْ نَمْلَةٍ تَقِيَّةٍ تُنْعِمُ بِالْقَوْتِ لِذِي الْوَلِيَّةِ
تَقُولُ: هَلْ مِنْ نَمْلَةٍ تَقِيَّةٍ تَنْعَمُ بِالْقَوْتِ (تَمْنَحُ الطَّعَامَ) لِذِي الْوَلِيَّةِ (هَذِهِ الْوَلِيَّةُ). وَلَوْ كَسَرْتُ الْوَاوَ فِي
الْوَلِيَّةِ لَمَا أَخْطَأْتُ فَشَوْقِي يَعْنِيهَا أَيْضاً، وَكَدْتُ أَضْعُ كَسْرَةَ عَلَى الْوَاوِ فَرَأَيْتُ شَوْقِي رَافِعاً حَاجِيهِ

لَقَدْ عَيِيتُ بِالطَّوَى الْمَبْرُوحِ وَمَنْذُ لَيْلَتَيْنِ لَمْ أُسَبِّحْ
لَقَدْ عَيِيتُ (تَعَبْتُ) بِالطَّوَى (الْجُوعَ) الْمَبْرُوحِ (الشَّدِيدَ) وَمَنْذُ لَيْلَتَيْنِ لَمْ أُسَبِّحْ لِلَّهِ

فَصَاحَتِ الْجَارَاتُ: يَا لِلْعَارِ لَمْ تَتْرُكْ النَّمْلَةَ لِلضَّرْصَارِ
صَاحَتِ الْجَارَاتُ: يَا لِلْعَارِ، لَمْ تَتْرُكْ النَّمْلَةَ شَيْئاً لِلضَّرْصَارِ الْكَسُولِ

مَتَى رَضِينَا مِثْلَ هَذِي الْحَالِ مَتَى مَدَدْنَا الْكَفَّ لِلسُّؤَالِ
مَتَى نَرْضَى، مَعْتَشِرَ النَّمْلِ، هَذِهِ الْحَالُ، وَمَتَى مَدَدْنَا أَيْدِيَنَا لِلسُّؤَالِ (لِلشُّحْذَةِ)؟

وَنَحْنُ فِي عَيْنِ الْوُجُودِ أُمَّةٌ ذَاتُ اشْتِهَارٍ بَعْلُو الْهِمَّةِ
وَنَحْنُ فِي نَظَرِ النَّاسِ أُمَّةٌ مُشْتَهَرَةٌ بَعْلُو الْهِمَّةِ (الطُّمُوحَ وَالْجَدَّ)

نَحْمِلُ مَا لَا يَضِيرُ الْجِمَالَ عَنْ بَعْضِهِ لَوْ أَنَّهَا نِمَالٌ
نَحْمِلُ مِنَ الْأَثْقَالِ مَا لَا تَطْبِقُ الْجِمَالَ حَمْلَ جِزْءٍ مِنْهُ لَوْ أَنَّهَا مِثْلَانِ (فِيالنِّسْبَةِ وَالتَّنَاسُبِ) نَحْمِلُ النَّمْلَةَ
أَضْعَافَ وَزْنِهَا وَالْجَمْلُ لَا يَحْمِلُ هَذَا

أَلَمْ يَقُلْ مَنْ قَوْلُهُ الصَّوَابُ: مَا عِنْدَنَا لِسَائِلِ جَوَابٍ
السَّائِلُ: الشَّحَازُ

فَامْضِي، فَلِنَّا يَا عَجُوزَ الشُّومِ نَرَى كِمَالَ الزُّهْدِ أَنْ تَصُومِي
الشُّومُ: الشُّومُ

٦٠ نَقْرَةُ الْمَهْمَازِ

بَعْلُ أَتَى الْجَوَادَ ذَاتَ مَرَّةٍ وَقَلْبُهُ مُمْتَلِئٌ مَسْرَةً
بَعْلُ أَتَى إِلَى الْحِصَانِ مَسْرُوراً

فَقَالَ: فَضْلِي قَدْ بَدَا يَا خِلِّي وَأَنْ أَنْ تَعْرِفَ لِي مَحَلِّي

فقال البغل: فضلي قد ظهر يا خلي (صديقي)، وأن أن تعرف لي مكاتي

إِذْ كُنْتَ أَمْسٍ مَاشِياً بِجَانِبِي تَعَجَّبُ مِنْ رُقْصِي تَحْتَ صَاحِبِي

فأمس كنت أنت تمشي بجانبني، وتتعجب من مشي الراقص وصاحبي يركبني

فَضَحَكَ الْحَصَانُ مِنْ مَقَالِهِ وَقَالَ بِالْمَعْهُودِ مِنْ دَلَالِهِ

فضحك الحصان من مقاله (قوله)، وقال له بدلاله المعهود: ..

لَمْ أَرْ رُقْصَ الْبَغْلِ تَحْتَ الْغَازِي لَكِنْ سَمِعْتُ نَقْرَةَ الْمَهْمَازِ

لم أر رقصك تحت الغازي (الفتاح)، لكنني سمعت نقرة مهمازه ينخسك به بكعبه، فانت كنت تعاني الإهانة ولا ترقص بإرادتك

٦١ المستعجل

رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الرِّيَاضِ قُبْرَةً تُطَيِّرُ ابْنَهَا بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ

القبرة: طائر يستحسن الناس صوته

وَهِيَ تَقُولُ: يَا جَمَالَ الْعُشْرِ لَا تَعْتَمِدْ عَلَى الْجَنَاحِ الْهَشِّ

وَقِفْ عَلَى عَوْدٍ بِجَنْبِ عَوْدٍ وَافْعَلْ كَمَا أَفْعَلُ فِي الصُّعُودِ

لَكِنَّهُ قَدْ خَالَفَ الْإِشَارَةَ لَمَّا أَرَادَ يُظْهِرُ الشَّطْرَةَ

وَطَارَ فِي الْفَضَاءِ حَتَّى ارْتَفَعَا فَخَانَهُ جَنَاحُهُ فَوْقَعَا

فَانْكَسَرَتْ فِي الْحَالِ رُكْبَتَاهُ وَلَمْ يَنْلُ مِنَ الْعُلَى مُنَاهُ

وَلَوْ تَأَنَّى نَالَ مَا تَمْنَى وَعَاشَ طَوْلَ عُمُرِهِ مُهَنَّا

لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ وَقْتُهِ وَغَايَةُ الْمُسْتَعْجِلِينَ فَوْتُهُ

فوته: تضييعه

٦٢ فأر الوليمة

فَأَرَّ رَأَى الْقَطَّ عَلَى الْجِدَارِ مَعَذَّباً فِي أَضْيَقِ الْحِصَارِ

وَالْكَلْبُ فِي حَالَتِهِ الْمَعْهُودَةِ مُسْتَجِيعاً لِلْوُثْبَةِ الْمُوعُودَةِ

رأى الفأر القط فوق الجدار، والكلب من الأسفل يحاصره ويستجمع قوته للوثوب عليه

فحاولَ الفأرُ اغتنامَ الفرصةَ وقالَ أَكْفِي القَطِّ هَـذِي العُصَّةُ

حاول الفأر اغتنام الفرصة وقال لنفسه: سأكفي القط (سأجيبه) هذه العصاة (المشكلة)

لعله يَكْتُبُ بالأمانِ لي ولأصحابي مِنَ الجيرانِ

لعله يعطيني أنا وأصحابي الفئران الأمان

فسارَ للكلبِ على يديهِ وَمَكَّنَ الترابَ مِنْ عينيهِ

فسار الفأر نحو الكلب، ونعف التراب ومكّنه من إصابة عينيه

فاشْتَغَلَ «الرّاعي» عَنِ الجِدَارِ وَنَزَلَ القَطُّ على بَدَارِ

فاشغل الراعي (لقب الكلب) بتنظيف عينيه وسها عن الجدار، فنزل القط على بدار (بسرعة)

مبتَهجاً يُفَكِّرُ في وليمةٍ وفي فريسةٍ لها كريمةٍ

كان القط مبتهجاً (مسروراً) وأخذ يفكر في وليمة، وفي فريسة كريمة (كبيرة)

يجعلُها لخطبِهِ علامةً يَذْكُرُها فيذْكُرُ السّلامةَ

يريد جعل الوليمة علامة على سلامته، فكلما تذكرها تذكر أنه سلم من الخطر

فجاءَ ذاكَ الفأرُ في الأثناءِ وقالَ: عاشَ القَطُّ في هَـنَاءِ

فجاء الفأر في هذه الأثناء (في هذا الوقت) ودعا له بالعيش بهناء

رأيتَ في الشُّدَّةِ مِنْ إخلاصي ما كان فيه سببُ الخِلاصِ

وقال: قد رأيت في الشدة (المصيبة) من إخلاصي ما كان سبب خلاصك

وقد أتيتُ أطلبُ الأمانا فامْنُنْ بِهِ لمعشري إحصانا

امنن: تفضل علينا

فقالَ: حقّاً هَـذِهِ كِرامَةٌ غنيمةٌ وقبَلُها سِلامةٌ

يكفيكَ فخرًا يا كريمَ الشِيمةِ أَنْكَ فأرُ الخطبِ والوليمةِ

يكفيك فخرًا يا كريم الشيمة (الخلق)، أنك فأر الخطب (المصيبة) والوليمة أيضاً

وانقَضَ في الحالِ على الضَّعيفِ يأْكُلُهُ بالْمِلْحِ والرَّغيفِ

ثم انقض على الفأر الضعيف وأكله بالملح والرغيف. فلم ترون لتوم وجيري قبل نحو خمسين سنة من ظهورهما

فقلْتُ في المَقامِ قولاً شاعاً مَنْ حَفِظَ الأعداءَ يوماً ضاعاً

٦٣ حصائد الألسنة

يَمَامَةٌ كَانَتْ بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ أَمْنَةً فِي عُشِّهَا مُسْتَتِرَةٌ

يَمَامَةٌ: حَمَامَةٌ بَرِيَّةٌ

فَأَقْبَلَ الصَّيَادُ ذَاتَ يَوْمٍ وَحَامَ حَوْلَ الرُّوْضِ أَيَّ حَوْمٍ
فَلَمْ يَجِدْ لِلطَّيْرِ فِيهِ ظِلًّا وَهَمَّ بِالرَّحِيلِ حِينَ مَلَأَ
فَبَرَزَتْ مِنْ عُشِّهَا الْحَمَقَاءُ وَالْحُمُقُ دَاءً مَا لَهُ دَوَاءُ
تَقُولُ جَهْلًا بِالَّذِي سَيَحْدُثُ: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَمَّ تَبْحَثُ
فَالْتَفَتَ الصَّيَادُ صَوْبَ الصَّوْتِ وَنَحْوَهُ سَدَّدَ سَهْمَ الْمَوْتِ
فَسَقَطَتْ مِنْ عَرْشِهَا الْمَكِينِ وَوَقَعَتْ فِي قَبْضَةِ السَّكِينِ
المكين: المنيع

تَقُولُ قَوْلَ عَارِفٍ مُحَقِّقٍ مَلَكْتُ نَفْسِي لَوْ مَلَكْتُ مَنْطِقِي
منطقي: نُطْقِي

٦٤ الأسد والضفدع

قَالُوا اسْتَوَى اللَّيْثُ عَلَى عَرْشِهِ فَجِيءَ فِي الْمَجْلِسِ بِالضَّفْدَعِ
وَقِيلَ لِلسُّلْطَانِ هَذَا الَّذِي بِالْأَمْسِ آذَتْ عَالِي الْمِسْمَعِ
قِيلَ لِلْأَسَدِ هَذِهِ هِيَ الَّتِي آذَتْ الْمَسْمُوعَ الْعَالِيَّ (أَزَعَجَتْ أُذُنَكَ الْمَجْلَةَ)

تُنْفِقُ الدَّهْرَ بِلاَ عِلَّةٍ وَتَدَّعِي فِي الْمَاءِ مَا تَدَّعِي
تَنْفِقُ الضَّفْدَعُ الدَّهْرَ (طَوَّلَ الدَّهْرَ) بِلاَ عِلَّةٍ (سَبَبٍ)، وَتَدَّعِي أَنَّهَا سُلْطَانَةُ الْمَاءِ

فَانْظُرْ - إِلَيْكَ الْأَمْرُ - فِي ذَنْبِهَا وَنُزْ نَعْلَقُهَا مِنْ الْأَرْبَعِ
مُرْ: فُلْتَأْمُرْ

فَنَهَضَ الْفَيْلُ وَزِيرُ الْعُلَى وَقَالَ: يَا ذَا الشَّرَفِ الْأَرْفَعِ
لَا خَيْرَ فِي الْمَلِكِ وَفِي عِرْزِهِ إِنْ ضَاقَ جِأُ اللَّيْثِ بِالضَّفْدَعِ
جاء: مَكَانَةً

فَكَتَبَ اللَّيْثُ أَمَانًا لَهَا وَزَادَ أَنْ جَادَ بِمُسْتَنْقَعِ

كل مؤسسة لا بد أنها تضم بعض الحمقى، ويجب على مدير كل قسم، ورئيس كل شعبة ألا يضيّق بهم - وإلا فمن أين يرتزقون؟

٦٥ الضيف المقيم

بَيْنَا ضِعَافٌ مِنْ دَجَاجِ الرَّيْفِ تَخْطُرُ فِي بَيْتِ لَهَا ظَرِيفِ
بيننا (بينما) دجاجات ضعاف تخطر (تتمشى) في بيتها

إِذْ جَاءَهَا هِنْدِيٌّ كَبِيرُ الْعُرْفِ فَقَامَ فِي الْبَابِ قِيَامَ الضَّيْفِ
جاءها ديك هندي (ديك رومي/ ديك الحبش) ذو عرف كبير ووقف منها موقف الضيف الزائر
يقول: حَيَّا اللَّهَ ذِي الْوُجُوها وَلَا أَرَاهَا أَبَدًا مَكْرُوها
يقول حيا الله ذي (هذه) الوجوه، وَلَا أَرَاهَا اللَّهُ مَكْرُوها

أَتَيْتُكُمْ أَنْشُرُ فِيكُمْ فَضْلِي يَوْمًا وَأَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ
وَكُلُّ مَا عِنْدَكُمْ حَرَامٌ عَلَيَّ إِلَّا الْمَاءُ وَالْمَنَامُ
فَعَاوَدَ الدَّجَاجُ دَاءَ الطَّيْشِ وَفَتَحَتْ لِلْعِلْجِ بَابَ الْعُشِ
عاد إلى الدجاج داء الطيش، وفتحت للعلاج (الأجنبي) باب العش

فَجَالَ فِيهِ جَوْلَةَ الْمَلِكِ يَدْعُو لِكُلِّ فَرْخَةٍ وَدِيكِ
وَبَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ السَّعِيدَةَ مَمْتَعًا بِدَارِهِ الْجَدِيدَةِ
مَمْتَعًا: مَمْتَعًا

حَتَّى إِذَا تَهَلَّلَ الصَّبَاحُ وَاقْتَبَسَتْ مِنْ نُورِهِ الْأَشْبَاحُ
تهلل: أطل، الأشباح: المخلوقات التي تبدو في الليل كالأشباح

صَاحَ بِهَا صَاحِبُهَا الْفَصِيحُ يَقُولُ: دَامَ مَنْزِلِي الْمَلِيحُ
فَانْتَبَهَتْ مِنْ نَوْمِهَا الْمَشْؤُومِ مَذْعُورَةً مِنْ صِيحَةِ الْعَشُومِ
الغشوم: الظالم

تَقُولُ: مَا تِلْكَ الشَّرُوطُ بَيْنَنَا غَدَرْتَنَا وَاللَّهِ غَدْرًا بَيْنَا
يُن: واضح

فَضَحَكَ الْهِنْدِيُّ حَتَّى اسْتَلْقَى وَقَالَ: مَا هَذَا الْعَمَى يَا حَمْقَى
استلقى: استلقى على ظهره من الضحك. في الزمن القديم كان الناس فيما يبدو هائنين أكثر، فكان الواحد منهم إذا استبد به الضحك استلقى على قفاه؛ أو لعلهم كانوا يفعلون ذلك لأنهم كانوا يجلسون على الأرض فيسهل عليهم الاستلقاء على القفا

مَتَى مَلَكَتُمْ السُّنَّ الْأَرْبَابِ؟ قَدْ كَانَ هَذَا قَبْلَ فَتْحِ الْبَابِ
متى تملكون السن أرباب البيت (أصحابه)! نعم كان ذلك صحيحاً قبل أن تفتحوا لي الباب

٦٦ عصفورتان

عُصْفُورَتَانِ فِي الْحِجَا زَحَلَّتَا عَلَى فَنَنْ
فنن: غصن

فِي خَامِلٍ مِنَ الرِّيَا ضِي، لَا نَدِي وَلَا حَسَنُ
في روض من الرياض الخاملة (غير المعروفة)، وهو روض جاف غير ندي

بَيْنَاهُمَا تَنْتَجِيَا نِ سَحَرًا عَلَى الْغُصْنِ
بيننا (بينما) هما تتجيان (تتهامسان) وقت السحر على الغصن

مَرَّ عَلَى أَيْكِهِمَا رِيحٌ سَرَى مِنَ الْيَمَنِ
مر على الأيك (الأشجار) ريح سرى (سافر ليلاً) قادماً من اليمن

حَيًّا وَقَالَ: دُرَّتَا نِ فِي وَعَاءٍ مُمْتَهَنُ
حيهما وقال: أنتما جوهرتان في وعاء ممتن (مهمّل)؛ أي: أنكما في موضع رديء

لَقَدْ رَأَيْتُ حَوْلَ صَنْدِ عَاءٍ وَفِي ظِلِّ عَدْنُ
خمائلاً كأنها بقيةٌ مِنْ ذِي يَزْنُ
رأيت هناك خمائل (بساتين معشوبة) من حداثق الملك القديم ذي يزن

الْحَبُّ فِيهَا سُكَّرُ وَالْمَاءُ شَهْدُ وَلَبَنُ
لَمْ يَرَهَا الطَّيْرُ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهَا إِلَّا افْتَتَنُ
هَذَا جَنَاحِي أَرْقِيَا هُ سَاعَةً مِنَ الزَّمَنِ
قَالَتْ لَهُ إِحْدَاهُمَا وَالطَّيْرُ مِنْهُنَّ الْفَطْنُ
الذي: الفطن

يَا رِيحُ أَنْتَ ابْنُ السَّبِيحِ لِي مَا عَرَفْتَ مَا السَّكَنُ
ابن السيل: المسافر

هَبْ جَنَّةَ الْخُلْدِ الْيَمَنِ لَا شَيْءَ يَمْدِلُ الْوُطْنُ
افرض أن اليمن هي جنة الخلد، لا شيء يعدل (يساوي) الوطن

٦٧ من يبكيه؟

سَمِعْتُ أَنَّ فَارَةً أَتَاهَا شَقِيقُهَا يَنْعَى لَهَا فَتَاهَا
أخو الفأرة جاء ينعى لها ابنها

يَصِيحُ: يَا لِي مِنْ نُحُوسٍ بَخْتِي مَنْ سَلَطَ الْقِطَّ عَلَى ابْنِ أُخْتِي
ويصيح: يا لنحوس (نحس) حظي، لقد اقترس القط ابن أختي!

فَوَلَوْتُ وَعَضَّتِ الثُّرَابَا وَجَمَعْتُ لِلْمَأْتَمِ الْأَتْرَابَا
ولوّت الفأرة وعضت التراب، وجمعت للمأتم الأتراب (الصدقات)

وَقَالَتْ: الْيَوْمَ انْقَضَتْ لَذَاتِي لَا خَيْرَ لِي بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ
انقضت: انتهت

مَنْ لِي بِهِرٌ مِثْلُ ذَاكَ الْهَرِّ يُرِيحُنِي مِنْ ذَا الْعَذَابِ الْمُرِّ
من لي بهر (ليت هناك هراً) مثل الهر الذي أكل ولدي ليريحني من ذا (هذا) العذاب المر
وكان بالقرب الذي تريدُ يَسْمَعُ مَا تُبْدِي وَمَا تُعِيدُ
وكان بالقرب منها ما تريد (أي الهر) وهو يسمع ما تبدي وتعيد (تكرر) من قول

فَجَاءَهَا يَقُولُ: يَا بُشْرَاكِ إِنَّ الَّذِي دَعَوْتُ قَدْ لَبَّأَكَ
فجاءها يقول: أبشري، فالذي دعوتيه قد لبي نداءك

فَفَزِعَتْ لِمَا رَأَتْهُ الْفَارَةُ وَاعْتَصَمَتْ مِنْهُ بَبَيْتِ الْجَارَةِ
اعتصمت: تحصنت

وَأَشْرَفْتُ تَقُولُ لِلْسَّفَفِيهِ: إِنَّ مُتً بَعْدَ ابْنِي فَمَنْ يَبْكِيهِ
أشرفت (أطلت) تقول للقط السفه: إن مت أنا فمن سيكي ولدي؟ لا أحب أن أختار هذه القصيدة
للتلاميذ في كتاب مدرسي، فالنكتة التي فيها تحتاج إلى أن يمارس المرء الحياة حتى يعرف
يضحك عليها ملء شديقه

٦٨ المستر السعيد

أَلَمْ عَصْفُورٌ بِمَجْرَى صَافٍ قَدْ غَابَ تَحْتَ الْغَابِ فِي الْأَلْفَافِ
ألم (زار) عصفور مجرى مياه صافياً، ولكنه مستور تحت الغاب (القصب) في الألفاف (الأدغال)

يَسْقِي الثَّرَى مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي الثَّرَى خَشْيَةً أَنْ يُسْمَعَ عَنْهُ أَوْ يُرَى
يسقي الثرى (التراب الندي) وهو مستر، لا يريد أن يعرف أحد مكانه

فاغترف العُصفورُ مِنْ إحسانِهِ وحرَّكَ الصنِيعُ مِنْ لسانِهِ
الصنِيعُ : المعروف

فقالَ : يا نورَ عيونِ الأرضِ ومُخجِلَ الكوثرِ يومَ العَرَضِ
قال العصفور للجدول : يا نور عيون (بنايع) الأرض، ويا مخجل الكوثر (نهر الجنة) يوم العرض (القيامة). قد خلع شوقي على جدولهِ كل صفات البشر وجعله يقول ويسمع، ثم أبى إلا أن يبعثه (يوم القيامة) ليعرض على الخالق ويحاسب

هل لك في أن أرشدَ الإنسانَا ليعرفَ المكانَ والإمكانَا
قال له العصفور هل لك في أن أدل الإنسان على مكانك وإمكانك (قدراتك)

لعلَّ أن تُشهرَ بالجميلِ وتُنسيَ الناسَ حديثَ النيلِ
فستشتهر بالمعروف وتفوق على النيل

فالتفتَ الغديرُ للعُصفورِ وقالَ يَهديَ مهجَةَ المغرورِ
فقال الغدير للعصفور هادياً مهجته المغرورة (قلبه المغتر بالناس)

يا أيُّها الشاكِرُ دونَ العالمِ أمَّنَكَ اللّهُ يَدَ ابنِ آدمِ
يا من تشكرني دون كل العالم، وراك الله من يد ابن آدم

النيلُ، فاسمِعْ وافهمِ الحديثَا يُعطيَ ولكنْ يأخذُ الخبيثَا
فالنيل يعطي الخير ويأخذ من الناس كل خيث. يأخذون منه ماء عذباً ويلقون فيه النفايات والمخلفات البشرية والصناعية

من طُولِ ما أبصرَهُ الناسُ نُسيَ وصارَ كُلُّ الفضلِ للمهندسِ
ولطول عهد الناس بالنيل يبصرونه أمامهم نسوا فضله، وصار الفضل لمهندس المياه

وقد عرفتَ حالتي وضدَّها فقلْ لمنْ يسألُ عني بعدَّها
فها قد عرفت يا عصفور حالتي المسترة وضدها (عكسها)؛ أي: حالة النيل المشهور

إنْ خَفِيَ النافعُ فالنفعُ ظَهَرَ يا سَعَدَ مَنْ صافى وصوفي واسترَّ
ليكتب المشاهير هذا البيت الأخير بماء الذهب. كلهم يتمنون لو أن الله ألقى في قلوبهم حب «السترة» وكراهية الشهرة. لكن للشهرة بريقاً عجبياً، ولا يطيقون عنها ابتعاداً. ومن يقع في أسرها تستعبده

٦٩ أحمال الظهر وأحمال الصدر

كان على بعضِ الدُّروبِ جَمَلٌ حمَلَهُ المالكُ ما لا يُحمَلُ

فَقَالَ: يَا لِلنَّحْسِ وَالشَّقَاءِ إِنَّ طَالَ هَذَا لَمْ يَطْلُبْ بَقَائِي
فَجَاءَهُ الثَّعْلَبُ مِنْ أَمَامِهِ وَكَانَ نَالَ الْقَصْدَ مِنْ كَلَامِهِ
جاء الثعلب إلى الجمل الشاكي من ثقل حملة، وقال له وقد نال (فهم) القصد من كلامه

فَقَالَ: مَهْلًا يَا أَخَا الْأَحْمَالِ وَيَا طَوِيلَ الْبَاعِ فِي الْجِمَالِ
قال: مهلاً يا أخا الأحمال (يا ذا الأحمال)، ويا طويل الباع (أيها المتفوق) في الجمال (بين
الجمال)

فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَخِيكَ حَالًا لِأَنْنِي أَتَعَبُ مِنْكَ بِالَا
فأنت أفضل مني حالاً، وأنا أتعب منك بالاً

كَأَنَّ قُدَّامِي أَلْفَ دِيكٍ تَسْأَلُنِي عَنْ دِمِّهَا الْمَسْفُوكِ
يقول الثعلب: أتخيل قدامي (أمامي) ألف ديك عادوا إلى الحياة ليسألوني عن دمهم الذي سفكته

كَأَنَّ خَلْفِي أَلْفَ أَلْفِ أَرْنَبٍ إِذَا نَهَضْتُ جَاذِبْتَنِي ذَنْبِي
وأخيل كأن خلفي ألف ألف أرنب كلما قمت أخذت تجذبني من ذنبي مطالبة بحقها بعد أن أكلتها
وجنيت عليها

وَرُبَّ أُمَّ جِئْتُ فِي مُنَاجِحِهَا فَجَعْتُهَا بِالْفَتْكِ فِي أَفْرَاجِهَا
وثمة أم من أمات الطير كنت جئت إلى مناجحها (مكانها) وفجعتها (دهيتها بدهاية) بأن فتكت
بأفراجها

يَبْعَثُنِي مِنْ مَرْقَدِي بُكَاهَا وَأَفْتَحُ الْعَيْنَ عَلَى شَكْوَاهَا
يبعثني (يوقظني) من مرقدتي بكائها، وأفتح عيني على شكواها

وَقَدْ عَرَفْتَ خَافِيَ الْأَحْمَالِ فَاصْبِرْ، وَقُلْ لَأُمَّةِ الْجِمَالِ
الآن أيها الجمل، وقد عرفت الأحمال الخفية، عليك بالصبر، وقل لأمة الجمال..

لَيْسَ بِحِمْلٍ مَا يَمَلُّ الظَّهْرُ مَا الْحِمْلُ إِلَّا مَا يَعْانِي الصَّدْرُ
.. ليس حملاً ذلك الذي يملأ الظهر، ما الحمل الحقيقي إلا ما يعانیه الصدر من ونز الضمير

٧٠ أخو الودد

كَانَ لِبَعْضِهِمْ حِمَارٌ وَجَمَلٌ نَالَهُمَا يَوْمًا مِنَ الرِّقِّ مَلَلٌ
كان لأحدهم حمار وجمل نالهما (لحق بهما) ملل من الرق (العبودية)

فانتظرا بشائر الظُّلَماءِ وانطلقا معاً إلى البیداءِ

فانتظرا بشائر (أوائل) الظلام، وانطلقا إلى البیداء (الصحراء)

يَجْتَلِيَانِ طَلْعَةَ الْحَرِيَّةِ وَيَنْشَقَانِ رِيحَهَا الذَّكِيَّةُ

يجتليان (يتفرجان على) طلعة (شكل) الحرية، ويتشقان ريحها (رائحتها) الذكية

فاتفقا أَنْ يَقْضِيَا الْعُمْرَ بِهَا وَارْتَضِيَا بِمَائِهَا وَعَشْبِهَا

واتفقا أن يقضيا عمرهما معاً، وارتضيا (قبلاً) بما في الصحراء من ماء وعشب

وَبَعْدَ لَيْلَةٍ مِنَ الْمَسِيرِ انْتَفَتَحَ الْحِمَارُ لِلْبَعِيرِ

وبعد أن سارا ليلتهما، انتفتح الحمار للبعير (الجمال)

وَقَالَ: كَرْبُ يَا أَخِي عَظِيمٌ فَقِفْ، فَمَشِيي كُلُّهُ عَقِيمٌ

قال له: كرب (مصيبة) عظيم، فقف لأن كل مشي عقيم (سدى)

فَقَالَ: سَلْ فِدَاكَ أُمِّي وَأَبِي عَسَى تَنَالُ بِي جَلِيلَ الْمُطْلَبِ

قال الجمل: سل (اسأل) فديتك بأمي وأبي، لعلك تنال بواسطتي المطلب الجليل (العظيم)

قَالَ: انْطَلِقْ مَعِيَ لِإِدْرَاكِ الْمَنَى أَوْ انْتَظِرْ صَاحِبَكَ الْحُرَّ هُنَا

قال الحمار: اذهب معي لإدراك (لتحصيل) المنى، أو انتظرنى هنا. الحمار يسمي نفسه حراً..

لَا بُدَّ لِي مِنْ عَوْدَةٍ لِلْبَلَدِ لِأَنِّي تَرَكْتُ فِيهِ مَقُودِي

فلا بد أن أعود للبلد، لأنني تركت هناك مقودي (رَسَنِي)

فَقَالَ: سِرْ وَالزَّمْ أَخَاكَ الْوَتْدَ فَإِنَّمَا خُلِقْتَ كَيْ تُقَبِّدَا

قال له الجمل: سر والزّم (وصاحب) أخاك الوتد الذي يربطونك به، فأنت قد خلقت عبداً يقيد

بالقيود ولا تليق بك الحرية

٧١ أدب النعجة

كَانَ لِبَعْضِ النَّاسِ نَعَجَتَانِ وَكَانَتَا فِي الْغَيْطِ تَرْعِيَانِ

الغيط: الحقل

إِحْدَاهُمَا سَمِينَةٌ، وَالثَّانِيَةُ عِظَامُهَا مِنَ الْهُزَالِ بَادِيَةٌ

الهزال: النحافة، بادية: ظاهرة

فَكَانَتْ الْأُولَى تُبَاهِي بِالسَّمَنِ وَقَوْلُهُمْ بِأَنَّهَا ذَاتُ الثَّمَنِ

نعجة تباهي بالأخرى بأنها سمينة وغالية الثمن

فتصبرُ الأخرى على الإذلالِ حامِلَةً مرارةَ الإذلالِ
الإذلال: الترفع

حتى أتى الجزَّارُ ذاتَ يومٍ وَقَلَّبَ النعجةَ دونَ القَومِ
جاء الجزار، وَقَلَّبَ النعجة (تفحصها) دون (أمام) القوم

فقالَ للمالِكِ: أَشْتَرِيها، وَنَقَدَ الكيسَ النفيسَ فيها،
وانطلقتُ مِنْ فورِها لأختِها وَهِيَ تَشْكُ في صلاحِ بَختِها
تقولُ: يا أختاهُ خَبِّريني هل تعرفينَ حاملَ السُّكَّينِ
قالتُ: دعيني وهُزالي والزمنُ وَكَلَّمَنِي الجَزَّارَ يا ذاتَ الثَّمنِ
لِكُلِّ حالٍ حلَّوها ومُرَّها ما أدَبَ النعجةَ إلَّا صبرُها
حسن الأدب للنعجة هو صبرها

٧٢ الذي أضحك الحمار الصغير

غزالةٌ مرَّت على أتانٍ تُقَبِّلُ الفَطيمَ في الأُسنانِ
غزالة مرت على أتان (حمارة) تقبل ولدها الفطيم (المفطوم) في فمه ومن أسنانه

وكان خلفَ الظبيةِ ابنُها الرِّشا يُوَدِّها لو حَمَلَتْهُ في الحشا
وخلف الظبية (الغزالة) كان يمشي الرشا (ولد الغزال)، وهي من جها له تود لو حملته في الحشا
(داخل جسمها)

ففعَلْتُ بِسَيِّدِ الصَّغارِ فِعْلَ الأتانِ بابِئِها الحمارِ
فقبلته مثلما فعلت الحمارة بابنها الحمار

فأسرَعَ الحمارُ نحوَ أمِّهِ وجاءها يضحكُ ملءَ فَمِهِ
فركض الحمار نحو أمه ضاحكاً

يصيحُ: يا أمَّاهُ! ماذا قَدَّ دَها حتى الغزالةُ اسْتَحَقَّتْ ابنَها
يقول: يا أمي! ماذا قد دها (حصل)، فحتى الغزالة استخفت ابنها (وجدته خفيف الدم)

٧٣ مصرع الغراب

وَمَمَّهَدٍ في الوَكْرِ مِنْ وَلَدِ الغرابِ مُزَقَّقٍ
رب م مهد (جالس في المهد) من أولاد الغراب، مزقق (يُزَقُّ له الحَب في فمه)

كَرُوَيْهَبٍ مُتَقَلِّسٍ مُتَأَزِّرٍ مُتَمَنِّطٍ
كرويهب (راهب صغير)، متقلّس (يلبس قلنسوة أي طاقية)، متأزّر (يلبس إزاراً)، متمنطق (يضع نطاقاً؛ أي: حزاماً)

لَيْسَ الرَّمَادُ عَلَى سِوَا دِجَنَاحِهِ وَالْمَفْرِقِ
اتخذ لوناً رمادياً يوشح سواد جناحه ومفرقه (رأسه)

كَالْفَحْمِ غَادَرَ فِي الرَّمَا دِ بَقِيَّةً لَمْ تُحْرِقِ
فكانه الفحم الذي تركّ بقايا منه لم تحترق وسط الرماد

تُلُثَاهُ مِنْ قَارٍ وَرَأْسُ سٍ، وَالْأُظَافِرُ مَا بَقِيَ
مقارّه ورأسه ثلثا جسمه، والبقية الأظافر

ضَخُمُ الدِّمَاغِ عَلَى الْخُلُوءِ مِنْ الْحِجَا وَالْمَنْطِقِ
رأسه ضخّم وإن لم يكن فيه حجى (عقل) أو منطق

مِنْ أُمِّهِ لَقِيَ الصَّغِيرَ رُ مِنْ الْبَلِيَّةِ مَا لَقِيَ
لقي هذا الصغير من أمه من البلية (المصيبة) ما لقي

جَلَبَتْ عَلَيْهِ مَا تَذُو دُ الْأُمّهَاتِ وَتَثْقِي
جلبت عليه أمه الأمر الذي تذوده (تبعده) الأمهات عن أولادهن ويتقين شره

فَتِنَتْ بِهِ، فَتَوَهَّمَتْ فِيهِ قُوَى لَمْ تُخْلَقِ
أعجبت به فتوهمت أن فيه قوى غير موجودة

قَالَتْ: كَبِرَتْ، فَثُبَّ كَمَا وَثَبَ الْكِبَارُ، وَحَلَّقِ
قالت له: كبرت ثنب (فاقفز) كالكبار وحلّق (طرّ)

وَرَمَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ، لَمْ تَحْرِصْ وَلَمْ تَسْتَوْثِقِ
ورمت به في الجو دون أن تحرص عليه أو تستوثق (تتأكد)

فَهَوَى، فَمُرَّقَ فِي فَنَاءِ الدَّارِ شَرًّا مُمَرَّقِ
فسقط فتمزق شر تمزّق

وَسَمِعَتْ قَاقَاتٍ تَرَدَّدَ دُ فِي الْفَضَاءِ وَتَرْتَقِي
وقد سمعت قاقات (نعبات غرابية) تتردد في الفضاء وتصعد فيه

ورأيتُ غِرْبَاناً تَفَرَّ - قُ فِي السَّمَاءِ وَتَلْتَقِي
ورأيت الغربان مضطربة في الجو تتفرق وتلتقي
وعرفتُ رَنَّةَ أُمِّهِ فِي الصَّارِخَاتِ النُّعَقِ
وعرفت رنة (صوت) أمه بين إناث الغربان الناعقات
فَأَشْرْتُ، فَالْتَفَتْتُ، فَقُلْتُ لَهَا مَقَالَةً مُشْفِقِي:
فأومأت إليها وقلت لها قول مشفق عطوف لما حدث لابنها:
أَطْلَقْتِهِ، وَلَوْ امْتَحَنْتُ - بَ جَنَاحَهُ لَمْ تُطْلِقِي
لقد أطلقته دون أن تمتحنه، ولو امتحنته لما أطلقته
وَكَمَا تَرْفُقُ وَالِدَاكَ عَلَيْكَ لَمْ تَتَرْفُقِي
ولم تترفقي به كما ترفق بك والداك

٧٤ إياك أن تغتر بالزهاد

أَلْقَى غُلامٌ شَرَكاً يَصْطَاذُ وَكُلُّ مَنْ فَوْقَ الثَّرَى صَيَّادُ
وضع غلام شركاً (مصيده)، وكل من على ظهر الأرض صياد يسعى لرزقه
فَانْحَدَرْتُ عَصْفُورَةٌ مِنَ الشَّجَرِ لَمْ يَنْهَها النَّهْيُ، وَلَا الْحَزْمُ زَجَرَ
فنزلت عصفورة من الشجر لم ينهها (يمنعها) النهي الطبيعي لمثلها عن مثل ذلك الفعل، ولم
يزجرها (يمنعها) الحزم (التعقل)
قَالَتْ: سَلامٌ أَيُّها الْغَلامُ قَالَ: عَلى الْعَصْفُورَةِ السَّلامُ
قَالَتْ: صَبِيٌّ مَنَحَنِي الْقَنَاةَ! قَالَ: حَنَّتْها كَثْرَةُ الصَّلَاةِ
القناة: القامة

قَالَتْ: أَرَأَيْكَ بَادِيَ الْعِظَامِ قَالَ: بَرَّتْها كَثْرَةُ الصَّيَامِ
عظامه مبرية لكثرة الصيام

قَالَتْ: أَرَى فَوْقَ التُّرابِ حَبًّا مِمَّا اشْتَهَى الطَّيْرُ وَمَا أَحَبَّأ
قَالَ: تَشَبَّهْتُ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَقُلْتُ أَقْرَبِي بِائِسَاتِ الطَّيْرِ
أقربى بائسات الطير: أطعم الطيور البائسة

قَالَتْ: فَجُدْ لِي يَا أَخَا التَّنَسُّكِ قَالَ: الْقُطَيْهِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ
قالت: جد لي (اسمح لي) يا صاحب التنسك (العبادة)، فقال: القطي الحب

فَصَلَّيْتُ فِي الْفَخِّ نَارَ الْقَارِي وَمَصَّرَعُ الْعُصْفُورِ فِي الْمِنْقَارِ
فصليت (اصطلت) في الفخ بنار هذا القاري (المطعم)، ومقار العصفور الذي يريد التقاط الحب
هو سبب مصرعه

وَهَتَفْتُ تَقُولُ لِلْأَغْرَارِ مَقَالَةَ الْعَارِفِ بِالْأَسْرَارِ
صاحت تقول للأغرار (للمغفلين) قول العارف بالأسرار

إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِالزُّهَّادِ كَمْ تَحْتَ ثَوْبِ الزُّهْدِ مِنْ صَيَّادٍ

٧٥ الحالة القديمة

لَمَّا أَتَمَّ نُوْحُ السَّفِينَةَ وَحَرَّكَتْهَا الْقُدْرَةُ الْمُعِينَةُ
لما صنع نوح سفينته وحركتها قدرة الله المعينة (المساعدة)

جَرَى بِهَا مَا لَا جَرَى بِبَالٍ فَمَا تَعَالَى الْمَوْجُ كَالْجِبَالِ
جرى لها ما لا يخطر ببال، فما إن علا الموج وصار كالجبال..

حَتَّى مَشَى اللَّيْثُ مَعَ الْحَمَارِ وَأَخَذَ الْقِطُّ بِأَيْدِي الْفَارِ
.. حتى ترافق من الحيوان ما لم يكن يترافق

وَاسْتَمَعَ الْفِيلُ إِلَى الْخِنْزِيرِ مُؤْتَنِسًا بِصَوْتِهِ النَّكِيرِ
مؤتنساً: منشرحاً

وَجَلَسَ الْهَرُّ بِجَنْبِ الْكَلْبِ وَقَبَّلَ الْخُرُوفُ نَابَ الذَّنْبِ
حتى إذا حَطُّوا بسفح الجودي (اسم الجبل الذي رست عليه سفينة نوح بعد أن غيض الماء) وأيقن
ثم رست السفينة على الجودي الجميع بعودة الحياة الطبيعية

عَادُوا إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ الشَّيْمَةُ وَرَجَعُوا لِلْحَالَةِ الْقَدِيمَةِ
فعادوا إلى ما تقتضيه الشيمة (تطلبه) الشيمة (الطبيعة)

فَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ أَحْوَالَ الْبَشَرِ إِنَّ شَمْلَ الْمَحْذُورِ أَوْ عَمَّ الْخَطَرِ
وكذلك يصنع البشر إن شملهم المحذور (الشر الذي منه يحذرون) أو عمهم الخطر

٧٦ النملة فارس الميدان

قَدْ وَدَّ نُوحٌ أَنْ يُبَاسِطَ قَوْمَهُ فِدَعَا إِلَيْهِ مَعَاشِرَ الْحَيَّوَانِ
يباسط: يرفع الكلفة

وَأَشَارَ أَنْ يَلِيَّ السَّفِينَةَ قَائِدٌ مِنْهُمْ يَكُونُ مِنَ النَّهْيِ بِمَكَانٍ
دعا نوح إلى أن يلي (يتولى) السفينة قائد من الحيوانات يكون معروفاً بالنهى (العقل)

فَتَقَدَّمَ اللَّيْثُ الرَّفِيعُ جَلَالُهُ وَتَعَرَّضَ الْفِيلُ الْفَخِيمُ الشَّانِ
وتلاهما باقي السباع، وكلُّهُم خَرُّوا لِهِيبَتِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ
اجتمعت حوله الحيوانات، وخروا (سجدوا) لهيبته حتى مست أذقانهم الأرض

حَتَّى إِذَا حَيُّوا الْمُؤَيَّدَ بِالْهُدَى وَدَعَوْا بِطَوْلِ الْعِزِّ وَالْإِمْكَانِ
فلما أدوا التحية للنبي المؤيد (المدعوم) بالهدى الرباني، ودعوا له بطول العز والإمكان (القدرة)

سَبَقَتْهُمْ لَخَطَابِ نُوْحٍ نَمْلَةٌ كَانَتْ هُنَاكَ بِجَانِبِ الْأَرْدَانِ
سبقتهم في التحدث إلى نوح نملة كانت تقف قريباً من أردانه (أكمامه)

قَالَتْ: نَبِيَّ اللَّهِ، أَرْضِي فَارِسٌ وَأَنَا يَقِيناً فَارِسُ الْمِيدَانِ
قالت: يا نبي الله أرضي بلاد فارس، وأنا خير من يتولى الأمر

سَأَدِيرُ دَفَّتْهَا وَأَحْمِي أَهْلَهَا وَأَقْوِدُهَا فِي عَصْمَةٍ وَأَمَانٍ
وسأدير دفة السفينة في عصمة (حماية) وأمان

ضَحَكَ النَّبِيُّ وَقَالَ: إِنَّ سَفِينَتِي لَهِيَ الْحَيَاءُ وَأَنْتِ كَالْإِنْسَانِ
قال نوح: سفينتي هذه مثال مصغر للحياة، وأنت أيتها النملة مثل الإنسان

كُلُّ الْفَضَائِلِ وَالْعِظَائِمِ عِنْدَهُ هُوَ أَوَّلُ وَالْغَيْرُ فِيهَا الثَّانِي
فهو الأول في كل الفضائل والعظائم (الأمر المهمة)

وَيَوَدُّ لَوْ سَاسَ الزَّمَانَ، وَمَا لَهُ بِأَقْلٍ أَشْغَالِ الزَّمَانِ يَدَانِ
ويود الإنسان لو ساس (أدار) الزمان، في حين ليس له بأقل أشغال (شؤون) الزمان يدان (ليس له
يدان بالشيء: عاجز عن الشيء)

٧٧ غير مهضوم

سَقَطَ الْحِمَارُ مِنَ السَّفِينَةِ فِي الدُّجَى فَبَكَى الرِّفَاقُ لِفَقْدِهِ وَتَرَحَّمُوا
سقط الحمار من سفينة نوح في الدجى (الظلام)، فبكت الحيوانات وترحمت عليه

حَتَّى إِذَا طَلَعَ النَّهَارُ أَتَتْ بِهِ نَحْوَ السَّفِينَةِ مَوْجَةٌ تَتَقَدَّمُ
ومع النهار جاءت به موجة تتقدم باتجاه السفينة

قالت: خُذوه كما أتاني سالماً لم أبتليعه لأنه لا يُهضمُ
قالت: خذوه كما جاءني، فهو لا يهضم (ثقل الظل، غير مهضوم!)

٧٨ تكفيك منه صحبة السفينة

أبو الحُصَيْنِ جالَ في السفينةَ فعرفَ السمينَ والسمينةَ
أبو الحصين (الثعلب) تجول في سفينة نوح، وعرف السمين من الفراخ والسمينة

يقولُ إنَّ حالَهُ استَحالاً وإنَّ ما كان قديماً زالاً
وهو يقول إن حاله استحال (تبدل)، وإن ما كان يفعله في الماضي من اقتراس الطيور قد انتهى

لكونِ ما حلَّ مِنَ المصائبِ مِنْ غضبِ اللَّهِ على الثعالِبِ
وقد أدرك أن مصيبة الطوفان كانت لغضب الله على الثعالب

وَيُغْلِظُ الأَيِّمانَ لِلدُّيوكِ لِمَا عَسَى يَبْقَى مِنَ الشُّكوكِ
وأقسم الأيمان الغليظة للدبوك حتى يزيل شكوكها

قيلَ فلَمَّا تَرَكُوا السفينةَ مشى مَعَ السمينِ والسمينةِ
وعندما انتهى الطوفان، وغادروا السفينة مشى الثعلب بجانب الفراخ السمينة

حتى إذا ما نَصَفُوا الطريقاً لم يبقَ مِنْهُمُ حَوْلُهُ رقيقاً
وفي منتصف الطريق، هربوا منه، ويبدو أنه بادروهم بمحاولة اعتداء

وقال، إذ قالوا عديمُ الدينِ، لا عَجَبُ أنْ حَنِثْتُ يميني
وقالوا له: أنت عديم الدين، فقال: لا عجب أن يميني حثت (بطلت)

فإنما نحنُ بني الدهاءِ نعملُ في الشَّدَّةِ للرِّخاءِ
فنحن أهل الدهاء (الحيلة) نخطط في أيام الشدة (الآزمة) لكي نتفعل بتخطيطنا في أيام الرخاء

وَمَنْ خَشِيتَ أنْ يَبِيعَ دينَهُ تكفيك منه صحبة السفينة
والحكمة: الذي ليس ثابتاً على مبدأه، تكفيك صحبته في وقت الضرورة كما في سفينة نوح

٧٩ ضع رأسك بين الرؤوس

الدُّبُّ معروفٌ بسوءِ الظَّنِّ فاسمِعْ حديثَهُ العجيبَ عني

لَمَّا اسْتَطَالَ الْمُكْتُ فِي السَّفِينَةِ مَلَّ دَوَامَ الْعَيْشَةِ الظَّنِينَةِ
عندما طال المكث (المكوث) في سفينة نوح، مل الدب العيشة الظنينة (المشكوك في مصيرها)
وَقَالَ إِنَّ الْمَوْتَ فِي انتِظَارِي وَالْمَاءَ لَا شَكَّ بِهِ قَرَارِي
وقال لنفسه: الموت في انتظاري، وسيكون قراري (مستقري) في قاع الماء
ثُمَّ رَأَى مَوْجاً عَلَى بُعْدِ عَلا فَظَنَّ أَنَّ فِي الْفَضَاءِ جَبَلا
ورأى موجاً يعلو كأنه جبل في الفضاء
فَقَالَ: لَا بُدَّ مِنَ النُّزُولِ وَصَلْتُ أَوْ لَمْ أَحْظَ بِالْوُصُولِ
فقرر النزول سواء حظي بالوصول إلى الشاطئ أم لم يحظ
قَدْ قَالَ مَنْ أَدَّبَهُ اخْتِبَارُهُ السَّعْيُ لِلْمَوْتِ وَلَا انتِظَارُهُ
فقد قال من أدبه (علمه) اختباره للحياة إن السعي للموت أهون من انتظاره
فَأَسْلَمَ النَّفْسَ إِلَى الْأَمْوَاجِ وَهِيَ مَعَ الرِّيحِ فِي هَيْجٍ
فسلم الدب نفسه للأمواج وهي في هياج (صخب) مع الرياح
فَشَرَبَ التَّعْيِسُ مِنْهَا فَانْتَفَخَ ثُمَّ رَسَا عَلَى الْقَرَارِ وَرَسَخَ
وشرب من الأمواج ماء حتى انتفخ، ورسا في قرار (قعر) البحر
وَبَعْدَ سَاعَتَيْنِ غِيَضَ الْمَاءُ وَأَقْلَعَتْ بِأَمْرِهِ السَّمَاءُ
وسريعاً غيض (أنضب) الماء، وأقلعت (صحت) السماء بأمر الله
وَكَانَ فِي صَاحِبِنَا بَعْضُ الرَّمَقِ إِذْ جَاءَهُ الْمَوْتُ بَطِيئاً فِي الْعَرَقِ
وكان في الدب رمق (بقية حياة)، حيث إن الموت جاءه بطيئاً بعد غرقه
فَلَمَحَ الْمَرْكَبُ فَوْقَ الْجُودِي وَالرَّكْبُ فِي خَيْرٍ وَفِي سُعُودٍ
فرأى المركب قد رسا على الجودي (اسم الجبل الذي رست عليه سفينة نوح)، والركب (الركاب)
بِخَيْرٍ وَسُعُودٍ (حظ طيب)
فَقَالَ: يَا لِحَجْدِي التَّعْيِسِ أَسَأْتُ ظَنِّي بِالنَّبِيِّ الرَّئِيسِ
فقال يا لجدي (حظي) التعس إذ أسأت الظن بنوح
مَا كَانَ ضَرَرَنِي لَوْ امْتَثَلْتُ وَمَثَلَمَا قَدْ فَعَلُوا فَعَلْتُ
هلا كنت امتثلت (أطعت) وفعلت مثل كل الحيوانات!

شوقي شاعر البلاط

في هذا الفصل ما اخترته من شعر شوقي منذ بداية القرن العشرين وحتى إبعاده إلى إسبانيا. كان شوقي شاعر بلاط منذ أن كان في المدرسة، فقد كان ينشر مدائحه في الخديوي وهو تلميذ، ثم دخل المعية الخديوية في السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر. وظل حتى وفاته يمدح الخديوي، ثم السلطان، ثم الملك. فتقسيم الفصول، كما ترى، تقسيم لغرض التقسيم؛ وكيلا يبدو الباب قطعة كبيرة في عينك. ولعل فيه تنشيطاً على القراءة، أو معونة للقارئ في الاهتداء إلى طريقته.

٨٠ كرمة المسلمين

قال شوقي في ثورة البوكسر على المستعمرين في الصين (١٩٠٠):

لِمَنِ الْمَسَاكِنُ كَالْمَقَابِرُ يَاوِي لَهَا حَيٌّ كَغَابِرُ
لمن هذه المساكن التي كأنها مقابر، ويأوي لها حي كأنه غابر (ميت)

مُتَجَنِّبُ الدُّنْيَا عَدُوٌّ لِلْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ
من يتجنب المشاركة في أمور الدنيا يصبه الانحطاط، ويصبح عدواً للأوائل (لأجداده) وللأواخر (لنفسه ولمن سيأتي بعده)

وَلُغَاتُهُ لَا لِمَنَا بَرٍ قَدْ خُلِقْنَ وَلَا الْمَحَابِرُ
ولغات هؤلاء الذين يتجنبون الدنيا لا تصلح للخطابة من على المنابر ولا للكتابة باستخدام المحابر (آية الحبر)

وَعِلْمُهُ دَرَسَتْ وَعَقَا هَا مِنْ الْأَزْمَانِ دَائِرُ
ومتجنب الدنيا علومه قديمة دَرَسَتْ (اُمَحَت)، وعَقَاها (مسخها) الزمان الدائر

وَالْأَمْرُ فِيهِ لِكَاهِنٍ وَالنَّهْيُ مَرْجِعُهُ لِسَاحِرُ
وصاحب الأمر فيه كاهن، وصاحب النهي ساحر مشعوذ، وهذه هي حال المتخلفين

وَمِنْ الْعَجَائِبِ مَا لَوَى ذَنْباً وَلَا رَفَعَ الْعَقَائِرُ
وعجيب أن الأمم المتخلفة لا تلوي ذنباً (لا تعترض) ولا ترفع عقائرها (أصواتها بالاحتجاج)

بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَهُ غَوْرٌ مِنَ الْأَحْقَادِ غَائِرُ
وبين المتخلف وبين بقية العباد غور (وَادٍ) غائر (عميق) من الأحقاد

أُمٌّ يُكَاثِرُهَا الْحَصَى عَدَاً، وَلَيْسَ لَهَا بِكَائِرُ
في الصين أمم يكثرها الحصى (ينافسها في الكثرة) وليس كاثراً لها (متغلباً في الكثرة)

هيهاتَ قَدْ نَفَذَ الْقَضَا ءٌ وَصِرْتُمْ فِي حَكْمٍ قَادِرٍ
انتهى الأمرُ أيها الصينيون فقد نفذ القضاء وصرتُم محكومين لحاكم قادر (للامم الأوروبية)
مَتْلَهُبِ الطَّغْوَى إِذَا أَخَذَ الْفَرِيْسَةَ لَمْ يُغَادِرْ
هذا الحاكم متلهب الطغوى (شديد الطغيان)، إذا أخذ فريسة لم يتركها
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ تَدُو رُ عَلَيْهِ بَعْدَكُمْ الدَّوَائِرُ
يا ترى من تدور عليه الدوائر (المصائب) بعدكم؟
الْوَقْتُ أَضَيَّقُ أَنْ نُغَا لَطَ فِي الْحَقَائِقِ أَوْ نَكَابِرْ
أماننا وقت قصير ولا مجال للمغالطة والمكابرة
لَمْ يَبْقَ إِلَّا كَرَمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ نَاطِرٍ
بقي للمسلمين كرامة (بستان) وليس لها ناظر (ناطور/ حارس)
إِنْ نَامَ عَنْهَا الْحَافِظُو نَ فَإِنَّ جَفْنَ الشَّرِّ سَاهِرٌ
إن نام حافظو البستان عنه فإن عين الشر ساهرة متربصة به
مَنْ كَانَ يَرْقُبُ فَرْصَةً فَلْيَغْنِمِ الْفُرْصَ الْخَوَاضِرُ
إن كنا نريد انتهاز الفرصة، فلنغنم الفرصة الحاضرة
لَا يَمْشِيَنَّ السُّلْحَفَا ءٌ وَغَيْرُهُ لِّلْمَجْدِ طَائِرُ
ولا نمشِ السلحفاء (مشي السُلْحَفَاء) بينما غيرنا يطير طيراناً في تقدمه العلمي

٨١ حكمة

أَتَغْلِبُنِي ذَاتُ الدَّلَالِ عَلَى صَبْرِي إِذْنُ أَنَا أَوْلَى بِالْقِنَاعِ وَبِالْخَذْرِ
هل تغلبني الفتاة ذات الدلال وتجعلني أفقد صبري؟ إذن فأنا أولى بالقناع (الخمار) وبالخدر
(الستار الذي «كان» يفصل الخريم عن الرجال)
تَتِيهْ، وَلِي جِلْمٌ إِذَا مَا رَكِبْتُهُ رَدَدْتُ بِهِ أَمْرَ الْغَرَامِ إِلَى أَمْرِي
تته (تتكبر) ولي جلم (طول بال) إذا ما ركبته (استعملته) أرجعت الأمر ليكون في يدي أنا
وَمَا دَفَعِي السُّوَامَ فِيهَا سَامَةً وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ أَزَجَرَ لِلْحُرِّ
ولست أرد كلام اللاتمين بشأنها ملأ منهم، ولكن لأن نفس الحر هي الأزر (الأكثر ردعاً) له
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مِنْ عَيْشَةٍ غِنًى فَلَا بُدَّ مِنْ يُسْرِ وَلَا بُدَّ مِنْ عُسْرِ
وبما أن المرء لا غنى له عن العيشة فلا بد أن يأخذها بيسرها وبعسرها

وَمَنْ يَخْبِرِ الدُّنْيَا وَيَشْرَبْ بِكَاسِهَا يَجِدُ مُرَّهَا فِي الْحُلُوِّ، وَالْحُلُوِّ فِي الْمُرِّ
والذي يعرف الدنيا حقاً ويشرب من كأسها يجد حلوها ممزوجاً بالمر، ومرها ممزوجاً بالحلو
وَمَنْ كَانَ يَغْزُو بِالنَّعْلَاتِ فَقْرَهُ فَإِنِّي وَجَدْتُ الْكَدَّ أَقْتَلَ لِلْفَقْرِ
ومن يحارب فقره بالنعلات (بالحجج)، فإنني وجدت الكد (الاجتهاد والتعب) أحسن لقتل الفقر
وَمَنْ يَسْتَعِينُ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ يَخُنُّهُ الرِّفِيقُ الْعَوْنُ فِي الْمَسْلَكِ الْوَعْرِ
والذي يستعين في شؤونه بالآخرين يخونه الرفيق العون (المعين) في لحظة الضيق وفي المسلك
(الممر) الوعر

وَمَنْ لَمْ يُقِمَّ سِتْرًا عَلَى عَيْبٍ غَيْرِهِ يَعِشْ مُسْتَبَاحَ الْعَرَضِ مِنْهَتِكَ السِّتْرِ
والذي لا يستر عيوب الآخرين يعيش مستباح العرض ومنهتك (ممزق) الستر
وَمَنْ لَمْ يُجَمِّلْ بِالتَّوَاضُعِ فَضْلَهُ يَبْنُ فَضْلُهُ عَنْهُ، وَيَعْطَلُ عَنِ الْفَخْرِ
والذي لا يزين معروفه بالتواضع يبن (يعد) فضله عنه، ويعطل (يتجرد) عن الفخر

٨٢ شاعر لا يجارى

قال شوقي (١٩٠٠):

بَدَأَ الطَّيْفُ بِالْجَمِيلِ وَزَارَا يَا رَسُولَ الرِّضَا وَقِيَتَ الْعِثَارَا
بدأني طيف (خيال) المحبوب بالجميل (بالمعروف) فزارني وأنا غاف. فيا أيها الطيف، يا أيها
الرسول الذي يحمل رضا المحبوب، وفاق الله العثار (التعثر)

حَسَنٌ يَا خِيَالُ صَنَعُكَ عِنْدِي أَجْمَلُ الصَّنْعِ مَا يُصِيبُ افْتِقَارَا
حسن يا خيال صنعك (معروفك) عندي، وأجمل المعروف ما يصيب (يصادف) افتقاراً (حاجة
ماسة)

أَيُّهَا الْعَاذِلُونَ نِمْتُمْ وَرَامَ السُّدَّ هَهُدُ مِنْ مُقْلَتَيَّ أَمْرًا فَصَارَا
أيها العاذلون نمتم أنتم، ورام (طلب) السهد (النوم الخفيف) من مقْلَتَيَّ (عيني) أمراً فحدث الأمر

آفَةُ النَّصْحِ أَنْ يَكُونَ جِدَالًا وَأَذَى النَّصْحِ أَنْ يَكُونَ جِهَارًا
آفة (مشكلة) النصح أن يكون جدالاً، ويتحول النصح إلى أذى عندما يكون جهاراً (علانية)

سَأَلْتَنِي عَنِ النَّهَارِ جُفُونِي رَجِمَ اللَّهْ يَا جَفُونِي النَّهَارَا
سألتني جفوني متى يطلع النهار، ألا رحمة الله على النهار (يدو أن النهار مات ولم يعد يطلع
لطول ليلي)

قُلْنَ: نَبِيهِ، قُلْتُ: هَاتِي دُمُوعاً قُلْنَ: صَبِراً، فَقُلْتُ: هَاتِي اضْطِباراً
فَقَالَتِ الْجَفُونَ: هَلُم نَبِيكِ النَّهَارَ، قُلْتُ هَاتِي دُمُوعاً فَقَدْ تَفَدَّتْ دُمُوعِي؛ فَقُلْنَ اصْبِرْ، فَقُلْتُ: هَاتِي
اضْطِباراً (صَبِراً)

لَمْ نُفِقْ مِنْكَ يَا زَمَانُ فَنَشْكُو مَدْمَنُ الْخَمْرِ لَيْسَ يَشْكُو الْخُمَارُ
أَيُّهَا الزَّمَانُ لَمْ نَفِقْ (نَضَحْ) بَعْدَ مِنْ مَصَائِبِكَ حَتَّى تَتَفَرَّغَ لِلشَّكْوَى، وَمَدْمَنُ الْخَمْرِ يَتَعَوَّدُ عَلَى الْخَمَارِ
(صَدَاعُ السَّكْرِ) فَلَيْسَ يَشْكُوهُ

فَاصْرِفِ الْكَأْسَ مُشْفِقاً، أَوْ فَوَاصِلْ خَرَجَ الرُّشْدُ مِنْ أَكْفِ السَّكَارَى
فَاصْرِفْ (أَبْعِدْ) الْكَأْسَ رَفَقاً بِي، أَوْ فَوَاصِلْ سَقِي، فَقَدْ خَرَجَ الْأَمْرُ مِنْ أَيْدِي السَّكَارَى وَلَمْ يَعُودُوا
يَهْتَمُونَ بِشَيْءٍ

شُعْرَاءُ الزَّمَانِ مَهْلَأٌ رُوَيْدًا إِنَّ فِي مِصْرَ شَاعِرًا لَا يُجَارَى
يَا شُعْرَاءَ الزَّمَانِ مَهْلَأٌ، وَتَرِيثُوا، إِنَّ فِي مِصْرَ شَاعِرًا لَا يُجَارَى (يَنَافَسُ)

حَامِلًا فِي الصَّبَا لَوَاءَ الْقَوَانِي مُسْتَرْقًا لِمُلْكِهِ الْأَشْعَارَا
حَامِلًا مِنْذُ صَبَاهُ لَوَاءَ (رَايَةَ) الْقَوَانِي (الشَّعْرَ)، مُسْتَرْقًا (مُسْتَعْبِدًا) لِمُلْكِهِ الْأَشْعَارَا

٨٣ الغواني السوافر

قال شوقي بصف (كوك صو) وهو موضع في الآستانة (١٩٠٠):

تَحِيَّةُ شَاعِرٍ يَا مَاءَ جُكْسُو فَلَيْسَ سِوَاكَ لِلْأَرْوَاحِ أَنْسُ
تَحِيَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ لَكَ يَا مَاءَ (مَوْضِع) جُكْسُو فَأَنْتَ وَحْدَكَ أَنْسُ الْأَرْوَاحِ

وَرَدْنَكَ كَوَثْرًا وَسَفَرْنَ حُورًا وَهَلْ بِالْحُورِ إِنْ أَسْفَرْنَ بِأَسْ؟
وَرَدْنَكَ الْحَسَانَ فَكَأَنَّكَ نَهْرُ الْجَنَّةِ «الْكُوثَرُ» إِذْ يَتَرَقَّقُ، وَسَفَرْنَ عَنْ وَجُوهُنَّ فَإِذَا بِهِنَّ كَحُورِ الْجَنَّةِ،
وَهَلْ هُنَاكَ بِأَسْ إِذَا أَسْفَرْتَ الْحُورَ؟

فَقُلْ لِلْجَانِحِينَ إِلَى حِجَابٍ أَتَحَجَّبُ عَنْ صَنِيعِ اللَّهِ نَفْسُ
فَقُلْ لِلْجَانِحِينَ (الْمَالِينَ) إِلَى حِجَابِ الْمَرْأَةِ: هَلْ تَحَجَّبُ النَّفْسُ عَنْ رُؤْيَا خَلْقِ اللَّهِ الْبَدِيعِ؟

إِذَا لَمْ يَسْتَرْ الْأَدَبُ الْغَوَانِي فَلَا يُغْنِي الْحَرِيرُ وَلَا الدَّمَقْسُ
إِذَا الْأَدَبُ لَمْ يَسْتَرْ الْغَوَانِي (الْحَسَانَ) فَلَا يُغْنِي الْحَرِيرُ وَلَا الدَّمَقْسُ (نَوْعٌ مِنَ الْحَرِيرِ)

تَأْمَلْ هَلْ تَرَى إِلَّا جَلالاً تُحِسُّ النَّفْسُ مِنْهُ مَا تُحِسُّ
تَأْمَلْ هَذِهِ الْوُجُوهُ الْحَسَانُ تَرَى جَلالاً تُحِسُّ النَّفْسُ مِنْهُ بِأَحَاسِيْسٍ حُلُوَّةٍ

عَشِيَّتُكَ وَالْأَصِيلُ يَفِيضُ تَبْرًا وَيَنْسُجُ لِلرَّبِيِّ حُلَلًا وَيَكْسُو
غَشِيَّتَكَ (أَتَيْتَكَ) وَالْأَصِيلُ (الغروب) يَفِيضُ تَبْرًا (ذهباً)، وَيَنْسُجُ مِنْ أَشْعَتِهِ حُلَلًا (أثواباً) وَيَكْسُو
الرَّبِّي

عَلَى فُلُكٍ تَسِيرُ بِنَا الْهُوَيْنَى وَمِنْ شِعْرِي نَدِيمٌ لِي وَجَلَسَ
أَتَيْتَكَ عَلَى فُلِكَ (سفينة) تَسِيرُ الْهُوَيْنَى (ببطء)، وَشِعْرِي هُوَ نَدِيمِي وَجَلَسَ (جليسي)

٨٤ نهاية المسرحية

قال شوقي يرثي بشارة تقلا أحد مؤسسي جريدة الأهرام (١٩٠١):

حَلَّ بِالْأُمَّتَيْنِ خَطْبٌ ثَقِيلٌ رَجُلٌ مَاتَ، وَالرَّجَالُ قَلِيلُ
الْأَمْتَانِ: الشَّوَامِ وَالْمَصْرِيَّانِ

زَالَ عَنِ سُورِيَا فَتَاهَا الْمُرَجَّى وَعَنِ النَّبْلِ جَارُهُ الْمَأْمُولُ
وكانت بلاد الشام كلها تسمى آنذاك سوريا

هَذِهِ الْأَرْضُ وَالْأَنَامُ عَلَيْهَا مَلْعَبٌ، ثُمَّ يَنْقُضِي التَّمْثِيلُ
ملعب: مسرح

٨٥ الهوى قدر

قال شوقي (١٩٠١):

لَكَ أَنْ تَلُومَ، وَلِي مِنَ الْأَعْدَارِ أَنَّ الْهَوَى قَدَرٌ مِنَ الْأَقْدَارِ
لك يا عاذلي أن تلومني، ولكن أحد أعداري أن الهوى قدر محتم

يَا قَلْبُ شَأْنُكَ، لَا أُمِدُّكَ فِي الْهَوَى أَبَدًا، وَلَا أَدْعُوكَ لِلْإِقْصَارِ
أنت وما تريد يا قلبي، لا أمدك بمساعدة في الحب، ولا أدعوك للإقصار (الكفت عنه)

أَمْرِي وَأَمْرُكَ فِي الْهَوَى بِيَدِ الْهَوَى لَوْ أَنَّهُ بِيَدَيَّ فَكَكْتُ إِسَارِي

٨٦ ضد عرابي

قال شوقي متشفياً بأحمد عرابي بعد عودته إلى مصر (١٩٠١):

صَغَارَ فِي الذَّهَابِ وَفِي الْإِيَابِ أَهَذَا كُلُّ شَأْنِكَ يَا عُرَابِي؟
صغار: حقارة

عفا عنكَ الأبعادُ والأداني فَمَنْ يعفو عنِ الوطنِ المُصابِ
الأبعاد: الإنجليز، والأداني: الخديوي (وبعض هذين الطرفين عاد عرابي إلى مصر من منفاه)

٨٧ شكوى العظام إلى عرابي

قال شوقي متشفياً بأحمد عرابي بعد عودته من منفاه (١٩٠٢):

عُرابي كيف أوفيك المَلاما جمعتَ على ملامتِكَ الأناما
فَقِفْ «بالتلِّ» واستمعِ العظاما فإنَّ لها، كما لَهُم، كلاما

التل: هو التل الكبير الذي وقعت عليه معركة مع الإنجليز احتلوا بعدها مصر، ويطلب شوقي من عرابي أن يستمع إلى عظام الذين استشهدوا في معركة التل الكبير، فإن للعظام مثلاً للأنام (للناس) كلاماً تقوله

* * *

تقولُ لك العظامُ مقالَ صدقٍ ورُبَّ مقالةٍ مِنْ غيرِ نُظقي:
قتلتَ المسلمينَ بغيرِ حقٍّ وضيَّعتَ الأمانةَ والذماما

* * *

نَجِيثُكَ يومَ يحضُرُكَ الجِمامُ يَسْأَلُ حُسَامَهُ، ولنا حِسامُ
وتسبِقُ سَهْمَهُ مَنَّا سِهامُ لها بالحقِّ رامٍ لا يُرامى

لا يُرامى: لا يناقَس في رمي السهام. يريد شوقي لعظام الشهداء أن تلاحق عرابي حتى سرير الموت فتسابق عزرائيل عليه. لقد خجل الوطنيون كثيراً من بضع قصائد لشوقي ضد عرابي، ومن عشرات القصائد الأخرى في مدح توفيق وعباس حلمي، وعُثِمَت ثورة ٥٢ ما استطاعت على هذه القصائد. ولعل سبب عداوة شوقي لعرابي ولواء شوقي للخديوي توفيق، أما قال له في قصيدة: «فاسمع لعبدك وابن عبدك؟» فتوفيق هو الذي أرسله إلى فرنسا ليتعلم، وكان يراعيه، فعندما أتم شوقي تعليمه أمره توفيق بالمكوث في باريس بعض الوقت لتوسيع آفاقه. يقول شوقي في مقدمة الشوقيات: «فرأى لي الجنب العالِي أيدَهُ الله أن أقضي في العاصمة ستة شهور أتمكن فيها من معرفة أشياء باريز وأهلها». وما صنعه عرابي هو أنه تحدى توفيقاً ووقف يدافع عن مصر في وجه الغزاة الإنجليز. وكان تحدى توفيقاً قبلها في ملاسنة مشهورة لها روايات عديدة. ومعركة التل الكبير موقعة حامية قتل فيها نحو ٥٥٠ من الإنجليز، و١٤٠٠ من المصريين. وكان الإنجليز أكثر عددَ جنودٍ وعددَ مدافع. وبعد انتصارهم نفى الإنجليز عرابي إلى سيلان مع عدد من قادة حركته، وظل منفياً نحو عشرين سنة

٨٨ لؤلؤة على خد المويلحي

عندما نشر شوقي ديوانه في نحو عام ١٩٠٠ تعرض له بالنقد محمد المويلحي الذي انتقد تصدير شوقي الديوان بمقدمة يروي فيها سيرته. وسخر المويلحي من شوقي لأنه روى حادثة جرت له في صباه مع الشيخ علي الليثي. ودافع عن شوقي صديقه شكيب أرسلان، فكتب إليه شوقي يشكره: «دفعت عني اليازجي بيد هدمت كيانه وألفت بيانه؛ وتحامل علي المويلحي فرددت عني الرد الذي قطع حجتة. فسبحان من جعلك جلاداً لأعدائي وروبرتساً لحسادي» يشير إلى روبرتس قائد الإنجليز الذي غلب الأفريقان البيض في جنوب أفريقيا. ثم حدث بعد حين أن صفع شاب محمداً المويلحي لأنه مازحه، فكانت فرصة لشوقي كي يتقمم. فاتخذ الحادثة مادة للتفكه والشماتة في قطع كثيرة كان ينشرها باسم مستعار. هذه واحدة منها. (١٩٠٢)

لَقَدْ صَفَعُوهُ صَفْعَةً جَلَّ شَأْنُهَا وَأَعْيَا عَلَى حَذَقِ الطَّبِيبِ عِلَاجُهَا
أَعْيَا: أُنْعَبَ، حَذَقِ الطَّبِيبِ: مَهَارَتُهُ

وَلَوْ أَتَّبَعُوا صَفْعاً بَصَفَعٍ لَأَحْسَنُوا وَزَانَ اللَّالِي فِي النُّحُورِ اازْدَوَاجُهَا
فالعقد مكون من صفين من اللآلي، والصف الأيمن يناظر الأيسر، وهذا الازدواج يجعل العقد جميلاً. المصراع الأخير من البحرّي: فَإِنْ تُلْحِقِ النُّعْمَى بُنْعَى فَإِنَّهُ/ يَزِينُ اللَّالِي فِي النِّظَامِ اازْدَوَاجُهَا

٨٩ الحال كما صورتها

في ذكرى مئة سنة على مولد فكتور هوغو (١٩٠٢)

الْحَالُ بَاقِيَةٌ كَمَا صَوَّرَتْهَا مِنْ عَهْدِ آدَمَ، مَا بِهَا تَغْيِيرُ
البؤسُ والنُّعْمَى عَلَى حَالِيهِمَا وَالْحِطُّ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَجُورُ
وَمِنْ الْقَوِيَّ عَلَى الضَّعِيفِ مُسَيِّطِرُ وَمِنْ الْغَنِيِّ عَلَى الْفَقِيرِ أَمِيرُ
وَالنَّفْسُ عَاكِفَةٌ عَلَى شَهَوَاتِهَا تَأْوِي إِلَى أَحْقَادِهَا وَتَشُورُ
النفس منكبة على الشهوات، وأحياناً تلجأ إلى الحقد وإخفاء البغض، وأحياناً تثور وتظهر البغض
وَالْعَيْشُ أَمَالٌ تَجِدُّ وَتَنْقُضِي وَالْمَوْتُ أَصْدَقُ، وَالْحَيَاةُ غُرُورُ
العيش آمال تنجدد ثم تنتهي، والموت أصدق من العيش فهو وحده الدائم

٩٠ حريق ميت غمر

قال شوقي في حريق ميت غمر (١٩٠٢):

اللَّهُ يَحْكُمُ فِي الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى يَا مَيِّتَ غَمْرٍ خَذِي الْقَضَاءُ كَمَا جَرَى

ما جَلَّ خَطْبُ نَمِ قِيسٍ بِغَيْرِهِ إِلَّا وَهَوْتُهُ الْقِيَّاسُ وَصَغُرَا

قَدْ جِئْتُ أَبْكِيهَا، وَأَخْذُ عِبْرَةً فَوَقَفْتُ مُعْتَبِرًا بِهَا مُسْتَعْبِرَا

مستعبراً: باكياً. نشرت القصيدة في مايو/أيار ١٩٠٢ وقالت المجلة التي نشرتها: «إن شوقي اهتم بحادثة ميت غمر اهتماماً زائداً فاسفر لمحل الحادثة ونظم قصيدته»

وَالْأُمَّهَاتُ بِغَيْرِ صَبْرٍ: هَذِهِ تَبْكِي الصَّغِيرَ، وَتَلْكُ تَبْكِي الْأَصْغَرَا

مِنْ كُلِّ مُودَعَةٍ الظُّلُولِ دُمُوعَهَا مِنْ أَجْلِ طِفْلِ فِي الظُّلُولِ اسْتَأْخَرَا

استأخر: تأخر

كَانَتْ تُؤْمَلُ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ وَالْيَوْمَ تَسْأَلُ أَنْ يَعُودَ فَيُقْبَرَا

مُدُّوا الْأَكْفَ سَخِيَّةً، وَاسْتَغْفِرِي يَا أُمَّةً قَدْ آَنَّ أَنْ تَسْتَغْفِرَا

أَوَّلَى بِعَطْفِ الْمُوسِرِينَ وَبِرِّهِمْ مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ فَاصْبَحْ مُغِيرَا

يَا أَيُّهَا السُّجَنَاءُ فِي أُمُورِهِمْ أَلَيْسَ الْإِيمَانُ أَنْ تَنْفِرَا

لَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَحْوَالِهِ مَا تَمْلِكُ الْأَقْدَارُ، مَهْمَا قَدَّرَا

٩١ الْوَنُشْ

قال شوقي يرثي عبده الحمولي (١٩٠٢):

لَا يَجَارِيهِ فِي تَفَنُّنِهِ الْعَوْدُ دُ، وَلَا يَشْتَكِي إِذَا لَمْ يَجَارِهِ

لشدة تفننه يعجز العود أن يلحق بصوت عبده الحمولي، وهو لا يحتاج إلى العود حتى يُظهر له تفرعات المقامات. كنت سألت الملحن المرحوم سيد إسماعيل: ترى هل كان عبده صالح يفتح أبواب النغم لأم كلثوم بقانونه، ويقود خطواتها، فقطاعني صارخاً: «أم كلثوم كانت زي الونش»، والونش هي الشاحنة التي تسحب السيارات المعطلة، ولا شيء يسحبها

يَسْمِعُ اللَّيْلَ فِي الْفَجْرِ «يَا لَيْلِ لُ»، فَيُصْغِي مُسْتَمَهلاً فِي فِرَارِهِ

الليل يولي هارباً بقدوم الفجر، فيقول عبده الحمولي «يا ليل»، فيقف الليل ويتمهل حتى يسمعها قبل أن ينصرف. الله! على هذا البيت. ليقُل شوقي آلاف الأبيات المغسولة بعد هذا وقبله، الشاعر بجيِّده لا برديته. وقد أحب سعد الدين وهبة هذا البيت وأفرده من القصيدة في مقابلته المطولة مع عبد الوهاب. وقال السوربوني عن البيت: «هذا بيت واحد لشوقي من شعر الوجدان تتضاءل بجانبه قصائد ودواوين بعض المجددين»

٩٢ صليبيّة

قال شوقي من قصيدة يهنئ بها عبد الحميد بعيد الجلوس. وانتعشت في ذلك الوقت حركات في البلاد التي يحكمها الأتراك في أوروبا تطالب بالانفصال، وتتلقى الدعم من الروس والإنجليز والفرنسيين والنمساويين. وفي سنة ١٩٠٣ قمعت إستانبول بقسوة المدن البلغارية والمقدونية في سياق ثورة مقدونيا على الحكم العثماني (١٩٠٣)

عِشْ للخلافة ترضاهَا وتُرضيها وتنشئ السكّة الكبرى وتحميها
وقعت الدولة العثمانية معاهدة مع ألمانيا، في مارس ١٩٠٣، لإنشاء سكة حديد إستانبول - بغداد

وتحمِلُ الملك والإسلامَ عن أُممٍ شلّاء لا تحمِلُ الأشياءَ أيديها
فالأمم الإسلامية من عرب وغيرهم يحتاجون لعبد الحميد لكي يحمل عنهم الملك والدين، فهم مشلولون وأيديهم لا تقدر على حمل الأشياء. وكلمة «الأشياء» هنا أحلى من الأعباء أو الأثقال، ليس لأنها ترجع صدى شلاء - أو ما يحب النقاد أن يسموه الموسيقى الداخلية - ولكن لمعناها

إن أضْحَكَ المملأ المفتونَ حاضرُها أبكى الأجنةَ في الأرحام آتيها
وحاضر هذه الأمم جيد ويضحك له مستبشراً المملأ المفتون (القوم المخدوعون)، ولكن الآتي (المستقبل) سيكون مظلاماً إلى درجة أن تبكي له الأجنة في الأرحام

توهّموا العِزَّ في ذلٍّ يُرادُّ بِهِمُ وشُبّهَتْ لَهُمُ النِّعماءُ تشبيها
توهم المسلمون الذل الذي يريده الغرب لهم عزاً واستقلالاً. ورأوا في عود الغرب ما يشبه النعيم وليس بنعيم

لا عِيشَ في الذلِّ إلّا للذليل، ولا حياة للنفسِ إن ماتت أمانِها
ما هذه الحرب، في زِيّ السلام، لكم إلّا صليبيّة والكُلُّ صالِها
أمم الغرب منذ ذلك الوقت يكثر في كلامها الحديث عن السلام؛ وهي كانت تساعد ثورات الأمم الكارهة للحكم العثماني ومنها أمم مسلمة، باسم السلام، ولكن القصد الدفين للغرب كما يرى شوقي صليبي ومتصل بحروب قامت قبل مئات السنين ولما تهدأ ثاراتها

يا أُمَّةَ المصطفى جَلَّتْ حوائِجُكُمْ فقدموا الخيرَ علَّ اللّهُ يَقْضِيها
لا تَسمَعوا لِمُريبٍ في خلافتِكُمْ كفى الخلافةَ ما يأتي أعاديها

٩٣ .. ناحيةً في الهرم

قال شوقي يصف حفلاً راقصاً في قصر عابدين (١٩٠٣):

طالَ عليها القِدَمُ فَهِيَ وُجودٌ عَدَمُ
الخمرة القديمة انعدمت فيها كل خواص العنب واكتسبت كل خواص الخمر. معنى قديم لا يمل الشعراء من تكراره

خَبَّأَهَا كَاهِنٌ نَاحِيَةً فِي الْهَرَمِ

قال عشرات الشعراء هذا المعنى، وجعلوا الخمر كسروية، وجعلوها من عهد نوح ومن عهد آدم. ولكن بيت شوقي هذا ظريف كل الظرف. فقد خبأها كاهن من كهنة الفراعنة في ناحية من الهرم ونسيها

نَمَّ بِهَا دُثْنُهَا وَهِيَ عَلَيْهِ أَنْمَ

الذن وعاء الخمر الكبير، وقد نم عن الخمر (وشى بوجودها)، ولكنها براحتها نمت على الدن أكثر مما نم عليها بحجمه

بِي رَشَاءٍ نَاعِمٍ مَا عَرَفَ الْعُمَرَاءُ هَمَّ

بي (أي موكلٌ بي لا يفارق ذهني) رشا (غزال) ناعم (منعم في عيشه)، لم يعرف همًا

أَخْرَجَهَا اللَّهْ كَالزَّهْرَةِ هُرَّةٌ، وَالْحَسَنُ كِمَ

هذه الفتاة كالزهرة، وكِمْها (أكمأها التي تكون مضمومة عليها) هو الجمال بعينه

تَخْطِرُ عَنْ عَادِلٍ لِمَ يُرَى إِلَّا ظَلَمٌ

قدما الذي تخطر به عادل (مستو)، وهو ظالم لكل من يراه لما يترك من حسرة في النفوس. وهذا المعنى القديم ظل الشعراء يعالجونه ألفي سنة حتى جاء إبراهيم ناجي وقال (فيما تغني أم كلثوم): «ظالم الحسن شهى الكبرياء»

تَسْأَلُ أَتْرَابَهَا مُؤَمِّئَةً بِالْعَنَمِ

تسأل صديقاتها، وهي تشير بأطراف أصابعها الشبيهة بالعنم (ثمر أحمر)

أَيُّ فَتًى ذَلِكُنَّ- الْعَرَبِيُّ الْعَلَمُ

يَشْرِبُهَا سَاهِرًا لَيْلَتُهُ لِمَ يَنَمُ

قَلْنِ: تَجَاهَلْتِي؟ ذَلِكَ رَبُّ الْقَلَمِ

شَاعِرُ مِصْرَ الَّذِي لَوْ خَفِيَ النَّجْمُ لَمَّ..

أي لو خفي النجم لم يخف شاعرنا لشهرته

قُلْتُ لَهَا: لَيْتَ لِمَ نُرَمَ وَلِمَ نُتَّهَمُ

قلت لها: ليت لم نُرَمَ (ليتك لا ترميني بالتهمة لشرب الخمر)

عَاذِلْتِي فِي الظُّلَا لَوْ أَنْصَفْتَ لِمَ أَلَمُ

التي تعذلني في الظلا (الخمر) ليست منصفة

إِنْ عَبَسَ الْعَيْشُ لِي عَذْتُ بِهَا فَايْتَسَمُ

فأنا إن عبس الدهر لي عذت (لجأت) بالخمر فابتسم الدهر لي

يَشْرُبُهَا كَابِرٌ بَيْنَ ضُلُوعِي أَشْمٍ

يشرب الخمر كابر (سيد) أشم (معتز بنفسه) وهو يقيم بين ضلوعي، أي أنا

يُكْسِبُهَا خُلُقَهُ يَمَزُجُهَا بِالشَّيْمِ

وهذا الذي يشرب الخمر يضيفي عليها من خلقه الحميد، ويمزجها بشيمه (بصفاته النبيلة)

تِلْكَ شَمُوسُ الدُّجَى أَمْ ظَلَبَاتُ الْخَيْمِ

أهذه الفتيات شمس طلعت ليلاً؟ أم هي في رشاقتها كفتيات البدو التي تكون كالغزلان في الخيام؟

اجْتَمَعَتْ فَالتَقَتْ حَوْلَ خِوَانٍ نُظِمَ

وقد اجتمعن الآن حول خوان (مائدة) منصوب

مَائِدَةٌ مَدَّهَا بَحْرُ نَوَالٍ خِضَمَ

هذه المائدة مدّها الخديوي، بحر النوال (العطايا) الخضم (العظيم)

تَحَسَّبُهَا صُورَتْ مِنْ شَهَوَاتِ النَّهْمِ

والمائدة كأنها تحقيق لحلم شخص نهم، فمهما تخيل هذا النهم فهو موجود عليها. قرأها الأبياري «النهم» بفتح الهاء (وأرادها أحمد محفوظ وعلي شوقي اللذان أعدا ذلك الجزء من الشوقيات في حياة شوقي نهماً أيضاً)، ونرى فيها تجريداً لا مسوغ له، ونريدك أن تقرأها النهم بكسر الهاء

٩٤ الجد واللعب

قال شوقي يرثي علي رفاعه باشا، ابن رفاعه الطهطاوي (١٩٠٣):

كُلُّ الْحَقَائِقِ فِيهَا الشُّكُّ مُحْتَمَلٌ إِلَّا الْمَنِيَّةُ تَأْبَى الشُّكَّ وَالرَّيْبَا

وما رأيتُ، على علمي وتَجَرِبَتِي، كَالْمَوْتِ جِدًّا، وَلَا مَا قَبْلَهُ لَعِبَا

٩٥ النشور المبكر

رآه ولده علي وحسين خارجاً من البيت في زورة (زيارة) فبكيا

بَكَيَا لِأَجْلِ خُرُوجِهِ فِي زَوْرَةٍ يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَوْمَ فِرَاقِهِ

لَوْ كَانَ يَسْمَعُ يَوْمَ ذَاكَ بُكَاهُمَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ إِشْفَاقِهِ

٩٦ آدم العنب

قال شوقي يصف حفل رقص في عابدين (١٩٠٤):

مَالٌ وَاحْتَجَبُ وَادَّعَى الْغَضَبُ

مال بوجهه عني وابتعد مدعي الغضب

لَيْتَ هَاجِرِي يَشْرَحُ السَّبَبَ
مَاءٌ خَذَهُ شَفَّ عَنْ لَهَبِ
ماء خذه (وماء الوجه نضارته) يشف عن لهب لحمرة الخد وتورده

سَاقِي الطَّلَا شُرْبُهَا وَجَبَ
يا ساقِي الطلا (الخمرة) وجب شربها الآن

هَاتِيهَا مَشَتْ فَوْقَهَا الْحَقَبُ
هاتها خمرة مشت فوقها الحقب (الأزمان) . . أي أنها معتقة

بَابِلِيَّةٌ تَنْقُتُ الْحَبَّ
خمرة من بابل المشهورة بالخمور، تُخرِجُ الحب (الفقايع)

إِنَّ كَرْمَهَا أَدُمُ الْعَرَنَبِ
وكرمها (بستان العنب الذي منه أخذت) هو أول كرم خلقه الله، فهو، في الكروم، كآدم في البشر

هُذِّبْتُ فَفِي دَنُّهَا الْأَدَبُ
لقد صفت هذه الخمرة وراقت فكانها هُذِّبَتْ، وأما هذا التهذيب والتأديب فقد تم في الدن (خاية
الخمرة)

إِسْقِيهَا فَتَى خَيْرَ مَنْ شَرِبَ
كُلَّمَا طَغَتْ رَاضَهَا الْحَسَبُ

كلما طغت الخمرة ولعبت برأسه فإن حسيه النبيل يروضها ويجعلها لا تفضي به إلى
العريضة. الأبياري يريد في شرحه «حسب الخمرة»، فهي ذات حسب عريق وهو الذي
يمنعها من الطغيان. وهذا تفسير جميل، وإن كنت أرى البيت الذي قبل هذا البيت
يستدعي المعنى الذي شرحته أعلاه، وبي ميل شديد إلى تفسير الأبياري فالبيت عليه
أحلى: الخمرة تطنى وتعصف بشاربها، والذي يروضها هو حسبها، فهي مهذبة ومن
أصل كريم وعريق

رَبِّ مَصْرَ عِشْنِ وَأَبْلُغِ الْأَرْبَ
رب مصر: صاحب مصر عباس حلمي الثاني

هَآكَ مِذْحَةَ الثَّاعِ بَرِّ الْأَرْبِ
الأرب: الماهر

لَمْ يَجِئْ بِهَا شَاعِرٌ ذَهَبٌ

ولم يجئ بمثل هذه القصيدة شاعر قبل شوقي لأن وزنها مبتدع، وأما بعد شوقي فقد ارتجل حافظ إبراهيم وعبد العزيز البشري وهما يتمشيان على الكوبري أبياتاً فكاهية على هذا الوزن منها: شال وانخط/وادعى العبط، ليت هاجري/يلع الزلط. وينهني صديقي الشاعر عمران القفيني إلى أن شوقي ليس أول من نظم على هذا الوزن: «أعرف أبياتاً للبارودي (المتوفى آخر ١٩٠٤)، سبقت أبيات شوقي (التي قالها في ١٩٠٤)، إلا أن يكون البارودي قالها في آخر عام في حياته بُعيد قصيدة شوقي، وهذا صعب. أول القصيدة: املاً القدح - واعص من نصح// وارو غلتي - بابتة الفرح»

٩٧ أسلمتهم لعيون الله

وقال وهو في الآستانة في عيد جلوس عبد الحميد (١٩٠٤):

بِاللَّهِ يَا نَسَمَاتِ النِّيلِ فِي السَّحَرِ هل عندكُنَّ عنِ الأحبابِ مِنْ خَبِرِ
مِصرُ العِزِيزَةُ، مَالِي لَا أودُّعُهَا ودَاعٌ مُحْتَفِظٌ بِالْعَهْدِ مُدَكِّرِ
مَدَكَّر: متدكَّر للعهد

خَلَّفْتُ فِيهَا الْقَطَا مَا بَيْنَ ذِي زَعَبٍ وذِي تَمَائِمَ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِيرِ
القطا (من الطيور): يعني أبناءه، بعضهم له زغب (ريش نابت)، وبعضهم عليه التمايم (الخَرَزَاتِ توضع على الطفل لرد العين)

أَسْلَمْتُهُمْ لَعْيُونِ اللَّهِ تَحَرُّسُهُمْ وَأَسْلَمُونِي لَظْلِ اللَّهِ فِي الْبَشْرِ
سلمت أبنائي لعيون الله، وهم سلموني لظل الله بين البشر وهو السلطان عبد الحميد
ودِيعَةُ لَهُمْ عِنْدَ الْإِمَامِ، وَمَنْ يَسْتَوْدِعُ الرُّوضَ يَسْتَثْمِرُ وَيَدْخِرُ
وأنا ودِيعَة أودعها أبنائي عند إمام المسلمين، ومن يضع ودِيعَة عند الروض (يذر بذوراً) فهو يستثمر ويدخر للمستقبل

يَا ابْنَ الْخَلَائِفِ مِنْ عِثْمَانَ! فَضْلُكُمْ كَوَاضِحِ الصَّبْحِ عِنْدَ الْبَيْتِ وَالْحَجَرِ
فضل بني عثمان كالصبح الذي يشرق في بيت الله بمكة عند الحجر الأسود المبارك

حَفِظْتُمْ الدِّينَ دَهْرًا فِي كِرَامِيهِ مَجْمَلًا بِحُجُولِ الْفَتْحِ وَالْغُرِّ
جملتُم الدين بفتحكم التي هي كالحجول والغرر (الحجول: هي البياضات في قوائم الفرس، والغرر البياضات في جبهته)

خِلَافَةُ اللَّهِ كَالْعِنَقَاءِ فِي يَدِكُمْ فَوْقَ الْحَبَائِلِ وَالْأَرْزَاءِ وَالْغِيَرِ
الخلافة بيدكم كالعنقاء (طائر قيل إنه لا يمكن أن يصاد)، فهي فوق الجبائل (المصائد) والأرزاء (المصائب)، والغير (النكبات)

تَظَلُّ فِي فَلَكِ الْعِلْيَاءِ هَالَتْهَا يَزُفُّهَا قَمَرٌ مِنْكُمْ إِلَى قَمَرٍ
 فالخلافة هالة (دائرة الضوء التي حول القمر) وخلفاء بني عثمان هم الأقمار يتوارثون هذه الهالة
 لَمَّا اضْطَلَعْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا مَلَكَتْ نَاصِيَتَيْهَا مِلْكٌ مُقْتَدِرٍ
 لما اضطلعت بالخلافة (توليتها) ملكتها من ناصيتها (جانبيها) بقدرة
 حَمَلَتْهَا وَاثِقًا بِاللَّهِ مُصْطَبِرًا يَنْوُشُكَ الدَّهْرُ فِيهَا غَيْرَ مُصْطَبِرٍ
 ينوشك: يتناولك بالمكروه

٩٨ شاعر النيل!

قال شوقي (١٩٠٤):

أُبْهِيَ النَّفْسُ تَجْدِيْنَ سُدًى هَلْ رَأَيْتِ الْعَيْشَ إِلَّا لَعِبَا
 جَرَّبِي الدُّنْيَا تَهْنُ عِنْدِكَ؛ مَا أَهْوَى الدُّنْيَا عَلَى مَنْ جَرَّبَا
 نَلَيْتَ فِيمَا نَلَيْتَ مِنْ مَظْهَرِهَا وَمُنِحْتَ الْخُلْدَ ذِكْرًا وَنَبَا
 نلت يا نفسي ضمن ما نلته من الأشياء مظاهر الدنيا، ونلت أيضاً الخلود فيها بالذكر والنبا (الخبر الطيب)

أنا في دنياي أو آخرتي شاعر النيل، وحسبي لقباً
 هكذا لقب شوقي نفسه بشاعر النيل في سنة ١٩٠٤، وهو صريح في أن هذا خير لقب يرجوه،
 وبعد ذلك بعدة سنوات نال حافظ إبراهيم «نشان النيل» - بعد سنة ١٩١٢ - ولقب إثر ذلك بشاعر
 النيل، وانتظر شوقي حتى سنة ١٩٢٧ لينال لقباً آخر هو أمير الشعراء

٩٩ رمضان ولّي

قال شوقي (١٩٠٤):

رَمَضَانُ وَلِي، هَاتِهَا يَا سَاقِ مُشْتَاقَةٌ تَسْعَى إِلَى مُشْتَاقِ
 جعل الخمرة مشتاقة أيضاً لشاربها

مَا كَانَ أَكْثَرُهُ عَلَى الْأَفْهَى وَأَقْلَهُ فِي طَاعَةِ الْخَلَاقِ
 كم كان رمضان طويلاً على ألاف (مجي) الخمرة، وكم كان قصيراً في طاعة الله

اللَّهُ غَفَارُ الذُّنُوبِ جَمِيعِهَا إِنْ كَانَ ثَمَّ مِنَ الذُّنُوبِ بَوَاقِ
 الله يغفر الذنوب، هذا إن كان ثَمَّ (هناك) ذنوب ليغفرها بعد صيام رمضان. أرايت إلى هذه الروح
 التي تثب خفة؟ شوقي يتصيد النكتة الخفية ببراعة، وهو رغم خوفه من الله، شديد التوق إلى العتب

بِالْأَمْسِ قَدْ كُنَّا سَجِينِي طَاعَةِ وَالْيَوْمَ مَنَّ الْعِيدُ بِالْإِطْلَاقِ
هو والخمر كانا حتى يوم أمس سجين طاعة الله، واليوم مَنَّ (تفضل) عليهما العيد بإطلاق
سراحهما

ضَحِكْتُ إِلَيَّ مِنَ السُّرُورِ، وَلَمْ تَزُلْ بِنْتُ الْكُرُومِ كَرِيمَةَ الْأَعْرَاقِ
الأعراق: الأصول

حَمَرَاءُ أَوْ صَفَرَاءُ، إِنَّ كَرِيمَهَا كَالْغَيْدِ، كُلُّ مَلِيحَةٍ بِمِذَاقِ
الخمر تكون حمراء أو صفراء؛ والخمر الكريمة (الجيدة) مثل الغيد (الحسان) فكل امرأة حسنة
فريدة في حسنها ولا تماثل امرأة أخرى. في يومنا هذا يقولون: نبذ أحمر ونبذ «أبيض»، مراعاة
للغة الأجنبية التي عنها يتقلدون، ومراعاة للأجنبي الذي منه يستوردون النبيذ، ولكن النبيذ «الأبيض»
هو أصفر على التحقيق

لَا تَسْقِنِي إِلَّا دِهَاقًا، إِنَّنِي أُسْقَى بِكَأْسٍ فِي الْهَمُومِ دِهَاقٍ
دهاقاً: مبتلئ

فَلَعَلَّ سُلْطَانَ الْمُدَامَةِ مُخْرَجِي مِنْ عَالَمٍ لَمْ يَحْوَ غَيْرَ نِفَاقٍ

١٠٠ الميراث

قال شوقي في مدح عباس حلمي (١٩٠٤):

النَّيْلُ يَا ابْنَ عَلِيٍّ، وَهُوَ مِنْ دَهَبٍ، مَصَّبُهُ لَكَ مِيرَاثٌ وَمَنْبَعُهُ
النيل يا ابن علي (عباس حلمي وهو حفيد محمد علي) كأنه الذهب لما يعطي من خيرات؛ ومنبعه
ومنبعه (أي كله) ميراث لك

جَرَى يُحَاكِيكَ إِحْسَانًا وَعَارِفَةً فَقَصَّرْتُ عَنْ نَدَى كَفِّيكَ أَذْرُعُهُ
يحاكيك النيل (يقلدك) في الإحسان والعارفة (الإحسان)؛ ولكن، قصرت أذرعك بكاملها عن ندى
(كرم) كفئك وحدهما

أَهْدَى لَكَ الْحَمْدَ وَادِيَهُ وَشَاطِئُهُ وَأُمَّةٌ فِي ظِلَالِ الْأَمْنِ تَزْرَعُهُ

١٠١ الترامي

قال شوقي ينعي على مصطفى رياض، وولي رئاسة الوزارة ثلاث مرات، تملقه المعتمد
البريطاني كرومر. وكان الخديوي عباس قد انتقد شيئاً على القائد البريطاني كتشنر فغضب
كرومر وطلب من القصر اعتذاراً فأبى الخديوي عباس، فقدم رياض الاعتذار (١٩٠٤):

كَبِيرَ السَّابِقِينَ مِنَ الْكِرَامِ بِرُغْمِي أَنْ أَنَالَكَ بِالْمَلَامِ

إذا ما لم تكنْ للقولِ أهلاً فما لك في المواقفِ والكلامِ
خطبتَ فكُنتَ خطباً لا خطيباً أضيفَ إلى مصائبنا الجسامِ

الخطب: النكبة، الجسام: الكبيرة. قال محمد صبري السوريوني: (الشرط الأول «خطبت» فكنت خطباً لا خطيباً» كنتُ أسمعُ الكبار يهتفون به في كل مناسبة في السنوات التي أعقبت القصيدة)

وهل تركتْ لك السبعونَ عقلاً لعِرفانِ الحلالِ مِن الحرامِ
كان المهجو في السبعين، فهو قد ولد عام ١٨٣٤. وعندما مات عام ١٩١١ نال مريئة من شوقي، ولم نختر منها شيئاً

لهجّت بالاختلالِ وما أتاهُ وجرحُك مِنْهُ، لو أحسّنت، دامِ
لهجّت: أغرمت

وما أغناهُ عَمَّنْ قالَ فيهِ وما أغناكَ عَن هذا التَّرامِي

١٠٢ تأليب

قال شوقي يستصرخ السلطان عبد الحميد من عسف شريف مكة «عون الرفيق»
بالحجاج (١٩٠٤):

ضجَّ الحِجَارُ وضجَّ البيتُ والحرُّمُ واستصْرَخَتْ رِيَّها في مكةَ الأُمَمُ
استصرخت: استنجدت

قد مَسَّها في حِمَاكَ الضُّرُّ فاقضِ لها خليفةَ اللَّهِ، أَنْتَ السَّيِّدُ الحَكَمُ
لكَ الربوعُ التي رِيحَ الحَجِيجِ بها، أَلِلشَّريفِ عليها أم لَكَ العَلَمُ؟
ريح: أخيف

أهينَ فيها ضيوفُ اللَّهِ واضطهدوا إنْ أَنْتَ لم تنتقمَ فاللَّهُ منتقمُ
يدُ الشريفِ على أيديِ الولاءِ علَّتْ ونعلُهُ دونَ رُكنِ البيتِ تُستَلَمُ
سلطة شريف مكة صارت أعلى من ولائه للخليفة، وصارت نعله تستلم (تُقَبَّل) بدلاً من ركن البيت الحرام

عزَّ السبيلُ إلى طَهْ وتُرَبَّتِه فَمَنْ أرادَ سبيلاً فالطريقُ دَمُ
صار صعباً الوصول إلى طه (أي الرسول)، وتربته (قبره) في المدينة المنورة

١٠٣ تفسير آية

قال شوقي ينمي محمد عبده (١٩٠٥):

مُفَسِّرَ آيِ اللَّهِ بِالْأَمْسِ بَيْنَنَا قَمِ الْيَوْمَ فَسَّرْ لِلوَرَى آيَةَ الْمَوْتِ
لم يكن محمد عبده على وفاق مع الخديوي، فاكتفى شوقي شاعر الخديوي بثلاثة أبيات في رثائه

١٠٤ أحمد الوقت

قال يهنئ السلطان عبد الحميد بنجائه من قبلة قذف بها سنة (١٩٠٥):

بَلَوْنَاكَ يَقْظَانَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا إِذَا ضَيَّعَ الصَّيْدَ الْمُلُوكَ سُبَاتُ
بلوناك (خبرناك) يقظان الصوارم (السيف) والقنا (الرمح)، في حين يضيّع السبات (النوم) الملوك
الصيد (الشامخين)

فَلَوْلَاكَ مُلْكُ الْمُسْلِمِينَ مُضَيَّعٌ وَلَوْلَاكَ شَمْلُ الْمُسْلِمِينَ شَتَاتُ
أَكَانَ لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرُكَ صَالِحاً وَقَدْ هَوَّنَتْهُ عِنْدَكَ السَّنَوَاتُ؟
أكان يصلح غيرك للخلافة، وقد ملأتك السنوات خبرة وهونت عليك الحكم؟

وَمَنْ يَسُسِ الدُّنْيَا ثَلَاثِينَ حِجَّةً تُعْنِيهَا عَلَيْهَا حِكْمَةٌ وَأَنَاةُ
من ظل يسوس الدنيا ثلاثين سنة، فإن ما اكتسبه من الحكمة والأناة (التأني) يكون له مُعِيناً

وَمَا زِلْتُ حَسَانَ الْمَقَامِ، وَلَمْ تَزَلْ تَلِينِي، وَتَسْرِي مِنْكَ لِي النَّفَحَاتُ
وأنا مثل حسان بن ثابت شاعر الرسول، وأنت ظللت تليني (توليني الرعاية)، وتأتيني النفحات
(النسائم) منك (الإيماءات والبوادر كالاستضافة في إستانبول والثناء)

زَهْدْتُ الَّذِي فِي رَاحَتِكَ، وَشَاقَنِي جَوَائِزُ عِنْدَ اللَّهِ مُبْتَغِيَاتُ
لست طامعاً في المال الذي في كفيك، وأنا مشتاق إلى ثواب الله لقاء تأييدي لك، فتأييدك واجب
ديني

وَمَنْ كَانَ مِثْلِي أَحْمَدَ الْوَقْتِ لَمْ تَجْزُ عَلَيْهِ، وَلَوْ مِنْ مِثْلِكَ، الصَّدَقَاتُ

ومن كان مثلي أحمد الوقت (أحمد الوقت هو الرسول الذي جاء في ميعاد مضروب، أي أن
شوقي هو نبي الشعر الذي ساقه القدر في وقته)، لم يجز له أن يأخذ الصدقة (ولم تجز الصدقة
للنبي)

وَلِي ذُرُّ الْأَخْلَاقِ فِي الْمَدْحِ وَالْهَوَى وَلِلْمُتَنَبِّ ذُرَّةٌ وَحَصَاةُ

وعندما جعل نفسه «أحمد الوقت» تداعى إلى ذهن شوقي أحمد بن الحسين المتنبّي، فجعل شوقي
لنفسه الدرر في المدح والغزل، وأما المتنبّي فله أبيات عظيمة وأخرى رديئة أخذها النقاد عليه

محمد علي علم الشرق ١٠٥

قال في ذكرى مرور مئة عام على تولي محمد علي مصر (١٩٠٥):

عَلِمْتُ أَنْتَ فِي الْمَشَارِقِ مُفَرِّدٌ لَكَ فِي الْعَالَمِينَ ذِكْرٌ مُخَلَّدٌ
حَبِذَا دَوْلَةً وَمُلْكٌ كَبِيرٌ أَنْتَ بَانِي رُكْنَيْهِمَا يَا مُحَمَّدُ
تَمَلَّأُ الْأَرْضَ صَافِنَاتٍ، وَيُجْرَى لَكَ فِي الْبَحْرِ كُلُّ بُرْجٍ مُشِيدٌ
يا محمد علي باشا كنت تملأ الأرض بالصافنات (الخيول)، وكان قوادك يسيرون لك في البحر
السفن التي هي كالبروج المشيدة (الحصون العالية)

هَكَذَا فَلْيَلَيْلُ سَمَاءِ الْمَعَالِي مَنْ سَعَى فِي الْوَرَى لِمَجْدٍ وَسُودَدُ
هِمَّةٌ تَبْتَنِي الْمَمَالِكَ شَمًّا ءَ، وَرَأْيِي يَسُوسُهُنَّ مُسَدَّدُ
وُثْبَاتٌ فِي الْحَادِثَاتِ، وَعِزٌّ مِثْلُ رَبِّ الزَّمَانِ لَا يَتَرَدَّدُ
عِزُّ مِثْلُ رَبِّ الزَّمَانِ (مصائبه) لَا يَتَرَدَّدُ

لَا تَبَالِي بِحَاسِدٍ وَعَدُوٍّ آيَةُ الْفَضْلِ أَنْ تُعَادَى وَتُخَسَدُ
كنت لا تهتم بالحاسد وبالعدو، وآية (علامة) الفضل العداوة والجسد

هِمَّةُ الْفَاتِحِينَ حُكْمٌ وَقَهْرٌ وَلَكَ الْهِمَّةُ الَّتِي هِيَ أَبْعَدُ
همة الفاتحين (طموحهم) السلطان وقهر البشر، وهمتك أبعد من ذلك فأنت باني دولة

يَا مُدِيمَ الرُّقَادِ فِي خَيْرٍ مَرْقَدُ قُمْ فَمَا حَلَّ قَبْلَكَ الْأَرْضَ فَرَقَدُ
يا مديم (مواصل) الرقاد في قبرك، قم من قبرك فما سكن الأرض قبلك فرقدا (الفرقد نجم معين)
وَانْظُرِ الشَّرْقَ كَيْفَ أَصْبَحَ يَهْوِي وَانْظُرِ الْغَرْبَ كَيْفَ أَصْبَحَ يَضَعُدُ

١٠٦ منك يا هاجر دائي

قال شوقي (١٩٠٥):

مَنْكَ يَا هَاجِرُ دَائِي وَبِكَفِّكَ دَوَائِي
يَا مُنَى رُوحِي، وَدُنْيَا يَ وَسُؤْلِي وَرَجَائِي
سؤلي: مطلبي

أَنْتَ، إِنْ شِئْتَ، نَعِيمِي وَإِذَا شِئْتَ شَقَائِي
كُلُّ مَا تَرْضَاهُ، يَا مُوْ لَايَ، يَرْضَاهُ وَلَائِي

١٠٧ حسبنا الله ونعم الوكيل

نقل عن فلهم الثاني إمبراطور ألمانيا قوله إنه يريد للإمبراطورية الألمانية أن تكون مثل الإمبراطورية الرومانية قوة وسعة. وأنه يريد لابن إمبراطوريته أن يقول في أي مكان حل به: «أنا مواطن ألماني»، تماماً مثلما كان الروماني يقول «سيفيك رومانوس سوم»، وهذه باللاتينية، ومعناها «أنا مواطن روماني». ويبدو أن صحف ذلك الزمان نقلت العبارة موحية أن فلهم الثاني يريد أن يقسم العالم بين الرومان والألمان. وفي هذا الإيعاء قدر من الصحة، ففي هذا العام ١٩٠٦، وقعت «الأزمة المغربية الأولى» التي تنافس فيها الفرنسيون والإنجليز والإسبان والألمان على المغرب، وكان فلهم، أو غليوم بالتهجئة الفرنسية، ماضياً في تكوين إمبراطورية ألمانية. فقال أحمد شوقي (١٩٠٦):

يا ربّ ما حكمك؟ ماذا ترى	في ذلك الحُلم العريض الطويل
قد قام غليوم خطيباً فما	أعطاك من مُلكك إلا القليل
فالتَّصف للجرمان في رَعَمِه	والنصف للرومان فيما يقول
يا ربّ قل: سيفك أم سيفه؟	أيهما، يا ربّ، ماضٍ صقيل
إن صدقت يا ربّ أحلامه	فإنَّ خطبَ المسلمين الجليل
لا نحنُ جرمانُ لنا حصّة	ولا برومانٍ فنُعطى فتيل

فتيل: الشيء الصغير الحقيق

يا ربّ، لا تنسَ رعاياك في	يوم رعاياك الفريق الذليل
جناية الجهل على أهله	قديمة والجهل بِشَس الدليل
يا ليت لم نمدد لشريداً	وليت ظلّ السُّلم باقي ظليل
جنى علينا عُصبة جازفوا	فحسبنا الله ونعم الوكيل

١٠٨ زائر لندرة

قال شوقي لسعد زغلول عند سفره إلى لُنْدَرَة (لندن) للتفاوض (١٩٠٦):

يا سعدُ إنَّ أُنْتَ دَخَلْتَ لُنْدَرَة مُنْتَصِراً مُظَفَّراً كَعَنْتَرَة

يسخر شوقي من سعد زغلول، هذا في زمن كان فيه شوقي صديقاً لمصطفى كامل زعيم الحزب الوطني وخصماً لسعد زغلول. وكان سعد قريباً من المعتمد البريطاني كرومر

وسِرَّتْ محمولاً على الأكتاف بينَ قِيامِ الناسِ والهتافِ
وقيلَ تلميذُ الإمامِ مَرّاً يا مَرحباً به وألفَ هُوراً

كان سعد زغلول تلميذ الإمام محمد عبده، هوراً: مرحى بالإنجليزية

فَقَمَّ خَطِيباً فِي بَنِي التَّامِيزِ وَامْدَحَ مُذِلَّ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ
بَنُو التَّامِيزِ: الْإِنْجَلِيزِ، نَسَبَةٌ إِلَى نَهْرِ لَنْدَنِ الْيَمَزِ، مُذِلُّ الْوَطَنِ: الْلُورْدُ كُرومر

١٠٩ جسر البسفور

قال شوقي في جسر البسفور (١٩٠٦):

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! رَأَيْتُ جِسْراً أُمِرُّ عَلَى الصَّرَاطِ، وَلَا عَلَيْهِ
الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ مَرْعَبٍ، وَالسَّقُوطُ مِنْ عَلَيْهِ سَقُوطٌ فِي الْجَحِيمِ

وَأَسْمَجُ مِنْهُ فِي عَيْنِي جُبَاةً تَرَاهُمْ وَشَطَطُهُ وَبِجَانِبِيهِ
يُفِيدُ حُكُومَةَ السُّلْطَانِ مَالاً وَيُعْطِيهَا الْغِنَى مِنْ مَعْدِنِيهِ
الجسر يجلب للحكومة المال، ويعطيها المعدنين (الذهب والفضة)

وَعَايَةُ أَمْرِهِ أَنَا سَمِعْنَا لِسَانَ الْحَالِ يُنْشِدُنَا لَدَيْهِ:
أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ مِثْلِي يُرَى مَا قَلَّ مِمَّنْ نَعَا عَلَيْهِ
يقول الجسر: أليس عجباً أن مثلي يكون الشيء القليل ممتنعاً عليه (محزماً عليه)

وَتَوَخَّذْ بِاسْمِهِ الدُّنْيَا جَمِيعاً وَمَا مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ فِي يَدَيْهِ
تجبي الأموال الطائلة باسم الجسر، ولا ينال شيئاً. البيتان الأخيران قالهما الخليفة المعتمد على الله العباسي (خلافته من ٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ) الذي حُجِرَ عليه أخوه الموفق طلحة، وفرض عليه ما يشبه الإقامة الجبرية

١١٠ فدا ديني الثلاثون

من مسرحية «الست هدى»، (١٩٠٦):

يَقُولُونَ فِي أَمْرِي الْكَثِيرَ، وَشَغْلُهُمْ حَدِيثُ زَوَاجِي أَوْ حَدِيثُ طَلَاقِي
يَقُولُونَ إِنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ تِسْعَةً وَإِنِّي وَارِثُ الثَّرَابِ رِفَاقِي
وَمَا أَنَا «عَزْرِيْلٌ»، وَلَيْسَ بِمَالِهِمْ تَزَوَّجْتُ، لَكِنْ كَانَ ذَاكَ بِمَالِي
وَتِلْكَ فِدَا دِينِي الثَّلَاثُونَ، كُلُّهَا تَوَلَّى رَجَالٌ جِئْتُنَنِي بِرَجَالِ

١١١ لَا حُرْمُوا خَيْرَكَ

قال شوقي من مسرحية «البخيلة» على لسان الجدة الغنية، وقد ادَّعى حفيدها - كما يفعل كل مرة - أن نقوده نُشِلَتْ، (١٩٠٧):

لَمْ تَلْقَنِي وَتَنْصَرِفَ بِمَالِي إِلَّا وَعَادَتْ قِصَّةُ النَّشَالِ
لَا حَرَمَ اللَّهُ اللَّصُوصَ خَيْرَكَ مَا بِالْهَمِّ لَا يَسْرِقُونَ غَيْرَكَ
هذا بيت في غاية غايات الظرف، فيه تهكم مر في شطره الأول، وتخوين مبطن وماكر في شطره الثاني

١١٢ والله لا

قال شوقي يعرض بفارس نمر صاحب جريدة المقطم، الذي أراد الالتفاف على حكم قضائي (١٩٠٧):

يَا فَارِسًا تَرْجُلًا وَانْحَطَّ بِعَدَمِ عِلَا
هَلِ الْقِضَاءُ لِمَبَّةٍ تَلْهُو بِهَا، وَاللَّوْ لَا

١١٣ الهوى

وقال شوقي (١٩٠٧):

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا طَاعَةٌ وَتَجَاوُزٌ وَإِنْ أَكْثَرُوا أَوْصَافَهُ وَالْمَعَانِيَا
الحب طاعة المحبوب والتجاوز (التغاضي) عن سيئاته

وَلَا هُوَ إِلَّا الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ تَلْتَقِي وَإِنْ نَوَّعُوا أَسْبَابَهُ وَالذَّوَاعِيَا
ولا تفسير له سوى أن العين تلتقي بالعين

وعندي الهوى، موصوفه لا صفاته إِذَا سَأَلُونِي: مَا الْهَوَى، قُلْتُ: مَا بِيَا
عندي الموصوف بالهوى (أي الهوى نفسه)، ولا أعرف صفاته، فإذا سئلت ما الهوى قلت: هو ما بي

١١٤ دنشواي

قال شوقي بعد مرور عام على فظيعة دنشواي (١٩٠٧):

يَا دِنْشَوَايَ! عَلَى رُبَاكِ سَلَامٌ ذَهَبَتْ بِأَنْسِ رِبْوَعِكَ الْأَيَّامُ
كَيْفَ الْأَرَامِلُ فِيكَ بَعْدَ رَجَالِهَا وَبِأَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ الْأَيْتَامُ
عِشْرُونَ بَيْتًا أَقْفَرْتُ وَانْتَابَهَا، بَعْدَ الْبَشَاشَةِ، وَخَشَّةٌ وَظِلَامُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي فِي الْبُرُوجِ حَمَائِمُ أَمْ فِي الْبُرُوجِ مَنِيَّةٌ وَجِمَامُ
نِيْرُونَ! لَوْ أَدْرَكْتَ عَهْدَ كُرُومِي لَعَرَفْتَ كَيْفَ تُنْفَقُ الْأَحْكَامُ

نُوحِي حَمَائِمَ دِنْشَوَايَ، وَرَوِّعِي شَعْباً بُوَادِي النِّيلِ لَيْسَ يَنَامُ
وَالْمُسْتَشَارُ إِلَى الْفُظَائِحِ نَاطِرٌ تَذْمَى جُلُودَ حَوْكِهِ وَعِظَامُ

في ١٣/٧/١٩٠٦ توفي جندي إنجليزي في قرية دنشواي بالمنوفية عندما كان يصطاد الحمام مع أربعة من زملائه. مات بضربة شمس بعد وقوع صدام بين الجنود وأهل دنشواي. إثر وفاة الجندي اعتقل الإنجليز اثنين وخمسين من أهالي القرية، وأقيمت محكمة صورية قضت بشتى أربعة رجال، وسجن وجلد ستة وعشرين رجلاً. والجندي المصري الذي كان يرافقه الإنجليز أفاد في شهادته بغير ما يرضي المحكمة فرفضت شهادته وحكم عليه بالحبس سنتين. كان رئيس المحكمة المستشار أحمد فتحي زغلول (أخا سعد زغلول). وكان المعتمد الإنجليزي في مصر اللورد كرومر. من بين من شتى حسن محفوظ، وشتى عند باب بيته وعلى مرأى من أولاده وأحفاده.

كتب جورج برناردشو في مقدمة مسرحيته «جزيرة جون بول الأخرى» وصفاً بعنوان «فضيحة دنشواي»: «كانت مشقة واحدة، وكانوا يتركون المشنوق عليها نصف ساعة ليتأكدوا من موته، ولينحوا أسرته ما يكفي من الوقت لمشاهدته متديلاً. لذا استمرت العملية ساعتين لقتل الرجال الأربعة. وللترويح عن أنفسهم في هذا الوقت كانوا يجلدون ثمانية رجال، خمسين جلدة لكل منهم».

١١٥ وداع كرومر

استقال اللورد كرومر على إثر فضيحة دنشواي، بعد أربع وعشرين سنة في منصبه معتمداً بريطانياً بمصر. وأقيم حفل لوداعه، فخطب خطبة كان فيها قليل الأدب مع مصر ومع الإسلام. وتكهن أن تظل مصر بلداً متخلفاً. فقال شوقي يذكره أن مصر شهدت ازدهاراً.. لكن قبل الاحتلال البريطاني (١٩٠٧):

أَيَاكُمْ أُمَ عَهْدُ إِسْمَاعِيلَا أُمَ أَنْتَ فِرْعَوْنُ يَسُوسُ النِّيلَا
أُمَ حَاكِمٌ فِي أَرْضٍ مُضَرَّ بِأَمْرِهِ لَا سَائِلًا أَبَدًا وَلَا مَسْؤُولًا؟
أُمَ أَنْتَ كَالْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْفَاطِمِي الْمُسْتَبَدِّ الْأَهْوَجِ

يَا مَالِكَا رِقِّ الرِّقَابِ بِبَاسِهِ هَلَّا اتَّخَذْتَ إِلَى الْقُلُوبِ سَبِيلَا
لَمَا رَحَلْتَ عَنِ الْبِلَادِ تَشْهَدْتُ فَكَأَنَّكَ الدَّاءُ الْعِيَاءُ رَحِيلَا
الدَّاءُ الْعِيَاءُ: الَّذِي لَا بَرَّ مِنْهُ

أَوْسَعَتْنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ إِهَانَةً أَدَبٌ لَعَمْرُكَ لَا يُصِيبُ مَثِيلَا!
أَوْسَعَتْنَا (ملأتنا) يوم توديعك إهانة، وهذا أدب لا يصيب (يلاقي) مثيلاً له!

هَلَّا بَدَا لَكَ أَنْ تُجَامِلَ بَعْدَمَا صَاعَ الرَّئِيسُ لَكَ الشَّنَا إِكْلِيلَا
الرئيس: رئيس الوزراء مصطفى فهمي، الذي أثنى في الحفل على كرومر

أَنْذَرْتَنَا رِقًّا يَدُومٌ وَذِلَّةً تبقى، وحالاً لا ترى تحويلاً
أَحْسِبْتَ أَنَّ اللَّهَ دُونَكَ قَدْرَةٌ لا يملك التغيير والتبديلاً
قالوا: جلبت لنا الرفاهة والغنى جحدوا الإله وصنعه والنيل
وحياة مصر على زمانٍ محمدٍ ونهوضها من عهد إسماعيل
ومن قال ذلك جحد ما كان من نهضة على زمان محمد (محمد علي) والخديوي إسماعيل
ومدارساً تبني البلادَ حوافلاً حظَّ الفقيرِ بهنَّ كان جزيلاً
حوافل: حافلة، ممتلئة، ولم تكن لأبناء الأغنياء فقط

وَمَعَايِلًا لَا تَمُحِي آثَارُهَا وجيوش إبراهيم والأسطولا
وجداولاً بين الضياع جوارياً تذرُ اليبابَ مزارِعاً وحُقولا
الجداول الجواري: الجداول الجارية، بين الضياع: المزارع، اليباب: الأرض الخراب غير المزروعة

والقطنَ مَزْرُوعاً بِفَضْلِ مُحَمَّدٍ في مصرَ محلوجاً بها مغزولا
لم يزرع القطن بها فقط، بل أدخل تصنيع القطن أيضاً. للبيت رنة جميلة، ومعنى جميل
قد مدَّ إسماعيلُ قَبْلَكَ لِلوَرَى ظلَّ الحضارة في البلادِ ظليلاً
إِنْ قِيسَ، فِي جُودٍ وَفِي سَرَفٍ، إِلَى ما تُنْفِقُونَ اليَوْمَ عُدَّ بخيلاً
أَوْ كَانَ قَدْ صَرَعَ الْمَفْتَشُ مَرَّةً فَلَكُمْ صَرَعَتْ بِدِنْشَوَايَ قتيلاً
كان الخديوي إسماعيل قد قتل إسماعيل باشا مفتش الأقاليم في حادثة شنيعة

فِي كُلِّ تَقْرِيرٍ تَقُولُ خَلَقْتُكُمْ أفهل ترى تقريرك التَّنْزِيلَ؟
هَلْ مِنْ نَدَاكَ عَلَى الْمَدَارِسِ أَنَّهَا تذرُ العلومَ وتأخذُ الفُتُوبلا
نذاك: كرمك، الفتبول: كرة القدم

أَمْ مِنْ صِبَايَتِكَ الْقَضَاءُ بِمُضَرٍّ أَنْ تأتي بقاضي دِنْشَوَايَ وَكيلاً
المستشار أحمد فتحي زغلول كان رئيس المحكمة التي قضت بإعدام وجلد وسجن الناس في قطيعة دنشواي، وكافاه كرومر بأن جعله وكيل وزارة الحقانية «العدل»

فَارْحَلْ بِحَفِظِ اللَّهِ جَلَّ صَنِيعُهُ مُسْتَعْفِياً إِنْ شِئْتَ أَوْ مَعْزولاً
إِنَّا تَمَنَّيْنَا عَلَى اللَّهِ الْمُنَى وَاللَّهُ كَانَ بِنَيْلِهَا كَفِيلاً
مَنْ سَبَّ دِينَ مُحَمَّدٍ، فَمُحَمَّدٌ مُتَمَكِّنٌ عِنْدَ الْإِلَهِ رَسولاً

١١٦ باض وفرخ

قال شوقي، ونشر هذين البيتين باسم مستعار، وما أكثر ما صنع ذلك، ولكن محمد صبري السوربوني في كتابه الكبير «الشوقيات المجهولة» رصد لنا الكثير مما نشره شوقي باسم مستعار ثم لم يضمه في ديوانه (١٩٠٧):

أَيْهَا الْبَحْرُ! أَلْقِي فِي مَصْرٍ أَمْلًا حَكَ حَتَّى تُرَابُهَا يَتَسَبَّخُ
يتسَخ: يصبح سبخة (مستقعا) غير صالح للزراعة

كُلُّ مَنْ ضَاقَتِ الْحَيَاةُ عَلَيْهِ جَاءَ مَصْرًا، وَبَاضَ فِيهَا وَفَرَّخَ
يعرّض شوقي بالأجانب ذوي الامتيازات من الطليان واليونانيين والإنجليز، وأستبعد أن يكون قصد أيضاً اللبانيين الذين كان لهم في المجتمع الثقافي المصري شأن. فمن هؤلاء كان له أصدقاء خلّص كثير، وكانوا - مثله - متمصرين لا متطفلين

١١٧ أرجوزة الحكم

قال شوقي يخاطب النشء (١٩٠٧):

اطْلُبِ الْعِلْمَ لَذَاتِ الْعِلْمِ، لَا لظهورٍ باطلٍ بينَ الملا
عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْعِلْمِ مَذَاقٌ فإِذَا فَاتَكَ هَذَا فَافْتَرَأْ
طَلَبُ الْمَحْرُومِ لِلْعِلْمِ سُدى لَيْسَ لِلْأَعْمَى عَلَى النُّورِ هُدًى
المحروم من تذوق لذة العلم لا فائدة من طلبه للعلم

فإِذَا فَاتَكَ تَوْفِيقُ الْعَلِيمِ فامتنع عن كلِّ تحصيلٍ عقيمٍ
وَاطْلُبِ الرِّزْقَ هُنَا أَوْ هُنَا كَمْ مَعَ الْجَهْلِ يَسَارٌ وَغْنَى
فليطلب الإنسان رزقه من غير طريق العلم، وكمن من جاهل أصاب يساراً (غنى)

إِنَّ لِلْعِلْمِ جَمِيعاً فِلَسْفَةً مِنْ تَغِبَ عَنْهُ تَفُتُّهُ الْمَعْرِفَةُ
قُلْ إِذَا خَاطَبْتَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ دِينٌ رَضِيتُمْ وَلِي دِينٌ
خَلٌّ لِلدِّيَانِ فِيهِمْ شَأْنُهُ إِنَّهُ أَوْلَى بِهِمْ سَبْحَانَهُ
كُلُّ حَالٍ صَائِرٌ يَوْمًا لِضِدِّ فَدَعِ الْأَقْدَارَ تَجْرِي وَاسْتَعِذْ
فَلَنْكَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ يَدُورُ لَا تُعَارِضْ أَبَدًا مَجْرَى الْأُمُورِ
كُلُّ حَيٍّ، مَا خَلَا اللَّهَ، يَمُوتُ فَاتُرْكُ الْكِبَرَ لَهُ وَالْجَبَرُوتُ
اطْلُبِ الْحَقَّ بَرَفَقٍ تُحْمَدِ طَالِبُ الْحَقِّ بِعَنْفٍ مُعْنَدِ

أَحِبِّ الْوَطَنَ، وَإِنْ لَمْ يَكْ لَكَ إِنَّمَا الْوَطَنُ عَلَى الْأَرْضِ مَلَكٌ
عَظْفَةً مِنْهُ عَلَى لُغَبِيهِ تُخْرِجُ الْمَحْزُونِ مِنْ كُرْبِيهِ
وَاجْعَلِ الْحَجَّ إِلَى أُمِّ الْقُرَى غِبَّ حَجَّ لِبُيُوتِ الْفُقَرَا

غب: بعد

لَيْسَ لِي فِي طَبِّ جَالِينُوسَ بَاغٌ بَيْنَدُ أَنَّ الْعَيْشَ دَرْسٌ وَأُطْلَاغٌ
أَحْذَرِ التُّخْمَةَ إِنْ كُنْتَ فَهِي إِنْ عِزْرَائِيلَ فِي خَلْقِ النَّهْمِ
وَأَتَّقِ الْبَرْدَ فَكَمْ خَلَقَ قَتْلٌ مَنْ تَوَقَّاهُ أَتَقَى نَصْفَ الْعِلَلِ
وَاتْرِكِ الْخَمْرَ لِمَشْغُوفٍ بِهَا لَا يَرَى مَنْدُوحَةً عَنْ شُرْبِهَا
وَتَعَشَّشْ وَتَعَفَّفْ وَأَتَّقِ مَا دَرَى اللَّذَّةَ مَنْ لَمْ يَعِشْ

سخر العقاد من هذه الأرجوزة كثيراً. ولعل المرء لا يملك إلا أن يكتب ابتسامة وهو يقرأ نصائح شوقي في اجتناب التخممة والبرد. على أن شاعرنا ربما كان يريد فقط مبارأة أبي العتاهية في أرجوزته المعروفة بذات الأمثال، التي امتدح الجاحظ بيتها: (يا للشباب المرح التصابي/روائح الجنة في الشباب). وأنا أمتدح، مجيزاً لنفسى القعود بجانب أبي عثمان، البيت: (إن الشباب والفراغ والجدة/مفسدة للمرء أي مفسدة)، أو لعله كان يقلد ابن الوردي في لاميته النصحية (اعتزل ذكر الأغاني والغزل/وقل الفصل وجانب من هزل) وهي على بحر الرمل كقصيدة شوقي

١١٨ النفوس حرائر

قال شوقي (١٩٠٨):

إِنَّ الْوُفُوسَ، كَمَا عَلِمْتُ، حَرَائِرٌ كَذَبَ الْأَلَى قَالُوا: الْوُفُوسُ إِمَاءُ
الْوُفُوسُ حُرَّةٌ، وَقَدْ كَذَبَ الْأَلَى (الَّذِينَ) قَالُوا إِنَّهَا إِمَاءُ (جَوَارٍ مُسْتَعْبِدَةٍ)
وَالشَّعْبُ إِنْ مَلَّ الْحَيَاةَ ذَلِيلَةٌ هَانَ الرِّجَالُ عَلَيْهِ الْأَشْيَاءُ
إذا مل شعب الحياة هانت الذلة هانت عليه النفوس والأشياء (الممتلكات)

١١٩ الصعب والسهل

قال شوقي (١٩٠٨):

مَا أَصْعَبَ الْفِعْلَ عَلَى مَنْ رَأَاهُ وَأَسْهَلَ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادَ

١٢٠ سبحانهم

قال شوقي ينتقد الحزب الوطني، ويؤيد أحمد زكي باشا شيخ العروبة في خصومته مع الحزب بعد وفاة زعيمه مصطفى كامل وتزعم محمد فريد للحزب (١٩٠٨):

شَرُّ الْبَلِيَّةِ أَنْ يَكُونَ زَعِيمَا مَنْ لَا يُسَالِمُ فِي الرِّجَالِ كَرِيمَا
عَابُوكَ إِذْ وَجَدُوا صَنِيعَكَ بَارِعَا وَرَأَوْا سَبِيلَكَ فِي الْحَيَاةِ قَوِيمَا
فَتَحُوا لِحِزْبِهِمُ الْجَنَانَ، وَأَعْتَدُوا سُبْحَانَهُمُ لِلْكَافِرِينَ جَحِيمَا

كان شوقي صديقاً لزعيم الحزب الوطني مصطفى كامل، وعندما مات انصرف عن الحزب ولم يكن شديد التحمس لمحمد فريد. وكان شوقي يناصب سعد زغلول العداء لقربه من الإنجليز الذين يقتطعون قطعة كبيرة من نفوذ الخديوي عباس حلمي ولي نعمة شوقي. ورأينا شوقي يسخر من سعد زغلول عندما زار لندن سنة ١٩٠٦، ويسخر من أخيه الذي كان رئيس محكمة دنشواي، وسنرى شوقي يقترب من الأحرار الدستوريين بعض الاقتراب، وهو رجل غير حزبي، حزبه الخديوي فحسب. وسنراه يقترب من سعد زغلول بعد سنوات، بل ويصبح كثير التردد على مجالسه، ثم ينال مقعداً في مجلس الشيوخ عن الوفد، حزب سعد، سنة ١٩٢٤

١٢١ النفس الكريمة

قال شوقي (١٩٠٨):

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا نَفْسِي بِجَاهِلِيَّةٍ مَنْ أَهْلُ خُلَّتِهَا مِمَّنْ يُعَادِيهَا
علم الله أنني لا أجهل أهل خلتي (صداقتي) من أعدائي
والنفسُ إنْ كَبُرَتْ رَقَّتْ لِحَاسِدِهَا واستغفرتُ، كَرَمًا مِنْهَا، لِشَانِيهَا
شانيها: كارها

١٢٢ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانٍ

قال شوقي يرثي مصطفى كامل (١٩٠٨):

الْمَشْرِقَانِ عَلَيْكَ يَنْتَحِبَانِ قَاصِيَهُمَا فِي مَأْتَمٍ وَالْذَّنَانِ
الشرق الأقصى والشرق الأدنى يتحبان عليك
يتساءلون: أِبَالَسَّلَالٍ قَضِيَتْ، أَمْ بِالْقَلْبِ، أَمْ هَلْ مُتَّ بِالسَّرَطَانِ
السلال: مرض السل

اللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ مَوْتَكَ بِالْحِجَا وَالْجِدِّ وَالْإِقْدَامِ وَالْعِرْفَانِ
سبب موتك توقد الحجي (العقل)، والنشاط المفرط

إِنْ كَانَ لِلْأَخْلَاقِ رُكْنٌ قَائِمٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَأَنْتَ الْبَانِي
وَالْخُلْدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَيْسَ بِهَيِّينَ، عَلِيَا الْمَرَاتِبِ لَمْ تُتَّخِ لِحَبَانِ
وَأَحَبُّ مِنْ طَوْلِ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ قَصَرُ يُرِيكَ تَقَاصِرَ الْأَقْرَانِ
مات مصطفى كامل عن ٣٤ سنة، وقصر حياته يبرز تفوقه على أقرانه

دَقَاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ: إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِ

أنفق العقاد صفحة من كتاب «الديوان» في نقد هذا البيت. ولكن العقاد، في كل كتابه الذي سخره
لنقد وشتم شوقي، كان يغفل أن مما يحبه المرء في الشعر إيقاعاً تفهمه الأذن دون الدماغ. هذا
بيت بديع في معناه، بديع في إيقاعه، وأحب أن أقرأه جهراً مشدداً على قافاته الخمسة

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمْرٌ ثَانِ
لَوْ كَانَ لِلذِّكْرِ الْحَكِيمِ بَقِيَّةٌ لَمْ تَأْتِ بَعْدُ، رُئِيتَ فِي الْقُرْآنِ
وَلَقَدْ نَظَرْتُكَ وَالرَّدَى بِكَ مُحْدِقٌ وَالدَّاءُ مَلَأَ مَعَالِمَ الْجِثْمَانِ
محدق بك: محيط بك

يَبْغِي وَيَطْعَى وَالطَّبِيبُ مُضَلَّلٌ قَنِطٌ، وَسَاعَاتُ الرَّحِيلِ دَوَانِ
قنط: قانط يائس، دوان: دانية قريبة

وَنَوَاطِرُ الْعُودِ عَنْكَ أَمَالُهَا دَمْعُ تُعَالِجْ كَثْمَهُ وَتُعَانِي
العواد (الزوار الذين يعودونك في مرضك) مالت نواظرهم (عبرنهم) بعيداً عنك وهم يعالجون
(يعالون) الدمع لمنعه من الهمول

تُمْلِي وَتُكْتَبُ وَالْمِشَاغِلُ جَمَّةٌ وَيَدَاكَ فِي الْقِرطَاسِ تَرْتَجِفَانِ
أما أنت فتشتغل رغم مرضك

فَهَشَشْتَ لِي حَتَّى كَأَنَّكَ عَائِدِي وَأَنَا الَّذِي هَذَا السَّقَامُ كِيَانِي
رحبت بي منشراً كأنك أنت الذي تعودني، وكأنني أنا الذي هذ السقام (المرض) كياني
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَمُوتُ آسَادُ الشَّرَى وَعَرَفْتُ كَيْفَ مِصَارِعُ الشُّجْعَانِ
رأيت فيك كيف تموت أسود الشرى (الشرى مأسدة كانت عند الفرات)

وَجَعَلْتَ تَسْأَلُنِي الرِّثَاءَ فَهَاكُهُ مِنْ أَدْمُعِي وَسَرَائِرِي وَجَنَانِي
طلبت مني أن أرتبك فهاك (خذ) الرثاء من دموعي وسرائري (ضميري) وجناني (قلبي)

لَوْلَا مِغَالِبَةُ الشُّجُونِ لَخَاطَرِي لَنَظَّمْتُ فِيكَ يَتِيمَةَ الْأَزْمَانِ
لولا مغالبة (منازعة) الشجون (الأحزان) لخاطري (لقريحتي) لنظمت فيك قصبدة هي الدرة اليتيمة

وأنا الذي أرثي الشمسَ إذا هَوَتْ فتعودُ سِيرَتَهَا إلى الدَّوَرَانِ
قد كنتَ تهتِفُ في الورى بِقِصَائِدِي وتُجِلُّ فوقَ النِّيرَاتِ مَكَانِي
النيرات: النجوم

ماذا دهاني يومَ بِنْتَ فَعَقَنِي فيكَ القريضُ، وخانَنِي إمكاني
بنت: فارقت، عني القريض: خاني الشعر، وخاني إمكاني (قدرتي)
يا صَبَّ مصرَ وبا شهيدَ غرامِها هذا ثرى مِضِرٍ فنمَّ بأمانِ
صب: محب

أقسمتُ أنَّكَ في التُّرابِ طهارةٌ مَلَكٌ يَهَابُ سؤاله الملكانِ

١٢٣ العدل بين الأولاد

قال شوقي في أولاده الثلاثة (١٩٠٩):

يقولون: لِمَ تُظَرِّي عَلِيًّا وأختَهُ وتنسى حُسَيْنًا، والحسينُ كريمُ
يقولون لِمَ (لماذا) تطري (تنتي على) عليًّا وأخته أمينة، وتنسى حسينًا، وإنه لعزيز علي
فقلتُ: فؤادي للثلاثةِ منزلٌ هُما طُنُباءُ، والحسينُ صَمِيمُ
فقلت قلبي منزل (المنزل في العربية القديمة هو الخيمة) الأولان طنبان فيه (حبلان يشدان الخيمة)
والحسين صميم (الأصل)

إذا ما بدا لي أنْ أفاضِلَ بينهم أبى لي قلبٌ عادِلٌ ورحيمُ
أُحِبُّ صغارَ العالمينَ لأجلِهِم وَيَعِطِفُ قلبي ذو أبٍ، ويتيمُ
أحب الصغار جميعاً لأجل أولادي، ويعطف قلبي (يستمله) الطفل ذو الأب والطفل اليتيم

١٢٤ ريم على القاع

قال شوقي (١٩٠٩):

ريمٌ على القاعِ بينَ البانِ والعَلَمِ أحلَّ سفكَ دمي في الأشهرِ الحُرُمِ
ريم (غزال) على القاع (السهل) بين موضعي «البان» و«العلم» أحل لنفسه أن يسفك دمي في
الأشهر الحرم (ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب التي لم تكن العرب تحترب فيها)

رمى القضاء بِعَيْنَيَّ جُودِرَ أَسَدًا يا ساكنَ القاعِ أدركَ ساكنَ الأَجَمِ
رمى قضاء الله عن طريق عيني جودر (صغير البقر الوحشي) أسداً (أي رمانى، وأنا الأسد، بسهام
العشق التي انطلقت من عيني هذه الفتاة الجميلة)، فيا ساكن السهل أدرك (ارحم) ساكن الأجم
(الغابة)، أي يا أينها الفتاة ارحمي هذا العاشق

لَمَّا رَنَا حَدَّثْتَنِي النَّفْسُ قَائِلَةً يا وَنَحْ جَنِيكَ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي
عندما رنا (نظر) قالت لي نفسي: يا ويح جنبك فقد رماه هذا الحبيب بسهم صائب

جَحَدْتُهَا، وَكَتَمْتُ السَّهْمَ فِي كَبِدِي جَرَحُ الْأَحَبَّةِ عِنْدِي غَيْرُ ذِي أَلَمٍ
جحدت (نجاهلت) نفسي وقولها، وكتمت السهم في كبدي، فضرب الحبيب مثل أكل الزبيب.
يقول عمران القفيني: «لو كنا سننوه بكل بيت، ونكشف من أين أخذه شوقي لاحتاج الكتاب
عشرين صفحة إضافية على الأقل. على أنها «وَلَعْتُ معي» عند هذا البيت! أليس هذا من قول
المتنبي «وما لجرح إذا أرضاكم ألم؟»

رُزِقْتَ أَسْمَحَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خُلُقٍ إِذَا رُزِقْتَ «التَّمَّاسَ الْعُذْرَ» فِي الشَّيْمِ
أيها الإنسان تكون قد رزقت أسمح خلق إذا رزقت التماس العذر للناس ضمن الشيم (الخصال)
التي في نفسك

يا لَائِمِي فِي هَوَاهُ، وَالْهَوَى قَدَرٌ لو شَفَّكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْدِلْ وَلَمْ تَلَمْ
يا لائمي في حبه، والعشق قدر، لو شَفَّكَ (أوجعك) الوجد (الغرام) لم تعدل (لم تلم)

لَقَدْ أَنْلَتْكَ أَذْنًا غَيْرَ وَاَعِيَةٍ وَرُبُّ مُنْتَصِبٍ وَالْقَلْبُ فِي صَمَمٍ
لقد أعطيتك أذناً ولكنها غير مصغية، وكثيراً ما يظهر على المرأة أنه متصت (منصت)، ولكن قلبه أصم

يا نَاعَسَ الطَّرْفِ! لَا ذَقْتَ الْهَوَى أَبَدًا أَسْهَرْتَ مُضْنَاكَ فِي حِفْظِ الْهَوَى فَنَمَ
ويا أيها المحبوب، يا من طرفه (عيناه) ناعس، أدعو لك ألا تذوق الهوى رحمة بك. لقد أسهرت
مضناك (المريض بحبك) فتم

يا نَفْسُ! دُنْيَاكَ تُخْفِي كُلَّ مُبْكِيَةٍ وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا حَسَنٌ مُبْتَسِمٍ
يا نفسي! دنياك تخفي لك كل ما يبكي، وإن بدا لك منها مبسم (ابتسام) حسن

صَلَّاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمِ
إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرٍ مُعْتَصِمٍ
المعتصم: الحصن المنيع

وَإِنْ تَقَدَّمَ ذُو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَبْرَةَ النَّدَمِ
إن قدم ذو التقوى عملاً صالحاً قدمت عبرة (دمعة) الندم على معاصي

يا أفصح الناطقين الضَّادَ قاطبةً حديثك الشَّهْدُ عندَ الذَّائقِ الفَهِمِ
يا محمد! حديثك النبوي هو الشهد عند الذائق (المتذوق) الفَهِمِ (الذكي)

أَتَيْتِ والنَّاسُ فَوْضَى، لَا تَمُرُّ بِهِمْ إِلَّا عَلَى صَنِمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنِمِ
أتيت برسالتك والناس فوضى لا ترى فيهم إلا رجلاً جاهلاً كالصنم هانماً بصنم يعبده

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكُهُ وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ
أسرى بك الله ليلاً إذ الملائكة (الملائكة) والرسول قد قاموا واقفين في المسجد الأقصى لتصلي بهم

حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُّ لَهَا عَلَى جَنَاحٍ، وَلَا يُسَعَى عَلَى قَدَمِ
ثم عرج بك إلى السماء التي لا يصلها واصل، طائراً بجناح أم سائراً بقدم

وَقِيلَ: كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رَبِّتِهِ وَيَا مُحَمَّدُ هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ
وقيل فليزِم كل نبي رتبته، ويا محمد هذا عرش الله فاستلمه (قبَّله)

يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ لِي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي وَكَيْفَ لَا يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ سَمِي
يا أحمد (من أسماء الرسول) لي شرف بتسميتي فأنا أحمد، وكيف لا يتسامى (يعلو) بالرسول
سمي (المسمَّى بنفس الاسم)

الْمَادِحُونَ وَأَرْبَابُ الْهَوَى تَبَعُ لِصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفِيحَاءِ ذِي الْقَدَمِ
كل من مدح الرسول وأرباب الهوى (ذوو الحب للرسول) تبع (تابعون) لصاحب البردة الفيحاء
(العطرة) ذي القدم (السابق/المتقدم زماناً)

وصاحب البردة هو البوصيري الذي عارضه شوقي في قصيدته هذه

اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَا أُعَارِضُهُ مَنْ ذَا يُعَارِضُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْعَرِمِ
إذن فشوقي لا يعارضه (ينافسه)، ومن ذا الذي ينافس صوب (انهمار) العارض (السحاب) العرم
(المتدفق)

قَالُوا: غَزَوْتَ، وَرُسُلُ اللَّهِ مَا بُعِثُوا لِقَتْلِ نَفْسٍ، وَلَا جَاءُوا لِسَفْكِ دَمٍ
قالوا إنك يا رسول الله غزوت، والرسول ما بعثوا للقتل

جَهْلٌ وَتَضْلِيلٌ أَحْلَامٌ وَسَفْسَظَةٌ، غَزَوْتَ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الْغَزْوِ بِالْقَلَمِ
وما قالوه جهل وسفسطة (حجج ملفقة)

وَالشَّرُّ إِنْ تَلَّقَهُ بِالْخَيْرِ ضَمِقَتْ بِهِ ذَرْعًا وَإِنْ تَلَّقَهُ بِالشَّرِّ يَنْحَسِمِ
إن واجهته الشر بالخير ضقت به ذرعاً، وإن واجهته بشر مثله حسمته (قطعت دابره)

دَعَوْتُهُمْ لِحِجَاهٍ فِيهِ سَوَّدَتْهُمْ والحربُ أَسُّ نِظَامِ الْكَوْنِ وَالْأَمَمِ
دَعَوْتُ يَا مُحَمَّدَ الْعَرَبِ لِحِجَاهٍ فِيهِ سَوَّدَ (سَيَادَةُ) لَهُمْ ، والحرب هي أساس نظام الكون والأمم

يَا رَبِّ هَبَّتْ شُعُوبٌ مِنْ مَنِيَّتِهَا واستيقظتْ أُمَّمٌ مِنْ رَقْدَةِ الْعَدَمِ
يا رب قد هبت (استيقظت) شعوب أخرى من منيتها (من موتها)، واستيقظت من رقدة
الفناء . وكانت اليابان قبل سنوات قلائل من هذه القصيدة قد أكدت نهضتها الباهرة
بنصر مؤزر على روسيا، واستيقظ الوعي القومي عند اليونان والبلغار والصرب الذين
يحكمهم الترك، وبدا جلياً أن دولة الترك التي يناصرها شوقي آيلة للتفكك

فَالطُّفُفُ لِأَجْلِ رَسُولِ الْعَالَمِينَ بِنَا وَلَا تَزِدْ قَوْمَهُ خَسْفًا وَلَا تَسُمِ
لا تزدنا خسفاً ولا تُسْمِنَا (لا تُذِلَّنَا)

يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدْءَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ فَتَمِّمِ الْفَضْلَ وَامْنَحْ حُسْنَ مُحْتَمِّمِ

١٢٥ الرقيب

قال شوقي في الرقيب على الصحف في تركيا، وذلك بعد أن ألغى رجال العهد الجديد
منصبه (١٩٠٩):

لَنَا «رَقِيبٌ» كَانَ مَا أَثْقَلَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَحَّلَهُ
لَوْ ابْتَلَى اللَّهُ بِهِ عَاشِقًا مَاتَ بِهِ لَا بِالْعَجْوِ وَالْوَكْهِ
الرقيب رقيب الصحف، والرقيب أيضاً الشخص المكلف بمراقبة العاشقين، فلو ابتلى الله برقيب
الصحف التركي هذا عاشقاً لمات العاشق منه لا من العجوى (ألم العشق) ولا من الوله (شدة العشق)
لَوْ دَامَ لِلصُّحُفِ وَدَامَتْ لَهُ لَمْ تَنْجُ مِنْهُ الصُّحُفُ الْمُنْزَلَةُ
لو دام هذا رقيباً على الصحف لامتد أذاه فأصاب «الصحف» المنزلة (الكتب السماوية/ صحف
إبراهيم وموسى)

لَوْ خَالَ «بِسْمِ اللَّهِ» فِي مُصْحَفٍ تُغْضِبُ تَحْسِينًا مَحَا الْبَسْمَلَةَ
لو ظن أن البسملة في المصحف تغضب تحسناً (حسن تحسين باشا القائد البحري التركي) لمحاهها

جَرَّائِدُ التُّرْكِ عَلَى عَهْدِهِ كَانَتْ بِلاَ شَأْنٍ وَلَا مَنْزِلَةٍ
الشرُّ بالشرِّ، فَيَا قَوْمُ لَا إِثْمَ إِذَا رَاقِبْتُمْ مَنْزِلَةَ
فقابلوا شره بشر، وراقبوا منزله جزاء ما كان يراقب الصحف

فَحَاصِرُوا الْأَبْوَابَ وَاسْتَوْقَفُوا مَنْ أَخْرَجَ الرَّادَ وَمَنْ أَدْخَلَهُ
وأوقفوا للتفتيش من يحمل إليه الطعام

إِنْ كَانَ فِي السَّلَّةِ تَفَاحَةٌ ضَعُوهَا لَهُ مَوْضِعَهَا حَنْظَلَةٌ

فإن وجدتم في الطعام تفاحة فأبدلوا بها حنظلة (الثمرة المرة)

ذَلِكَ يَا قَوْمُ جَزَاءُ امْرِئٍ كَمْ غَيَّرَ الْحَقَّ، وَكَمْ بَدَّلَهُ

تبدیل بتبدیل

١٢٦ انقلاب شوقي على عبد الحميد

قال شوقي في الانقلاب العثماني (١٩٠٩):

عَبْدَ الْحَمِيدِ! حَسَابُ مِنْهُ لِيكَ فِي يَدِ الْمَلِكِ الْغُفُورِ

سُدَّتِ الثَّلَاثِينَ الطُّوَا لَ وَلَسَنَ بِالْحُكْمِ الْقَصِيرِ

حكم عبد الحميد الثاني تركيا ٣٣ سنة (١٨٧٦ - ١٩٠٩). إذا قرأ هذا الشرح معلم مدرسة، ورأى أن يدرّس القصيدة لتلاميذه، فليعلم أنني ما وضعت التواريخ حتى يفرضها على ذاكرتهم. وضعها زيادة في الشرح، وحتى أريحك من عناء البحث

تَنْهَى وَتَأْمُرُ مَا بَدَا لَكَ فِي الْكَبِيرِ وَفِي الصَّغِيرِ

لَا تَسْتَشِيرُ، وَفِي الْحِمَى عَدْدُ الْكَوَاكِبِ مِنْ مُشِيرِ

لا تستشير أحداً رغم أن في البلد عدد الكواكب من العقلاء المشيرين بالصواب

أَيَّنَ الرُّوِيَّةُ وَالْأَنَا ةُ وَحِكْمَةُ الشَّيْخِ الْخَبِيرِ

إِنَّ الْقَضَاءَ إِذَا رَمَى ذَلِكَ الْقَوَاعِدَ مِنْ نُبِيرِ

القضاء حين يرمي بسهمه يدك قواعد جبل ثبير

دَخَلُوا السَّرِيرَ عَلَيْكَ يَحْ تَكْمُونَ فِي رَبِّ السَّرِيرِ

دخل الانقلابيون السرير (قاعة الحكم) وتحكموا في رب (صاحب) الديوان، فأسروه ونفوه إلى سالونيك (ومات هناك بعد تسع سنين/ ليست للحفظ)

أَعْظَمَ بِهِمْ مِنْ أَسِيرِ يَنْ وَبِالْخَلِيفَةِ مِنْ أَسِيرِ

فما أعظمهم، وما أعظم الخليفة الأسير!

١٢٧ الصابر على معتقداته

قال في أربعين قاسم أمين، الذي مات في ١٩٠٨، ونشرت القصيدة في (١٩٠٩):

يَا غَائِبِينَ وَفِي الْجَوَانِحِ طَيْفُهُمْ أَبْكِيكُمْ مِنْ غُيِّبِ حُضَارِ

يا غائبين وفي الجوانح (الصدور) صورتهم، أبكيكم وأنتم غائبون عن العين حاضرون في الذهن

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى سَفَرٌ سَأُزِمُّعُهُ مِنَ الْأَسْفَارِ
والذي يفصلني عنكم سَفَرٌ سوف أزمعه (أقوم به)

إِنِّي أَكَادُ أَرَى مَحَلِّي بَيْنَكُمْ هَذَا قَرَارُكُمْ وَذَاكَ قَرَارِي
هذا قراركم (مكان استقراركم/ قبركم) وذاك بقره قراري الذي سأُنزل به

أَوْفَى الرِّجَالِ لِعَهْدِهِ وَلِرَأْيِهِ وَأَبْرَهُمْ بِصَدِيقِهِ وَالْجَارِ
قاسم أمين كان أوفى الرجال وأبرهم

وَأَشَدُّهُمْ صَبْرًا لِمَعْتَقِدَاتِهِ وَتَأَدُّبًا لِمَجَادِلِ وَمُمارِ
المماري (المجادل المكابر)

١٢٨ شعوبك يا محمد في سبات

قال شوقي يهنئ الخديوي عباس حلمي بالحج. يقول حسين أحمد شوقي في كتابه «أبي شوقي» إن الخديوي عباس حلمي عزم على شوقي أن يحج معه، ولكن شوقي نفلت من الموكب ولم يذهب للحج، وكانت هذه الاعتذارية (١٩١٠):

إِلَى عَرَافَاتِ اللَّهِ يَا خَيْرَ زَائِرٍ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ فِي عَرَافَاتِ
لَكَ الدِّينُ يَا رَبَّ الْحَجِيجِ، جَمَعَتْهُمْ لَبَيْتِ ظَهْوِرِ السَّاحِ وَالْعَرَصَاتِ
السَّاحِ: الساحات، العرصات: الساحات

أَرَى النَّاسَ أَصْنَافًا، وَمِنْ كُلِّ بَقْعَةٍ إِلَيْكَ انْتَهَوْا مِنْ غُرْبَةٍ وَشَتَاتٍ
تَسَاوَوْا، فَلَا الْأَنْسَابُ فِيهَا تَفَاوُتٌ لَدَيْكَ، وَلَا الْأَقْدَارُ مَخْتَلِفَاتٍ
دَعَانِي إِلَيْكَ الصَّالِحُ ابْنُ مُحَمَّدٍ فَكَانَ جَوَابِي صَالِحَ الدَّعَاوَاتِ
دعاني الخديوي «عباس بن محمد توفيق» إلى بينك الحرام يا رب، فدعوت له بالخير

وَحَيَّرَنِي فِي سَابِحٍ أَوْ نَجِيْبَةٍ إِلَيْكَ، فَلَمْ أَخْتَرْ سِوَى الْعِبَرَاتِ
وخيرني في ركوب سابح (فرس) أو نجبية (ناقة)، فاخترت عبرات الاعتذار (دموع الاعتذار)
وَقَدَّمْتُ أَعْذَارِي وَذُلِّي وَخَشْيَتِي وَجِئْتُ بِضَعْفِي شَافِعًا وَشَكَاتِي
اعتذرت وقدمت خضوعي، وجعلت الشافع لي ضعفي وشكاتي (مرضي)

رَكَائِبُ عَبَّاسٍ الْعُلَا كِسْرَوِيَّةٌ وَلَكِنْ لِي سَيْفٌ وَرَبٌّ قَنَاقَةٌ
ركائب عباس (دوابه) كسروية (فاخرة التجهيز كدواب كسرى)، ولكنها تصلح لذي السيف، ورب (صاحب) الرمح

وفي راجتي ماضٍ إذا ما هزَّزْتُهُ تركتُ عدوَّ اللَّهِ في السَّكراتِ
وأما أنا ففي يدي قلم ماضٍ، إذا حركته تركت أعداء الله في سكرات الموت

أتيتَ به يا ربُّ نوراً وحكمةً ونزَّهْتَهُ عن رِيبَةٍ وأذاةٍ
أنت جئتني يا رب بهذا القلم لتفيض منه الحكمة، ونزهته عن الريبة (الغيب) والأذى

ويا ربُّ لو سَخَّرْتَ ناقةً صالح لعبدِكَ ما كانتَ مِنَ السَّلَساتِ
وحظي سيء، فلو سخر لي الله ناقة النبي صالح المعطاء السلسة، لما كانت سلسة معي

ويا ربُّ هل تُغني عَنِ العبدِ حَجَّةٌ وفي العمرِ ما فيه مِنَ الهَفَواتِ
وماذا ينفعني الحج وقد ارتكبت هفوات كثيرة

إذا زُرْتَ يا مولاي قَبِرَ مُحَمَّدٍ وقَبِلْتَ مَثْوَى الْأَعْظَمِ العَطَراتِ
مولاي الخديوي عندما تزور قبر محمد، وتقبل مَثْوَى (موضع) عظامه الطاهرة

فَقُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ: يا خَيْرَ مُرْسَلٍ أبْثُكَ ما تَدْرِي مِنَ الحَسَراتِ
قل له: أبثك (أخبرك بـ) حسرات قلبي

شُعوبُكَ في شَرْقِ البِلادِ وغَرِبِها كأَصْحابِ كَهْفٍ في عَمِيقِ سُبَاتِ

١٢٩ مَضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ

قال شوقي يهنئ الخديوي عباس حلمي (١٩١٠):

مَضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ وَيَكَاهُ وَرَحَّمَ عُودُهُ
مضناك (المريض بحبك) جفاه (نبَّهه) مرقده (سريره) فهو ساهر، وبكاه عُودُهُ (زائرته) وترحموا عليه

حيرانُ القلبِ مُعَذِّبُهُ مقروحُ الجَفْنِ مُسَهِّدُهُ
جفنه مقروح (مجرَّح) من بكائه ومسَّهَد (ساهر)

أودَى حُرْقاً إِلَّا رَمَقاً يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتُنْفِذُهُ
أودى (مات) من الحُرْق (حُرْقَة في إثر حُرْقَة)، ولم يبق فيه سوى رمق (بقية حياة)، وهو يحافظ على هذه البقية من أجلك وأنت تُنفِذ هذه البقية (تفنيها)

يَسْتَهْوِي الْوُرُقَ تَأْوُهُ وَيُذِيبُ الصَّخَرَ تَنْهَدُهُ
يستهوِي الورق (الحمام) تأوَّهه، ويذيب الصخر تنهده

ويناجي النجمَ وَيُتَعَبُهُ وَيَقِيمُ اللَّيْلَ وَيُقْعِدُهُ
لكثرة سهره يتعب النجم وهو يناجيه (يحدثه)، ويتعب الليل أيضاً

الْحَسَنُ حَلَفْتُ بِيُوسُفَهِ وَالسُّورَةَ أَنَّكَ مُفَرَّدُهُ
حلفت بأحسن الحسن (بيوسف النبي مضرب المثل في الحسن)، وحلفت بسورة يوسف أيضاً،
أنتك أنت المتفرد بالحسن

قَدْ وَدَّ جَمَالَكَ أَوْ قَبَسًا حَوْرَاءُ الْخُلْدِ وَأَمْرُدُهُ
وقد تمنى جمالك أو قبساً منه (بعضاً منه) حوراء الجنة (ذات العينين الجميلتين) وأمرد الجنة
(الغلام ولما ينبت شعر وجهه)

وَتَمَنَّيْتُ كُلَّ مُقَطَّعَةٍ يَدَهَا لَوْ تُبْعَثُ تَشْهَدُهُ
وتمنت كل واحدة من تلك النسوة اللاتي قطعن أيديهن لما أذهلهن جمال يوسف، لو بعثها الله
لتشهد جمالك أنت

جَحَدْتَ عَيْنَاكَ زَكِيَّ دَمِي أَكْذَلِكَ خَدُّكَ يَجْحَدُهُ
أنكرت عيناك دمي الزكي الذي سأل في حيك، فهل خدك ينكر دمي؟ (وخدك محمر من دمي
النازف فكيف له أن ينكر؟)

قَدْ عَزَّ شُهُودِي إِذْ رَمَتَا فَأَشْرْتُ لِحَدِّكَ أَشْهَدُهُ
عز علي العثور على شهود يشهدون لي عندما رمت عيناك بهميها قلبي، فأشرت لخدك المحمر
حتى يكون شاهداً على هذه الجريمة

بَيْنِي فِي الْحَبِّ وَبَيْنَكَ مَا لَا يَقْدِرُ وَاشِ يُفْسِدُهُ
ما بال العاذل يفتح لي باب السُّلُوَانِ وَأَوْصِدُهُ
العاذل (اللائم) يسهل علي السلوان (النسيان)، لكنني أوصد (أسد) هذا الباب

وَيَقُولُ: تَكَادُ تُجَنُّ بِهِ فَأَقُولُ: وَأَوْشِكُ أَعْبُدُهُ
مُؤَلَايَ، وَرُوحِي فِي يَدِهِ، قَدْ ضَيَّعَهَا سَلِمَتْ يَدُهُ
ناقوس القلب يدقُّ له وحنايا الأضلع معبده
يا سيف الدولة عِشْ أَبَدًا لِلْعَصْرِ يَهْزُوكَ أَحْمَدُهُ

سيف الدولة عباس حلمي الثاني، والذي يهز السيف في هذا العصر ويثير نخوته هو أحمد شوقي.
وكان الذي يهز سيف الدولة الحمдاني في العصر المنصرم أحمد آخر هو أحمد بن الحسين المتنبّي

كُرْسِيُّكَ أَثْبَتُ مِنْ أَحَدٍ مَمْدُودُ الْعِزِّ مُؤَبَّدُهُ
كرسي حكمك ثابت كجبل أحد، وعزك مستمر للأبد

١٣٠ لو لم يقتل لمات

اغتيال بطرس غالي رئيس مجلس النظار (ما يعادل رئيس الوزراء)، على يد الصيدلي إبراهيم الورداني بست رصاصات أصابته اثنتان منها، لأنه كان - فيما قيل - يدبر لتمديد امتياز قناة السويس. وكان غالي يسائر الإنجليز، مثله في ذلك مثل معظم كبار الموظفين، ويسمى للتوفيق بينهم وبين الوطنيين (أنصار الحزب الوطني، وكان الورداني منهم) والعربيين قبل ذلك. وأدى اغتيال بطرس غالي إلى استياء كبير في نفوس القبط (١٩١٠):

بني القبط! إخوانَ الدهور! رُؤَيْدُكُمْ هَبْوَهَ يَسُوعاً فِي الْبَرِيَّةِ ثَانِيَا
أَيُّهَا الْقَبْطُ! يَا إِخْوَانَنَا عَلَى مَدَى الدَّهْوَرِ، وَرَيْدُكُمْ (تَمَهَّلُوا)، وَهَبْوَهَ يَسُوعاً ثَانِيَا (أَيُّ افْرَضُوا أَنَّهُ
يَسُوعُ) فِي الْبَرِيَّةِ (الْعَالَمِ)

حَمَلْتُمْ لِحُكْمِ اللَّهِ صَلَبَ ابْنِ مَرْيَمَ وَهَذَا قَضَاءُ اللَّهِ قَدْ غَالَ غَالِيَا
احْتَمَلْتُمْ صَلْبَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ لِأَنَّهُ قَضَاءُ اللَّهِ، وَاغْتِيَالُ بَطْرُسَ غَالِي كَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ

سَدِيدُ الْمَرَامِي قَدْ رَمَاهُ مَسَدُّ وَدَاهِيَةُ السُّوَّاسِ لَاقَى الدَّوَاهِيَا
كَانَ غَالِي سَدِيدُ الْمَرَامِي (الغَايَاتِ)، وَرَمَاهُ بِالرَّصَاصِ رَجُلُ مَسَدٍ (بِحَسَنِ التَّسْدِيدِ)، وَغَالِي دَاهِيَةٍ
السُّوَّاسِ (السِّيَاسِيِّينَ) لَاقَى الدَّوَاهِيَا

وَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُطْلَقِ النَّارَ مُطْلِقٌ عَلَيْهِ لَأَوْدَى فَجْأَةً أَوْ تَدَاوِيَا
وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تُطْلَقْ عَلَيْهِ النَّارُ لَأَوْدَى (مَاتَ) فَجْأَةً أَوْ بَعْدَ التَّدَاوِيِ مِنَ الْمَرَضِ. أَهْناكَ فِي الرِّثَاءِ أَوْ قَدْ
مِنْ هَذَا الْبَيْتِ؟

قَضَاءٌ وَمِقْدَارٌ وَأَجَالٌ أَنْفُسٍ إِذَا هِيَ حَانَتْ لَمْ تُؤَخَّرْ ثَوَانِيَا
أَلَمْ تَكُ مَصْرُ مَهْدَنَّا ثُمَّ لَحَدَّنَا وَبَيْنَهُمَا كَانَتْ لِكُلِّ مَغَانِيَا
المَغَانِيَا: الرَّبْعُ

أَلَمْ تَكُ مِنْ قَبْلِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمُوسَى وَطَهَ نَعْبُدُ النَّيْلَ جَارِيَا
فَهَلَّا تَسَاقَيْنَا عَلَى حُبِّهِ الْهَوَى وَهَلَّا قَدَيْنَاهُ ضِفَافاً وَوَادِيَا
فَهَلَّا سَقَى بَعْضُنَا بَعْضاً مِنْ كَأْسِ مَحَبَّتِنَا لِلنَّيْلِ

وَمَا زَالَ مِنْكُمْ أَهْلٌ وَدٌّ وَرَحْمَةٌ وَفِي الْمُسْلِمِينَ الْخَيْرُ مَا زَالَ بَاقِيَا
فَلَا يَنْتَنِيكُمْ عَنْ ذِمَّةٍ قَتْلُ بَطْرُسٍ فَقَدْ مَأْ عَرَفْنَا الْقَتْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا
فَلَا يَجْعَلُكُمْ قَتْلُ بَطْرُسَ غَالِي تَرْجِعُونَ عَنِ الْعَهْدِ، فَقَدْ مَأْ (مِنْهُ الْقَدِيمِ) عَرَفْنَا الْقَتْلَ فَاشِيَا (مُتَشَرِّاً)
فِي النَّاسِ

١٣١ صداح

قال شوقي يتوجع عندما حكم على إبراهيم الورداني بالإعدام، لاغتياله بطرس غالي
رئيس مجلس النظار/ الوزراء، والقصيدة مشحونة بالتقية (١٩١٠):

صَدَّاحُ يَا مَلِكَ الْكِنَا رِ يَا أَمِيرَ الْبُلْبُلِ
أيها الصداح يا ملك الكنارات وأمير البلابل

يَا لَيْتَ شِعْرِي يَا أَسِيرَ رُ شَجِجْ فَوَإْذُكَ أَمْ خَلِي
ليت شعري أيها الطائر الأسير هل فؤادك شج (حزين) أم خلتي من الهم؟

وَحَلِيفُ سُهْدٍ أَمْ تَنَا مُ الْلَيْلَ حَتَّى يَنْجَلِي
هل أنت حليف سهد (سهر)، أم تنام الليل بطوله؟

يَا ظَيْرُ وَالْأَمْثَالُ تُضْ رُبُّ لَلْبَيْبِ الْإَمْثَلِ
يا أيها الطائر إنما نحن نضرب مثلاً للبيب

دُنْيَاكَ مِنْ عَادَاتِهَا أَلَّا تَكُونَنَّ لَأَعْزَلِ
الدنيا عاداتها أن لا تكون للأعزل

جُعِلَتْ لِحُرٍّ يُبْتَلَى فِي ذِي الْحَيَاةِ، وَيَبْتَلَى
الدنيا للحر الذي يتلى ويتلى أعداءه بنضاله

يَرْمِي وَيُرْمَى فِي جِهَا دِ الْعَيْشِ غَيْرَ مُغْفَلِ
أَسْمِعْتَ بِالْحَكَمَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ يَوْمَ الْجَنْدَلِ
هل سمعت بقصة الحكمين في دومة الجندل (عندما خدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري)

رَضِيَ الصَّحَابَةُ آنَذَ لَكَ بِالْكِتَابِ الْمُنْزَلِ
فالصحابة رضوا بالمصحف حكماً

وَهُمُ الْمَصَابِيحُ الرُّوَا هُ عَنْ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
حَتَّى إِذَا وَسَّعَتْ مُعَا وَبَةً، وَضَاقَ بِهَا عَلِي
حتى إذا جاءت نتيجة التحكيم لصالح معاوية بعد الخدعة، فَوَسَّعَتِ الْأُمُورَ مَعَاوِيَةَ وَضَاقَ عَلِي
بها..

رَجَعُوا لِظُلْمٍ كَالْطَّبَا عِ فِي النَفُوسِ مُؤْصَلِ
لم يرض الناس، فالظلم من طبائعهم

نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ الْقَوِيِّ - وَعِنْدَ رَأْيِ الْأَخْيَلِ
وكان الأمر للقوي والأحيل (الأكثر حيلة)

صَدَّاحُ حَقٍّ مَا أَقْوُو لُ حَقَلَتْ أُم لَمْ تَحْفِلِ
فيا صداح ما أقوله هو الحق، فالدنيا للقوي ولصاحب الحيلة، وأنت قمت بفعل وأخذت طريق
القوة ولا يعني أكان الحق معك أم لم يكن، فالشريعة في هذه الغاية هي أن الدنيا «تؤخذ غلاباً»

صَبَحَ بِالصَّبَاحِ وَبَشَّرَ الْ - أَبْنَاءَ بِالمُسْتَقْبَلِ
وَاسْأَلْ لِمَصْرَ عَنَّا يَةً تَأْتِي وَتَهْبِطُ مِنْ عَلِ
نشرت القصيدة في الشوقيات المطبوعة سنة ١٩٢٦ بعنوان «بين الحجاب والسفور» إمعاناً في
التمويه على موضوعها الأصلي. وشوقي لم يضطر إلى كل هذا التمويه خوفاً من الإنجليز فحسب،
بل مراعاة للأقباط أيضاً

١٣٢ بساط الريح

قال شوقي يحيي الطيارين الفرنسيين (١٩١٠):

قَم سَلِيمَانُ، بِسَاطُ الرِّيحِ قَامَا مَلَكَ الْقَوْمِ مِنَ الْجَوِّ الزَّمَامَا
قَم يَا سَلِيمَانُ يَا مَنْ سَخَّرَ لَكَ اللَّهُ الرِّيحَ، فَقَدْ قَامَ بِسَاطُ الرِّيحِ، وَقَدْ اِمْتَلَكَ الْقَوْمُ زَمَامَ الْأُمُورِ مِنَ
الْجَوِّ. هَذَا وَلَمَّا تَقَمُّ بَعْدَ حُرُوبِ الْجَوِّ، فَلَوْ عَرَفَ شَوْقِي مَا حَدَثَ عَامَ ٦٧ عِنْدَمَا انْتَصَرَتْ إِسْرَائِيلُ
فِي سَاعَةِ لَأَنَّهُ «مَلَكْتَ مِنَ الْجَوِّ الزَّمَامَا» لَظَنَّ نَفْسَهُ نَبِيًّا

حِينَ ضَاقَ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ بِهِمْ أَشْرَجُوا الرِّيحَ وَسَامُوها اللَّجَامَا
وَضَعُوا سِرْجًا عَلَى الرِّيحِ كَأَنَّهُا فَرَسٌ، وَسَامُوها (أَذَلُّوها بِ) اللَّجَامِ

صَارَ مَا كَانَ لَكُمْ مَعْجَزَةً آيَةً لِلْعَلَمِ آتَاهَا الْأَنَامَا
مَا كَانَ عِنْدَكُمْ يَا سَلِيمَانُ مَعْجَزَةً، صَارَ آيَةً (بِرَهَانًا) أَعْطَاهَا الْعَلَمُ لِلْأَنَامِ (لِلبَشَرِ)

قُدْرَةٌ كُنْتَ بِهَا مِنْفَرِدًا أَصْبَحْتَ حِصَّةً مَنْ جَدَّ اعْتِزَامَا
طُلِبَتْ قَدْ رَامَهَا أَبَاؤُنَا وَابْتَغَاهَا مَنْ رَأَى الدَّهْرَ غُلَامَا
الطيران طلبة (هدف) طلبها آبائنا، وابتغاهم الأقدمون الذين شهدوا الزمن وهو يافع

أَسْقَطَتْ إِيكَارُ فِي تَجَرِبَةٍ وَابْنَ فِرْنَانِسٍ فَمَا اسْطَاعَا قِيَامَا
هذه الأمنية أسقطت اليوناني إيكاروس، والعربي العباس بن فرناس، من الأعالي فماتا في شهوة الطيران

فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ أَوْدَى نَفَرٌ شُهَدَاءُ الْعِلْمِ أَغْلَاهُمْ مَقَامَا
فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ أَوْدَى (مات) نفر (أناس)، وشهداء العلم هم أغلاهم مقاماً

خلفاء الرسل في الأرض هُمْ يَبْعَثُ اللَّهُ بِهِمْ عَاماً فَعَاماً

شهداء العلم هم خلفاء الأنبياء في الأرض، والله يبعث بهم حيناً بعد حين

قَطْرَةٌ مِنْ دِمِهِمْ فِي مُلْكِهِ تَمَلَأُ الْمَلِكُ جَمَالاً وَنِظَاماً

والقطرة الواحدة من دمهم تنير الدولة وتزين الملك

أَيُّهَا الشَّرْقُ انْتَبِهْ مِنْ غَفْلَةٍ مَاتَ مَنْ فِي طُرُقَاتِ السَّيْلِ نَامَا

الشرق غافل، وهو مثل النائم في طريق السيل، يأتيه السيل ليلاً فيجره

١٣٣ قصر أنس الوجود

قيلت هذه القصيدة في قصر أنس الوجود، معبد إيزيس على جزيرة فيلة، وبعد بناء السد العالي نقلت أحجاره وشيد من جديد على مبعده نصف كيلومتر من موقعه الأصلي. وكان الرئيس الأميركي المنصرف لتوّه من المنصب تيودور روزفلت (١٩٠١ - ١٩٠٩) زار مصر وقصد أسوان ضمن جولة صيد إفريقية قتل فيها مع رفاقه ١١ ألف حيوان أرسلوا كثيراً منها مملّحة إلى واشنطن لتُغَمَّر المتاحف. وقبل أسوان كان روزفلت في الخرطوم، وفيها قال كلاماً مؤيداً للاحتلال الإنجليزي، وغاضباً من الثقافة الشرقية والإسلامية. (١٩١٠):

أَيُّهَا الْمُنْتَحِي بِأَسْوَانِ دَاراً كَالثَّرِيَّا تُرِيدُ أَنْ تَنْقُضَا

يا روزفلت! أيها المنتحي (القاصد) داراً (قصر أنس الوجود) في أسوان كأنها نجوم الثريا توشك أن تنقض على الأرض

اخْلَعْ النُّعْلَ وَاخْفُضِ الطَّرْفَ وَاخْشَعْ لَا تُحَاوِلْ مِنْ آيَةِ الدَّهْرِ غَضًّا

اخلع نعليك احتراماً (كما فعل موسى إذ كلم ربه) واخفض بصرك، ولا تحاول الغض (الانتقاص من) آية الدهر (معجزته)

قِفْ بِتِلْكَ الْقُصُورِ فِي الْيَمِّ عَرَقِي مُنْسِكَا بَعْضُهَا مِنَ الدُّعْرِ بَعْضَا

هذا الأثر مكون من عدة مبان بعضها فرعوني وبعضها بطلمي، وهي متشابكة متجاورة

كَعَذَارَى أَخْفَيْنَ فِي الْمَاءِ بَضًّا سَابِحَاتٍ بِهِ، وَأَبْدَيْنَ بَضًّا

كأن تلك القصور والمياه تغمر أسافلها فتبات سابحات أخفين بضاً (طرياً) من أجسامهن في الماء يسبحن به، وأظهرن بضاً فوق سطح الماء

مُشْرِفَاتٍ عَلَى الزَّوَالِ وَكَانَتْ مُشْرِفَاتٍ عَلَى الْكَوَاكِبِ نَهَضَا

الآن تشرف (توشك) هذه القصور على الزوال، وكانت في الماضي تشرف (تطل) على الكواكب ناهضة شامخة برؤوسها

شَابَ مِنْ حَوْلِهَا الزَّمَانُ وَشَابَتْ وشبابُ الفنونِ ما زالَ غَضًّا
 الزمان شاب والقصور شابت، ولكنها ثبت أن الفن ما زال متعشاً شاباً غضاً (طري العود)
 رَبِّ نَفْسٍ كَأَنَّمَا نَفَضَ الصَّاءُ نَعُ مِنْهُ الْيَدَيْنِ بِالْأَمْسِ نَفْضًا
 وضحايا تكادُ تمشي وترعى لو أصابت مِنْ قَدْرَةِ اللَّهِ نَبْضًا
 النقوش تصور الحيوانات المذبوحة على المعبد وهي تكاد تمشي لبراعة النحت، وكل ما ينقصها
 النبض

ومحاربٍ كالْبُرُوجِ بَنَتْهَا عَزَمَاتٌ مِنْ عَزَمَةِ الْجَنِّ أَمْضَى
 وربّ محاربٍ عالية في المعبد بنتها همم أَمْضَى من همة الجن (الذين سخرهم سليمان فبنوا له
 الصروح ومات وهم في كد وتعَب)

سَقَتِ الْعَالَمِينَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْدِ سِرٌّ إِلَى أَنْ تَعَاظَتِ النُّحْسَ مَحْضًا
 هذه المحارب كان بيدها، ويبد كهتتها، حظوظ الناس من سعد ونحس، ثم حل بها النحس
 وزالت قدسيتها

صَنَعَةٌ تُدْهِشُ الْعُقُولَ، وَفَنٌّ كَانَ إِتْقَانُهُ عَلَى الْقَوْمِ فَرَضًا
 وأنا الْمُحْتَفِي بِتَارِيخِ مِصْرٍ، مَنْ يَصْنُ مَجْدَ قَوْمِهِ صَانٌ عِرْضًا

١٣٤ تولستوي يلتقي بالمعري

قال شوقي يرثي ليف نيكولايفيتش تولستوي الذي مات في سنة ١٩١٠. ونشرت
 القصيدة (١٩١١):

تُولِستوي! تُجْري آيَةُ الْعِلْمِ دَمْعَهَا عَلِيكَ، وَيَبْكِي بَائِسٌ وَفَقِيرُ
 تبكيك يا تولستوي آية العلم (برهانه) والفقراء الذين تخلت لهم عن أملاكك. لا أدري لماذا بكى
 العلم تولستوي، إلا إن كان شوقي يعني المعرفة الإنسانية بأوسع مفهوم

إِذَا أَنْتَ جَاوَزْتَ الْمَعْرِيَّ فِي الثَّرَى وَجَاوَرَ رَضْوَى فِي التَّرَابِ ثَبِيرُ
 إذا جاورت المعري في التراب، كما تجاورَ جبلا رضى وثبير، فأنتما جبلان كبيران من جبال
 الحكمة، ..

فَقُلْ: يَا حَكِيمَ الدَّهْرِ حَدِّثْ عَنِ الْبَلَى فَأَنْتَ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ خَبِيرُ
 فقل للمعري: حدثنا عن البلى (تحلل الجسم بعد الدفن) فأنت عليم بالأمور

أَرَى رَاحَةً بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالْحَصَى وَكُلُّ فِرَاشٍ قَدْ أَرَاخَ وَثِيرُ
 يقول تولستوي: أرى راحة بين الجنادل (الصخور) والحصى

نَظَرْنَا بِنُورِ الْمَوْتِ كُلَّ حَقِيقَةٍ وَكُنَّا كِلَانَا فِي الْحَيَاةِ ضَرِيرٌ
الموت لكلينا كان نوراً رأينا فيه الحقائق، وفي الحياة كنا كلانا، وليس أبو العلاء وحده، ضريبن
إِلَيْكَ اعْتِرَافِي لَا لِقَسٍّ وَكَاهِنٍ وَنَعْجَوَايَ بَعْدَ اللَّهِ وَهُوَ غَفُورٌ
أعترف لك يا أبا العلاء، وليس للقس كما يعترف المسيحيون، وأناجيك أنت بعد مناجاتي لله
فَرُهِدُكَ لَمْ يَنْكَرْهُ فِي الْأَرْضِ عَارِفٌ وَلَا مُتَعَالٍ فِي السَّمَاءِ كَبِيرٌ
وزهدك أقر به العارفون في الأرض، وأقر به رب السماء المتعالي
بَيَانٌ يُشَمُّ الْوَحْيِ مِنْ نَفْحَاتِهِ وَعِلْمٌ كَعِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ غَزِيرٌ
وبيانك يشم المرء منه عطر الوحي، فكأنه من التنزيل، وعلمك غزير كعلم الأنبياء
تُسَائِلُنِي هَلْ غَيَّرَ النَّاسُ مَا بِهِمْ وَهَلْ حَدَّثْتَ، غَيْرَ الْأُمُورِ، أُمُورٌ
وإنك لتسألني، أنا القادم عليك بعد ألف سنة من موتك، هل تغير الناس؟
وَهَلْ آنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ تَسَامُحٌ خَلِيقٌ بِأَدَابِ الْكِتَابِ جَدِيرٌ
وهل آن (حان) بين أهل الكتاب (أصحاب الأديان السماوية) وقت التسامح الذي هو خليق (جدير)
بِالْكِتَابِ (الكتب المنزلّة)
أُنَاسٌ كَمَا تَدْرِي، وَدُنْيَا بِحَالِهَا وَدَهْرٌ رَخِيٌّ تَارَةً، وَعَسِيرٌ
الناس كما تعرفهم، والدنيا كما هي، والزمن رخي (فيه رخاء) تارة، وعسير أخرى
وَأَحْوَالُ خُلُقٍ غَابِرٍ مُتَجَدِّدٍ تَشَابَهَ فِيهَا أَوَّلٌ وَأَخِيرٌ
وأحوال الخلق الماضي والمتجدد متشابهة، الأول يشبه الأخير
وَقَامَ مَقَامَ الْفَرْدِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى الْحُكْمِ جَمٌّ يَسْتَبِدُّ غَفِيرٌ
وبدل حكم الفرد، قام في كل أمة على شؤون الحكم جم (جمع) غفير يستبد بالأمم
وَحُورٌ قَوْلِ النَّاسِ مَوْلَى وَعَبْدُهُ إِلَى قَوْلِهِمْ: مُسْتَأْجِرٌ وَأَجِيرٌ
وَحُورٌ (بُذِلَ) قول الناس مولى وعبد (سيد وعبد) إلى قولهم: مستأجر وأجير
وَأُضْحَى نَفُوذُ الْمَالِ لَا أَمْرَ فِي الْوَرَى وَلَا نَهْيَ إِلَّا مَا يَرَى وَيُشِيرُ
وصار لا يوجد أمر أو نهْي بين الناس إلا بحسب ما يرى نفوذ المال وما يشير به

١٣٥ أمم الهلال

قال شوقي في مولد هلال العام الهجري الجديد (١٩١١):

أُمَّمُ الْهَيْلَالِ! مَقَالَةٌ مِنْ صَادِقٍ وَالصَّدَقُ أَلِيقٌ بِالرَّجَالِ مَقَالًا
يا أمم الهلال (والهلال رمز الدولة العثمانية ورمز الإسلام) هذا قول رجل صادق، والصدق أليق بالرجال

مِنْ عَادَةِ الْإِسْلَامِ يَرْفَعُ عَامِلًا وَيُسَوِّدُ الْمَقْدَامَ وَالْفَعْلَا

الإسلام من عادته أن يرفع شأن من يعمل، وأن يسود (يعطي السيادة) الجريء الفعال

ظَلَمْتُهُ أَلْسِنَةُ تَوَاخِذُهُ بِكُمْ وَظَلَمْتُمُوهُ مُقَرَّرُطَيْنِ كُسَالَى

ظلمت الإسلام الألسنة التي تواخذه بسببكم، وأنتم ظلمتموه بتفريطكم في الحقوق وكسلكم

هَذَا هَلَالُكُمْ تَكْفَلُ بِالْهُدَى هَلْ تَعْلَمُونَ مَعَ الْهَلَالِ ضَلَالَا

هلالكم، رمز دينكم، يكفل لكم الهداية، ولا ضلال مع وجود الهلال (فالسائر ليلاً يهتدي بهلال السماء، وهلال الإسلام يهدي المسلمين)

سَرَّتِ الْحَضَارَةُ حَقِيقَةَ فِي ضَوْئِهِ وَمَشَى الزَّمَانُ بِنُورِهِ مُخْتَالَا

الحضارة مشّت في ضوء الهلال (دولة الإسلام) حقبة، وكان الزمان يمشي بنور هذا الهلال مختالاً (فخوراً)

وَبَنَى لَهُ الْعَرَبُ الْأَجَاوِدُ دَوْلَةً كَالشَّمْسِ عَرْشًا وَالنَّجُومِ رَجَالَا

وبنى العرب الأجاود (الكرام) للهلال دولة عرشها (حكومتها) كالشمس، ورجالها (قوادها) كالنجوم

حَتَّى إِذَا انْقَسَمُوا تَقَوَّضَ مُلْكُهُمْ وَالْمَلِكُ إِنْ بَطَلَ التَّعَاوُنُ زَالَا

١٣٦ نعالج الأيام

قال شوقي في ذكرى وفاة بطرس غالي الذي اغتيل عام ١٩١٠، (١٩١١):

الَّذِينَ لِلدَّبَّانِ جَلَّ جَلَالُهُ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ وَحَّدَ الْأَقْوَامَا

يا قومُ بَانَ الرُّشْدُ فَاقْضُوا مَا جَرَى وَخُذُوا الْحَقِيقَةَ وَانْبُذُوا الْأَوْهَامَا

ظهر الحق فاقضوا (أبعدوا) ما جرى من خلاف بين المسلمين والقبط بعد اغتيال بطرس غالي، وافهموا حقائق الوضع وانبذوا التهويل

هَذَا رِبُوعُكُمْ وَتِلْكَ رِبُوعُنَا مَتَقَابِلَيْنِ نَعَالِجُ الْأَيَّامَا

هذه أمانتكم أيها القبط وهذه أمانتنا، فنحن نعالج الأيام (نسى في الدنيا) متقابلين متجاورين

هَذَا قَبُورُكُمْ وَتِلْكَ قَبُورُنَا مَتَجَاوِرَيْنِ جَمَاعِمًا وَعِظَامَا

فَبِحَرَمَةِ الْمَوْتِ وَوَجِبِ حَقِّهِمْ عِشُوا كَمَا يَقْضِي الْجَوَارُ كَرَامَا

١٣٧ حشرات الناس

قال شوقي يؤين عمر لطفي، وهو من رواد النهضة التعاونية في مصر، وله كتب في حق المرأة وحرية المساكن وإنشاء شركات التعاون. (١٩١١):

نَمَّ مَا بَدَا لَكَ آمِنًا فِي مَنْزِلٍ أَلْدَهْرُ أَقْصَرُ فِيهِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى

نم كما شئت في منزل (يقصد القبر)، الدهر الطويل فيه أقصر من سنة (غفوة) الكرى (النوم)

لَا تَشْكُوَنَّ الضَّرَّ مِنْ حَشَرَاتِهِ، حَشَرَاتُ هَذَا النَّاسِ أَقْبَحُ مَنْظَرًا

لا تشكّ الضّرّ (الأذى) من حشرات القبر، فحشرات البشر أقبح

لَمْ تَذَرِ نَفْسُكَ مَا الْغُرُورُ، وَطَالَمَا دَخَلَ الْغُرُورُ عَلَى الْكِبَارِ فَصَغُرَا

كنت متواضعاً، وكثيراً ما دخل الغرور نفوس الكبار فصغرهم

فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تَخُطُّ نِقَابَةً فِيهَا حَيَاةُ أَخِي الزَّرَاعَةِ لَوْ دَرَى

في كل ناحية رحت تؤسس نقابات، فيها الحياة لأخي (الصاحب) الزراعة

هِيَ كِيمِيَاؤُكَ لَا خِرَافَةً جَابِرٍ تَذَرُ الْمُقِيلَ مِنَ الْجَمَاعَةِ مُكْثِرًا

كيمياؤك (سرّك) وكانت الكيمياء علماً سرياً هدفه تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب) وليس خرافة

جابر بن حيان (الذي مارس الكيمياء) هي التي ترك المقلّ (الفقير) من الجماعة مكثراً (موسراً).

وكيمياء عمر لطفي كانت النقابات والعمل الجماعي

وَالْمَالُ لَا تَجْبَى ثِمَارَ رُؤُوسِهِ حَتَّى يُصِيبَ مِنَ الرُّؤُوسِ مُدَبِّرًا

رؤوس الأموال لا تؤتي ثمارها حتى يصيب (يجد) المال مدبراً له هو عبارة عن رؤوس الناس المبدعين

وَالْمَلِكُ بِالْأَمْوَالِ أَمْنَعُ جَانِبًا وَأَعَزُّ سُلْطَانًا وَأَصْدَقُ مَظْهَرًا

الملك بوجود الأموال يصبح أحسن تحصيناً وأعز (أقوى) سلطاناً، وأصدق تعبيراً عن حقيقته

إِنَّا لَفِي زَمَنِ سِفَاهٍ شَعُوبِهِ فِي مُلْكِهِمْ كَالْمَرْءِ فِي بَيْتِ الْكِرَاءِ

نحن في زمنٍ سفاه شعوبه (الشعوب السفهية الحمقاء) تعيش في بلدانها كالمرء في بيت الكراء

(الأجرة)، فهي منقوضة السيادة كالمستأجر

١٣٨ حيلة المصلوب في المسمار

قال شوقي في مؤتمر المستشرقين في أثينا (١٩١٢):

وَثَلَاثَةُ شَبِّ الزَّمَانِ حِيَالَهَا شُمٌّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ كِبَارِ

رُبَّ ثَلَاثَةِ (الأهرامات الكبرى) شب الزمان (صار شاباً) حيالها (بجانبتها) فقد كانت - لقدمها -

موجودة والزمان صغير في السن، وهي شُمّ (شاهقة) وكبيرة على مدى الدهر

مِنْ كُلِّ مَرْكُوزٍ كَرَضَوْى فِي الثَّرَى مُتَطَاوِلٍ فِي الْجَوْ كَالْإِعْصَارِ
والواحد منها مركوز (ثابت) كجبل «رضوى» في التراب، وذهب في السماء صاعد في الأعالي كالإعصار
الجنُّ فِي جَنَابَاتِهَا مَطْرُوفَةٌ بِبَدَائِعِ الْبَنَاءِ وَالْحَفَّارِ
الجن (التي كانت بارعة في البناء إذ سخرها سليمان لبناء قصوره) تقف مطروفة (مبهورة) في جنبات
الأهرامات لما أبدع البناء والحفار

وَالْأَرْضُ أَضْيَعُ حِيلَةً فِي نَزْعِهَا مِنْ حِيلَةِ الْمَصْلُوبِ فِي الْمِسْمَارِ
والأرض حيلتها ضائعة (أي أنها عاجزة) في نزع الأهرامات، كحيلة المصلوب في نزع المسمار
المدقوق في جسمه

تِلْكَ الْقُبُورُ أَضْنُ مِنْ غَيْبٍ بِمَا أَخْفَتْ مِنَ الْأَعْلَاقِ وَالْأَذْخَارِ
الأهرامات قبور، وهي أضن (أحفظ) من الغيب (والغيب حافظ كتم فلا أحد يعرف ما يخفى) بما
أخفته من الأعلاق (الكنوز) والأذخار (الكنوز)

١٣٩ فرحانُ بالحب

قال شوقي (١٩١٢):

بِي مِثْلُ مَا بِكَ يَا قُمْرِيَّةَ الْوَادِي نَادَيْتُ لَيْلِي، فَقُومِي فِي الدُّجَى نَادِي
بي مثل ما بك من الحزن يا قمرية (حمامة) الوادي، ناديتُ ليلي (قلت «يا ليل» كالمطربين)،
فقومي في الدجى (الليل) نادي

تَذَكَّرِي قُبْلَةَ فِي الشَّعْرِ حَائِرَةً أَضَلَّهَا، فَمَشَتْ فِي فَرْقِكَ الْهَادِي
يخاطب حبيبته: تذكري قبلة حائرة طبعتها على شعرك فأضلها شعرك (أضاع لها طريقها)، ثم مشت
في فَرْقِ الشعر مهتدية بخطه المستقيم

تَذَكَّرِي مَنَظَرَ الْوَادِي وَمَجْلِسَنَا عَلَى الْغَدِيرِ كَعُضْفُورَيْنِ فِي الْوَادِي
وَالْغَصْنُ يَحْنُو عَلَيْنَا رِقَّةً وَجَوًى وَالْمَاءُ فِي قَدَمَيْنَا رَائِحٌ غَادٍ
الجوى: العشق. «الماء في قدمينا رائح غاد»، هذا من نحاس شوقي المطلي بالذهب. فالعبارة
ذات رنة حلوة. لكن تخيل كيف يروح الماء ويجيء في اتجاهين تر الصورة اهتزت، فكان شوقي
وحبيبته كانا يغمسان أقدامهما في حوض غسالة نصف أوتوماتيك لا في جدول يسير باتجاه واحد
ككل جداول رب العالمين. على أن المطلي بالذهب يسر العين، وكذا بيت شوقي فهو يسر الأذن

تَذَكَّرِي مَوْعِدًا جَادَ الزَّمَانُ بِهِ هَلْ طَرُتْ شَوْقًا، وَهَلْ سَابَقَتْ مِيعَادِي
فَنَلْتُ مَا نَلْتُ مِنْ سُؤْلِ وَمِنْ أَمَلٍ وَرَحْتُ لَمْ أَحْصِ أَفْرَاحِي وَأَعْيَادِي
سؤل: مطلب

١٤٠ متقماً البحري

قال شوقي في مهرجان جمعية الهلال الأحمر (١٩١٢):

جَبْرِيلُ هَلَّلَ فِي السَّمَاءِ وَكَبَّرَ وَاکْتُبْ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَسَطِّرِ
يا جبريل هلل (قل لا إله إلا الله) في السماء وكبر (قل الله أكبر)، وسجل الثواب للمحسنين
وَادْعُ الَّذِي جَعَلَ الْهَلَالَ شِعَارَهُ يَفْتَحْ عَلَى أُمَمِ الْهَلَالِ وَيَنْصُرِ
وادع الله الذي جعل الهلال شعاراً له (للإسلام) أن يفتح على أمم الإسلام بالنصر

يَا مَهْرَجَانَ الْبِرِّ أَنْتَ تَحِيَّةٌ لِّلَّهِ مِنْ مَلَأَ كَرِيمٍ خَيْرِ
يا مهرجان البر (الخير) أنت تحية للخالق من ملأ (جمع) كريم خير

يَا بِنْتَ الْهَامِي دُعَاءُ مُعْظَمِ لِسَمَاءٍ عَزَلَتْ فِي الْبَرِيَّةِ مُكْبِرِ
يا بنت إلهامي (أم الخديوي عباس حلمي) هذا الدعاء الذي يدعو به المهرجان هو دعاء من يعظم
سماء عزك في البرية (بين الناس) ودعاء من يُكَبِّرُكَ

أَحْيَيْتِ، فِي فَضْلِ الْمُلُوكِ وَعِزِّهِمْ، مَا مَاتَ مِنْ أُمِّ الْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ
أحييت في جانب فضل الملوك وكرمهم وعزهم ما ذهب زمنه من أعمال الخير التي قامت بها أم
الخليفة جعفر (المتوكل)

إِنَّ الَّذِي قَدْ رَدَّهَا وَأَعَادَهَا فِي بُرْدَتَيْكَ أَعَادَ فِي الْبُحْتَرِي
الله الذي أحيا ذكرها في بُردتِكَ (في ثوبيك، أي مثلاً فيكَ) أعاد في شُخصي ذكرَ الشاعر
البحري

فَنَظَّمْتُ مَا نَثَرْتُ يَمِينُكَ شَاكِراً لَا يَخْسُنُ الْإِحْسَانُ مَا لَمْ يُشْكَرْ
فأنا نظمت شعراً ما نثرته يمينك من مال وأنا لك شاكر، والإحسان لا يكون جميلاً إن لم يرافقه
الشكر

١٤١ ولد الهدى

في ذكرى المولد النبوي (١٩١٢):

وُلِدَ الْهَدْيُ، فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَنِئَاءٌ
زَانَتْكَ فِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ شَمَائِلٌ يُغْرِى بِهِنَ وَيُولَعُ الْكُرَمَاءُ
يا رسول الله زانتك (زينتك) في خلقك العظيم شمائل (خصال) يُغْرِى (يُحْسِنُ بِالْإِغْرَاءِ) الْكُرَامَ
باتباعها، ويولعون بها

وَإِذَا رَجِمَتْ فَأَنْتَ أُمُّ أَوْ أَبٌ هَذَا فِي الدُّنْيَا هُمَا الرَّحْمَاءُ

وَإِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ لَمْ يُورَدْ، وَلَوْ أَنَّ الْقِيَاصَرَ وَالْمَلُوكَ ظَمَاءُ
 إِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ (مَنْعْتَهُ) لَمْ يَرِدْ أَحَدٌ، وَلَوْ أَنَّ الْقِيَاصِرَةَ وَالْمَلُوكَ ظَمَاءَ (عِطَاشُ)
 فِي كُلِّ نَفْسٍ مِنْ سَطَاكَ مَهَابَةٌ وَلِكُلِّ نَفْسٍ فِي نَدَاكَ رَجَاءُ
 سَطَاكَ (سَطَوْتِكَ)، نَدَاكَ (كَرَمِكَ)

١٤٢ ردت الروح

قال شوقي بحبي المطربة لبللى لزمي (١٩١٢):

رُدَّتِ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى مَعَكَ أَحْسَنُ الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَرْجَعَكَ
 بَعْدَتِكَ يَا حَبِيبِي رَدَّتِ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى (الْمَتْعَب) مَعَكَ، وَأَجْمَلُ يَوْمٍ هُوَ الَّذِي رَجَعْتَ فِيهِ
 مَوْقِعِي عِنْدَكَ لَا أَعْلَمُهُ أَوْ لَوْ تَعْلَمُ عِنْدِي مَوْقِعَكَ

١٤٣ عشوائية النبوغ

قال شوقي في جماعة رعاية الطفل (١٩١٢):

خَلَقَ اللَّهُ جُمَانًا وَحَصَى خَالِقُ الْإِنْسَانِ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ
 خَلَقَ اللَّهُ النَّاسَ جَمَانًا (لَوْلَوْأ) وَحَصَى فَمِنْهُمْ النَّابِغِ وَالْخَامِلِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ مَاءٍ
 وَطِينٍ

وَلَأَمْرٍ مَا، وَسِرٌّ غَامِضٍ تَسْعَدُ النُّظْفَةُ أَوْ يَشْقَى الْجَنِينُ
 لِأَمْرٍ مَا تَسْعَدُ (تَنَالُ الْحِظَّ السَّعِيدَ) النَّظْفَةُ (أَصْلُ الْجَنِينِ) أَوْ يَشْقَى الْجَنِينُ، يَقُولُ إِنْ الْمُسْتَقْبَلُ
 الْمَكْتُوبُ سَعْدًا أَوْ شَقَاءً لِلْإِنْسَانِ قَبْلَ وَلَادَتِهِ سِرٌّ غَامِضٌ

رُبَّ مَهْدٍ أَرْزَتِ الْبُؤْسَى بِهِ فِيهِ كَنْزٌ خَبَأَ الْغَيْبُ ثَمِينٌ
 فَهَنَّاكَ مَهْدٍ أَرْزَتِ الْبُؤْسَى بِهِ (عَابَهُ الْبُؤْسُ) فِيهِ طِفْلٌ هُوَ كَنْزٌ ثَمِينٌ خَبَأَهُ الْغَيْبُ

مُرْضَعٌ يَقْطُرُ بُؤْسًا يَوْمُهُ مُغْدِقُ التُّعْمَى غَدًا فِي الْعَالَمِينَ
 هَذَا الطِّفْلُ الْمُرْضَعُ (الرَّضِيعُ) يَوْمُهُ مَلِيءٌ بِالْبُؤْسِ، وَهُوَ نَفْسُهُ سَيَصْبِحُ مُغْدِقًا التُّعْمَى فِي الْغَدِ عَلَى
 الْعَالَمِ

أَوْ طَوِيلُ الصَّمْتِ أَعْمَى فِي الصَّبَا بَيْنَ بُرْدَيْهِ الْمَعْرِيُّ الْمُبِينُ
 أَوْ يَكُونُ صَبِيًّا طَوِيلُ الصَّمْتِ وَأَعْمَى، وَلَكِنْ بَيْنَ بَرْدِيهِ (فِي ثَوْبِهِ/ أَيْ هُوَ نَفْسُهُ) مَعْرِيُّ الْمُسْتَقْبَلِ
 الْمُبِينِ (الْبَلِيعِ)

١٤٤ لا وجدان للبخیل

قال شوقي (١٩١٢):

إِنَّ الحِیَاةَ نَهَارٌ أَوْ سَحَابَةٌ فَعِشْ نَهَارَكَ مِنْ دُنْيَاكَ إِنْسَانَا
الحياة كالنهار (سريعة الزوال) أو كسحابة النهار (وسحاب النهار سريع الانقشاع)، فعش هذا النهار
من دنياك إنساناً

أرى الكريمَ بِوَجْدَانٍ وعاطفةٍ ولا أرى لبخیلٍ القومَ وَجْدَانَا
لم أجد شعراً قسا على البخیل قسوة هذا البيت: البخیل لا وجدان له. والبخلاء عندي نوعان:
بخیل كمریض الفصام، الذي يعرف أنه مریض، فیداري مرضه ويتكأرم متكلفاً؛ وبخیل كمریض
الذهان (البارانویا) الذي تتحطم دفاعاته النفسية ولا يعود یعترف بمرضه؛ فهو یرى كل الناس
مسررفین مجانین ولا یقدر يفهم کیف ینفق الواحد من ماله دريهماً، وأنا مشفق عليهما كليهما

١٤٥ أخت الأندلس

قال شوقي في استيلاء البلغار على أدرنة من الدولة العثمانية (١٩١٢):

يا أختَ أُنْدُلُس! عليكِ سَلامٌ هَوَتْ الخِلافةُ عنكِ والإسلامُ
يا أدرنة، يا أخت الأندلس (التي سقطت وزال عنها حكم الإسلام) عليك سلام، قد هوت
(سقطت) الخلافة والإسلام عنك. ما أكثر ما في عبارة «أخت أندلس» هذه من إيجاز. ففيها موقف
إسلامي، وفيها تفجع وفيها إبلاغ بسقوط المنطقة

نَزَلَ الهَلالُ عَنِ السَّمَاءِ، فَلَيْتَهَا طَوَيْتُ وَعَمَّ الْعَالَمِينَ ظِلَامٌ
الهلال (وهو الشعار على علم الدولة العثمانية) نزل عن سماءك يا أوزنة بعد أن كان يرفرف فيها،
فليت السماء طويت (كما ستطوى يوم القيامة) وعم الظلام العالم

وَالْيَوْمَ حُكْمُ اللَّهِ فِي مَقْدُونِيَا لَا نَقْضَ فِيهِ لَنَا وَلَا إِبرَامُ
واليوم حكم الله في مقدونيا غير موجود، ولا نقض ولا إبرام (لا حل ولا عقد) لنا هناك

وَمُسْطَرِينَ عَلَى المَمَالِكِ سُخَّرَتْ لَهُمُ الشُّعُوبُ كَأَنَّهَا أُنْعَامُ
رب مسطرين على الممالك (ملوك أوروبا) سُخِّرَتْ لهم الشعوب كأنها الأنعام (المواشي)

مِنْ كُلِّ جَزَارٍ يَرُومُ الصَّدْرَ فِي نَادِي المُلُوكِ، وَجَدُّهُ غَنَامُ
كل واحد منهم جزار في جلافته، ويروم (يطلب) الصدر في نادي (مؤتمر) الملوك، بينما كان جده
غَنَاماً (راعياً)

سَيَكُونُهُ وَيَمِينُهُ وَجِزَامَةٌ وَالصَّوْلُجَانُ جَمِيعُهَا آثَامُ
هذا الملك الأوروبي سكينته ويده وحزامه وصولجانه (عصا الملك) كلها ملطخة بالآثام

عيسى! سبيلك رحمة ومحبة في العالمين وعصمة وسلام

يا عيسى! نهجك رحمة ومحبة في الدنيا وأهلها وعصمة من الخطأ وسلام

ما كنت سقاك الدماء، ولا امرأ هان الضعاف عليه والأيتام

يا حامل الآلام عن هذا الوري كثرت عليه باسمك الآلام

يا حامل آلام الوري (الناس)، كثرت الآلام على الوري باسمك (باسم الدين ناصر الأوروپيون رعايا الدولة العثمانية المسيحيين في ثوراتهم على إستانبول)

أنت الذي جعل العباد جميعهم رحماً، وباسمك تقطع الأرحام

أنت يا عيسى جعلت الناس جميعاً رحماً (أقارب)، والآن باسمك تقطع الأرحام ويتم تهجير الناس وتبديد شملهم. التسويد من عمران القفيني

واليوم يهتف بالصليب عصائب هم لئله وروحه ظلام

اليوم تنادي عصائب (جماعات) باسم الصليب، وهم ظالمون لله ولروح الله (عيسى)

خلطوا صليبك والخناجر والمدى كل أداة للأذى وجمام

جعلوا صليبك أداة حرب وسياسة. مع الخناجر والمدى (السكاكين)، وبها جميعاً أوقعوا الأذى والحمام (الموت)

أوما ترائهم دبّحوا جيرانهم بين البيوت كأنهم أغنام

كم مريض في جحر نعمته غدا وله على حد السيوف فطام

كم طفل مريض (رضيع) في حجر (حضن) النعمة والرزق أصبح مقطوماً بحد السيف

وصبيّة هتكت خميلة طهرها وتناثر عن نوار هذا الطهر البتلات

وكم صبية هتكت خميلة (روضة) طهرها، وتناثرت عن نوار هذا الطهر البتلات (كما تناثر ورق الورد)، هذا التشبيه المزدوج، الذي أعجب شكيب أرسلان، كناية عن تعرض الفتيات للاغتصاب. يقول شكيب أرسلان: «تقضي أمانة التاريخ أن نذكر كون الجيش الصربي تجنب الآثام في معاملة المسلمين أكثر من الجيشين البلغاري واليوناني». وتقضي أمانة التاريخ علينا أن نذكر أن الصرب في تسعينات القرن العشرين ارتكبوا ضد مسلمي البوسنة أفظع المذابح، واغتصبوا النساء
بوخشية

وأخي ثمانين استبيح وقاره لم يُغن عنه الضعف والأعوام

ورب شيخ ثمانيني انتُهِك وقاره، ولم يشفع له ضعفه وعمره

ومهاجِرِينَ تَنَكَّرَتْ أوطَانُهُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ مِنَ الذُّهُولِ وهاموا
 ورب مهاجرين تنكرت أوطانهم (تغيرت معالمها) ضلوا سبيلهم وهاموا. يقول شكيب أرسلان،
 وكان عضواً في لجنة الإعانات المصرية لمكويي الأزمة: «بلغ عدد الذين هاجروا من مسلمي
 البلقان مئة وخمسين ألف نسمة دخلوا الأستانة حتى غصت بهم الجوامع والمدارس، وكان ذلك
 في قلب الشتاء، وفشت فيهم الكوليرة».

السَيْفُ إِنْ رَكِبُوا الْفِرَارَ سَبِيلُهُمْ وَالنُّطْعُ إِنْ طَلَبُوا الْقَرَارَ مُقَامُ
 فإذا فروا فالسيف سبيلهم، وإذا اختاروا الإقامة فلهم النطع (البساط الجلدي يفرش تحت السيف
 وضعيته)

يَتَلَفَّتُونَ مُودَّعِينَ دِيَارَهُمْ وَاللَّحْظَ مَاءً، وَالْدِّيَارَ ضِرَامُ
 يتلفتون لإلقاء نظرة وداع على ديارهم، واللحظ (العين) دموع، والديار ضرام (نار) لأن المحتلين
 أحرقوها

يَا أُمَّةً بِفُرُوقٍ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ قَدَّرَ تَطْيِيشُ - إِذَا أَتَى - الْأَحْلَامُ
 يا أمة بفروق (إستانبول) فرق بينهم قدر تطيش الأحلام (العقول) إذا أتى، (فروق هي إستانبول،
 وكأنها لم يكفها أن سميت ببيزنطة، والقسطنطينية، والأستانة، وإستانبول، فها اسم خامس،
 وأطرف أسمائها «تخت الروم»)

فِيمَ التَّخَاذُلِ بَيْنَكُمْ، وَوَرَاءَكُمْ أُمَمٌ تُضَاعُ حَقُوقُهَا وَتُضَامُ
 لماذا التخاذل بينكم (تقاسم بعضكم عن نجدة بعض)، ووراءكم أمم تضاع حقوقها وتضام (تُظَلَمُ)

هَذَا جَنَاهُ عَلَيْكُمْ أَبَاؤُكُمْ، صَبْرًا وَصَفْحًا فَالْجُنَاةُ كِرَامُ
 هذا سببه لكم بناء الدولة الأوائل، فصبراً وغفراً لهم فهؤلاء الجناة كرام

رَفَعُوا عَلَى السَّيْفِ الْبِنَاءَ فَلَمْ يَدُمْ؛ مَا لِلْبِنَاءِ عَلَى السَّيْفِ دَوَامُ
 بنوا الدولة على القوة العسكرية فليس لها دوام

أَبْقَى الْمَمَالِكُ مَا الْمَعَارِفُ أَسُّهُ وَالْعَدْلُ فِيهِ حَائِطٌ وَدِعَامُ
 أكثر الممالك بقاء وصموداً ما أساسه العلم، وما يدعمه العدل

فَإِذَا جَرَى رُشْدًا وَيُمْنًا أَمْرُكُمْ فَاْمُشُوا بِنُورِ الْعِلْمِ فَهُوَ زِمَامُ
 فإذا وفقتم بعد هذه الأزمة فاستتيروا بالعلم فهو الزمام (المقود) الذي يقودكم إلى الأمان

وَدَعُوا التَّفَاخُرَ بِالتَّرَاثِ وَإِنْ عَلَا فَاَلْمَجْدُ كَسْبُ، وَالزَّمَانُ عِصَامُ
 واتركوا التفاخر بالتراث (ما ورثتموه عن الأجداد)، فالمجد الحق مكتسب لا موروث، والزمان
 عصامي (أي هو لمن يصنع نفسه بنفسه)

صَبْرًا أَدْرَنَةً! كُلُّ مُلْكٍ زَائِلٌ يَوْمًا، وَيَبْقَى الْمَالِكُ الْعَلَامُ
فَصَبْرًا يَا أَدْرَنَةُ، فَكُلْ مُلْكَ زَائِلٍ يَوْمًا، وَالْبَقَاءُ لِلَّهِ

١٤٦ الحب كل صباية بمذاق

قال شوقي (١٩١٢):

ولقد يقولُ ابنائِي في نَجَواهُمَا ماذا يُكَايِدُ في النُّوى وَيُلاقِي
يتعجب ولداي في نجاوهما (تهامسهما) لما أكابده (أعانيه) في النوى (الفراق)

ولدي! مصرُّ لها، كما لَكُما، هَوَىَّ والحُبُّ كُلُّ صبايَةٍ بِمَذاقٍ
فيا ولدي، مصر لها حب في قلبي كحبي لكما، والحب هكذا: لكل صباية (شغف) مذاق مختلف

١٤٧ نكبة بيروت

قال شوقي يرثي بيروت بعدما أنزله بها الأسطول الإيطالي. وبعد هذا القصف صار أهل
بيروت يرجعون سبب كل مشكلة إلى القصف الإيطالي، ومن هنا المثل اللبناني
«كل الحق ع الطليان» (١٩١٢):

بيروتُ ماتَ الأسدُ حتفَ أنوفِهِمْ لَم يَشْهَرُوا سِيفًا، وَلَمْ يَحْمُوكِ
مات أبناؤك الأسود حتف أنوفهم (بلا قتال)، إذ لم يتح لهم أن يقاتلوا عنك

كُلُّ يَصِيدُ اللَّيْلِ وَهُوَ مُقَيَّدٌ وَيَعِزُّ صَيْدُ الضَّيْفِ الْمَفْكُوكِ
بإمكان كل واحد أن يصيد الأسد المقيد، ويعز (يصعب) صيد الضيف (الأسد) الطليق

سالتُ دماءَ فيكِ حَولَ مَساجِدٍ وَكُنائِسٍ وَمَدارسٍ وَبُنُوكِ
تعلق عمران القفني: «جاءت بنوك ههنا كأنها مخلوق فضائي نزل من المريخ، وهبط
بجانب مسجد بعد صلاة الجمعة وتحلق الناس حوله ينظرون إليه مندهشين». وتعليقي:
«أحياناً أختار أبياتاً لا لون لها ولا طعم ولا رائحة. وعندما أمر بها شارحاً
أو مشكِّلاً - وأنا قد قلت لك مراراً إنني أشكل كل كلمة بيدي حتى تعرف مقدار ما
أنفقه من نور عيني عليك يا قارئ - أقول في نفسي: ما أسخف هذا البيت! ثم لا
تواتيني الشجاعة كي أحذفه. أعود وأقول: لا أريد تشويه الحالة الشعورية التي كنت
فيها عندما اخترته أول مرة. وأمر بالبيت السخيف ثلثة، وربما رابعة، ويصبح - ويا
للعجب - كأنه طفل مشوه رزقته، فأنا أحمد الله عليه، وأدعوه أن يرزقني به رزقاً
وفيراً. فكيف إذا كان في هذا البيت «بُنوك» حشو خزائنها مال وفير؟»

لَكَ في رُبَا النِّيلِ الْمَبَارَكِ جِيرَةٌ لَوْ يَقْدِرُونَ بِدَمْعِهِمْ غَسَلُوكِ
أبناء مصر لو تمكنوا لغسلوك بدموعهم لشدة حزنهم عليك

١٤٨ ميثاق الغواني

قال شوقي (١٩١٣):

دُقْتُ مِنْهَا حُلُوءاً وَمُرَّاً وَكَانَتْ لَذَّةُ الْعِشْقِ فِي اخْتِلَافِ الْمَذَاقِ
ضَرَبْتُ مَوْعِداً فَلَمَّا التَّقِينَا جَانَبْتَنِي، تَقُولُ: فِيمَ التَّلَاقِ
قُلْتُ: مَا هَذَا الْمَوَاقِيقُ، قَالَتْ: لَيْسَ لِلْغَانِيَاتِ مِنْ مِيثَاقِ

١٤٩ إن السيوف قليل

قال شوقي، ويذكر عزيز المصري واعتقال الحكومة التركية له، (١٩١٤):

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي خُلَفَائِهِ عدلاً يُقِيمُ الْمُلْكَ حِينَ يَمِيلُ
وَالْعَدْلُ يَرْفَعُ لِلْمَمَالِكِ حَائِطاً لا الْجَيْشُ يَرْفَعُهُ وَلَا الْأُسْطُولُ
بِاللَّهِ، بِالْإِسْلَامِ، بِالْجَرْحِ الَّذِي مَا انْفَكَّ فِي جَنْبِ الْهَلَالِ يَسِيلُ
أَسْتَحْلِفُ بِاللَّهِ، بِالْإِسْلَامِ، بِالْجَرْحِ فِي جَنْبِ (خاصرة) الْهَلَالِ (شعار الدولة العثمانية) الَّذِي مَا
انْفَكَّ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ

هَلَّا حَلَلْتَ عَنِ السَّجِينِ وَثَاقَهُ إِنَّ الْوِثَاقَ عَلَى الْأَسْوَدِ ثَقِيلُ
أَيَقُولُ وَاشِ أَوْ يَرُدُّ شَامَتُ صَنْدِيدُ بُرْقَةٍ مُوثِقٌ مَكْبُولُ
أَتَرَكَ الْوَاشِي وَالشَّامَتِ يَقُولَانِ إِنَّ صَنْدِيدَ (بطل) بُرْقَةٍ (وكان عزيز المصري قد حارب الإيطاليين
الغزاة في برقة بليبيا قبل القصيدة بنحو ثلاث سنين ثم حكم عليه في إستانبول بالإعدام لدوره في
الحركة العربية، وألغى الحكم) مَوْثِقٌ (مقيد) مَكْبُولٌ (مقيد)

فَاذْكُرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِلَاءَهُ وَاسْتَبْقِهِ، إِنَّ السِّيُوفَ قَلِيلُ
فاذكر جهاده، واستبقه (دعه يبقى ليخدمك) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (السلطان محمد رشاد) فَالرِّجَالُ الَّذِينَ
هَمَّ سِيُوفٌ قَلَّةٌ

١٥٠ صناديق بأقفال

قال شوقي يرثي جرجي زيدان (١٩١٤):

لَا تَجْعَلُوا الدِّينَ بَابَ الشَّرِّ بَيْنَكُمْ وَلَا مَحَلَّ مُبَاهَاةٍ وَإِذْلالِ
إِذْلال: زهو

مَا الدِّينُ إِلَّا تَرَاثُ النَّاسِ قَبْلَكُمْ كُلُّ امْرِئٍ لِأَبِيهِ تَابِعٌ نَالِ

لِي دَوْلَةُ الشَّعْرِ دُونَ الْعَصْرِ وَائِلَةً مَفَاخِرِي حِكْمِي فِيهَا وَأَمْثَالِي
 المعنى الذي ألمحه: لي دولة الشعر وائلة (راجعة/ فأنا مؤثِّلها) دون عصري كله، ومفاخري فيها
 الحكم والأمثال الموجودة في شعري

وَأَشْكُرُ الصَّنْعَ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي إِنَّ الصَّنَائِعَ تَزُكُّو عِنْدَ أَمْثَالِي
 أشكر الصنع (المعروف) سراً وعلانية، والمعروف يزكو (يطيب) عند أمثالي

وَأَتْرُكُ الْغَيْبَ لِلَّهِ الْعَلِيمِ بِهِ إِنَّ الْغَيْبَ صِنَادِيْقُ بِأَقْفَالِ
 بيت فيه من قعقة اللفظ ما جعلني أسوِّده لك. فأما معناه فلا أكثر من وصف الناس عندنا
 للمستقبل بأنه: «بطيخة مسكرة» أي مقفلة

١٥١ أمة واحدة

قال شوقي في تكريم واصف بن بطرس غالي (١٩١٤):

رَبِّ مَدْحٍ أَذَاعَ فِي النَّاسِ فَضْلًا وَأَتَاهُمْ بِقُدْوَةٍ وَمِثَالِ
 رب مدح نشر في الناس ذكر الفضل، وأعطاهم قدوة حسنة

وثنَاءٍ عَلَى فَتَى عَمِّ قَوْمًا قِيَمَةُ الْعَقْدِ حُسْنُ بَعْضِ اللَّأَلِي
 ورب ثناء على رجل كان ثناء على قومه، فالعقد ثمين ببعض لآله، فهي تجمل غيرها

إِنَّمَا نَحْنُ، مُسْلِمِينَ وَقَبْطًا، أُمَّةٌ وَحَدَّثَ عَلَى الْأَجْيَالِ
 سَبَقَ النَّيْلُ بِالْأَبُوَّةِ فِينَا فَهَوَ أَصْلٌ وَأَدَمُ الْجَدُّ نَالِ
 النيل سبق غيره في الأبوة لنا، وتلاه جدنا آدم أباً لاحقاً

نَحْنُ مِنْ طِينِهِ الْكَرِيمِ عَلَى الدِّهْ، وَمِنْ مَائِهِ الْقَرَّاحِ الزُّلَالِ
 نحن من طين النبل المكرم لدى الله، وحياتنا هي بسبب مائه القراح (الصابي) الزلال (العذب)
 مَرَّ مَا مَرَّ مِنْ قُرُونٍ عَلَيْنَا رُسْفًا فِي الْقِيُودِ وَالْأَغْلَالِ
 رُسْفٌ: ماشون مقيدون

وَانْقَضَى الدَّهْرُ بَيْنَ زَغَرْدَةِ الْعُرِّ سِ وَحَثُوِ التَّرَابِ وَالْإِغْوَالِ
 طول الزمن ونحن بين زغردة عرس وبين حثو (نثر) التراب على الرؤوس والإغوال (النوح)

مَا تَحَلَّى بِكُمْ يَسُوعُ، وَلَا كُنْتُ لِمِ لِطَّةٍ وَدِينِهِ بِجَمَالِ
 لا يسوع ازدان بكم، ولا نحن ازدان بنا. الرسول ودينه

وَتَضَاعُ الْبِلَادُ بِالنُّومِ عَنْهَا وَتَضَاعُ الْأُمُورُ بِالْإِهْمَالِ

١٥٢ سلوا قلبي

قال شوقي في ذكرى المولد (١٩١٤):

سلوا قلبي، غداةً سلا وتاباً لعلَّ على الجَمالِ لَهُ عِتَاباً
أيها العاذلون اسألوا قلبي بعد أن سلا (نسي) وتاب عن الحب، فلعن لقلبي عتياً على جمال
المحبيب لكثرة ما عذب هذا الجمال قلبي

وَيُسْأَلُ فِي الْحَوَادِثِ ذُو صَوَابٍ فَهَلْ تَرَكَ الْجَمَالَ لَهُ صَوَاباً
والذي يُسأل في الشؤون المهمة هو الذي لديه صواب (عقل)، فهل ترك الجمال لقلبي صواباً (عقلاً)؟

وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ الْقَلْبَ يَوْمًا تَوَلَّى الدَّمْعُ عَنْ قَلْبِي الْجَوَابَ
وكنْتُ كلِّمًا سَأَلْتُ قَلْبِي عَنِ السُّلُوفِ وَنَسِيَانِ الْمَحْبُوبِ، بَكَيتُ وَتَوَلَّى (تَكْفَلَ) دَمْعِي الْجَوَابَ بَدَلًا مِنْ قَلْبِي

وَلِي بَيْنَ الضُّلُوعِ دَمٌّ وَلَحْمٌ هُمَا الْوَاهِي الَّذِي تَكِلَ الشَّبَابُ
ولي بين ضلوعي دم ولحم هما عبارة عن قلبي الواهي (الضعيف) لأنه تكل (عديم) الشباب

تَسَرَّبَ فِي الدَّمْعِ فَقُلْتُ وَلَّى وَصَفَّقَ فِي الضُّلُوعِ فَقُلْتُ ثَاباً
تسرب قلبي من خلال دموعي، فحسبته ولى (ذهب)، ثم صفق (خفق) في ضلوعي فقلت: قد تاب
(رجع)

وَلَوْ خُلِقَتْ قُلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ لَمَا حَمَلَتْ كَمَا حَمَلَ الْعَذَابُ
وَكُلُّ بِسَاطٍ عَيْشٍ سَوْفَ يُطْوَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَطَابُ
وَلَا يُنْبِئُكَ عَنْ خُلُقِي اللَّيَالِي كَمَنْ فَقَدَ الْأَحِبَّةَ وَالصَّحَابَا
لا يخبرك عن خلق (طبع) الليالي (الزمن)، مثل الذي فقد أحبابه وأصحابه

أَخَا الدُّنْيَا! أَرَى دُنْيَاكَ أَفْعَى تُبَدِّلُ كُلَّ آوْنَةٍ إِهَابَا
يا أخا الدنيا (صاحبها) أرى دنياك أفعى تبدل كل آونة (حين) إهاباً (جلداً)

فَمَنْ يَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا فَلِئَنِّي لَيْسَتْ بِهَا فَأَبْلَيْتُ الشِّبَابَا
فلمن يغتر بالدنيا أقول إنني جربت أحوالها كمن يلبس ثوباً بعد ثوب، وقد أبلت (هَرَأْتُ) الثياب

لَهَا ضَحْكُ الْقِيَانِ إِلَى غَيْبِي وَلِي ضَحْكُ اللَّيْلِ إِذَا تَغَابِي
تضحك الدنيا ضحكاً مصطنعاً كما تضحك القيان (مغنيات المجالس) للغبي، ولي أنا ضحك
الليلى (العاقل) عندما يتغابي (يدعي الغباء)

جَنَيْتُ بِرَوْضِهَا وَرَدًّا وَشَوْكًا وَذَقْتُ بِكَاسِهَا شَهْدًا وَصَابًا
 جنت في بستان الدنيا الورد والشوك، وذقت بكأسها الشهد والصاب (عصير شجر الصاب المر)

فَلَمْ أَرْ غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمًا وَلَمْ أَرْ دُونَ بَابِ اللَّهِ بَابًا
 وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جَمْعِ الْمَالِ دَاءً وَلَا مِثْلَ الْبَخِيلِ بِهِ مُصَابًا
 وَسَوَّى اللَّهُ بَيْنَكُمْ الْمَنَایَا وَوَسَّدَكُمْ مَعَ الرُّسُلِ الثَّرَابَا
 سوى الله (وزع بالتساوي) بينكم المنايا (الموت)، ووسدكم (مددكم) مع الرسل في التراب.
 والموت نعمة نفسية لأنه يجعل القهر محدوداً بحد، وفي البيت حوم على هذا المعنى

وَأَرْسَلَ عَائِلًا مِنْكُمْ يَتِيمًا دَنَا مِنْ ذِي الْجَلَالِ فَكَانَ قَابًا
 وأرسل الله من البشر عائلاً (فقيراً/ هو النبي كما وصفه القرآن) يتيمًا، دنا من الله فكان قاب..
 (قريباً جداً: قاب قوسين)

وَكَانَ بَيَانُهُ لِلْحَقِّ سُبُلًا وَكَانَتْ خِيَلُهُ لِلْحَقِّ غَابَا
 وكان بيان (بلاغة) الرسول سُبُلًا (طُرُقًا) للحق، وكانت خيوله غابة يحتمي فيها الحق

وَعَلَّمَنَا بِنَاءَ الْمَجْدِ حَتَّى أَخَذْنَا إِمْرَةَ الْأَرْضِ اغْتِصَابَا
 وَمَا نَبِيلُ الْمَطَالِبِ بِالْتَمَنِّي وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابَا
 غلاباً: انتزاعاً

وَمَا اسْتَعَصَى عَلَى قَوْمٍ مَنَالٌ إِذَا الْإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا
 ما استعصى على قوم منال (هدف) إذا كان الإقدام (الشجاعة) ركبهم (وسيلة ركبهم/ فالناقة ركاب)

أَبَا الزُّهْرَاءِ قَدْ جَاوَزْتُ قَدْرِي بِمَدْحِكَ بَيْدَ أَنْ لِيْ ائْتِسَابَا
 يا محمد، يا أبا فاطمة الزهراء، تجاوزت قدري بأن مدحتك، إلا أن لي ائتساباً (صلة) بك؛
 والصلة هي البلاغة التي لي منها نصيب

فَمَا عَرَفَ الْبَلَاغَةَ ذُو بَيَانٍ إِذَا لَمْ يَتَّخِذْكَ لَهُ كِتَابَا
 ولا يعرف البلاغة صاحب بيان إلا إذا جعلك له كتاباً يستمد منه

مَدَحْتُ الْمَالِكِينَ فَرِزْتُ قَدْرًا فَحِينَ مَدَحْتُكَ اقْتَدْتُ السَّحَابَا
 مدحت المالكيين (الملوك) فارتفع قدري، وحين مدحتك انتشيت حتى لقد اقتدت (وَجَّهْتُ)
 السحب

سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أَبْنَاءِ دِينِي فَإِنْ تَكُنِ الْوَسِيلَةَ لِي أَجَابَا
 طلبت من الله الرفق بأبناء ديني، فإن تكن يا رسول الله وسيلتي لهذا الطلب فهو سيجيبي. «كلمته
 في فلان» في الأساليب القديمة معناها «توسطت لفلان»، ومثلها هنا «سألت الله في أبناء ديني» وقد
 يكون شوقي قاس عليها قياساً جميلاً أو يكون أخذها عن كاتب قبله؛ وما أكثر ما عند شوقي من
 هذه الأساليب، وما أحسن ما يستعملها!

وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ حِصْنٌ إِذَا مَا الضَّرُّ مَسَّهُمْ وَنَابَا
 وليس للمسلمين حصن سواك يا محمد إذا مسهم (حل بهم) الضر (الأذى) ونابهم (انتابهم)

١٥٣ الباقيات حين ينقطع البكا

قال شوقي يرثي مصطفى فهمي باشا (١٩١٤):

أَبَا الْبَنَاتِ! رُزِقْتَهُنَّ كَرَاماً وَرُزِقْتَ فِي أَصْهَارِكَ الْكُرَمَاءِ
 يا أبا البنات قد رزقتهن كريمات، ورزقت رزقاً آخر يتمثل في أزواجهن الكرماء

إِنَّ الْبَنَاتِ ذَخَائِرٌ مِنْ رَحْمَةٍ وَكَنُوزٌ حَبٌّ صَادِقٍ وَوَفَاءِ
 البنات ذخائر (كنوز) من الرحمة..

وَالسَاهِرَاتُ لِعِلَّةٍ أَوْ كَبْرَةٍ وَالصَّابِرَاتُ لَشِدَّةٍ وَبَلَاءِ
 وهن الساهرات عليك لعله (المرض) تحقيق بك أو كبرة (شيخوخة)..
 والصابرات لشدة وبلاء

وَالْبَاكِيَاتُكُ حِينَ يَنْقَطِعُ الْبُكََا وَالزَّائِرَاتُكَ فِي الْعَرَاءِ النَّائِي
 وهن الباقيات إياك حين تجف دموع الآخرين، والزائرات إياك في العراء النائي (البرية البعيدة)..
 (في مكان دفنك)

عُذْراً لِهُنَّ إِذَا ذَهَبْنَ مَعَ الْأَسَى وَطَلِبْنَ عِنْدَ الدَّمْعِ بَعْضَ عَزَائِ
 اطلب لهن العذر إذا ذهبن مع الأسى (الحزن)، وطلبن العزاء بذرف الدموع

مَا كُلُّ ذِي وَلَدٍ يَسْمَى وَالِدًا كَمِنْ مِنْ أَبٍ كَالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ
 لكن الأب نفسه قد لا يكون جديراً بالأبوة، فمن الآباء من هو كالصخرة الصماء (الصلبة)

١٥٤ أسخطوا الله ولم يرضوا البشر

قال شوقي ينمى على الطلبة جنوحهم للانتحار (١٩١٥):

رَوَّحُوا الْقُلُوبَ بِلَذَّاتِ الصَّبَا فَكَفَى الشَّيْبُ مَجَالاً لِلْكَدَرِ
 رَوَّحُوا القلب (رَفَّوْهُوا عنه) بمتع الشباب، ففي المشيب الذي سيحل بكم ما يكفي من الكدر (الكتابة)

وَاتْلُبُوا الْعِلْمَ لِذَاتِ الْعِلْمِ، لَا لِشَهَادَاتٍ وَآرَابٍ أُخْرٍ
اطلبوا العلم لذاته، لا للشهادات وللآرَاب (الأهداف) الأخرى

كَمْ غَلامٍ خَامِلٍ فِي دَرَسِهِ صَارَ بَحْرَ الْعِلْمِ أَسْتَاذَ الْعُضُرِ
كثيراً ما نجد صبياً خاملاً في دروس المدرسة، ثم إذا به يصير بحر العلم وأستاذ العُضُر (الزمن)
وَمُجِدِّ فِيهِ أَمْسَى خَامِلاً لَيْسَ فِيمَنْ غَابَ أَوْ فِيمَنْ حَضَرَ
وكثيراً ما نجد مجتهداً في الدرس صار خاملاً.. لا هو معدود في الغائبين ولا في الحاضرين
قَاتِلُ النَّفْسِ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُ، أَسْحَطُ اللَّهْ وَلَمْ يُرْضِ الْبَشَرُ
والمتحر - وإن تكن نفسه ملكه - يسخط الله، ولا يرضي البشر

١٥٥ أخت الحوت

قال شوقي في إغراق غواصة ألمانية الباخرة لوزيتانيا (أغرقت ١٩١٥):

وَدَّبَابَةٌ تَحْتَ الْعُبَابِ بِمَكْمَنِ آمِينَ، تَرَى السَّارِي وَلَيْسَ يَرَاهَا
رَبٌّ دَبَّابَةٌ (بهيمة تدب).. لكنها تدب تحت العباب (الموج) في مكن (مخبأ) أمين، ترى الساري
(السائر) ولا يراها

وكانت الدبابة، ذلك السلاح، اختراعاً جديداً في عام ١٩١٥، ورأها العرب في بلادهم مع قدوم
جيوش الاستعمار بعد سنة ١٩١٨، ووصفها شوقي في رثائه عمر المختار ١٩٣١ وسماها بالاسم
الإنجليزي «التنك»، واستخدم اللفظ نفسه «التنك» الشاعر القروي عام ١٩٢٥ في وصف هجوم
سلطان باشا الأطرش على التنك الفرنسي. فدبابة شوقي في هذا البيت ليست ذلك «السلاح
المعروف» كما قال بعض الشارحين

هِيَ الْحَوْتُ، أَوْ فِي الْحَوْتِ مِنْهَا مَشَابَهُ فَلَوْ كَانَ فُولاذاً لَكَانَ أَخَاهَا
هي الحوت، أو لنقل: في الحوت منها مشابه (مواضع شبه)، فلو كان جسم الحوت من الفولاذ
لكان أخاها

خَوْوُنٌ إِذَا غَاصَتْ، عَدُوٌّ إِذَا طَفَّتْ مُلْعَنَةٌ فِي سَبْحِهَا وَسُراها
الغواصة خؤون (خائنة) إذا غاصت وعدور (غادرة) إذا طفت فوق الماء، وملعنة (ملعونة) في
سباحتها وفي سراها (سيرها)

فَلَا كَانَ بَانِيهَا، وَلَا كَانَ رَكْبُهَا وَلَا كَانَ بَحْرٌ ضَمَّهَا وَحَوَاهَا
فليت انعدم من الوجود بانيها وركبها (راكبوها) والبحر الذي يضمها

وَأُفٍّ عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي تَدْعُوهُ إِذَا كَانَ فِي عِلْمِ النَّفْسِ رَدَاهَا
وأفٍّ على العلم الذي يدّعيه الغرب إذا كان علم الناس سبباً في ردهم (هلاكهم)

١٥٦ ولقد ولدت بباب إسماعيل

قال شوقي يهنئ حسين كامل بتولية الحكم سلطاناً، ويقول زكي مبارك إن هذه القصيدة هي التي سببت نفي شوقي إلى إسبانيا بعد نشرها بأسبوعين، (١٩١٥):

الْمُلْكُ فَيْكُمْ آلَ إِسْمَاعِيلَا لَا زَالَ بَيْتُكُمْ يُظَلُّ النَّيْلَا
الملك باق فيكم يا آل الخديوي إسماعيل (والسلطان الجديد ابن إسماعيل)، وأدعو أن يبقى بيتكم
المالك يظل مصر

هذي أصولُكُمْ وتلكَ فروعُكُمْ جاء الصَّمِيمُ مِنَ الصَّمِيمِ بَدِيلَا
إسماعيل أصل والسلطان الجديد ابنه، والخديوي المعزول عباس حلمي فرع منه (حفيدة)، فأنت يا
حسين كامل وعباس حلمي كلاكما صميم (أصيل)

النيلُ إن أحصى لَكُمْ حَسَنَاتِكُمْ ملأَ الزمانَ محاسِنًا والجِيلَا
أحيا أبوكُمْ شاطِئِيهِ، وابتنى مجدداً لمصرَ على الزمانِ أثيلا
أبوكم: الخديوي إسماعيل، أثيل: أصيل

نَشَرَ الحضارةَ فوقَ مِصرَ وَسُورِيَا وامتدَّ ظِلًّا للحجازِ ظَلِيلَا
حفظَ الإلهُ على الكنانةِ عرشَهَا وأدامَ مِنْكُمْ للهِلالِ كَفِيلَا
حفظ الله للكنانة (مصر) عرش أسرتكم، وأدامكم كفلاء للهِلال (الهِلال كان يتوسط علم مصر آنذاك)

أَخُونُ إِسْمَاعِيلَ فِي أَبْنَائِهِ وَلَقَدْ وَلَدْتُ بِبَابِ إِسْمَاعِيلَا
كان والد شوقي يعمل في حاشية الخديوي إسماعيل عند مولد شوقي؛ وكان شوقي في شبابه مقرباً
من الخديوي توفيق ثم من الخديوي عباس حلمي؛ والآن بعد عزل عباس حلمي يقول شوقي لخلفه
إنه سيواصل الولاء للأسرة المالكة لأنه ولد بباب إسماعيل والسلطان الجديد هو ابن إسماعيل بينما
المعزول حفيدة

وَلَيْسَتْ نِعْمَتُهُ وَنِعْمَةٌ بَيْتِهِ فَلَيْسَتْ جَزْلاً وَارْتَدَيْتُ جَمِيلَا
الجزل: الكثير

يَا أَكْرَمَ الْأَعْمَامِ حَسْبُكَ أَنْ نَرَى لِلْعَبْرَتَيْنِ بِوَجْنَتَيْكَ مَسِيلَا
أيها السلطان الجديد، وهو عمّ الخديوي المخلوع، يكفي أن نرى للعبرتين (الدعنتين) بوجنتيك
(بخديك) مسيلاً

مِنْ عَثْرَةِ ابْنِ أَخِيكَ تَبْكِي رَحْمَةً وَمِنْ الْخُشُوعِ لِمَنْ حَبَاكَ جَزِيلَا
تبكي من عثرة (نكبة) ابن أخيك راحماً إياه، وتبكي أيضاً من الخشوع المفروض عليك للإنجليز
الذي حبوكم (أعطوكم) حباء جزيلاً وهو السلطنة

هَلْ كَانَ ذَاكَ الْعَهْدُ إِلَّا مَوْقِفًا لِلسُّلْطَتَيْنِ وَلِلْبِلَادِ وَبِيلا

وهل كان العهد الماضي سوى موقف وبيل (ثقل مزعج) للسلطتين (الخدوي والإنجليز)؟

وانفضَّ ملعبُهُ وشاهدُهُ، على أنَّ الروايةَ لم تَتِمَّ فُصولاً

وانفض ملعب (مسرح) العهد الماضي وشاهده (المتفرج)، على أن (ولكن) الرواية لم تتم فصولاً. لا نظن أن هذه القصيدة كانت سبباً في نفي أحمد شوقي إلى إسبانيا، رغم ما فيها من إشارات تقذح في الإنجليز، فشوقي قد نفي في عصبة من الرجال. تفتح وعي شوقي وهو في الرابعة عشرة على الإنجليز يحتلون مصر، مع بقائها إسمياً جزءاً من الدولة العثمانية. ولكن عاطفته اتجهت نحو الخديوي توفيق بتأثير جو بيته، فقد كان أبوه في المعية الخديوية كاتباً أو حاسباً أو نحو ذلك. وحقد شوقي، ولداً غراً، على عرابي ورفاقه الذين شاقوا الخديوي قبل الاحتلال، وتصدوا للاحتلال وفشلوا في درته، وظل شوقي على موقفه من عرابي، ربما عناداً. ومات الخديوي توفيق الذي كان يحاسن الإنجليز بعد عشر سنوات (١٨٩٢)، وتولى عباس حلمي الذي كان أصغر من شوقي بضع سنوات. وكان يتملص من نفوذ الإنجليز المتعاضم. وكان شوقي يتملص معه، فهو شاعره. وبعد اثنتين وعشرين سنة مليئة بالمناخ لعباس حلمي وبالغمز من الإنجليز قامت الحرب العالمية الأولى. وكان الخديوي آنئذ في إستانبول. وإستانبول في هذه الحرب في صف ألمانيا والنمسا، ضد إنجلترا وفرنسا. قررت إنجلترا أنه آن الأوان لفصل مصر عن جسم الدولة العثمانية. فعزلت الخديوي عباس حلمي فبقي في إستانبول، وعينت عمه حسين كامل ولقبته بالسلطان. وفي هذا اللقب إشارة واضحة إلى تغير في وضع مصر من ناحية ارتباطها بإستانبول. كان شوقي في هذه الأيام في إستانبول وكان يلتقي الخديوي المعزول باستمرار ولا سيما بعد تعرضه لاعتداء بالرصاص وإصابته بجراح. وقد حاول شوقي تدبير زيارة يقوم بها الخليفة العثماني السلطان محمد رشاد للخديوي، ولكنه لم يفلح في مسعاه. وعاد شوقي إلى مصر ونشر قصيدته هذه في تهئة سلطان مصر الجديد حسين كامل. ولكن الإنجليز كانوا قد قرروا إبعاد عدد كبير من المصريين البارزين من أعوان الخديوي المعزول. وبعبارة شكيب أرسلان: «دفع الإنجليز إلى مألطة جمّاً غفيراً وأزعجوا آخرين إلى أوروبا وكان فيمن أزعج عن بلاده إلى أوروبا أحمد شوقي فانتجع إسبانية، وناح على الأندلس، ولكنه خَفَضَ في عيشة راضية، وبئة هادية، ولم يعد إلى وطنه إلا بعد أن انطفأت نار الحرب». ويحدثنا حسين أحمد شوقي، ابن الشاعر، في كتابه «أبي شوقي» أن الأسرة ذهبت بأفرادها الستة ومعها أربعة من الخدم إلى المنفى

شاعر الأمة

في هذا الفصل شعر شوقي في منفاه، وبعد منفاه إلى حين وفاته عام ١٩٣٢. وكانت فترة خصبة في حياته الشعرية، تحلل فيها من الارتباط الوثيق بالحاكم، فعبّر عن الأمة: المصرية، والعربية (وهذا جديد هذه المرحلة)، والإسلامية

١٥٧ يا نائح الطلح

قال شوقي في مفناه في إسبانيا (١٩١٥):

يا نَائِحَ الطَّلَحِ أَشْبَاهُ عَوَادِينَا نَشْجَى لَوَادِيكَ أَوْ نَأْسَى لَوَادِينَا

يا ذَكَرَ الحمام، أيها النائح بوادي الطلح (وادي إشبيلية فيه شجر الطلح) أشباه (متشابهة) عوادينا (مصائبنا)؛ فهل نشجى (نحزن) لواديك، وادي الطلح، أم نأسى (نحزن) لوادينا، وادي النيل؟

ماذا تَقْصُّ علينا؟ غيرَ أنَّ يَدَا قَصَّتْ جَنَاحَكَ جَالَتْ فِي حَوَاشِينَا

ماذا تخبرنا؟ سوى أن اليد التي قصت جناحك (فخرج العرب من الأندلس) هي التي عبثت بجوانب وطننا. والغرب عند شوقي أمة واحدة، وعداوتهم للشرق وللمسلمين متصلة منذ الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش في إسبانيا، إلى الحرب العالمية الأولى التي كانت مشتتة وقت هذه القصيدة وانجلى غبارها عن هدم دولة الخلافة العثمانية

كُلُّ رَمْتِهِ النَّوَى، رِيَشَ الْفِرَاقِ لَنَا سَهْمًا، وَسُلَّ عَلَيْكَ الْبَيْنُ سِكِّينَا

كل منا رمت (أصابته) النوى (الفراق)؛ فالفراق كان سهما ريش (ذيل بالريش) ليصبينا نحن، والبين (الفراق) سل سكيناً عليك أنت

فَإِنْ يَكُ الْجِنْسُ، يَا ابْنَ الطَّلَحِ، فَرَّقَنَا إِنَّ الْمَصَائِبَ يَجْمَعُنَ الْمُصَابِينَا

فإن كان الجنس يا ساكن وادي الطلح فرقنا (فأنت من جنس الحمام، ونحن من البشر) فالمصائب تجمع المصابين بها

لَمْ نَسْرِ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ كَالْخَمْرِ مِنْ بَابِلٍ سَارَتْ لِدَارِينَا

لم نسر (ما سرينا ومشينا) من حرم (مكان مقدس/ وادي النيل) إلا لنحل حراماً في الأندلس؛ فنحن كالخمر نقلت من بابل بالعراق إلى دارين بالبحرين، وكلاهما موطن للخمر الجيدة

لَمَّا نَبَا الْخُلْدُ نَابَتْ عَنْهُ نَسَخَتُهُ تَمَاثِلَ الْوَرْدُ خَيْرِيًّا وَنَسْرِينَا

عندما نبا عنا (ابتعد) الخلد (الجنة)، أي مصر، نابت عنه نسخة منه في الأندلس؛ والخيري (المتنور الأصفر) يماثل النسرين (الورد الأبيض)

نَسَقِي ثَرَاهُمْ ثَنَاءً، كُلَّمَا نُثِرَتْ دُمُوعُنَا نُظِمَتْ مِنْهَا مَرَاثِينَا

نسقي تراب أهل الأندلس القدمات بثنائنا، وكلما انتشرت الدموع من عيوننا ثراً نظمناها نظماً في قصائد رثاء

كَادَتْ عَيُونُ قَوَافِينَا تُحَرِّكُهُ وَكَذَنْ يَوْقُظَنَّ فِي التُّرْبِ السَّلَاطِينَا

كادت عيون قوافينا (قصائدنا الجيدة) تحرك التراب، وكادت توقظ السلاطين المدفونين في هذا التراب

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا في النائبات، فلم يأخذ بأيدينا

النائبات: المصائب

ونابغي كأن الحشر آخره ثميتنا فيه ذكراكم وتحيينا

ورب نابغي (أي ليل مخيف طويل كليل الشاعر النابغة) كأنه يفضي إلى الحشر (يوم القيامة)، كانت فيه ذكراكم أيها الأحبة بمصر تميتنا حزناً ثم تحيينا أملاً

نطوي دُجَاهَ بِجُرحٍ مِنْ فراقكم يكاد في غلس الأسحار يطوينا

نقضي الوقت في دجى هذا الليل وفينا جرح من فراقكم يكاد في غلس (ظلمة) الأسحار (أواخر الليل) يطوينا (يقتلنا)

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ولم يهن ييد التشتيت غالينا

نحن اليواقيت (أحجار الباقوت) التي خاض النار جوهرها (حجرها الأصلي)، والنار هي المنفى؛ ولم تهن (ترخص) اليواقيت الغالية بالتشتيت بل تجوهرت به

ولا يحول لنا صبغ ولا خلُق إذا تلَوْنَ كالحرباء شائنا

ولا يحول (بتغير) لنا صبغ (لون) ولا خلق، في حين يتلون كالحرباء شائنا (كارهنا)

لم تنزل الشمس ميزاناً، ولا صعدت في ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا

المعنى الملموح: لم تنزل الشمس برج الميزان (ليتصف النهار)، ولا ارتقت عرشاً في ملكها الضخم، الذي هو العالم كله، يشبه وادي النيل

وهذه الأرض من سهل ومن جبل قبل القياصر دناها قرايعنا

والأرض بسهلها وجبلها، قبل عهد قياصرة الرومان دناها (أخضعناها) في عهود الفراعنة

ولم يصنع حجراً بانٍ على حجرٍ في الأرض إلا على آثارٍ بانينا

ولم يبن أحد في الأرض بناءً إلا على آثار (تالياً لـ) بانينا الفرعوني

كأن أهرام مصر حائط نهضت به يد الدهر، لا بُنيان فإيننا

فكان الأهرام جدار رفعت يد الزمن، وليس من بناء الإنسان الغائين

١٥٨ كل ميت أخوك

قال شوقي في مصرع اللورد كشنر (١٩١٦):

كلٌ محمولٍ على النعشِ أخٌ لك، صافٍ وُدّه بعد الكدرِ

إن تَكُنْ سِلماً له لم يَنْتَفِعْ أو تَكُنْ حرباً فقد فات الضررُ

سِلماً له: مسالماً إياه، حرباً عليه: محارباً إياه

وإذا الموتُ إلى النفسِ مشى وركبتِ النجمَ، بالموتِ عَثَرُ
إذا جاءك الموت وأردت الهروب منه فركبت النجم؛ فإن النجم، وهو الذي لا يتعثر بشيء، يجد نفسه قد تعثر بالموت

رُبَّ ثَاوٍ فِي الطُّبَى مُمْتَنِعٍ سَلَّهَ الْمِقْدَارُ مِنْ جَفْنِ الْحَذَرِ
رب ثاوٍ (قايح) داخل طوق من الطُّبَى (نصال السيوف) ممتنع (محتم) استلَّه المِقْدَار (القدر)، وأخذَه الموت من جفن الحذر
و«جفن الحذر» هذه يعرف يقولها أبو تمام وشوقي والمتنبي. هي من شوقي بديعة، وإن يكن لها عند أبي الطيب أصل

١٥٩ زواج الزنى

قال شوقي في زواج الكبار بصغيرات (١٩١٦):

الْمَالُ حَلَّلَ كُلَّ غَيْرٍ مُحَلَّلٍ حَتَّى زَوَاجِ الشَّيْبِ بِالْأَبْكَارِ
الشَّيْب: الرجال الشائبون، الأَبْكَار: العذارى

سَحَرَ الْقُلُوبَ، قَرَّبَ أُمَّ قَلْبُهَا مِنْ سِحْرِهِ حَجَرٌ مِنَ الْأَحْجَارِ
الْمَال سَحَر الْقُلُوبَ، قَرَّبَ أُمَّ حَوَّلَ هذا السحر قلبها إلى حجر

دَفَعَتْ بُنْيَتَهَا لِأَشَامٍ مَضْجَعٍ وَرَمَتْ بِهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارِ
دفعت هذه الأم بابنتها لمضجع (سرير) مشؤوم، ورمتها في غُرْبَةٍ وأسر مع هذا العجوز

وَتَعَلَّلْتُ بِالشَّرْعِ، قُلْتُ: كَذَبْتِهِ مَا كَانَ شَرْعُ اللَّهِ بِالْجَزَارِ
وتعللت (تججبت) الأم بالشرع، وأقول لها: كذبت على الشرع في تأويلاتك، فليس شرع الله جزاراً

مَا زُوِّجَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ وَإِنَّمَا بَيْعَ الصَّبَا وَالْحُسْنُ بِالذِّينَارِ
بَعْضُ الزَّوْجِ مُذْمَمٌ، مَا بِالزَّنَى وَالرَّقُّ، إِنْ قَيْسَا بِهِ، مِنْ عَارِ
بعض الزواج مذموم (مذموم)، ولكثرة ما به من العار فلو قيس به الزنى والرق (العبودية) لما رأينا بهما عاراً

فَتَشْتُ، لَمْ أَرْ فِي الزَّوْجِ كِفَاءَةً كَكِفَاءَةِ الْأَزْوَاجِ فِي الْأَعْمَارِ

الكفاءة في الزواج: مفهوم فقهي يجعل النسب والمال المقياس الأهم لتكافؤ الزوجين، وشوقي يرى التقارب في العمر خير معيار للكفاءة. هذا لا يعني أن شوقي كان ضد الزواج المبكر للفتاة، فقد زوج ابنته أمينة وهي دون الخامسة عشرة من عمرها حسبما أخبرنا أخوها حسين في كتابه «أبي شوقي»

١٦٠ رثاء شكسبير

قال شوقي في ذكرى ٣٠٠ سنة على وفاة شكسبير، (١٩١٦):

أعلى الممالك ما كُرِّسِيَهُ الماءُ وما دِعَامَتُهُ بالحقِّ شَمَاءُ

أعلى الدول ما كان كرسيه (عرشه) على الماء، وما كانت دعامة عرشه شماء (عالية) بالحق. وإنجلترا كانت سيدة البحار (في عهد شوقي، وقبله بثلاثمئة سنة أيضاً في عهد شكسبير الذي شهد الأرمادا وسيطرة إنجلترا على البحار)

دستورُهُم عَجَبُ الدُّنْيَا، وشاعرُهُم يَدُّ عَلَى خَلْقِهِ لِلَّهِ بِيضَاءُ

دستور الإنجليز، وهو غير مدون في صورة دستور كبقية البلاد، من الأعاجيب، وشاعرهم يد بيضاء لله (نعمة منه) على خلقه

نالتْ به وحدَهُ إنجِلْتِرا شَرَفاً ما لم تنلْ بالنجومِ الكُثْرِ جوزاءُ

شَرَفَتْ إنجلترا بشكسبير أكثر مما شَرَفَ برج الجوزاء بنجومه

لَمْ تُكْشَفِ النَّفْسُ لَوْلَاهُ، وَلَا بُلِيَتْ لَهَا سرائِرُ لَا تُحْصَى وَأَهْوَاءُ

لولا شكسبير لما كُشِفَتْ حقائق النفس البشرية، ولا بُلِيَتْ (اُخْتُبِرَتْ) سرائر (خفايا) النفس وأهواءها التي لا تحصى. قد طالبني الصديق الشاعر عمران القفيني أن أثبت ههنا شيئاً عن شكسبير وما أودع مسرحياته من تدسس في خبايا النفس البشرية. وقد صنعت بعض ذلك في شرحي لقصيدة حافظ إبراهيم في ذكرى شكسبير، القطعة رقم ٥٠ في باب حافظ إبراهيم، ولن أكرر نفسي هنا، بل أنقط طرف خيوط تركته هناك: مسرح شكسبير شعري، ويحس به أهل اللغة الإنجليزية، ويقطفون تسعين بالمئة من حلاوته، وأما نحن فنفهم القصة والمغزى فهذه عشرة بالمئة نستمتع بها. رأيتنا عندما لخص لنا المنفلوطي مسرحية يوليوس قيصر بلغته المنفلوطية ههنا بتلخيصه هيأماً، وطربنا لشعره العذب، وبيانه العربي. نعم، عزيزي عمران، شكسبير مشهور بأنه كان يتغلغل في عواطف ومصالح البشر، ويكشف عن دوافعهم، وخصوصاً ما كان منها دنيئاً شريئاً، وتميز بهذا عن كتاب مسرحيين كثر في زمنه وبعد زمنه انصرفوا إلى عناصر أخرى كالحبكة والمفاجأة والإثارة

شِعْرٌ مِنَ النَّسَقِ الْأَعْلَى يُؤَيِّدُهُ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ إِلَهَامٌ وَإِيحَاءُ

شعر من النسق (النظم) الأعلى (الأرقى) يرفده إلهام إلهي

بِمَنْ أَمَاتَكَ قُلْ لِي: كَيْفَ جُمُجُمَةٌ غِبْرَاءُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ جَوْفَاءُ

بحق الله الذي أَمَاتَكَ قل لي: جمجمتك هذه التي أصبحت مغبرة مجوفة مدفونة في التراب..

كانت سماء بيانٍ غيرَ مُقْلَعَةٍ شُؤْبُوبُهَا عَسَلٌ صَافٍ وَصُهْبَاءُ
 كيف كانت هذه الجمجمة سماء بلاغة غير مقلعة (لا ينقطع مطرها)، وكان شؤبوبها (مطرها) عسلاً
 وخمراً.. تعليق عمران الفيني: (في مارس/ آذار ٢٠١٦، اكتشفوا بعد مسح بالرادار أن جمجمة شكسبير
 سرقت من قبره المكتوب عليه بيتان لأديب إنجلترا الأشهر أحدهما «ملعون من حرك عظامي»)

وَالنَّاسُ صِنْفَانِ: مَوْتَى فِي حَيَاتِهِمْ وَأَخْرُونَ بِبَطْنِ الْأَرْضِ أَحْيَاءَ
 لَامُوكَ فِي جَعْلِكَ الْإِنْسَانَ ذَنْبٌ دَمٌ وَالْيَوْمَ تَبْدُو لَهُمْ مِنْ ذَاكَ أَشْيَاءَ
 كانوا يلومونك لأنك صورت الإنسان ذنباً متعطشاً للدم؛ واليوم - وكانت الحرب العالمية الأولى
 في أوجها - تبدو لهم أشياء مما كنت قلت

١٦١ دول العرب وعظماء الإسلام

قال شوقي من أرجوزة «دول العرب وعظماء الإسلام» وهي أرجوزة تاريخية طويلة من
 مزدوج الرجز، ونظمها في متفاه بإسبانيا (بلغت أبياتها ١٥٢٦ بيتاً):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَدِيمِ الْبَاقِي ذِي الْعَرْشِ، وَالسَّبْعِ الْعُلَى الطَّبَاقِ
 الطباق: طبقات السماوات

وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَجَلِ رُسُلِ السَّلَامِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي سَمَائِهِ وَعَرْشِهِ السَّابِحِ فِي أَسْمَائِهِ
 صلى على النبي عرش الله الذي يسبح في أسمائه الحسنی

لَمَّا رَمَى اللَّهُ بِهِذِي الْحَرْبِ عَلَى بَنِي الشَّرْقِ وَأَهْلِ الْغَرْبِ
 وكانت الحرب العالمية الأولى مستعرة وقت قلت الأرجوزة

تَحَرَّكَتْ سَوَاكِنُ الْأَقْدَارِ وَاطَّرَدَتْ عَوَامِلُ الْأَكْدَارِ
 تحرك من الأقدار ما كان ساكناً، واطردت (تتابعت) أسباب الأكدار (المنقصات)

وَحَكَّمَ اللَّهُ بِهَجْرَةِ الْوَطَنِ وَطَالَمَا ابْتَلَى بِهَا أَهْلَ الْفِطَنِ
 حكم الله عليّ بأن أهاجر عن مصر، والهجرة كثيراً ما ابتلى بها أهل الفطن (النابهين)

فَكُنْتُ أَسْتَعْدِي عَلَى الْهُمُومِ بَنَاتِ فِكْرِ لَيْسَ بِالْمَلُمِ
 فكنت في مهجري أستعدي (أستعين) على الهموم بنات فكر ليس بالملوم (فكر مشتت)

أَسْتَدْفِعُ الْفِرَاقَ وَالْعَطَالَهَ، وَبَطْلٌ مَنْ يَقْتُلُ الْبِطَالَهَ
 أستدفع (أبعدُ شبح) الفراغ والعطالة (قلة العمل)، وإنه لبطل من يستطيع قتل البطالة

حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ أَنْ نَظْمُتْ مِنْ سِيرِ الرِّجَالِ مَا اسْتَغْظَمْتُ

نظمت سير (قصص حياة) الرجال الذين استعظمتهم (عددتهم عظماء)

وَاخْتَرْتُ بَحْرًا وَاسِعًا مِنَ الرَّجْزِ قَدْ زَعَمُوهُ مَرْكَبًا لِمَنْ عَجَزَ

اخترت بحر الرجز للنظم وفيه جوازات كثيرة وسعة، وزعموا أنه مركب سهل للعاجز. أما سماه الأقدمون حمار الشعراء؟

يَرَوْنَ رَأْيًا وَأَرَى خِلَافَةً الْكَأْسُ لَا تُقَوِّمُ السَّلَافَةَ

ورأيي غير رأيهم، فالكأس لا تقوم (تحدد قيمة) السلافة (الخمر)، وكذا فالبحر الشعري لا يحدد قيمة معنى الشعر

وَقِيَمَةُ اللَّوْلُوِّ فِي النُّحُورِ بِنَفْسِهِ وَلَيْسَ بِالْبُحُورِ

واللؤلؤ وهو في نحور (أعناق) الحسان يقوّم بنفسه وليس بالبحور التي منها أتى. و«البحور» هذه عذبة. إن جازت على البحور العذوبة - فهي «البحور» التي أتى منها اللؤلؤ، لكنها أيضاً «بحور» الشعر

شِعْرٌ لَزِمْتُ فِيهِ مَا لَا يَلْزَمُ وَتَرَكْتُهُ أَلِيقُ بِي وَأَحْزَمُ

ولزمت في شعري ما لا يلزم، وكان أحزم لي (أكثر حصافة) ألا أفعل ذلك. وشوقي التزم بحرفي روي بدل حرف واحد كما ترى

وَمَا أَيْسَتْ مِنْ كَرِيمٍ يُغْضِي وَلَا أَمِنْتُ حَاسِدًا ذَا بُغْضٍ

وما أيست (يسّست) من وجود كريم يغضي (يتجاهل) على أغلاطي، كما أنني لم آمن حاسداً مبغضاً

رُبَّ لِسَانٍ جَمَعَ الْأَقْوَامَ وَكَانَ كَالْجَنَسِ لَهُمْ قِوَامًا

رب لسان (لغة) جمع شمل الأقوام وكان لهم قواماً كالعِزْق، وهذا اللسان هو اللغة العربية

وَقَدْ حَبَاهُ اللَّهُ بِالْجَزِيلِ وَاخْتَارَهُ لِلْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ

هذا اللسان حباه الله بالجزيل (الكثير)، واختاره للوحي والتنزيل (القرآن)

لِسَانُكَ الْأَوَّلُ فِي الْكُتَّابِ وَلِغَةُ الصَّبُورَةِ وَالْعِتَابِ

لسانك (لغتك) الأول في الكتاب (المدرسة)، ولغة الصبورة (الشوق) والعتاب..

لَا تَرْضَ مِنْهُ مَبْلَغَ الرُّعَاعِ وَحِصَّةَ الْأَعْمَى مِنَ الشُّعَاعِ

.. هذا اللسان لا ترض أن تقف في إتقانه عند مبلغ (مستوى) الرعاع (الجهلة)، ولا تكتف منه بحصة تشبه حصة الأعمى من النور

النَّفْسُ تَرْجُو هِمَّةَ الْخُلُودِ فِي الْعِلْمِ وَالْبُنْيَانِ وَالْمَوْلُودِ

النفس تطمح إلى الخلود: بالعلم الذي تورثه للأجيال، وبالبنيان الشامخ الذي يخلد الذكر، وبالأولاد الذين يحيون ذكر آبائهم

تَوَهَّمُ الْحَيَاةَ بَعْدَ مَوْتٍ وَتَزْعُمُ الْوُجْدَانَ بَعْدَ فَوْتٍ
وتوهم النفس وجود حياة بعد الموت، وتزعم أن هناك وجداناً (وجوداً) بعد الفوت (فوات)
الأوان)

ضَاقَتْ عَلَى النَّوَائِغِ الْآجَالُ فَكَانَ فِي الذِّكْرِ لَهُمْ مَجَالُ
ضاقت على النوايغ آجالهم (أعمارهم)، فكان خلود الذكر مجالاً لإطالة العمر

انْظُرْ إِلَى الْآبَاءِ كَيْفَ هَامُوا بِالْخُلْدِ، وَاحْتَالَتْ لَهُ الْأَفْهَامُ
انظر كيف هام القدماء بالخلود، وكيف احتالت أفهامهم (عقولهم) لتخليد ذكركم

مَنْ دَرَسَ التَّارِيخَ أَوْ مَنْ دَرَسَهُ يَمْضِي الزَّمَانُ وَهُمَا فِي الْمَدْرَسَةِ
لَا يَبْلُغَانِ فِي الْكِتَابِ غَايَةً وَلَا الْكِتَابُ بَالِغُ النَّهَائَةِ
إِيَّاكَ وَالْمُؤَرِّخُ الْمِقْصَصُ مَا كُلُّ مَنْ قَصَّ فَقَدْ تَقَصَّى

احذر المؤرخ الذي يقتطع الأحداث كالمقص بلا تثبُّت، وما كل من قص (روى) قد
تقصَّى (تحقَّق). وفي زمننا هذا صار للمقص معنى آخر مع دخول ثقافة القصص
واللُزق. ولعل شوقي كان سيقول في الأكاديمي الذي يللم بحوثة من أردأ مواقع
الإنترنت: (ذاك الذي يقصُّ ثم يلزق/مُقَوِّلُ المنتديات الزنق/أكبلُ ما قد حرَّثوا
وعزَّقوا/أو لاحسُ الذي بها قد بَرَّقوا/بومٌ بغيرِ صَوْتِهِ يَزَقُّ)

مَضَى أَبُو بَكْرٍ، وَوَلَّاهَا عُمَرُ الشَّمْسُ لَا تُخْلَفُ إِلَّا بِالْقَمَرِ
ذهب أبو بكر الصديق وولَّى الخلافةَ عمرَ، والشمس لا يخلفها إلا القمر

وُلَاتُهُ فِي مُلْكِهِمْ رُهْبَانُ وَالْفُلُكُ حَيْثُ سَاقَهَا الرُّبَّانُ
الولاية الذين ولَّاهم عمر فقراء عفيفون كالرهبان، والفلوك (السفينة) تذهب إلى حيث يسوقها
الربان، فهم كالسفينة وعمر كالربان

أَمَّا الْإِمَامُ فَالْأَغَرُّ الْهَادِي حَامِي عَرِيْنِ الْحَقِّ وَالْجِهَادِ
الإمام علي بن أبي طالب هو الأغر (المشرق) الهادي، حامي عرين (بيت الأسد) الحق والجهاد

لَوْ صَانَعَ الْإِمَامُ أَوْ تَأَنَّى مَا بَلَغَ الشَّامِيُّ مَا تَمْنَى
لو كان علي صانع (داري) أو تمهل، لما بلغ الشامي (معاوية والي الشام) ما تمنى

وَقِيلَ عِلْمٌ مَا لَهُ انْتِهَاءٌ لَمْ يَجِرْ فِيهِ الرَّأْيُ وَالذَّهَاءُ
وقيل إن علم علي غزير لا نهاية له، ولكن هذا العلم لم يجرِ معه في تياره رأي ودهاء

١٦٢ حال الغريب

قال شوقي في منفاه :

قالت: تَغَرَّبَتِ الرِّجَالُ، فقلتُ: في ضَيْمٍ أُرِيدُ بِجَانِبِي فَأُبَيِّتُهُ
قالت: تغربت الرجال فقلت: ذلك في (بسبب) ضيم (ظلم) أريد إلحاقه بجانب (بي) فأبيته
(فرضته)

قالت: أَخِفَّتِ الموتَ، قلتُ: أُمْلِيتُ أَنَا مِنْ حَبَائِلِهِ إِذَا مَا خَفَّتُهُ؟

حباثله: مصائده

قالت: لَقَدْ شِمَّتِ الحسودُ، فقلتُ: لو دَامَ الزمانُ لِشامتٍ لَحَفِلْتُهُ
لحفلة: لحفلت به

قالت: كَأَنِّي بِالهِجَاءِ قَلَائِدًا سارث، فقلتُ: هممْتُ، ثم تَرَكْتُهُ
قلائد: عقود (وكانوا يشبهون القصائد بالعقود التي يرتديها الممدوح أو المهجو فتظل معلقة بعنقه)

١٦٣ المال

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا
على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة:

«يا مال! الدنيا أنت، والناس حيث كنت. حالك وحال الناس عَجَبٌ، تَمْلِكُهُمْ مِنْ
المهْدُ، ويقولون أَصَبْنَا وَمَلَكْنَا وَتَرْتُهُمْ عِنْدَ اللَعْدُ، ويقولون وَرَكْنَا وَتَرَكْنَا؛ مَنْ عَاشَ
قَوْمُوهُ بِمَا مَلَكَ، وَمَنْ هَلَكَ تَسَاءَلُوا كَمْ تَرَكَ؟ المحرومُ مَنْ أَوْثَقَكَ، والضائعُ مَنْ
أُطْلِقَكَ، وهما فقيران: مَنْ جَمَعَكَ وَمَنْ فَرَّقَكَ. كثيرُك هَمٌّ، وقليلُك غَمٌّ، وَمَعَ
التوسُّطِ الخوفُ والطمعُ، والحرصُ والجشعُ، حَذَرُ النَّفَادِ، ورغبةٌ في الازديادِ.
الملكُ سُوقَةٌ إِذَا نَزَلَ إِلَيْكَ، والسُّوقَةُ مَلِكٌ إِذَا عَلَا عَلَيْكَ. فسبحانَ مَنْ قَهَرَ بِكَ
الْخُلُقُ، وقَهَرَكَ بِرِجَالِ الْخُلُقِ».

١٦٤ الجمال

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا
على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة، وهذه القطعة كانت تغلي في رأس
شوقي غلياناً، لأنه يعشق «الجمال» فجاءت من بين أخواتها في الكتاب.. غير مسجوعة،
وقد سودناها لك كي تتمتع بهذا النثر الذي جل عن السجع فصار كأنه الشعر (بين
١٩١٥ و ١٩١٩):

«جمعت الطبيعة عبقريتها فكانت الجمال. وكان أحسنه وأشرفه ما حلّ في الهيكل الأديمي، وجاوز العقل الشريف والنفس اللطيفة والحياة الشاعرة. فالجمال البشري سيد الجمال كله، لا المثال البارغ استطاع أن يخلعه على الدمي الجسان، ولا للثيرات الزهر في ليالي الصحراء ما له من لمحة وبهاء، ولا لبديع الزهر وغريبه في شباب الربيع ما له من بشاشة وطيب. وليس الجمال بلمحة العيون، ولا بيريقي الثغور، ولا هيف القدود، ولا أسالة الخدود، ولا لؤلؤ الثنايا وراء عقيق الشفاه، ولكن.. شعاع علوي يسطه الجميل البديع على بعض الهياكل البشرية، يكسوها روعة ويجعلها سحراً وفتنة للناس».

١٦٥ الأمس واليوم والغد

قال أحمد شوقي في كتابه النثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفيه بإسبانيا على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة (بين ١٩١٥ و١٩١٩):

الأمس: «أمس ما أمس، خطوة إلى الرّمس. جزء من عمرك حَضَرَتْ وفاته، وقبرت بيدك رفاة. وهو أبو يومك، والولد سر أبيه، وجدّ غدك، فاجعله النبيل في الجدود النّبية».

اليوم: «طلعت الشمس، ونفضت الخمس من تراب أمس. فسبحان الذي ألهى بالأمل، وشغل بالعمل، واستنهض الإنسان لأعباء اليوم فحمل».

الغد: «بريد الملك القهار، مؤعده حواشي الأسحار، أو غرة النهار، حملت الفجاءات نجائبة، واشتملت على المستجدات حقايبه. هو الشخص الثالث في رواية الأيام والحوادث، والخلف من صاحبيه والوارث».

١٦٦ مقتطفات

قال أحمد شوقي في كتابه النثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفيه بإسبانيا على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة (بين ١٩١٥ و١٩١٩):

المسجد الحرام: «حرم الله المظهر، وبيتة العتيق المُستَر، الذي وجّه إليه الوجوه، وفرص على عباده أن يحجّوه؛ نظرت إليه المساجد في كلّ خمس، وقامت إليه قيام الحرياء للشمس».

الطلاق: «حلال.. عليه بشاعة الحرام، وحق.. يشره إليه اللثام، ويكره عليه الكرام».

الأسد: «طاغية الصَّحراء، وجبارُ العراء، وأجرأُ مَنْ وَطئَ الغبراء. عرشُهُ غابته، وِجَابُهُ مهابته، والوَحدةُ مجلسُهُ وصحابته».

الكاتب العمومي: «يُمثِّلُ مِنَ الجَهْلِ العامِّ، صنعتهُ القرونُ والأجيالُ. حفَّارُهُ عَبَثُ الحاكم، وطِيبَتُهُ غَفْلَةُ المحكوم، وَهُوَ الأُمِّيَّةُ على قارعةِ الطريق، لا يجمَعُهُ والحضارةُ مكانٌ».

السجع: «السَّجْعُ شعرُ العربيَّةِ الثاني؛ وكلُّ موضعٍ للشعرِ الرَّصينِ محلٌّ للسَّجْعِ».

الشيخ المهندم: «أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمُهَنْدَمُ، مَا عَرَّكَ بِالسِّنِّ حَتَّى لَبَسْتَ لِلصُّبَا ثِيَابَهُ، وَنَارَغْتَ حَفِيدَكَ شَبَابَهُ؟ إِنَّمَا مَثَلُكَ كَمَثَلِ الضَّرْسِ المحشُوِّ المَكْسُوِّ: نُزِعَ مِنْهُ العَصَبُ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ الدَّهَبُ».

١٦٧ خواطر

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة (بين ١٩١٥ و١٩١٩):

ما نَبَّهَ عَلَى الفَضْلِ الكاذِبِ مِثْلُ الثَّنَاءِ الكاذِبِ.

هَلَكْتُ أُمَّةً تَحْيَا بِفَرْدٍ وَتَمُوتُ بِفَرْدٍ.

الصَّالِحُونَ يَبْنُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَالْمُضِلِّحُونَ يَبْنُونَ الجَمَاعَاتِ.

الْمُتَحَيِّرُ لَا يُمَيِّزُ.

لَا سُلْطَانَ عَلَى الدَّوْقِ فِيمَا يُحِبُّ وَيَكْرَهُ.

الغَنِيُّ مَعَ الْفَقِيرِ فِي كِبْدٍ: إِذَا مَنَعَهُ حَسَدٌ، وَإِذَا أَعْطَاهُ حَقْدٌ.

قَدْ يُدَاوِيكَ مِنَ الْمَرَضِ اتِّقَاؤُهُ، وَلَا يُنْجِيكَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَّا لِقَاؤُهُ.

فَلَمَّا طَارَ اسْمُ الشَّاعِرِ فِي حَيَاتِهِ، فَوَقَعَ بَعْدَ مِمَاتِهِ.

عِنْدَ الْكَمَالِ، يَتَدَيُّ الْجَمَالُ.

لِلْجَمَالِ حِينَ يَزُولُ، جَلَالَةُ الْمَلِكِ الْمَعزُولِ.

رُبَّ اسْتِخْيَاءٍ تَحْتَهُ رِيَاءٌ.

كَادَ صَفْحُ الْوَالِدِ يَسْبِقُ ذَنْبَ الْوَلَدِ.

لو حَطَمَتِ السَّنُّ الْمَرْأَةَ مَا حَطَمَتْ مِرَاتَهَا .
 مِنْ عَاشَرَ وَعَاشَرَ أَمَلٌ مُحِبًّا أَوْ مَلٌّ مَحْبُوبًا .
 كَبُرَ الصَّغِيرِ قَبِيحٌ كَتَوَاضُعُهُ، كَلَاهُمَا فِي غَيْرِ مَوْضِعَةٍ .
 شُورَى مِنَ الْحَجَّاجِ وَزِيَادٍ، خَيْرٌ مِنَ الْفَرْدِ وَلَوْ كَانَ عَمْرٌ .
 اللَّهُ أَعْيُنٌ، وَالنَّاسُ أَلْسُنٌ، فَأَيْنَ الْمَفَرِّ؟
 تَكَثَّرَ مِنَ الْحُسَادِ بِفَضْلِكَ، وَلَا تَتَكَثَّرْ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِجَهْلِكَ .

١٦٨ ما أبعد النيل !

بعث شوقي، من منفاه بإسبانيا، إلى حافظ إبراهيم بواسطة داود بركات رئيس تحرير
 الأهرام ثلاثة أبيات (١٩١٧):

يا ساكني مِصْرَ إِنَّا لَا نَزَالُ عَلَى عَهْدِ الْوَفَاءِ، وَإِنْ غُبْنَا، مُقِيمِينَ
 يا أهل مصر! نحن مقيمون على العهد رغم غيابنا

هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءِ نَهْرِكُمْ شَيْئاً نُبَلُّ بِهِ أَحْشَاءَ صَادِينَا
 هلا بعثتم لنا من ماء النيل حتى نبل أحشاء صاديننا (القلب العطشان فينا)

كُلُّ الْمَنَاهِلِ، بَعْدَ النَّيْلِ، آسِنَةٌ مَا أَبْعَدَ النَّيْلُ إِلَّا عَنْ أَمَانِينَا
 كل المناهل (موارد الماء) بعد النيل آسنة (فاسدة)، والنيل بعيد إلا أننا نتمنى قربه كثيراً فهو قريب
 في أمانينا

رد حافظ إبراهيم يقول:

«عَجِبْتُ لِلنَّيْلِ يَدْرِى أَنَّ بُلْبُلَهُ/ صَادٍ، وَيَسْقِي رُبِي مِصْرَ وَيَسْقِينَا
 وَاللَّهِ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوْرِدُهُ/ وَلَا ارْتَضَوْا بَعْدَهُ مِنْ عَيْشِهِمْ لِيْنَا
 لَمْ تَنْأَ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقَتْ شَاطِئُهُ/ وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَ»

١٦٩ أُرِدْتُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَنَا

كان شوقي يردد هذه الأبيات كثيراً (١٩١٧):

رَأَيْتُ عَلَى صَخْرَةٍ عَقْرَباً وَقَدْ جَعَلَتْ ضَرْبَهَا دَيْدَنًا
 رأيت عقرباً على صخرة وقد جعلت العقرب ضرب الصخرة ديدناً (عادةً لها

فقلتُ لها: إِنَّهَا صَخْرَةٌ وَطَبْعُكَ مِنْ طَبْعِهَا أَلَيْنَا

فقلتُ لها: يا مجنونة! هذه صخرة، وهي أفسى من جسمك، وطبعك (خلفتك) وألين منها، فلا فائدة من لسعها. وجد عمران القفني مشكلة في نصب «ألينا» ودعاني إلى التأول لها. وأشار إلى أنه رأى الأبيات في حياة الحيوان الكبرى للدميري. فهي إذن ليست لشوقي. حسناً، فلنضمّر قبلها «ما انفكّ» ولنصبها خبراً لها، أو لنضمّر - وهذا اقتراح عمران - «وجدتُ»

فقالت: صدقت، ولكنني أردتُ أعرّفُها مَنْ أنا

١٧٠ رثاء أمه

وقال يرثي والدته، ومات وهو في غربته بالأندلس، (١٩١٨):

إلى الله أشكو مِنْ عَوَادِي النَّوَى سَهْمَا أَصَابَ سُودَاءَ الْفَوَادِ وَمَا أَضْمَى
إلى الله أشكو سهماً من عوادي (مصائب) النوى (الفراق) أصاب سويداء (حبة) القلب، ولكنه لم يُضم (يقتل)

ولم أرَ حُكْماً كالمقاديرِ نافِذاً ولا كِلْفَاءِ الْمَوْتِ مِنْ بَيْنِهَا حَتْماً

١٧١ وطني لو شغلت بالخلد عنه..

قال شوقي (١٩١٩):

إِخْتِلَافُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يُنْسِي اذْكُرْ لِي الصَّبَا وَأَيَّامَ أَنْسِي
اختلاف النهار والليل على الإنسان (سير الزمن) يُنسي الأيام الحلوة، فاذكرا لي يا صاحبي أيام الصبا والأنس

وسلا مصرَ هل سلا القلبُ عنها أو أسا جرحَهُ الزمانُ المؤسِّسِي
وسلا (أسألاً) مصر هل سلا (انصرف) القلب عنها، أو هل أسا (شفى) جرح القلب الزمان المؤسي (الشافعي)

كَلَّمَا مَرَّتِ اللَّيَالِي عَلَيْهِ رَقَّ، وَالْعَهْدُ بِاللَّيَالِي تُقَسِّي
كلما مرت الليالي (الزمن) على قلبي صار أرق، والمعهود بمرور الزمن أن يُقَسِّي لا أن يرقق

أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِلِهِ الدَّوْ حُ، حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ
هل الدوح (الشجر) حرام (محرم) على بلابله، وحلال (محلل) للطير من الأجناس الأخرى؟ فشوقي منفي عن مصر، وبها من الأجانب أشكال وألوان

كُلُّ دَارٍ أَحَقُّ بِالْأَهْلِ إِلَّا فِي خَبِيثٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ رَجَسٍ
البلد أحق بأهله إلا في مذهب (سلوك) المستعمرين الخيث الملوث بالرجس (الدنس)

وطني، لو شُغِلْتُ بالخلدِ عنه نازَعْتَنِي إليه في الخلدِ نَفْسِي

وطني! لو انشغلت عنه بالخلد (الجنة) لنازعني نفسي وأنا في الجنة تريد الوطن

وهَفا بالفؤادِ في «سَلْسَبِيلِ» ظمأً للسَّوادِ في عَيْنِ شَمْسٍ

وفي عين السلسيل في الجنة سأرى فؤادي قد هفا به (حرَّكه) الظمأ للسواد (الأرض المخضرة) في عين شمس (الضاحية القاهرية). البيت فيه عبث بالكلمات غير قليل، فعين شمس اسم مكان وسوادها أرضها المخضرة، وعين الإنسان لها سواد في وسطها، وعين الشمس ليس بها سواد بل هي مشرقة كل الإشراق؛ والسلسيل في البيت عين ماء في الجنة، وكلمة «سلسيل» هي التي جلبت كل هذا التداعي وإن لم يصفها الشاعر بكلمة عين. وشعر شوقي مراد للتداعي الحر. تراه يقول كلمة ثم تتدفق كلمات وأفكار منبثقة من هذه الكلمة، ويشحن هذه الأفكار التي جاءت بطريق التداعي الباطني بمشاعره وآرائه

شَهِدَ اللّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جُفُونِي شَخْصُهُ سَاعَةً، وَلَمْ يَخْلُ جَسِي

لم يغيب عن جفوني سواد (خضرة) «عين شمس» بشخصه (بشكله المادي)، كما لم يخل إحساسي من أثره

يا فؤادي لكلِّ أمرٍ قرارٌ فيه يبدو وينجلي بَعْدَ لُبْسٍ

لكل أمر قرار (نهاية)، ولا بد للنفي من أن ينتهي

أَيْنَ مَرَوَانُ، فِي الْمَشَارِقِ عَرْشٌ أَمَوِيٌّ وَفِي الْمَغَارِبِ كُرْسِي

أين عهد مروان (يقصد بني مروان، وفي عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان فتحت الأندلس؟) كان له عرش في دمشق شرقاً، وكُرسي (عرش) في المغارب، في الأندلس

وَعَظَّ الْبَحْتَرِيُّ إِيوَانُ كِسْرَى وَشَفَّتْنِي الْقُصُورُ مِنْ عِبْدِ شَمْسٍ

وعظ إيوان كسرى الشاعر البحتري، عندما ذهب إليه في خلوة روحية بعد مقتل الخليفة المتوكل؛ وأنا شفت نفسي قصور عبد شمس (بني أمية) في الأندلس

لَمْ يَرْعُنِي سَوَى ثَرَى قُرْطُيِّي لَمَسْتُ فِيهِ عِبْرَةَ الدَّهْرِ خَمْسِي

لم يُدْخِلِ الروح (الرَّهْبَةَ) إلى قلبي سوى تراب قرطبة الذي لمسْتُ فيه عبرة الزمن بأصابعي الخمس كلها

قَرِيَّةٌ لَا تُعَدُّ فِي الْأَرْضِ، كَانَتْ تُمَسِّكُ الْأَرْضَ أَنْ تَمِيدَ، وَتُرْسِي

قرطبة الآن قرية لا قيمة لها في العالم، ولكنها كانت تمسك الأرض حتى لا تميد (تهتز) وترسيها على قواعدها، هذا في أيام عزها

سِنَّةٌ مِنْ كَرَى وَطِيفُ أَمَانٍ وَصَحَا الْقَلْبُ مِنْ ضَلَالٍ وَهَجَسَ

ذلك العز سِنَّةٌ من كرى (غفوة)، وطيف جاء في الأحلام بالأمان الجميلة، ثم صحا القلب من الضلال والهواجس

وَإِذَا الدَّارُ مَا بِهَا مِنْ أَنْيْسٍ وَإِذَا الْقَوْمُ مَا لَهُمْ مِنْ مُجَسٍّ

فإذا الدار ما بها إنسان، وإذا القوم ليس لهم من يُجسُّ بهم، فقد رحلوا

مَشَتْ الْحَادِثَاتُ فِي غُرَفِ الْحَمْرِ رَاءَ مَشْيِي النَّعِيِّ فِي دَارِ عُرْسٍ

مشت الحادثات (المصائب) في غرف قصر الحمراء، كمشي النعي (خبر الموت) في دار بها عرس

لَا تَرَى غَيْرَ وَافِدِينَ عَلَى النَّارِ رِيحَ سَاعِيَيْنَ فِي خُشُوعٍ وَنَكْسٍ

والآن ليس بقصر الحمراء سوى السياح الوافدين لمشاهدة قطعة من التاريخ، تراهم يمشون خاشعين منكبين رؤوسهم

خَرَجَ الْقَوْمُ فِي كِتَابِ صُمْ عَنْ حِفَاطٍ، كَمَوْكِبِ الدَّفْنِ خُرْسٍ

خرج العرب في كتاب صمّت أذانها عن حفاظ (غيرة على الشرف)، وكانت كتابهم خرساء (صامتة) كموكب الدفن

رَكِبُوا بِالْبَحَارِ نَعْشًا، وَكَانَتْ تَحْتَ آبَائِهِمْ هِيَ الْعَرْشُ أَمْسٍ

ركبوا البحر منهزمين إلى المغرب كأنما ركبوا النعش، والبحر نفسه ركبها آبائهم عرشاً عندما فتحوا الأندلس

رُبَّ بَانٍ لِهَادِمٍ، وَجَمُوعٍ لِمُثِثٍ، وَمُحْسِنٍ لِمُخْسٍ

رب بانٍ يبنى الملك لحفيذه الذي يهدمه، ورب جموعٍ (كثير الجمع) يجمع المال لمن يشتهه، ومحسن يؤوز الفضائل لمخس (لمن يجعلها خبيسة)

إِمْرَةُ النَّاسِ هِمَّةٌ لَا تَأْتِي لَجْبَانٍ، وَلَا تَسْنَى لِجَبْسٍ

إمرة (قيادة) الناس همة (طموح) لا تأتئ لجبان، ولا تسنى لجبس (ضعيف). قصيدة عامرة بأبيات الحكمة. عرف شوقي أن أبيات الحكمة تجلب لشعره السيورة، فتعمدها وصار يرصدها، وأقر بذلك. والقصد إلى الحكمة قصداً أضعف شعر شوقي. فهو إذ يعمل فكره في استخراج أبيات الحكمة يستهلك جزءاً من طاقته الشعورية فتبرد قصيدته، ولا تندفق. وفي هذه القصيدة يعارض شوقي البحري في سينيته (صنت نفسي عما يندس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس)

١٧٢ ثورة ١٩١٩

قال شوقي في ثورة مصر (١٩١٩):

عَظَفَ الدَّهْرُ عَلَى ثَوَرِيكُمْ وَلَوَى النَّاسَ عَلَيْهَا مُعْجَبِينَ

عطف (أَمَالَ) الزمن على ثورتكم قلوب الناس، ولوى (أمال) الناس عليها وهم متعجبون منها، لأنها...

هَزَّتِ اللَّيْثَ وَلَمَّا يَضُحُ مِنْ دَمٍ غَلِيَوْمٍ وَصِيدِ آخِرِينَ
هزت الأسد (أي إنجلترا، وشعارها الأسد)، ولما يَضُحُ من نشوة البطش بغليوم قيصر ألمانيا
وبالصَّيْدِ (الأسياذ) الآخرين الذين هُزموا في الحرب العالمية الأولى

قَامَ رَهْطٌ مِنْكُمْ فَاقْتَحَمُوا كِبْرِيَاءَ الْفَاتِحِينَ الظَّافِرِينَ
قام رهط (جماعة) منكم فاقتحموا كبرياء المتصرين. حلَّو تعبير «اقتحموا كبرياء الفاتحين»

اسْتَحَفَّ اللَّيْثُ إِجْمَاعَكُمْ وَهُوَ نَابُ الْعَجَمِ الدَّاهِي الرَّزِينَ
واستخفت إنجلترا بإجماعكم، وهي رأس الحربة في الأجانب، والداهية الرزينة

مُسْتَعِيدًا مِنْكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تُصْبِحُوا الْهِنْدَ وَتُمْسُوا الصِّينَ فَيَنْ
استعاذ الأسد الإنجليزي بالله منكم لثلاث تصبحوا (في بدء أمركم) كالهند (وآنذاك كانت المقاومة
السلمية قد بدأت هناك)، وتُمسوا (بعد ذلك) مثل الصين - فين (منظمة «الشين فين» الإيرلندية التي
استخدمت العنف ضد الحكم البريطاني)

١٧٣ .. إذا أخلاقهم كانت خرابا

قال شوقي في اجتماع لجنة التموين، بُعيدَ عودته من منفاه بإسبانيا، (١٩٢٠):

وَدَاعَا أَرْضَ أَنْدَلُسٍ، وَهَذَا ثَنَائِي إِنْ رَضِيَتْ بِهِ ثَوَابَا
وَيَا وَطَنِي لَقِيْتُكَ بَعْدَ بَأْسٍ كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ بِكَ الشَّبَابَا
وَكُلُّ مُسَافِرٍ سَيُؤَوِّبُ يَوْمًا إِذَا رُزِقَ السَّلَامَةَ وَالْإِيَابَا
أُدِيرُ إِلَيْكَ قَبْلَ الْبَيْتِ وَجْهِي إِذَا فَهْتُ الشَّهَادَةَ وَالْمَتَابَا
أدير إليك يا وطني وجهي إذا تفوهت بالشهادة والمتاب (دعاء التوبة)

فَصَفْحًا لِلزَّمَانِ لَصَبْحِ يَوْمٍ بِهِ أَضْحَى الزَّمَانُ إِلَيَّ ثَابَا
صفحت عن الزمان ومصائبه لأنه ساق إليّ هذا الصباح الذي ثاب (عاد) الزمان إليّ به وصافاني

وَحَيَّا اللَّهَ فَتَيَانَا سِمَاحًا كَسَوْا عِظْفَيَّ مِنْ فَخْرِ ثِيَابَا
حيا الله الفتان السُمَاح (السمحن الكرام) الذين كسوا عِظْفَيَّ (جانيّ) ثياباً من الفخر

عِبَادُكَ رَبِّ قَدْ جَاعُوا بِمَصْرِ أَنْيَلًا سُقَّتْ فِيهِمْ أَمْ سَرَابَا؟
أَمِنْ أَكَلِ الْيَتِيمِ لَهُ عِقَابٌ وَمَنْ أَكَلَ الْفَقِيرَ فَلَا عِقَابَا؟
وليس بعامرٍ بُنْيَانُ قَوْمٍ إِذَا أَخْلَقَهُمْ كَانَتْ خَرَابَا

١٧٤ مطية لا تستريح

قال شوقي يرثي محمد فريد (١٩٢٠):

كُلُّ أَعْوَادٍ مِنْبِرٍ وَسَرِيرٍ باطلٌ غيَرَ هذهَ الأعْوَادِ
كل أعواد (أخشاب) منبر أو سرير (عرش) هي باطل سوى أعواد التابوت

تَسْتَرِيحُ الْمَاطِيَّ يَوْمًا، وَهَذِي تَنْقُلُ الْعَالَمِينَ مِنْ عَهْدٍ عَادٍ
كل الماطي (الدواب) تستريح يوماً، وأما هذه الماطية (التابوت) فهي تنقل الناس إلى القبر من عهد
قبيلة «عاد» البائدة

لَا وَرَاءَ الْجِيَادِ زِيدَتْ جَلَالًا مِنْذُ كَانَتْ، وَلَا عَلَى الْأَجْيَادِ
والتابوت منذ الأزل لا يزداد هبة إن مشى وراء الجياد (الخيول) في جنازة فخمة، ولا إن رُفِعَ فوق
الأجياد (الأعناق)، فهبة الجنازة هي هبة الموت لا هبة الموكب

هَلْ تَرَى كَالْتَرَابِ أَحْسَنَ عَدْلًا وَقِيَامًا عَلَى حُقُوقِ الْعِبَادِ
ما أعدل التراب وأحسن قيامه على حقوق الناس! أليس هو الذي يسوي بينهم؟
نَزَلَ الْأَقْوِيَاءُ فِيهِ عَلَى الضَّعْفِ وَحَلَّ الْمُلُوكُ بِالزُّهَادِ

١٧٥ المهد جسر المقبرة

قال شوقي يرثي الأميرة فاطمة إسماعيل (١٩٢٠):

لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ سَوَى صَالِحَةٍ مُدْخَرَةٍ
لا ينفع الميت سوى صالحة (عمل صالح) يدخرها لآخرته

فَاطِمُ! مَنْ يَوْلَدُ يَمُتُ الْمَهْدُ جَسْرُ الْمَقْبَرَةِ
يا فاطمة! كل من يولد سيموت، فالمهد ما هو إلا جسر يوصل للمقبرة

وَكُلُّ نَفْسٍ فِي غَدٍ مَيِّتَةٌ فَمُنْشَرَةٌ
كل نفس ستموت غداً، ثم يأتي النشور (البعث)

وَأِنَّهُ مَنْ يَعْمَلِ الْـ خَيْرًا أَوْ الشَّرَّ يَرَهُ
وَأِنَّمَا يُنَبِّئُهُ الْـ غَافِلُ عِنْدَ الْفَرْغَةِ
الغافل الأحق لا يتنبه للخير والشر إلا عند الفرغة (لفظ النفس الأخير)

يَلْفِظُهَا حَنْظَلَةً كَانَتْ بِفِيهِ سُكْرَةً
يلفظ روحه مرة كالحنظلة؛ وقد كانت من قبل حلوة في فمه كالسكر

وَلَنْ تَزَالَ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدٍ هَذِي الْكُرَّةُ

الحياة كالكرة، وستظل تنتقل من يد إلى يد

١٧٦ الشجاعة الحقّة

قال شوقي (١٩٢٠):

إِنَّ الشَّجَاعَ هُوَ الْجَبَانُ عَنِ الْأَذَى وَأَرَى الْجَرِيءَ عَلَى الشَّرِّ جَبَانًا

١٧٧ ليس بالقطن وحده

قال شوقي (١٩٢٠):

العَصْرُ حُرٌّ وَالشُّعُوبُ طَلِيْقَةٌ مَا لَمْ يَحْزُهَا الْجَهْلُ فِي أَرْسَانِهِ
العصر عصر حرية، والشعوب طليقة ما لم يحزها (يضمها) الجهل في أرسانه (الرسن: مقود الفرس)

أَيْنَ الزَّرَاعَةُ فِي جِنَانٍ تَحْتَكُمُ كَحَمَائِلِ الْفِرْدُوسِ أَوْ كَجِنَانِهِ
أين الزراعة في الجنان التي تعيشون فوقها والتي تشبه خمائل (بساتين) الفردوس

أَيْذَا أَصَابَ الْقُطْنُ كَاسِدُ سَوْقِهِ قُمْنَا عَلَى سَاقٍ إِلَى أُنْمَانِهِ
أئذا أصابت القطن السوق الكاسدة، قمنا على سيقاننا فزعاً نراقب بورصة القطن وأسعاره

يَا مَنْ لِسَعْبٍ رُزْؤُهُ فِي مَالِهِ أَنْسَاهُ ذِكْرَ مُصَابِهِ بِكِيَانِهِ
يا من ينقذ هذا الشعب الذي أنساه رزؤه (مصيبته) في ماله مصابه (مصيبته) في كيانه

الْمُلْكُ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ قُطْنٌ، فَلَمْ يُغْلَبْ أَبَوْتُنَا عَلَى عُمرَانِهِ
كان لنا ملك ولم يكن القطن، فلم يفشل أبوتنا (آباؤنا) في تعمير الملك

الْفَاطِمِيَّةُ شَيَّدَتْ مِنْ عِزِّهِ وَبَنَى بَنُو أَيُوبَ مِنْ سُلْطَانِهِ
الحكم الفاطمي شيد جزءاً من عز هذا الملك، وبني الأيوبيون جانباً من سلطانه

بِالْقُطْنِ لَمْ يَرْفَعْ قَوَاعِدَ مُلْكِهِ فِرْعَوْنٌ، وَالْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ

وفرعون لم يرفع قواعد ملكه بالقطن، ومع ذلك فالهرمان من تشييده. يتابع شوقي المتنبي في الاكتفاء بهرمين، وهكذا صنع علي محمود طه في «الجدول». ورأيت مؤرخين عرباً فعلوا ذلك، «قال الحقولي في صفة مصر: وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الأرض لهما نظير». على أن بمصر من الأهرام عدداً يزيد عن ٨١، ويوصله بعضهم إلى ١١٢. وقد زرت الأهرام مرة؛ جرتني صديقي إليها جراً لأنه «لا يجوز لإنسان أن يزور القاهرة ولا يزور أهرام الجيزة». كانت الحادية عشرة ليلاً، ونظرت إلى هرم خوفو فرأيتُه منبطحاً فاستصغرتُه، ربما لأنني متعود على البنايات الواقعة عمودياً. على أن كتابي يقول إن هرم خوفو أكبر بناء شيد الإنسان على وجه الدهر

١٧٨ القريض الأصيل

قال شوقي (١٩٢١):

الشَّعْرُ صِنْفَانِ: فَبَاقٍ عَلَى قَائِلِهِ، أَوْ ذَاهِبٌ يَوْمَ قِيلَ
الشعر صنفان: شعر يبقى أبد الدهر مفخرة لقائله، وشعر يتبخر يوم نظمه

مَا فِيهِ عَصْرِيٌّ وَلَا دَارِسٌ الدهرُ عُمُرٌ لِلْقَرِيضِ الْأَصِيلِ
ليس في الشعر عصري ودارس (قديم)، فالقريض (الشعر) الأصيل عمره طويل بطول الزمن، أي أنه خالد

١٧٩ النيل

قال شوقي (١٩٢١):

مِنْ أَيِّ عَهْدٍ فِي الْقَرَى تَتَدَقَّقُ وبأيِّ كَفَّ فِي الْمَدَائِنِ تُغْدِقُ
من أي عهد وأنت تتدقق في القرى أيها النيل؟ وبأي كف تغدق (تمنح) على المدن الخيرات
وَمِنْ السَّمَاءِ نَزَلَتْ، أَمْ فُجِّرَتْ مِنْ غُلْيَا الْجِنَانِ جَدَاوِلًا تَتَرَفَّرُقُ
وهل نزلت من السماء، أم تفجرت من الجنة على هيئة جداول تترقق

وَبِأَيِّ نَوَلٍ أَنْتَ نَاسِجٌ بُرْدَةً لِلضَّفَّتَيْنِ جَدِيدُهَا لَا يَخْلُقُ
وبأي نول (آلة النسج) تنسج بردة (ثوباً/ من النبات) لضفتيك، وهي جديدة دوماً لا تخلق (تهترئ)
دَيْنُ الْأَوَائِلِ فِيكَ دَيْنٌ مُرَوِّعٌ لِمَ لَا يُؤْلَهُ مَنْ يَقُوتُ وَيَرْزُقُ
دين القدماء الذين عبدوك دين مروءة وعرفان، فلم لا يؤله من يقوت (يطعم) ويرزق الناس!
مُتَّقِيْدٌ بَعْدُ بَعْدِهِ وَوَعْدِهِ يَجْرِي عَلَى سَنَنِ الْوَفَاءِ وَيَضْدُقُ
النيل متقيد بوعوده فيفيض في مواسمه جارياً على سَنَنِ (طريقة) الوفاء

وَلِمَنْ هِيَ أَكَلُ قَدْ عَلَا الْبَانِي بِهَا بَيْنَ الثَّرِيَّا وَالثَّرَى تَتَنَسَّقُ
ولمن هذه الهياكل التي شيدها بُنائها؟ وهي منسقة واحداً بعد الآخر وتبدو، لارتفاعها، كالمعلقة
بين التراب ونجوم الثريا

مِنْهَا الْمَشِيدُ كَالْبُرُوجِ، وَبَعْضُهَا كَالطَّوْدِ مُضْطَجِعٌ أَشْمٌ مُنْطَقٌ
منها ما هو كالبروج العالية، ومنها ما هو منبطح مفلطح كالجبل الأشم (العالي) المنطق (المحلّى)
بنطاق أي حزام/ربما من السحب أو الشجر
أهو يشير إلى هرم منقرع وحوله حزام من ثلاثة أهرام صغيرة، أم إلى كل هرم تبدو حجارتها
كالنطاق الملتف عليه؟

جُدُّ كَأَوَّلِ عَهْدِهَا، وَحَيَالُهَا تَتَقَادِمُ الْأَرْضُ الْفُضَاءُ وَتَعْتَقُ

هذه الهياكل تبدو جديدة، وحيالها (بجانبها) الأرض الفضاء (الفسحة) تتقدم وتصبح عتيقة

مِنْ كُلِّ ثِقَلٍ كَاهِلُ الدُّنْيَا بِهِ تَعِيبُ، وَوَجْهُ الْأَرْضِ عَنْهُ ضَيِّقُ

هذه الهياكل مكونة من كل ثقل يتعب منه كاهل (ظهر) الأرض، ويضيق به وجهها

مَتَمَكَّنٌ كَالطُّودِ أَصْلًا فِي الثَّرَى، وَالْفَرْعُ فِي حَرَمِ السَّمَاءِ مُحَلَّقُ

هذا الثقل أصله (قاعدته) متمكن في الثرى (التراب) كالطود (الجبل)، وأما فرعه (رأسه) فمحلق في حرم السماء (والسماء محرمة على الإنسان لعدم الجناح، فهي إذن حرم)

هِيَ مِنْ بِنَاءِ الظُّلَمِ، إِلَّا أَنَّهُ يَبْيَضُّ وَجْهُ الظُّلَمِ مِنْهُ وَيُشْرِقُ

هذه الهياكل بناء مؤسس على الظلم والسخرة، لكنها مفخرة تُحَسِّنُ وجه الظلم لعظمتها

وَنَجِيَّةٌ بَيْنَ الطُّفُولَةِ وَالصَّبَا عِذَاءٌ تَشْرِبُهَا الْقُلُوبُ وَتَعْلَقُ

وربَّ فتاة نجية بين سن الطفولة والصبا، أنيسة حتى لتشربها القلوب وتعلقها (تعشقها)

كَانَ الرِّفَافُ إِلَيْكَ غَايَةً حَظًّا وَالْحِظُّ إِنْ بَلَغَ النِّهَايَةَ مُوَبِّقُ

هذه الفتاة كانت نهاية حظها أن رُفَّتْ إليك، والحظ إن بلغ بالإنسان النهاية موبق (ميت)

فِي كُلِّ عَامٍ دُرَّةٌ تُلْقَى بِلا ثَمَنِ إِلَيْكَ، وَحُرَّةٌ لَا تُصَدَّقُ

في كل عام كان قدماء المصريين يلقون إليك أيها النيل بتأ كالدرة بلا مقابل، ويعطونك امرأة حرة لا تُصدَّق (لا تأخذ مهرًا)

والحرة من النساء لها صداق، والأمة المسكينة صداقها عتقها في قول من قال ذلك

وَالْمَجْدُ عِنْدَ الْغَانِيَاتِ رَغِيْبَةٌ يُبْعَى كَمَا يُبْعَى الْجَمَالُ وَيُعْشَقُ

والحسان يرغبن في المجد، وهن يسعين إليه سعيهن إلى الجمال (التجمل). . . والتجمل

مَا أَجْمَلَ الْإِيمَانَ لَوْلَا ضِلَّةٌ فِي كُلِّ دِينٍ بِالْهَدَايَةِ تُلْصَقُ

الإيمان جميل لولا ضلة (خرافة) في كل دين تلتصق بالهداية

مَجْلُوءَةٌ بِالْفُلْكِ يَحْدُو فُلُكُهَا بِالشَّاطِئِينَ مُرْغَرِدٌ وَمُصَفَّقُ

وهذه الفتاة مجلوة (مزينة) في الفلك (السفينة) ويحدو (يغني) للسفينة على الشاطئين المزغردون والمصفقون

أَلَقْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسِهَا وَنَفْسِهَا وَأَتَتْكَ شَيْقَةٌ حَوَاهَا شَيْقُ

ألقت إليك الفتاة بنفسها وبما عليها من نفيس الجواهر، وجاءتك مشتاقة للموت في سبيل المجد، وأنت تبتلعها مشتاقاً إليها

خَلَعْتُ عَلَيْكَ حَيَاءَهَا وَحَيَاتَهَا أَأَعَزُّ مِنْ هَذَيْنِ شَيْءٍ يُنْفَقُ
أعطتك حياءها وحياتها، فهل هناك أعز من هذين؟

قَوْمٌ وَقَارُ الدِّينِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَالشَّعْبُ مَا يَعْتَادُ أَوْ يَتَخَلَّقُ
المصريون تأصل في أخلاقهم وقار الدين، والشعب هو ما يعتاده ويتخلق به من أخلاق

أَصْلُ الْحَضَارَةِ فِي صَعِيدِكَ ثَابِتٌ وَنَبَاتُهَا حَسَنٌ عَلَيْكَ مُخَلَّقٌ
أيها النيل أصل الحضارة ثابت في صعيدك (ترابك)، ونبات هذه الحضارة من هياكل وأهرام زين
لك مخلوق (مطيب بالخلق وهو من الزعفران)

وودائعُ الفاروقِ عندَكَ دِينُهُ وَلِوَاءُهُ وَبَيَانُهُ وَالْمَنْطِقُ
وقد أودع الفاروق عمر بن الخطاب عندك دينه (الإسلام) ولواءه (حُكْمَهُ) وبيانه ومنطقه (لغته/ اللغة
العربية)

بَعَثَ الصَّحَابَةَ يَحْمِلُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ مَا يُحْيِي الْعُقُولَ وَيَفْتُقُ
بعث الفاروق الصحابة يفتحون مصر، وحملوا إليها الدين الذي أحيا العقل وفتق اللسان باللغة
العربية

يَبْنُونَ لِلَّهِ الْكَنَانَةَ بِالْقَنَا وَاللَّهُ مِنْ حَوْلِ الْبِنَاءِ مُوَفَّقٌ
ينون بالقنا (بالرماح) الكنانة (مصر) لله بعد أن كانت لألهة أخرى، والله يحوطهم ويوفقهم
وَالْفَتْحُ بَغْيٌ لَا يَهْوُنُ وَقَعَهُ إِلَّا الْعَفِيفُ حَسَامُهُ الْمَتَرَفُّ
الفتح ظلم، ولكن ما هوته غفوة الحسام وترفق الفاتحين بأهل البلد

مَا كَانَتِ الْفُسْطَاطُ إِلَّا حَائِطًا يَا أَوِي الضَّعِيفُ لِرُكْنِهِ وَالْمُرْهَقُ
ولم تكن الفسطاط (وهي أول ما اختط عمرو بن العاص بمصر من مدائن) إلا جداراً يحتمي به كل
ضعيف أرهقته ضرائب البطالسة

وَبِهِ تَلَوْدُ الطَّيْرِ فِي طَلَبِ الْكُرَى وَبَيْتٌ قَيْصَرُ وَهُوَ مِنْهُ مُؤَرَّقٌ
وحتى الطير تلود (تلجأ) بهذا الجدار طلباً للكرى (النوم)، وأما قيصر البطالسة فيبيت بسبب بناء
الفسطاط مؤرقاً (سأهراً قلقاً)

لِي فِيكَ مَدْحٌ لَيْسَ فِيهِ تَكْلُفٌ أَمَلَاهُ حُبٌّ لَيْسَ فِيهِ تَمَلُّقٌ
أمدحك أيها النيل بلا تكلف، ويملي هذا المدح علي حب ليس فيه تملق

مِمَّا يُحْمَلُنَا الْهَوَى لَكَ أَفْرَحُ سَنَطِيرُ عَنْهَا وَهَيَّ عِنْدَكَ تُرَرَّقُ
والذي يحملنا بالحب لك أبنائنا الذين سنموت ونتركهم ورزقهم عليك

تهفو إليهم في الترابِ قلوبُنا وتكادُ فيه بغيرِ عرقٍ تَخْفُقُ
تهفو (تتحرك) قلوبنا ونحن موتى في الترابِ إشفاقاً على أبنائنا، وتكاد قلوبنا الميتة تخفق بلا
عروق

تُرجى لهم، والله جلّ جلاله منّا ومنك بهم أبرُّ وأرفقُ
وأنت المرجو لهؤلاء الأبناء؛ والله أبرُّ وأرفق بهم منا ومنك

فاحفظْ ودائعَكَ التي استودَعْتَهَا أنتَ الوفيُّ إذا أوْتُمِنْتَ الأصدقُ
فاحفظ يا نيل ما استودعناك من ودائع، أي أبنائنا، فأنت الوفي

١٨٠ نشيد مصر

قال شوقي:

بني مصرِ مكانُكم تَهَيَّأ فَهَيَّأْ مَهْدُوا لِلْمُلْكِ هَيَّأْ
يا بني مصر! مكانكم تهيأ، فمهّدوا للملك

حُذُوا شمسَ النهارِ له حُلِيًّا أَلَمْ تَكُ تاجَ أوَّلِكُمْ مَلِيًّا
وخذوا الشمس حلية لملككم، فقد كان قرص الشمس تاج الفراعنة ملياً (طويلاً).
ويصر العقاد، ويتبعه مصطفى صادق الرافعي، على أن قرص الشمس لم يكن قط
حلية لتاج مصر بل معبود وحسب. وقد قص علينا العقاد في كتاب الديوان قصة
طويلة عن ظروف فوز هذا النشيد بجائزة اللجنة المشكّلة لاختيار كلمات نشيد وطني.
وهو ينقد كل حرف فيه، وقال في نقده للبيت الأول: «فمن الذي يأمر المصريين هنا
ويناقدونهم هذه المناقشة؟ أأجنبي يخاطبهم؟»

١٨١ تحرك أبا الهول

قال شوقي (١٩٢١):

أبا الهول! طالَ عليك العُصْرُ وبلُغْتَ في الأرضِ أقصى العُمُرِ
يا أبا الهول طال عليك العصر (الزمان)، وبلّغك الله عمراً طويلاً

فيا لِدَّةَ الدهرِ! لا الدهرُ شَبٌّ ولا أنتَ جاوزتَ حدَّ الصَّغَرِ
فيا لدة الدهر (رفيق الدهر/ الذي ولد معه)، لا الدهر بلغ شبابه، ولا أنت تجاوزت طفولتك

إلامَ ركوبُكَ مَتْنِ الرِّمالِ لِطَيِّ الأصيلِ وجوبِ السَّحَرِ
إلام (إلى متى) تظل راكباً متن (ظَهَرَ) الرمال لكي تطوي الأصيل (الغروب) وتجب وقت السحر
(قبيل الفجر)

تُسَافِرُ مُنْتَقِلًا فِي الْقُرُونِ فَأَيَّانَ تُلْقِي غِبَارَ السَّفَرِ
وبهذا الطي والجوب تسافر في القرون وأنت ماكت مكانك؛ فأيان (فمتى) تنفض عنك غبار السفر
وتصل إلى غايتك؟

أَبَيَّنَكَ عَهْدُ وَبَيْنَ الْجِبَالِ تَزُولَانِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُنتَظَرِ
هل بينك وبين الجبال عهد ألا تزولا إلا معاً في الموعد المنتظر (يوم القيامة)

أَبَا الْهَوْلِ مَاذَا وَرَاءَ الْبَقَاءِ إِذَا مَا تَطَاوَلَ غَيْرُ الضَّجَرِ
يا أبا الهول! ماذا بعد طول البقاء سوى الضجر؟

عَجِبْتُ لِلْقِمَانِ فِي حَرْصِهِ عَلَى «لَبِيدٍ» وَالنَّسُورِ الْأَخْرِ
عجبت للقمان الحكيم في حرصه على البقاء، فقد أُعطي عمراً بعمر سبعة نسور متعاقبة، وكان
آخرها النسر «لَبِيدٌ» وكان عليه حريصاً

وَشَكْوَى «لَبِيدٍ» لِطُولِ الْحَيَاةِ وَلَوْ لَمْ تَطُلْ لَتَشَكَّى الْقِصَرِ
وعجبت لشكوى «لبيد» الشاعر من طول الحياة، ولو لم تكن حياته طويلة لاشتكى قصرها

وَلَوْ وُجِدَتْ فِيكَ يَا ابْنَ الصَّفَاةِ لَحِقَتْ بِصَانِعِكَ الْمُفْتَدِرِ
ولو وُجدت الحياة فيك يا أبا الهول يا ابن الصفاة (الصخرة)، لكنت لحقت بصانعك المقتدر الذي
نحتك ومات

فَإِنَّ الْحَيَاةَ تَفُلُّ الْحَدِيدَ إِذَا لَبَسْتُهُ، وَتُبْلِي الْحَجَرَ
فالحياة تفل الحديد إذا لبسته (لزمته)، وتبلي (تهراً) الحجر

كَأَنَّ الرَّمَالَ عَلَى جَانِبَيْكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ ذُنُوبُ الْبَشَرِ
كَأَنَّكَ فِيهَا لَوَاءُ الْقَضَاءِ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ دِيدْبَانُ الْقَدَرِ
كَأَنَّكَ فِي الرمال لواء (عَلَم) القضاء، أو ديدبان (حارس) القدر

فَحَدَّثَ فَقَدْ يُهْتَدَى بِالْحَدِيثِ وَخَبَّرَ فَقَدْ يُؤْتَسَى بِالْخَبَرِ
فحدثنا بما مر بك فقد يُهتدى بحديثك، وخبرنا فقد يؤتسى (يُتَعَطَّى) بما تخبر

أَلَمْ تَبْلُ فِرْعَوْنَ فِي عِزِّهِ إِلَى الشَّمْسِ مُعْتَزِيًّا وَالْقَمَرِ
ألم تبلُ (تختبر) فرعون في أيام عزه وهو يعتري (يتسبب) إلى الشمس والقمر، فهو ابن إلهي
الشمس والقمر

وراعَكَ ما راعَ مِنْ خيلٍ قَمْبِيهٍ زَرَّ تَرْمِي سَنابِكُها بالسَّـرَرِ
وقد راعك (أخافك) ما راعك من خيل قمييز ملك الفرس التي راحت سنابكها (أطراف حوافرها)
ترمي الشرر إذ ترتطم بالصخور

وأَبْصَرْتَ إِسْكَندَرًا فِي المَلا قَشِيبَ العُلا فِي الشَّبابِ النَّضِرِ
وأبصرت الإسكندر في الملا (في الجمع من جنوده) وهو قشيب (جديد) العلا (المجدد)، وكان في
شبابه النضر

تَبَلَّجَ فِي مِصْرَ إِكْلِيلُهُ فَلَمْ يَغْدُ فِي المُلْكِ عُمَرَ الزَّهَرِ
تبلج (أشرق) في مصر إكليله، ثم لم يغد (يتجاوز) في الملك عمر الأزهار

وشاهَدَتْ قَيْصَرَ كَيْفَ اسْتَبَدَّ وَكَيْفَ أَذَلَّ بِمِصْرَ القَصَرَ
القَصْرُ: (الرقاب)

وَكَيفَ تَجَبَّرَ أَعْوانُهُ وَساقُوا الخَلائِقَ سَوقَ الحُمُرِ
ورأيت كيف تجبر أعوان قيصر الرومان وساقوا الناس سوق الحمير

وَكَيفَ ابْتُلُوا بِقَلِيلِ العَدِيدِ مِنْ الفاتِحِينَ كَرِيمِ النَّفَرِ
وكيف ابتلي هؤلاء الأعوان من الرومان بالعدد القليل من الفاتحين، وهذا العديدُ كريمٌ نفراً

رَمَى تاجَ قَيْصَرَ رَمِي الزُّجَاجِ وَقَلَّ الجُمُوعَ وَثَلَّ السُّرُرِ
هذا العديد القليل من الفاتحين رمى تاج قيصر فانكسر كأنه الزجاج، وفوق الجموع وثل (هدم)
السُّرُرَ (العروش/فسرير الحكم هو العرش)

فَدَعُ كُلَّ طاعِيَةٍ لِلزَّمانِ فَإِنَّ الزَّمانَ يُقِيمُ الصَّعَرَ
فاترك يا أبا الهول كل طاعية للزمان، فالزمان يقيم (يقوم) الصَّعَرَ (ميل الرؤوس/والمتكبر يُميل
رأسه ميلاً خفيفاً)

أَبا الهولِ لو لم تَكُنْ آيَةً لكانَ وفاؤُكَ إِحدى العِبرِ
ولو لم تكن أنت آية (برهاناً) لكان وفاؤك عبرة

أَظَلَّتْ عَلى الهَرَمَيْنِ الوُقُوفَ كَشاكِلةً لا تَرِيْمُ الحُفَرَ
فمن وفائك وقوفك طويلاً بجانب الهرمين كأنك المرأة الفاقد التي لا تريم (تبتعد) عن الحُفَرِ التي
دفن في إحداها ابنها

تُرَجِّي لِبايِئِهِما عَوْدَةً وَكَيفَ يَعودُ الزَمِيمُ النَّخِرَ
وأنت قاعد بجانبهما كأنك تُرَجِّي (ترجو) لهنّ بئاهما عودة للحياة، وكيف يعود الجثمان الرميم
(البالي) النخر (المنخور الأجوف)

فَهَلْ مَنْ يُبْلَغُ عَنَّا الْأُصُولُ بِأَنَّ الْفُرُوعَ اقْتَدَتْ بِالسَّيْرِ
فَهَلْ ثَمَّةٌ مَنْ يَبْلَغُ الْأُصُولَ (الأجداد) بَأَنَّ الْفُرُوعَ (الأحفاد) اقْتَدَوْا بِسِيرَةِ أَجْدَادِهِمْ
وَلَمْ تَفْتَحِرْ بِأَسَاطِيلِهَا وَلَكِنْ بِدُسْتُورِهَا تَفْتَحِرْ
وَأَنَّ الْأَحْفَادَ لَمْ يَفْتَحِرُوا بِأَسَاطِيلِهِمْ بَلْ بِدُسْتُورِهِمْ

تَحَرَّكَ أَبَا الْهَوَلِ! هَذَا الزَّمَانُ تَحَرَّكَ مَا فِيهِ حَتَّى الْحَجَرِ

١٨٢ الضاد سر الجمال

قال شوقي في حفل ترحيب بأمين الريحاني (١٩٢٢):

إِنَّ الَّذِي مَلَأَ اللُّغَاتِ مَحَاسِنًا جَعَلَ الْجَمَالَ وَسْرَهُ فِي الضَّادِ

١٨٣ سماح لضيق الوقت

قال شوقي (١٩٢٢):

اغْفِرْ لِحَاسِدٍ نَعْمَةٍ بِالْأَمْسِ نَالَكَ، أَوْ وَقَعِ
وَقَع: وَقَعَ فِيكَ، أَيْ ذَمَكَ وَنَالَ مِنْكَ

مَا فِي الْحَيَاةِ لِأَنَّ تُعَا تَبَّ أَوْ تُحَاسِبَ مُتَسَعِّفٌ

١٨٤ دستور وبرلمان

جاء نصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ليلغي الحماية عن مصر، ويعترف بها مملكة مستقلة، ذات سيادة، مع احتفاظ بريطانيا بالدفاع عنها وعن السودان في حال التدخل الأجنبي. أما الاستقلال فقد أعلن رسمياً في ١٥/٣/١٩٢٣ وشكلت لجنة من ٣٠ مصرياً بارزاً لوضع الدستور. قال أحمد شوقي في نصريح إلغاء الحماية (١٩٢٢):

أَعِدَّتِ الرَّاحَةُ الْكَبِيرَى لِمَنْ تَعَبَا وَفَازَ بِالْحَقِّ مَنْ لَمْ يَأْلُهُ طَلَبَا
لَمْ يَأْلُهُ طَلَبَا: لَمْ يَقْصُرْ فِي طَلْبِهِ

لَا تُثَبِّتِ الْعَيْنُ شَيْئًا أَوْ تَحَقُّقُهُ إِذَا تَحَيَّرَ فِيهَا الدَّمْعُ وَاضْطَرَبَا
لَا تَبْصُرِ الْعَيْنُ بوضوح إذا تفرق فيهما الدمع، وكذلك فإن الإنسان المتفعل لا يكون ذهنه واضحاً

وَالصَّبْحُ يُظْلِمُ فِي عَيْنِكَ نَاصِعُهُ إِذَا سَدَلْتَ عَلَيْكَ الشُّكَّ وَالرَّيْبَا
وَالصَّبْحُ النَّاصِعُ يَصْبَحُ ظَلاماً فِي عَيْنِكَ إِذَا سَدَلْتَ (أَنْزَلْتَ) عَلَى نَفْسِكَ الرَّيْبَ (الشُّكوكَ)

إذا طلبتَ عظيماً فاصْبِرَنَّ لَهُ أو فاحْشُدَنَّ رِمَاحَ «الْخَطِّ» وَالْقُضْبَا
إذا أردتَ تحقيقَ أمرٍ عظيمٍ فعليك بالصبر، أو بحشد رماح «الخط» (الرماح المنسوبة إلى مرفأ
«الخط» في البحرين) وَالْقُضْب (السيوف)

ولن تَرَى صُحْبَةً تُرْضَى عَوَاقِبُهَا كالحقِّ والصبرِ في أمرٍ، إذا اصطَحَبَا
ولن تجد صحبة ترضيك عواقبها (نتائجها) كاصطحابك الحق والصبر معاً

لا تَعْدُمُ الْهِمَّةُ الْكِبْرَى جَوَائِزَهَا سَيَّانٍ: مَنْ غَلَبَ الْأَيَّامَ أَوْ غُلِبَا
لا تعدم (لا تفتقد) الهمة الكبيرة جوائزها (ثمراتها)، ويستوي في ذلك من حقق النصر على مصائب
الأيام أو من هُزم

وكلُّ سَعْيٍ سَيَجْزِي اللَّهُ سَاعِيَهُ هيهات يذهب سَعْيُ الْمُحْسِنِينَ هَبَا
هبا: هباء

لم يُبْرَمْ الْأَمْرُ، حَتَّى يَسْتَبِينَ لَكُمْ أَسَاءَ عَاقِبَةً أَمْ سَرَّ مُنْقَلَبَا
لم يتم إبرام الأمر (نيل السيادة) بعد، ولذلك لم يستين (لم يظهر) لكم بعد هل عاقبته (نتيجته) سيئة
أم سارة

تَمَهَّدَتْ عَقَبَاتٌ غَيْرُ هَيِّنَةٍ تلقى ركباً السرى مِنْ مِثْلِهَا نَصْبَا
تمهدت حتى الآن عقبات (طرق جبلية صعبة) غير سهلة، وهي عقبات تلاقي ركباً السرى (الإبلُ
الساخرة ليلاً) من أشباهها نصباً (نعباً)

وَأَقْبَلْتُ عَقَبَاتٌ لَا يُذَلِّلُهَا، فِي مَوْقِفِ الْفَصْلِ، إِلَّا الشَّعْبُ مُنْتَجِبَا
وأقبلت علينا عقبات أخرى لا يذللها (يسهلها) في موقف الفصل إلا الشعب عندما يتخب مثليه

إِذَا رَأَيْتَ الْهَوَى فِي أُمَّةٍ حَكَمَاءَ فَاحْكُمْ هُنَالِكَ أَنَّ الْعَقْلَ قَدْ ذَهَبَا
إذا رأيت الهوى (المصلحة الشخصية) متحكماً في أمة فاحكم عندئذ بأن عقلها قد ذهب

قَالُوا: الْحِمَايَةُ زَالَتْ، قُلْتُ: لَا عَجَبٌ بَلْ كَانَ بَاطِلُهَا فِيكُمْ هُوَ الْعَجْبَا
قالوا: الحماية البريطانية زالت، فقلت: لا عجب في ذلك، بل العجب كان وجود هذا الباطل

يَا ابْنَ السَّنَا عَالِيَا، وَالْعِزُّ مُمْتَنِعَا وَالْبَاسُ مُحْتَدِمَا، وَالْعُرْفُ مُنْسَكِبَا
يا ابن السنا (الشرف)، وابن العز المصون، وابن البأس المحتدم (المتقد)، والعرف (المعروف) المتدفق ..

بِأَوِّ الْمُلُوكِ بِهَذَا التَّاجِ، إِنَّ لَهُ فِي جَوْهَرِ الشَّمْسِ، لَا فِي النَّاسِ، مُتَسَبَا
بإِ (قم بالمباهاة) الملوك بتاج مصر، فهو تاج يرجع في نسبه إلى جوهر (أصل) الشمس وليس إلى
الناس، والشمس معبود الفراعنة

وَتَهُ عَلَيْهِمْ بِعَرْشٍ غَيْرِ ذِي لِدَةٍ مِنْ عَهْدٍ «خَوْفُو» عَلَى الْمَاءِ اسْتَوَى عَجَبًا
وَتَهُ (لَكَ أَنْ تَتَبِعَ وَتَفْخَرْ) عَلَى الْمُلُوكِ بِعَرْشٍ لَيْسَ لَهُ لِدَةٌ (مِثْلُ)، وَهُوَ عَرْشٌ اسْتَوَى (اسْتَقَرَّ مَسْتَوِيًّا)
عَلَى الْمَاءِ (النَّيْلِ) مِنْ عَهْدٍ «خَوْفُو»

وَإِنْ لِلْمَجْدِ آفَاتٌ إِذَا جُمِعَتْ وَجَدْتَهُنَّ اثْنَتَيْنِ: الْحَقْدَ وَالْغَضْبَا
وَلِلْمَجْدِ آفَاتٌ (عُيُوبٌ) تَتَلَخَّصُ فِي عَيْنَيْنِ: الْحَقْدُ وَالْغَضَبُ

إِنْ سَرَكَ الْمُلْكُ تَبْنِيهِ عَلَى أُسْوَاسٍ فَاسْتَنْهَضِ الْبَانِيَيْنِ: الْعِلْمَ وَالْأَدْبَا
اسْتَنْهَضَ (ادْفَعْ لِلنُّهْوَضِ) الْعُنْصُرَيْنِ اللَّذَيْنِ يَبْنِيَانِ الْمُلْكَ وَهُمَا الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ

وَارْفَعْ لَهُ مِنْ بِنَاءِ الْحَقِّ قَاعَةً وَمُدَّ مِنْ سَبَبِ الشُّورَى لَهُ طُنْبًا
وَارْفَعْ لِلْمُلْكِ قَاعَةً هِيَ الْحَقُّ، وَمُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبِ (خَبَلٍ) الشُّورَى طُنْبًا (حَبَالُ الْخِيَمَةِ)، فَكَانَ الْمُلْكُ
خِيَمَةً أَرْضَهَا الْحَقُّ وَالْحَبَالُ الَّتِي تُشَدُّهَا هِيَ الشُّورَى

دَارُ النِّيَابَةِ قَدْ صُفِّتْ أَرَائِكُهَا لَا تُجْلِسُوا فَوْقَهَا الْأَحْجَارَ وَالْخَشَبَا

دَارُ مَجْلِسِ النُّوَابِ اكْتَمَلَتْ وَصُفِّتْ فِيهَا الْأَرَائِكُ (الْمَقَاعِدُ)، فَلَا تُجْلِسُوا فَوْقَهَا الْجِهْلَةَ
الَّذِينَ هُمْ كَالْحِجَارَةِ وَالْخَشَبِ. الْبِرْلَمَانُ الْمِصْرِيُّ الْأَوَّلُ افْتَتَحَ فِي ١٥/٣/١٩٢٤،
كَانَ النُّوَابُ ٢١٤، وَالشُّيُوخُ ١١٩، وَأَمَامَهُ حَلَفَ الْمُلْكُ الْمَمْدُوحُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ
أَحْمَدُ فُؤَادُ الْيَمِينِ: «أَحْلَفَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ أَنْ أَحْتَرِمَ الدِّسْتُورَ وَقَوَائِنَ الْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ،
وَأَحَافِظُ عَلَى اسْتِقْلَالِ الْوَطَنِ وَسَلَامَةِ أَرْضِيهِ». وَكَانَ رَئِيسُ الْوُزَرَاءِ آنَئِذٍ سَعْدُ زَغَلُولُ

١٨٥ رثاء كارنارفون

يُرِثُنِي شَوْقِي لِلْوَرْدِ كَارْنَارْفُونِ، الَّذِي مَوَّلَ كَشْفَ مَقْبَرَةِ تَوْتِ عِنَخْ آمُونِ، بَيْنَمَا قَامَ بِالْحَفْرِ
وَالْبَحْثِ الْأَثَارِيِّ هُوَارْدُ كَارْتَرِ، وَحَدَّثَ الْكَشْفَ فِي ٤/١١/١٩٢٢. وَمَاتَ كَارْنَارْفُونُ
بَعْدَ الْكَشْفِ بِأَسَابِيعٍ مِنْ بَعْوِضَةِ لَسَعَتِهِ بِأَسْوَانٍ فِي الصَّعِيدِ. وَكَانَتْ بَرِيطَانِيَا الَّتِي تَحْتُلُ
مِصْرَ أَعْطَتْ كَارْنَارْفُونِ امْتِيَازَ التَّنْقِيبِ فِي وَادِي الْمُلُوكِ. (١٩٢٣):

فِي الْمَوْتِ مَا أَعْيَا وَفِي أَسْبَابِهِ كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِطَبِّي كِتَابِهِ
فِي الْمَوْتِ مَا أَتَعَبَ (أَعْيَا) الْفِكْرَ، وَكَذَا فِي أَسْبَابِ حَدُوثِ الْمَوْتِ؛ وَالْمَرْءُ مَرْهُونٌ بِطَبِّي
(بِمَضْمُونِ) كِتَابِهِ (قَدَّرَهُ)

إِنْ نَامَ عَنْكَ فَكُلُّ طِبِّ نَافِعٌ أَوْ لَمْ يَنْمَ فَالطَّبُّ مِنْ أَذْنَابِهِ

إِنْ نَسِيتَ الْمَوْتَ ظَنَنْتَ الطَّبَّ نَافِعًا، وَإِنْ تَذَكَّرْتَ الْمَوْتَ فَكَانَ الطَّبُّ - وَأَخْطَاءُ الْأَطْبَاءِ - مِنْ أَذْنَابِهِ
(مِنْ أَعْوَانِ الْمَوْتِ)

دَاءُ النَفُوسِ، وَكُلُّ دَاءٍ قَبْلَهُ هُمْ نَسِيْنَ مَجِيئُهُ بِذَهَابِهِ
الموت هو مرض النفوس الحقيقي، وكل مرض يلم بالنفوس قبل الموت هو مجرد هم تنسى
النفوس مجيئه فور ذهابه

وَشِفَاءُ هَذَا الرُّوحِ مِنْ آلامِهَا وَدَوَاءُ هَذَا الْجِسْمِ مِنْ أَوْصَابِهِ
والموت أيضاً شفاء، فهو يخلص الروح من آلامها، ويخلص الجسم من أوصابه (أوجاعه)، إذ لا
مرض بعد الموت

مَنْ سَرَّهُ أَلَّا يَمُوتَ . . فَيَا لَعُلَّا خَلَدَ الرِّجَالُ، وَيَا لَفَعَالِ النَّابِ
من أحب أن لا يموت، فإن الرجال يخلدون بالعلا (بالمجد) وبالفعال النابه (بالأفعال الحسنة
الذائعة الصيت)

مَا مَاتَ مَنْ حَازَ الثَّرَى آثَارَهُ وَاسْتَوْلَتْ الدُّنْيَا عَلَى آدَابِهِ
لم يموت من له في التراب آثار، ومن تخاطفت الدنيا آدابه، كتوت عنخ آمون

هَذَا فَتَى يَمْشِي عَلَيْهِ مُجَدِّدًا دِيْبَاجَتِيهِ، مَعْمَرًا بَحْرَابِهِ
ها هو فتى (اللورد كارنارفون) يمشي فوق تراب المدفن مجدداً ذكر توت عنخ آمون وكاشفاً وجهه
للعالم مجدداً ديباجتيه (خُدْيَه)، ومعمراً مدفته الذي كان مطموراً

صَادَتْ بِقَارَعَةِ الصَّعِيدِ بَعُوضَةٌ فِي الْجَوِّ صَائِدٌ بَازٍ وَعُقَابُهُ
صادت بعوضة في قارعة (وسط) الصعيد ذلك الرجل الذي صاد باز توت عنخ آمون
وعقابه (والباز والعقاب طيران من الجوارح)، والطير الجارح من شعارات ملوك مصر
القدماء

لَا تَسْمَعَنَّ لِعُضْبَةِ الْأَرْوَاحِ مَا قَالُوا بِبَاطِلٍ عِلْمِهِمْ وَكَيْدَابِهِ
لا تأبه لما قالت عضبة الأرواح (جماعة قالوا إن كارنارفون لحقته لعنة الفراعنة وطاردته
أرواحهم)، فما قالوه باطل وكذاب (كذب)

الرُّوحُ لِلرَّحْمَنِ جَلًّا جَلَّالُهُ هِيَ مِنْ صَنَائِنِ عِلْمِهِ وَغِيَابِهِ
فالروح لله، وهي من صنائن علمه (الفائس المخبأة). فالروح من أمر ربي

أَفْضَى إِلَى خَتْمِ الزَّمَانِ فَقَضَهُ وَحَبَا إِلَى التَّارِيخِ فِي مُحَرَابِهِ
أفضى (وصل) كارنارفون إلى ختم الزمان ففضه (كسره) فانفتح له الزمان، وحبا (زحف) إلى
التاريخ في محرابه (أهم موضع منه)

وطوى القرون القَهْقَرى حَتَّى أَتَى فِرْعَوْنَ بَيْنَ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ

وطوى القرون القَهْقَرى (إلى الخلف)، حتى أتى فرعون مسجى وعن جانبيه الطعام والشراب. وكان يوضع في مدافن ملوك مصر طعام وشراب، ومدفن توت عنخ آمون مدفن بكر لم يهتد إليه اللصوص القدماء، وعندما اكتشف كانت فيه كل محتوياته، وجاءت بعدئذ لصوصية المستعمر الجديدة. والبيتان الماضيان (أفضى.. وطوى) قال فيهما حافظ إبراهيم، على ذمة زكي مبارك، «قتلني شوقي بهذين البيتين»

أَخْرَجَتْ مِنْ قَبْرِ كِتَابِ حَضَارَةٍ الْفَنِّ وَالْإِعْجَازَ مِنْ أَبْوَابِهِ

يا كارنارفون أخرجت من قبر أشياء هي بمثابة كتاب حضارة؛ وإن الفن والإعجاز (كالتحنيط، ودقة الصنعة) من أبواب (فصول) هذا الكتاب

فَرَفَعْتَ رُكْنًا لِلْقَضِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ سَحْبَانٌ يَرْفَعُهُ بِسِحْرِ خِطَابِهِ

فدعمت بذلك قضيتنا الوطنية بركن مكين، لم يكن خطيب العرب (سحبان) ليرفع هذا الركن ببلاغته. فبهذا الاكتشاف يتقن العالم أن مصر بلد مُعْرِق في الحضارة، ولا يجوز أن يستمر احتلاله

١٨٦ نبل أخلاق

قال شوقي يرثي سعيد زغلول ابن أخت سعد زغلول (١٩٢٣):

لَمْ يَكُنْ فِي غُلُوِّهِ ضِيقَ الْفُصْدِ رِ، وَلَا كَانَ عَاجِزًا فِي اعْتِدَالِهِ
لَمْ يَكُنْ فِي غُلُوِّهِ (مبالفته) ضِيقَ الصِّدْرِ بِمُخَالَفَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي اعْتِدَالِهِ عَاجِزًا

لَا يِعَادِي وَيَتَّقِي أَنْ يُعَادَى وَيُخَلِّي سَبِيلَ مَنْ لَمْ يُؤَالِهِ
لَا يِعَادِي النَّاسَ وَيَتَّقِي (يتجنب) أَنْ يِعَادِيهِ النَّاسَ، وَلَا يَشْغِبُ عَلَى مَنْ لَمْ يُؤَالِهِ (لم يناصره)

١٨٧ سرقة الآثار

قال شوقي في الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون (١٩٢٣):

قَفِي يَا أُخْتَ «يُوشَعَ» خَبَرِينَا أَحَادِيثَ الْقُرُونِ الْغَابِرِينَ (الماضين).
وسمى الشمس «أخت يُوشَعَ» لأن نبي اليهود المحارب «يوشع بن نون» أراد القضاء على أعدائه قبل غروب الشمس والدخول في السبت المحرم فيه القتال، وعندما جنحت للغروب أمرها الرب.. «فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل» - يُشَوِّع/أصبح ١٠، آية ١٣ -، وقضى عليهم

وَقُصِّيَ مِنْ مِصَارِعِهِمْ عَلَيْنَا وَمِنْ دَوْلَاتِهِمْ مَا تَعَلَّمِينَا
وَقُصِّيَ عَلَيْنَا قِصَصَ مِصَارَعِ (كيفية موت) الأجيال السابقة، وقصص دُولَاتِهِمْ (مصائبهم التي تداوت عليهم)

نرى لك في السماء خَضِيبَ قَرْنٍ ولا نُخْصِي على الأرضِ الطَّعِينَا

نرى لك أيتها الشمس قرناً (ظفر الشمس حين يبرز) خضيباً (مصبوغاً بالحمرة)، ولا نحصى الطعين (المطعنين) بهذا القرن على الأرض فالشمس في شروقها وغروبها تجعل الزمن يمر، وبمروره يموت الناس

مَشَيْتِ على الشَّبَابِ شُواظَ نارٍ وَدُرْتَ على المَشِيبِ رَحَى طَحُونَا
مشيت أيتها الشمس على أيام الشباب شواظ نار (لهباً)، ثم درت على أيام المشيب كالرحى (حجر الطاحون) الطَّحُون (الشديدة الطحن)

تُعِينِنَ المَوَالِدَ والمَنَايَا وَتَبْنِيَنَ الحَيَاةَ وَتَهْدِمِينَا
بدورانك تساعدين الموالد (الولادات) وتساعدين المنايا (الميتات)، فدورانك هو الزمن وهو سبب ولادة الحياة وحدث الموت

فِيَا لَكَ هِرَّةً أَكَلْتَ بَنِيهَا وَمَا وَلَدُوا، وَتَنْتَظِرُ الْجَنِينَا
فيا لك من هرة أكلت أولادها، وأكلت أولاد أولادها، وتنتظر الجنين القادم

أُمُّ المَالِكِينَ بني آمونٍ لِيَهْنِكَ أَنَّهُمْ نَزَعُوا آمُونَا
أيتها الشمس، يا أم الفراعين من أبناء الإله آمون، هنياً لك أنهم نزعوا آمون (أشبهوه)

وَلَدَتْ لَهُ المَآمِينَ الدَّوَاهِي وَلَمْ تَلِدِي لَهُ قُطَّ الأَمِينَا
ولدت لآمون المآمين (الأبناء الشبهين بالأمون الخليفة العباسي الحازم)، ولم تلدي قط (أبداً) الأمين (الخليفة العباسي العاث المهزوم)

مَشَتْ بِمَنَارِهِمْ فِي الأرضِ رُومَا وَمِنْ أَنوَارِهِمْ قَبَسَتْ أَثِينَا
هؤلاء الملوك من سلالة آمون مشت بنورهم حضارة روماً، ومنهم اقتبست أثينا

مُلُوكُ الدَّهْرِ بالوادي أَقَامُوا على وادي المُلُوكِ مُحَجَّجِينَا
ملوك الزمان في الوادي (وادي النيل/أي ملوك مصر)، أقاموا الآن في «وادي الملوك» (موضع عند الأقصر) مدفونين محجوبين عن الأنظار

قَرُبَ مُصَفَّدٍ مِنْهُمْ، وَكَانَتْ تُسَاقُ لَهُ المُلُوكُ مُصَفَّدِينَا
رب ملك هو الآن مصفد (مقيد) في قبره، وكان الملوك الآخرون المهزومون في المعارك يساقون إلى حضرته مقيدين

تَقَيَّدَ فِي التَّرَابِ بِغَيْرِ قَيْدٍ وَحَلَّ على جَوَانِبِهِ رَهِينَا
لقد تقيد في التراب بغير قيد وحل على جوانبه رهيناً (مرهوناً بمكانه لا يبرحه)

تعالى الله! كان السَّحَرُ فِيهِمْ أَلْيَسُوا لِلْحَجَارَةِ مُنْطَقِينَا

سبحان الله! كانوا بارعين في السحر، أو لم يجعلوا الحجارة تنطق في تماثيلهم؟

ولستُ بِقَائِلٍ ظَلَمُوا وَجَارُوا عَلَى الْأَجْرَاءِ أَوْ جَلَدُوا الْقَطِينَا

ولا أقول إن أولئك الملوك ظلموا الأجراء (العمال المأجورين)، أو أنهم جلدوا القطين (الخدم)

فإِنَّا لَمْ نُوقِّ النِّقْصَ حَتَّى نَطَالِبَ بِالْكَمَالِ الْأَوَّلِينَ

فنحن لم نوقِّ (لم نُجَنَّبْ) النقص لنطالب الأولين بالكمال

وَمَا «الْبَسْتِيلُ» إِلَّا بِنْتُ أَمْسٍ وَكَمْ أَكَلَ الْحَدِيدُ بِهَا سَجِينَا

وما سجن «الباستيل» سوى بنت الأمس، وكانت قيود الحديد في الباستيل تأكل أجسام السجناء

وَرُبَّةٌ بَيْعَةٌ عَزَّتْ وَطَالَتْ بَنَاهَا النَّاسُ أَمْسٍ مُسَخَّرِينَا

وربة (رُبٌّ) بيعة (كنيسة) عزيزة (منبعة) وعالية بناها الناس أمسٍ مسخَّرينا

مُشَبَّدَةٌ لِشَافِي الْعُمَى عَيْسَى وَكَمْ سَمَلَ الْقُسُوسُ بِهَا عُيُونَا

وقد شيدت تلك الكنيسة لعيسى شافي العمي (العميان)، ولكن كثيراً ما سمل (فَقَأَ) القسس فيها عيون الناس

أَخَا اللُّوردَاتِ مِثْلُكَ مَنْ تَحَلَّى بِحِلْيَةِ آلِهِ الْمُتَطَوِّلِينَ

يا أخا اللوردات (أيها اللورد كارنارفون)! يُنتظر من مثلك أن يتحلَّى بحلية (بزينة) آله (قومه) المتطولين (القادرين)

أُبُونُنَا وَأَعْظَمُهُمْ ثَرَاتٌ نُحَاذِرُ أَنْ يُوُولَ لِأَخْرِينَا

أبوتنا (آبائنا) وعظماهم تراث ورثناه ونحاذر (نمانع) أن يوُولَ (يؤول) للآخرين

وَنَأْبَى أَنْ يَحُلَّ عَلَيْهِ ضَيْمٌ وَيَذْهَبَ نُهْبَةً لِلنَّاهِبِينَ

ونرفض أن يقع على هذا التراث ضيم (ظلم)، وأن ينهبه الناهبون

سَكَّتْ فَحَامَ حَوْلَكَ كُلُّ ظَنٍّ وَلَوْ صَرَّخَتْ لَمْ تُثِرِ الظُّنُونَا

لقد سكَّتْ عندما اكتشفت مدفن توت عنخ آمون ولم تفصح عن محتوياته، فحامت حول مقاصدك الظنون بسبب صمتك .

يَقُولُ النَّاسُ فِي سِرٍّ وَجَهْرٍ وَمَا لَكَ حِيلَةٌ فِي الْمُرْجِفِينَا .

وقال الناس سرّاً وجهراً - ولا حيلة لك في المرجفين (المشككين) - قالوا . .

أَمِنْ سَرَقِ الْخَلِيفَةِ وَهُوَ حَيٌّ يَبْعَثُ عَنِ الْمُلُوكِ مُكَفِّرِينَ
هل الذي سرق الخليفة حياً، سيعف (يترفع) عن الملوك وهم في أكفانهم. وكانت بارجة بريطانية حملت الخليفة العثماني وحيد الدين إلى منفاه عام ١٩٢٢، بعد أن ثار به الكماليون

خَلِيلِيْ أَهْبطَا الْوَادِي، وَوَيْلَا إِلَى غُرَفِ الشَّمْسِ الْغَارِبِينَ
يا صاحبي (والشاعر العربي له دائماً صاحبان يكلمهما) اهبطا وادي الملوك، وميلا معي (عرجا معي) إلى غرف الفراغة المدفونين الذين هم كالشمس الغاربة

وُخْصَا بِالْعَمَارِ وَبِالتَّحَايَا رُفَاتِ الْمَجْدِ مِنْ تَوْتِنَحْمِينَا
وخصا بالعمار (الريحان) والتحية رفات (بقايا) المجد من توت عنخ آمون

وَقَبْرًا كَادَ مِنْ حُسْنٍ وَطِيبٍ يُضِيءُ حِجَارَةً وَيَضْوَعُ طِينًا
وحياً قبراً كاد من جماله ورائحته الزكية يضيء بحجارته، ويتضوع العبير من طينه

وَكَانَ نَزِيلُهُ بِالْمَلِكِ يُدْعَى فَصَارَ يُلَقَّبُ الْكَنْزَ الثَّمِينَا
ونزيل القبر كان يدعى الملك (الملك)، وأما الآن وهو ميت فصار يدعى الكنز الثمين

فَنَمَّ جَلَالَةُ قَرَّتْ وَدَامَتْ عَلَى مَرِّ الْقُرُونِ الْأَرْبَعِينَا
فَنَمَّ (فنهك) جلاله استقرت واستمرت أربعين قرناً

وَقُولَا لِلنَّزِيلِ: قَدُومَ سَعْدٍ وَحَيَّا اللَّهَ مُقَدَّمَكَ الْيَمِينَا
وقولا يا صاحبي لنزيل القبر، جئت إلينا الآن فقدمك قدوم سعد علينا (وكانت مصر أيامئذ تستقبل عهداً دستورياً، وفكاكاً من الحماية البريطانية) فحيا الله قدومك اليمين (اليمينون)

سَلَامٌ يَوْمَ وَارْتِكَ الْمَنَايَا بِوَادِيهَا، وَيَوْمَ ظَهَرْتَ فِينَا
سلام عليك يوم وارتك (حجبتك) المنايا (الموت) في واديه (وادي الملوك الذي هو مقبرة كبيرة)، وسلام عليك يوم ظهورك الآن بالكشف عن مدفنك

خَرَجْتَ مِنَ الْقُبُورِ خُرُوجَ عَيْسَى عَلَيْكَ جَلَالَةٌ فِي الْعَالَمِينَا
خرجت كما خرج عيسى من قبره ورفع الله إليه

وَأَقْسِمُ كُنْتُ فِي لُوزَانَ شُغْلًا وَكُنْتُ عَجِيبَةَ الْمُتَفَاوِضِينَ
وأقسم أنك كنت شغلاً شاغلاً للمفاوضين في لوزان بسويسرا (المؤتمر دام نحو ثلاثة أشهر وعقد لاقسام تركة الدولة العثمانية)، وكلهم تعجبوا من هذا الكشف

أَتَعْلَمُ أَنَّهُمْ صَلَفُوا وَتَاهُوا وَصَدُّوا الْبَابَ عَنَّا مُوَصِّدِينَ
هل تعلم أنهم صلفوا (تغطسوا) وتاهوا (تكبروا)، وأوصدوا الباب دون الوفد المصري الذي ذهب يطالب بجلاء الإنجليز

وَلَوْ كُنَّا نَجُرُّ هُنَاكَ سَيْفًا وَجَدْنَا عِنْدَهُمْ عَظْفًا وَلِينَا
سَيَقْضِي كِرْزَنٌ بِالْأَمْرِ عَنَّا وَحَاجَاتُ الْكِنَانَةِ مَا قُضِينَا
سيفضي في شأننا اللورد جورج كيرزون (وزير خارجية بريطانيا)، وحاجات الكنانة (مصر) لم يتم
قضاؤها

زَمَانُ الْفَرْدِ يَا فِرْعَوْنَ وَلَى وَدَالَتْ دَوْلَةُ الْمُتَجَبِّرِينَ
فيا فرعون الدفين اعلم أن زمان حكم الفرد ولّى، وانتهت دولة المتجبرين بالناس
وَأَصْبَحَتِ الرَّعَاءُ بِكُلِّ أَرْضٍ عَلَى حُكْمِ الرَّعِيَةِ نَازِلِينَ
وأصبح الرعاة (الحكام) في كل بلد نازلين عند رأي الرعية (الشعوب)

فَوَادُ أَجَلٌ بِالْأُسْتُورِ دُنْيَا وَأَشْرَفُ مِنْكَ بِالْإِسْلَامِ دِينَا
الملك أحمد فؤاد بوجود الدستور أكثر جلالاً منك في دنياه يا فرعون، وهو بالإسلام أشرف منك
في دينه

وَأَهْدَى فِي بِنَاءِ الْمُلْكِ جَدًّا وَأَجْوَدُ وَالِدًا فِي الْمُحْسِنِينَ
وأحمد فؤاد جدّه أكثر هداية (حكمة) في بناء الملك (وجهه هو إبراهيم باشا ابن محمد علي)،
ووالده أجود من فرعون إحساناً (ووالده الخديوي إسماعيل)

بَنَى الدَّارَ الَّتِي لَا عِزًّا إِلَّا عَلَى جَنَابَاتِهَا لِلْمَالِكِينَ
بنى أحمد فؤاد الدار التي لا عزّ للملوك إلا في جنباتها (نواحيها)، وهي دار البرلمان

فَعَجَّلْ يَا ابْنَ إِسْمَاعِيلَ عَجْلُ وَهَاتِ النُّورَ وَاهِدِ الْحَائِرِينَ
عجل يا أحمد فؤاد بالدستور ليهدي الحائرين

مَلَائِينَ تَجُرُّ الْجَهْلَ قَيْدًا وَتُسْحَبُ بِالْقَلِيلِ الْمُطْلَقِينَ
الملايين تمشي ويقيدها الجهل، والذين يسحبون ملايين الجهال هم القلة من المطلقين (الذين نالوا
حرية عقولهم بالعلم)

فَدَاوِ بِهِ الْبَصَائِرَ، فَهَوَ عَيْسَى وَفَكَ بِرَاحَتِيهِ الْمُقْعَدِينَ
فداوِ بالدستور البصائر (العقول) فالدستور مثل عيسى شافي المرضى، وفك بيديّ الدستور
الكميحين

وَمَنْ يَرِ دَوْنَهُ حَقًّا فَإِنِّي أَرَاهُ وَخَذَهُ الْحَقُّ الْمُبِينَا
ولمن يرى الحق في أمر سوى الدستور، فإنني أرى الدستور وحده الحق الواضح.
نقد طه حسين هذه القصيدة بادئاً بأن شوقي «قد شبع ثناءً وتقريظاً، وأحسبه لم يشبع
نقداً بعد» وبالطبع فقد أحب طه النخبة الفرعونية في القصيدة. وأخذ شوقي في ألفاظ

كلمة «نزعوا» في البيت السابع مما اخترنا، فقد اضطر شوقي إلى أن يشرحها عندما نشر قصيدته في الأهرام، وما كان طه ليفهمها لولا الشرح، كما قال. وأثنى طه على اللطف وخفة الروح في البيت: (أمن سرق الخليفة وهو حي/ يعف عن المملوك مكفينا). وعن كلام شوقي عن الشأن المصري إزاء عفو المحتل الإنجليزي قال طه حسين: «الحكومة المصرية خليفة أن تقرأ وخليفة أن تتعظ وخليفة أن تعمل». وقال: «ثم ينتقل الشاعر أحسن انتقال، ويشب ويخيل إليك أنه يخطو. يشب من عصر الفراعنة إلى العصر الذي نعيش فيه. فتراه شاعراً مصرياً يعيش في هذه السنة، يحس ما نحس، ويشفق مما نشفق منه. يحب الدستور ويكلف به، ويتمنى على صاحب الجلالة في اللفظ وأعذبه، وفي أمتن أسلوب وأصفاه، وفي أشد العبارات تمثيلاً لأصدق العواطف، يتمنى على صاحب الجلالة إصدار الدستور». انتهى كلام طه حسين

١٨٨ عصركم بطل

قال شوقي (١٩٢٣):

قُلْ لِلشَّبَابِ بِمَصْرِ عَصْرُكُمْ بَطْلٌ بكلِّ غَايَةٍ إِقْدَامٌ لَهُ وَلَعُ
عصركم بطل جريء، مولع بالتأثير التي تجرّها الشجاعة

الْبَرُّ لَيْسَ لَكُمْ فِي طَوْلِهِ لُجْمٌ والبحرُ لَيْسَ لَكُمْ فِي غُرْضِهِ شُرْعُ
وليس لكم في طول البر لُجْم (خيل على كل منها لجام)، وليس لكم في غُرْض البحر (وسطه) شُرْع (سفن لها أشرعة)، يريد القول إنه ليس لمصر قوة برية أو بحرية

هَلْ تَنْهَضُونَ! عَسَاكُمْ تَلْحَقُونَ بِهِ فليس يَلْحَقُ أَهْلَ السَّيْرِ مُضْطَجِعُ
فهل تنهضون! لعلكم تلحقون بعصركم، لأن المضطجع (المستلقي) لا يلحق الماشين

لَا يُعْجِبَنَّكُمْ سَاعٌ يَنْفَرِقِي إِنَّ الْمِقْصَصَ خَفِيفٌ حِينَ يَفْتَنُطَعُ
لا تصبوا إعجابكم على من يسعى للفرقة، فالفرقة سهلة ولكنها تؤدي إلى تخریب دائم، كالمقصص الذي يسهل عليه أن يقطع القماش ولا إصلاح لما قطع

مَا لِلشَّبَابِ وَلِلْمَاضِي! تَمُرُّ بِهِمْ فِيهِ عَلَى الْجِيْفِ الْأَحْزَابُ وَالشَّيْعُ
والشباب، ما لهم وللماضي! والأحزاب والشيع (المنظمات السياسية) تأخذ الشباب وتطوف بهم على الماضي وترهبهم ما به من الجيف (الجثث) وتملاهم أحقاداً

لَا يَمْنَعَنَّكُمْ بِرُّ الْأَبْوَةِ أَنْ يَكُونَ صُنْعُكُمْ غَيْرَ الَّذِي صَنَعُوا
الوفاء للأبوة ليس معناه الامتناع عن صنع شيء لم يصنعه آباؤكم

وَكُلُّ بُنْيَانٍ قَوْمٌ لَا يَقُومُ عَلَى دَعَائِمِ الْعَصْرِ مِنْ رُكْنَيْهِ مُنْصَدِعُ
وكل بناء للأمم لا يكون مدعماً بمفاهيم عصرية يتصدع من ركنيه (جانبيه)

كَمْ فِي الْحَيَاةِ مِنَ الصَّحَرَاءِ مِنْ شَبِيهِ كِلْتَاهُمَا فِي مُفَاجَاةِ الْفَتَى شَرَعُ

ما أشبه الحياة بالصحراء . كِلْتَاهُمَا شَرَعَ (سواء) فِي مُفَاجَاةِ الْإِنْسَانِ

وَلَسْتُ تَدْرِي، وَإِنْ كُنْتَ الْحَرِيصَ، مَتَى تَهْبُ رِيحَاهُمَا أَوْ يَطْلُعُ السَّبْعُ

مهما كنت حريصاً فأنت لا تعرف متى تهب ريح الصحراء وريح الحياة، أو متى يطلع عليك السبع

وَلَسْتُ تَأْمَنُ عِنْدَ الصَّخْرِ فَاجِئَةً مِنَ الْعَوَاصِفِ فِيهَا الْخَوْفُ وَالْهَلَعُ

ولا تأمن عاصفة مفاجئة فيها خوف لك وهلك

وَلَسْتُ تَدْرِي، وَإِنْ قَدَّرْتَ مُجْتَهِدًا، مَتَى تَحْطُ رِحَالًا أَوْ مَتَى تَضَعُ

وأنت لا تدري، مهما تحببت، متى ستخط (ستنزل) رحلك من على ظهر مطبك، ومتى تضعه عليها . أنت تأتي للعالم وترحل عنها وتساوفاً فيها مُسِيرًا لا مُخِيرًا

وَلَسْتُ تَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ الدَّلِيلِ سِوَى أَنَّ الدَّلِيلَ وَإِنْ أَزْدَاكَ مُتَّبَعُ

وفي الصحراء - وأيضاً في الحياة - ليس في يدك من أمر المرشد إلا أنه يجب عليك اتباعه وإن أَزْدَاكَ (أهلكك)

وَمَا الْحَيَاةُ إِذَا أَظْمَتَ وَإِنْ خَدَعَتْ إِلَّا سَرَابٌ عَلَى صَحَرَاءٍ يَلْتَمِعُ

والحياة تظمنك (تعطشك) وتخدعك، مثل سراب يلتمع في الصحراء

١٨٩ يومٌ كبدر

قال شوقي بهنئ الأتراك بانتصارهم على اليونانيين سنة (١٩٢٣):

اللَّهُ أَكْبَرُ! كَمْ فِي الْفَتْحِ مِنْ عَجَبٍ يَا خَالِدَ التُّرْكِ جَدُّ خَالِدِ الْعَرَبِ

يا خالد الترك (مصطفى كمال) جدد ذكرى خالد العرب (خالد بن الوليد)

سُئِلْتُ سِلْمًا عَلَى نَصْرِ فَجُدْتُ بِهَا وَلَوْ سُئِلْتُ بِغَيْرِ النَّصْرِ لَمْ تُجِبْ

طلب منك السلم بعد انتصارك، فمناحتهم السلم وجنحت لها، ولو لم تكن قد انتصرت عليهم فلن ترضى بالسلم

قَذَفْتَهُمْ بِالرِّيَّاحِ الْهُوجِ مُسْرَجَةً يَحْمِلْنَ أَسَدَ الشَّرِّ فِي الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ

وفي الحرب كنت قد قذفت اليونانيين بالرياح الهوجاء المسرجة (التي عليها السروج/ يعني الخيل)، وهي تحمل أسود الشرى (والشرى مكان قرب الفرات كثير الأسود) التي تلبس البيض (الخود) واليَلْبِ (الدروع)

يَوْمَ كَبَدِرٍ، فَخَيْلُ الْحَقِّ رَاقِصَةٌ عَلَى الصَّعِيدِ، وَخَيْلُ اللَّوِّ فِي السُّحْبِ

هذا اليوم (المعركة) مثل يوم بدر، فخيّل الترك التي معها الحق ترقص على التراب، وخيّل الله ترقص في السحب، يقول إن الله أيد مصطفى كمال في حربه مع اليونانيين بجند من عنده كما حدث يوم بدر. انتقد طه حسين هذه القصيدة في مقالين. فأبو تمام صاحب «السيف أصدق أنباء من الكتب» هو الذي «قدّم إلى شوقي قوافيه وشيئا غير قليل من ألفاظه ومعانيه». وللحق فإن قصيدة شوقي لا تصمد طويلاً لملمحة أبي تمام العظيمة. ويمضي طه حسين في لهجة تذكرنا بلهجة العقاد في الديوان: «هذه القصيدة أصدق دليل وأقواء على عجز القديم عن تصوير الحياة الحديثة، وفشل الشعر العربي العصري فيما قصد إليه من إمتاع النفوس وإشعارها لذة الجمال الفني.. هذه القصيدة هي أشبه شيء بالتمرين المدرسي يذهب به الأطفال مذهب المحاكاة للنماذج الفنية التي تلقى إليهم فيوفقون في الصورة ويخطئون في الموضوع»، انتهى كلام طه. وليتذكر القارئ أن النقد موجه إلى قصيدة من ثمانية وثمانين بيتاً، أما ما اخترناه هنا فهو زبدتها

١٩٠ شمس الخلافة

قال شوقي بهنئى الثائرين بأنقرة (١٩٢٣):

قُمْ نَادِ أَنْقَرَةً، وَقُلْ: يَهْنِيكِ مُلْكُ بَنِيَّتِ عَلَى سَيْوِفِ بَنِيكِ
قُمْ أَيُّهَا الْمَنَادِي وَنَادِ أَنْقَرَةً، وَقُلْ هُنَيْئاً لَكَ هَذَا الْمَلِكُ الَّذِي بَنَيْتَهُ عَلَى سَيْوِفِ أَبْنَانِكَ. وَأَنْقَرَةُ كَانَتْ عَاصِمَةَ مُصْطَفَى كِمَالِ أَتَاتُورُوكَ فِي الْمَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَةِ الْأُولَى لِكِي يَنْشُؤَ تَرْكِيَا الْحَدِيثَةِ، ثُمَّ ظَلَّتْ عَاصِمَةَ لَتَرْكِيَا

مِنِّي لِعَهْدِكَ يَا فَرُوقُ تَحِيَّةٌ كَعَيُونِ مَائِكِ أَوْ رُبَى وَادِيكِ
ولفروق (إستانبول) مني تحية جميلة كعيون مائها وربى واديها

إِنْ أَنْسَ لَا أَنْسَ الشَّبِيبَةَ وَالْهُوَى وَسَوَالِفَ اللَّذَاتِ فِي نَادِيكِ
مهما نسيت فلن أنسى عهد الشباب والحب، وسوالف اللذات (ما سلف من لذات) في مجالسك

وَلِيَالِيَا لَمْ نَذِرْ أَيْنَ عِشَاؤُهَا مِنْ فَجْرِهَا لَوْلَا صِيَاخُ الدِّيَكِ
ولن أنسى ليالي مرت سريعة فلم نعرف وقت العشاء من وقت الفجر فيها لولا صياح الديك

قُلْ لِلْخِلَافَةِ قَوْلَ بَاكِ شَمْسَهَا بِالْأَمْسِ لَمَّا آذَنْتَ بِدُلُوكِ
قل للخلافة قول من يبكي شمسها بالأمس لما آذنت بدلوك (أوشكت على الغروب)

إِنَّ الَّذِينَ تَوَارَثُوكَ عَلَى الْهُوَى بَعْدَ ابْنِ هَنْدٍ طَالَمَا كَذَّبُوكَ
إن الذين توارثوك أيتها الخلافة على الهوى (لمصالحهم) بعد ابن هند (معاوية أول خليفة ورث الحكم لمن بعده توريثاً) كثيراً ما كَذَّبُوكَ (تصرفوا بغير ما يتطلبه معنى الخلافة)

لَمْ يَلْبَسُوا بُرْدَ النَّبِيِّ، وَإِنَّمَا لَبَسُوا طَقُوسَ الرُّومِ إِذْ لَبَسُوا
 لم يلبسوا برد النبي (عباءة النبي/ التي كان الخلفاء يتوارثونها)، أي أنهم لم يسلكوا مسلك النبي،
 وإنما لبسوا (اتخذوا) طقوس الروم عندما آلت إليهم الخلافة

١٩١ أعلمت للقمرين من أسلاف؟

قال شوقي يرثي الشاعر إسماعيل صبري (١٩٢٣):

شَرَفَ الْعَصَامِيِّينَ صَنَعَ نَفُوسِهِمْ مَنْ ذَا يَقِيسُ بِهِمْ بَنِي الْأَشْرَافِ
 قُلْ لِلْمَشِيرِ إِلَى أَبِيهِ وَجَدَهُ: أَعْلِمْتَ لِلْقَمَرَيْنِ مِنْ أَسْلَافِ

القمران: الشمس والقمر، وهما عزيزا المنال ولا أسلاف (أجداد) يفتخران بهم

١٩٢ إتقان

قال شوقي (١٩٢٣):

أَيُّهَا الْعَمَالُ أَفْنُوا الْـ عُمرَ كَدًّا وَاكْتِسَابَا
 يخاطب العمال ويريد منهم إفاء العمر كدًّا (تعبًا). وهل يملكون سوى ذلك؟ هَلَّا خاطب أولاد
 الباشوات في زمنه!

وَاعْمُرُوا الْأَرْضَ فَلَوْلَا سَفِيكُكُمْ أُمِسَتْ يَبَابَا
 يباباً: خراباً

أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ جُدُودِ خَلَدُوا هَذَا التَّرَابَا
 أَتَقْنُوا الصَّنْعَةَ حَتَّى أَخَذُوا الْخُلْدَ اغْتِصَابَا
 قدماء المصريين أتقنوا الصنعة (الفن) حتى نالوا بمخلفاتهم الخلود غضباً من الزمن

إِنْ لِلْمُتَقِينَ عِنْدَ اللَّـهِ وَالنَّاسِ ثَوَابَا
 هذا بيت بسيط، وليس فيه لا معنى بديع، ولا... ولا شيء. لكنَّ إتقان العمل أمر نفتقده في
 مجتمعاتنا كثيراً، فرأيت في هذا البيت صدى لمعنى يتردد في نفسي

١٩٣ كُفِّنَتْ فِي ثَوْبِ الزَّفَافِ

قال شوقي ينعي الخلافة (١٩٢٤):

عَادَتْ أَغَانِي الْعُرْسِ رَجَعَ نَوَاحِ وَنُعِيَتْ بَيْنَ مَعَالِمِ الْأَفْرَاحِ
 عادت (أصبحت) أغاني العرس (الفرحة بانتصار الترك على اليونانيين وتأسيس تركيا الحديثة) رجع
 (صدى) نواح، ونُعِيَتْ الخلافة وسط مظاهر الفرح

كُفِّنَتْ فِي لَيْلِ الزُّفَافِ بِثَوْبِهِ وَدُفِنَتْ عِنْدَ تَبَلُّجِ الْإِصْبَاحِ
تَبَلُّجُ الْإِصْبَاحِ : ظَهْرُ الْفَجْرِ

وَالشَّامُ تَسْأَلُ وَالْعِرَاقُ وَفَارِسُ أَمَحَا مِنْ الْأَرْضِ الْخِلَافَةَ مَاحٍ
تَسْأَلُ هَذِهِ الْبِلَادُ هَلْ مَعَ الْخِلَافَةِ أَحَدٌ مِنَ الْوُجُودِ مَحْرُورٌ

أَسْتَغْفِرُ الْأَخْلَاقَ ! لَسْتُ بِجَاحِدٍ مَنْ كُنْتُ أَدْفَعُ دُونَهُ بِسِلَاحِي
عِذْرًا أَيْتَهَا الْأَخْلَاقُ ، فَلَسْتُ جَاحِدًا ! لَا أَجِدُ فَضْلَ مُصْطَفَى كِمَالِ «أَنَاتُورِك» الَّذِي كُنْتُ أَدْفَعُ عَنْهُ
بِسِلَاحِي (وَسِلَاحُ شُوقِي قَلَمُهُ)

مَا لِي أَطَوِّفُهُ الْمَلَامَ ، وَطَالَمَا طَوِّفْتُهُ الْمَأْثُورَ مِنْ أَمْدَاحِي
مَا لِي أَطُوقُ عُنُقَهُ بِاللُّومِ ، وَكَثِيرًا مَا طَوَّقْتُهُ بِمَدَائِحِي الْمَأْثُورَةِ (الَّتِي يَبْقَى أَثَرُهَا بَيْنَ النَّاسِ)

أَذُوا إِلَى الْغَازِيِ النَّصِيحَةَ يَنْتَصِخُ إِنْ الْجَوَادَ يَثُوبُ بَعْدَ جِمَاحٍ
أَذُوا (أَعْطُوا) إِلَى الْغَازِيِ (أَنَاتُورِك) النَّصِيحَةَ ، وَالْحِصَانَ الْأَصِيلَ يَثُوبُ (يَعُودُ) إِلَى طَبِيعَتِهِ بَعْدَ
الْجِمَاحِ (الْجُمُوحِ)

١٩٤ يَا رَبِّ قَوِّ يَدَهَا وَشُدِّهَا

قَالَ شُوقِي فِي افْتِتَاحِ الْبِرْلَمَانِ الْمِصْرِيِّ (١٩٢٤):

مِصْرُ الْفَنَاءِ بَلَنْتْ أَشُدَّهَا

وَأَثَبَتِ الدَّمُ الزَّكِيَّ رُشْدَهَا

يَا رَبِّ ! قَوِّ يَدَهَا وَشُدِّهَا

وافتَحْ لَهَا السُّبُلَ وَلَا تَسُدِّهَا

بعد انحصار الحرب العالمية الأولى عن انهيار الدولة العثمانية التي كان شوقي يرى فيها ركناً تستند إليه مصر لحمايتها من أطماع أوروبا، وبعد نفيه وعودته إلى مصر وتولي السلطان (ثم الملك) أحمد فؤاد الحكم، ولم يكن متحمساً لشوقي، بدأ شوقي يرى أن مصر هي الأمل وهي ركن نفسها. آمن أكثر بالشعب، ولكنه رأى بعين ثاقبة ما ينقص مصر من وسائل النهوض. أجده هذه الأخطر من أجمل الشعر، ثمة هنا دعاء وضراعة لله كي يقوي مصر وهي مقدمة على مرحلة الاستقلال، وألمس في الأخطر إحساس شوقي بعدم الأمان

١٩٥ استبداد باسم الجماعة

قَالَ شُوقِي (١٩٢٤):

الْفِرْدُ بِالشُّورَى وَبِاسْمِ نَدِيَّهَا لَفَظَ الْخَلِيفَةَ فِي الظَّلَامِ شَرِيدًا

هَذَا الْفِرْدُ (مُصْطَفَى كِمَال) بِالشُّورَى وَبِاسْمِ نَادِيهَا (الْجَمْعِيَّةِ الْعَامَةِ الَّتِي كَانَ يَرْجِعُ إِلَيْهَا) لَفَظَ (رَمَى) الْخَلِيفَةَ فِي ظُلَامِ النِّسْيَانِ وَشَرَدَهُ

خَلَعَتْهُ دُونَ الْمُسْلِمِينَ عِصَابَةً لَمْ يَجْعَلُوا لِلْمُسْلِمِينَ وَجُوداً

خلعته، دون أن يخلعه المسلمون كلهم، عصابة (جماعة) تجاهلت وجود المسلمين

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الشُّعُوبِ فَلَمْ أَجِدْ كَالْجَهْلِ دَاءً لِلشُّعُوبِ مُبِيداً

وإذا سبى الفرد المسلط مَجْلِساً أَلْفَيْتُ أَحْرَارَ الرِّجَالِ عَبِيداً

الفرد المتسلط إذا سبى (استولى على) مجلساً، فإنك تجد الرجال الأحرار صاروا عبيداً

١٩٦ فَإِنَّكَ شَمْسٌ

قال شوقي في مكسويني حصان محبوب ثابت، ولقبوا الحصان، فيما نظن، باسم تيرنس

ماك سويني Terence MacSwiney المجاهد الإيرلندي الذي صام حتى الموت في سجن

الإنجليز عام ١٩٢٠، فقد كانت الشلة تزعم أن الدكتور محبوب ثابت لا يعلف حصانه،

وأن الحصان سيموت من الجوع. وقد يكون ورد معك في بعض الكتب أن مكسويني هذا

عداءٌ إيطالي. لعل أصحاب تلك الكتب رأوا الاسم ذا جرس إيطالي فصنعوا ذلك التأويل.

على أنني سألت وفدًا إيطاليًا مكوناً من نحو سبعة صحفيين عن مكسويني هذا فلم يعرفوه،

وراجعت سجلات الألعاب الأولمبية، وسجلات الرياضيين الطلاب فلم أجد له أثراً، فلا بدَّ

أن يكون ماك سويني الإيرلندي هو جالب اللقب على ذلك الحصان (١٩٢٤):

تُقَدِّيكُ يَا مَكْسُ الْجِيَادُ الصَّلَادُمْ وَتُقَدِّي الْأَسَاءَةَ التُّنْطُسُ مَنْ أَنْتَ خَادِمُ

تفديك يا مكسويني (لقب حصان الدكتور محبوب ثابت) الجياد (الخيول) الصلادم (صلاب

الحوافر)، وتفدي الأساءة (الأطباء) التُنْطُس (المأهرون) الشخص الذي أنت خادم إياه وهو الدكتور

كأنَّكَ إِنْ حَارَبْتَ فَوْقَكَ عَنَتْرُ وَتَحَتَ ابْنِ سِينَا أَنْتَ حِينَ تُسَالِمُ

في الحرب يكون فوقك عنتره (الدكتور ثابت)، وفي السلم تكون أنت تحت ابن سينا (د. أيضاً)،

فالدكتور في حالي الحرب والسلم بارع

فإِنَّكَ شَمْسٌ، وَالْجِيَادُ كَوَاكِبُ وَإِنَّكَ دِينَارٌ، وَهَنَّ الدِّرَاهِمُ

فأنت يا مكسويني شمس والجياد (الخيول) الكواكب، وأنت دينار والجياد الأخرى دراهم

مِثَالٌ بِسَاحِ الْبِرْلَمَانِ مُنْصَبٌ وَآخَرُ فِي بَارِ اللَّوَا لَكَ قَائِمُ

ولك مثال (تمثال) في ساحة البرلمان، وآخر في بار اللوا (وكانت الشلة ترتاده). وكان

محبوب ثابت من شخصيات ذلك العصر التي تستدر فكاهة الشعراء. كانت له دعاوى

عريضة، وصوت عالٍ في المجالس، وصار نائباً في البرلمان، وكان يُمَتِّي النفس بوزارة

الصحة. والقصيدة دعابة ثقيلة على البحر الطويل، وفيها إيحاء فكه إلى قصيدة جاهلية في

مدح النعمان. والشعر عند العرب ديوان لحياتهم، ويدخل فيه الظرف والسخرية والدعابة

والتهكم والحزن والفرح وكل شيء. كل ما يحسنُ بالمرء أن يقوله نثرًا، وما لا يحسنُ،

داخل في حد الشعر. والمدار بعد ذلك على الإجادة والفن ووفرة ما في الشعر من شعور

١٩٧ الدنيا الغدارة

قال شوقي يداعب محجوب ثابت، وقد استبدل بحصانه مكسويني سيارة، (١٩٢٤):

لَكُمْ فِي الْخَطِّ سَيَّارَةٌ حَدِيثُ الْجَارِ وَالْجَارَةِ
وَقَدْ تَحَرُّنُ أَحْيَاناً وَتَمْشِي وَحْدَهَا تَارَةً
تَحْرَنُ: تعاند ولا تمشي

وَلَا تُشْبِعُهَا عَيْنٌ مِنَ الْبَنْزِيرِ فَوَّارَةٌ
تَرَى الشَّارِعَ فِي دُغْرِ إِذَا لَاحَتْ مِنَ الْحَارَةِ
فَقَدْ تَمْشِي مَتَى شَاءَتْ وَقَدْ تَرْجِعُ مُخْتَارَةً
قَضَى اللَّهُ عَلَى السَّوَّا قِ أَنْ يَجْعَلَ لَهَا دَارَةً
يُقْضِي يَوْمَهُ فِيهَا وَيَلْقَى اللَّيْلَ مَنْ زَارَةً
اللَّيْلُ: أي في الليل

أُذْنِيَا الْخَيْلِ يَا مَكْسِي كَدْنِيَا النَّاسِ عَدَّارَةٌ؟
مكسي: مكسويني، حصان الدكتور محجوب ثابت

فَصَبِراً يَا فَتَى الْخَيْلِ فَنَفْسُ الْحُرِّ صَبَّارَةٌ
وَلَا وَاللَّهِ مَا كَلَّفَ تَ مُحْجُوباً وَلَا بَارَةً
الْبَارَةُ: قطعة عملة ضئيلة القيمة

فَلَا الْبَرْسِيْمُ تَدْرِيه وَلَا تَعْرِفُ نُوَّارَةً

١٩٨ انتحار الحصان

قال شوقي يعزي محجوب ثابت في نفوق حصانه (١٩٢٤):

يَا مَكْسُ دُنْيَاكَ عَارَةٌ وَالْمَوْتُ كَأْسُ مُدَارَةٍ
يا مكس (مكسويني: حصان الدكتور محجوب ثابت) دنياك عارة (شيء مستعار)، والموت كأس
تدور على الشاربين

إِذَا بَلَغْنَ التَّرَاقِي فَكُلُّ رِيحٍ خَسَارَةٌ
إذا بلغت الأرواح التراقي (الترقوة عظيمة في أعلى الصدر)، فكل ما ريحه المرء يتحول إلى خسارة

لَمَّا جَفَاكَ ابْنُ سِينَا وَهَامَ بِالسَّيَّارَةِ

عندما جفاك (هجرك) ابن سينا (أي الدكتور محبوب ثابت)، وهام هياماً بسيارته التي ..

تَفِرُّ مِنْهُ وَتَجْرِي كَالنَّحْلَةِ الدَّوَّارَةِ

فلا إلى البوق تُصغي ولا إلى الزَّمَارَةِ

وقد تَهَتَّتْ فِيهَا حَتَّى أَضَاعَ وَقَارَهُ

حَمَلْتَ مِنْ ذَاكَ غَمًّا أَذَابَ مِنْكَ الْمَرَارَةَ

حتى انتحرت جريئاً والانتحارُ جَسَارَةُ

١٩٩ .. ويكي البلشفي والاشتراقي

قال شوقي متفكهاً، والقصيدة على لسان الدكتور محبوب ثابت بعد أن نفق حصانه مكسويني:

يَمِينًا بِالطَّلَاقِ وَبِالْعِتَاقِ وَبِالدُّنْيَا الْمُعْلَقَمَةِ الْمَذَاقِ

أحلف بالطلاق وبالعناق (بعق عيدي)، وبهذه الدنيا المعلقة (المرّة) المذاق، والكلام على لسان الدكتور محبوب ثابت

وَكُلُّ فَقَارَةٍ فِي ظَهْرِ مَكْسِي بِصَحْرَاءِ الْإِمَامِ، وَعَظَمِ سَاقِ

وأحلف بكل فقرة في ظهر الحصان النافق مكسويني والمدفون في صحراء الإمام (الشافعي)، وأحلف بعظام ساقه

وَتُرْبَتِهِ، وَكُلُّ الْخَيْرِ فِيهَا، وَنَسَبَتُهُ الشَّرِيفَةُ لِلْبُرَاقِ

وأحلف بترته، ونسبه الذي يعود للبراق (الدابة التي عرجت بالرسول إلى السماء). لا تُرضي هذه الفكاهة المتزمتين في أيامنا، ولكن عصر شوقي كان عصراً يضحك فيه الأزهريون، وتسامرون مع الأدباء ويروون خمرياتهم، وينقدونها نقداً أدبياً لا دينياً، تماماً مثلما كان الفقهاء يفعلون في عصور الإسلام الزاهية

وَبِالْخُطْبِ الطَّوَالِ وَمَا حَوَّتُهُ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأُذْهَانِ بَاقِ

وأحلف بالخطب الطويلة وما فيها من معان، وإن نسيها الجميع

وَكَسْرِي الشُّعْرَ إِنْ أَنْشَدْتُ شِعْرًا وَنُطْقِي الْقَافَ وَاسِعَةَ النُّطَاقِ

وأحلف بكسري للشعر وأنا أرويه، ونطقي القاف الفخمة (وقد شبه حافظ إبراهيم قاف محبوب ثابت بطلقات المدفع)

أَيْشْتُمْنِي «سَلِيمَانُ بْنُ فُوزِي» وَيَبِي فِي يَدِي وَمَعِي طِبَاقِي
بعد هذا الحلف كله لا يقول لنا الدكتور ماذا سيفعل، بل يشكو من أن سليمان فوزي (صاحب
مجلة الكشكول المعادية للوفد) يشتمه وهو في كامل أُبّهته يحمل بيته (غليونه) ومعه طباقه (تَبْعُهُ)

تُقَاقِي ذَقْنُهُ مِنْ غَيْرِ بَيْضٍ وَلِي ذَقْنٌ تَبِيضٌ وَلَا تُقَاقِي
ذقن سليمان فوزي تقاقي (تخرج كصوت الدجاج): يتكلم وذقنه تتحرك ولكنها لا تبيض، وأما
ذقني أنا - والكلام على لسان محبوب - فهي تبيض دون أن تقاقي

أَنَا الطَّيَّارُ: رَجُلٌ فِي دِمَشْقٍ إِذَا اشْتَدَّتْ وَرَجُلٌ فِي الْعِرَاقِ
أنا أطير (أسافر مسرعاً) فِرَجَلٌ فِي دِمَشْقٍ وَرَجُلٌ فِي الْعِرَاقِ إِذَا اشْتَدَّتْ الْأَزْمَاتُ

أَلَا طُرٌّ عَلَى الْعَيْهَوْرِ طُرٌّ وَإِنْ أَبْدَى مَجَامِلَةَ الرَّفَاقِ
طرز على العيهور (الفاجر) رغم ما يبدي من مجاملة

بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ يَنَالُ مَنِّي وَيُوسِعُنِي عِنَاقاً فِي الرُّقَاقِ
بقارعة الطريق (وسط الطريق وأمام الناس) ينال مني (يؤذيني)، ويوسعني (يملأني) عناقاً في الرقاق
بعيداً عن الأنظار

وَلَيْسَ مِنَ الْغَرِيبِ سَوَادٌ حَظِّي وَبِالسُّودَانِ قَدْ طَالَ التَّصَاقِي
والدكتور محبوب أصل أبيه من دنقلة بالسودان، وظل يناصر قضية ارتباط مصر بالسودان

فَسَبْحَانَ الْمُفَرَّقِ! حَظٌّ قَوْمٍ قَنَاطِيرٌ وَأَقْوَامٌ أَوَاقٍ
فسبحان المفرق (الموزع للرزق)! فحظ البعض قناطير، وحظ آخرين أواق (الأوقية عيار وزن ضئيل
جداً بالقياس إلى القنطار)

أُمُورٌ يَضْحَكُ السُّعْدَاءُ مِنْهَا وَيَبْكِي الْبَلْشَفِيُّ وَالْإِشْتِرَاقِي
السعداء: الأغنياء المسعدون. الاشتراقي هذه فيها ظرف كثير، رجوت ألا يكون فاتك

٢٠٠ سحر الدرهم

قال شوقي يداعب الدكتور محبوب ثابت:

قُلْ لَابِنْ سَيْنَا: لَا طَبِيْبَ بَ الْيَوْمَ إِلَّا الدَّرْهَمُ
قل لابن سينا (يسخر من الدكتور محبوب ثابت) إن الطبيب الحقيقي اليوم هو الدرهم

هُوَ قَبْلَ «بُقْرَاطٍ» وَقَبْلَ لَكَ لِلْجِرَاحَةِ مَرْهَمُ
فهو قبل بقراط (طبيب اليونان) وقبلك يا دكتور محبوب مرهم الجراح

وَالنَّاسُ، مُذْ كَانُوا، عَلِيَّ دَائِرُونَ وَحُـوْمٌ

والناس، منذ كان ناس، يدورون ويحومون حول الدرهم

وَبِسِحْرِهِ تَعْلُو الْأَسَا فُلٌ فِي الْعَيُونِ وَتَعْظُمُ

بسحر الدرهم يعلو أسافل الناس ويعظمون في العيون

٢٠١ براغيث محجوب

قال شوقي يداعب الدكتور محجوب ثابت:

بِرَاغِيثٍ مَحْجُوبٍ لَمْ أَنْسَهَا وَلَمْ أَنْسَ مَا طَعِمْتَ مِنْ دَمِي

طعمت: أكلت

تَشُقُّ خَرَاتِيمُهَا جَوْرِي وَتَنْفُذُ فِي اللَّحْمِ وَالْأَعْظَمِ

تُرحَّبُ بِالضَّيْفِ فَوْقَ الطَّرِيقِ فَبَابِ الْعِيَادَةِ فَالْسُّلَمِ

قَدْ انْتَشَرَتْ جَوْقَةٌ جَوْقَةٌ كَمَا رُشَّتِ الْأَرْضُ بِالسُّنْمِ

وَتَرْقُصُ رُقْصَ الْمَوَاسِي الْحَدَادِ عَلَى الْجِلْدِ، وَالْعَلَقِ الْأَسْحَمِ

ترقص رقص المواسي (المسكين) الحداد (الحادة)، على الجلد، وترقص مثل العلق (الحشرات الماصة للدم) الأسحم (الأسود)

إِذَا مَا ابْنُ سِينَا رَمَى بَلْعَمًا رَأَيْتَ الْبِرَاغِيثَ فِي الْبَلْعَمِ

وَتُبَصِّرُهَا حَوْلَ بَيْبَا الرِّئِيسِ وَفِي شَارِبِيهِ وَحَوْلَ الْفَمِ

بيبا: غليون، والرئيس لقب ابن سينا

وَبَيْنَ خَفَائِرِ أَسْنَانِهِ مَعَ السُّوسِ فِي طَلَبِ الْمَطْعَمِ

خفائر: حُفَر، المطعم: الطعام

٢٠٢ رثاء المنفلوطي

قال شوقي يرثي المنفلوطي، ومات يوم أطلق الرصاص على سعد زغلول في محاولة

اغتيال. (يوليو/تموز ١٩٢٤):

اخْتَرْتُ يَوْمَ الْهَوْلِ يَوْمَ وَدَاعٍ وَنَعَاكَ فِي عَصْفِ الرِّيحِ النَّاعِي

اخترت، وكان المنفلوطي هو الذي اختار يوم موته!، يوم الهول (يوم إطلاق النار على سعد زغلول) لتودعنا، ونعاك الناعي والرياح عاصفة (قليل كان يوماً عاصفاً)

هَتَفَ النُّعَاةُ ضُحًى فَأَوْصَدَ دُونَهُمْ جُرْحُ الرَّئِيسِ مَنَافِذَ الْأَسْمَاعِ
جاء النعاة (ناقلو خبر وفاة المنفلوطي) بالخبر عند الضحى، ولكن إصابة سعد بجرح سدت أسماع
الناس، وشغلتهم عن وفاة المنفلوطي

مَنْ مَاتَ فِي فَرْعِ الْقِيَامَةِ لَمْ يَجِدْ قَدَمًا تُشَيِّعُ أَوْ حَفَاوَةً سَاعِ
من مات في يوم القيامة لم يجد قدماً تسير في تشييعه؛ وإصابة سعد جعلت مصر كيوم القيامة.
وشوقي في هذه الفترة من أصدقاء سعد، بعد أن كان عَرَضَ به في شعر سابق، وقد مكثه حزب
سعد «الوفد» في هذه الفترة من مقعد في مجلس الشيوخ

مَا ضَرَّ لَوْ صَبَرْتَ رَكَابُكَ سَاعَةً كَيْفَ الْوُقُوفُ إِذَا أَهَابَ الدَّاعِي
ماذا كان يضر لو صبرت ركابك (مطيتك) التي تأخذك إلى العالم الآخر ساعة (بعض الوقت) كي
يعطيك الناس ما تستحق من التوديع، ولكن هل يمكن الوقوف إذا أهاب (حجاً) داعي الآخرة؟

خَلَّ الْجَنَائِزَ عَنْكَ، لَا تَحْفَلْ بِهَا لَيْسَ الْغُرُورُ لِمَيِّتٍ بِمَتَاعِ
دع الجنائز والاهتمام بها، فالغرور الذي يجعل المرء حريصاً على جنازة فخمة لا يفيد الميت شيئاً

مَنْ ضَاقَ بِالدُّنْيَا فَلَيْسَ حَكِيمَهَا إِنْ الْحَكِيمَ بِهَا رَحِيبُ الْبَاعِ
حكيم الدنيا الحقيقي من كان رحيب الباع (واسع الصدر)

مَنْ شَوَّهَ الدُّنْيَا إِلَيْكَ فَلَمْ تَجِدْ فِي الْمُلْكِ غَيْرَ مُعَذِّبِينَ جِياعٍ؟
يخاطب المنفلوطي: من ذا الذي شوه الدنيا في عينك فلم تكن ترى في الملك (ملك الله/أي
الدنيا) سوى المعذبين والجِياع، وهذا كان حال المنفلوطي في نظراته وعبراته وما ترجم من
روايات جميعاً

لَا الْفَقْرُ بِالْعَبْرَاتِ حُصٍّ، وَلَا الْغِنَى غَيْرُ الْحَيَاةِ لَهْنٌ حَكْمُ مَشَاعِ
ليست العبرات (الدموع/ وهو اسم كتاب للمنفلوطي) خاصة بالفقر ولا بالغنى، وَغَيْرُ (مضائب)
الدنيا مشاع

مَا زَالَ فِي الْكُوخِ الْوَضِيعُ بَوَاعِثُ مِنْهَا، وَفِي الْقَصْرِ الرَّفِيعِ دَوَاعِ
يوجد في الكوخ دائماً بواعث تبعث على الدموع، وفي القصر الفخم ما يدعو للدموع أيضاً

فِي الْفَقْرِ حَيَاتٌ يَسِيْبُهَا بِهِ حَاوِي الْقَضَاءِ، وَفِي الرِّيَاضِ أَفَاعِ
كأن القضاء له حاوٍ ماهر من الحواة يسبب (يترك) الأفاعي تسرح في الفقر وحياة الفقراء؛ لكن
أيضاً في الرياض (البساتين) أفاعٍ

وَلَرَبُّ بُؤْسٍ فِي الْحَيَاةِ مُقَنَّنٌ أَرْبَى عَلَى بُؤْسٍ بِغَيْرِ قِنَاعِ
وثمة بُؤْس مُقَنَّنٌ أربى (زاد) على بُؤْس صريح

سَكَنَ الْأَحْبَةَ وَالْعِدَى، وَفَرَّغَتْ مِنْ حِقْدِ الْخُصُومِ وَمِنْ هَوَى الْأَشْيَاعِ
الآن بموتك سكن (هدأ) الأحبة والأعداء، واسترحت من حقد الخصوم ومن ميل الأشياء
(الأنصار) على حد سواء

فَافْزَعْ إِلَى الزَّمَنِ الْحَكِيمِ، فَعِنْدَهُ نَقْدٌ تَنْزَرُّ عَنْ هَوَى وَنِزَاعٍ
فافزع (فالجأ) إلى الزمن الحكيم، فالنقد الذي يوفره كُرُّ السنين نقد منزّه عن الغرض وعن
الخصومة. وكان شوقي يكره النقاد كراهية شديدة، وفي هذه السنة كانت قد مرت ثلاث سنين على
الهجمة القوية التي شنّها العقاد على شوقي في كتاب الديوان. وقيل إن شوقي كان يدفع للصحف
لتمدح شعره، أو لتمتّع عن نقده

فَإِذَا قَضَى لَكَ أَتَيْتَ مِنْ شُمِّ الْعُلَى بَثْنِيَّةٍ بَعُدَتْ عَلَى الطُّلَاعِ
فإذا حكم لك الزمن بالتفوق أتيت (رجعت) من الجبال العالية سالكاً ثنية (طريقاً جبلياً) بعيدة على
الطلّاع (الطالعين)، يقصد المنتقدين

وَأَجَلٌ مَا فَوْقَ التَّرَابِ وَتَحْتَهُ قَلَمٌ عَلَيْهِ جَلَالَةُ الْإِجْمَاعِ
وأجل ما فوق التراب وتحتَه قلم يجمع الناس على عبقريته

٢٠٣ نَجَاةُ سَعْدِ

قال شوقي عندما اعتدى على سعد زغلول شاب أطلق الرصاص فأصابه في ذراعه،
(١٩٢٤):

نَجَا وَتَمَائِلَ رُبَّانِهَا وَدَقَّ الْبَشَائِرَ رُكْبَانِهَا
نجا ثم تمايل للشفاء ربان السفينة، ودق ركبان السفينة (ركابها) الطبول بإعلان البشائر (الأخبار
الطيبة)

وَهَلَّلَ فِي الْجَوْ قَيْدَوْمُهَا وَكَبَّرَ فِي الْمَاءِ سُكَّانُهَا
وهلل (قال لا إله إلا الله) قيدوم السفينة (مقدمتها)، وكبّر (قال الله أكبر) سكان السفينة (دفتها)؛
والقيدوم أول السفينة والسكان في آخرها

تَحَوَّلَ عَنْهَا الْأَذَى، وَأَنْشَى عُبَابُ الْخُطُوبِ وَطُوفَانُهَا
تحول الأذى بعيداً عن السفينة التي هي مصر، وأنشئ بعيداً عباب (موج) الخطوب (المصائب)
وطوفانها

نَجَا نَوْحُهَا مِنْ يَدِ الْمُعْتَدِي وَضَلَّ الْمَقَاتِلَ عُذْوَانُهَا
نجا نوحها (قائد السفينة ويشبهه بنوح النبي) من يد المعتدي، وقد ضلّ (أخطأ) المقاتل (أجزاء
الجسم التي تسبب إصابتها في الموت قتلاً) عدوان هذه اليد

وَقَى الْأَرْضَ شَرَّ مَقَادِيرِهِ لَطِيفُ السَّمَاءِ وَرَحْمَانُهَا
وقى (حمى) الله الأرض شرَّ مقاديره (الشور التي كتبها علينا)

وَنَجَّى الْكَثَنَانَةَ مِنْ فِتْنَةٍ تَهْدَدَّتِ النَّيْلَ نِيرَانُهَا
ونجى الكثانة (مصر) من فتنة كانت ستحدث لو قتل سعد، وقد هددت نيران هذه الفتنة النيل (مصر)

يَسِيلُ عَلَى قَرْنٍ شَيْطَانِهَا عَقِيقُ الدَّمَاءِ وَعَقِيَانُهَا
وكانت تسيل على قرن شيطان هذه الفتنة (والشيطان، حسيما يتخيله الأوروبيون، ذو قرنين)
الدماء التي تشبه العقيق (الحجر الكريم الأحمر) وتشبه العقيان (الذهب الأحمر)، فالدماء ثمينة
كهذين الشيتين وحمراء مثلهما

فِيَا سَعْدُ! جُرْحُكَ سَاءَ الرِّجَالِ فَلَا جُرْحَتْ فِيكَ أَوْطَانُهَا
جرحك ساء الرجال، وأدعو أن لا تجرح بجرحك أوطان هؤلاء الرجال

وَقَتَكَ الْعِنَايَةَ بِالرَّاحَتَيْنِ وَطَوَّقَ جِيدَكَ إِحْسَانُهَا
وقتك (حمتك) العناية الإلهية براحتها، وطوَّقَ جِيدَكَ (عققتك) إحسان الله

أَرَى مَصْرَ يَلْهُو بِحَدِّ السَّلاحِ وَيَلْعَبُ بِالنَّارِ وَلَدَانُهَا
وراح بغير مجال العقول يُجِيلُ السِّيَاسَةَ غِلْمَانُهَا
وراح الغلمان بمصر يجيلون (يديرون) السياسة في مجال غير مجال العقل

وَأَيْنَ النُّبُوغُ وَأَيْنَ الْعُلُومُ وَأَيْنَ الْفَنُونَ وَإِتْقَانُهَا
فأين اعتبار النبوغ والعلم والفن والإتقان. وهذه الأربعة جميعاً مهمة عند شوقي الذي اطلع على ما
حققته فرنسا من كل ذلك. وهو يردد هذه التهمة كثيراً في قصائده

وَأَيْنَ مِنَ الْخُلُقِ حَظُّ الْبِلَادِ إِذَا قَتَلَ الشَّيْبَ شُبَّانُهَا
وما حظ بلدنا من الأخلاق عندما يقتل الشبان الشيب (الشائبين/المسنين)

وَأَيْنَ الْمَعْلَمُ، مَا خَطْبُهُ؟ وَأَيْنَ الْمَدَارِسُ، مَا شَأْنُهَا؟
وما شأن المعلم، وشأن المدارس؟ وهل تربي النشء على الخلق السليم

لَقَدْ عِبَتْ بِالنِّيَاقِ الْحُدَاةُ وَنَامَ عَنِ الْإِبِلِ رُغِيَانُهَا
لقد عبث الحداة (الجمالون الذين يغنون لجمالهم وهي تسير) بالنياق (إناث الجمال)، ونام الرعاة
وأهملوا الإبل

وَيَا سَعْدُ! أَنْتَ أَمِينُ الْبِلَادِ قَدْ امْتَلَأَتْ مِنْكَ أَيْمَانُهَا
أيمانها: أياديها اليمنى، فقد ملأت مصر يدها بسعد واكتفت بقيادته

ولَنْ تَرْضَى أَنْ تُقَدَّ الْقَنَاةُ وَيُبْتَرَّ مِنْ مِصْرَ سَوْدَانُهَا
لن ترضى أن تقد (تقطع) القناة منها، وفي ذلك الوقت كان الكلام كثيراً بشأن سيادة مصر على قناة
السويس، ولن ترضى أن يتر السودان فلا تعود لمصر سيادة عليه

وَحُجَّتُنَا فِيهِمَا كَالصَّبَاحِ وَلَيْسَ بِمُعْجِيكَ تَبْيَانُهَا
وحجة مصر، في القناة والسودان كليهما، واضحة ولا يعيك (يعجزك) تبانها (توضيحها)

فَمِصْرُ الرِّيَاضِ، وَسَوْدَانُهَا عِيُونُ الرِّيَاضِ وَخُلْجَانُهَا
فمصر هي البساتين، والسودان هو عيون الماء والخلجان (الأنهار) لهذه البساتين. أليس من
السودان يأتي النيل لمصر؟

وَمَا هُوَ مَاءٌ، وَلَكِنَّهُ وَرِيدُ الْحَيَاةِ وَشِرْيَانُهَا
وليس النيل ماء فحب بل شريان حياة

وَأَمَّا الشَّرِيكَ فَعِلَاتُهُ هِيَ الشَّرِكَاتُ وَأَقْطَانُهَا
وأما الشريك (إنجلترا، شريكة مصر في السيادة على السودان) فعلاته (حججه) في عدم إعطاء
السيادة لمصر وجود شركات تحتاج إلى القطن. وقد أصيب سعد بالرصاص في ساعده الأيمن وهو
في طريقه إلى إنجلترا للتفاوض على الاستقلال مع رئيس الوزراء البريطاني رمزي مكدونالد، وقد
سافر بعيد شفائه واجتمع مع مكدونالد في سبتمبر أيلول ١٩٢٤، وتمسك الإنجليز بالسيطرة شبه
المنفردة على السودان

وَحَرْبٌ مَضَّتْ نَحْنُ أَوْزَارُهَا وَخَيْلٌ خَلَّتْ نَحْنُ فِرْسَانُهَا
ومن حجج الإنجليز الحرب ضد المهدي في السودان لكننا كنا نحن أوزارها (أسلحتها)، ومن
حججهم الخيل التي خلت (مضت)، ولكننا كنا نحن فرسان هذه الخيل

فَأَيْنَ مِنَ الْمَنْشِ بَحْرُ الْغَزَالِ وَفَيْضُ نِيَانِزَا وَتَهْتَانُهَا
فأين من بحر المنش (القتال الإنجليزي بين فرنسا وإنجلترا) بحر الغزال (منطقة نيلية في السودان)
ونيانزا (بحيرة من منابع النيل، واسمها الأشهر بحيرة فكتوريا) وفيضا وتهانها (هطولها بالمطر)،
فقد نفهم مطابقة الإنجليز بحصة في بحر المنش أما بحر الغزال فما أبعد عنهم!

وَأَيْنَ التَّمَاسِيحُ مِنْ لُجَّةٍ يَمُوتُ مِنَ الْبَرْدِ حَيْتَانُهَا
وأين تماسيح النيل من لجة (بحر) يموت من البرد حيتانها، فالتماسيح يعيش في جو إفريقيا الحار
فقط

وَلَكِنْ رُؤُوسٌ لَأَمْوَالِهِمْ يَحْرُكُ قَرْنَيْهِ شَيْطَانُهَا
ولكن الأمر هو أن رؤوس أموالهم كرؤوس الشياطين التي تحرك قرونها

ودعوى القوي كدعوى السَّباع مِنْ النَّابِ وَالظُّفْرِ بُرْهَانُهَا
ودعوى (قضية) القوي هي كقضية السباع لا برهان عليها إلا الناب والظفر

٢٠٤ العلم والخلق

قال شوقي (١٩٢٤):

وَجَدْتُ الْعِلْمَ لَا يَبْنِي نَفْسًا وَلَا يُغْنِي عَنِ الْأَخْلَاقِ شَيْئًا
وَلَمْ أَرَ فِي السَّلَاحِ أَضْلَّ حَدًّا مِنْ الْأَخْلَاقِ إِنَّ صَحَبَتْ غَوِيًّا
كنت أحب لو كان شوقي قال غيباً بدل غوياً

٢٠٥ الروح

قال شوقي (١٩٢٤):

ضُمِّي قِنَاعَكَ يَا سَعَادُ أَوْ ارْفَعِي هَذِي الْمَحَاسِنُ مَا خُلِقْنَ لِبُرْقِعِ
ضمي قناعك واستري به وجهك يا سعاد، أو ارفعيه، لكن.. محاسنك ما خلقها الله لكي تبرقي
وتحجبها

بَلْ مَا يَضُرُّكَ لَوْ سَمَحْتَ بِجَلْوَةٍ إِنَّ الْعُرُوسَ كَثِيرَةُ الْمُتَطَلِّعِ
ولماذا لا تسمحين بجلوة (انكشاف العروس في عرسها)، والعروس كثيرة المتطلِّع (المتطلعين
الناظرين إليها)

لَيْسَ الْحِجَابُ لِمَنْ يَعِزُّ مَنَالُهُ إِنَّ الْحِجَابَ لِهِيَيْنِ لَمْ يُمْنَعِ
الحجاب ليس لمن يكون عزيز المنال، بل للفتاة التي ليس هناك من يمنعها ويحميها، وأنت ممتنعة
محمية ولست بحاجة لقناع. شوقي هنا يتغزل، لكنه يتحدث أيضاً عن «الروح» التي هي محجوبة
عنا مع أنها في حفظ الله

أَنْتِ الَّتِي اتَّخَذْتَ الْجَمَالَ لِعِزِّهِ مِنْ مَظْهَرٍ، وَلِسِرِّهِ مِنْ مَوْضِعِ
أنت اتخذك الجمال (ذات الجميل/الله) مظهرأ لعزه وموضعاً لسره

لِمَسَّتْكَ رَاحَتُهُ، وَمَسَّكَ رَوْحُهُ فَآتَى الْبَدِيعُ عَلَى مِثَالِ الْمَبْدِعِ
لمستك يد الله وروحه، فجئت بديعة لأنك مخلوقة المبدع

مَا بَالُ أَحْمَدَ عَيَّ عَنْكَ بَيَانُهُ بَلْ مَا لِعِيسَى لَمْ يَقُلْ أَوْ يَدَّعِ
كيف عَيَّ أحمد (عجز بيان الرسول محمد) عن شرحك، بل ما لعيسى لم يقل فيك شيئاً ولا
ادعى معرفة بك أيتها الروح

ولسانُ موسى انحلَّ إِلَّا عُقْدَةً مِنْ جَانِبِكِ علاجُها لم يَنْجِعِ
ولسان موسى النبي كان فيه لثغة ثقيلة فانحلت عقده (بأن رافقه أخوه المبین هارون) ولكن العقدة
التي به من جانبك لم ينجع (يفقد) فيها العلاج

٢٠٦ قم للمعلم

قال شوقي في حفل نادي المعلمين، وكان هذا الحفل قبل أسبوع من افتتاح البرلمان
(١٩٢٤):

قُمْ لِلْمَعْلَمِ، وَفِيهِ التَّبْجِيلُ كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا
قم للمعلم موفياً له التبجيل، فالمعلم كاد أن يكون رسولا. ما أكثر ما يأمر شوقي قراء شعره
بالتقيام، حتى لكأننا قاعدون على قلبه

أَعْلِمْتُ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي يَبْنِي وَيَنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا
سَبِّحَانَكَ اللَّهُمَّ! خَيْرَ مُعَلِّمٍ عَلَّمْتَ بِالْقَلَمِ الْقُرُونَ الْأُولَى
القرون: الأجيال، يشير إلى الآية: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾

أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ وَهَدَيْتَهُ النُّورَ الْمُبِينِ سَبِيلًا
عَلَّمْتَ يُونَانًا وَمِصْرَ، فَزَالَتَا عَنْ كُلِّ شَمْسٍ مَا تُرِيدُ أَفُولًا
علمت يا رب اليونان ومصر، فزالتا عن (خلفتا) شمساً من الحضارة لا تريد أفولا (غيباً)،
بخلاف شمس السماء التي تأفل كل يوم

وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ بِحَالِ طُفُولَةٍ فِي الْعِلْمِ تَلْتَمِسَانِهِ تَطْفِيلًا
ورجعت اليونان ومصر إلى حال الطفولة الحضارية، وهما الآن تلتتمان (تطلبان) العلم تطفيلًا
(تطفلاً)

ذَهَبَ الَّذِينَ حَمَوْا حَقِيقَةَ عِلْمِهِمْ وَاسْتَعَذَّبُوا فِيهَا الْعَذَابَ وَبَيْلًا
ذهب الذين حموا حقيقة (شرف) علمهم واستعذبوا (استطابوا) في سبيلها العذاب الوبيل (الشديد)

سَقْرَاطُ أَعْطَى الْكَأْسَ، وَهِيَ مَنِيَّةٌ، شَفَتْنِي مُجِبٌّ يَشْتَهِي التَّقْبِيلَ
سقراط اليوناني أعطى كأس السم - وهي منية (موت) - شفني مجب - شفني مجب

عَرَضُوا الْحَيَاةَ عَلَيْهِ، وَهِيَ غَبَاوَةٌ، فَأَبَى، وَآثَرَ أَنْ يَمُوتَ نَبِيلًا
عرضوا عليه التراجع عن آرائه أو الهرب من سجنه، ولكنه وجد الحياة غباوة بغير مبادئ، فرفض
وآثر (فضل) أن يموت نبيلًا

إن الشجاعة في القلوب كثيرةٌ ووجدتُ شُجاعانَ العقولِ قليلا
شجاعة القلب (التحمس وخوض القتال مثلاً) شائعة، وشجاعة العقل (الصمود في سبيل المبدأ)
نادرة

أَوْكُلُ مَنْ حَامَى عَنِ الْحَقِّ اقْتَنَى عِنْدَ السَّوَادِ ضِغَانًا وَدُحُولًا
هل كل من حامى (دافع) عن الحق صار عليه أن يقتني (يجتلب) لنفسه عند السواد (عامّة الناس)
الضغائن (الأحقاد) والدحول (الثارات)

لَوْ كُنْتُ أَعْتَقِدُ الصَّلِيبَ وَخَطْبَهُ لَأَقِمْتُ مِنْ صَلْبِ الْمَسِيحِ دَلِيلًا
لو كنت مؤمناً بالصلب وخطبه (شأنه) أن المسيح صلب ومات على الصليب كما يعتقد المسيحيون
لجعلت من صلبه دليلاً على قولِي

وَنَيْتُ خُطَى التَّعْلِيمِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَمَشَى الْهُوَيْنَى بَعْدَ إِسْمَاعِيلَا
ونيت (ضُعِفَت) خطى التعليم في مصر بعد محمد علي باشا، ومشى التعليم الهوينى (بطيئاً) بعد
الخدوي إسماعيل

حَتَّى رَأَيْنَا مِصْرَ تَخْطُو إِصْبَعَا فِي الْعِلْمِ إِنْ مَشَتْ الْمَمَالِكُ مِيلَا
تلك الكُفُورُ، وحشوها أُمِّيَّةً، مِنْ عَهْدِ خَوْفُو، لَمْ تَرَ الْقِنْدِيلَا
هذه الكفور (القرى) المحشوة بالأمية من عهد الفرعون خوفو، لم تعرف الكهرباء بعد

تَجَدُّ الَّذِينَ بَنَى الْمِسْلَّةَ جَدُّهُمْ لَا يُحْسِنُونَ لِإِبْرَةِ تَشْكِيلَا
هؤلاء الذين بنى جدهم الفرعوني المسلة (نصب على شكل إبرة ضخمة) لا يحسنون تشكيل
(صناعة) إبرة

رَبُّوْا عَلَى الْإِنْصَافِ فِتْيَانُ الْجِمَى تَجِدُوهُمْ كَهَفَ الْحَقُوقِ كُھُولَا
أيها المعلمون: ربوا الفتيان على العدل تجدوهم في كهولتهم (رجولتهم المتقدمة) كهفاً (ملاذاً)
لحفظ الحقوق

وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلَا
إِنِّي لَأَعِذُّكُمْ، وَأُخَسِّبُ عِثَّتَكُمْ، مِنْ بَيْنِ أَعْبَاءِ الرِّجَالِ، ثَقِيلَا
لكم العذر فعبثكم، من بين كل الرجال، ثقیل

وَجَدَ الْمُسَاعِدَ غَيْرُكُمْ، وَحُرْمَتُمْ، فِي مِصْرَ، عَوْنَ الْأُمَهَاتِ جَلِيلَا
غيركم وجد من يساعده في عمله، وأنتم حرمتكم المساعدة الجليلة المنتظرة من الأمهات في التربية
وَإِذَا النِّسَاءُ نَشَأْنَ فِي أُمِّيَّةٍ وَرِثَ الرِّجَالُ جَهَالَةً وَخُمُولَا

لَيْسَ الْيَتِيمُ مَنِ انْتَهَى أَبَوَاهُ مِنْ هَمِّ الْحَيَاةِ، وَخَلَّفَاهُ ذَلِيلًا
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلْقَى لَهُ أُمًّا تَخَلَّتْ، أَوْ أَبًا مَشْفُولًا

اليتيم الحقيقي هو الذي تجده له أمًا تخلت عن واجباتها، وأبًا شغلته المشاغل عن العناية بابنه

مَصْرُ إِذَا مَا رَاجَعْتَ أَيَّامَهَا لَمْ تَلَقَ لِلْسَبْتِ الْعَظِيمِ بَدِيلًا

السبت العظيم: ١٥/٣/١٩٢٤ اليوم الذي سيفتح فيه البرلمان بعد أسبوع من إلقاء القصيدة

الْبَرْلَمَانُ غَدًا يُمَدُّ رُواقُهُ ظِلًّا عَلَى الْوَادِي السَّعِيدِ ظَلِيلًا

غداً يُمدُّ رواق (مظلة) البرلمان ليظلل وادي النيل

حَيُّوا مِنَ الشَّهَدَاءِ كُلِّ مُعَيِّبٍ وَضَعُوا عَلَى أَحْجَارِهِ إِكْلِيلًا

نَاشَدْتُكُمْ تِلْكَ الدَّمَاءَ زَكِيَّةً لَا تَبْعَثُوا لِلْبَرْلَمَانِ جَهُولًا

٢٠٧ عزة الموت

قال شوقي في أربعين عاطف بركات، وكيل وزارة التعليم، (١٩٢٤):

خَفَضْتُ لِعِزَّةِ الْمَوْتِ الْيَرَاعَا وَجَدَّ جَلَالُ مَنْطِقِهِ فَرَاعَا

خفضت اليراع (القلم) لعزة (سطوة) الموت، وكان منطق الموت (كلام الموت) جاداً وجليلاً
فراعني (أخافني)

فَإِنْ تَقُلَّ الرِّثَاءَ فَقُلْ دُمُوعاً يُصَاغُ بِهِنَّ، أَوْ حِكْمًا تُرَاعَى

فإن تقل الرثاء فليكن من الدموع يصاغ منها، أو من الحكم التي تراعى (تُتبع)

وَلَا تَكُ مِثْلَ نَادِيَةِ الْمُسَجَّى بَكَتْ كَسْبًا، وَلَمْ تَبْكِ التِّيَاعَا

ولا تكن مثل النادية التي تنوح على الجثمان المسجي (الممدد)، فهي تبكي لكسب المال وليس
لالتياعها (حرقها)

خَلَّتْ دُولُ الزَّمَانِ، وَزُلْنَ رُكْنَا وَرُكْنُ الْأَرْضِ بَاقٍ مَا تَدَاعَى

خلت (زالت) دول الزمان، وزالت أركانها، ولكن الأرض باقية لا تتداعى أركانها

وَلَوْ أَبَتْ ثَوَاكِلُ كُلِّ قَرْنٍ وَجَدَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَتَّكِلْ شُعَاعَا

ولو رجعت النساء الثواكل (الفاقدات للأبناء) من كل قرن (جيل) مضى لوجدن الشمس على حالها
لم تفقد شعاعاً واحداً من أشعتها

٢٠٨ من خانه الدهر

قال شوقي في المؤتمر الجغرافي (١٩٢٥):

يا لَيْلِيَّالِي لِإِسْمَاعِيلَ مِنْ سِنَّةٍ طَالَتْ، وَحَيْنَ مِنَ الْأَقْدَارِ قَدْ حَانَا
أَسْتَعِثْ بِاللَّيَالِي لِذِكْرِ الْخُدْيَوِيِّ إِسْمَاعِيلَ مِنْ هَذِهِ السِّنَةِ (الغفوة) التي طالت، وهذا الحين
(الهلاك) الذي جاءت به الأقدار وحان (اقترب) وقته

قَدْ خَطَّ شِعْرِي عَلَى الشَّعْرَى لَهُ جَدَثًا وَخَاطَ مِنْ لَمَحَاتِ الشَّمْسِ أَكْفَانَا
لقد خططت (بنيت) شعري على الشعري (النجم المعروف) جدثاً (قبراً) للخديوي إسماعيل، وخاط
(حاك حياكة) شعري له من لمحات (بريق) الشمس كفنًا، فقد مدحته ونوّهت بذكره

وَلَوْ مَشَتْ بِي اللَّيَالِي تَحْتَ كَوْكَبِهِ غَادَرْتُ أَحْمَدَ نِسِيًّا، وَابْنَ حَمْدَانَا
ولو قدّر لي أن تمشي الليالي (الزمن) بي تحت كوكبه (في ظل حكمه)، لكنك غادرت (تركت)
أحمد (أحمد بن الحسين المتنبّي) نسيًّا (منسيًّا) وكذلك ابن حمدان (سيف الدولة الحمداني، ونحن
نتذكره بسبب المتنبّي؛ فلو أفلح شوقي في شطب المتنبّي لشطب معه سيف الدولة تلقائيًّا)

مَدَّ الْكِنَانَةَ أَطْرَافًا، وَوَسَّعَهَا مُلْكًا، وَأَتْرَعَهَا خَيْلًا وَفُرْسَانًا
وسّع إسماعيل مصر، وأترعها (ملأها) خيلًا وفرسانًا

خَيَالُ مُلْكٍ تَلَمَّسْنَا حَقِيقَتَهُ فَأَخْطَأْنَا، وَكَانَتْ حَظُّ يَابَانَا

وكان ذلك التوسّع خيال (شبح) مُلْكٍ أردنا له أن يكون حقيقياً، ولكن حقيقته أخطأتنا
(لم تصبنا) وكانت من حظ اليابان. يطرح هذا البيت سؤالاً يحتاج إلى كتاب كبير لتوفير
الإجابة. وليس عندي شيء من هذه الإجابة لذا أكتفي بتفسير السؤال: قد نهضت مصر
في عهد محمد علي، وكانت لها نهضة في عهد إسماعيل (ورأى إسماعيل في أواسط
سني حكمه الستة عشر اليابان تنهض بقوة)، وفي بدايات القرن العشرين ظللنا نحس أن
مصر ستخرج من قمقم الدول المتخلفة وستلحق باليابان، لكن نهضة مصر انتكست كما
يقول شوقي في هذا البيت (والبيت يسبق ثورة ١٩٥٢ وحكم العسكر بسبع وعشرين
سنة). فلماذا لا تنهض مصر كاليابان وماليزيا وكوريا الجنوبية؟ في البيت التالي سيكون
جواب شوقي أن الدهر خان مصر. وهو جواب شاعر. . وهو كلاجواب. على أن هذا
البيت، الحالي، يحمل إحساساً عميقاً بأن قطار النهضة فات مصر

مَنْ خَانَهُ الدَّهْرُ خَانَتُهُ صَنَائِعُهُ وَعَادَ ذَنْبًا لَهُ مَا كَانَ إِحْسَانًا
من خانه الدهر خانتته صنائعه (حسانته)، وعاد (صار) يُعَدُّ ذنباً من ذنوبه ما كان من إحسانه

٢٠٩ سباق في التنويه بالسباقين

قال شوقي مذكراً الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون قبل ثلاث سنوات (١٩٢٥):

دَرَجَتْ عَلَى الْكَنْزِ الْقُرُونُ وَأَتَتْ عَلَى الدَّنِّ السَّنُونُ

درجت (مشت) على الكنز القرون (مئات السنين)، وأتت (مرت) على الدن (وعاء الخمر) السنوات

حتى أتى العِلْمُ الجَسُو رُ، ففَضَّ خَاتِمَهُ المَصُونُ

حتى جاء العلم الجريء ففض (فتح) ختم هذا الكثر المصون (المحمي)

والعِلْمُ بِدْرِيٍّ أَحَلَّ- لأهلِهِ ما يَصْنَعُونَ

والعلم بدريٍّ (مثل مقاتلي بدر الذين غفرت لهم ذلاتهم السابقة واللاحقة، لذا فلهم أن يصنعوا ما يشاؤون)، وحلال لأهل العلم كل ما يصنعون

واندَسَّ كالمَصْبَاحِ في حُفَرٍ مِنَ الأَجْدَاثِ جُونُ

اندس العلم كأنه المصباح في حفر جُون (سود) هي حفر الأجداث (القبور)

خَانَتْ أمانةً جَارِها والقَبْرُ كالدنيا يَخُونُ

هذه القبور خانت أمانة جارها (ساكنها)، بأن سلمت جثمانه للآثاريين

يا ابْنَ الثَّوَاقِبِ مِنْ رَعٍ وابْنَ الزَّوَاهِرِ مِنْ أَمُونِ

يا توت عنخ آمون، يا ابن النجوم الثاقبة (المتقدة) من نسل رع (إله الشمس)، وابن النجوم الزاهرة من نسل آمون (إله الخصب)

هذا القِيَامُ، فَقُلْ لَنَا الـ يَوْمُ الأَخِيرُ متى يَكُونُ

ظهورك بمثابة القيام (قيام المسيح من قبره، بحسب معتقد المسيحيين)، فمتى يا ترى يكون يوم القيامة؟

الْبَعَثُ غَايَةُ زَائِلٍ فإِنْ، وَأَنْتُمْ خَالِدُونَ

البعث من القبور ودخول حياة الخلود غاية كل إنسان زائل فإن، وأما أنتم فخالدون أولردي بما تركتم من معالم

السَّبْقُ مِنْ عَادَاتِكُمْ أَتَرى الْقِيَامَةَ تَسْبِقُونَ؟

وعادتكم هي السبق، فهل بقيامك هذا تريد أن تسبق يوم القيامة؟

ذَهَبَ بِبَطْنِ الأَرْضِ لَمْ تَذْهَبْ بِلَمَحَتِهِ القُرُونُ

عثر على ذهب في جوف الأرض لم تذهب القرون بلمحته (بريقه)

مَلِكُ المَمْلُوكِ! تَحِيَّةٌ وولاءٌ مُخْتَفِظُ أَمِينِ

يا ملك الملوك تحية مني أنا الذي حفظت لك حسناتك وكنْتُ أميناً على تراثك

هَذَا المَقَامُ عَرَفْتُهُ وَسَبَقْتُ فِيهِ القَائِلِينَ

فأنا عرفت مقام (مكانة) الفراغة، وسبقت كل الشعراء في التنويه بذكرهم وآثارهم

سالت عيون قصائدي وجرى من الحَجَرِ المَعِينِ

سالت عيون قصائدي (ينابيع قصائدي) بالآيات العذبة، وجرى المعين (الماء) من الحجر (الآثار الحجرية للفراغة). تلعب لفظي متداخل. فعيون القصائد جيادها، وعيون الوجه هي التي تسيل بالدموع، والعيون هي الينابيع؛ والمعين نبع وقد يخرج من الحجر بقدرة الله، والحجر أيضاً هو آثار الفراغة، وكلّ أولئك قصد شوقي

أَقَعَدْتُ جَيْلاً لِلْهَوَى وَأَقَمْتُ جَيْلاً آخَرِينَ

أنا أقعدت الجيل السابق بقصائد الغزل، وأقمت الجيل الحاضر بشعري الفرعوني، يقول إنه أقام الدنيا وأقعدتها بألوان شعره المختلفة. وفي حديث صحافي لأحمد شوقي، للأهرام عام ١٩٢٧، قال إن هذه القصيدة هي الأثرية عنده. كانت جديدة آنذاك وكان ممتازاً بها

٢١٠ تحرش

قال شوقي يذكر ربوع لبنان (١٩٢٥):

دَخَلَ الْكَنِيسَةَ، فَارْتَقَبْتُ فَلَمْ يُطَلْ فَأَتَيْتُ دُونَ طَرِيقِهِ فَرَحَمْتُهُ

دخل محبوبي الكنيسة فارتقبت (انتظرت) فلم يُطل المكوث، وعندما خرج تحرشت به وزاحمت في الطريق

فَارْزَوْرَ غَضْبَاناً وَأَعْرَضَ نَافِراً حَالاً مِنَ الْغَيْدِ الْمَلَا حَ عَرَفْتُهُ

فارزور (أشاح عني) غاضباً ونفر مني، وهذا الحال أعرفه من الغيد (الحسان) الملاح (الجميلات)

فَصَرَفْتُ تَلْعَابِي إِلَى أَتْرَابِهِ وَزَعَمْتُهُنَّ لُبَانَتِي، فَأَغَرْتُهُ

فصرفت تلعابي (لهوي وغزلي) عنه إلى الفتيات الأخريات، وزعمت أنهن لباني (غايي) فأغرته (أشعرته بالغيرة)

فَمَشَى إِلَيَّ، وَلَيْسَ أَوَّلَ جُوذِرٍ وَقَعْتُ عَلَيْهِ حَبَائِلِي فَقَنَصْتُهُ

فأتى المحبوب إلي عندئذ، وليس هو أول جوذر (ولد بقر الوحش) رميت عليه حبائلي (شباكي) فقنصته (صدته)

٢١١ قم ناج جلق

قال شوقي في حفل تكريمه بالمجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٢٥):

قُمْ نَاجَ جِلْقَ، وَانْشُدْ رَسْمَ مَنْ بَانَا مَسَّتْ عَلَى الرَّسْمِ أَحْدَاثُ وَأَزْمَانُ

على طريقته التي لا يدعها يطلب شوقي من قارئه أن يقوم لبناجي (يحادث) جلق (دمشق) وليُشَدَّ (يتعقب) رسم (أثر) من بانوا (رحلوا)، وقد مشت الأحداث والسنوات على هذا الأثر

بنو أميةً للأنبياءِ ما فَتَحُوا وللأحاديثِ ما سادوا وما دانوا
 بنو أمية فتوحاتهم صارت نبأ من الأنبياء، وما سادوا ودانوا (أخضعوا) من أقوام صار للأحاديث
 كانوا ملوكاً سريرُ الشرقِ تحتهُم فهل سألتَ سريرَ الغربِ ما كانوا
 كانوا ملوكاً تحتهُم سرير (عرش) الشرق، فهل سألت عرش الغرب أيضاً ماذا كان شأنهم؟ فهم
 أيضاً ملوكوا عرش الأندلس في الغرب

بالأمسِ قمتُ على الزَّهراءِ أُنذِبُهُم واليومَ دمعي على الفيحاءِ هَتَّانُ
 بالأمس (وأنا منفي في إسبانيا) نذبت بني أمية في «الزهراء» قرب قرطبة، واليوم دمعي هتان
 (هطال) على الفيحاء (دمشق)

لولا دمشقُ لما كانتْ طُلَيْطَلَةٌ ولا زَهَتْ ببني العباسِ بَغْدَانُ
 لولا دمشق لما فتح العرب طليطلة بالأندلس، ولا زمت (ازدانت) بغداد ببني العباس
 مررتُ بالمسجدِ المحزونِ أسألهُ هل في المُصلَّى أو المحرابِ مَرَوَانُ
 مررت بالمسجد الأموي الحزين أسأله عن مروان (مروان بن الحكم أبو الخلفاء الأمويين بعد
 معاوية الثاني)

تَغَيَّرَ المسجدُ المحزونُ، واختلَفَتْ على المنابرِ أحرارٌ وعُبدانُ
 تغير المسجد الأموي وتعاقبت على منابره السادة والعبيد يحكمون دمشق

خَلَفْتُ لِبْنَانَ، جناتِ النعيمِ، وما تُبْتُ أَنْ طَرِيقَ الخُلْدِ لِبْنَانُ
 تركت لبنان وهو في عيني الجنة، ولم يخبرني أحد أنه هو الطريق إلى الجنة لا الجنة نفسها..

حتى انحدرتُ إلى فيحاءٍ وارفَةٍ فيها الندى، وبها طيٌّ وشَيْبانُ
 حتى انحدرت (نزلت) إلى فيحاء (زكية الرائحة/ الفيحاء لقب دمشق) وارفة الظلال، وبها قوم
 أصولهم من عرب طيء وشيخان، فهنا الجنة

نزلتُ فيها بِفَتَيانٍ جَاحِجَةٍ آباؤهم، في شبابِ الدهرِ، عَسَّانُ
 نزلت ضيفاً بفتيان جاحجة (سادة)، آباؤهم الأقدمون - عندما كان الزمن في شبابه - قبيلة غسان.
 ما كان ضر شوقي لو أبعد هذه الجاحجة عن شعره. إنها للالذابة في طبق المهلبية

بِبيضِ الأيسرَةِ، باقٍ فيهِمُ صَيِّدٌ مِنْ عبدِ شمسٍ، وإنْ لم تَبَقْ تيجانُ
 بيض الأسرة (الوجوه) فيهم صَيِّد (شموخ) باقٍ من زمن عبد شمس (جد بني أمية)، وإن لم تبق
 لهم التيجان

المُلْكُ أَنْ تَعْمَلُوا ما اسْتَطَعْتُمْ عملاً وَأَنْ يَبِينَ على الأعمالِ إتقانُ
 الملك هو أن تعملوا بجد، ويأتقان

المُلْكُ أَنْ تَخْرُجَ الْأَمْوَالُ نَاشِطَةً لَمْ تَلْبِ فِيهِ إِصْلَاحٌ وَعُمْرَانُ

الملك هو أن تُفَقَّ الأموال في الإصلاح والعمران

المُلْكُ تَحْتَ لِسَانٍ حَوْلَهُ أَدَبٌ وَتَحْتَ عَقْلِ عَلَى جَنْبَيْهِ عِرْفَانُ

الملك يحتاج إلى لسان يدعمه الأدب، وإلى عقل مدعوم من جانبيه بالمعرفة

المُلْكُ أَنْ تَتَلَقَّوْا فِي هَوَى وَطِنٍ تَفَرَّقَتْ فِيهِ أَجْنَسٌ وَأَبْدَانُ

الملك هو الالتقاء في حب الوطن، وإن تفرقت (اختلفت) أجناس وأشكال المواطنين

نَصِيحَةٌ مِلْؤُهَا الْإِخْلَاصُ صَادِقَةٌ وَالنَّصِيحُ خَالِصُهُ دِينٌ وَإِيمَانُ

والشُّعْرُ، مَا لَمْ يَكُنْ ذِكْرِي وَمَوْعِظَةٌ أَوْ حِكْمَةٌ، فَهُوَ تَقْطِيعٌ وَأَوْزَانُ

٢١٢ على قبر نابليون

قال شوقي بعد زيارة لقبر نابليون (١٩٢٥):

لَيْسَ فِي قَبْرِ وَإِنْ نَالَ السُّهَاءُ مَا يَزِيدُ الْمَيِّتَ زِنًا وَيَزِينُ

ليس في أي قبر، حتى وإن رفعوا بنيانه ليلصل إلى نجمة «الها»، ما يزيد من قيمة الميت أو يزيّنه (يُزَيِّنُهُ)

فَانْزِلِ التَّارِيخَ قَبْرًا، أَوْ قَنَمٌ فِي الثَّرَى غُفْلًا كَبَعْضِ الْهَامِدِينَ

فانزل التاريخ واتخذه قبراً (ليكن التاريخ هو موضع ذكراك فهذا هو الخلود في الدنيا)، وسوى ذلك فلتنم في الثرى (التراب) غفلاً (نكرة مجهولاً) كبعض الناس الهامدين (المنطفئين)

وَاخْذَعْ الْأَحْيَاءَ مَا شِئْتَ، فَلَنْ تَجِدَ التَّارِيخَ فِي الْمُنْتَحِدِينَ

اخذع الأحياء ما شئت، ولكن التاريخ لا ينخدع

لَا يَقُولَنَّ امْرُؤٌ أَصْلِي، فَمَا أَصْلُهُ مِسْكٌ وَأَصْلُ النَّاسِ طِينٌ

لا يبتأ امرؤ بأصله، فكلنا من طين وليس أحد مخلوقاً من المسك

قَدْ تَتَوَجَّعَتْ، فَقَالَتْ أُمٌّ: وَلَدُ الثُّورَةِ عَقَّ الشَّائِرِينَ

يا نابليون! عندما وضعت التاج على رأسك وأعلنت نفسك إمبراطوراً قالوا إن ابن الثورة عق (خان) الشائرين

وَتَزَوَّجَتْ، فَقَالُوا: مَا لَهُ وَلِحُورٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلْكِ عَيْنٌ

وعندما تزوجت من بيت مالك قالوا: ما لهذا الرجل ذي الأصل العادي ولبنات الملوك الحور (الجميلات العيون) العين (الجميلات العيون)

قَسَمًا لَوْ قَدَرُوا مَا احْتَشَمُوا، لَا يَعِفُّ النَّاسُ إِلَّا عَاجِزِينَ
وأقسم لو أن هؤلاء المعترضين قدروا على ما صنعت لما احتشموا (خجلوا) من الشيء نفسه،
والناس لا يعفون (يترفعون) إلا عندما يعجزون عن نيل الشيء

أَرَأَيْتَ الْخَيْرَ وَافَى أُمَّةً لَمْ يَنَالُوا حَظَّهُمْ فِي النَّابِغِينَ
هل وجدت أمة نالها الخير والازدهار دون أن تنال نصيبها من الأفراد النابغين؟

يَصْلُحُ الْمُلْكُ عَلَى طَائِفَةٍ هُمْ جَمَالُ الْأَرْضِ حِينَ بَعْدَ حِينٍ
الملك يصبح صالحاً على طائفة (بوجود جماعة) من المتميزين الذين هم جمال الأرض، والذين
يأتون حيناً بعد حين

قُمْ إِلَى الْأَهْرَامِ وَاخْشَعْ وَاطَّرِحْ حَيْلَةَ الصَّيْدِ وَزَهْوَ الْفَاتِحِينَ
قم يا نابليون من قبرك وتعال إلى الأهرام واخشع أمامها، واطرح (اخلع) حيلة (تكبر) الصيد
(الأسياذ) وزهو (تكبر) الفاتحين

وَأَعِذْهَا كَلِمَاتٍ أَرْبَعًا قَدْ أَحَاطَتْ بِالْقُرُونِ الْأَرْبَعِينَ
وأعد كلماتك الأربع المشهورة التي قلتها لجندوك عند الأهرام (أربعون قرناً تظلي عليكم) والتي
أحاطت بـ (لخصت) أربعين قرناً من الزمان

قَدْ عَرَضْتَ الدَّهْرَ وَالْجَيْشَ مَعًا، غَايَةً قَصَرَ عَنْهَا الْفَاتِحُونَ
قد استعرضت جيشك والزمان معاً، وهذه غاية قصر عنها الفاتحون بلك

عِظَةٌ قَوْمِي بِهَا أَوْلَى، وَإِنْ بَعْدَ الْعَهْدِ، فَهَلْ يَعْتَبِرُونَ
والأهرام عظة (عبرة)، وقومي من بني مصر أولى بها من غيرهم رغم بعد عهد الفراعنة، فهل
تراهم يعتبرون؟

هَذِهِ الْأَهْرَامُ تَارِيخُهُمْ، كَيْفَ مِنْ تَارِيخِهِمْ لَا يَسْتَحُونَ
الأهرام تاريخهم، فكيف لا يستحون منه، إذ هم مقصرون عن إنجازات أجدادهم

قُمْ تَرِ الدُّنْيَا كَمَا غَادَرَتْهَا مِنْزَلُ الْغَدْرِ وَمَاءُ الْخَادِعِينَ
قم يا نابليون، وسترى الدنيا كما غادرتها، سترها مكان الغدر، وماء الخادعين (موضع
الخادعين). وكانت العرب تنزل في المكان وتسميه ماء كذا أو كذا لوجود عين ماء فيه، فكلمة
«ماء» صارت تعني «موضعا»

وَتَرِ الْحَقَّ عَزِيزًا فِي الْقَنَا هَيْنًا فِي الْعُرْلِ الْمُسْتَضْعَفِينَ
وسترى الحق عزيزاً (قوياً) وسط القنا (الرماح)، وهيناً (مهاناً) في صحبة العرل المستضعفين
(الضعفاء)

وَتَرَ الْعِزَّ لِسَيْفِ نَزِقٍ فِي بِنَاءِ الْمُلِكِ، أَوْ رَأَى رَزِينَ
وسترى العز لل سيف النزق (الخفيف) في تشيد الملك، وللرأي الرزين (الحكيم)

سُنَنُ كَانَتْ، وَنَظَمٌ لَمْ يَزَلْ وَفَسَادٌ فَوْقَ بَاعِ الْمَصْلَحِينَ
هذه سنن (قوانين) كانت موجودة دائماً، ونظام لم يزل على حاله، نظام «الحق للقوي»، وهناك
فساد فوق باع (قدرة) المصلحين

٢١٣.. وهذي الضجة الكبرى علاماً؟

قال شوقي في الذكرى السابعة عشرة لوفاة مصطفى كامل (١٩٢٥):

إِلَامَ الْخُلْفِ بَيْنَكُمْ إِلَامَا وَهَذِي الضَّجَّةُ الْكُبْرَى عَلَامَا
إلى متى الخلف (الاختلاف) بينكم؟ وهذه الضجة الكبرى على ماذا؟

وَفِيمَ يَكِيدُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَتُبْدُونَ الْعِدَاوَةَ وَالْخِصَامَا
وفي ماذا يكيد بعضكم لبعض، وتظهرون العداوة والخصومة؟

وَأَيْنَ الْفَوْزُ؟ لَا مَصْرُ اسْتَقَرَّتْ عَلَى حَالٍ، وَلَا السُّودَانُ دَامَا
وأين الفوز (النجاح)؟ فلا مصر استقرت على حال، ولا السودان دام تحت السيادة المصرية
الحقيقية

وَأَيْنَ ذَهَبْتُمْ بِالْحَقِّ لَمَّا رَكِبْتُمْ فِي قَضِيَّتِهِ الظُّلَامَا
وأين ذهبتُم بالحق بعد أن انتهجتم في المطالبة به طريق التآمر والدسائس؟

شَبَبْتُمْ بَيْنَكُمْ فِي الْقُطْرِ نَاراً عَلَى مُحْتَطِّهِ كَانَتْ سَلَامَا
شبيتم (أشعلتم) بينكم ناراً في مصر من الفتن، ولكنها كانت سلاماً على المحتلين

إِذَا كَانَ الرُّمَاءُ رُمَاءَ سُوءٍ أَحَلُّوا غَيْرَ مَرْمَاهَا السُّهَامَا
والرماة إذا كانوا ذوي نية سيئة لم يصوبوا سهامهم إلى المرمى (الهدف)

وَلَيْنَا الْأَمْرَ حِزْباً بَعْدَ حِزْبٍ قَلِمَ نَكُ مُصْلِحِينَ وَلَا كِرَامَا
ولينا الأمر (تولينا الحكم) حزباً بعد حزب، فلم نكن مصلحين ولا كراماً

وَسُنَّ الْأَمْرَ حِينَ خَلَا إِلَيْنَا بِأَهْوَاءِ النُّفُوسِ فَمَا اسْتَقَامَا
وسننا الأمر (سيرنا الحكم بالسياسة) حين خلا إلينا (آل إلينا بعد رفع الحماية البريطانية) بأهواء
النُّفُوسِ (حسب مصالحها) فما استقام الحكم

٢١٤ خير جليس

قال شوقي في الكتاب (١٩٢٥):

أَنَا مَنْ بَدَّلَ بِالْكُتُبِ الصُّحَابَا لَمْ أَجِدْ لِي وَافِياً إِلَّا الْكِتَابَا
تركت أصحابي واتخذت الكتب أصحاباً، فلم أجد وافياً سوى الكتاب

صُحْبَةً لَمْ أَشْكُ مِنْهَا رِيْبَةً وَوِدَادٌ لَمْ يُكَلِّفْنِي عِتَابَا
وصحبة الكتاب لست أشكو منها أي ريبة (شك)، ووداد الكتاب ليس فيه عتاب كوداد الأصحاب

٢١٥ تصفير المسألة

قال شوقي في تأبين عبد اللطيف الصوفاني، من رجال الحزب الوطني، (١٩٢٥):

شَأْنُكَ وَالدمْعَ والبِكَاءَ لَا تَدْخِرْ فِي الشُّؤُونِ مَاءَ
حرر الدمع وأطلق البكاء على هواك، ولا تدخر في الشؤون (مجاري الدمع في العيون) ماء (دمعاً)
مَا كَانَ قُصَّاً وَلَا زِيَاداً وَلَا بِسِحْرِ الْبَيَانِ جَاءَ
المرثي لم يكن فصيحاً كقص بن ساعدة الإيادي، ولا كزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني،
ولم يأت بسحر البيان

لَكُنْ إِذَا قَامَ قَالَ صِدْقاً وَجَانِبَ الزُّورِ وَالرِّيَاءِ
لكنه كان صادق القول، ويجانب (يتجنب) الزور (الكذب) والرياء (الادعاء). يقول زكي مبارك ما
معناه: كنت مع شوقي وقد مات الصوفاني، وأخذ شوقي يردد متحيراً متبرماً: أكان الرجل
فيلسوفاً، أم خطيباً؟ أم أي شيء كان؟ ثم جاءت القصيدة فإذا بها «ما كان قساً ولا زياداً...».

سَبْحَانَ مَنْ قَاتَهُ غُدُوًّا وَكَفَّ عَنْ قُوْتِهِ عِشَاءً
فسبحان الله الذي قاته (رزقه طعامه) غدوًّا (صباحاً)، ومنعه قوته عِشَاءً، لأنه مات في يومه
يَا لَكَ دُنْيَا لَذْتُ نَعِيماً لِلْقَوْمِ، وَاسْتُعْذِبْتُ بِلَاءَ
يا لك من دنيا لذت للقوم (طابت لهم) وهي نعيم، واستُعْذِبْتُ (طابت) لهم أيضاً وهي بلاء، فنحن
نحب الحياة في كل أحوالها

إِذَا انْتَهَيْنَا مِنْهَا تَسَاوَى مَا سَرَّ مِنْ حَالِهَا وَسَاءَ

إذا انتهينا من الدنيا تساوى طرفا المعادلة وأصبح الجواب صفراً، وصار ما سرّاً وما
سائاً من الدنيا متساوين. روي القصيدة الهمزة المفتوحة، وأبياتها الثلاثة والأربعون
مفتوحة الهمزة، ولكن الموسوعة الشوقية قيدت القافية وأضاعت تعب الشاعر في
اجتناب الكسر والضم واصطيد الموضع الإعرابي الذي يأذن بالفتحة

٢١٦ قم في فم الدنيا وحي الأزهر

قال شوقي في حفل إصلاحات الأزهر (١٩٢٥):

قُمْ فِي فَمِ الدُّنْيَا وَحَيِّ الْأَزْهَرَ وَانثُرْ عَلَى سَمْعِ الزَّمَانِ الْجَوْهَرَ
قم يا هذا كأنك لسان يلعلع داخل فم الدنيا، وحي الأزهر، وانثر الجواهر من كلمات هذه التحية
على سمع الزمان

وَاخْشَعْ مَلِيًّا، وَاقْضِ حَقَّ أَثْمَةٍ طَلَعُوا بِهِ زُهْرًا وَمَاجُوا أَبْحُرًا
واخشع ملياً (طويلاً)، واقض حق الأثمة الذي طلعو في الأزهر كالنجوم الزهر (المضيئة) وماجوا
(تدفقوا) بالعلم كأنهم البحار

لَا تَحْذُ حَذْوَ عَصَابَةٍ مَفْتُونَةٍ يَجِدُونَ كُلَّ قَدِيمٍ شَيْءٍ مُنْكَرًا
ولا تحذ حذو عصابة (جماعة) مفتونة (غاوية) تستكر كل قديم

وَلَوْ اسْتَطَاعُوا فِي الْمَجَامِعِ أَنْكَرُوا مَنْ مَاتَ مِنْ آبَائِهِمْ أَوْ عُمَّرَا
وهؤلاء لو استطاعوا في المجالع (المجالس) لأنكروا آباءهم، من مات منهم ومن عُمر

مِنْ كُلِّ مَاضٍ فِي الْقَدِيمِ وَهَدَمِهِ وَإِذَا تَقَدَّمَ لِلْبِنَايَةِ قَصْرًا
وهؤلاء يتألفون من كل شخص ماض في هدم القديم، وأما إذا جاء لبني فهو يقصر

وَأَتَى الْحَضَارَةَ بِالصَّنَاعَةِ رِثَةً وَالْعِلْمَ نِزْرًا، وَالْبَيَانَ مَثْرِيرًا
ويأتي الواحد منهم ليساهم في الحضارة الحديثة فيساهم بصناعة رثة (غير متقنة)، ويعلم نزر
(قليل)، وبيان مثرير (ضحل المعنى)

يَا مَعْهَدًا أَفْنَى الْقُرُونِ جِدَارُهُ وَطَوَى اللَّيَالِي رَكْنُهُ وَالْأَعْصُرَا
أيها الأزهر! يا معهداً عتيقاً أفنى جداره الزمن، وطوى ركنه الليالي والعصور

عَيْنٌ مِنَ الْفُرْقَانِ فَاضَ نَمِيرُهَا وَحَيًّا مِنَ الْفُصْحَى جَرَى وَتَحَدَّرَا
الأزهر نبغ فاض نميره (ماؤه العذب) من القرآن، وهو حيّاً (مطر) من الفصحى جرى وتحدرا
(انسكب)

اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ابْنَ إِسْمَاعِيلَ، لَمْ تَتْرُكْ لُصْنَانَ الْمَآثِرِ مَفْخَرًا
الله أكبر يا ابن إسماعيل، فأنت لم تترك لمن يصنعون المآثر (الإنجازات)
شيئاً يفخرون به إلا وسبقتهم إليه

أَرْعَيْتَهُ عَيْنَ الْعِنَايَةِ مُصْلِحًا وَأَجَلْتَ فِيهِ يَدَ الْبِنَاءِ مُعَمَّرًا
لقد أرعيت الأزهر (منحته) عين العناية، وأصلحت بنائه، وأجلت فيه يد التعمير

وبلغت بالمعروف غاية صفوه أَيْكونُ معروفُ الملوك مُكَدِّراً

وكان معروفك صافياً بلا ثمن، وهل لمعروف الملوك مقابل؟

لم تبغِ بالضُّعفاءِ عُدواناً، ولم تقذِفِ على حَرَمِ الشَّرِيعَةِ عَسْكَراً

لم تبغِ (تُرد) عدواناً على الضعفاء من طلبة الأزهر، ولم تقذف بالعسكر على حرم الأزهر الذي هو حرم الشريعة، كما فعلت السلطات سابقاً عندما وجهت الجنود ضد المتظاهرين الأزهريين

نظراً وإحساناً إلى عُثمانيه وكُنِ المسيحُ مُداوياً ومُجَبِّراً

فلتنتظر نظراً ولتحسن إحساناً إلى من فيه من الكففين، وكن كالمسيح يداوي الجراح ويجبر الكسور

واللَّهِ ما تدري، لعلَّ كَفِيفَهُمْ يوماً يَكُونُ أبا العلاءِ المبصرِ

ولست تدري لعل أحد الكففين يكون ذات يوم كأبي العلاء المعري الكفيف المبصر بذلكه. كان شوقي يعرف حينئذ عن طه حسين الذي كان في السادسة والثلاثين، وكان طه قاعداً في وقت إلقاء هذه القصيدة يكتب كتاباً يهاجم فيه طرق التدريس بالأزهر لينشره في العام المقبل، وليكون له صدى مدو. كان بين طه حسين وشوقي نفور، لا بل قد نقل على لسان طه حسين في هذه السنة ١٩٢٥ أنه وصف نفسه بالعدو اللدود لشوقي. قال طه حسين لزكي مبارك (على عهدة الأخير): «مجنون أنت! ترفض كتابة مقدمة للطبعة المقبلة من ديوان شوقي. هذا تشريف لا يناله أحد، ولو أن شوقي طلب إليّ ذلك، وأنا من ألد أعدائه، لأجبتة شاكراً. فشوقي أعظم شاعر عرفته العربية منذ المتنبّي». ولعل طه كان في ذهن شوقي في القصيدة، لكن ضمن الهدامين، لا ضمن الكففين العباقرة. على أننا سنرى طه حسين يلتقي بشوقي ويجالسه في بعض الصحف التي كان يزورها شاعرنا حفاظاً على علاقاته الطيبة مع رؤساء تحريرها، وسنراها يلتقيان في «عاليه» بلبنان في فندق شاهين بعد سنتين ومعهما محمد عبد الوهاب وفكري أباطة

لو تشتريه بنصفِ مُلْكِكَ لم تجدْ غَبْنًا، وجَلَّ المشتري والمشتري

لو تشتري الأزهر أيها الملك بنصف ملكك لم تجد غبناً (خسارة)، وإنك لجليل والأزهر جليل

اليومَ صَرَّحتِ الأمورُ فأظهرتْ ما كان مِنْ خِدَعِ السياسةِ مضمرًا

اليوم صرحت (توضحت) الأمور فأظهرت ما أضمرته (سترته) خدع السياسة

قد كان وجهُ الرأيِ أنْ نبقي يدًا ونرى وراءَ جنودها إنْجِلْتِرا

كان الرأي الحصيف أن نبقي يدًا واحدة ونحن نرى إنجلترا تأتيها قادمة وراء جنودها

فإذا أتتنا بالضُّفوفِ كثيرةً جئنا بصفٍّ واحدٍ لنُكْسِرَا

فرغم صفوف الجنود الكثيرة لإنجلترا فصفنا صف واحد، ولذا لن يكسر

٢١٧ قدرة ابن آدم

قال شوقي في احتفال وضع حجر الأساس لمبنى بنك مصر، وأسس طلعت حرب البنك قبلها بخمس سنوات، (قيل القصيدة عام ١٩٢٥):

تَأْتِي حِينَ أَسَّسَكَ ابْنُ حَرْبٍ وَحِينَ بَنَى دَعَائِمَكَ الشُّدَادَا

تَأْتِي طَلَعَتْ حَرْبٌ حِينَ أَسَّسَكَ يَا مَبْنَى الْبَنْكِ، وَحِينَ بَنَى دَعَائِمَكَ الشَّدِيدَةَ

وَلَا تُرْجَى الْمَتَانَةُ فِي بِنَاءٍ إِذَا الْبِنَاءُ لَمْ يُعْطَ اثْنَادَا

وَلَا تُرْجَى الْمَتَانَةُ فِي بِنَاءٍ إِذَا لَمْ يُرْزَقِ الْبِنَاءُ اثْنَادًا (تَأْنِيًا)

وَلَمْ يَبْعُدْ عَلَى نَفْسٍ مَرَامٌ إِذَا رَكِبَتْ لَهُ الْهِمَمَ الْبِعَادَا

وَلَا يَبْعُدُ عَلَى نَفْسٍ مَرَامٌ (مُطْلَبٌ) إِذَا اتَّخَذَتْ لَهُ الْهِمَمُ (الطُمُوحَاتِ) الْبَعِيدَةَ (الْكَبِيرَةَ)

وَلَمْ أَرْ بَعْدَ قُدْرَتِهِ تَعَالَى كَمَقْدِرَةِ ابْنِ آدَمَ إِنْ أَرَادَا

٢١٨ صاحب القضية الدؤوب

قال شوقي بمدح سعد زغلول (١٩٢٦):

سَلُّوْا عَنْهُ الْقَضِيَّةَ هَلْ حَمَاهَا وَكَانَ جِمَى الْقَضِيَّةِ مُسْتَبَاحَا

اسألوا قضية حرية مصر هل حماها (سعد زغلول)، وكان جماها (وطنها) مستباحاً

هُوَ الشَّيْخُ الْفَتَى، لَوْ اسْتَرَاخْتُ عَنِ الدَّأْبِ الْكَوَاكِبُ مَا اسْتَرَاخَا

إنه شيخ مسن ولكنه فتى في عزمه، ولو استراحت عن الدأب (المثابرة) الكواكب فهو لا يستريح

٢١٩ ناع من الإسكندرية

قال في رثاء أحمد لطفي، وكان نقيباً للمحامين ووكيلاً للحزب الوطني (١٩٢٦):

لَا تَنْهَيْنَ الشَّاكِلَاتِ عَنِ الْبُكَاءِ فَلْعَلَّ فِي ذَرْفِ الدَّمُوعِ شِفَاءُهَا

لا تنهين (تمنعن) يا صاحبي الشاكلات (الفاقدات) عن البكاء، فربما كان في ذرف الدموع شفاء لنفوسهن الحزينة

وَلِمِثْلِ نَارِ الثُّكُلِ، وَهِيَ شَدِيدَةٌ، خَلَقَ الرَّحِيمُ لَنَا الشُّؤُونََ وَمَاءَهَا

ولمثل نار الثكل (الفقد) - وهي شديدة -، خلق الله الرحيم لنا الشؤون (مجاري الدمع في العينين) وخلق ماءها (دموعها)

أَوْحَى إِلَى الْحُزْنِ اللَّجُوجِ شُبُوبَهَا وإلى الدموعِ سَوَاكِبَ إِطْفَاءِهَا
الله أوحى إلى الحزن اللجوج (الملح) أن يشعل النار في القلوب، وأوحى إلى الدموع وهي
سواكب (منهمة) إطفاء هذه النار

نَاعٍ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ هَاتِفُ رَاعَ الْكِنَانَةَ: أَرْضَهَا وَسَمَاءَهَا
ثمة ناعٍ من الإسكندرية هتف بخبر موت الراحل فراع (أخاف) الكنانة (مصر) أرضاً وسماً
وإذا البلادُ تَذَكَّرَتْ خُدَامَهَا لم تَنْسَ مَوَاتَهَا وَلَا أَحْيَاءَهَا
والبلاد تذكر من خدمها أكان ميتاً أم حياً

إِنْ الشُّعُوبَ كِيَانُهَا حَرِيَّةٌ تحيا عليها، أو تموت فداءها

٢٢٠ ودفتها ودفنت خير قصائدي معها

قال شوقي ينمى الخلافة، وقد انعقد مؤتمر في مصر في هذه السنة للنظر في أمر
الخلافة، وكان الملك فؤاد يمني نفسه بالحصول على هذا اللقب (١٩٢٦):

بَعَثُوا الْخِلَافَةَ سِيرَةً فِي النَّادِي: ابْنِ الْمُبَايَعِ بِالْإِمَامِ يُنَادِي؟
بعثوا (أثاروا) سيرة الخلافة في المحافل، وسألوا: أين من يبايع لكي يسمي لنا خليفة؟

وَمَنْ ابْتَغَاهَا صَاحِباً فَمَحَلُّهَا بَيْنَ الْقَوَاضِي وَالْقَنَا الْمَيَّادِ
ومن ابتغى الخلافة ليكون صاحبها فإن مكانها هو بين القواضب (السيوف) والقنا (الرماح) المياد
(المهتز)

لَمْ تَسْتَقِمَّ لِلْقَوْمِ خَلْفَ عِمَادِهِمْ هل تستقيمُّ وَهُمْ بِغَيْرِ عِمَادِ
لم تستقم الخلافة للمسلمين وهم متراصون وراء عمادهم (سندهم) أي الخليفة الذي كان موجوداً،
فهل تستقيم وقد ذهب الخليفة؟

أَتَحَاوِلُونَ بِلا جِهَادٍ خُطَّةً لم يَسْتَطِيعُوا التُّرْكَ بَعْدَ جِهَادِ
هل تحاولون إنجاح خطتكم بلا جهاد، والأتراك لم يستطيعوا إنجاحها بعد جهادهم؟

جَعَلُوا الْهُوَى سُلْطَانَهَا، وَدَعَوْا لَهَا مَنْ لَا يُسَدُّ بِهِ مَكَانُ الْهَادِي
جعلوا سلطان (قوة) الخلافة - وهم يريدون تجديدها - قائماً على الهوى (المصالح)، ودعوا
لتسلمها من لا يسد سبب من يهدي إلى الرشد

وَأَنَا الَّذِي مَرَضْتُهَا فِي دَائِهَا وجمعتُ فِيهِ عَوَاطِفَ الْعَوَادِ
وأنا مَرَضْتُهَا (اعتنيت بها) وهي في أواخر أيامها، وجمعت في مرضها ذاك عواطف العواد
(زوار المريض)

ونصرُتْها نصرَ المجاهدِ في ذَرَا عبد الحميد وفي جناحِ رشادِ
ونصرتها كالمجاهد في ذَرَا (حماية) السلطان عبد الحميد، وفي جناح (كنف) السلطان محمد رشاد

ودفنتُها، ودفنتُ خيرَ قصائدي مَعَهَا، وطالَ بقبرِها إنشادي

وعندما أُلغيت الخلافة دفتها ودفنت معها خير قصائدي في مدحها، ورثتها بعد موتها

حتى أَتَهَمْتُ، فقبِلَ تُركيُّ الهوى، صَدَقُوا؛ هوى الأبطالِ ملءُ فؤادي

حتى لقد اتهمني الناس بأنني تركي الهوى، وقد صدقوا فحب الأبطال يملأ قلبي

اللَّهُ يَعْلَمُ ما انفردتُ وإنما صَوَّرْتُ شِعْري مِنْ شعورِ الوادي

ولم أكن، علم الله، وحدي في ذلك، وإنما صورت في شعري ذاك شعور وادي النيل كله

وَقَدْ الخِلافةِ! لا أَنْبَهُكُمْ على بَلَدِ حَفِيٍّ بِالنَّزِيلِ جَوادِ

فيا أيها الوفد الذي قدم مصر لمؤتمر الخلافة، لستم بحاجة لأن أنبهكم إلى بلدنا الحفي (المضيف) بالنزيل (بالضيف)، وبلدنا الجواد (الكريم)

٢٢١ وزدته حبتين

قال شوقي في حفيد له اسمه أحمد (١٩٢٦):

رُوحِي وَلَدُهُ عَيْنِي عَوَّذْتُهُ بِالْحَسَنِ

حفيدي هو روعي ومُتعة عيني، عوذته (رَفَيْتُهُ) بالحسين (مشهد «الحسين» في مصر)

سَلَّالَتِي مِنْ عَلِيٍّ وَلَكِدْتُهُ مَرَّتَيْنِ

هذا الطفل هو نسلي أنا من ابني علي، فكأنني أنجبت علياً مرتين

أَحَبُّهُ كَأَبِيهِ وَزِدْتُهُ حَبَّتَيْنِ

أحبته كحبي لأبيه وزيادة

طِفْلٌ عَلَيْنَا أَمِيرٌ مُقَبَّلُ الرُّكَبَتَيْنِ

كالأمير علينا هذا الطفل لما نحوطه به من اهتمام، وركبناه للتعجيل

رِضاهُ غَيْرُ قَلِيلٍ وَسُخْطُهُ غَيْرُ هَيْنِ

رضاه ليس قليلاً، وسخطه (غضبه) ليس هيناً (هيناً)

٢٢٢ صحبة المكتب

قال شوقي (١٩٢٦):

أَلَا حَبَّذا صُحْبَةُ الْمَكْتَبِ وَأَخْبَبُ بِأَيَّامِهِ أَخْبَبُ
أَلَا حَبَّذا (ما أبدع!) صحبة المكتب (الكتاب)، وما أحبُّ أيامه!

وَيَا حَبَّذا صِبْيَةً يَمْرُحُونَ عِنانَ الْحَيَاةِ عَلَيْهِمْ صَبِي
وما أجمل أولئك الصبية الذين يمرحون، وعِنان الحياة (أي مقودها، كأنه مقود الحصان) خفيف
عليهم فكأنه صبي مثلهم (هكذا فهمت المعنى)

وَيُغْدَى بِهِمْ، وَيُرَاحُ قَطِيعاً عَلَى مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَالْمَغْرِبِ
يؤخذون في الغدو (الصباح)، ثم في الرواح (عند الغروب) كأنهم القطيع، عند الشروق وعند
الغروب ..

إِلَى مَرْتَعٍ أَلْفُوا غَيْرَهُ وَرَاحَ غَرِيبِ الْعَصَا أَجْنَبِي
يؤخذون إلى مرتع (موضع الرعي/وقد شبههم بالقطيع) لم يالفوه بل ألفوا غيره، ليجدوا راعياً
عصاه هي عصا الغريب، وهو أجنبى (من غير أهلهم)

وَمُسْتَقْبَلٍ مِنْ قِيُودِ الْحَيَاةِ شَدِيدٍ عَلَى النَّفْسِ مُسْتَضْعَبٍ
يؤخذون إلى مستقبل مكون من قيود الحياة، وهو شديد تستصعبه النفس

فِرَاحٌ بِأَيْكَ، فَمِنْ نَاهِضٍ يَرُوضُ الْجَنَاحَ، وَمِنْ أَرْغَبِ
إنهم فراخ في الأيك (الشجر)، منهم من نهض يروض (يدرب) جناحه، ومنهم الأَرْغَبِ (الذي نبت
له ريش صغير)

عَصَافِيرُ عِنْدَ تَهْجِي الدُّرُوسِ مِهَارٌ عَرَابِيدُ فِي الْمَلْعَبِ
عند تهجي الدروس يكونون كالعصافير فعلاً، وفي الملعب مِهَارٌ عَرَابِيدُ (كلُّ منهم مهر صاخب)

خَلِیُّونَ مِنْ تَبِعَاتِ الْحَيَاةِ عَلَى الْأُمِّ يُلْقُونَهَا وَالْأَبِ
خليون (فارغون) من تبعات (مسؤوليات) الحياة، ويلقونها على الأم والأب

لَهُمْ جَرَسٌ مُطْرَبٌ فِي السَّرَاحِ وَلَيْسَ إِذَا جَدَّ بِالْمُطْرَبِ
جرس المدرسة مطرب لهم في السراح (وقت الانصراف)، وعند الجد والدرس لا يطربهم

وَتِلْكَ الْأَوَاعِي بِأَيْمَانِهِمْ حَقَائِبُ فِيهَا الْغَدُ الْمُخْتَبِي
وتلك الأوعية (الحقائب) التي بأيمانهم (أيديهم اليمنى)، هي حقائب يختبئ فيها المستقبل

وفيهما المؤخَّرُ خَلْفَ الزَّحَامِ وفيها المَقْدَمُ في المَوْكِبِ
وفي الحَقَائِبِ (أي في المستقبل) بعضهم يتأخَّر ويتخلف في زحمة الناس، وبعضهم يتقدم الموكب

جَمِيلٌ عَلَيْهِمْ قَشِيبُ الثِّيَابِ وما لم يَجْمَلْ ولم يَفْشِبِ
الثياب القشبية (النظيفة/الجديدة) جميلة عليهم، وكذا الثياب التي هي لا جميلة ولا قشبية، فهي
جميلة عليهم أيضاً

كسَاهُمْ بَنَانُ الصُّبَا حُلَّةٌ أَعَزُّ مِنَ الْمُخْمَلِ الْمُذْهَبِ
كساهم بنان (أصابع) الصبا حلة (ثوباً) أعز (أندر وأغلى) من المخمل المذهب

فِيَا وَيَحَهُمُ هَلْ أَحْسَوْا الْحَيَاةَ لَقَدْ لَعِبُوا وَهِيَ لَمْ تَلْعَبِ
فويل لهم هل يشعرون بالحياة؟ إنهم يلعبون وهي لا تلعب

تُجَرَّبُ فِيهِمْ، وما يعلمونَ، كَتَجَرِبَةِ الطَّبِّ فِي الْأَرْنَبِ
الحياة تجرب أحداثها عليهم، وهم غافلون، كما يجرب العلماء عقاقرهم في أرناب المختبرات

وَدَارَ الزَّمَانِ فَدَالَ الصُّبَا وَشَبَّ الصَّغَارُ عَنِ الْمَكْتَبِ
ثم دار الزمان، فдал (انتهى) الصبا، وشب الصغار عن المكتب (الكتاب)

وَعُذِّبَ بِالْعِلْمِ طَلَابُهُ وَعَصُّوا بِمَنْهَلِهِ الْأَغْذِبِ
وأخذوا يدرسون في الثانويات والمعاهد ويتعذبون بطلب العلم، ويغصون (يشرقون) بمنهله (بنبهه)
العذب

رَمَتْهُمْ بِهِ شَهَوَاتُ الْحَيَاةِ وَحُبُّ النَّبَاهَةِ وَالْمَكْسَبِ
رمتهم (ورطتهم) بالعلم رغبات الحياة، وحب النباهة (الشهرة)، والسعي للمكسب

وَزَهُوُ الْأَبْوَةِ مِنْ مُنْجِبٍ يُفَاخِرُ مَنْ لَيْسَ بِالْمُنْجِبِ
وكذلك ورطتهم في العلم زهو (فخر) الأبوة، فالأب المنجب (ذو الابن النجيب) يفاخر من ليس
ابنه نجيباً

قَدْ انصَرَفُوا بَعْدَ عِلْمِ الْكِتَابِ لِبَابٍ مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يُكْتَبِ
وبعد انتهاء الطلبة من علم الكتب، يدخلون باباً من العلم ليس موجوداً في أي كتاب..

حَيَاةٌ يَغَامِرُ فِيهَا امْرُؤٌ تَسْلَحَ بِالنَّابِ وَالْمِخْلَبِ
إنها الحياة. والمرء يغامر فيها وقد تسلح بناب ومخلب من العلم أو من غيره

وصارَ إلى الفاقة ابنُ الغنيِّ ولاقى الغنى وَلَدُ الْمُثْرَبِ

وقد يصيح ابن الغني فقيراً، وقد يحصل على الغنى ابن المترب (الفقير)

وقد ذهبَ الْمُمْتَلِي صَحَةً وصَحَّ السَّقِيمُ فلم يذهبِ

وقد يموت الذي كان ممتلئاً صحة، وقد يصح المريض ويعيش

وكم مُنْجِبٍ في تَلَقِّي الدروسِ تَلَقَّى الحِياةَ فلم يُنْجِبِ

وكثيراً ما ترى منجياً (نجياً) في الدروس، تلقى درس الحياة فلم يكن نجياً

وغابَ الرفاقُ كَأَنَّ لم يَكُنْ بِهِمْ لكَ عهدٌ ولم تَصْحَبِ

ثم إن رفاق الدراسة غابوا عنك، فكأنه لا عهد لك بهم، ولم تصحبهم

إلى أن فَنَوْا ثُلَّةً ثُلَّةً فَنَاءَ السَّرَابِ على السَّبَبِ

وأخيراً.. فنون ثلة (جماعة) بعد جماعة، مثلما يفنى السراب على السبب (الصحراء). لا تفوت

شوقي فرصة يتعجب فيها من عبث الحياة إلا اقتصرها. قال محمد صبري السوربوني عن هذه

القصيدة: «كلها درر.. ولا أعرف لها نظيراً في الشعر قديمه وحديثه في بكاء الشباب وزمن

الدرس والمكتب»

٢٢٣ زلزال القيامة

قال شوقي في زلزال طوكيو ويوكاهاما (١٩٢٦):

قَفَ بِطُكْيُو وَطُفَ على يُكُهاَمَ وَسَلَّ القَرِيتَيْنِ: كَيْفَ القِيَامَةُ

قف بإزاء طوكيو وطُفَ على (تَجَوَّنَ في) يوكوهاما، واسأل القريتين (البلدين) كيف تكون القيامة،

فقد شهدا شبيها في الزلزال

دَنَبِ السَّاعَةِ التي أُنْذِرَ النِّاسُ سُ، وَحَلَّتْ أَشْرَاطُهَا وَالْعَلَامَةُ

عندئذ اقتربت الساعة التي أنذر الله الناس بقدمها، ووقعت أشراطها (دلائلها) والعلامة (العلامة

التي بها يعرف قيام الساعة)

حَازَهُمْ مِنْ مَرَاجِلِ الأَرْضِ قَبْرٌ في مَدَى الظَّنِّ عَمَقُهُ أَلْفَ قَامَةٍ

حازهم (احتواهم) من المراحل (خزانات الغليان) قبر يظن المرء أن عمقه ألف قامة (ألف مرة

طول الإنسان)

تَحَسَّبُ المِيتَ في نَوَاحِيهِ يُعْيِي نَفْخَةُ الصُّورِ أَنْ تَلَمَّ عِظَامَهُ

تحسب أن الميت في هذا القبر الجماعي يعمي نفخة الصور (يجعل نفخة البوق التي تنفخ في يوم

القيامة عاجزة)، فلا تستطيع هذه النفخة أن تلم عظامه

دولة الشرق وهي في ذروة العزّ - تحارّ العيون فيها فخامة
اليابان دولة الشرق العظيمة وهي في ذروة (قمة) العزّ، والعيون تحار من فخامة نهضتها . . هذه
الدولة

لو تأملتّها عشيّة جاشت خلتّها في يد القضاء حمامة
لو رأيته في ذلك المساء عندما جاشت (اهتزت) لخلتها (ظنتها) حمامة صغيرة في يد القضاء

٢٢٤ شروط الملك

قال شوقي (١٩٢٦):

يا طالباً لمعالي المُلْكِ مجتهداً خُذْها مِنَ العلمِ أو خُذْها مِنَ المالِ
يا من يطلب أمجاد الملك مجتهداً (مُثابراً في طلبها)، عليك بالعلم أو بالمال

بالعلمِ والمالِ يَبْنِي الناسُ مُلْكَهُمْ لَمْ يُبْنِ مُلْكٌ عَلَى جَهْلٍ وإِقْلَالٍ
بهما كليهما يَبْنِي الناسُ الملكَ، فلا ملك بجهل ولا بإقْلال (فقر)

٢٢٥ سلام أرق من صبا بردى

قال شوقي يذكر قصف الفرنسيين دمشق جواً وبراً في أكتوبر تشرين الثاني ١٩٢٥،
قالها عام (١٩٢٦):

سَلامٌ مِنْ صَبا بَرْدَى أَرَقُّ وَدَمْعٌ لَا يُكْفِكُفُ يا دمشق
سلام أرق من صبا (نسب) بردى (نهر دمشق)، ودمع لا يكفكف (يُمنع من الهمول) لك يا دمشق
ومعذرةُ السِراعَةِ والقِوافي! جلالُ الرُّزءِ عَنْ وَصفٍ يَدُوع
ولك معذرة من البراعة (القلم) والقوافي (القصاصد) فهما لا يفياك حقك، فجلال (ضخامة) الرزء
(المصيبة) يدق (يصعب) عن الوصف

وبِئْسَ مِمَّا رَمَتْكَ بِهِ اللَّيالي جراحاتُ لها في القلبِ عُمُقُ
وقد حل بي مما رمتك به الليالي (أحداث الزمن) جراح عميقة الغور في القلب

دخلتُكَ والأصيلُ لَهُ اتِّلاقٌ ووجهُكَ ضاحِكُ القَسَماتِ طَلَّقُ
دخلتك قبل حين من الزمن وكان للأصيل (الغروب) اتِّلاق (بريق)، وكان وجهك - آنذاك -
ضاحك القسَمات (التقاطيع) طلقاً (مستبشراً)

وتحتَ جِنايِكَ الأنهارُ تجري ومِلءَ رُباكِ أوراقُ الشجرِ والوُزُقُ (الحمامن)
وكانت الأنهار تجري تحت جناحك (بساتينك)، وملء رباك أوراق الشجر والوُزُق (الحمامن)

وَحَوْلِي فِتْيَةٌ غُرٌّ صَبَاحٌ لَهُمْ فِي الْفَضْلِ غَايَاتٌ وَسَبْقُ
وَحَوْلِي فِتْيَةٌ غُرٌّ (بيض الوجوه) صَبَاحٌ (مشرقون)، سباقون للفضل يصلون فيه إلى الغايات البعيدة

عَلَى لَهَوَاتِهِمْ شُعَرَاءُ لُسْنٌ وَفِي أَعْطَافِهِمْ خُطَبَاءُ شُدُقُ
على لهواتهم (الستهم/اللهاة لحمه الحلق المتدلية) شعراء لسن (فصحاء)، وفي أعطافهم (جنوبهم)
خطباء شدق (فصحاء). وهو إذ يقول في أعطافهم خطباء إنما يقصد هم خطباء، ومن بيان العربية
أنك إن قلت «بين جنبيك خير صديق» فالمعنى «أنت خير صديق»

رُؤَاةٌ قِصَائِدِي، فَاعْجَبْ لِشِعْرِ بِكُلِّ مَحَلَّةٍ يَرْوِيهِ خَلْقُ
هؤلاء رؤاة لقصائدي يحفظونها ويرددونها، فاعجب لهذا الشعر الذي يرويه خلق (ناس) في كل
محلة (بلدة)

عَمَزْتُ إِبَاءَهُمْ حَتَّى تَلْظَتْ أَنْوْفُ الْأَسَدِ وَاضْطَرَمَّ الْمَدَقُ
غمزت إباءهم (أثرت نخوتهم) حتى تلظت (اشتعلت) أنوف الأسود غضباً، واضطرم
(التهب) المدق (أرنبه الأنف). عندما سأل شوقي محمد عبد الوهاب عن أجمل بيت
في القصيدة اختار هذا البيت، سألته شوقي: فهمته؟ قال لا. فقط لجرسه. وغنى
عبد الوهاب أبياتاً من القصيدة وتجنب هذا البيت

وَضَحَّ مِنَ الشَّكِيمَةِ كُلِّ حَرٍّ أَبِي، مِنْ أُمِّيَّةٍ فِيهِ عِتْقُ
ضح (سئم) من الشكيمة (حديدة اللجام بعضها الحصان) كل حر أبي (رافض)، فيه عتق (أصالة)
موروثة من عهد بني أمية

لَحَاها اللَّهُ أَنْبَاءَ تَوَالَتْ عَلَى سَمْعِ الْوَلِيِّ بِمَا يَشُقُّ
لحأها (لعنها) الله هذه الأنباء التي توالى على سمع الولي (الصديق) بما يشق (يؤذي)

تَكَادُ لِرُوعَةِ الْأَحْدَاثِ فِيهَا تُخَالُ مِنَ الْخُرَافَةِ وَهِيَ صِدْقُ
تكاد هذه الأنباء لما فيها من روعة الأحداث (الأحداث المريعة) تخال (تُظَنُّ) من الخرافات،
ولكنها للأسف صادقة

وَقِيلَ مَعَالِمُ التَّارِيخِ دُكَّتْ وَقِيلَ أَصَابَهَا تَلَفٌ وَحَرَقُ
قيل معالم دمشق التاريخية قد دكت، وأصابها الخراب والحرق

أَلْسَبِ، دَمَشْقُ، لِلْإِسْلَامِ ظُفْرًا وَمُرْضَعَةُ الْأُبُوَّةِ لَا تُعَقُّ
ألسب يا دمشق ظفر (مرضعة) الإسلام؟ (ودمشق احتضنت الإسلام باكراً)، وإن مرضعة الأبوة
(الآباء) لا يجوز عقوقها

صَلاَحُ الدِّينِ، تَاجُكَ، لَمْ يُجَمَّلْ وَلَمْ يَوْسَمْ بِأَزْيَنَ مِنْهُ فَرَقُ
صَلاَحِ الدِّينِ (المدفون في دمشق) تَاجُكَ، وَهُوَ تَاجٌ لَمْ يُجَمَّلْ وَلَمْ يَوْسَمْ (يَزِينُ) بِأَجْمَلٍ مِنْهُ فَرَقُ
(رَأْسُ)

وَكُلُّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَتْ لَهَا مِنْ سَرَاحِ الْعُلُويِّ عِرْقُ
وَكُلِّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَ عِزُّهَا أَخَذَتْ عِرْقًا (غَصَنًا) مِنْ سَرَاحِ (شَجَرِ) الْعُلُويِّ (الْمَجِيدِ)
بَنَيْتِ الدَّوْلَةَ الْكُبْرَى، وَمُلْكًا غِبَارُ حَضَارَتَيْهِ لَا يُشَقُّ
بَنِيَتْ يَا دِمَشْقُ دَوْلَةَ كُبْرَى، وَمُلْكًا فِي الْمَشْرِقِ وَآخِرُ فِي الْأَنْدَلُسِ، فَلَيْكَ بِهَذَا حَضَارَتَانِ لَا يُشَقُّ
غِبَارُهُمَا (لَا يَلْحَقُ بِهِمَا أَحَدُ)

لَهُ بِالْشَّامِ أَعْلَامٌ وَعُورُسٌ بِشَائِرُهُ بِأَنْدَلُسٍ تُدَقُّ
هَذَا الْمَلِكُ لَهُ بِالْشَّامِ أَعْلَامُ الْفَرَجِ وَالزَّيْنَةِ وَالنَّصْرِ، وَهُوَ عُرْسُ نَسَمٍ فِي الْأَنْدَلُسِ بِشَائِرِهِ (أَخْبَارُهُ)
السَّارَةُ) تَدُقُّ بِهَا الطُّبُولُ

رِبَاعُ الْخُلْدِ، وَيَحْكُ، مَا دَهَاها أَحَقُّ أَنَّهَا دَرَسَتْ، أَحَقُّ؟
يَخَاطَبُ دِمَشْقُ: رِبَاعُ (رَبُوعِ) الْخُلْدِ (الْجَنَّةِ) مَا الَّذِي دَهَاها؟ وَهَلْ صَحِيحٌ أَنَّهَا دَرَسَتْ (مُجِيبٌ)؟
وَأَيْنَ دُمَى الْمَقَاصِرِ مِنْ حِجَالِ مُهَتَّكَةٍ وَأَسْتَارِ تُشَقُّ
وَأَيْنَ دُمَى (عَرَائِسُ/يَقْصِدُ نِسَاءَ) الْمَقَاصِرِ (الْبُيُوتِ)؟ أَيْنَ هِيَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَالِ (السُّتُورِ) الْمُهَتَّكَةِ
(الْمَمْزُوقَةِ) الْمَشْقُوقَةِ؟

بَرَزْنَ وَفِي نَوَاحِي الْأَيْكِ نَارٌ وَخَلْفَ الْأَيْكِ أَفْرَاحٌ تُزَقُّ
بَرَزَتِ النِّسَاءُ (خَرَجْنَ) مِنْ بُيُوتِهِنَّ بَعْدَ حَرْقِ دِمَشْقٍ عَلَى أَيْدِي الْفَرَنْسِيِّينَ، وَكَانَ فِي نَوَاحِي الْأَيْكِ
(الْغَابِ) نَارٌ، وَخَلْفَ الْغَابِ أَطْفَالُهُنَّ كَالْأَفْرَاحِ الَّتِي تُزَقُّ بِالْحَبِّ زَقًّا

إِذَا زُمِنَ السَّلَامَةُ مِنْ طَرِيقٍ أَتَتْ مِنْ دُونِهِ لِلْمَوْتِ طُرُقُ
إِذَا رَمَنَ (طَلَبَنَ) السَّلَامَةَ بِسُلُوكِ طَرِيقٍ، كَانَ لِلْمَوْتِ قَبْلَ هَذَا الطَّرِيقِ طَرُقٌ أُخْرَى يَأْتِي مِنْهَا لِلْهَوَلَاءِ
النِّسَاءِ

بَلِيلٌ لِلْقَذَائِفِ وَالْمَنَايَا وَرَاءَ سَمَائِهِ خَطَفٌ وَصَعَقُ
حَدَّثَ لَهُنَّ هَذَا فِي لَيْلٍ لِلْقَنَابِلِ وَالْمَوْتِ فِي سَمَائِهِ خَطَفٌ لِلْأَرْوَاحِ وَصَعَقٌ لِلنَّاسِ

إِذَا عَصَفَ الْحَدِيدُ أَحْمَرَ أَفْقٍ عَلَى جَنَابَاتِهِ، وَأَسْوَدَ أَفْقُ
إِذَا عَصَفَ حَدِيدُ الْمَدَافِعِ أَحْمَرَ الْأَفْقِ عَلَى جَنَابَاتِ اللَّيْلِ بِالنَّارِ، وَأَسْوَدَ الْأَفْقَ مَرَّةً أُخْرَى بِالْخَدَانِ

سَلِي مَنْ رَاعَ غَيْدَكَ بَعْدَ وَهْنٍ أَبَيْنَ فَوَائِدِهِ وَالصَّخْرِ فَرْقُ
فاسألني يا دمشق من راع (أخاف) غيدك (جميلاتك) بعد وهن (بعد حلول الظلام): هل يوجد فرق
بين قلبه وبين الصخر؟

وَلِلْمُسْتَعْمَرِينَ، وَإِنْ أَلَانُوا، قُلُوبٌ كَالْحِجَارَةِ لَا تَرِقُ
وللمستعمرين - وإن ألانوا (أظهروا اللين) - قلوب مثل الحجارة لا ترق (تلين)

رِمَاكِ بِطَيْشِهِ، وَرَمَى فَرَنْسَا، أَخُو حَرْبٍ بِهِ صَلَفٌ وَحُمُقُ
رماك بطيشه - ورمى بلده فرنسا أيضاً - صاحب حرب (هذا الجنرال) به صلف (تكبر) وحمق

إِذَا مَا جَاءَهُ طَلَّابُ حَقٍّ يَقُولُ عَصَابَةٌ خَرَجُوا وَشَقُّوا
إذا جاءه أصحاب الحق يطلبونه يعدمهم عصابة (جماعة) خرجوا على السلطة وشقوا عصا الطاعة

دُمُ الثَّوَارِ تَعْرِفُهُ فَرَنْسَا وَتَعْلَمُ أَنَّهُ نَوْرٌ وَحَقُّ
فرنسا تعرف خير المعرفة دم الثوار وتضحياتهم، وهي تعلم أن هذا الدم مجيد وينير طريق الحرية،
فهي صاحبة ثورة مجيدة

جَرَى فِي أَرْضِهَا، فِيهِ حَيَاةٌ كَمُنْهَلِ السَّمَاءِ وَفِيهِ رِزْقُ
وقد جرى دم الثوار في أرض فرنسا، وكان فيه حياة، كان مثل منهل السماء (المطر) الذي يأتي
بالخير

بِلَادُ مَاتَ فِثْيَتُهَا لِتَحْيَا وَزَالُوا دُونَ قَوْمِهِمْ لِيَبْقُوا
تلك بلاد مات شبابها لتحيأ، وزالوا (ماتوا) دون قومهم (دفاعاً عن قومهم) ليبقى القوم

وُحُرِّرَتِ الشُّعُوبُ عَلَى قَنَاها فَكَيْفَ عَلَى قَنَاها تُسْتَرْقُ
وقد تحررت الشعوب على قنا (رماح) فرنسا عقب ثورتها ١٧٨٩، فكيف تسترق (تستعبد) الشعوب
على هذه الرماح نفسها؟

بَنِي سَوْرِيَّةَ، أَطْرَحُوا الْأَمَانِيَّ وَالْقُوا عَنْكُمُ الْأَحْلَامَ أَلْقُوا
يا بني سورية أطرحوا (اتركوا جانباً) الأمانى، وألقوا عنكم الأحلام

فَمِنْ خِدَعِ السِّيَاسَةِ أَنْ تُعْرُوا بِالْقَابِ الْإِمَارَةِ وَهِيَ رِقُ
فمن خدع السياسة أن يُعَرَّ المرء بالقاب الإمارة، بينما هي رق (عبيدية). وكانت فرنسا تسعى في
تفتيت سوريا إلى لبنان الكبير، ودولة جبل الدروز، وحكومة العلوين. وسأيرها في هذا المسعى
عدد من الساسة

وَكَمْ صَيَدٍ بَدَا لَكَ مِنْ ذَلِيلٍ كَمَا مَالَتْ مِنَ الْمَصْلُوبِ عُتُقُ
وكثيراً ما يظهر لعينيك صَيَدٌ (فخر وإمالة عتق) من شخص ذليل، فهو يُميل عنقه لا فخرأ ولكن
كالمصلوب

فُتُوقَ الْمُلْكُ تَحَدُّثٌ ثُمَّ تَمْضِي وَلَا يَمْضِي لِمُخْتَلِفِينَ فَتُقُ
فتوق الملك (الشقوق في بنيانه) تحدث ثم يمكن إصلاحها، ولكن المختلفين من أبناء البلد لا
يسهل إصلاح الفتق بينهم

نَصَحْتُ وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَاراً وَلَكِنْ، كُلُّنَا فِي الْهَمِّ شَرْقُ
نصحت لكم مع اختلافنا في القطر، ولكننا جميعاً نشترك في الهم، فالشرق كله مظلوم والغرب له
ظالم

وَيَجْمَعُنَا إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادُ بَيَانٌ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ وَنُطْقُ
ولئن اختلف بلدي عن بلدكم فإن ما يجمعنا هو البيان الذي لا يختلف فيه والنطق باللغة العربية
وقفُّتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ فَإِنْ رُمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْقُوا
أنتم بين الموت والحياة، وإذا رمتم (أردتم) النعيم والعز طول الدهر فاشقوا (اتعبوا). وحق كلمة
«اشقوا» أن تكون بفتح القاف، ومثلها كانت قبل بضعة أبيات كلمة «يقوا». ولكن هذا إقواء لا
تقبله الأذن

وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمٍ كُلِّ حُرٍّ يَدٌ سَلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحَقُّ
وللأوطان في دم كل حر من أبنائها يدٌ (معروف) سابق، ولها عليه دين مستحق الوفاء
وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنَايَا إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يُسْقَوْا وَيَسْقَوْا
ومن ذا الذي يسقي عدوه الموت ويشرب الموت إذا لم يفعل ذلك الأحرار

وَلَا يَبْنِي الْمَمَالِكَ كَالضَّحَايَا وَلَا يُدْنِي الْحَقُوقَ، وَلَا يُحِقُّ
ولا شيء يبني الدول مثل الضحايا من أبنائها، ولا شيء مثلهم يدني (يقرب) الحقوق لأصحابها
وينجزها

فَفِي الْقَتْلَى لِأَجْيَالِ حَيَاةٍ وَفِي الْأَسْرَى فَدَى لَهُمْ وَعِتْقُ
ففي قتلى الحرية حياة للأجيال اللاحقة، وفي الأسرى عتق (تحرر) وفداء

وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحَمْرَاءِ بَابٌ بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ
وللحرية الحمراء المصبوغة بدم الفداء بابٌ يُدَقُّ عليه أبناء الوطن بأيديهم المضرجة (المصبوغة
بالدم)

جَزَاكُم ذُو الْجَلَالِ بَنِي دِمَشْقٍ وَعِزُّ الشَّرْقِ أَوَّلُهُ دِمَشْقُ
جَزَاكُم اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ يَا أَبْنَاءَ دِمَشْقٍ، فَاتَمَّ كَتَمَ بِدَايَةِ عِزِّ الشَّرْقِ فِي عَصْرِ بَنِي أُمَيَّةَ

٢٢٦ كان شعري الغناء في فرح الشرق

قال شوقي في حفل مبايعته بإمارة الشعر (١٩٢٧):

مَرْحَبًا بِالرَّبِيعِ فِي رَيَّعَانِهِ وَبِأَنْوَارِهِ وَطَيْبِ زَمَانِهِ
ريعانه: أوله، أنواره: نَوَارِ الشَّجَرِ وَزَهْرِهِ

أَيْنَ نَوْرُ الرَّبِيعِ مِنْ زَهْرِ الشَّعْرِ حِ إِذَا مَا اسْتَوَى عَلَى أَفْنَانِهِ
لا مقارنة بين نَوْر (نَوَّار) الربيع وزهر (نَوَّار) الشعر عندما يستوي على أفنانه (أغصانه)

سَرَمْدُ الْحَسَنِ وَالْبَشَاشَةِ، مَهْمَا تَلْتَمِسُهُ تَجِدُهُ فِي إِبَّانِهِ
فالشعر سرمد الحسن (أبدي الجمال)، ومهما (في أي وقت) تلتمس (تطلب) الشعر تجده يانعا كأنه
في إبانه (في موسمه)

حَسَنٌ فِي أَوَانِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَجَمَالُ الْقَرِيضِ بَعْدَ أَوَانِهِ
كل شيء جميل في أوانه، والقريض (الشعر) جماله يزيد بعد انقضاء زمن عليه

أَمَرَ اللَّهُ بِالْحَقِيقَةِ وَالْحُكْمِ حَمَةً فَالْتَقَتَا عَلَى صَوْلَجَانِهِ
أمر الله الحقيقة والحكمة فالتقتا على صولجان الشعر تراقفانه دوماً. أحقا؟ الشعراء يتبعهم
المهتدون؟

لَمْ تَثُرْ أُمَةً إِلَى الْحَقِّ إِلَّا يَهْدِي الشُّعْرُ أَوْ خُطَى شَيْطَانِهِ
لم تثر أمة للمطالبة بحقها إلا والشعر يهديها ملاكاً أو يثيرها شيطاناً

وشيطان الشاعر هو الذي يوحى إليه بالشعر في الخرافة الأدبية المعروفة، وشوقي هنا يومئ إليها

لَيْسَ عَزْفُ النِّحَاسِ أَوْقَعَ مِنْهُ فِي شُجَاعِ الْفَوَادِ أَوْ فِي جَبَانِهِ
عزف الآلات النحاسية ليس أشد وقعاً من الشعر في قلوب الشجعان والجبناة

ظَلَّلْتُنِي عَنَاءَةً مِنْ فَوَادٍ ظَلَّلَ اللَّهُ عَرْشَهُ بِأَمَانِهِ
ظللتنني عناءة الملك أحمد فؤاد، وأدعو الله أن يظل عرشه بأمان منه

مَلِكُ النَّيْلِ مِنْ مَصْبِيهِ بِالشُّطِّ إِلَى مَنْبَعِيهِ مِنْ سُودَانِهِ

هو ملك النيل من مصبَيْهِ (فرعي دمياط ورشيد اللذين يصبان ماء النيل في شاطئ المتوسط) وحتى
منبعيه في السودان (فالنيل الأبيض والأزرق بمثابة المنبعين اللذين يؤلفان النيل وكلاهما يمر
بالسودان قبل دخول مصر)

يا عكاظاً تألّف الشرق فيه من فلسطينه إلى بغداده

أيها الحفل الشبه بعكاظ، وقد تألف (تجمّع) الشرق فيه من فلسطين إلى بغداد (بغداد)

قلّدتني الملوك من لؤلؤ البحر رين آلاءها ومن مُرجانِه

لقد قلّدتني (طوق عتقي) الملوك آلاءهم (نعمهم) من لؤلؤ ومرجان (لؤلؤ) البحرين، مشيراً إلى هدية حاكم البحرين له آنذاك

موكبُ الشعرِ حرّك المتنبّي في ثراه، وهزّ من حسانِه

هذا الحفل كان موكباً للشعر، وقد حرّك المتنبّي في ثراه (تربته)، وهزّ حسان الشعر (حسان بن ثابت)

رُبّ سامي البيان نَبّه شأني أنا أسمو إلى نباهة شائِه

رب رجل سامي البيان (عالي الفصاحة) يشير إلى محمود سامي البارودي الذي سبقه في الشعر زمناً وفتح له الطريق) وأنا أسمو (أتطلع) إلى نباهة شأنه (أهميته)

كان بالسَّبْقِ والميادينِ أولى لو جرى الحظُّ في سِواءِ عِنايِه

كان أولى مني بالسبق في الشعر وفي ميادينه لو أن الحظ جرى في سواء عنايه (واتاه). كان البارودي رجل ميادين، كان محارباً ووزيراً للحريّة، وكان شاعراً مهماً

إنّما أظهروا يدَ اللهِ عندي وأذاعوا الجميلَ من إحسانِه

ما يصنعه هؤلاء المحفّلون هو أنهم يبرزون يد (نعمة) الله علي، ويذيعون جميل إحسان الله علي

ما الرّحيقُ الذي يذوقونَ من كُرّ مي، وإنّ عِشْتُ طائفاً بِدِنايِه

ورحيق شعري الذي يذوقونه ليس من كُرّمي (بستاني)، وإن عشت وأنا أطوف بديان الكرم (جزار الخمر). فشوقي يطوف حول أوعية الخمر الكبيرة يستقي منها خمرة الشعر ليقدمها للناس وليس له سوى فضل الاستقاء لغيره

وهَبُونِي الحَمَامَ لَذَّةَ سَجْعِ أينَ فضلُ الحَمَامِ في تَحْنانِه؟

وهبوني (افرضوا أني) كالحمام في لذة سجعه (لحنه)، أين فضل الحمام في تحنانه (غناته)؟ فالحمام من طبعه السجع وليس له فضل فيه

وَتَرّ في اللّهُاءِ ما لِلْمُغْنِي مِنْ يدٍ في صفائِه وليانِه

الشعر كأنه وتر في اللّهُاء (اللحمة المتدلية في آخر الحلق بين اللوزتين)، وليس للمغني يد (فضل) في أن يكون للوتر صفاء أو ليانة (لين)

كان شعري الغناء في قَرَحِ الشرِّ قِ وكان العزاء في أحزانِه

كان شعري غناء في أفراس الشرق، وعزاء للناس لينسوا أحزانه

قد قضى الله أن يؤلفنا الجُرح حُ، وأن نلتقي على أشجانِه

قضى الله أن يؤلفنا (يجمعنا) الجرح، وأن نلتقي على أشجانِه (أحزانه)

كلَّما أنَّ بالعراق جريحٌ لمسَ الشرقَ جنبَه في عُمانِه

كلما أنَّ (تأوه) بالعراق جريح، لمس الشرق خاصرته في عُمان إذ يحس بالآلم

وعليْنَا كما عليكم حديدٌ تَتَنَزَّى الليوثُ في قُضبانِه

وتحبسنا قضبان الحديد مثلما تحبسكم، وداخلها تتنزي (تتواهب) الليوث طلباً للحرية

٢٢٧ يحسدون الميت

قال شوقي يرثي إسماعيل أباطة، أحد الأعيان، وعضو الجمعية التشريعية، (١٩٢٧):

يقولون: يرثي الرَّاحِلِينَ، فَوَيْحَهُمْ أُمَلَّتْ عِنْدَ الرَّاحِلِينَ الْجَوَارِيَا

يلومني بعضهم لأنني أرثي الراحلين، فالويل لهم، هل أنا أو مل عند الراحلين الجوازي (المكافآت)

أَبَوَا، حَسَدًا، أَنْ أَجْعَلَ الْحَيَّ أَسْوَهَ لَهُمْ، وَمِثَالًا قَدْ يُصَادَفُ حَازِيَا

هؤلاء الحاسدون رفضوا أن أجعل الشخص الحي أسوة (قدوة) ومثالاً، وكان أملي إذ أمدح الأحياء أن يصادف الممدوح بشعري حاذياً (شخصاً يحذو حذوه)

فَلَمَّا رَثِيْتُ الْمَيِّتَ أَقْضِي حَقُّوهُ وَجَدْتُ حَسُودًا لِلرُّفَاتِ وَشَانِيَا

فعندما رثيت الميت لقضاء حقه وتكريمه، وجدت حسوداً للرفات وشانئاً (مبغضاً) للميت

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَعْ الْعَهْدَ لِهَالِكٍ فَلَسْتُ لِحَيٍّ حَافِظَ الْعَهْدِ رَاعِيَا

إذا أنت لم ترع (تحفظ) العهد لهالك (ميت)، فأنت لن ترعى عهد الحي

فَلَا يَطْوِيَنَّ الْمَوْتُ عَهْدَكَ مِنْ أَخٍ وَهَبَهُ بِوَادٍ غَيْرِ وَادِيكَ نَائِيَا

فلا تدع الموت يطوي عهدك إزاء أخ لك، وهبه يا شوقي (افترض أنه) رحل ليعيش في واد بعيد غير واديك ولم يمت موتاً

أَقَامَ بِأَرْضٍ أَنْتَ لَا قِيَمَ عِنْدَهَا وَإِنْ بَشْتُمَا تَسْتَبْعِدَانِ التَّلَاقِيَا

وافترض أن الميت سكن أرضاً ستلاقيه فيها، وإن كان اللقاء مستبعداً الآن، فالموت سيجعلنا كلنا تتلاقى في التراب

وَلَيْسَ الْبَيَانُ الْهَجْوُ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا وَلَا هُوَ زُورَ الْمَدْحِ إِنْ كُنْتَ رَاضِيَا

والبيان ليس الهجاء في وقت سخطك، ولا المدح الكاذب وقت رضاك

ولكن هُدى الله الكريم ووحىهُ حَمَلَتْ بِهِ الْمَصْبَاحَ فِي النَّاسِ هَازِياً
 ولكن البيان هدى الله وإلهامه، وأنت يا شوقي - يخاطب نفسه - حملت مصباح البيان تهدي الناس به
 تُفِيضُ عَلَى الْأَحْيَاءِ نُوراً، وَتَارَةً تُضِيءُ عَلَى الْمَوْتَى الرَّجَامَ الدَّوَّاجِيَا
 تُفِيضُ عَلَى الْأَحْيَاءِ نُوراً، وأحياناً تنير على الموتى الرجام (حجارة القبر) الدواجي (المعتمة)
 هَيَاكِلُ تُفْنِي، وَالْبَيَانُ مُحَلَّدٌ أَلَا إِنَّ عِثْقَ الْحَمْرِ يُنْسِي الْأَوَانِيَا
 أجسام الناس هياكل فانية، والبيان خالد، كالخمر العتيقة فإن عتقها يجعلها جيدة ونسى معه دنائها
 وخوابيها المسودة المطلية بالقار

٢٢٨ الشاعر والرواة

قال شوقي في الحفل الخمسيني لدار العلوم (١٩٢٧):

نَظَّمَ اللَّهُ مُلْكُهُ بَعْبَادٍ عَبَقَرِيَّيْنِ أَوْرَثُوا الْمَلِكَ حُسْنًا
 نظم الله ملكه (كما ينظم المرء العقد من اللآلئ) بالعابرة من خلقه الذين أورثوا الملك حسناً
 (تركوا له زينة)
 شَغَلَتْهُمْ عَنِ الْحَسُودِ الْمَعَالِي إِنَّمَا يُحَسِّدُ الْعَظِيمُ وَيُشْنَا
 شغلت هؤلاء العابرة عن الحسود الأمجاد، والعظيم دائماً يحسد ويُشْنَا (يُمَقِّت)
 كُلَّمَا صَارَ لِلْكُهُولَةِ شِعْرِي أَنْشَدُوهُ فَعَادَ أَمْرَدَ لَدُنَّا
 كلما صار شعري كهلاً (كبير السن) أنشده هؤلاء الشباب الذين يتعلمون ليصبحوا عابرة المستقبل،
 فعاد (فصار) أمرد (فتياً) لدنأ (طري العود)
 أَسْرَةُ الشَّاعِرِ الرُّوَاةُ، وَمَا عَنَّ وَهُوَ، وَالْمَرْءُ بِالْقَرِيبِ مُعَنَّئِي
 الرواة هم أسرة الشاعر، وهم لا يُعْتَوْنَهُ (لا يتعبونه)، بينما الإنسان يتعب من أقارب النـب
 هُمْ يَضِئُونَ فِي الْحَيَاةِ بِمَا قَا لَ، وَيُلْفَوْنَ فِي الْمَمَاتِ أَضْنَا
 في حياة الشاعر يضيئ الرواة بما قال (يحرصون على شعره)، وتلفيهم (تجدهم) بعد موته أضنَّ
 (أحرص) على شعره

وَإِذَا مَا انْقَضَى، وَأَهْلُوهُ، لَمْ يَعْ لَدَمْ شَقِيقاً مِنَ الرُّوَاةِ أَوْ ابْنَا
 وإذا ما انقضى (مات) وأهلـه، لم يعد لدم شقيقاً من الرواة من يكون كالشقيق أو الابن
 نَحْنُ فِي صُورَةِ الْمَمَالِكِ مَا لَمْ يَصْبِحِ الْعِلْمُ وَالْمَعْلَمُ مِنَّا
 نحن لسنا مملكة حقيقية بل شبح مملكة إلا إذا أصبح العلم والمعلم نابعين من بلدنا

لَا تُنَادُوا الْحُصُونَ وَالسُّفُنَ وَادْعُوا الدَّ عَلِمَ يُنْشِئُ لَكُمْ حُصُونًا وَسُفُنًا
 لَا تَنَادُوا مَنْ يَنْشِئُ لَكُمْ الْحُصُونَ وَالسُّفُنَ، بَلْ نَادُوا الْعِلْمَ لِكَيْ تَنْشِئُوا بِهِ حُصُونًا وَسُفُنًا بَأَنْفُسِكُمْ
 إِنَّ رَكْبَ الْحَضَارَةِ اخْتَرَقَ الْأَرْضَ ضَمَّ وَشَقَّ السَّمَاءَ رِيحًا وَمُزْنًا
 موكب الحضارة اخترق أعماق الأرض، وشق السماء بريحها ومزنها (غيمها)
 وَصَحْبِنَاهُ كَالْعُبَارِ فَلَا رَحَ لَا شَدَدْنَا وَلَا رِكَابًا زَمَنَّا
 ونحن! لقد صحبنا موكب العلم كأننا الغبار الذي يصاحب الموكب، فلم تكن جزءاً من الموكب،
 فما شددنا رحلاً (خرج الدابة) ولا زمننا ركاباً (ربطنا ركاب الحصان)

٢٢٩ جارة الوادي

قال شوقي بذكر رحلة بلبنان، (١٩٢٧):

شَيَّعْتُ أَحْلَامِي بِقَلْبِ بَاكِ وَلَمَمْتُ مِنْ طُرُقِ الْمِلَاحِ شِبَاكِ
 شيعت (ودعت) أحلامي بقلب باك، ولممت شبكي التي كنت أنصبها في طرق الملاح
 (الجميلات)

وَيْحَ ابْنِ جَنْبِي، كُلُّ غَايَةٍ لَذَّةٍ بَعْدَ الشَّبَابِ عَزِيزَةُ الْإِدْرَاكِ
 مسكين ابن جنبي (قلبي)، فكل لذة كبيرة تصل الغاية تصبح بعد انقضاء الشباب عزيزة الإدراك
 (صعبة التحقيق)

لَمْ تَبْقَ مِنَّا يَا فَوَادُ بَقِيَّةً لِفَتْوَةٍ، أَوْ فَضْلَةٍ لِعِرَاكِ
 لم تبق منا يا قلبي بقية لفتوة (لاعتزاز الشباب بقوته) ولا فضلة لعراك (مقارعة اللهو)

كُنَّا إِذَا صَفَّقْتَ نَسْتَبِقُ الْهَوَى وَنَشُدُّ شَدَّ الْعُصْبَةِ الْفُتَّاكِ
 كنّا وأصحابي يا قلبي إذا صفقت (خفقت) نسابق الهوى، ونشد إثّر الملاهي اشتداد عصبه
 (جماعة) من الفتاك (المنغمسين في اللهو)

وَالْيَوْمَ تَبَعْتُ فِي حَيْنَ تَهْزُنِي مَا يَبْعَثُ النَّاقُوسُ فِي النُّسَاكِ
 واليوم! تبعث في نفسي يا فؤادي عندما تهزني مشاعر هادئة كالتي يبعثها الناقوس (جرس الكنيسة)
 في النساك (المتريهين)

يَا جَارَةَ الْوَادِي طَرِبْتُ، وَعَادَنِي مَا يُشْبِهُ الْأَحْلَامَ مِنْ ذِكْرَاكِ
 يا جارة الوادي (بلدة رحلة بلبنان) طربت، وعادني (زارني) من ذكراك ما يشبه الأحلام

مَثَلْتُ فِي الذِّكْرَى هَوَاكَ وَفِي الْكَرَى وَالذِّكْرِيَّاتُ صَدَى السَّنِينِ الْحَاكِي
أكرر ذكراك في ذهني وفي نومي، والذكريات كأنها صدى السنين الحاكي (المقلد)، فهي تشبه
الحدث الأصلي وتحاكيه كما يشبه الصدى الصوت الأصلي

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى الرِّيَاضِ بِرَبْوَةٍ غَنَاءَ، كُنْتُ حَيَالَهَا أَلْقَاكَ
مررت الآن وأنا على الرياض (البساتين) بربرة غناء (نلة جميلة) كنت حيالها (عندها) كأنني ألقاك

ضَحِكْتُ إِلَيَّ وَجُوهُهَا وَعَيُونُهَا وَوَجَدْتُ فِي أَنْفَاسِهَا رَيَّاكَ
ضحكت إلي وجه الربوة (أزهارها) وعيونها (السواد في وسط الأزهار)، ووجدت في أنفاس
(رائحة) الربوة رياك (عطرك)

لَمْ أَذِرْ مَا طِيبُ الْعِنَاقِ عَلَى الْهُوَى حَتَّى تَرَفَّقَ سَاعِدِي فَطَوَاكِ
لم أكن أدري ما طيب (لذة) العناق مع وجود الحب حتى ترفق (تأني) ساعدي فطواك في ضمة حب

وَتَأَوَّدْتُ أَعْطَافَ بَانِكٍ فِي يَدِي وَاحْمَرَّ مِنْ خَفَرَيْنِهِمَا خَدَّاكَ
وتأودت (تمايلت) أعطاف (جنات) بانك (شجر البان) في يدي، واحمر خدأك من خفريهما
(خجلهما). احمر الخدان من «خفريهما» أي خجلهما، ولكن الوزن جعلها «خفريهما» فكان لكل
خد خجلاً خاصاً به

وَدَخَلْتُ فِي لَيْلَيْنِ: قَرَعِكَ وَالذُّجَى، وَلَثَمْتُ كَالصُّبْحِ الْمُنَوَّرِ فَاكِ
ومع العناق دخلت في ليلين: قرعك (شعرك)، والذجى (الليل)؛ ولثمت (قَبَلْتُ) فاك الذي كان
كالصبح المشرق

وَتَعَطَّلْتُ لُغَةَ الْكَلَامِ، وَخَاطَبْتُ عَيْنِيَّ فِي لُغَةِ الْهُوَى عَيْنَاكِ
وتعطلت لغة الكلام، وتخطبت عيوننا بلغة الهوى

وَمَحَوْتُ كُلَّ لُبَانَةٍ مِنْ خَاطِرِي وَنَسِيتُ كُلَّ تَعَاتِبٍ وَتَشَاكِ
ومحوت كل لبانة (رغبة) أخرى من خاطري، ونسيت كل تبادل للعتاب والشكوى

لَا أَمْسِ مِنْ عُمُرِ الزَّمَانِ وَلَا غَدُ جُمِيعَ الزَّمَانِ فَكَانَ يَوْمَ رِضَاكِ
فلا الأمس ولا الغد محسوبان في عمر الزمن، فكل الزمن هو اللحظة الحاضرة، لحظة رضاك

إِنْ تُكْرِمِي، يَا زَحْلَ، شِعْرِي إِنْ نِي أَنْكَرْتُ كُلَّ قَصِيدَةٍ إِلَّاكِ
إن تكرمي شعري يا زحلة فإنني أنكرت كل القصائد إلا إياك أيتها القصيدة

أَنْتِ الْخِيَالُ، بِدِيعُهُ وَغَرِيبُهُ، اللَّهُ صَاغَعُكَ، وَالزَّمَانُ رَوَاكِ
فأنت قصيدة مكونة من الخيال البديع الغريب، وقد صاغك الله ورَدَدَكَ الزمان

٢٣٠ البناء بالحاسدين

قال شوقي في بناء الدار الجديدة لبنك مصر، ويخاطب طلعت حرب (١٩٢٧):

مَا زِلْتَ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ بِرُكْنَيْهِ حَتَّى اسْتَقَامَ عَلَى أَعَزِّ دَعَامِ
مَا زِلْتَ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ (مدحت يكن، وفؤاد سلطان) بركن هذا المبنى حتى قام على أعز (أقوى)
دعامة

أَسَسْتُمْ بِالْحَاسِدِينَ جِدَارَهُ وَبَنَيْتُمْ بِمَعَاوِلِ الْهَدَامِ
وأنتم بنيتم جدرانه بأجسام الحساد، وبنيتموه بمعاول الهادمين، فكأنكم استخدمتم قوى الحسد
والهدم لتشخذوا بها همكم فبنيتم ما بنيتم. معنى جديد، ها؟

شَرِكَاؤُكَ الدُّنْيَا الْعَرِيضَةُ، لَمْ تُنَلِّ إِلَّا بِطُولِ رِعَايَةٍ وَقِيَامِ
شركائك يا طلعت حرب ملء الدنيا، وقد حققتها بطول الرعاية والقيام عليها

اللَّهُ سَخَّرَ لِلْكِنَانَةِ خَازِنًا أَخَذَ الْأَمَانَ لَهَا مِنَ الْأَعْوَامِ
الله سخر لمصر خازناً (أمين صندوق) أخذ أماناً لمصر من الزمن الغدار

وَكَانَ عَهْدُكَ عَهْدُ يَوْسُفَ، كُلُّهُ ظِلٌّ وَسُنْبُلَةٌ وَقَطْرُ غَمَامِ
فكان عهدك عهد يوسف الصديق (الذي كان خازناً لفرعون)، فعهدك كله ظل من الشجر وسنابل
وقطر (مطر) من الغمام

وَكَانَ مَالُ الْمَوْدِعِينَ وَزَرَعهُمْ فِي رَاحَتِيكَ وَدَائِعُ الْأَيْتَامِ
وكان ودائع الناس وزرعهم (يودعون المال عندك، أو يقترضونه لتحسين مزارعهم) في يدك ودائع
الأيتام التي يحرم العتب بها كل التحريم

مَا زِلْتَ تَبْنِي رُكْنَ كُلِّ عَظِيمَةٍ حَتَّى أَتَيْتَ بِرَابِعِ الْأَهْرَامِ
لا تفتأ تبني كل مبنى عظيم، حتى جئتنا الآن بهذا المبنى وكأنه هرم رابع

٢٣١ قد يكون الغلو رأياً أصيلاً

قال شوقي يرثي أمين الرافعي، الكاتب السياسي وعضو الحزب الوطني، ثم نصير الوفد
إلى أن اختلف مع سعد، (١٩٢٧):

مَالِ أَحِبَّائِهِ خَلِيلاً خَلِيلاً وَتَوَلَّى اللَّذَاتُ إِلَّا قَلِيلاً
شوقي يتكلم عن نفسه: مال (ذهب) أحباب شوقي واحداً واحداً، وتولى (انصرف) اللذات
(الرفاق) إلا قليلاً منهم

نَصَلُّوا أَمْسٍ مِنْ غِبَارِ اللَّيَالِي وَمَضَى وَحْدَهُ يَحُثُّ الرَّحِيلَا
نصلوا (انسحبوا) أمس من غبار الليالي، فكان الزمن كوكبة خيل وفرسان مسرعة يصحبها الغبار،
ومن ينسحب يترك الغبار سائراً ويتخلف عنه، ومضى شوقي يحث (بتعجل) الرحيل كما رحلوا

سَكَنْتَ مِنْهُمْ الرِّكَابُ، كَأَنَّ لَمْ تَضْطَرِبْ سَاعَةً وَلَمْ تَمْضِ مِيلَا
سكنت الركاب (الخيل) التي كانوا يركبونها، وكأنها لم تكن تضطرب (تتحرك)، وكأنها لم تَمْضِ
(تمشي) بهم ميلاً واحداً

جُرِّدُوا مِنْ مَنَازِلِ الْأَرْضِ إِلَّا حَجَرًا دَارِسًا وَرَمَلًا مَهِيلًا
جُردوا من منازلهم في الأرض عدا الحجر الدارس (حجر القبر الممحو الأثر) والرمل المهيل
عليهم

فِي يَبَابٍ مِنَ الشَّرَى رَدَّهُ الْمَوْتُ نَقِيًّا مِنَ الْحُقُودِ غَسِيلًا
وهم في يباب (قفر) من التراب رده (جعله) الموت نقياً غسلاً (مغسولاً) من الحُقُود (الأحقاد)

طَرَحُوا عِنْدَهُ الْهَمُومَ، وَقَالُوا إِنَّ عِبَاءَ الْحَيَاةِ كَانَ ثَقِيلًا
طرحوا همومهم عند شوقي وذهبوا، وقالوا إن عبء الحياة كان ثقيلاً

رُبَّ يَوْمٍ يُنَاحُ فِيهِ عَلَيْنَا لَوْ نُحْسُ النُّوَاحَ وَالتَّرْتِيلَا
رب يوم يُنَاحُ فيه علينا نحن أيضاً، هذا لو كنا سنحس بهذا النواح والترتيل وقد متنا

بِمَرَاثٍ كُتِبْنَ بِالْدمْعِ عَنَّا أَسْطُرًا مِنْ جَوَى وَأُخْرَى عَلِيلَا
سيناح علينا بمراث كتبت بالدموع، ففيها أسطر من الجوى (اللوعة) وأسطر من الغليل (اللوعة)

يَجِدُ الْقَائِلُونَ فِيهَا الْمَعَانِي يَوْمَ لَا يَأْذُنُ الْبِلَى أَنْ نَقُولَا
سيجد أصحاب المراثي معاني لراثنا في وقت لا يأذن لنا البلى (تحلل الجسم) أن نقول الشعر

أَخَذَ الْمَوْتُ مِنْ يَدِ الْحَقِّ سِيفًا خَالِدِي الْغَرَارِ عَضْبًا صَقِيلًا
بموت الرافعي أخذ الموت من يد الحق سيفاً خالدٍ الغرار (حده كحد سيف خالد بن الوليد)
عضباً (قاطعاً) مصقولاً

لَمْ يَخَفْ فِي حَيَاتِهِ شَبَحَ الْفَقْرَ إِذَا طَافَ بِالرِّجَالِ مَهُولَا
لم يكن الرجل يخاف شبح الفقر إذ يطوف هذا الشبح بالرجال مهولاً (مخوفاً)

جَاعَ حِينًا فَكَانَ كَاللَيْثِ، أَبِي مَا تُلَاقِيهِ يَوْمَ جُوعٍ هَزِيلَا
جاع الرافعي حيناً فكان كالأسد أكثر ما يكون إباء وعزة يوم يجوع ويهزل جسمه

قِيلَ: غَالٍ فِي الرَّأْيِ، قُلْتُ: هَبُوهُ قَدْ يَكُونُ الْغُلُوُّ رَأْيًا أَصِيلًا
قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ كَانَ غَالِيًّا فِي رَأْيِهِ (مَغَالِيًّا مُتَشَدِّدًا)، فَقُلْتُ: هَبُوهُ (افْرَضُوا أَنَّهُ) كَذَلِكَ، قَدْ يَكُونُ الْغُلُوُّ
(الْتِشَادُ) رَأْيًا أَصِيلًا لِلْمَرْءِ وَلَيْسَ مَجْرَدُ عِنَادٍ

وَقَدِيمًا بَنَى الْغُلُوُّ نَفُوسًا وَقَدِيمًا بَنَى الْغُلُوُّ عُقُولًا
وَالْتِشَادُ بَنَى فِي الْقَدِيمِ نَفُوسًا وَعُقُولًا، لِأَنَّهُ تَشَدَّدَ فِي الْحَقِّ

عَاشَ لَمْ يَغْتَبِ الرِّجَالَ، وَلَمْ يَجِدْ حِلَّ شُؤْنِ النَّفُوسِ قَالًا وَقِيلًا
عَاشَ الرَّافِعِي وَلَمْ يَغْتَبِ الرِّجَالَ، وَكَانَ يَجْتَبِ الْقَالَ وَالْقِيلَ

إِنَّ يُفِثَ فَيْكَ مِنْبَرَ الْأَمْسِ شِعْرِي إِنَّ لِي الْمَنْبَرَ الَّذِي لَنْ يَزُولَا
لَنْ أَفَاتَ (أَضَاعَ) شِعْرِي مَنْبَرَ الْأَمْسِ إِذْ لَمْ أَسَارِعْ فِي تَأْيِينِكَ، فَإِنَّ لِي مَنْبَرًا لَنْ يَزُولَ. وَالرَّجُلُ
مَاتَ سَنَةَ ٢٦ وَرَثَاهُ شَوْقِي سَنَةَ ٢٧ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْنَا مِنْ تَوَارِيخٍ. (وَيُفِثَ) قَرَأَهَا جَامِعُ الشُّوْقِيَّاتِ
وَصَاحِبُ الْمَوْسُوعَةِ الشُّوْقِيَّةِ كِلَاهُمَا (يُفِثَ) بَفَتْحٍ فَضَمٍّ، وَفَضَّلْتَ الضَّمَّ فَالْفَتْحَ

جَلَّ عَنْ مُنْشِدٍ سِوَى الدَّهْرِ يُلْقِيهِ عَلَى الْغَابِرِينَ جِيلًا فَجِيلًا
فَشِعْرِي جَلَّ عَنْ أَيِّ مُنْشِدٍ سِوَى الدَّهْرِ، الَّذِي يَرْتَلِيهِ عَلَى الْغَابِرِينَ (الْفَانِينَ) جِيلًا يَفْنَى بَعْدَ جِيلٍ،
وَشِعْرِي بَاقٍ

٢٣٢ رثاء سعد

قال شوقي يرثي سعد زغلول (١٩٢٧):

شَيَّعُوا الشَّمْسَ وَمَالُوا بِضُحَاهَا وَانْحَنَى الشَّرْقُ عَلَيْهَا فَبَكَاهَا
شَيَّعُوا (وَدَّعُوا) الشَّمْسَ، وَمَالُوا (ذَهَبُوا) بِضُحَاهَا، وَانْحَنَى الشَّرْقُ، مَطْلَعُ الشَّمْسِ، عَلَيْهَا وَبَكَاهَا.
وَالشَّرْقُ أَيْضًا هُوَ بِلَادُ الشَّرْقِ

لَيْتَنِي فِي الرِّكْبِ لَمَّا أَقْلَتُ يُوشَعُ هَمَّتْ فَنَادَى فَنَاشَاهَا
لَيْتَنِي وَأَنَا فِي رَكْبِ الْمَشِيعِينَ إِذْ أَقْلَتُ (غَابَتْ) هَذِهِ الشَّمْسُ، لَيْتَنِي كُنْتُ يَوْشَعَ (قَائِدَ الْيَهُودِ الَّذِي
أَرَادَتْ الشَّمْسُ الْمَغِيبُ فَطَلَبَ إِلَى رَبِّهِ مَنَعَهَا مِنَ الْغُرُوبِ كَيْ يَقْتُلَ أَعْدَاءَهُ قَبْلَ دُخُولِ السَّبْتِ) حِينَ
هَمَّتِ الشَّمْسُ بِالْمَغِيبِ فَنَادَى رَبُّهَا (أَعَادَهَا)

جَلَّلَ الصُّبْحَ سَوَادًا يَوْمُهَا فَكَأَنَّ الْأَرْضَ لَمْ تَخْلَعْ دُجَاهَا
يَوْمَ مَغِيبِ شَمْسِ سَعْدٍ جَلَّلَ الصُّبْحَ بِالسَّوَادِ، فَكَأَنَّ الْأَرْضَ لَمْ تَدْخُلْ فِي النَّهَارِ وَبَقِيََتْ لَابِسَةً ثَوْبَ
الدُّجَى (الظُّلْمَةِ)

مَا دَرَزْتُ مَصْرُ بَدْفَنِ صُبِّحَتْ أَمْ عَلَى الْبَعَثِ أَفَاقَتْ مِنْ كَرَاهَا

لم تدر مصر هل ضُبحت بدفني، أم أنها أفاقت من كراها (نومها) على البعث (يوم القيامة) لاهتياج
المشاعر في يوم موت سعد

خَفَضُوا فِي يَوْمِ سَعْدٍ هَامَهُمْ وَيَسَعِدُ رَفَعُوا أُمْسَ الْجِبَاهَا
خَفَضَ النَّاسُ جِبَاهَهُمْ فِي يَوْمِ مَوْتِ سَعْدٍ، وَكَانُوا بِهَذَا الرَّجُلِ قَدْ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ بِالْأُمْسِ
حَضَنْتُ نَعْشَكَ وَالتَفْتُ بِهِ رَايَةً كُنْتَ مِنَ الذُّلِّ فِدَاهَا
حَضَنْتُ نَعْشَكَ وَالتَفْتُ عَلَيْهِ رَايَةً مِصْرَ الَّتِي كُنْتَ تَفْدِيهَا مِنْ أَنْ يَصِيبَهَا الذُّلُّ

ضَمَّتِ الصِّدْرَ الَّذِي قَدْ ضَمَّهَا وَتَلَقَّى السَّهْمَ عَنْهَا فَوَقَاهَا
ضَمَّتِ الرَّايَةَ صَدْرًا كَانَ يَضُمُّهَا وَيَتَلَقَّى سَهْمَ الْأَعَادِي عَنْهَا وَيَقِيهَا

تَسْكَبُ الدَّمَاعَ عَلَى سَعْدٍ دَمًا أُمَةً مِنْ صَخْرَةٍ الْحَقُّ بَنَاهَا
تَسْكَبُ الدَّمَاعَ عَلَى سَعْدٍ دَمًا أُمَةً بَنَاهَا سَعْدٌ مِنْ صَخْرَةِ الْحَقِّ

رَقَدَ الثَّائِرُ إِلَّا ثَوْرَةً فِي سَبِيلِ الْحَقِّ لَمْ تَخْمُدْ جُذَاهَا
رَقَدَ الثَّائِرُ إِلَّا أَنْ ثَوْرَتَهُ لَمْ تَخْمُدْ جُذَاهَا (جمراتها)

قَدْ تَوَلَّاهَا صَبِيًّا فَكَوَتْ رَاحَتِيهِ، وَفَتِيًّا فَرَعَاهَا
قَدْ تَوَلَّى سَعْدَ الثَّوْرَةِ صَبِيًّا، فَكَوَتْ رَاحَتِيهِ، وَتَوَلَّاهَا فَتِيًّا (شَابًا) فَرَعَاهَا

جَالَ فِيهَا قَلَمًا مُسْتَنْهَضًا وَلِلسَانِ كُلَّمَا أَغَيْتَ حَدَاهَا
جَالَ (تَجَوَّلَ) سَعْدٌ فِي الثَّوْرَةِ صَاحِبَ قَلَمٍ يَسْتَنْهِضُ الْعِزَائِمَ، وَصَاحِبَ لِسَانٍ كُلَّمَا تَعَبَتِ الثَّوْرَةُ
حَدَاهَا (أَشَدَّهَا حَدَاءً لِتَسِيرَ قَدَمًا)

وَرَمَى بِالنَّفْسِ فِي بُرْكَانِيهَا فَتَلَقَّى أَوَّلَ النَّاسِ لَظَاهَا
وَرَمَى نَفْسَهُ فِي بُرْكَانِ الثَّوْرَةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّى لَظَاهَا (لَهْيَهَا) فَتَفَّى

أَعْلِمْتُمْ بَعْدَ مُوسَى مِنْ يَدٍ قَذَفْتُ فِي وَجْهِ فِرْعَوْنَ عَصَاهَا
هَلْ عَلِمْتُمْ بَعْدَ مُوسَى النَّبِيِّ يَدًا رَمَتْ فِي وَجْهِ الْمُسْتَبَدِّ عَصَاهَا كَمَا فَعَلَ مُوسَى بِفِرْعَوْنَ؟ إِنَّهُ سَعْدٌ
زَغْلُولُ الَّذِي تَحْدَى الْإِنْجِلِيزَ

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي نَفْسٌ حُرَّةٌ كُنْتُ بِالْأُمْسِ بَعِينِي أَرَاهَا
أَيْنَ مِنْ عَيْنِي الْآنَ تِلْكَ النَّفْسُ الْحُرَّةُ الَّتِي كُنْتُ بِالْأُمْسِ أَرَاهَا

كَلِمَا أَقْبَلْتُ هَزَّتْ نَفْسَهَا وَتَوَاصَى بِشُرْهَا بِي وَنَدَاهَا
كُنْتُ كُلَّمَا أَقْبَلْتُ اهْتَزَّتْ نَفْسُ سَعْدٍ، وَتَوَاصَى بِشُرِّهَا بِي وَنَدَاهَا (أَوْصَتْ بِشَاشَةِ نَفْسِهِ، كَرَّمَ تِلْكَ
النَّفْسَ، بِي خَيْرًا)

أَلْمَحُ الْأَيَّامَ فِيهَا، وَأَرَى مِنْ وَرَاءِ السَّنِّ تَمَثَالُ صِبَاهَا
ألمح الأيام (مرور السنين) في هذه النفس، وأرى وراء السن صورة الصبا، فنفس سعد في
شيخوخته احتفظت بحيوية الصبا

حَلَّتِ السَّبْعُونَ فِي هَيْكَلِهَا فَتَدَاعَى، وَهِيَ مَوْفُورٌ بِنَاهَا
حلت السبعون سنة في هيكل (جسم) هذه النفس، فتداعى الجسم (هرم) بينما النفس موفورة البنيان
عامرة بالحيوية

رَوْعَةُ النَّادِي إِذَا جَدَّتْ، فَإِنْ مَرَّحَتْ لَمْ يُذْهِبِ الْمَرْحُ بَهَا
هذه النفس هي روعة (مهابة) النادي (المحفل) في الجد، فإن مزحت فالمزح لا يذهب ببها
ووقارها

وَلَهَا صَبْرٌ عَلَى حُسَادِهَا يُشْبِهُ الصَّفْحَ، وَحِلْمٌ عَنْ عِدَاهَا
ولها صبر على الحساد شبيه بالصفح (المسامحة)، ولها حلم (احتمال) لعداها (لأعاديها). والقول
إن «صبر سعد على الحساد يشبه الصفح» جديد وجميل، ودقيق. وكلمة «يشبه» في هذا البيت
مطربة لأنه ليس فيها مبالغة

أَيْنَ مَنِّي قَلَمٌ كُنْتُ إِذَا سُمْتُ أَنْ يَرْتِي الشَّمْسُ رثَا
أين قلمي الذي كنت إذا سمته (أجبرته) أن يفعل المنحيل، كأن يرتي الشمس، فعل؟

خَانَنِي فِي يَوْمٍ سَعْدٍ، وَجَرَى فِي الْمَرَاثِي فَكَبَا دُونَ مَدَا
خانني قلمي في يوم موت سعد، وجرى في الرثاء فكبا (سقط أرضاً) دون الوصول إلى المدى
(الغاية القصوى)

فِي نَعِيمِ اللَّهِ نَفْسٌ أُوتِيَتْ أَنْعَمَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَنْسَ ثَقَا
فلتذهب إلى نعيم الله هذه النفس التي أوتيت (منحت) نعيم الدنيا ولكنها لم تنس ثقاها (تقواها)

لَا الْحِجَا، لَمَّا تَنَاهَى، غَرَّهَا بِالْمَقَادِيرِ، وَلَا الْعِلْمُ زَهَا
لا هي اغترت عن الأقدار بالحجا (الحكمة) عندما نالت الحجا حتى أقصاه، ولا زهاها (غرها)
العلم

ذَهَبَتْ أَوَابَةُ مُؤْمِنَةٍ خَالِصاً مِنْ خَيْرَةِ الشُّكِّ هُذَا
ذهبت نفس سعد أوابة (تائبة) مؤمنة، وهذا خالص لا تشوبه حيرة الشك في الخالق

آتَسَتْ خَلْقاً ضَعِيفاً، وَرَأَتْ مِنْ وَرَاءِ الْعَالَمِ الْفَانِي إِلَهَا
آتست (وجدت) هذه النفس خلقاً (جسماً) ضعيفاً، ورأت فيما وراء العالم الفاني إلهاً خالداً

ما دَعَاها الحقُّ إِلَّا سَارَعَتْ لَيْتَهُ يَوْمَ «وَصَيْفٍ» ما دَعَاها
نفسُ سعد ما كان يدعوها الحقُّ إِلَّا سَارَعَتْ بالقدوم إليه، فليت هذا الحقُّ (هنا معناه الموت) في
يوم وصيف («مسجد وصيف»، عزبة سعد التي بها مات) لم يدْعُها

٢٣٣ الله أعلم والقبور

قال شوقي (١٩٢٧):

اللَّهُ أَعْلَمُ وَالْقُبُورُ النفسُ تَخْلُدُ أَوْ تَبُورُ
الله والقبور يعلمان هل النفس تخلص أو تبور (تفنى)

سِرٌّ مَضَى المَوْتَى بِهِ ومضتْ على الموتى الدُّهُورُ
هذا السر ذهب الموتى به، ومضت عليهم دهور

مَنْ كَانَ يُحْيِي أَوْ يَمِيتُ تَ فَلَيْسَ يُعْجِزُهُ النُّشُورُ
من يحيي الناس ويميتهم فلن يعجز عن النشور (البعث). القصيدة بأبياتها التسعة والثلاثين على
الراء المضمومة، لا الساكنة كما أرادها بعضهم

٢٣٤ جبان

قال شوقي في مسرحية «عترة» على لسان علة، تصف الرجل الجميل الجبان،
(١٩٢٧ - ١٩٣٢):

جَمِيلٌ وَلَيْسَ بِحَامِي البُيُوتِ وَلَا مَانِعٌ مِنْ يَدِ مَالِهِ
إِذَا مَا عَوَى الكَلْبُ ضَلَّ السَّلَاحَ وَبَلَ مِنَ الخُوفِ سِرْوَالَهُ
ضلَّ: نسي

يَجُودُ بِزَوْجَتِهِ لِلْمُغِيرِ وَيَرْمِي إِلَى الذَّنْبِ أَطْفَالَهُ

٢٣٥ شكوى التيوس

قال شوقي من مسرحية «تميز»، (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

خَلُّنَا بِاللَّهِ مِنْ سَا سَ وَدَعَّنَا مِنْ يَسُوسُ
كُلَّ حِينَ حَاكَمَ يَمُ شَيْ عَلَيْنَا وَيَدُوسُ
هَكَذَا بِخَتْلَفِ الحِظِّ سُعُودٌ وَنُحُوسُ
إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ أَذْنَا بٌ لِبَعْضٍ هُمْ رُؤُوسُ

مَنْزِلُ الْأَشَدِّ الصَّحَارَى وَعَلَى الْمَرْعَى الثُّيُوسُ

٢٣٦ طريق النجاة

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

أَحَبُّ الْحَسِينِ، وَلَكِنَّمَا لَسَانِي عَلَيْهِ، وَقَلْبِي مَعَهُ
حَبَسْتُ لَسَانِي عَنْ مَذْجِهِ حِذَارَ أُمِّيَّةٍ أَنْ تَقْطَعَهُ
إِذَا الْفِتْنَةُ اضْطَرَمَّتْ فِي الْبِلَادِ وَرُمْتَ النِّجَاةَ فَكُنْ إِمَّعَهُ
اضطربت: اشتعلت، إمّعة: شخص لا رأي له

٢٣٧ حامل العشق

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، على لسان قيس (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

سَجَا اللَّيْلُ حَتَّى هَاجَ لِي الشَّعْرُ وَالْهَوَى وَمَا الْيَدُ إِلَّا اللَّيْلُ وَالشَّعْرُ وَالْحُبُّ
سجا الليل: سكن، هاج: أهاج

مَلَأَتْ سَمَاءَ الْيَدِ عِشْقًا وَأَرْضَهَا وَحُمِلْتُ وَحْدِي ذَلِكَ الْعِشْقُ يَا رَبِّ
يا رب! قد ملأت سماء الصحراء وأرضها عشقًا، وحملت أنا كل هذا العشق وحدي

٢٣٨ هَيْبَتُهَا

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، على لسان زوج ليلي «وَرْد» يصارح قيساً بأنه لم
يمسها (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

اسْمَعْ حَسِيدِي إِنَّهُ مَا خَطَّ مِثْلَهُ الْقَلَمُ
وَسِرُّهُ لَا الْأَهْلُ يَدُ رُونَ بِهِ وَلَا السَّخَدَمُ
أَنَا الَّذِي ظَلِمْتُ، قِيْ سُرُّ، مَا أَنَا الَّذِي ظَلِمُ
كَمْ مَرَّتِ اللَّيْلَةُ بِي وَاللَّيْلَتَانِ لَمْ أَنْمُ
مَنْذُ حَوْتِ دَارِي لِي لَى مَا خَلَوْتُ مِنْ نَدَمُ
كَانَتْ إِطَافَتِي بِهَا كَالْوَثْنِيِّ بِالصَّنَمِ
وَرُبُّمَا جِئْتُ فِرَا شَهَا، فَخَانَتْنِي الْقَدَمُ
شِعْرُكَ يَا قَيْسُ جَنَى عَلَيَّ هَذَا وَاجْتَرَمُ

هَيَّيْتُهَا فَاَمْتَنَعَتْ كَأَنَّهَا صَيْدُ الْحَرَمِ

شعرك جعل ليلي مهية ومحرمه كالصيد في الحرم

٢٣٩ قد يهون العمر إلا ساعة

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، على لسان قيس، (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

جبلَ التَّوْبَادِ! حَيَّاكَ الْحَيَا وَسَقَى اللّهُ صِبَانَا، وَرَعَى

يا جبلَ التوباد (جبل في نجد) حياك الحيا (المطر)، وسقى الله ورعى أيام الصبا

وَعَلَى سَفْحِكَ عِشْنَا زَمَنًا وَرَعَيْنَا غَنَمَ الْأَهْلِ مَعَا

هذه الرِّبْوَةُ كَانَتْ مَلْعَبًا لِشَبَابِنَا وَكَانَتْ مَرْتَعَا

كَمْ بَنَيْنَا مِنْ حَصَاهَا أَرْبُعًا وَانْتَنَيْنَا فَمَحَوْنَا الْأَرْبُعَا

الأربع: البيوت

وَحَطَّظْنَا فِي نَقَا الرَّمْلِ، فَلَمْ تَحْفَظِ الرِّيحُ، وَلَا الرَّمْلُ وَعَى

نقا: كتيب

لَمْ تَزُلْ لَيْلَى بِعَيْنِي طِفْلَةً لَمْ تَزِدْ عَنْ أُمِّسِ إِلَّا إِضْبَعَا

كَلَّمَا جِئْتُكَ رَاجِعْتُ الصَّبَا فَأَبَتْ أَيَّامُهُ أَنْ تَرْجِعَا

قَدْ يَهُونُ الْعَمْرُ إِلَّا سَاعَةً وَتَهُونُ الْأَرْضُ إِلَّا مَوْضِعَا

بيت من خمرة شوقي المعتقدة

٢٤٠ عد ظافراً أو لا تعد

كليوباترا تحت أنطونيوس على القتال، من مسرحية «مصرع كليوباترا» (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

إِمْضِ إِلَى الْهَيْجَاءِ أَنَا طُنْيُوسُ كَمَا يَمْضِي الْأَسَدُ

الهيحاء: الحرب

إِمْضِ إِلَى الْمَجْدِ، وَلَا يُقْعِدُكَ شُغْلٌ فِي الْبَلَدِ

الْمَنْجَدُ لَا يَسْأَلُ عَنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدِ

يَا لَيْتُ سِرٌّ، يَا نَسْرُ طِرْ عُدْ ظَافِراً، أَوْ.. لَا تَعُدْ

٢٤١ الذابلتان

قال شوقي على لسان كليوباترا وقد رأت قبيل انتحارها زنبقة في إناء، من مسرحية «مصرع كليوباترا» (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

زَنْبَقَةٌ فِي الْأَنْيَّةِ ضَحِيَّةُ الْأَنْيَّةِ
جَنَّتْ عَلَيْهَا غُرْبَةٌ أَسْرَ الْأَكْفُفِ الْجَانِيَةِ
جنت عليها (أجرت بحقها) وكبدتها غربةً وأسرًا في المزهريّة تلك الأكف الجانية (القاطعة التي جنتها)
وَبُدِّلْتُ مِنْ سَعَةِ الرَّ- بُوَّةِ ضَيْقَ الْبَاطِيَةِ
الباطية: الإناء

يَسْقُوْنَهَا مِنْ جَرَّةٍ بَعْدَ الْعَيُونِ الْجَارِيَةِ
تسقى الزنبقة من الجرة بعد أن كانت تشرب من العيون الجارية

يَا جَارَتَا! شَأْنُكَ لَا يَشْبِيهِ إِلَّا شَانِيَةَ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلْكِي الْعَرِي ضِ غَيْرُ دَارِ خَاوِيَةٍ
وَكُلُّنَا ذَابِلَةٌ عَمَّا قَلِيلٍ ذَاوِيَةٍ

زَالَ النَّعِيمُ وَفَرَّغَ نَا مِنْ حَيَاةٍ فَانِيَةٍ

٢٤٢ عبث في عبث

قال شوقي (١٩٢٨):

نَعِيشُ وَنَمْضِي فِي عَذَابٍ كَلْدَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، أَوْ فِي لَذَّةٍ كَعَذَابِ
عيشتنا وموتنا عذاب مختلط باللذة

وَكُلُّ أَخِي عَيْشٍ، وَإِنْ طَالَ عَيْشُهُ، تُرَابٌ لَعَمْرُ الْمَوْتِ وَابْنُ تَرَابٍ
وكل أخى عيش (كل حي) مهما طال عمره، فهو تراب (لأنه خلق من تراب ويؤول إلى التراب)
وابن تراب (قأبواه مثله)

٢٤٣ يدور حيث تدور المجد والحسد

قال شوقي يرثي عبد الخالق ثروت، وهو رئيس وزراء مرتين في العشرينات، ومات في باريس فجأة (١٩٢٨):

يَمُوتُ فِي الْغَابِ، أَوْ فِي غَيْرِهِ، الْأَسَدُ كُلُّ الْبِلَادِ وَسَادٌ حِينَ تُتْسَدُ
يموت الأسد في الغاب أو بعيداً عنه، وكل بلد هي وساد (وسادة) لك حين تُتْسَدُ هذه البلد (تُتخذ وسادة)

قد غَيَّبَ الغربُ شمساً لا سَقَامَ بِهَا كَانَتْ عَلَى جَنَابِ الشَّرْقِ تَتَّقِدُ
إذ مات الفقيد في باريس فقد غَيَّبَ الغرب هذه الشمس التي لم يكن بها من سقام (مرض)، وكانت متوقدة في جنبات بلادنا في الشرق

طوى جِمَايَتَهُ المحتلُّ وانبسطَ حِمَايَةُ اللَّهِ فاستدْرِى بِهَا البلدُ
طوى المحتل حمايته عنا، وانبسطت فوق البلد حماية الله فاستدري (احتمي) بها

نم غيرَ بالِكَ على ما شِدَّتْ مِنْ كَرَمٍ ما شِيدَ لِلْحَقِّ فَهُوَ السَّرْمَدُ الْأَبْدُ
نم يا عبد الخالق ثروت غير آسف على الكرم (المعروف) الذي شدته (بنيته)، فما شيد للحق فهو سرمدي (أبدي)

لم يُظْغِكَ الحُكْمُ في شَتَى مَظَاهِرِهِ ولا استخَفَّكَ لِينُ العِيشِ والرَّغْدِ
لم يجعلك الحكم في شتى مظاهره طاغية مستبداً، ولا استخفك (أطربك) لين العيش والرغد (الغنى)

نَشَأَتْ في جَبْهَةِ الدُّنْيَا وفي فَمِهَا يَدُورُ حَيْثُ تدورُ المَجْدُ والحَسَدُ
نشأت وأنت في المقدمة وذكرك على ألسنة الناس، والمجد والحسد يلازمانك، مثل كل عظيم
لكلِّ يومٍ غَدٌ يَمْضِي بِرُوعِيَّتِهِ وما لِيَوْمِكَ يا خَيْرَ اللَّذَاتِ غَدُ
لكل يوم حزين غد يذهب بالروعة (بالارتياح)، ولكن يومك الذي مت فيه يا خير اللذات (الرفاق)
ليس له غد نسي فيه حزننا، فحزننا عليك دائم

٢٤٤ ما الناس إلا أول

قال شوقي في حفل نسائي في دار التمثيل العربي برئاسة هدى شعراوي (١٩٢٨):
إِنَّ السَّمَاءَ جَدِيرَةٌ بالطيرِ وَهُوَ بِهَا جَدِيرُ
السَّمَاءُ جديرة بالطائر الذي ينشد حريته وهو جدير بها

هِيَ سَرْجُهُ المَشْدُودُ وَهُوَ وَ عَلَى أَعْنَئِهَا أَمِيرُ
السَّمَاء للطير كالسرج للحصان، والطير إذ يمسك بأعنتها (بزمامها) مثل الأمير

حَرِيَّةٌ خُلِقَ الْإِنْسَانُ تُ لَهَا كَمَا خُلِقَ الذُّكُورُ
يا قاسم! انظر كيف سا ر الفكر وانتقل الشعور
يا قاسم أمين (وتوفي قبل القصيدة بعشرين سنة) انظر كيف سار (اكتسب سيرورة وانتشر) فكرك وانتقل شعورك لغيرك

جَابَتْ قَضِيَّتُكَ الْبَلَا ذَكَأَتْهَا مَثَلُ يَسِيرُ

قضية المرأة، وهي قضيتك، طافت بالبلاد كالمثل السائر

مَا النَّاسُ إِلَّا أَوَّلُ يَمْضِي فِيخْلُفُهُ الْأَخِيرُ

الناس المؤثرون في سير الأمور هم ذلك «الأول» الذي يبادر، ثم يَمْضِي، ثم يتبعه المتأخر زماناً

الْفَكْرُ بَيْنَهُمَا، عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ، هُوَ السَّفِيرُ

ويصل بين الأول والأخير الفكر، وهو على البعد الزماني والمكاني سفير بين الأجيال

مَا فِي كِتَابِكَ ظَفْرَةٌ تُنْعَى عَلَيْكَ وَلَا غُرُورُ

كتابك عن تحرير المرأة ليس فيه ظفرة (شذوذ) تُنْعَى (تُثَنَّد) عليك، ولا غرور

وَوَضَعْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّ- حِسَابَ وَاضِعِهِ عَسِيرُ

وضعت كتابك وأنت تعلم أن واضع كتاب كهذا سيتعرض للصعاب

لَكَ فِي مَسَائِلِهِ الْكَلَا مُ الْعَفْ وَالْجَدَلُ الْوَقُورُ

كنت في المسائل التي طرحتها عفيف اللسان وذا جدل رصين

عَضْرُ الْعَبَاقِرَةِ النُّجُومِ مِ بَنُورِهِ تَمْشِي الْعَصُورُ

قصيدة من واحد وخمسين بيتاً كلها مضمومة القافية، فلماذا جعلتها الموسوعة الشوقية وجامعو الشوقيات المتأخرون موقوفة مقيدة؟ كأنما لم يسمعوا بمجزوء الكامل المرفل؟ ولم نعلم أن شوقي لازم في هذا الأمر ما لا يلزم. فأما ما صنعه العجاج في «قد جبر الدين الإله فجير» حين أسكن رويّه، مع أن كل أشطره التي بلغت نحو المئين كانت تكون منصوبة لو أنها أطلقت فأمر مختلف. فذلك رجز، وأبيات العجاج رُويّت موقوفة، والوزن يقتضي ذلك

٢٤٥ مشى ومشت فيالق من فرنسا

قال شوقي في ذكرى استقلال سوريا (١٩٢٨):

حَيَاةٌ مَا نُرِيدُ لَهَا زِيَالَا وَدُنْيَا لَا نُوَدُّ لَهَا انْتِقَالَا

نحن متعلقون بهذه الحياة لا نريد لها زوالاً، ولا نود عن الدنيا انتقالاً

وَلَوْ زَادَ الْحَيَاةَ النَّاسُ سَعِيًّا وَإِخْلَاصًا لَزَادَتْهُمْ جَمَالَا

ولو زاد الناس دنياهم مثابة وإخلاصاً لازدادت جمالاً

كَأَنَّ اللَّهَ إِذْ قَسَمَ الْمَعَالِي لِأَهْلِ الْوَجَابِ ادَّخَرَ الْكَمَالَا

كأن الله عندما قسم المعالي (الأمجاد) ادَّخَرَ لمن يقومون بالواجب الكمال

ترى جِداً، ولستَ ترى عليهم ولوعاً بالصغائر واشتغالا
 ترى من «أهل الواجب» جداً ومثابرة، ولا ترى بهم ولعاً (شغفاً) أو اشتغالاً بصغائر الأمور
 وليسوا أرغدَ الأحياء عيشاً ولكن أنعم الأحياء بالا
 وليسوا أغنى الناس، ولكنهم أنعم (أهدأ) الناس بالاً

وإن سألتهم الأوطان أعطوا دماً حُرّاً، وأبناءً، ومالا
 سأذكر ما حيثُ جدارَ قَبْرِ بظاهرٍ جَلَّتْ رَكِبَ الرِّمالا
 سأذكر ما حيث حجارة قبر بظاهر (خارج) جلق (دمشق)

تَغَيَّبَ عَظْمَةُ الْعَظَمَاتِ فِيهِ وأوَّلَ سَيِّدٍ لِقَى النَّبَا
 تغيب في هذا القبر يوسف العظمة الذي كان أول سيد لقي بصدرة النبال (السهام)

مشى ومشت فيالقٌ من فرنسا تَجُرُّ مَطَارِفَ الظَّفَرِ اخْتِيالا
 زحف لملاقاة فيالق الفرنسيين الذين كانوا يجرون مطارف (أردية) الظفر (النصر في الحرب الأولى)
 اختيالاً (تكبراً)

أقامَ نهارَهُ يُلقِي وَيَلْقَى فلما زالَ قرصُ الشمسِ زالا
 مكث نهاره يقذفهم ويتلقى قذائفهم، فلما غربت الشمس غربت حياته

فَكُفِّنَ بِالصَّوَارِمِ وَالْعَوَالِي وَغُيِّبَ حَيْثُ جالَ وَحَيْثُ صالا
 فكفن بالصوارم (بالسيوف) والعوالي (الرماح)، ودفن حيث جال وصال

٢٤٦ اللؤلؤة لمن نالها

قال شوقي في تمثال نهضة مصر (١٩٢٨):

وَرُبَّ امْرِئٍ لَمْ تَلِدْهُ الْبِلَادُ نَمَاهَا وَنَبَّهَ أَنْسَالُهَا
 رب رجل لم يولد في البلاد، ولكنه نماها (أنماها) وجعل أنسالها (أبناءها الأصليين) نابهين
 وَلَيْسَ اللَّائِي مِلْكُ الْبُحُورِ وَلَكِنَّهَا مِلْكُ مَنْ نَالَهَا
 واللآلئ ليست ملكاً للبحر، بل يملكها من غاص ونالها، ومصر ملكها محمد علي وهو غريب عنها

وَمَا كَعَلِيٍّ وَلَا جِيلِهِ إِذَا عَرَضَتْ مِصْرُ أَجْيَالِهَا
 وليس يوجد كمحمد علي وجيله بين أجيال مصر المتعاقبة

بَنَوْا دَوْلَةً مِنْ بَنَاتِ الْأَسْنَنِ لَمْ يَشْهَدْ النِّيلُ أَمْثَالَهَا
 بنوا دولة من بنات الأسنة (ذوات الأسنة من سيوف ورماح) لم يشهد وادي النيل مثلاً

٢٤٧ في الليل لما خلي

قال شوقي (١٩٢٩):

فِي اللَّيْلِ لَمَّا خَلِي إِلَّا مِنَ السِّبَاكِ
وَالنُّوْحِ عَلَى الدُّوْحِ حَلِي لِلصَّارِخِ الشَّاكِي
مَا تَعْرِفُ الْمُبْتَلِي فِي الرُّوْحِ مِنَ الْحَاكِي

عندما يخلو الليل من كل شيء إلا من عاشق يبكي، وعندما يحلو النوح على الدوح (الشجر) لمن يصرخ بشكواه، لا تعرف عندئذ المبتلي (المبتلى) من الحاكي (المردد للصوت تقليداً ومحاكاة)

سَكُونٌ وَوَحْشَةٌ وَظُلْمَةٌ وَلَيْلٌ مَا لَوْشٌ آخِرُ
وَنَجْمَةٌ مَالَتْ، وَنَجْمَةٌ حَلَفَتْ مَا تَتَّأخِرُ

دا النوم يا ليلِ نِعْمَةً يَحْلُمُ بِهَا السَّاهِرُ

سكون الليل ووحشته، ونجمة مالت للمغيب، وأخرى حلفت ألا تتأخر (تتزعج)

الْفَجْرِ شَفَقَتْ وَفَاضَ عَلَى سَوَادِ الْخَمِيلَةِ
لَمَحَ كَلَمَحِ الْبَيَاضِ مِنَ الْعَيُونِ الْكَحِيلَةِ
وَاللَّيْلِ سَرَخَ فِي الرِّيَاضِ أَذْهَمَ بِغُرَّةٍ جَمِيلَةٍ

شققت الفجر على الخميطة (البستان) التي كانت سوداء، لمح الفجر (أبرق) مثل بريق بياض العين الكحيلة (السوداء)، وأما الليل فسرّح (مضى) في البستان كأنه حصان أدهم (داكن) ولكن له غرة بياض جميلة

هِنَا نُوَاخِعُ الْغُصُونُ وَهَنَاكَ بُكَاءٌ فِي الْمَضَاجِعِ
لِيَهْ تَشْتَهِي النَّوْمَ عُيُونُ وَغَيُونُ سَوَالِي هَوَاجِعِ
وِدُوحٌ غَرِقَ فِي الشُّجُونِ وَدُوحٌ مَا شَافَشَ الْمَوَاجِعِ

نواخ على الغصون وبكاء في الأسرّة. ولماذا تسهر عيون حتى تشتهي النوم، بينما عيون أخرى سوالي (سالية وناسية للهم) وهواجع (هاجعة نائمة)؟ ولماذا يكون هناك دوح (شجر) غارق في الشجون (الأحزان)، ودوح لم ير ما يوجع؟

يَا لَيْلُ أَنْيْنِي سَمِعْتُهُ وَالشُّوقُ رَجَعَ لِي وَعَادَ
وَكُلُّ جَرْحٍ وَسَبَاعُتُهُ وَكُلُّ جَرْحٍ بِمِيعَادَ
كَمْ مِنْ مِفَارِقٍ وَجَعْتُه وَنَضْوٍ هَجَرَ وَبِعَادَ

يا ليل قد سمعت أنيني، وها قد عاد لي الشوق، وكل جرح له ساعته وميعاده، وكم هناك من شخص مفارق لحبيه قد أصبته بالوجع، وكم هناك من نضو هجر وبعاد (مهزول بسبب الهجر)

٢٤٨ قتيل السم

قال شوقي في تأبين فوزي الغزي الدمشقي المتوفى عام (١٩٢٩) وقيل دست له زوجته السم:

طُبِعَتْ مِنَ السَّمِّ الْحَيَاةُ، طَعَامُهَا وَشَرَابُهَا وَهَوَاؤُهَا الْمُتَنَشِّقُ
 طبعت الحياة من السم فهذا هو طبعها، فطعامها وشرابها وهواؤها الذي نستشق سم
 والناسُ بَيْنَ بَطِيئِهِ وَزُعَافِهِ لَا يَعْلَمُونَ بِأَيِّ سُمِّيْهَا سُقُوا
 والناس بين السم البطيء المفعول والزعاف (السريع) لا يعلمون أي سم تناولوا
 أَمَا الْوَلِيُّ فَقَدْ سَقَاكَ بِسُمِّهِ مَا لَيْسَ يَسْقِيكَ الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ
 لكن الولي (الصديق) سقاك يا فوزي الغزي بسمه كما لا يسقيك العدو الأزرق (الشديد العداوة)

٢٤٩ كالعمي حول سفرة

قال شوقي (١٩٢٩):

لَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةً مِنْ رَمَضَانَ مَرَّتْ
 فلم يرعني غيرُ صو تِ كُمُوءِ الْهِرَّةِ
 لم يرعني: لم يخفني

كُرْتُ، وَلَكِنْ كَالْجَبَا نِ قَاعِ عِدَا، وَقَرَّتْ
 كُرْتُ (هجمت) لكن وهي قاعدة كما يفعل الجبان، ثم فرت

لَمْ أَجْزِهَا بِشِيرَةٍ عَنْ غَضَبٍ وَشِرَّةٍ
 لم أجزها (أقابلها) بشرة (بشر) عما فعلته وهو الغضب والشر

وَلَا رَأَيْتُ غَيْرَ أُمَّ- بِالْبَنَيْنِ بَرَّةٍ
 ولم أر فيها سوى أم بارة بأبنائها

رَأَيْتُ جِدَّ الْأُمَّهَاتِ تِ فِي بِنَاءِ الْأُسْرَةِ
 رأيت فيها مثابة الأمهات في بناء الأسرة

فَلَمْ أَزَلْ حَتَّى أَطْمَأَنَّ جَاشِئَهَا وَقَرَّتْ
 فظللت معها حتى اطمأن جاشئها (قلبها)، وقرت (هدأت)

أَتَيْتُهَا بِشَرِبَةٍ وَجِئْتُهَا بِكُسْرَةٍ
 جئتها بشربة وكسرة خبز

فَاضْطَجَعَتْ تَحْتَ ظِلِّهِ لِ الْأَمْنِ وَاسْبَطَتْ
فاضطجعت (استلقت) في ظل الأمن واسبطرت (تمددت)

وَقَرَأَتْ أَوْرَادَهُمَا وَمَا دَرَتْ مَا قَرَّتْ
وهمرت تهميراً كأنها تقرأ أوراداً (أدعية)، وهي لا تدري ما تقرأ

وَسَرَحَ الصُّغَارُ فِي نُؤْدِيِّهَا فَدَرَّتْ
وسرح (انساب) صغارها في نؤديها (أندائها) فدرت لهم اللبن

اخْتَلَطُوا وَعَيَّثُوا كَالْعُمَى حَوْلَ سُفْرَةٍ
فاختلط واحداهم بالآخر وعيثوا (كزكبوا وأفسدوا) كأنما هم قوم عريان حول سفرة (مائدة).
ليس طريفاً فقط هذا التشبيه، بل جميل

٢٥٠ تلك الحياة وهذه أنقالها

قال شوقي في حفل تكريم السيد نصير بطل رفع الأثقال، وقد فاز بميدالية ذهبية في أولمبياد ١٩٢٨ بأستردام في رفع الأثقال (١٩٣٠):

يا قاهرَ الغربِ العتيدِ ملأتهُ ببناءِ مصرَ على الشِّفاءِ جميلاً
يا قاهرَ الغربِ العتيدِ (المكين) ملأت هذا الغرب بالبناء (المديح) على مصر يتردد جميلاً على الشفاء

قَلْبَتْ فِيهِ يَدَا تَكَادُ لِشِدَّةِ فِي الْبَاسِ، تَرْفَعُ فِي الْفَضَاءِ الْفِيلَا
قلبت في الغرب يدك القوية التي تكاد لشدة البأس (القوة) ترفع الفيل في الهواء

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْحَدِيدَ وَبَاسَهُ جَعَلَ الْحَدِيدَ لِسَاعِدَيْكَ ذَلِيلًا
إن الله الذي خلق الحديد وبأسه (شدته) جعل الحديد يذل لقوة ساعدك. «... وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد.. الآية» ٢٥ الحديد، وسيد نصير كان يرفع حديدًا

قُلْ لِي نُصِيرُ، وَأَنْتَ بَرٌّ صَادِقٌ: أَحْمَلْتُ إِنْسَانًا عَلَيْكَ ثَقِيلًا
قل لي يا سيد نصير وأنت البار الصادق: هل حملت إنساناً من الثقل؟

أَحْمَلْتُ دَيْنًا فِي حَيَاتِكَ مَرَّةً أَحْمَلْتُ يَوْمًا فِي الضُّلُوعِ غَلِيلًا
هل حملت ديناً؟ هل حملت في ضلوعك غليلاً (حقدًا)؟

أَحْمَلْتُ ظُلْمًا مِنْ قَرِيبٍ غَادِرٍ أَوْ كَاشِحٍ بِالْأَمْسِ كَانَ خَلِيلًا
أحملت ظلماً من قريب غادر، أو من كاشح (عدو يطن العداوة) كان بالأمس لك من الأصدقاء؟

أَحْمَلْتُ مَتًّا، بِالنَّهَارِ مُكَّرَّرًا وَاللَّيْلِ، مِنْ مُسَدِّ إِلَيْكَ جَمِيلًا

هل حملت متًّا (جميلًا في عتقك) يذكرك به بالنهار والليل رجل مُسَدِّ (معط) إليك جميلًا

أَحْمَلْتُ طُغْيَانَ اللَّثِيمِ إِذَا اغْتَنَى أَوْ نَالَ مِنْ جِأِ الْأُمُورِ قَلِيلًا

هل حملت طغيان (تجبر) اللثيم إذا اغتنى أو صار وجهًا بعض الشيء

أَحْمَلْتُ فِي النَّادِي الْعَبِيِّ إِذَا تَقَى مِنْ سَامِعِيهِ الْحَمْدَ وَالتَّبْجِيلَا

هل حملت في النادي (في جماعة الناس) الغبي عندما يلاقي من السامعين الحمد والتبجيل؟

تِلْكَ الْحَيَاةُ، وَهَذِهِ أَثْقَالُهَا وَزِنَ الْحَدِيدُ بِهَا فَعَادَ ضَنْيَلَا

تلك هي الحياة وأثقالها، وزن (قورن) الحديد بها فعاد (ضنيل الوزن) . . أي نين أنه خفيف بالقياس إلى الحياة

٢٥١ سلوا كؤوس الطّلا

قِيلَ كَانَ شَوْقِي يَجَالِسُ أُمَ كُلْثُومٍ فِي حِفْلٍ، فَقَدِمَ لَهَا كَأْسُ شَرَابٍ، فَرَفَعْتُهَا مَجَامِلَةً إِلَى شَفَتَيْهَا، لَكِنِ الْكَأْسُ مَا لَامَسَتْ فَاهَا. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي - هَكَذَا قَالُوا، وَهَمُ فِي قِصَصِهِمْ يَجْبُونَ أَنْ يَجْعَلُوا الْأَمْرَ يَحْدُثُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي مَبَاشَرَةً، عَلَى أَنَّي أَمِيلُ لِتَصْدِيقِ سَائِرِ الْقِصَّةِ، وَقَدْ رَوَاهَا رِيَاضُ السَّنْبَاطِي قَبِيلُ وَفَاتِهِ فِي مَقَابِلَةٍ مَعَ تَلْفَزِيُونِ الْكُوَيْتِ - قَدِمَ لَهَا شَوْقِي قَصِيدَتَهُ. وَغَتَّتْهَا بَعْدَ مَوْتِهِ بِ- ١٤ سَنَةً. وَلَشَوْقِي غَتَّتْ أُمَ كُلْثُومَ تِسْعَ قِصَائِدَ، غَتَّتْهَا كُلُّهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ:

سَلُّوْا كُؤُوسَ الطَّلَا: هَلْ لَامَسَتْ فَاهَا وَاسْتَخْبِرُوا الرَّاحَ: هَلْ مَسَّتْ ثَنَائِيهَا

اسألوا كؤوس الطلا (الخمير) هل لامست فم المحبوبة، واستخبروا (اسألوا) الراح (الخمير) هل مسّت ثنأياها (أسنانها)

حَدِيثُهَا السَّحَرُ، إِلَّا أَنَّهُ نَعَمَّ جَرَتْ عَلَى فَمِ دَاوُدَ فَغَنَّنَاهَا

حديثها السحر، إلا أنه نعمّ جرت على فم داود النبي صاحب المزامير

حَمَامَةُ الْأَيْكَ مَنْ بِالشَّجْوِ طَارَحَهَا وَمَنْ وَرَاءَ الدُّجَى بِالشَّوْقِ نَاجَاهَا

من ذا الذي طارح (بادل) حمامة الأيك (الشجر) بالشجو (الحزن)، ومن ذا الذي في الدجى (الليل) ناجاها (هامسها) بالشوق

يَا جَارَةَ الْأَيْكَ، أَيَّامُ الْهُوَى ذَهَبَتْ كَالْحُلْمِ، آهًا لِأَيَّامِ الْهُوَى آهًا!

أيّها الحمامة يا جارة الأيك (يا ساكنة الشجر) لقد ذهبّت أيام الهوى كأنها الحلم

٢٥٢ رثاء المويلحي

قال شوقي يرثي محمد المويلحي، وكان شوقي سخر منه في قطع عديدة لا تحمل توتيقاً قبل ثلاثين سنة - انظر إحداها في أشعار سنة ١٩٠٢ - ذلك أن المويلحي نشر نقداً لاذعاً لشوقي، ولكن شاعرنا عاد ووافاه بالهدايا واسترضاه، على عهدة العقاد في «الديوان»، (١٩٣٠):

رُبَّ سَجْعٍ كَمُرْقَصِ الشَّعْرِ لَمَّا يَخْتَلِفُ لَحْنُهُ وَلَا إِيقَاعُهُ
رب سجع (سَجْع: نثر مقفى) كالشعر المرقص (المطرب جداً) لما (لم) يختلف لحنه ولا إيقاعه
عن الشعر لجودة الأسجاع. في تقسيم الناقد القديم للشعر فإن «المرقص» منه في الطبقة العليا
هُوَ فِيهِ بَدِيعُ كُلِّ زَمَانٍ مَا بَدِيعُ الزَّمَانِ! مَا أَسْجَاعُهُ!
المويلحي في هذا السجع بديع الأزمنة كلها، فما قيمة بديع الزمان الهمداني، وما قيمة أسجاعه
بالمقارنة!

صَارَعَ الْعَيْشَ حِقْبَةً، لَبِثَ شِعْرِي سَاعَةَ الْمَوْتِ كَيْفَ كَانَ صِرَاعُهُ
والذي تَحْرِصُ النَفُوسُ عَلَيْهِ عَالَمٌ بَاطِلٌ قَلِيلٌ مَنَاعُهُ

٢٥٣ باكيات على الحسين الفواطم

قال شوقي في رثاء الشريف حسين الذي مات في عَمَّانَ ودفن في القدس (١٩٣١):
لَكَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ مَاتَمٌ قَامَ فِيهَا أَبُو الْمَلَائِكِ هَاشِمٌ
لك مَاتَمٌ في الأرض والسما، قام فيها يقبل العزاء أبو الملوك هاشم جد النبي، وأصل السلالة
الهاشمية، وكان الشريف حسين كبير هذه السلالة في زمنه

قَعَدَ الْأَلَّ لِلْعَزَاءِ، وَقَامَتْ بَاكِياتٌ عَلَى الْحُسَيْنِ الْفَوَاطِمُ
قعد آل هاشم للعزاء، وقامت تبكي على الحسين نساء آل هاشم (فهن كلهن شقيقات فاطمة الزهراء
بنت رسول الله)

قُمْ تَحَدَّثْ أَبَا عَلِيٍّ إِلَيْنَا كَيْفَ غَامَرْتَ فِي جَوَارِ الْأَرَاقِمِ
قم يا أيها المتوفى، يا أبا علي، وتحدث إلينا كيف خاطرت وتعاملت مع الإنجليز الأرقام
(الأفاعي)

لَمْ تُبَالِ الثُّيُوبَ فِي الْهَامِ خُشْنًا وَتَعَلَّقَتْ بِالْحَوَاشِي النَّوَاعِمِ
ولم تُبَالِ (لم تهتم) بالثيوب البارزة الخشنة في الهام (في رؤوسهم)، وتعلقت بالحواشي (الجوانب)
الناعمة. أي نظرت إلى رقة كلامهم لا إلى لؤم فعلهم، وتقول العرب «هو رقيق الحاشية» إذا كان
حلو الكلام ليناً

قَدْ رَجَوْنَا مِنَ الْمَغَانِمِ حَظًّا وَوَرَدْنَا الْوَعَى فَكُنَّا الْغَنَائِمُ

رجونا أن ننال شيئاً من الغنائم، ووردنا الوعى (الحرب) فكننا نحن الغنائم. يشير إلى حرب الحسين للدولة العثمانية في أواخر الحرب العالمية الأولى، وكيف وعدوه باستقلال العرب وخانوه، وفي كلام شوقي تشف خفي، فقد كان نصيراً للدولة العثمانية حتى سقوطها

٢٥٤ يا شراعاً وراء دجلة يجري

قال شوقي يشيد بالعراق والملك فيصل، وكتب هذه الأبيات ليفنيها محمد عبد الوهاب أمام فيصل في بغداد (١٩٣١):

يا شراعاً وراء دجلة يجري في دموعي، تجنّبك العوادي

يا شراعاً (مركباً) يجري وراء نهر دجلة في نهر من دموعي، أدعو أن تتجنبك العوادي (المصائب). يقول كمال النجمي إن محمد عبد الوهاب كان عليلاً عندما أزمع السفر إلى بغداد مليباً دعوة الملك فيصل، فيقول له شوقي أيها الشراع الذي سيجري، لكن ليس في دجلة بل وراء دجلة بقليل في نهر آخر من دموعي، أدعو لك أن تتجنبك المصائب

سِرْ عَلَى الْمَاءِ كَالْمَسِيحِ رُويْدَاً واجر في اليمّ كالشُعاع الهادي
سر على الماء أيها المركب كال المسيح (وكان من معجزاته السير على الماء) رويداً (متمهلاً) واجر في البحر كشعاع يهدي الناس

وَأَتِ قَاعاً كَرَفَرَفِ الْخُلْدِ طَيِّباً أَوْ كَفِرْدَوْسِهِ بِشَاشَةً وَاذِ
وات (جئ) قاعاً (سهلاً) كأنه في طيه رفرّف الخلد (الأغصان المتدلية في الجنة)، وكأنه في بشاشة واديه فردوس الخلود

قِفْ تَمَهَّلْ وَخُذْ أَمَاناً لِقَلْبِي مِنْ عَيُونِ الْمَهَا وَرَاءَ السَّوَادِ
قف أيها المركب وتمهل، وخذ الأمان لقلبي من عيون المهّا (الجميلات الشبيهات ببقر الوحش) وراء السواد (بلاد العراق)

وَالنُّوَاسِيَّ وَالنَّدَامَى! أَمِنْهُمْ سَامِرٌ يَمْلَأُ الدُّجَى أَوْ نَادِ
وماذا عن النواسي (أبي نواس) والندامى؟ هل منهم سامر (مجلس سر) أو ناد (محفل) يملأ الليل

خَطَرَتْ فَوْقَهُ الْمِهَارَةُ تَعْدُو فِي غِبَارِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
خطرت (مشت) فوق هذا السهل المهارة (الخيّل) تعدو في غبار الآباء والأجداد (أي مصاحبة لهم، وغير مقصّرة عن إنجازاتهم)

أُمّةٌ تُنْشِئُ الْحَيَاةَ، وَتَبْنِي كِبْنَاءَ الْأَبُوءِ الْأَمْجَادِ
هذه أمة تنشئ الحياة، وتبني كما بنى الأبوة (الآباء) الأمجاد (الماجدون/ ذوو المجد)

تَحْتَ تَاجٍ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالْمُلْكِ عَلَى فَرْقٍ أَرِيحِي جَوَادِ
تَبْنِي الْأُمَّةَ نَفْسَهَا تَحْتَ تَاجِ عِمَادِهِ الْقَرَابَةِ (قَرَابَةُ فَيْصَلٍ لِلنَّبِيِّ فَهُوَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ) وَالْمَلِكِ، وَالتَّاجِ
عَلَى فَرْقٍ (رَأْسٍ) أَرِيحِي (كَرِيمٍ عَطُوفٍ) جَوَادِ (كَرِيمٍ)

مَلِكُ الشَّطِّ وَالْفُرَاتَيْنِ وَالْبَطِّ حَاءٍ، أَعْظَمُ بِفَيْصَلٍ وَالْبِلَادِ
إِنَّهُ مَلِكُ الشَّطِّ (شَطِّ الْعَرَبِ) وَالْفُرَاتَيْنِ (دَجْلَةُ وَالْفُرَاتِ)، وَالْبَطْحَاءِ (مَكَانٌ فِي مَكَّةَ)، فَمَا أَعْظَمُ
فَيْصَلًا وَالْبِلَادَ!

٢٥٥ القدس

قَالَ شَوْقِي فِي تَأْبِينِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ، أَحَدِ زُعَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْهِنْدِ، وَتَوَفَّى فِي الْقُدْسِ،
(١٩٣١):

بَيْتٌ عَلَى أَرْضِ الْهُدَى وَسَمَائِهِ الْحَقُّ حَائِطُهُ وَأُسُّ بِنَائِهِ
هَذَا الْبَيْتُ (الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى) قَائِمٌ عَلَى أَرْضِ الْهُدَى وَفِي سَمَاءِ الْهُدَى (الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ: أَقْرَبُ
بَقْعَةٍ فِي الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ)، وَالْحَقُّ جِدَارُهُ وَأَسَاسُهُ

«الْفَتْحُ» مِنْ أَعْلَامِهِ، وَالظُّهْرُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَالْقُدْسُ مِنْ أَسْمَائِهِ
كَلِمَةُ «الْفَتْحُ» عِلْمٌ عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى (اسْمٌ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ)، وَالظُّهْرُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَ«الْقُدْسُ» مِنْ
أَسْمَائِهِ

٢٥٦ بلبل لم يتح أمثاله للخلفاء

قَالَ فِي ذِكْرِ سَيِّدِ دُرُوشِ (١٩٣١):

بُلْبُلٌ إِسْكَنْدَرِيٌّ، أَيْكُهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنْ فِي السَّمَاءِ
سَيِّدُ دُرُوشِ بَلْبِلٌ مِنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَيْكُهُ (شَجَرَةٌ) فِي السَّمَاءِ

رَبَّمَا اسْتَلَّهَمَ ظُلُمَاءُ الدُّجَى وَآتَى الْكُوكَبَ فَاسْتَوْحَى الضِّيَاءَ
تَرَاهُ يَسْتَلْهُمُ ظُلَامُ الدُّجَى (الْلَيْلُ) يَقْعُدُ يَلْحَنُ فِي اللَّيْلِ، وَيَأْتِي الْكُوكَبَ فَيَسْتَوْحِي مِنَ الضِّيَاءِ فَنَأً.
وَكَانَ لِسَيِّدِ دُرُوشِ الْهَانُ عَتِيقَةُ الطَّرَازِ كَالْأَدْوَارِ الْعَشْرَةِ الَّتِي مِنْهَا «أَنَا هُوَيْتُ» وَهِيَ مِنْ شُغْلِ
اللَّيْلِ، وَكَانَتْ لَهُ الْهَانُ تَعَجُّ بِحَيَاةِ النَّهَارِ وَمَشَاغِلِ النَّاسِ كَالْحُلُوتِ دِي قَامَتْ تَعَجُّنُ

وَرَمَى أَدْنَاهُ فِي نَاحِيَةٍ يَخْلِسُ الْأَصْوَاتَ خَلَسَ الْبَيْغَاءُ
وَيَرْمِي أَدْنَاهُ بَعِيدًا يَخْتَلِسُ الْأَصْوَاتَ لِيَصُوِّغَ مِنْهَا فَتَهُ كَأَنَّهُ الْبَيْغَاءُ فِي جُودَةِ الْاِقْتِبَاسِ. وَسَيِّدُ دُرُوشِ
كَانَ يَخْتَلِسُ فَتَهُ مِنْ أَصْوَاتِ النَّاسِ وَنَدَاءِ الْبَاعَةِ، وَكَانَ رَائِدًا فِي التَّعْبِيرِ بِالْغَنَاءِ عَنْ نَبْضِ الشَّارِعِ؛
فَإِنْ يَكُنْ بَيْغَاءُ فَبَيْغَاءُ الشَّعْبِ

سَيِّدَ الْفَنِّ! اسْتَرِخْ مِنْ عَالَمٍ آخِرُ الْعَهْدِ بِتُعْمَاهُ الْبَلَاءُ
سيد درويش! يا سيد الفن! استرخ من هذا العالم الذي آخر ما عهدناه فيه من التُّعْمَى (النعيم) كان
بلاء، فحتى نعيم هذه الدنيا بلاء

لَقَدْ اسْتَخْلَفْتَ فَنًّا نَابِغًا دَفَعَ الْفَنُّ إِلَيْهِ بِاللَّوَاءِ
لقد استخلفت (نصبت خليفة) فنًّا نابغاً (لفنان نابغة/ ويعني عبد الوهاب) دفع إليه الفن بلواء القيادة

إِنَّ فِي مُلْكِ فُؤَادٍ بُلْبُلًا لَمْ يُنَحْ أَمْثَالُهُ لِلْخُلَفَاءِ
إن في ملك فؤاد (في مصر) بلبلًا (عبد الوهاب) لم يحظ بمثله الخلفاء. وكان للخلفاء العباسيين
خاصة مغنون مشهورون حدثنا عنهم كثيراً صاحب «الأغاني»

يَسْتَحْيِ أَنْ يَهْتَفَ الْفَنُّ بِهِ وَجَمَالَ الْعَبَقْرِيَّاتِ الْحَيَاءُ
هذا البلبل (عبد الوهاب) يستحي أن يهتف فن الشعر بمدحه، وجمال العبقرية ذلك الحياء الملازم
لها

٢٥٧ عقيدة وجهاد

قال شوقي بيتاً ليكون شعاراً لجريدة الجهاد لتوفيق دياب ١٩٣١ :
قِفْ دُونَ رَأْيِكَ فِي الْحَيَاةِ مُجَاهِدًا إِنَّ الْحَيَاةَ عَقِيدَةٌ وَجِهَادُ
دون رأيك : وراء معتقدك

٢٥٨ شجرة نسيتهما الشعراء

وقال يصف النخيل بين الممتازه وأبي قبر، والمتمتزه حي بالإسكندرية، (١٩٣١):
أَرَى شَجَرًا فِي السَّمَاءِ احْتَجَبَ وَشَقَّ الْعَنَانَ بِمَرَأَى عَجَبٍ
أرى شجراً عالياً كأن رؤوسه تختفي في السماء، وقد شق العنان (السحاب) في منظر عجيب
مَاذَنْ قَامَتْ هُنَا أَوْ هُنَاكَ ظَوَاهِرُهَا دَرَجٌ مِنْ شَذَبٍ
هي كالمآذن، وفي ظواهرها (خارجها) درج من شذب (قشور). والمآذن درجها من باطنها في
العادة

وَلَيْسَ يُؤْذَنُ فِيهَا الرِّجَالُ وَلَكِنْ تَصِيحُ عَلَيْهَا الْغُرُبُ
ومآذنتا هذه لا يؤذن فيها المؤذن، بل تصيح عليها الغُرُب (الغربان)

وَبِاسِقَةٍ مِنْ بَنَاتِ الرَّمَالِ نَمَتْ وَرَبَّتْ فِي ظِلَالِ الْكُثْبِ
ورب باسقة (عالية) من بنات الرمال (نخلة)، نمت وكبرت في ظلال الكُثْب (كثبان الرمل)

تَطُولُ وَتَقْصُرُ خَلْفَ الْكَثِيبِ إِذَا الرِّيحُ جَاءَ بِهِ أَوْ ذَهَبَ

أنت تراها طويلة ثم قصيرة خلف كتيب الرمل، بحسب الريح التي تحرك الكتيب. هذا معنى مصنوع. فلا نظن أن شوقي رأى كتيب الرمل يجيء ويذهب مع الريح فتطول النخلة وتقصر في عيني الراي. لكنه وثب بخياله وصنع الصورة. وأي بأس في ذلك! قال مارون عبود عن شوقي: «وفيه من أبي تمام تصيده المعاني وأخذها عنوة إذا اقتضى الأمر».

وَهَذَا هُوَ النَّخْلُ مَلِكُ الرِّيَاضِ أَمِيرُ الْحَقُولِ عَرُوسُ الْعِزْبِ

هذا النخل ملك البساتين، وأمير الحقول، وعروس العزب (البيارات/المزارع)

طَعَامُ الْفَقِيرِ، وَحَلْوَى الْعَنِيِّ وَزَادُ الْمَسَافِرِ، وَالْمُغْتَرِبِ

فِيَا نَخْلَةَ الرَّمْلِ لَمْ تَبْخَلِي وَلَا قَصَّرْتَ نَخْلَاتُ الثَّرْبِ

فنخلة الصحراء لم تبخل، ونخلة التراب كنخيل الإسكندرية ما قصّرت في العطاء

وَأَعْجَبُ كَيْفَ طَوَى ذِكْرُكَ وَلَمْ يَخْتَفِلْ شِعْرَاءُ الْعَرَبِ

أنا أعجب كيف طوى شعراء العرب ذكركن (أغفلوا ذكركن) أيتها النخلات

أَلَيْسَ حَرَاماً خُلُوُ الْقَصَائِدِ مِنْ وَصْفِكَ وَعُظْلُ الْكُتُبِ

عُظْلُ الْكُتُبِ: خلوها

٢٥٩ ركزوا رفاتك لواء

قال شوقي في رثاء عمر المختار، (١٩٣١):

رَكَزُوا رُفَاتَكَ فِي الرَّمَالِ لِوَاءِ يَسْتَنْهَضُ الْوَادِي صَبَاحَ مَسَاءِ

ركز (غرس) الظليان رفاتك يا عمر المختار في الرمال لواء (راية)، يستنهض (يشير) الوادي (بلدك) صباح مساء. و«الوادي» عند شوقي مرادف لمصر، فإذا قال «الوادي» فهو يعني مصر، وصارت على لسانه كأنها تعني «البلد».. كل بلد

يَا وَيَحْتَمُّ! نَصَبُوا مَنَاراً مِنْ دَمِ يُوْحِي إِلَى جَبَلِ الْغَدِ الْبَغْضَاءِ

الويل لهم! نصبوا مناراً مضيئاً ولكنه من الدّم، وهو يوحي إلى الجبل الجديد البغضاء (الكراهية للمستعمر)

خَيْرَتٌ، فَاخْتَرْتَ الْمَبِيتَ عَلَى الطَّوَى لَمْ تَبْنِ جَاهاً، أَوْ تَلَمَّ ثَرَاءَ

اخترت المبيت على الطوى (الجوع)، ولم تصنع لنفسك جاهاً (رياسة)، ولا ثراء

إِنَّ الْبَطُولَةَ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الظُّمَاءِ لَيْسَ الْبَطُولَةُ أَنْ تَعْبَ الْمَاءِ

البطولة هي الموت عطشاً، وليس أن تَعْبَ (تكرع) الماء

والمسلمونَ، على اختلافِ ديارِهِمْ، لا يملكونَ مع المُصاب عَزاءَ

كل المسلمين لا يجدون ما يعزيهم (ينسيهم) المصاب (البلاء) بفقدك

في دَمَّةِ اللَّهِ الكريمِ وحفظِهِ جسدٌ بِبُرْقَةٍ وُسْدُ الصحراءِ
ليكن في دمة (حفظ) الله هذا الجسد الذي وُسْد (سُجِّي/ومدد) في الصحراء ببرقة (في ليبيا)

بطلُ البداوةِ لم يكن يغزو على تَنكِ، ولم يك يركبُ الأجواءَ
لم يكن بطل البداوة يغزو على تنك (دبابة)، ولا في طائرة

لكن أخو خيل حمى صَهَوَاتِهَا وأدارَ مِنْ أعرافِها الهيجاءَ

لكنه كان أخا خيل (صاحب خيل) حمى صهواتها (ظهورها)، وأدار من أعرافها (شَرَّ رؤوسها) الهيجاء (الحرب). هنا صورة زعيم على صهوة جواده ويده تداعب شعر عنق الفرس، واليد الأخرى توجه جنوده في الحرب، عَصَرَ شوقي هذا في أربع كلمات

لبَّى قضاء الأرضِ أمسٍ بمُهْجَةٍ لَمْ تَخْشَ، إِلَّا للسماءِ، قضاءَ

لبى (أجاب) حكم القضاء الأرضي فجاد بمهجته (قلبه) التي لم تكن تخشى إلا من قضاء السماء. أرايت كيف يداعب شوقي كلمات اللغة! ترى قضاء الطليان الجائر بشق عمر المختار واقفاً موقف مقارنة مع قضاء الله، وترى عمر المختار يلبي قضاء الطليان فيقدم مهجته شهيداً. وهو لا يخاف القضاء الذي يلبي دعوته بل يخاف قضاء الله، كل هذا في كلمات قلائل، وهذا الإيجاز سر من أسرار البيان، وقد تعددت أن أنثر لك البيت بكلام كثير حتى يقف كلامي، مظلوماً، وقفة مقارنة مع بيت شوقي، ولتعرف ما في الإيجاز من جمال

وأتى الأسيرُ يُجْرُ ثِقْلَ حديدِهِ أَسَدٌ يَجَرُّ حَيَّةَ رُقْطَاءَ

جاء الأسير يجر ثقل قيوده، كأنما هو الأسد يجر أفعى رقطاء (مِرْقَطة/مُبَقَّعة)

سبعونَ لو ركبْتُ مناكِبَ شاهِقٍ لَتَرَجَّلْتُ هَضْبَاتُهُ إعياءَ

سبعون عاماً، هي عمر الشهيد، لو اعتلت مناكِب (أكتاف) شاهق (جبل) لترجلت (لهبطت) هضبات الجبل تعباً من ثقل هذه السنوات

يا أيُّهَا الشعبُ القريبُ، أَسامِعُ فأصوِّعُ في عُمَرِ الشهيدِ رثاءَ

يا شعب ليبيا القريب منا، هل تسمعي حتى أرثي شهيدك

ذهب الزعيمُ، وأنتَ باقٍ خالدٌ فانقُذْ رجالَكَ، واختَرِ الزُعماءَ

الزعيم ذهب وأنت (الشعب) باق، فانقذ (تفحص) رجالك، واختر الزعماء

وأرْخِ شيوَحَكَ مِنْ تكاليفِ الوَغَى واحمِلْ على فتَيانِكَ الأعباءَ

واترك الشيوخ (المسنين) ليستريحوا من تكاليف (مشقات) الوغى (الحرب)، واحمل الأعباء (المشكلات) على الفتیان

٢٦٠ يا منصف الموتى من الأحياء

قال في رثاء حافظ إبراهيم (١٩٣٢):

قَدْ كُنْتُ أَوْثَرُ أَنْ تَقُولَ رِثَائِي يَا مَنْصَفَ الْمَوْتَى مِنَ الْأَحْيَاءِ
كنت أوثر (أفضل) أن أموت قبلك فتقول أنت رثائي يا حافظ، يا من أنصف الموتى من ظلم
الأحياء، لكثرة ما رثي حافظ الموتى

لَكِنْ سَبَقْتُ، وَكُلُّ طَوْلٍ سَلَامَةٍ قَدَرْتُ، وَكُلُّ مَنِيَّةٍ بِقَضَاءِ
لكنك سبقت، وكل سلامة تطول فهي بقدر من الله، وكل منية (موت) فبقضاء الله

بِالْأَمْسِ قَدْ حَلَيْتَنِي بِقَصِيدَةٍ غَرَاءَ تُحَفِّظُ كَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ
بالأمس (قبل خمس سنوات عند تكريمي أميراً للشعراء) حلتي (زيتني) بقصيدة غراء (باهرة)
حفظت لك فيها الجميل فهي يد بيضاء (إحسان منك)

غِيْظَ الْحَسُودِ لَهَا، وَقَمْتُ بِشَكْرِهَا وَكَمَا عَلِمْتَ مَوَدَّتِي وَوَفَائِي
غيظ (اغتاظ) الحسود منها، وقمتُ أنا بواجب الشكر، وأنت تعلم مودتي ووفائي

قَلَمٌ جَرَى الْحَقَبَ الطَّوَالَ، فَمَا جَرَى يَوْمًا بِفَاحِشَةٍ وَلَا بِهَجَاءِ
قلمك جرى الحقب (المُدَد) الطويلة ولكنه لم يكتب فاحشة ولا هجاء

يَا حَافِظَ الْفَصْحَى، وَحَارَسَ مَجْدَهَا وَإِمَامَ مَنْ نَجَلْتَ مِنَ الْبُلْغَاءِ
أنت حفظت الفصحى وحرس مجدها، وأنت إمام (زعيم) من نجلت (أنجبت) من البلغاء
جَدَّدْتَ أَسْلُوبَ الْوَلِيدِ وَلَفْظَهُ وَأَتَيْتَ لِلدُّنْيَا بِسِحْرِ الطَّائِي
جددت أسلوب الوليد (البحري) ولفظه، وجئتنا ببيان ساحر كبيان الطائي (أبي تمام)

كَمْ ضِيقَتْ ذُرْعًا بِالْحَيَاةِ وَكِدِّهَا وَهَتَفَتْ بِالشَّكْوَى مِنَ الضَّرَاءِ
كم كنت تعبر عن ضيقك بالدنيا ومكرها، وكم هتفت (جاهرت) بالشكوى من الضراء (البلوى)

فَهَلُمَّ فَارِقْ يَا سَ نَفْسِكَ سَاعَةً وَاطْلُعْ عَلَى الْوَادِي شِعَاعَ رَجَاءِ
فهي أترك اليأس ساعة، واطلع على مصر شعاعاً من رجاء في مستقبل زاهر

خَلَقْتَ فِي الدُّنْيَا بَيَانًا خَالِدًا وَتَرَكْتَ أَجْيَالًا مِنَ الْأَبْنَاءِ
تركت في الدنيا بياناً خالداً، وأجيالاً ممن هم أبناؤك في البلاغة

٢٦١ نغمة المهد

قال شوقي (١٩٣٢):

أَلْحَانُ كُلِّ جَمَاعَةٍ وَغَنَائُهُمْ لُغَةٌ وَنَجْوَى بَيْنَهُمْ وَجَوَارُ

الألحان والأغاني في كل شعب لغة أخرى ونجوى (حديث هامس) فيما بينهم وحوار

لا تعشق الأذن إلا نغمةً كانت عليها في المهد تُدارُ

الأذن لا تعشق إلا النغمات التي كانت تدور عليها (تسمعها) في المهد (في الطفولة). وهذه فكرة عميقة لشوقي لا نظنه أخذها من كتاب. فهو رجل سميع عرف ألحان مصر في عهد الحامولي ومحمد عثمان وأم كلثوم، وصنع من ربيبه محمد عبد الوهاب طاقة موسيقية مثقفة أهدها لأجيال من العرب من بعده. ثم سافر شوقي إلى فرنسا وعاش سنوات وسمع موسيقاهم. وظل يسافر إليها - مصطحباً عبد الوهاب لاحقاً - وظل يعيش على زادين موسيقيين: زاد من الشرق وزاد من الغرب. كان يحب موسيقى الغرب، لكن العشق ظل للموسيقى التي سمعها في المهد. ألا ترى الصبي في بلدنا يأكل مخلل الخيار المالح من يد أمه، ثم يسافر إلى أوروبا ويتغرب نصف قرن يقضيه وهو يتفحص الرقعة الملصقة على مرطبانات المخلل في السوبرماركتات بحثاً عن مخلل مصنوع بالملح لا بالسكر؟ فكيف الحال بالموسيقى التي هي ألصق بالنفس. واليوم حالتنا أعجب وأعقد. فالموسيقى الغربية صارت تعطى لأطفالنا في المهد، أو في المدارس التي تحتقر اللغة العربية والتي صار يذهب إليها أبناء الأغنياء. ودخلنا مرحلة متقدمة في بيع نفوسنا للغرب. ونشأ عندنا ناس يسخرون من مفردات موسيقانا الشرقية. منذ الخمسينات بدأوا بهذا، وحذروا من «ربع الصوت» كأنه الطاعون، وقالوا إنه سبب الرخاوة والميوعة في موسيقانا. وما لربع الصوت؟ على مقام الراست العامر بربع الصوت مجّد السناطي مصر تمجيداً في «وقف الخلق»، وعليه أيضاً غنى عبد الوهاب «أخي جاوز الظالمون المدى» و«يا سماء الشرق»، وهما لحنان فيهما عظمة واستنهاض

٢٦٢ وجد الرعية والرعاة نياما

قال شوقي يندد بالاحتلال (١٩٣٢):

أَعْطَى الْعَهْدَ وَأَقْسَمَ الْأَقْسَامَا أَلَّا يَطْوِلَ مُقَامُهُ فَأَقَامَا

عاهد المستعمر الإنجليزي مصر وأقسم لها ألا يطول مقامه، ولكنه أقام (مكث)

خمسون عاماً في البلاد يسوقها بالعُنفِ عاماً والهَوَادَةَ عاماً

خمسون عاماً (١٨٨٢ - ١٩٣٢) قضاها الإنجليز في مصر يسوقونها بالعنف عاماً وبالهوادة (اللين) عاماً

مُسْتَعْمَرٌ جَعَلَ الْخِلَافَ ذَرِيعَةً لِيَهْزُرَ رُمُحاً أَوْ يَسْلُ حُسَامَا

مستعمر اتخذ من الخلافات الداخلية ذريعة (حجة) ليهز لنا الرمح ويسل علينا السيف

لَمَّا أَتَى الْوَادِيَّ وَعَبَّأَ جَيْشَهُ وَجَدَ الرَّعِيَّةَ وَالرُّعَاةَ نِيَامًا

لما جاء المستعمر وادينا وعبأ جيشه زاحفاً وجد الرعية والحكام نائمين. بل كان في مصر من أصرَّ على عدم النوم آنذاك: عدو شوقي اللدود أحمد عرابي. لقد هجا شوقي عرابي هجاء مرأاً لمخالفته الخديوي توفيقاً وكان والد شوقي من حاشية الخديوي. وشمّت شوقي بعرابي لهزيمة أمام الإنجليز في معركة التل الكبير (وكان شوقي آنذاك في الرابعة عشرة من العمر). وظل شوقي على موقفه حتى بعد عودة عرابي من المنفى. والآن يقر شوقي بأن الراعي (توفيقاً) كان نائماً. أما عرابي، أقر شوقي أم لم يقر، فهو الذي قاد جيش مصر برغم أنف الخديوي ليقف وقفة عز ومجد وليقدم ١٤٠٠ شهيد، ويقتل ٥٥٠ من الغزاة، وليعلن للأجيال اللاحقة أن مصر لم تُستعج رخيصة، وليكون مناراً

يا أيُّها الجيلُ الذي يَبْنِيْ غداً كُنْ في بنائِكَ حازِماً مقدّاماً
مقدّام: شجاع

وَإِذَا بَنَيْتَ الْمَلِكَ فَابْنِ حَقِيقَةً لَا تَبْنِ أَوْهَاماً وَلَا أَحْلَاماً

٢٦٣ اطلب القطن وزاول غيره

قال شوقي في مشروع القرش، وهو آخر شعر قاله، ومات أحمد شوقي في ١٤ أكتوبر (١٩٣٢):

اجْمَعْ الْقِرْشَ إِلَى الْقِرْشِ يَكُنْ لَكَ مِنْ جَمْعِهِمَا مَالٌ لَبَدٌ
لبد: كثير

اطلبِ الْقَطْنَ، وزاولْ غَيْرَهُ واتخذْ سوقاً إذا سوقٌ كَسَدَ
اطلب القطن (اسع في إنتاجه)، وزاول (مارس) إنتاج محاصيل أخرى أيضاً، فهذا يفتح لك سوقاً بديلة إذا كسدت سوق القطن

نَحْنُ، قَبْلَ الْقُطْنِ، كُنَّا أُمَّةً تَهْبِطُ الْوَادِيَّ وَتَرَعِي وَتَرِدُ
كنا قبل أن يزرع بمصر القطن أمة تهبط وادي النيل وترعى الأنعام فيه وترد (تستقي الماء). لم يكن للقطن شأن كبير في مصر القديمة، وأصبح سلعة تجارية مهمة، تغني الفلاح أو تكسره بحسب السوق العالمية للقطن، منذ عهد محمد علي

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

١٥٢	عِتابا	٢٦	شاء
٩٨	لَعِبا	٢١٥	ماء
١٩٢	واكتسابا	٢٥٩	مساء
٩٤	والرَّيَّا	٨	الْتَّناء
١٧	أُبْ	١٠	الرجاء
٢٤	تَضْرِبُ	١١٨	إماء
٥٧	ثعلبُ	١٦٠	شَمَاء
٢٥	ذَهَبُ	١٤١	وْتَناء
٢٣٧	والحبُ	٢٦٠	الأحياء
٢٢٢	أَحِبِ	٥٠	الأضواء
١٨٩	العربِ	١٥٣	الْكُرماءِ
٨٦	عُرَابي	١٠٦	دوائي
٢٤٢	كَعْذابِ	٢٥٦	السماء
٩٦	الْعَضْبُ	٢١٩	شفاءها
٢٥٨	عَجَبُ	٢٥٥	بنائِه
٢٨	يحبُّها	٢	أبي
١٨٥	تَابه	٥٨	الثعلبا
٢٠٨	حَانا	٢١٤	الِكْتابا
١٠٤	سُباتُ	١٧٣	تَوَابا
٣٣	الْحادِثاتِ	١٨٤	طَلِّبا

٢٠	والوداد	١٠٣	الموت
٢٢٠	يُنَادِي	١٢٨	عَرَافَات
١١٩	أَرَاذ	٢٣	مَرَّت
٢٤٠	الْأَسَدُ	٢٤٩	مَرَّت
٤٧	المنفرد	٣٦	والمَشْرِقَات
٢٦٣	لَبْدُ	٥	دَسْتُهُ
١٠٥	مَخْلَدُ	١٦٢	فَأَيْبَتْهُ
١٩٤	أَشَدَّهَا	٢١٠	فَرَحَمَتْهُ
١٢٩	عُوْدُهُ	٨٨	عَلاَجُهَا
٢١٦	الجَوْهَرَا	٢١٨	مُسْتَبَاحَا
٨٢	العِثَارَا	١٩٣	الأَفْرَاحِ
١١	الكُبْرَى	١١٦	يَتَسَبَّحُ
١٣٧	الكَرَى	٢١٧	الشَّدَادَا
٩٠	جَرَى	١٨	بِالْعَدَى
٣٤	الْأَكْبَرُ	١٩٥	شَرِيدَا
٢٣٣	تَبَوُّرُ	٩	قَيْدَا
٨٩	تَغْيِيرُ	٢١	النَقْدُ
٢٤٤	جَدِيرُ	٢٤٣	تُسَدُّ
٢٦١	وَجَوَارُ	٧٤	صَيَّادُ
١٣٤	وَفَقِيرُ	١٢	مَدِيدُ
٨٥	الْأَقْدَارِ	٢٥٧	وَجِهَادُ
٦٢	الحَصَارِ	١٧٤	الأَعْوَادِ
٤٨	الصَّحَارِي	١٨٢	الصَّادِ
١٢٦	الْغَفُورِ	٢٥٤	العَوَادِي
٤٢	الْفَجْرِ	١	بِالْعَنْقُودِ
١٥٩	بِالْأَبْكَارِ	٣١	بَعْدِي
١٢٧	حُصَّارِ	٣٥	لِلسَّيِّدِ
٩٧	خَبِرِ	١٣٩	نَادِي
١٣٨	كِبَارِ	١٣	وَأَقْعِدِ

١٨٣	وَقَعَ	٤	كَدَرِ
١٤٢	أَرْجَعَكَ	٤١	مَتَّظِرٍ
٢٣٦	مَعَهُ	٨١	وَبِالْخَذْرِ
٢٥٢	إِيقَاعُهُ	١٤٠	وَسَطِّرٍ
١٠٠	وَمِنْبَعُهُ	٣	الْأَخْضَرُ
٣٢	كَفَى	١٦	الْخَوَاطِرُ
٤٦	اِخْتِلَافٍ	١٨١	الْعُمُرُ
٩١	الْأَشْرَافِ	١٥٨	الْكَدَرُ
٦٨	الْأَلْفَافِ	٨٠	كَغَابِرٍ
٦٥	ظَرِيفٍ	١٥٤	لِلْكَدَرِ
٣٨	إِشْفَاقُ	٦١	الشَّجَرَةُ
٢٤٨	الْمُتَشَقُّقُ	١٠٨	كَعَثَرَةٍ
١٧٩	تُغْدِقُ	١٩٨	مُدَارَةٌ
٢٢٥	دَمَشْقُ	١٧٥	مُدْخَرَةٌ
١٦١	الطَّبَاقِ	٦٣	مَسْتَبْرَةٌ
١٤٨	الْمَذَاقِ	٦٠	مَسْرَةٌ
١٩٩	الْمَذَاقِ	١٩٧	وَالْجَارَةُ
١١٠	طَلَاقي	٩١	يَجَارُهُ
٧٣	مُزَقِّقٍ	٨٣	أُنْسُ
٩٩	مُشْتَقِ	٢٣٥	يَسُوسُ
١٤٦	وَيُلَاقِي	١٧١	أُنْسِي
٩٥	فِرَاقِهِ	١٣٣	تَنْقُضًا
٢٧	الْمَلِكِ	٦	أَجْمَعًا
١٩٠	بَيْنِكَ	٢٠٧	فَرَاغًا
٢٢٩	شِبَاكِي	٢٣٩	وَرَعَى
١٤٧	يَحْمُوكِ	١٨٨	وَلَعُ
٤٩	أَرِيكَ	٢٠٢	النَّاعِي
١٥	يَرَاكَ	٦٤	بِالضَّفْدَعِ
٢٣٢	فَبَكَاهَا	٢٠٥	لِيُرْقِعَ

١٨٦	اعتدَالُهُ	١١٧	الملا
١٧٠	أَصْمَى	١١٥	النَيْلَا
١٣٦	الْأَقْوَامَا	١٥٦	النَّيْلَا
٨٧	الْأَنَامَا	٢٤٥	انتَقَالَا
١٣٢	الرَّوَامَا	٢٥٠	جَمِيلَا
٢١٣	عَلَامَا	٢٠٦	رَسُولَا
٢٦٢	فَأَقَامَا	١١٢	عَلَا
١٢٠	كَرِيمَا	٢٣١	قَلِيلَا
١١٤	الْأَيَامُ	١٣٥	مَقَالَا
٢٠٠	الدَّرْهَمُ	٥١	غَزَالُ
٥٥	الْفَطِيمُ	٨٤	قَلِيلُ
١٩٦	خَادِمُ	٦٩	يُحْمَلُ
١٢٣	كَرِيمُ	١٤٩	يَمِيلُ
١٤٥	وَالْإِسْلَامُ	١٣١	الْبُئْبُلُ
٧٧	وَتَرَحَّمُوا	٣٠	التَّرَلُّلِي
١٠٢	الْأُمَمُ	٢٢٤	الْمَالِ
١٢٤	الْحُرْمُ	١١١	النَّشَالِ
١٠١	بِالْمَلَامِ	١٥٠	وِإِذْلَالِ
٢٣٠	دِعَامِ	١٥١	وِمِثَالِ
٢٠١	دَمِي	١٠٧	الطَّوِيلُ
٢٣٨	الْقَلَمُ	١٧٨	قِيلُ
٥٣	الْمُقَطَّنُ	٧٠	مَلَّنُ
٩٣	عَدَمُ	٥٩	الْبَطَالَةُ
٢٥٣	هَاشِمُ	٢٤٦	أَنْسَالُهَا
٢٢٣	الْقِيَامَةُ	٢٤٧	الْبَاكِي
٥٦	حَمَامَةُ	٥٢	بِذِلَّةُ
٩٢	وَتَحْمِيهَا	١٢٥	رَحْلَةُ
٤٠	اِقْتِرَانَا	٢٣٤	مَالُهُ
٣٩	الرَّائِنَا	٧	تَبْدِيلُهَا

٢١٢	وَيَزِينُ	١٨٧	الغَابِرِينَا
٧٥	الْمُعِينَةُ	٥٤	الْوَاعِظِينَا
٧٨	وَالسَّمِينَةُ	١٤٤	إِنْسَانَا
٢٠٣	رُكْبَانُهَا	١٧٦	جَبَانَا
٤٣	شُجُونُهُ	٢٢٨	حُسْنَا
١٧٧	أَرْسَانِهِ	١٦٩	دَيِّدَنَا
٢٢٦	زَمَانِهِ	١٥٧	لِوَادِينَا
٦٧	فَتَاهَا	١٦٨	مُقِيمِينَا
١٥٥	يَرَاهَا	٢١١	وَأَزْمَانُ
٣٧	كَبُورُهُ	٧٢	الْأَسْنَانِ
٢٢٧	الْجَوَازِيَا	١٤	الْجَانِي
١٣٠	ثَانِيَا	٧٦	الْحَيَوَانِ
٢٠٤	شِيَا	٢٢١	بِالْحُسَيْنِ
٤٤	غَالِيَا	٧١	تَرْعِيَانِ
٤٥	هَمَشَرِيَا	٧٩	عَنِّي
١٨٠	هَيَا	١٢٢	وَالدَّانِي
١١٣	وَالْمَعَانِيَا	٢٢	أَبْوَيْنِ
٢٤١	الْأَنَانِيَّةُ	٢٠٩	السَّنُونُ
٢٩	الثَّانِيَّةُ	١٩	فَكَانُ
٢٥١	ثَنَائِيهَا	٦٦	فَنَنْ
١٢١	يُعَادِيهَا	١٧٢	مُعْجِبِينَ
١٠٩	عَلَيْهِ	١٤٣	وَطِينِ

حافظ إبراهيم (١٨٧١م - ١٩٣٢م)

هياتُ «عناصر الموضوع» . . أو قل رؤوس الأقلام، وضبطت التواريخ، وقلت: أكتب مقدمة لهذه الأشعار التي انتخبتها من ديوان حافظ إبراهيم. ثم رميت بورقة العناصر جانباً. وأغلقت الكتب التي قرأتها عن حافظ إبراهيم، وأعدت ديوانه إلى الرف. وقلت في نفسي: أحدثك عنه حديثاً، فهذا أروح لي ولك.

وها أنت تراني متعثراً أبحث عن طرف الخيط.

غازني حافظ، وقد عدت إليه الآن بعد سنوات كثيرة من قراءتي الأولى لديوانه. انتخبت له الأبيات المشهورة، والأبيات الجميلة، والأبيات التي تعبر عن حياته وشخصيته، ورجعت إلى ما انتخبت فازددت غيظاً.

غازني في الأولى كثرة ما في ديوانه من القصائد المغسولة التي ليس فيها بيت يلفتك، وغازني في الثانية أنني رأيت مختاراتي التي ضمت خير أبياته مملوءة بالحشَف، وكان عليَّ أن أعود فأنجي منها ما لم أعد أراه جيداً.

ثم إن حافظاً غازني مرة ثالثة لأنه خدعني بقعقة في شعره تحجب عن المرء ما في الشعر من سخف أو إحالة أو تكرار غير نافع، أو تكرار ضار بالمعنى.

وبدأت أشحذ أسناني. قلت في نفسي: أنا دائماً أقول إن الشاعر بجيده لا برديته، وها هو أخونا في الله حافظ إبراهيم قد دسَّ لي ضمن ما كنت حسبته «جيده» أبياتاً رديئة غير أن عليها طلاء خالِباً. فلأخرج عن سياستي مع شعرائي، ولأشهر على حافظ سكين التعريق. ثم عدل بي عن هذه الفعلة شيثان وشيء.

أول الشئين أنني قرأت كتاب المازني الذي وضع فيه حافظاً على السفود. والسفود سيخُ شيءٌ للحم، وكان أخلق بنا أن نقول «وضع السفود في حافظ واشتواه»، ولكن الرافي شيء أن يكون التعبير «على السفود»، فهو عليه!

وثانيهما أنني رأيت حشداً من الأساتيد قد سرقوا نقداً المازني ونسبوا لأنفسهم الصغيرة، وسلخوا عبارات كاملة من المازني وزينوا بها صفحات المسوخ التي أصدروها. لا، لم يستفرغ المازني كل سفاسف شاعرنا. ولكني، لو مضيت في عزمي السفودية، سأكون مضطراً إلى انتقاد بعض ما انتقده الرجل، فهل أفعل ما فعله الأساتيد؟

والشيء الثاني.. الشيء الثاني في الواقع هو ذلك الذي صنعه الأساتيد. لكن بقي شيء آخر.. ثالث، وهو الأهم.

الشيء الثالث الذي منعني من تعقّب ما وقع فيه حافظ من إحالات وركاكات هو أن شاعرنا كان يكتب للأذن لا للعين.

قرأت وصفاً جميلاً كتبه عبد الرحمن صدقي لحفل ألقى فيه حافظ قصيدة في تكريم يعقوب صروف ونبيه فارس. وصف صدقي إقبال حافظ على الجمهور، بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين وهامته الكبيرة. ووصف إيماءاته «التمثيلية» وصوته الفخم وإلقاءه الأخاذ، وتكراره بعض الأبيات قبل أن يمضي في سائر القصيدة، فرأيت مصداق ما قاله كثيرون من أن حافظاً كان يمتلك مهارة كبيرة في الإلقاء. ثم قرأت ما كتبه طه حسين عن سؤاله حافظاً عن عبارة «جثا قبره» التي وردت في مطلع قصيدة رثى فيها مصطفى كامل (أيا قبر! هذا الضيف أمال أمة/ فكبر وهلل والى ضيفك جاثيا)، فكيف للقبر أن يجثو على ركبتيه؟ وردّ حافظ: «دعني من نقدك وتحليلك. ولكن، حدثني أليس يحسن وقع هذا البيت في أذنك؟ أليس يثير في نفسك الحزن؟... قال طه: ولكن. فقال حافظ: دعني من لكن، واكتف مثلي بهذا».

الرجل يستعمل اللغة القديمة، والأساليب العتيقة، ويتكلف في سبيل ذلك ما يتكلف، ويخطئ، ويحيل، ولكنه ينظم ناصباً أذنيه يسمع ما ينظمه بأذان جمهوره. والجمهور غفور للشاعر رحيم به إن هو أحسن سوق القضية بمجملها، ناثراً في أثناء الأبيات درراً قليلة وسط حشد من العبارات ذات الوقع الفخيم، وليس مهماً بعد ذلك إن كانت فيها قبور جاثية.

قررت أن آخذ حافظ إبراهيم على بعضه. وفعلت. وشرحت ما اخترته من أبياته وأنا مغيط محقق، لكنني كفت لساني عن انتقاده إلا ما ندر. كان في نظمه بوهيمياً كما كان في سلوكه منذ أن ترك الدراسة يافعاً إلى أن مات.

كان حافظ شاعراً. وملاً بشعره الأندية. وعاشت له أبيات، وقصائد كاملة أيضاً، ظل الناس يرددونها. لم يكن رجل فكر، ولا رجل سياسة، وأزيد وأقول ولا وطنياً مناضلاً. كان يحب وطنه، وهذه ليست فضيلة، فكلنا يحب وطنه. وكان يفكر في رفعة وطنه كثيراً، ويتألم لأن نهضة بلده مصر لم تكتمل، بل لقد انتكست. ولعل في هذا بعض الرد على قوم يزعمون أن العهد الملكي بمصر قبيل ثورة ١٩٥٢ كان عهد نهضة مباركة وكبيرة، وأن حركة الضباط أجهضت هذه النهضة. في شعر حافظ، مأخوذاً في مجمله - ومضافاً إليه شعر شوقي - مجموعة كبيرة من القرائن على أن مشاعر أهم شاعرين في تلك الحقبة كانت مشاعر أسى على نهضة كانت في عصر محمد علي، وخفتت قليلاً ثم كانت تريد أن تستمر في عهد إسماعيل فأجهضتها الأمم الأوروبية، ثم بالاحتلال الإنجليزي ١٨٨٢ بدأ الانحسار، وظل متواصلاً.

من حق أي مؤرخ - مصرياً أو غير مصري - أن ينتقد حركة ضباط ٥٢، ومن حقه أن يفضل على مؤسسات حكم العسكر آنذلك المؤسسات الأشبه بالديمقراطية التي كانت في العهد الملكي، فأما تصوير العهد الملكي على أنه كان نهوضاً متصلاً، فهذا عكس الحقيقة.

رأى كثيرون حافظاً وطيب قلبه، ووفاء لأصدقائه وللمن أحسنوا إليه، واغتفاره إساءة من أساء، وتغمدته هجوم من هاجمه بالعفو السريع فعدوه رجلاً من كَمَلَة الرجال. ليكن. على أن الرجل الكامل يحتفظ في ركن من شخصيته بخزانة سوداء يودع فيها قمامات سلوكه، فإن لم ير الناس في شخصية حافظ المفتحة شيئاً عليه قفل ومفتاح، فربما كان ذلك لأنهم غضوا البصر.

كان حافظ حقاً طيب المعشر لطيفاً. لكن ليس مع كل الناس. فهو ابن بلد، يعامل من يضغره سناً أو قدراً بجلافة ابن البلد، ويعامل من يحسن إليه بالإجلال، وهو يحفظ المعروف، ويحسن إلى الناس كثيراً. وكان سخياً سخاء خرافياً، ونوادر سخائه تملأ الكتب، والسخاء ستر يحجب عن الأعين كثيراً من علل الشخصية. وكان صاحب نكتة، وذا محضر جميل وبديهة مساعفة، ويحسن السخرية المرة. يراه المرء أول معرفته به متجهماً، ثم سرعان ما يفيض بشراً،

حتى ليقبل ضيفه الجديد عليه يريد أن يقبله بين عينيه، وهذا شيء قاله أحد من عرفوه، ونسيت من هو.

درس حافظ الشعر العربي من «الوسيلة الأدبية» وفيها قرأ شعر البارودي، ولقي البارودي وسمعه وجالسه، فحافظ امتداد طبيعي لمدرسة إحياء الشعر العربي، التي جعلوا البارودي رأسها. وقرأ أغاني أبي الفرج مراراً، وصاحبه لزوميات المعري، وسمع أشعار شوقي وكان يقفو أثره في بعض الموضوعات.

لم يكن الشاعر المثقف. كان يحب رنين الشعر العربي القديم وقرأه كثيراً وحفظ منه كثيراً، وجعلوا حفظه آية من الآيات، إذ كان يستحضر من خزانة ذاكرته ما شاء أيا ن شاء.

وأعود إلى غيظي.

كل هذا الغيظ الذي حدثتكَ عنه.. ثم أختار لحافظ بضعة مئات من الأبيات! لا، وإنني لأبرز الكثير منها بالتسويد!

لم يكن لحافظ دقة أبي تمام، ولا سلاسة البحتري، ولا صنعة ابن الرومي، ولا فخامة المتنبي، ولا فحولة المعري، ولا خيال شوقي.

ولكن، كان لحافظ شيء لم يكن لأي من هؤلاء. كانت له شخصيته، تماماً مثلما لك ولي ولكل إنسان شخصيته. وعبر حافظ عن شخصيته في شعره، وليس كل أحد قادراً على أن يعبر عن شخصيته، وعن.. إمعيته أيضاً.

عبر عن إمعيته الفكرية بوضوح: لا رأي له في كرومر، ويودعه بقصيدة يذكر فيها المحاسن والمساوي، ثم يتنصل ببيت يقول فيه إن هذا «ما يقوله الناس»؛ ولا رأي له في السفور والحجاب، ويريد في رثائه قاسم أمين أن ينتظر كي يكشف له المستقبل صحة أو خطأ آراء الفقيه. وهو ناظم على الأجانب المقيمين في مصر ثم يعود ويحييهم على نشاطهم التجاري.

وعبر حافظ عن أحداث زمنه. وكانت له قدرة الخطيب، الذي أدمن النظر في عيون جمهور السامعين، على تخير العبارة الطنانة. والعبارة الطنانة من بعض المكونات المفيدة للشعر. فإن شبهت مكونات الشعر بمكونات صلصة الطماطم فاعلم أن العبارة الطنانة ليست من المواد الحافظة، التي لا مهمة غذائية لها بل هي تحفظ الصلصة من التلف السريع. لا، العبارة الطنانة جزء من الشعر، لأن إنشاد الشعر جزء من الشعر، ولأن الإيقاع جزء من الشعر،

ولأن الشعر يصبح نثراً إن عدم هذه المكونات. فهل المعنى جزء من الشعر؟ يقول لك القدماء: نعم، ولا. ويقولون إن المعاني ملقاة على قارعة الطريق، والمعمول إنما هو على حسن السبك، وعلى الالتزام بعمود الشعر العربي. ويقول لك قدماء ومحدثون كثر: بل المعنى مهم، شرط ألا تتحول القصيدة إلى مقالة.

حافظ غير المثقف أشعر من حافظ لو كان مثقفاً. وأكاد أجزم بنسبة ٩٩٪ كما يقول العوام - في أول مناسبة تسوق تعسَّ حظُّ عامياً ليقول لي هذه العبارة، سأجيبه ببرود وبكل جدية: وكيف قست هذه النسبة المئوية لطفاً؟ - أجزم بأنه لو كان حافظ قد تثقف وقرأ كثيراً لكان شعره في غاية الغثاثة. وكنت في مقدمة كتابي الأول في هذه السلسلة قد بحث لك بأنني حاولت الشعر وأخفقت فيه، وعبرت عن ذلك بالقول:

أتيت بقاموسي وألفيتي إلى الـ قصيدة أبغيها، وأخشى تعاليها
فألفيتها تهوى البريء ولو به جنون، بل المجنون أقصى أمانها
فيا شعرُ، يا ولأدُ، يا خَلْقُ، فُتْنِي لأنَّ علومِي شوهتني تشويها

وفي حافظ سذاجة تظهر جلياً كلما طرق موضوعاً ثقافياً، ولكنه قد يجيء بعد أن يستعرض عضلاته الثقافية، المنفوخة بمنفاخ الدراجات، بأبيات قليلة يشكو فيها بؤسه، صادقاً في شبابه كاذباً في كهولته: كاذباً لأنه لَطَى في السنوات العشرين الأخيرة من حياته في وظيفة دسمة (بلغ راتبه الأقصى ثمانين جنيهاً في الشهر.. هذا عام ١٩٣٢، عندما كان الجنيه يُغني «أنا أنطونيو وأنطونيو أنا»).

أبيات الشكوى عند حافظ فيها عذوبة، وفيها استمرار للنغمة مألوفة عند شعراء العرب أصبحت من أركان أركان القصيدة في عصور الانحطاط. وهي بالمناسبة عصور انحطاط وانحسار وسفه وسفاسف وأنوف بعض الأكاديميين في التراب. نعم رغم السفاسف فإن مما يجعل السامع يترنح ويتخدر أن يسمع شعراً فيه نغمات عتيقة. (مثال على ذلك من دنيا الألحان أغنية لنجاة الصغيرة تقول «أيظن أنني لعبة بيديه؟/ أنا لا أفكر في الرجوع إليه» وتصحب هذه الكلمات ألحان تعبيرية جديدة، ثم تمضي الأغنية بلا إيقاع وبلا تطريب.. «اليوم عاد كأن شيئاً لم يكن/ وبراءة الأطفال في عينيه»، وعندما يريد

عبد الوهاب أن يقيم الناس عن كراسيهم يلحن لهم البيت «حتى فساتيني التي أهملتها/ فرحت به رقصت على قدميه» تلحيناً آخر مختلفاً. . تلحيناً فيه طرب وإيقاع وجملة ميلودية متقنة من الطراز القديم). وألا ترانا نستمع إليك بأدب وأنت تلقي علينا قصيدة ألفرد دوفيني عن الذئب، فإذا أتبعناها بقصيدة البحري حيث يقول: «كلانا بها ذئب يحدث نفسه بصاحبه» استيقظت فينا روح الصحراء التي كلانا فيها ذئب حقاً، وصفقنا لقدمينا المضمخ بمسك السنين؟

شكا حافظ من الأجانب بمصر: من اليونانيين، ومن الشوام أيضاً. ولكن حافظاً رجل رقيق، وهو ابن بلد. كان يحب صديقه خليل مطران اللبناني ويمدحه شعراً ونثراً، وكان مطران بثقافته العميقة، وفرنسيته المتقنة يساعد حافظاً في الترجمة. وكان يغشى مجالس أهل الصحافة، وجلهم من الشوام، وكانوا يرفعون ذكره عالياً بنشر قصائده في صدور جرائدهم. وفي السوريين قال حافظ بعض أجمل شعره، وطوقهم بحبه وبإعجابه. ولكن تدمره كان من المصريين الذين كانوا - حسب تحليله الساذج - متوانين وكسالى. وكان اسم أكسل رجل في مصر. . لعلك حزرت. . فلا داعي للتشهير.

هذا سجل حياة شاعرنا:

ولد في عوامة راسية قرب ديروط في الصعيد، عند قناطر التقسيم. . قناطر تقسيم حصص المياه. كان محمود سليمان باشا أحد كبار ملاك الأراضي قد أسكن إبراهيم فهمي والد شاعرنا وأمه هانم البورصلي فيها. فإبراهيم فهمي مهندس مياه، والباشا بحاجة إلى «مساعدة صديق» كي يحصل على نصيب وافر ليروي فدادينه الـ ١٦٠٠. وأنجبت هانم - هذا اسمها - الطفل حافظاً في عام ١٨٧١، ربما قبله بعام، وربما بعده بعام. ثم أختاً له. ثم مات زوجها إبراهيم فهمي ولحافظ من العمر أربع سنين. فخسر الباشا الصديق المساعد، وخسرت الأسرة العوامة.

رحلت الأم بولديها إلى القاهرة، إلى بيت أخيها، المهندس في مصلحة التنظيم، محمد نيازي البورصلي، وكان يسكن في حي المغربلين بين القلعة والتحرير. وأحوال حافظ قوم من قدامى أتراك مصر نسوا لسانهم التركي واستعربوا وتمصروا. لم يكن خال حافظ من ذوي اليسار، لكنه كان يعيش مع زوجته وحدهما ولم يرزقا بأبناء.

تربى حافظ في كنف خاله بلا أب، ولكن كان له في البيت أم، وكانت له

أم أخرى هي زوجة خاله، وكانت أخته. وقد تزوجت، من بعد، وأنجبت أربعة وماتت شابة.

درس في مدارس القاهرة حتى بداية المرحلة الثانوية، ثم كان أن رحلت العائلة كلها إلى طنطا، فانقطع حافظ عن الدراسة، إذ لم يكن بطنطا مدرسة ثانوية كما ذكر بعضهم، أو لأنه كان يكره المدرسة كما قال محمد إسماعيل كاني الذي يتنسب إلى أسرة أخت حافظ.

أخذ حافظ، وهو في السادسة عشرة يعاشر طلاب المعهد الأحمدى بطنطا، وحضر دروساً في النحو والصرف في الجامع الأحمدى. ويصف الشيخ عبد الوهاب النجار أول لقاء له بحافظ في طنطا عام ١٨٨٨، وحافظ في نحو السادسة عشرة، يقول: «فتى غض الإهاب، له ظرف ولطف محاضرة، ويديه وحضور... قضينا رمضان نصلي المغرب والعشاء والتراويح معاً، ثم نسمر حتى السحور، ونظل حتى يؤذن لصلاة الفجر، وبعدها نمضي في صحبتنا حتى طلوع الشمس، فيذهب كل منا إلى بيته» بتصرف عن الشيخ النجار.

مضت على حافظ سنة خصبة جداً من حيث امتلاكه لأدوات اللغة والبيان، وقاحلة بوهيمية في نظر خاله المهندس. وضاق حافظ ذرعاً بكلمات خاله التأنيبية، فقال بتيه المشهورين: (ثقلت عليك مؤنثي/إني أراها واهية// فافرح فإني ذاهب/متوجه في داهية). وكانت الداهية استمراراً في معايشة طلاب المعهد، فقد سكن حافظ عند صديق كان مجاوراً للجامع الأحمدى.

ولعل هذا الصديق ضاق بحافظ.. على أن شاعرنا أصبح الآن يعرف قدر نفسه، فهو يحسن أن ينظم، واستقامت على لسانه اللغة العربية الفصحى. عاد إلى منزل خاله. لكنه بدأ يبحث عن عمل. ولم يجد خيراً من المحاماة، فهو فصيح اللسان، حسن الكتابة سريع الفهم وسريع البديهة.

عمل في مكتب المحامي الشيمي، ثم وجد يدق عليه في الأجر، فانتقل إلى مكتب محمد أبي شادي، ثم إلى مكتب عبد الكريم الفهيم.

قد وضحت الصورة الآن، نحن بلائذ شخص قلق. فما الذي يلقي بهذا الشاب القلق، الذي بدا أنه مشروع شاعر، في أحضان الجيش؟ ربما طوله وكثفاه العريضتان.

إلى القاهرة، والمدرسة الحربية. ولحسن حظه كان المحتل الإنجليزي قد

ألقى من منهاج هذه المدرسة معظم ما كانت تدرسه من علوم، وبعد سنتين أو ثلاث تخرج حافظ ملازماً ثانياً. وقضى في الجيش ثم في الشرطة ثلاث سنوات، كان فيها مثال الضابط المهمل.

ونقل إلى السودان في حملة كتشنر.

فقد بعث الإنجليز الجنرال هيرت كتشنر إلى الخرطوم للقضاء على الحركة المهدية وقدر أطماع فرنسا في السودان. وفي الثاني من سبتمبر/أيلول عام ١٨٩٨ كانت المواجهة بين جيش الأنصار السوداني بقيادة عبد الله التعايشي خليفة المهدي، وبين القوة البريطانية. وكان مع الثمانية آلاف جندي بريطاني ١٣ ألفاً من المصريين والسودانيين. وكان جيش التعايشي يزيد عن الخمسين ألفاً.

فتح كتشنر على جموع جيش الأنصار المدافع. كانوا يزحفون بملابسهم البيضاء موجة إثر موجة، وكان الإنجليز يعالجون زخوفهم بالمدافع أولاً ثم بالبنادق الرشاشة لمن لم يسقط بالقذائف، ثم بالبنادق يتصيدون بطلقاتها من تبقى. وانجلت هذه المقتلة عن ١٢، ٠٠٠ قتيل سوداني، وأكثر منهم من الجرحى، ويخبرنا ونستون تشرشل الشاب، الذي شهد الواقعة، أن كتشنر نفسه كان يشجع جنوده على الإجهاز على الجرحى، طائفاً بينهم قائلاً «تذكروا غوردون»، الجنرال البريطاني الذي قتله جيش المهدي قبل خمس عشرة سنة. وخسر كتشنر ٤٧ جندياً فقط. ثم إنه نصف ضريح المهدي في أم درمان. ينقل لنا الوصف مع استنكار للفعلة تشرشل نفسه. وقد قيل إن الملكة فكتوريا العجوز بكت عندما علمت بتدنيس مقام المهدي.

حتى بعض الصحف البريطانية استنكرت وحشية كتشنر وجيشه، وصفه أحدهم قائلاً، كتشنر ليس إلا آلة للقتل، ولا بأس بعرضه في المعرض الدولي بباريس مع لافتة تقول آلة القتل في السودان.

فأين كان الضابط حافظ إبراهيم وقتها؟ كان في الخرطوم وعلى رأس عمله. فماذا صنع؟ لا تذكر لنا الكتب شيئاً عن ذلك، ولم أر أحداً اهتم بالأمر أصلاً، بله أن يبحث للشاعر عن مفلص (ألا بيا/برهان بالكينونة في مكان آخر).

أنت لا تشهد يوم القيامة بالبيجامة.

وتكملة القصة أن لندن أبرقت لكثشنر بما معناه: ليس ما ابتغيناه الانتقام لمقتل غوردون، الغرض وقف مطامع باريس في السودان. فانطلق كثشنر إلى فاشودة بالسودان حيث دس الفرنسيون مشط قدمهم في الباب. وبعد رفع البنادق ثم التفاوض ورحلت فرنسا عن السودان. ثم نوذي بكثشنر أن اذهب إلى الترانسفال بجنوب إفريقيا.. لتصبح بطل حرب البوير. وفعل.

وذكر حافظ إبراهيم في كتابه «ليالي سطيح» بعض ما حدث في السودان. ذكر شيئاً على هامش الهامش، ولكن له دلالة.

لقد سحب البريطانيون من المصريين في الجيش الذخيرة. فغدت البنادق في أيديهم عصياً. فثار الضباط المصريون. واجتمعوا، وقال قائل منهم - والنقل الآن حرفي عن حافظ -: «أليس من الخطأ أن تبقى هكذا الجنود، ونحن في بلد غير آمن، وهذه دماء أعدائنا لا تزال غريضة، وتلك أجسادهم تغدو عليها وتروح عنها جيوش العقبان والرخم، وقد أكل الحقد صدور أهل البقعة، وتغلغل الضغن في نفوسهم».

ويحدثنا حافظ بتطويل ممل عن استدراج الإنجليز للسودانيين في الجيش لمعرفة خبر هذا التمرد، وعن إسكارهم، وعن خيانة ضابط مصري لزملائه، وكيف أن الإنجليز توصلوا إلى قائمة بنحو ثمانين اسماً، ثم لم يريدوا إحداث ضجة فاختاروا منهم بالقرعة ثمانية عشر أحالوهم على الاستيداع وأعادوهم إلى مصر، وكان بينهم شاعرنا.

لا يذكر لنا حافظ، لا شعراً ولا نثراً شيئاً عن مقتلة أم درمان وما تلاها من فظائع. ونحب أن نظن أنه لكسله الشديد لم يضغط على زناد. على أننا، من قليل ما وصلنا من أشعاره في السودان التي كان يبعث بها إلى أصدقائه في مصر، نعرف أن غاية همه كانت تذكر مجالس الخمر في مصر، والشكوى المتصلة من بقاءه في السودان، ورغبته الشديدة في العودة إلى مصر. لقد خدم حافظ في حلفا وطوكر وسواكن في السودان. ولكن نصه في «ليالي سطيح» الذي يعتبر الأنصار هم الأعداء صريح.

لقد كانت جموع السودانيين الذين ذبحهم كثشنر من المسلمين، وكان لسانهم عربياً، ولعل حافظ نسي ذلك وهو يكتب الأبيات الجميلة في نصرة الإسلام «سلام على الإسلام بعد محمد/ سلام على أيامه النضرات» وفي نصرة اللغة العربية «أنا البحر في أحشائه الدر كامن».

ثمة هيكل عظمي ههنا في خزانة سوداء أبقاها حافظ، وأبقاها الذين كتبوا عنه الكتب، مقفلة. وكلمة «أعدائنا» الواردة في المقتطف أعلاه من كلام حافظ بليغة في الإشارة إلى أنه وصحبه من الضباط كانوا يعتبرون جيش الأنصار السوداني «العدو».

لحافظ الضابط بضع قطع قصيرة في جندي مليح، إحداها صريحة «ومن عجب أن قلدوك مهنداً/ وفي كل لحظ منك سيف مهند». وهذا مألوف من رجل يحب الجمال وجد نفسه ضابطاً يقترب من الثلاثين وسط جنود، وانقطع عن الإناث زمناً. وفي قصص جيش إسبرطة، وجيوش العباسيين الشغرية حالات كهذه فشت حتى لقد صارت سمة من سمات ذينك المجتمعين.

أعيد حافظ أخيراً إلى مصر، محالاً على الاستيداع، ثم أحيل على المعاش بعد ثلاث سنوات ونصف السنة بناء على طلبه. كان ذلك في سنة ١٩٠٣.

تفرغ حافظ لأستاذه وإمامه محمد عبده مفتي الديار المصرية والقطب الفكري والعملي لحركة الإصلاح. ونهل من علم محمد عبده الغزير، وقيل إن الإمام كان يساعد حافظاً حتى في فهم اللغة الفرنسية التي ألم بها محمد عبده وهو في باريس. ومات الإمام عام ١٩٠٥ فرثاه حافظ بدموع حرى وظل يذكره في شعره فيما بعد. وفي عام ١٩٠٦ نجحت السيدة هانم في تزويج ولدها. لكنه لم يلبث مع زوجته سوى أربعة أشهر، لم يعد بعدها لزواج ولا لغير زواج. يقول أحمد حسن الزيات «ذوى في قلبه حب المرأة» ولا يزيد.

ونحن أيضاً لا نزيد. ولم نر في سيرة الرجل ما يدعم أية تكهنات. غير أننا نريد التنويه بكتاب جيد عن حافظ إبراهيم بقلم السعيد محمود عبد الله، ولندخل إلى التنويه من هذا الباب الذي فتحناه والمتعلق بحقيقة ميول حافظ الجنسية. يعرض المؤلف لما أورده مؤرخ حافظ وصديقه الذي عايشه، أحمد محفوظ، من أن حافظاً انصرف عن تلك الزوجة لأنه لم يشاهدها قبل الزواج، فلم تقع في نفسه موقعاً حسناً، ويدير صفحتين على أن هذا لا يكفي لتبرير انصراف الشاعر عن المرأة كلياً بعد ذلك رغم أنه أصبح موسراً. وينتهي المؤلف إلى القول إن السبب هو ما «مني به من فتور في ميله الغريزي إلى الأنثى».

بعد سنتين من هذا الزواج الفاشل توفيت والدته حافظ، وكانت تعيش معه

في منزل مستقل. فانتقل مرة أخرى للعيش مع زوجة خاله التي رعاها حافظ في شيخوختها، وظلت تقيم معه عشرين سنة حتى ماتت.

ظل حافظ بعد وفاة الإمام، بل حتى في حياته، يغشى مجالس الوجهاء من أبناء الأسر الكبيرة وينال صلاتهم، وله مدائح في أبناء هذه الأسر. وظل ينشر شعره في المحافل، وأصبح ذا صيت. طرقت قصائده في الحرب الروسية اليابانية، وفي الإمام، وفي دنشواي، الآذان، وتندر الناس بأبياته في مجالسهم. ونشر كتاباً استحضر فيه روح الكاهن الجاهلي سطيح، وألقى على لسانه كلاماً عن السودان، كما أسلفنا، وعن دهاء الإنجليز وغطرسة ضباطهم. وهاجم أحمد شوقي في بضع صفحات.

كان في هذه الفترة ينظم الشعر محاولاً الوصول إلى السدة الخديوية، ولكن شوقي كان يسد عليه الطريق، وتقرب حافظ من شوقي، وأقر له في أبيات مفرقة على عدة قصائد بالسبق، ونشأت بين الرجلين علاقة طيبة. لكن شوقي ظل حتى النهاية ينزعج كلما قرن الناس اسمه باسم حافظ، فهو شاعر مصر الأوحد. قالها كذا مرة في شعره.

فرض حافظ وجوده بأشعاره الرنانة التي كانت تزداد رنيناً عندما يلقيها في حفلات التهنئة ومحافل التابئين الكثيرة التي كانت تلتقي فيها قصيدة حافظ مع قصيدة شوقي ملقاة على لسان آخر، فشوقي لا يحسن الإلقاء.

ظل حافظ يسترضي الإنجليز بأشعار «ماتت الملكة عاش الملك» ثم بقصيدة سيئة الصيت في وداع المعتمد البريطاني اللورد كرومر في أعقاب حادثة دنشواي. كان شوقي أيامئذ وطنياً، في تصنيف من يعشقون التصنيف، لكنه كان وطنياً من النافذة لا من الباب. فهو شاعر الخديوي عباس حلمي، في وقت كانت العلاقة فيه بين عابدين (قصر الخديوي) والدوبارة (قصر المعتمد البريطاني) متوترة. وكان حافظ أيامئذ حائراً بين مجالس العائلات ذوات الأطيان، وبين مصانعة الإنجليز، ومحاولة التقرب من السدة الخديوية، ومدح السلطان عبد الحميد، ثم الترحيب بعزله، وبين مدح الشوام الذين كان يسيطرون على الصحافة، ورتاء كبرائهم.

وفي أثناء هذا كله كان حافظ يقول شعراً يتوجع فيه للأيتام، ولضحايا الحريق في مصر والزلازل في إيطاليا، ويرى شوقي يرثي تولستوي فلا يقصر، فيرثي تولستوي. ومثلما كان يصانع الإنجليز كان يهاجم احتلالهم للبلاد.

وأخيراً انفتح له باب السماء. عينه وزير المعارف أحمد حشمت رئيساً للمقسم الأدبي بدار الكتب. فعرف حافظ نعمة المرتب الجيد. وعاش عشرين سنة ممسكاً بالمرتب بكلتا يديه. ليس أنه كان موظفاً حسن الدوام والانضباط.. بهذا لا يكون حافظ حافظاً. كان شاعرنا يقضي ساعات الدوام على مقهى الكتبخانة. ويظل بين الحين والآخر على دار الكتب ليتحدث مع زملائه، وكان جل حديثهم عن العلاوات والتعيينات وما إلى ذلك من أحاديث الموظفين. من سنة ١٩١١ حتى خروجه من الوظيفة (أو «إخراجه» منها على يد حكومة إسماعيل صدقي/والعهدة في «الإخراج» على أحمد حسن الزيات) عام ١٩٣٢ ظل حافظ شاعراً موظفاً. يمدح بحساب ويرثي بغير حساب، فإن قال شعراً وطنياً فهو مقيس بمقياس الاعتدال والعمومية «وبناة الأهرام في سالف الدهر كفوني الكلام عند التحدي». وقامت الحرب العالمية الأولى فأنب حافظ الألمان على إضرار نارها، وانتهت الحرب، فلم يجد حافظ من يستحق الرثاء أو الممدح فمدح عمر بن الخطاب في ملحمة طويلة. وقامت ثورة ١٩١٩ في مصر، فقال حافظ شعراً وطنياً لم ينشره، لكنه انتشر بين الناس. وعاد شوقي من منفاه فحياه حافظ، وتوطد الود بين الشاعرين على قاعدة قبول حافظ أن يكون ثاني اثنين، مع أن شوقي المجلي ظل يرى نفسه الأوحد ولا ثاني له.

جمع الشاعرين مجلس سعد زغلول الذي جمع الأمة حوله، وعندما أقام سعد لشوقي حفل مبايعة بإمارة الشعر جاء حافظ مبايعاً. وبعدها بقليل، وفي العام نفسه ١٩٢٧، مات سعد زغلول فرثاه كل شعراء مصر وغير مصر.

كان من محاسن حافظ في هذه الفترة، وفي كل حياته، أنه ظل يسأل: لماذا لا نتقدم مثلما تقدمت أوروبا؟ لماذا لا نتعلم، ولماذا لا نتقن صناعاتنا، ولماذا لا تكون لنا أخلاق كأخلاقهم؟ كانت هذه الأسئلة التي يطرحها حافظ - رغم أنه لم تتوفر لها إجابات لا على لسانه، ولا في سلوكه الشخصي البوهيمي - الأسئلة الوجودية الحقيقية.

كان جواب طه حسين على مثل هذه الأسئلة حث الأمة المصرية على أن تكون جزءاً من أوروبا. وكانت إجابات بعض أصحابه الدستوريين تتمثل في أطراح الفصحى، وفي التخفف من التدين - على الأقل كانت هذه نصيحة اللورد كرومر قبل انصرافه.. ولكن الكل كان يجمع على ضرورة التعلم. واحتلفت

مصر بفتح جامعة، وظل حافظ متعجباً من ذلك النشاط عند الشوام، في مقابل ما ظنه خمولاً عند المصريين.

لقد كانت مصر وما زالت - ونكتب في ثاني يناير/كانون الثاني عام ٢٠١٧ - القاطرة في العالم العربي. لكنها قاطرة عتيقة تقطر عربات أعتق منها.

حملت مصر عن بغداد الراية بسقوط بغداد، وحتى قبل سقوطها، فالفاطميون كانت لهم خلافة بجانب الخليفة في بغداد، وكانوا يحكمون مصر وبعض الشام ولهم في المغرب وجود قوي وجذور. وحكم الأيوبيون مصر والشام، ومثلهم المماليك. ثم لما انضوى العرب تحت جناح الدولة العثمانية، خفت صوته وتبددت قيادتهم. لكن مصر كانت أول من رفع رأسه، فكان عهد محمد علي نهضة كبرى بلغ من قوتها أن جيشه هدد إستانبول، بعد أن سحق الجيش العثماني في قونية، ١٨٣٢، مما اضطر السلطان العثماني إلى الاستنجاد بقيصر روسيا لحماية عاصمته. وتدخلت القوى الأوروبية، وانكمش محمد علي، لكنه ظل يسيطر على مصر، وبعض الشام وبعض الحجاز، والسودان.

وكان الاحتلال الإنجليزي، ١٨٨٢، وقبله كان شق قناة السويس، وشهد عصر شاعرنا تمللاً مصرياً متصاعداً وسعيّاً إلى الاستقلال الحقيقي. ونالته مصر، وظلت تقود الأمة العربية في عهد عبد الناصر. وظلت نهضتها الاقتصادية اللحاقية - نسبة لشهوة اللحاق بأوروبا - أشواقاً.

ومصر اليوم ما تزال الكبرى عدد سكان، وهي رائدة الفن السينمائي وفنون الموسيقى وما زالت في الطليعة. إلا أنها ما تزال تبحث عن جواب السؤال: كيف نلحق بأوروبا؟ ومثلما كان لهذه المعضلة أثر في نفسية حافظ إبراهيم، فلها أثر في الشخصية المصرية اليوم.

ترى الممثل السوري أو التونسي لا يكاد ينزل مصر حتى يكتشف أن عليه أولاً أن يقدم فروض الولاء اللساني. فيقول للمذبة إن مصر أم الدنيا، وبقية هذا الموشح.

لقد تعمقت المعضلة المصرية باكتشاف النفط في دول الخليج، وبالتراجع في نمو الاقتصاد المصري. ظلت مصر القاطرة، ليس أنها قاطرة حديثة، ولكن لأن ما سواها لا يملك العمق الثقافي كي يقود. وكانت الحقبة السعودية (والتعبير لمحمد حسنين هيكل) حقبة سياسية فارغة من المحتوى النهضوي، والفكري.

نكتب هذا لما وجدناه من طرافة في التشابه بين مشاعر حافظ إبراهيم ومشاعر كثير من المصريين اليوم. فثمة أزمة نفسية عند مثقفي مصر، تلخصها عبارة «أم الدنيا». فكل نقد أو حتى تحليل يصدر عن عربي آخر محمول على الحسد. والبلوى أن بعض العرب الآخرين أصابتهم أزمة نفسية معاكسة فهم يضعون مسألة التصدر المصري موضع الشك، وموضع النفي. ثم تتدفق أنهار التلاسن فالتشاتم. هل أنت ممن يعاقر الإنترنت؟ إذن لا حاجة بي لسرد المزيد.

غير أنني أقول إن العمق التاريخي لمصر بوصفها القاطرة ذخر لا يملكه بنفس القدر أي بلد عربي آخر، والفرشة الاجتماعية الواسعة والخصبة في مصر منبع للفن والأدب، والتنوع الفكري في مصر - حتى عندما تمر في مخاض سياسي صعب - أمر لا يوجد في بلد عربي آخر.

هي رب الأسرة العربية، ورب الأسرة مريض نفسياً وجسدياً. شفاه الله. وما يستر عليه أن أهل البيت كلهم مرضى، فإن كان في جيوب بعضهم دراهم كثيرة فهي دراهم ملوثة بالزيت والزفت. ولم أجد دراهم الزيت والزفت قد عادت على أهلها بعلم ولا بحضارة، لا بل هي اجتذبت غفيراً من البلاد الفقيرة لكي يتشوهوا بالكاش. هذه حال دول الفقر العربية مع دول الخليج الغنية، يأتي الرجال والنساء من دول الفقر إلى دول الخليج، ويعيشون كما يعيش الناس في معسكر عمل. وفيها يفقد أولادهم وبناتهم الحس الحضاري ويستعيضون عنه حساً استهلاكياً سمسرياً، ويعودون إلى بلاد الفقر ليشكلوا طبقة وسطى غير منتجة.

هذا كلام لا يعيدنا إلى شاعرنا بأي قدر من السهولة. لكن ربما استطعنا العودة.. بصعوبة. هو كلام ككلام شاعرنا.. كلام شخص محبط من حالة عربية فظيعة. بين عشية وضحاها انتقلت دول عربية عديدة من حال الاستقرار الخامل إلى حال الحرب الأهلية، والآفاق ملبدة بغيوم سود.

عاش حافظ إبراهيم حياته وبلاده تبحث عن نفسها، فقد رأى، وهو بعد طفل، الإنجليز يحتلون البلد ومات ولما تقلع مصر ذلك المسمار. وظل يحلم بأن تصبح مصر كاليابان. نحن الآن نحلم بأن تعود البلاد العربية عشر سنوات إلى الوراء.. إلى ذلك الاستقرار الخامل.

ها هي أشعار حافظ إبراهيم مرتبة القديم فالأحدث.

١ المعجز الثاني

تفريظ كتاب «فحول البلاغة» لمؤلفه السيد توفيق البكري، نشر البتآن في (١٨٩٥):

هَذَا كِتَابٌ مُذْ بَدَأَ سِرُّهُ لِلنَّاسِ قَالُوا: مُعْجِزٌ ثَانٍ

منذ أن نشر كتابك ولم يعد سراً قال الناس هذا معجز ثانٍ بعد القرآن

أَتَابَكَ اللَّهُ عَلَى جَمْعِهِ ثَوَابَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ

جزاك الله خيراً كجزاء عثمان الذي جمع القرآن

٢ استعطاف

كتب يستعطف محمد سليمان أباطة:

طَالَ الْحَدِيثُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا السَّمَرُ وَلَا حَ لِلنَّوْمِ فِي أَجْفَانِكُمْ أَثَرُ

السر: السامرون

وَذَلِكَ اللَّيْلُ قَدْ ضَاعَتْ رَوَاحِلُهُ فَلَيْسَ يُرْجَى لَهُ مِنْ بَعْدِهَا سَفَرُ

ضاعت رواحل، نياق، الليل فليس يرسل عنا فهو مقيم

هَذَا مِضَاجِعُكُمْ يَا قَوْمُ فَالْتَقِطُوا طَيْبَ الْكَرَى بِعُيُونٍ شَابَهَا السَّهَرُ

التسويد من الشاعر عمران القفيني

أَبَيْتُ أَسْأَلُ نَفْسِي كَيْفَ قَاطَعَنِي هَذَا الصَّدِيقُ وَمَا لِي عَنْهُ مُضْطَبَّرُ

فَمَا مُطَوَّقَةٌ قَدْ نَالَهَا شَرُّكَ عِنْدَ الْغُرُوبِ إِلَيْهِ سَاقَهَا الْقَدَرُ..

ليست الحمامة المطوقة، التي كان ريشها عند العنق طوق، وقعت في الشوك، الشبكة، عند الغروب..

بَاتَتْ تُجَاهِدُ هَمًّا وَهِيَ آيسَةٌ مِنَ النَّجَاةِ وَجُنْحُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ..

وَبَاتَ زُغْلُولُهَا فِي وَكْرِهَا فِرْعَاؤُ مُرَوَّعًا لِرَجْوَعِ الْأُمِّ يَنْتَظِرُ..

يُحَفِّزُ الْخَوْفُ أَحْشَاءَهُ وَتُرْجَعُهُ إِذَا سَرَتْ نَسْمَةٌ أَوْ وَسَّوَسَ الشَّجَرُ..

يحرك الخوف أحشاء الزغلول، أي صغير الحمام، ويزعجه أي صوت في غياب أمه

مِنِّي بِأَسْوَأَ حَالًا حِينَ قَاطَعَنِي هَذَا الصَّدِيقُ، فَهَلَّا كَانَ يَذْكُرُ؟

صغير الحمام ليس أسوأ حالاً مني عندما قاطعني هذا الصديق، فهلا تذكر صديقي صحبتنا فعدل عما أتى به؟

يا ابنَ الكِرامِ أَتُنْسَى أَنَّنِي رَجُلٌ لِيُظِلَّ جَاهُكَ بَعْدَ اللَّهِ مُفْتَقِرُ
إِنِّي فَتَاكَ فَلَا تَقْطَعْ مُوَاصَلَتِي هَبْنِي جَنِيثُ، فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ؟

٣ أدرك فتاك

تهتة الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء ١٨٩٩، وبعث بالأبيات من السودان:
تَبَسَّمَ المِصْطَفَى فِي قَبْرِهِ جَدَلًا لَمَّا سَمَوْتَ إِلَيْهَا وَهِيَ مِعْطَالُ
تَبَسَّمَ النَّبِيُّ فَرَحًا فِي قَبْرِه لَمَّا سَمَوْتَ وَارْتَفَعْتَ إِلَى وَظِيفَةِ الْإِفْتَاءِ، وَكَانَتْ مِعْطَالًا، غَيْرَ مَتَزِينَةٍ
بِالْخُلْيَةِ

يَا مَنْ تَبَسَّمتِ الْفُتْيَا بِطَلْعَتِهِ أَدْرِكَ فَتَاكَ فَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَالُ
يَا مَنْ تَبَسَّمتِ، تَفَاءَلَتْ، وَظِيفَةُ الْفُتْيَا بِطَلْعَتِهِ، مَحْيَا، الْحَقُّ فَتَاكَ فَهُوَ فِي ضَبَقٍ، وَحَالَتِهِ، وَهُوَ
ضَابِطٌ بِالسُّودَانِ، صَبِيحَةٌ

٤ جيش الأقداح

وَفَتَيَانِ أَنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يُبَدِّدُوا جِيوشَ الدَّجَى مَا بَيْنَ أَنْسٍ وَأَفْرَاحٍ
فَهَبُّوا إِلَى خَمَّارَةٍ قِيلَ إِنَّهَا قَعِيدَةُ خَمْرِ تَمْزُجُ الرُّوحَ بِالرَّاحِ
الخمارة: صاحبة الحانة

وَقَالُوا لَهَا: إِنَّا أَتَيْنَا عَلَى ظَمَا نَحْوَالُ وَرَدَّ الرِّاحَ رَغْمًا عَنِ اللَّاحِي
جئنا عطشانيين نحاول ورود الخمر رغم اللاحي، المورث

فَقَامَتْ وَفِي أَجْفَانِهَا كَسَلُ الْكَرَى وَفِي رِدْفِهَا، وَاسْتَعْرَضَتْ جِيشَ أَقْدَاحٍ

٥ عكوف

ذكرى مجلس شراب، بعث بها من السودان لأصحابه بمصر:

رُبَّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى مَا تَعَاهَدْنَا، وَكُنَّا فَاعِلِينَ
فَقَضَيْنَاهُ، وَلَمْ نَحْفِلْ بِمَا سَطَّرَتْ أَيْدِي الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ
الكرام الكاتبون: ملائكة تسجل كل ما يفعل الإنسان

وَتَوَائِبُنَا إِلَى مَشْمُولَةٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ تُسَرُّ النَّاظِرِينَ
عَمَدَ السَّاقِي لِأَنَّهُ يَقْتُلُهَا وَهِيَ بِكَرٍّ أَحْصَنْتْ مِنْذُ سَنِينَ
قتل الخمر يكون بمزجها بالماء، وهي بكر أحصنت، وكانت مصونة، لم تمسها يد، منذ عُصِرَتْ

ثُمَّ لَمَّا أَنْ رَأَى عِفَّتَهَا خَافَ فِيهَا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ
وَأَجَلْنَا الْكَأْسَ فِيمَا بَيْنَنَا وَعَلَى الصَّهْبَاءِ بَشْنَا عَاكِفِينَ

٦ القطيعة

يعاتب محمد البابلي، نشرت (١٩٠٠):

أَخِي وَاللَّهِ قَدْ مُلِئَ الْوِطَابُ وَدَاخَلَنِي بِضَحْبَتِكَ ارْتِيَابُ
ملئ الوطاب، امتلأ الوعاء وفاض بي ومللت منك، وصرت مرتاباً بصدافتك

رَجَوْتُكَ مَرَّةً وَعَتَبْتُ أُخْرَى فَلَا أَجْدَى الرَّجَاءِ وَلَا الْعِنَابُ
نَبَذْتُ مَوَدَّتِي، فَاثْنًا بِبُعْدِي فَأَخِرُ عَهْدِنَا هَذَا الْكِتَابُ

٧ أضرحه الأولياء

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرَزَّقُونَ بِدِرْهَمٍ وبِأَلْفِ أَلْفٍ تُرَزَّقُ الْأَمْوَاتُ
عند قبور الأولياء صناديق يضع فيها الناس الدراهم

مَنْ لِي بِحِطِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ قَامَتْ عَلَى أَحْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا، وَيَجْرِي حَوْلَهَا بَحْرُ النُّذُورِ، وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ

٨ قَلَمًا لَوْ سَمَحْتَ!

مدح محمود سامي البارودي، أكتوبر/تشرين الأول (١٩٠٠):

أَعْرَضَنِي لِمَدْحِكَ الْيَرَاعَ الَّذِي بِهِ تَحُطُّ، وَأَقْرِضْنِي الْقَرِيضَ الْمُسَدَّدَا
اليراع: القلم

سَلَبْتُ بِحَارَ الْأَرْضِ دُرَّ كَنْزِهَا فَأَمَسْتُ بِحَارُ الشَّعْرِ لِلدَّرِّ مَوْرِدَا
الدر: اللؤلؤ. المعنى الملموح: كأنك - بإحيائك الشعر وإعادته إلى رونقه القديم - جعلت كل
لآلئ البحار موجودة في الشعر، فصارت «بحور» الشعر مصدر اللؤلؤ

٩ البدلة القديمة.. والجديدة

يصف كساء له، نشرت (١٩٠٠):

لِي كِسَاءٌ أَنْعَمَ بِهِ مِنْ كِسَاءٍ أَنَا فِيهِ أَتَيْهُ مِثْلَ الْكِسَائِي
الكسائي: من نحاة الكوفة، ومشاهير القراء

صَحَبْتَنِي قَبْلَ اصْطِحَابِكَ دَهْرًا بَذَلْتُ فِي تَلَوْنِ الْحِرْبَاءِ

كانت بدلته السابقة تتغير ألوانها فتبته لتعرضها للشمس والمطر فهي كالحرباء

نَسَبُوهَا لِطَيْلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ نِسْبَةً لَمْ تَكُنْ بِذَاتِ افْتِرَاءٍ

طيلسان ابن حرب: كساء جباه ابن حرب للشاعر الحمدوي، وظل يعيره به حتى بعد أن اهترأ الكساء شر اهتراء، وكُتبت في هذه الكساء أشعار كثيرة

كَسَفَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا وَاسْتَعَارَتْ لَوْنَ وَجْهِ الْكَذُوبِ عِنْدَ اللَّقَاءِ

يا رِدَائِي جَعَلْتَنِي عِنْدَ قَوْمِي فَوْقَ مَا أَشْتَهِي وَفَوْقَ الرَّجَاءِ

قِيَمَةُ الْمَرْءِ عِنْدَهُمْ بَيْنَ ثَوْبٍ بَاهِرٍ لَوْنُهُ وَبَيْنَ جِذَاءِ

قَعَدَ الْفَضْلُ بِي، وَقُمْتُ بِعِزِّي بَيْنَ صَحْبِي، جُزِيتَ خَيْرَ الْجَزَاءِ

١٠ الذنب للقدماء

عام (١٩٠٠):

هَذَا الظَّلَامُ أَثَارَ كَامِنٍ دَائِي يَا سَاقِيَّ عَلَيَّ بِالصَّهْبَاءِ

مَشْمُولَةٌ لَوْلَا الثَّقَى لَعَجِبْتُ مِنْ تَحْرِيمِهَا، وَالذَّنْبُ لِلْقُدَمَاءِ ..

لولا أنني تقي لتعجبت كيف أن الله حرم الخمر، والذنب في تحريمها للقدماء ..

قَرَّبُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ سُكَارَى بَعْدَمَا نَزَلَ الْكِتَابُ بِحُكْمَةٍ وَجَلَاءِ

فقد قربوا الصلاة سكارى بعد أن قال لهم القرآن «ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» فحرم الله الخمر تحريماً كاملاً

يَا طِبَّ جَالِينُوسَ فِي أَنْوَاعِهِ مَا لِي أَرَاكَ كَثِيرَةَ الْأَعْدَاءِ

أيتها الخمرة .. يا طب جالينوس، لماذا يجورون عليك كثيراً ..

عَصْرُوكَ مِنْ خَدْيٍ سُهَيْلٍ خُلْسَةً ثُمَّ اخْتَبَأَتْ بِمُهْجَةٍ الظُّلَمَاءِ

عصروك من خدي سهيل، وهو نجم لامع محمر، ثم عتقوك في قلب الظلام

فَلَبِثْتَ فِيهَا قَبْلَ نُوحٍ حِقْبَةً وَتَدَاوَلْتُكَ أَنْامِلُ الْأَنْاءِ

فبقيت في قلب الظلام زمناً سبق نوح، وتداولتك أصابع الأناء، العصور

حَتَّى أَتَاكَ اللَّهُ أَنْ تَتَجَمَّلَ بِي بِيَدِ الْكَرِيمِ وَرَاحَةِ الْأَدْبَاءِ

حتى أذن الله أن تظهرني بهيئة في يد الكريم وفي أكف الأدباء

١١ الكاس والطاس

بعث حافظ بهذه الأبيات إلى الكاتب محمد المويلحي (١٩٠٠):

أَوْشَكَ الدِيكَ أَنْ يَصِيحَ، وَنَفْسِي بَيْنَ هَمٍّ وَبَيْنَ ظَنٍّ وَحَدْسِ
يَا غُلَامُ.. المَدَامَ وَالْكَاسَ وَالطَّاسَ سَ، وَهَيَّءْ لَنَا مَكَاناً كَأَمْسِ
أَطْلِقِ الشَّمْسَ مِنْ غَيَاهِبِ هَذَا الدَّ... نَّ، وَأَمْلَأْ مِنْ ذَلِكَ الثُّورِ كَأْسِي
خُمْرَةً قَبْلَ أَنْ يَنْهَضُوا عَصْرُوهَا مِنْ خُدُودِ الْمِلَاحِ فِي يَوْمِ عُرْسِ

١٢ اليأس

نشرت في ديسمبر/ كانون الأول (١٩٠٠):

سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلَ الدَّمَ وَعُدْتُ وَمَا أُعْجِبْتُ إِلَّا التَّنْدُمَا
أُتَعِلَ الدَّمُ: أَلْبَسَ الدَّمُ كَأَنَّهُ نَعْلَ

لَحَى اللَّهُ عَهْدَ الْقَاسِطِينَ الَّذِي بِهِ تَهَدَّمُ مِنْ بُنْيَانِنَا مَا تَهْدَمَا
القاسطين: الظالمين

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعَادَةَ بَيْنَهُمْ فَلَا تَكُ مِصْرِيّاً وَلَا تَكُ مُسْلِمَا
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودَعٍ رَأَى فِي ظِلَامِ الْقَبْرِ أَنْسَاءً وَمَغْنَمَا
أَضَرَّتْ بِهِ الْأُولَى فَهَامَ بِأَخْتِهَا فَإِنْ سَاءَتِ الْأُخْرَى فَوَيْلَاهُ مِنْهُمَا
الأولى: الدنيا، الأخرى: الآخرة

فَهُبِّي رِيَّاحَ الْمَوْتِ نُكْباً وَأُظْفِي سِرَاجَ حَيَاتِي قَبْلَ أَنْ يَتَحَطَّمَا
نُكْباً: آتِيَةً مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ

فَمَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي فَضَائِلِي وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ لِلْحُرِّ أَغْصَمَا
أعصم: أكثر حماية

فِيَا قَلْبَ لَا تَجْزَعُ إِذَا عَضَّكَ الْأَسَى فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَتَأَلَّمَا
وَيَا قَدَمِي مَا سِرْتُ بِي لِمَذَلَّةٍ وَلَمْ تَرْتَقِي إِلَّا إِلَى الْعِزِّ سُلَّمَا
فَلَا تُبْطِئِي سِيراً إِلَى الْمَوْتِ، وَاعْلَمِي بِأَنَّ كَرِيمَ الْقَوْمِ مَنْ مَاتَ مُكْرَمَا
وَيَا نَفْسُ كَمْ جَشَمْتِكِ الصَّبْرَ وَالرُّضَا وَجَشَمْتَنِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعْلَمَا

معلماً: متخذاً شارة الحرب، وكان الفارس البطل يميز نفسه بعلامة

فَمَا اسْطَعْتُ أَنْ تَسْتَمِرَّنِي مَرَّ طَعْمِهِ وَمَا اسْطَعْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ أَنْ أَتَقَدَّمَ
فَهَذَا فِرَاقٌ بَيْنَنَا فَتَجَمَّلِي فَإِنَّ الرَّدَى أَحْلَى مَذَاقًا وَمَطْعَمًا
وَيَا قَبْرُ لَا تَبْخُلْ بِرَدِّ تَحِيَّةٍ عَلَى صَاحِبِ أَوْفَى عَلَيْنَا وَسَلَمًا
يريد أن يكون قبره كريماً فيرد التحية على من يزوره!

١٣ الإخفاق بعد الكدّ

نشرت (١٩٠٠):

كَمْ هَمْتُ فِي الْبَيْدِ وَالْأَرَامِ قَائِلَةً وَالشَّمْسُ تَرْمِي أَدِيمَ الْأَرْضِ بِاللَّهَبِ
هَمْتُ عَلَى وَجْهِي كَثِيرًا فِي الصَّحَارَى وَالْأَرَامِ، الطَّيِّبَةِ، قَائِلَةً، غَافَةً فِي قَبُولَةِ، وَالشَّمْسِ مَلْتَهَبَةِ
وَكَمْ لَبِسْتُ الدُّجَى وَالتُّرْبَ نَاعِسَةً وَاللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَاشِي لَدَى الثُّوبِ
كَمْ قَدْ لَبِسْتُ ثُوبَ الظَّلَامِ وَالتُّرَابَ نَاعِسَ مُرْطَبٍ بِالْنَدَى، وَاللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَاشِي، قَلْبِي، لَدَى
حُلُولِ الْمَصَائِبِ

وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي وَيَحْسَبُنِي لَدَى السُّرَى ثَامِنًا لِلسَّبْعَةِ الشُّهُبِ
لَكِنِّي غَيْرُ مَجْدُودٍ، وَمَا فَتَيْتُ يَدُ الْمَقَادِيرِ تُفْصِنُنِي عَنِ الْأَرْبِ
غير مجدود: غير محظوظ

فَقَدْ عَدْتُ مَصْرُ فِي حَالٍ إِذَا ذُكِرْتُ جَادَتْ جُفُونِي لَهَا بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطِبِ
إِذَا نَطَقْتُ فِقَاعُ السَّجَنِ مُتَكَأً وَإِنْ سَكَتُ فَإِنَّ النَّفْسَ لَمْ تَطِبِ
قَاعِ السَّجَنِ: كَانَ السَّجَنُ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ حَفْرَةٌ عَمِيقَةٌ، كَتَلَتْ الَّتِي سَجَنَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِيهَا
الْحَطِيطَةَ، (أَلْقَيْتُ كَاسَهُمْ فِي قَعْرِ مَظْلَمَةٍ، فَاعْفُ رَحْمَةً عَلَيْكَ يَا عَمْرُ)

أَيَسْتَكْفِي الْفَقْرَ عَادِينَا وَرَائِحُنَا وَنَحْنُ نَمْشِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ؟

١٤ الأيام دول

نشرت في يونيو/حزيران (١٩٠٢):

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا إِلَّا بَقِيَّةٌ دَمَعٌ فِي مَآقِبِنَا
كُنَّا قِلَادَةً جَبَدِ الدَّهْرِ فَانْفَرَطَتْ وَفِي يَمِينِ الْعُلَا كُنَّا رِيَاحِينَا
كَانَتْ مَنَازِلُنَا فِي الْعِزِّ شَامِحَةً لَا تَشْرُقُ الشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغَانِينَا
كَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَكُنْ تَشْرُقُ إِلَّا عَلَى بِلَدٍ تَحْكُمُهَا مِصْرُ الْفِرْعَوْنِيَّةِ، وَفِي هَذَا الْكَلَامِ
نَظَرَ، وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ الْإِنْجِلِيزَ كَانُوا فِي وَقْتِهَا كَذَلِكَ.. فَلَا أَحَدٌ أَحْسَنَ مِنْ أَحَدٍ

حَتَّى غَدَوْنَا وَلَا جَاءَ وَلَا نَشَبَ وَلَا صَدِيقٌ وَلَا خَلٌّ يُوَاسِينَا

النشَب: المال

١٥ الملك الساهر

نهضة إدوارد السابع البريطاني بتوجيه، أغسطس/ آب (١٩٠٢):

لَا تَعَجَبَنَّ لِمُلْكٍ عَزَّ جَانِبُهُ لَوْلَا التَّعَاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ لَهُ أَثَرَا
مَا ثَلَّ رَبُّكَ عَرْشاً بَاتَ يَحْرُسُهُ عَدْلٌ، وَلَا مَدَدٌ فِي سُلْطَانٍ مَنَ عَدَرَا
ثَلَّ: هدم

خَبِرْتُهُمْ فَرَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ سَهَرُوا عَلَى مِرَافِقِهِمْ، وَالْمُلْكُ قَدْ سَهَرَا
الإنجليز حرصوا على مصالحهم، وملكهم حرص أيضاً

تَشَاوَرُوا فِي أُمُورِ الْمُلْكِ مِنْ مَلِكٍ إِلَى وَزِيرٍ إِلَى مَنْ يَغْرِسُ الشَّجَرَا
وكلهم في الشورى مشتركون حتى البستاني، يشير بإعجاب إلى الديمقراطية في بريطانيا

١٦ أنا البحر

اللغة العربية تشكو حظها بين أهلها، نشرت (١٩٠٣):

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي
رجعت لنفسي - تقول اللغة العربية - فاتهمت حصاتي، أي عقلي، وناديت قومي لنصرتي فلم
يتحركوا لي، فاحتسبت أجري عند الله في حياتي التي ستقضي.. إذ ها هم أهلي يتركونني أموت

رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ، وَلَيَّتَنِي عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي
أنا شابة فهل ترمى الفتاة الشابة بالعقم.. وليتني كنت عقيماً حقاً فلا أكثرث لرمي بالعقم لأنه
عندئذ حقيقة لا مجرد اتهام

وَلَدْتُ، وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي رَجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بِنَاتِي
على أنني ولدت فعلاً.. فلست عقيماً، ولدت ألفاظاً حسناً وأدباً جليلاً.. ولما وجدت قومي غير
أكفاء لبناتي العرائس وأدتهن

وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظاً وَغَايَةً وَمَا ضِيقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ
كل ما في القرآن من لفظ ومن غرض في هداية الناس ومن عظات قد وسعته وعبرت عنه، أنا اللغة
العربية

فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلِي وَتَنْسِيْقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ

وقد «نسق» حافظ إبراهيم وزميله خليل مطران أسماء كثيرة لمفاهيم في علم الاقتصاد عندما ترجموا كتاب «الموجز في علم الاقتصاد» ونشر عام ١٩١٣، مثال ذلك تعريبهما للبورصة بـ «المَصْفَق».. أي حيث تتم الصفقات، ولعمري لو درج هذا الاسم للبورصة لكان حلواً، وكم من رجل صفقته البورصة صفقات مؤلمة على حر وجهه

أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْسَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَ عَنْ صَدَفَاتِي

إن كنت سمعت البرنامج الإذاعي «الغتنا الجميلة» لفاروق شوشة، وفي مقدمة كل حلقة هذا البيت مقروءاً بـ «سألو» بدل «سألوا»، فهذا جائز في العروض أيضاً، ونظن أن حافظاً كان سيأخذ بهذه القراءة لو سمعها، ففيها مدٌّ كان سيعجب حافظاً الخطيب المنشد. لكن «سألوا» أحسن للمعنى، فالعرب أهملوا لغتهم ولم يكلفوا أنفسهم عناء سؤال الغواص عن دررها ولو مرة واحدة، لا مساءلته مرة بعد مرة

فِيَا وَيَحْكُمُ أَبْلَى، وَتَبْلَى مَحَاسِنِي وَمِنْكُمْ، وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ، أُسَاتِي
أُسَاتِي: أطبائي

فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْبِنَ وَفَاتِي
تكلوني للزمان: تتركوني، وتوكلوا بي الزمان

أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمَعْجَزَاتِ تَفْتُنًا فَيَا لَيْتَكُمْ نَاتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ يُنَادِي بِوَادِي فِي رِبْعِ حَيَاتِي
في تلك السنين اشتدت الدعوة إلى العامية، وقال بها عدد من المستشرقين الذين رأوا لهجات البلدان العربية مختلفة جداً، ورأوها سائرة في طريق التبلور إلى لغات

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا مِنَ الْقَبْرِ يُدْنِيْنِي بِغَيْرِ أُنَاةٍ
وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي
كان من بين الدعاة إلى العامية عدد من كتاب مصر أيضاً، وكان هناك من يدعون إلى تبسيط اللغة، ونبذ الألفاظ المعانة

أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي - عفا الله عنهم - إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَاةٍ
سَرَتْ لُوثَةُ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتٍ
سرت لوثة، جنون، الإفرنج الداعين إلى التجديد والعامية في هذه «اللغة» العربية المجعدة التي لم تتصل برواة، لم ترد على ألسنة قدامى الرواة، مثلما يسري سم الأفاعي في مجرى ماء فورات، عذب

فجاءت كثوب ضم سبعين رُقعةً مُشكَّلةً الألوانِ مُختلفاتِ
اللغة المجددة كالثوب المرقع.. فهي مشحونة بالكلمات الأجنبية، أو غير المقبولة معجباً

١٧ بشكل عام.. لا شيء

قال في زواج الشيخ علي يوسف صاحب «المؤيد» من صفية السادات ومحاولة والدها التفريق بينهما لعدم الكفاءة، فالشيخ جورنالجي و«السادات» عائلة تزعم أنها من نسل الحسين، وتكلمة القصة أن صفية عادت إلى زوجها ورضي أبوها بعد تحايل ووسائط، ولم يقل حافظ رأياً صريحاً جريئاً بل حام حول الموضوع، نشرت القصيدة في سبتمبر/أيلول (١٩٠٤):

فما أنتِ يا مصرُ دارَ الأديبِ	ولا أنتِ بالبلدِ الطَّيِّبِ
وكم فيك يا مصرُ من كاتبِ	أقالَ اليراعَ ولم يَكُثِبِ
وكم غَضِبَ الناسُ مِن قِبلِنا	لِسَلْبِ الحقوقِ، ولم نَغْضِبِ
أنايئةَ العصرِ إنَّ الغريبَ	مُجِدُّ بِمِصْرَ، فلا تُلْعَبِي

نابذة العصر: النشء الجديد

يقولون: في النشء خيرٌ لنا	وللنشء شرٌّ من الأجنبي
وكم ذا بِمِصْرَ مِنَ المُضْحِكَاتِ	كما قال فيها أبو الطَّيِّبِ
أمورٌ تُمِرُّ وعيشٌ يُمرُّ	ونحنُ مِنَ اللُّهُوِ في مَلْعَبِ

عيش يُور: يصبح مُراً

وشعبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالِحَاتِ	فِرَارَ السَّليْمِ مِنَ الأَجْرَبِ
وَصُخْفٌ تَطِنُ طَنِينِ الذُّبابِ	وأخرى تَشُنُّ على الأقربِ
وهذا يلوذُ بقصرِ الأميرِ	وَيَدْعُو إلى ظِلِّهِ الأَرْحَبِ
وهذا يلوذُ بقصرِ السفيرِ	وَيُظَنِّبُ في وَرْدِهِ الأَعْذَبِ
أَلِفْنَا الخُمُولَ ويا لَيْتَنَا	أَلِفْنَا الخُمُولَ ولم نَكُذِبِ

١٨ أمنية

بهنئ الخديوي عباساً الثاني بالعام الهجري مارس/آذار (١٩٠٤):
أَمْوَلَايَ إِنَّ الشَّرْقَ قد لَاحَ نَجْمُهُ وَأَنَّ له بعدَ المماتِ نُشُورُ
لاح نجمه: بدا في أفقه نجم السعد، والخط الطيب، والنشور: البعث بعد الموت

جَرَتْ أُمَّةُ الْيَابَانِ شَوْطاً إِلَى الْعُلَا وَمَصْرُ عَلَى آثَارِهَا سَتْسِيرُ

١٩ أنا يابانية

نشرت في أبريل/ نيسان (١٩٠٤):

لَا تَلُمُ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَا صَحَّ مِنِّي الْعِزْمُ، وَالدَّهْرُ أَبِي

لا تلمني إذا نبا سيفي ولم يقطع، أي فسلث في الحياة.. فلقد صححت العزم، ولكن الدهر أبي أن يسعفني بالخط.. كان حافظ قد ترك الجيش قبل سنة من تاريخ هذه القصيدة، وعاد إلى حياة لا تخلو من تشرد

رُبَّ سَاعٍ مَبْصِرٍ فِي سَعْيِهِ أَخْطَأَ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا

مرحباً بالخطب يبلونني إذا كانت العلياء فيه السببا

مرحباً بالشدائد إذا كانت الطريق إلى المعالي

عَقَّنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنَّنِي أُوتِرُ الْحُسْنَى عَقَفْتُ الْأَدْبَا

إيه يا دنيا اعيسي أو فابسمي لا أرى برقك إلا خللبا

يا دنيا أنت خداعة كالبرق الذي ييشر بالمطر ولكن، لا يأتي بعده مطر

أَنَا لَوْلَا أَنَّ لِي مِنْ أَمْنِي خَاذِلًا مَا بَتُّ أَشْكُو النُّوبَا

أُمَّةٌ قَدْ نَتَّ فِي سَاعِدِهَا بُغْضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّ الْغُرْبَا

فت في ساعدها: أضعفها

تَعَشَّقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعُلَا وَتُقَدِّي بِالنَّفُوسِ الرُّتْبَا

وكان حافظ برتبة ملازم أول، ولكنه كان لامبالياً وُصِفَ من الخدمة، وقالوا إنه كان كثير المخالفة للضباط الإنجليز أيضاً

وَهِيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا تَعَشَّقُ اللَّهْوَ وَتَهْوَى الطَّرْبَا

لَا تُبَالِي لَعِبِ الْقَوْمِ بِهَا أَمْ بِهَا صَرَفُ اللَّيَالِي لَعْبَا

القوم: الإنجليز

لَيْتَهَا نَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً ذَاتَ شَجْوٍ وَخَدِيشٍ عَجْبَا:

كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي عَادَةً وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا

ذات وجه مزج الحسن به صُفْرَةٌ تُنْسِي الْيَهُودَ الذَّهْبَا

وجها فيها صفرة لأنها يابانية

حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأً لَا رَعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَأِ
وَأَنْتَ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ قَتَى وَهَلَالُ الْأَقْقِ فِي الْأَقْقِ حَبَا
ثُمَّ قَالَتْ لِي بِشْغَرٍ بِأَيْمٍ نَظَّمُ الدُّرَّ بِهِ وَالْحَبَبَا
نَغْرَهَا بِاسْمٍ وَتَبْدُو أَسْنَانَهَا الَّتِي كَانَتْ فَمَعَهَا نَظْمُهَا مِنَ اللُّوْلُو أَوْ مِنَ الْحَبِّ، فَقَافِعِ الْكُؤُوسِ
نَبِّأُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلٍ لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا
منقلب: رجوع

وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي عَلَنِي أَقْضِي لَهُ مَا وَجَبَا
نَذْبُحُ الدُّبَّ وَنَقْرِي جِلْدَهُ أَيْظُنُّ الدُّبُّ إِلَّا يُغْلَبَا
الدب: روسيا

قُلْتُ وَالْآلَامُ تَفْرِي مُهْجَتِي: وَيُكِّ! مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الطَّبَّاءُ؟
ويك: ويحك، الطباء: الأطباء

مَا عَهْدَنَاهَا لِيَطْبِي مَسْرَحاً يَبْتَغِي مَلَهًى بِهِ أَوْ مَلْعَبَا
لَيْسَتْ الْحَرْبُ نَفُوساً تُشْتَرَى بِالْتَّمَنِي أَوْ عُقُولاً تُسْتَبَى
الحرب ليست مجالاً للنساء يشترين فيه نفوس الرجال بالأماني الكواذب، أو يسيبن عقولهم بالدلال

أَحْسِبْتُ الْقَدَّ مِنْ عُذْبِهَا أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّبَا؟
القَد المِياس ليس من عتاد الحرب، واللحظ الفتان ليس كالشبا، سن الرمح

فَسَلِّينِي، إِنَّنِي مَارَسْتُهَا وَرَكِبْتُ الْهَوْلَ فِيهَا مَرْكَبَا
وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ أَسْدَلُ النَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبَا
افتحمت الموت في غارة هبط فيها النقع، الغبار، فكانه الهيدب، الغيم

قَطَبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطْبَا
يصف الحرب بأنها قطبت جبينها فكانها الموت

جَالَ عِزْرَائِيلُ فِي أَنْحَائِهَا تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِي الْهَيْدَبَى
وتحت غبار الحرب مشى عزرائيل يخترم الأنفس ويمشي الهيدبي، مشية سريعة للإبل

فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا وَالزَّمِي يَا ظَبِيَةَ الْبَانِ الْخَبَا
الزمي خباءك، خيمتك أيتها الظبية واتركي الحرب لأهلها

فَأَجَابَنِي بِصَوْتٍ رَاصِنِي وَأَرْتَنِي الظَّنِّي لَيْثاً أَغْلَبَا:
 إِنَّ قَوْمِي اسْتَعَذَّبُوا وَزَدَ الرَّدَى كَيْفَ تَدْعُونِي أَلَا أَشْرَبَا؟
 أَنَا يَابَانِيَّةٌ لَا أَتُنَنِي عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقُ الْعَطْبَا
 أَنَا إِنْ لَمْ أَحْسِنِ الرَّمْيَ، وَلَمْ تَسْتَطِيعَ كَفَّايَ تَقْلِيْبَ الظُّبَا

الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف

أَخْذُمُ الْجَرَحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ وَأَوَاسِي فِي الْوَعَى مَنْ نُكِبَا
 هَكَذَا الْمِيكَادُ قَدْ عَلَّمَنَا أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمّاً وَأَبَا

الميكادو: كلمة يابانية كانت تستعمل في الإنجليزية لتعني «الحضرة الإمبراطورية اليابانية»، ولا يستعملها اليابانيون

مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا
 وَإِذَا مَارَسْتَهُ أَلْفَيْتَهُ حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلْبَا

الحَوْلُ القُلْبُ: الداهية الأريب

كَانَ وَالتَّاجَ صَغِيرَيْنِ مَعَاً وَجَلَالَ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصُّبَا

أيامئذ كان الإمبراطور الياباني هو «موتسوهيتو»، وهو أول أباطرة أسرة مييجي، بدأ الحكم وهو في الخامسة عشرة، كان صغيراً وكان تاج الأسرة جديداً، وفي عهده بدأ النهوض الكبير لليابان

فَعَدَا هَذَا سَمَاءً لِلْعُلَا وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوْغَبَا
 بَعَثَ الْأَمَةَ مِنْ مَرْقَلِهَا وَدَعَاها لِلْعُلَا أَنْ تَدْأَبَا
 فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ تَبْغِي شَأْوَهُ وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَأْرَبَا

شأوه: غايته. ومع أسرة مييجي نهضت اليابان نهضة أدهشت العالم، وأكثر شخص في هذا العالم اندهش منها وهش لها حافظ إبراهيم، لأن قلبه كان يخفق بشوق لأن تنهض مصر مثل اليابان

٢٠ الصفر والبيض

الحرب اليابانية الروسية، نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٠٤):

أَسَاحَةٌ لِلْحَرْبِ أَمْ مَحْشَرُ وَمَوْرِدُ الْمَوْتِ أَمْ الْكَوْثَرُ؟

أهذه ساحة حرب أم يوم القيامة الذي تحشر فيه النفوس؟ وهذا مورد، منهل ويتبوع، للموت، أم هو نهر الكوثر في الجنة؟ وما الذي حشر نهر الكوثر هنا؟ سوى القافية، وسوى أن المحشر استدعاها، رغم أن المعنى ياباها

وهذِهِ جُنْدٌ أَطَاعُوا هَوَىٰ أَرْيَابِهِمْ، أَمْ نَعَمْ تُنَحَرُّ؟

أريابهم: أسيادهم، نَعَمْ: إيل

لَلَّهِ مَا أَقْسَى قُلُوبَ الْأَلَى قَامُوا بِأَمْرِ الْمُلْكِ وَاسْتَأْثَرُوا!

الآلى: الذين، استأثروا: استبدوا

وَعَرَّهْمُ فِي الدَّهْرِ سُلْطَانُهُمْ فَأَمَعْنُوا فِي الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُوا

قَدْ أَقْسَمَ الْبَيْضُ بِصُلْبَانِهِمْ لَا يَهْجُرُونَ الْمَوْتَ أَوْ يُنْصَرُوا

البیض: الروس

وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْثَانِهِمْ لَا يُغْمِدُونَ السَّيْفَ أَوْ يَظْفَرُوا

الصففر: اليابانيون

فَمَادَتِ الْأَرْضُ بِأَوْتَادِهَا حِينَ التَّقَى الْأَبِيضُ وَالْأَصْفَرُ

وَأَمَلَتْهَا خَمْرَةٌ مِنْ دَمٍ يَلْهُو بِهَا الْمِيكَادُ وَالْقَيْصَرُ

الميكادو: لقب إمبراطور اليابان، والقيسر: لقب إمبراطور روسيا

وَأَشْبَهَتْ يَوْمَ الْوَعَى أُخْتَهَا إِذْ لَاحَ فِيهَا الشَّقَقُ الْأَحْمَرُ

أخت الأرض: الشمس

وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ طُوقَانَهَا لَعَلَّهَا مِنْ رِجْسِهَا تَظْهَرُ

نبهنا المازني في كتابه الذي ندم عليه أن البيت مستوحى من أبي العلاء: (والأرض لِلطُّوقَانِ مُشْتَاقَةٌ/ لَعَلَّهَا مِنْ دَرَنِ تَغْسَلُ)، وانظر كتابنا «تألق الشعر»، وفيه مئة وخمسون صفحة من مختاراتنا من شعر أبي العلاء، مسبوقة بثلاثين صفحة عن قصة حياته. وكانت أبيات لزوميات أبي العلاء مما يستشهد به حافظ كثيراً

أَشْبَعَتْ يَا حَرْبُ ذَنَابَ الْفَلَا وَغَصَّتِ الْعِقْبَانُ وَالْأَنْسُرُ

هذا لِمَا أَكَلَتْهُ هَذِهِ الْجَوَارِحُ وَالْكَوَاسِرُ مِنْ لَحْمِ الْقَتْلِ

وَمِيرَتِ الْحَيَاتَانُ فِي بَحْرِهَا وَمَطَمَعُ الْإِنْسَانِ لَا يُقْدَرُ

ميرت: رُؤِدَتْ بالميرة أي الغداء، لا يقدر: لا حد له

إِنْ كَانَ هَذَا الدَّبُّ لَا يَنْتَنِي وَذَلِكَ التَّنِينُ لَا يُقْهَرُ

وَالْبَيْضُ لَا تَرْضَى بِخِذْلَانِهَا وَالصُّفْرُ بَعْدَ الْيَوْمِ لَا تُكْسَرُ

فَمَا لِتِلْكَ الْحَرْبِ قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا حَتَّى قَضَى الْعَسْكَرُ

إن كانت النتيجة مجرد قتل بغير حسم، فلماذا الحرب والتقتيل؟ والواقع أن اليابان حسمت الحرب لصالحها بنصر مؤزر

تَسُوْنَا الْحَرْبُ وَإِنْ أَصْبَحَتْ تَدْعُو رَجَالَ الشَّرْقِ أَنْ يَفْخَرُوا

يفخر الشرقيون بانتصار اليابان الشرقية على روسيا التي تعد من بلدان الغرب

أَتَى عَلَى الشَّرْقِيِّ حِينٌ إِذَا مَا ذُكِرَ الْأَحْيَاءُ لَا يُذْكَرُ

وَمَرَّ بِالشَّرْقِ زَمَانٌ وَمَا بَمُرٍّ بِالْبَالِ وَلَا يَخْطُرُ

حَتَّى أَعَادَ الصُّفْرُ أَيَّامَهُ فَانْتَصَفَ الْأَسْوَدُ وَالْأَسْمَرُ

٢١ رثاء محمود سامي البارودي

يناير/كانون الثاني (١٩٠٥):

رُدُّوا عَلَيَّ بَيَانِي بَعْدَ مَحْمُودٍ إِنِّي عَيْيْتُ وَأَعْيَا الشَّعْرُ مَجْهُودِي

مَا لِلْبَلَاغَةِ غَضَبِي لَا تُطَاوِعَنِي وَمَا لِحَبْلِ الْقَوَافِي غَيْرَ مَمْدُودِي؟

لَقَدْ نَزَحْتَ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا نَزَحْتُ عَنْهَا لِيَالِيكَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَوْدٍ

رحلت عن الدنيا بعد أن قعدت بك الحال، وفقدت البصر، فلم تبق لك تلك الليالي السود
الكثية، ولا تلك البيض في أيام عزك بما فيها من لهر

أَغْمَضْتَ عَيْنِكَ عَنْهَا وَازْدَرَيْتَ بِهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ، وَلَمْ تَحْفَلْ بِمُجُودٍ

تَجْرِي السَّلَاسَةُ فِي أَثْنَاءِ مَنْطِقِهِ تَحْتَ الْفَصَاحَةِ جَزْيِ الْمَاءِ فِي الْعُودِ

إِنْ هَذَا رُكْنُكَ مَنكُوبًا فَقَدْ رَفَعْتُ لَكَ الْفَضِيلَةَ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودٍ

بنكتبك يا محمود سامي البارودي، وعزلك ونفك إلى سيلان هذ ركنك، ولكن فضلك رفع لك
ذكراً عالياً

إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عَزَلٍ وَتَوَلِيَةٍ غَيْرُ الْمَوَاهِبِ فِي ذِكْرِ وَتَخْلِيدِ

أَكْرِمُ بِهَا زَلَّةً فِي الْعُمُرِ وَاحِدَةً إِنْ صَحَّ أَنَّكَ فِيهَا غَيْرُ مَحْمُودِ

الزلة: الخطأ في تقدير الموقف أثناء الثورة العربية، ولكن.. لعلها ليست زلة بل موقف وطني
مشرّف

كَمْ وَقْفَةٍ لَكَ وَالْأَبْطَالُ طَائِرَةٌ وَالْحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيدًا بِصِنْدِيدِ

نَسَخْتُ يَوْمَ كَرِيدٍ كُلَّ مَا نَقَلُوا فِي يَوْمِ ذِي قَارَ عَنْ هَانِي بْنِ مَسْعُودِ

يوم كريد: الحرب في جزيرة كريت تحت الراية العثمانية. وكان البارودي ضابطاً في تلك الحملة،
وهانئ بن مسعود بطل ذي قار

أَوْدَى الْمَعْرِي تَقِيَّ الشَّعْرِ مُؤْمِنُهُ فَكَادَ صَرَحَ الْمَعَالِي بَعْدَهُ يُودِي
مات المعري الذي كان تقياً ومؤمناً في شعره (وإن لم يكن كذلك في معتقده!) وكاد صرح الشعر
يموت بعد المعري، وقد ظل الشعر يتحدر بعد المعري ألف سنة حتى جاء البارودي فأحياه

وَأَصْبَحَ الشَّعْرُ وَالْأَسْمَاعُ تَنْبُذُهُ كَأَنَّهُ دَسَمَ فِي جُوفٍ مَمْعُودِ
المعمود: المصاب في معدته. وكان حافظ يشكو دائماً من أمعائه ويقول إنها نقطة الضعف التي
ستقتله.. ونال حافظ علفة ساخنة على هذا التشبيه من النقاد

أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ وَاسْتَرْخَتْ أَعْنَئُهُ فَرَاخَ يَعْثُرُ فِي حَشْوٍ وَتَعْقِيدِ
ألوى بالشعر الضعف، أي أنهكه، واسترخت أعنته، كما يصبح مقود الفرس رخواً غير مشدود فهو
متعب قد كف عن الجري. وهذا من بيت الطرماح، يتخيل كيف سيصبح حال الشعر بعد موته:
(إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرِمَاحِ أَخْلَقْتُ/ غُرَى الْمَجْدِ وَاسْتَخَرَى عِنَانُ الْقَصَائِدِ)

٢٢ سلام على الإسلام

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، أغسطس/ آب (١٩٠٥):

سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِهِ النَّضِيرَاتِ
على الدين والدنيا، على العلم والحجاء على البرِّ والتقوى، على الحسنات
لقد كنتُ أخشى عَادِي المَوْتِ قَبْلَهُ فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
فَوَالْهَافِي - وَالْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ - عَلَى نَظَرَةٍ مَنِ تِلْكَ النُّظُرَاتِ
أتحسر المأ الآن، إذ يقف القبر عائقاً بيني وبين الإمام، على نظرة من نظرائه

وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعاً كَأَنِّي - حِيَالِ الْقَبْرِ - فِي عَرَافَاتِ
وقفت حاسراً عن رأسي. وعندما كنت حيال قبر الإمام، أي بجانبه، كنت كأني واقف بعرفات
خشوعاً. التسويد من عمران القفيني

تَبَارَكْتَ؟ هَذَا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ أَيْتَرُكَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ حُمَاةٍ؟
تباركت يا رب، أترك الإسلام بدون حماة يحمونه؟

تَبَارَكْتَ؟ هَذَا عَالِمُ الشَّرْقِ قَدْ قَضَى وَلَانَتْ قَنَاةُ الدِّينِ لِلْعَمَزَاتِ
لانت قناة الدين للغمزات: أصبح مكشوفاً معرضاً للاعتداء

زَرَعَتْ لَنَا زَرْعاً فَأَخْرَجَ شَطْأَهُ وَبِنْتَ وَلَمَّا نَجَّجَتِ الثَّمَرَاتِ
أخرج شطأه: أنبت رؤوس سنبله، بنت: فارقت

مَشَى نَعْشُهُ يَخْتَالُ عُجْباً بِرَبِّهِ وَيَخْطُرُ بَيْنَ اللَّمَسِ وَالْقُبْلَاتِ
 مَشَى النَعشُ مَخْتَالاً فخوراً بربه، بصاحبه، والناس يلمسونه ويقولونه تبركاً
 تَكَادُ الدُمُوعُ الْجَارِيَاتُ تُقِلُّهُ وَتَدْفَعُهُ الْأَنْفَاسُ مُسْتَعِيرَاتِ
 ثقله : تحمله

٢٣ آلة تسحق الكسل

إلى رجال الدنيا الجديدة، أنشدها في حفل كلية البنات الأمريكية بمصر لتوزيع
 الشهادات على خريجاتها، مايو/ أيار (١٩٠٦):

كَاشَفَ الْكَهْرِبَاءُ لَيْتَكَ تُعْنَى بِاخْتِرَاعِ يَرُوضُ مِنَّا الطَّبَاعَا
 آلَةُ تَسْحَقُ التَّوَاكُلَ فِي الشَّرِّ قِ، وَتُلْقِي عَنِ الرِّيَاءِ الْقِنَاعَا
 يهيب بإديسون أن يخترع آلة تزيل الكسل والنفاق

٢٤ إلى ناظر المعارف

سعد زغلول، نشرت في ديسمبر/ كانون الأول (١٩٠٦):

يَا سَعْدُ أَنْتَ مَسِيحُهَا فَاجْعَلْ لِهَذَا الْمَوْتِ حَدًّا
 والمسيح أحيا الموتى

يَا سَعْدُ إِنَّ بِمِصْرَ أَيْ — تَاماً تُؤْمَلُ فِيكَ سَعْدَا
 السعد: الحظ الحسن

قَدْ قَامَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ — نَ الْعِلْمِ ضِيقُ الْحَالِ سَدًّا
 أَنَا لَا أَلُومُ الْمُسْتَشَا رَ إِذَا تَعَلَّلَ أَوْ تَصَدَّى

كان دنلوب هو «المستشار» الإنجليزي لشؤون التعليم، وسعد زغلول هو الوزير، وكان بينهما شد
 وجذب. سعد يريد تعليمًا وطنيًا واسعاً والمستشار الإنجليزي يريد تعليمًا ضيقاً يوفر طبقة موظفين
 لإدارة الروتين الحكومي

فَسَبِيلُهُ أَنْ يَسْتَبِيدَ وَشَأْنُنَا أَنْ نَسْتَعِيدَ
 هِيَ سُنَّةُ الْمُخْتَلِّ فِي كُلِّ الْعُصُورِ، وَمَا تَعْدَى
 وما تعدى: ما تجاوز المتوقع منه، ولكنه بالطبع معتد أثيرم

٢٥ صيدوا العباد

حادثة دنشواي، وقُتل فيها جندي إنجليزي، ربما بضربة شمس وهو يصطاد ورفاقه الحمام، فشَقَّ الإنجليز أربعة رجال وجلدوا العشرات في قرية دنشواي، بعد محاكمة هزيلة ثار لها الإنجليز أنفسهم، وأدت إلى عزل المعتمد البريطاني كرومر بعد أشهر. فصلنا القول في الحادثة في الفصل المخصص لأحمد شوقي. نشرت القصيدة في يوليو/تموز (١٩٠٦):

أيها القائمون بالأمرِ فينا هل نسيئتم ولآءنا والودّاد
القائمون بالأمر: الإنجليز

خَفِّضُوا جِبَشَكُمْ وناموا هنيئاً وابتَغُوا صَيْدَكُمْ وَجُوبُوا الْبِلَادَا
وَإِذَا أَعْوَزَتْكُمْ ذَاتُ طُوقٍ بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا قَصِيدُوا الْعِبَادَا
إِنَّمَا نَحْنُ وَالْحَمَامُ سَوَاءٌ لَمْ تُغَادِرْ أَطَوَائِنَا الْأَجِيَادَا
لبعض الحمام شبه أطواق من الريش عند الرقبة، ونحن مطوقون بقيود الاحتلال في أجيادنا، رقابنا

لَا تُقِيدُوا مِن أُمَّةٍ بِقَتِيلٍ صَادَتْ الشَّمْسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادَا
تُقِيدُوا: تقتصوا قصاصاً

جَاءَ جُهَاًلُنَا بِأَمْرِ وَجِئْتُمْ ضِعِفَ ضِعْفَيْهِ قَسْوَةً وَاشْتِدَادَا
لَيْتَ شِعْرِي أَنْتَكَ مَحْكَمَةُ التَّفْ تَيْشِ عَادَتْ أُمَ عَهْدُ نِيرُونُ عَادَا؟
محاكم التفتيش: محاكم ظالمة عقدها الإسبان على مدى ٣٥٠ سنة للتخلص من آثار الحكم العربي في الأندلس، نيرون: إمبراطور روماني قيل إنه أحرق روما وقعد يتفرج عليها

كَيْفَ يَحْلُو مِنَ الْقَوِيِّ التَّشْفِي مِنْ ضَعِيفِ الْقَى إِلَيْهِ الْقِيَادَا
إِنَّهَا مُثَلَّةٌ تَشِفُّ عَنِ الْعَيْ ظَ وَلَسْنَا لِعَيْظِكُمْ أَنْدَادَا
التشفي بالضعيف هو كالمثلة، أي التمثيل بالمقتول

أَيُّهَا الْمُدَّعِي الْعُمُومِيُّ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا فَقَدْ بَلَّغْتَ الْمُرَادَا

المدعي العمومي في تلك المحكمة كان إبراهيم الهلباوي، وكان القاضي أحمد فتحي زغلول أخا سعد زغلول، وقد كان الهلباوي من أشهر المحامين، وندم على فعلته واعتذر من مواطنيه بعد أربع سنين، وكان له دور في الحركة الوطنية، وكان القاضي أحمد فتحي زغلول من كبار المثقفين والداعين للتحرر ومن الوطنيين في الحركة العربية. ولكن الرجلين عاشا بعد دنشواي وماتا خائنين، وظل الشعب يحتقرهما لأنهما احتقرا الشعب ورضيا أن يكونا أداة للمحتل. ألا إن الإنسان موقف

قَدْ ضَمِنَّا لَكَ الْقَضَاءَ بِمِصْرٍ وَضَمِنَّا لِنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا
وترقى الهلباوي فعلاً بعد دوره الشنيع

لَا جَرَى النِّيلُ فِي نَوَاحِيكَ يَا مِصْرَ رُ، وَلَا جَادُكَ الْحَيَا حَيْثُ جَادَا
الحيا: المطر

أَنْتِ أَنْبَتِ ذَلِكَ النَّبْتُ يَا مِصْرَ رُ فَأُضْحَى عَلَيْكَ شَوْكاً قَتَادَا
القتاد: الشوك

إِيهِ يَا مِذْرَةَ الْقَضَاءِ وَيَا مَنْ سَادَ فِي غَفْلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا
المدرة: الزعيم

أَنْتِ جَلَّادُنَا فَلَا تَنْسِ أَنَا قَدْ لَيْسْنَا عَلَى يَدَيْكَ الْجِدَادَا
قيل: أنشد المصريون هذا البيت في جنازة الهلباوي عام ١٩٤٠

٢٦ الظلم المنظم

شكوى مصر من الاحتلال، نشرت في يناير/كانون الثاني (١٩٠٧):

لَقَدْ كَانَ فِينَا الظُّلْمُ فَوْضَى فَهَذَّبْتُ حَوَاشِيهِ حَتَّى بَاتَ ظُلُمًا مَنْظَمًا
عَمِلْتُمْ عَلَى عِزِّ الْجَمَادِ وَذُلُّنَا فَأَعْلَيْتُمْ طِينَا وَأَرْخَضْتُمْ دِمَا
إِذَا أَخَصَبْتَ أَرْضَ وَأَجْدَبَ أَهْلَهَا فَلَا أَطْلَعْتَ نَبْتًا وَلَا جَادَهَا السَّمَاءَا
السما: المطر

نَهَشْتُ إِلَى الدِّينَارِ، حَتَّى إِذَا مَشَى بِهِ رُبُّهُ لِّلْسُوقِ أَلْفَاهُ دِرْهَمَا
فَإِنَّ كَثِيرَ الْمَالِ - وَالْخَفْضُ وَارِفٌ - قَلِيلٌ إِذَا حَلَّ الْغَلَاءُ وَخَيَّمَا

٢٧ العهدة على الراوي

وداع اللورد كرومر، قالها عند استقالته، ونشرت في أبريل/نيسان (١٩٠٧):

سَلَامٌ، وَلَوْ أَنَا نُسِيءُ إِلَى الْأَلَى أَسَاءُوا إِلَيْنَا مَا مَدَدْنَا لَهُمْ يَدَا
سَنْطَرِي أَيَادِيكَ الَّتِي قَدْ أَقْضَتْهَا عَلَيْنَا فَلَسْنَا أُمَّةً تَجْحَدُ الْيَدَا
أَياديك: أفضالك

أَمِنَّا فَلَمْ يَسْلُكْ بِنَا الْخَوْفُ مَسْلَكًا وَنَمِنَا فَلَمْ يَطْرُقْ لَنَا الدُّعْرُ مَرْقَدَا

وكنْتَ رَحِيمَ القلبِ تَحْمِي ضَعِيفَنَا وتدفعُ عَنَّا حادثَ الدهرِ إنْ عَدَا
تَشَعَّبَتِ الآراءُ فيكَ: فقائِلُ أفادَ الغِنَى أهلَ البلادِ وأَسْعَدَا
وآخرُ لم يَقْصِرْ على المالِ هَمُّهُ يرى أنَّ ذاكَ المالَ لا يَكْفُلُ الهُدَى
بعضهم نظر إلى فوائد حصلت عليها البلاد في عهد كرومر وبعضهم قال إن المال ليس كل شيء

قَضَيْتَ على أُمِّ اللُّغَاتِ، وإنَّه قضاءً علينا أو سبيلُ إلى الرَّدَى
كان كرومر قليل الاعتبار للغة العربية وللدين الإسلامي، ويرى أن طريق مصر هو التحرر من الماضي

ووافيتَ والقُطْرانِ في ظِلِّ رايَةٍ فما زِلْتَ بِالسُّودانِ حتى تَمَرَّدَا
وحاولْتَ إعطاءَ العَرَبِ مَكانَةً تَجُرُّ علينا الوَيْلَ والذُّلَّ سَرْمَدَا
شجع كرومر الأجانب ونشاطهم التجاري، ومنحهم امتيازات غير متاحة للمصريين، وهذا جر على مصر الذل السرمدي، الأبدى

وزاحَمْنَا في العيشِ كُلِّ مُمارِسٍ خبيرٍ، وكُنَّا جاهِلينَ ورُقْدَا
وما الشَّرِكاتُ السُّودُ في كُلِّ بِلَدَةٍ سوى شَرَكٍ يُلقِي به مَنْ تَصَيَّدَا
المتصيد لخيرات البلاد الأخرى يلقي الشرك، أي الشبكة، في هذه البلاد على هيئة شركة. الدول الخائرة العزم، حتى يومنا هذا، تتغنى بالاستثمار وتشجيع الاستثمار وجلب الاستثمارات الأجنبية. ما لها لا تتغنى بالتصنيع والتعليم كي يفتح أهل البلد المصانع والشركات؟

فهذا حديثُ الناسِ والناسُ أَلْسُنُ إذا قالَ هذا، صاحَ ذاكَ مُقْنَدَا
اكتفى حافظ من وداع كرومر بسرد ما يقوله الناس من مادح وقادح. ولم يفت هذا الموقف الخشي متقدي حافظ

٢٨ رثاء قاسم أمين

يونيو/حزيران (١٩٠٨):

لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتَ مُرْتَجِلاً لم تَشْكُ، لم تَسْتَوْصِ، لم تَقُلْ
مُتَّ موتاً ارتجالياً بلا شكوى من مرض وبلا وصية

إنْ رَيْتَ رَأياً في الحِجابِ ولم تُعْصَمْ، فِتْلَكَ مراتبُ الرُّسُلِ
لئن كنت ريت، أي رأيت، رأياً ضد الحجاب، ولم تُعْصَمْ من الخطأ، فلا بأس فالعصمة للأنبياء

الحكْمُ لِلأَيامِ مَرَجِعُهُ فيما رأيتَ، فَنَمَ ولا تَسَلِ
فلا تهتم، فالحكم بشأن الحجاب متروك للأيام المقبلة

وكذا طُهاهُ الرأْيِ تَتَرَكُهُ للدهرِ يُنْضِجُهُ عَلَى مَهَلٍ
فإذا أَصْبَتْ فَأَنْتَ خَيْرُ قَتَى وَضَعَ الدَّوَاءَ مَوَاضِعَ الْعِلَلِ
أو لا، فَحَسْبُكَ مَا شَرُفَتْ بِهِ وتركتَ في دُنياكَ مِنْ عَمَلٍ

٢٩ الدخول بين السلطان والوالي

تهتة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه، سبتمبر/أيلول (١٩٠٨):

مِنِّي عَلَى دَارِ السَّلامِ تَحِيَّةٌ وَعَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ
دار السلام، هنا، إستانبول عاصمة الخلافة

وعلى رجالِ الجِيشِ مِنْ ما شِ به أو رَاكِبٍ أو نَازِحٍ أو دَانٍ
يحيي من الجيش المشاة والخيالة، والنازح البعيد في مهمة، والداني القريب المرابط في الديار
وعلى الأَلَى سَكَنُوا إِلَى الحُسْنَى، سوى ذاك الذي يدْعُو إلى العُصْيَانِ
الألى: الذين

والي الحِجازِ الخارِجِيّ، وما به إِلَّا اقْتِنَاصُ الْأَصْفَرِ الرِّئَانِ
بغلاف والي الحجاز الخارجي العاصي الذي يقتنص الأصفر الرنان؛ الذهب، من أموال الحج
ما لِلشَّرِيفِ الْمُنتَمِيٍّ حَسْباً إِلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَنِي عَدْنَانٍ..
ما لي أرى شريف مكة الذي ينتمي بنسبه إلى النبي..

أَمْسَى يُمَالِئُهُ وَيَنْصُرُ عَيْهُ وَضَلَالُهُ بِحُثَالَةِ الْعُرْبَانِ
ما لي أراه يمالئ الوالي، يطاوعه، ويؤيد ضلاله ببعض من أبناء القبائل من الحثالة، أردأ الناس
تَالَهُ لَوْ جَنَّدْتُما رَمَلَ النِّقا وَنَزَلْتُما بِمَواطِنِ الْعُقْبَانِ..
فيا والي الحجاز ويا شريفها لو جندتما من الجنود بعدد حبات رمل النقا، الكتيب، ولو رابطتما
في أماكن العقبان، الصقور والنسور، في معاقلها الجبلية..

وَعَرَسْتُما أَرْضَ الْحِجَازِ أَسِنَّةً وَأَسَلْتُما بَحْراً مِنَ النِّيرانِ..
ولو غرستما الحجاز بأسنة الرماح، ولو سالت النيران من أسلحتكما..

وَأَقَمْتُما فِيهَا الْمَعَاقِلَ مَنَعَةً مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ إِلَى خَلِيجِ عُمانِ..
ولو أقمتما الحصون المنيعة من نجد إلى عمان..

لَدَهَاكُمَا وَرَمَاكُمَا وَذَرَاكُمَا مَاحِيِ الْحُصُونِ وَمَاسِيحُ الْبُلْدَانِ
لدهاكما السلطان العثماني، فاجأكما بالنكية، ولترككما كالغبار تذروه الريح.. فهي الذي يمحو
الحصون ويمسح البلاد مسحاً

٣٠ سورة ومصر

ألقاها في فندق شبرد لتكريم جماعة من السوريين، ونشرت في مارس/ آذار (١٩٠٨):

لِمِصْرَ أَمْ لِرَبُوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ هُنَا الْعُلَا وَهُنَاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ
رُكْنَانِ لِلشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا قَلْبُ الْهَلَالِ عَلَيْهَا خَافِقٌ يَجِبُ

لا زالت: أدعو الله أن تبقى، وخير لا زال الجملة الإسمية (قلب الهلال خافق) الهلال: رمز
الدولة العثمانية وكانت آنذاك تحكم مصر إسمياً وبلاد الشام فعلياً، يجب: يخفق

خِذْرَانِ لِلضَّادِ لَمْ تُهْتَكْ سِتُورُهُمَا وَلَا تَحَوَّلَ عَنْ مَغْنَاهُمَا الْأَدَبُ
خدران للضاد: بيتان للغة العربية، والخدر حجرة النساء في الخيمة أو البيت

أُمُّ اللِّغَاتِ غَدَاةُ الْفَخْرِ أُمُّهُمَا وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْأَبَاءِ فَالْعَرَبُ
إِذَا أَلَمْتُ بِوَادِي النِّيلِ نَازِلَةٌ بَاتَتْ لَهَا رَاسِيَاتُ الشَّامِ تَضْطَرِبُ
نازلة: مصيبة، الراسيات: الجبال

وَإِنْ دَعَا فِي ثَرَى الْأَهْرَامِ دُوَ أَلَمِ أَجَابَهُ فِي ذُرَا لُبْنَانَ مُنْتَجِبُ
لَوْ أَخْلَصَ النِّيلُ وَالْأَرْدُنُّ وَدَّهُمَا تَصَافَحَتْ مِنْهُمَا الْأَمْوَاءُ وَالْعُشْبُ
نَسِيمَ لُبْنَانَ! كَمْ جَادَتْكَ عَاطِرَةٌ مِنْ الرِّيَاضِ وَكَمْ حَيَّاكَ مُنْسَكِبُ؟
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَنْفَاسٌ مُسْعِرَةٌ تَهْفُو إِلَيْكَ وَأَكْبَادُهَا لَهَبُ
أنفاس المغترين في أصقاع الأرض تهفو، تهب حينئذ، إلى الوطن لبنان

لَوْلَا طِلَابُ الْعُلَا لَمْ يَبْتَغُوا بَدَلًا مِنْ طِيبِ رِيَّاكَ، لَكِنَّ الْعُلَا تَعَبُ
التسويد لعمران القفيني

كَمْ غَادَةٌ بِرُبُوعِ الشَّامِ بَاكِيَةٌ عَلَى أَلَيْفٍ لَهَا يَرْمِي بِهِ الطَّلَبُ
كم فتاة تبكي على زوج رمى به طلب المعاش إلى الهجرة

يَمْضِي وَلَا حِيلَةَ إِلَّا عَزِيمَتُهُ وَيَنْتَنِي وَحُلَاهُ الْمَجْدُ وَالذَّهَبُ
يذهب وليس معه إلا العزم، وينثني، أي يعود، ومعه مجد ومال

بَارِضٍ كُؤْمَبٍ أَبْطَالُ غَطَارِقَةٍ أَسَدٌ جِيَاعٌ إِذَا مَا وُؤِثِبُوا وَثَبُوا

أرض كولمب: أميركا، وفيها أسود بلاد الشام الذين يقفزون على الرزق قفزاً. جمعني جامع ذات سنة، لعلها ٢٠٠٧، بوزير الخارجية البرازيلي، وكانت تصحبه زوجته. وسألته ملياً عن أبناء بلده ذوي الأصل الشامي، ويسمونهم توركو، أي الأتراك لأنهم هاجروا في زمن كانت بلاد الشام فيه تحت الحكم التركي، وكنت مهتماً بسيرة الشاعرين القروي وفرحات اللذين عاشا في البرازيل، وتحدث طويلاً، وفي ختام حديثه أشار إلى زوجته الجالسة بجانبه: «هي أيضاً سورية الأصل»

أَسْطُولُهُمْ أَمَلٌ فِي الْبَحْرِ مُرْتَجِلٌ وَجِيشُهُمْ عَمَلٌ فِي الْبَرِّ مُغْتَرِبٌ
مَا عَابَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قَدْ نَثَرُوا فَالشُّهُبُ مَنُورَةٌ مَذْكَانَتِ الشُّهُبُ
رَادُوا الْمَنَاهِلَ فِي الدُّنْيَا، وَلَوْ وَجَدُوا إِلَى الْمَجَرَّةِ رَكْباً صَاعِداً رَكِبُوا

كانوا رواداً لمنايع الرزق

سَعَوْا إِلَى الْكَسْبِ مَحْمُوداً وَمَا قِئْتُ أُمُّ اللُّغَاتِ بِذَاكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ
أُم اللغات، اللغة العربية، انتعشت على السنة، وفي صحف، المغتربين زمناً. ثم ماتت في الأجيال
اللاحقة

فَأَيْنَ كَانَ الشَّامِيُّونَ كَانَ لَهَا عَيْشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَحْتَاجِبُ
هَذَا يَدِي عَنْ بَنِي مِصْرٍ تُصَافِحُكُمْ فَصَافِحُهَا تُصَافِحُ نَفْسَهَا الْعَرَبُ
لَوْ لَا رِجَالٌ تَغَالَوْا فِي سِيَاسَتِهِمْ مِنَّا وَمِنْهُمْ لَمَّا لُمْنَا وَلَا عَتَبُوا
وممن أبدى ضجراً لما ناله السوريون بمصر من نجاح حافظ إبراهيم نفسه في كتابه «ليالي سطوح»،
حيث شكاً من الوجود الاقتصادي السوري، ومن تقاعس المصريين عن دخول ميدان الاقتصاد
بقوة، هذا إلى ترحيب دائم من حافظ بالمتقنين السوريين

إِنْ يَكْتَسِبُوا لِي ذَنْباً فِي مَوَدَّتِهِمْ فَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الذَّنْبِ الَّذِي كَتَبُوا

٣١ مدح مغنٍّ

نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٠٨):

يَا جَاكَ إِنَّكَ فِي زَمَانِكَ وَاحِدٌ وَلِكُلِّ عَصْرِ وَاحِدٌ لَا يُلْحَقُ
جاك رومانو مغنٍّ يهودي إسكندري

إِنَّ الْأَلَى قَدْ عَاصَرُوكَ وَقَاتَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوكَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا

التسويد لعمران القفيني

قَدْ جَاءَ مُوسَى بِالْعَصَا، وَأَتَيْتَنَا بِالْعُودِ يَشْدُو فِي يَدَيْكَ وَيَنْطِقُ

تَسَابِقُ الْأَسْمَاعُ صَوْبَكَ كُلَّمَا غَنَّتْهَا شَوْقاً إِلَيْكَ وَتُغْنِي

تعنى: تتطلع مسرعة وتمد العنق

خُلِقَ كَمَا شَاءَ الْجَلِيسُ وَشِيَمَةً يَذْكُوبُهَا صَدْرُ النَّدِيِّ وَيَعْبَقُ
وَمُرُوءَةً لَوْ أَنَّهَا قَدْ قُسِّمَتْ بَيْنَ الْيَهُودِ لِأَحْسَنُوا وَتَصَدَّقُوا

٣٢ تسونامي مسينا

(١٩٠٨/١٢/٢٨):

نَبِّئَانِي إِنْ كُنْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا دَهَى الْكَوْنِ أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ

الفرقدان: نجمان

غَضِبَ اللَّهُ أَمْ تَمَرَّدَتِ الْأَرْضُ ضُ، قَانَحَتْ عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ؟
أُنَحَّتْ: أقبلت بالأذى أو باللوم

ليس هذا، سبحانَ رَبِّي، وَلَا ذَا لَكْ، وَلَكِنْ طَبِيعَةُ الْأَكْوَانِ
عَلَيَانِ فِي الْأَرْضِ نَفْسٌ عَنْهُ نَوْرَانُ فِي الْبَحْرِ وَالْبُرْكَانِ
رَبِّ، أَيْنَ الْمَقَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْبَرْ- عَلَى الْكِيدِ لِلْوَرَى عَامِلَانِ؟
كُنْتُ أَخْشَى الْبَحَارَ، وَالْمَوْتُ فِيهَا رَاصِدٌ عَفْلَةً مِنَ الرُّبَّانِ
سَابِحٌ تَحْتَنَا، مُطْلٌ عَلَيْنَا حَائِمٌ حَوْلَنَا، مُنَاءٌ مُدَانِ
الموت في البحر يسبح تحت السفينة ويحوم حولها.. يبتعد ويقرب

فَإِذَا الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ سَوَاءٌ فِي خَلْقٍ: كِلَاهُمَا عَادِرَانِ

خلاق: خلق وطبيعة

مَا لِمَسِّينَ عُوْجِلَتْ فِي صِبَاهَا وَدَعَاهَا مِنَ الرَّدَى دَاعِيَانِ

مسينا في صقلية بإيطاليا، وقد ضربها ما يسميه اليوم تسونامي في آخر ثلاثة أيام من عام (١٩٠٨)،
فقتل بها مئة ألف نسمة

وَمَحَتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ مِنْهَا حِينَ تَمَّتْ آيَاتُهَا آيَتَانِ

حين اكتملت آياتها العمرانية، معالمها، جاءت آيتان، برهاتان من براهين القدرة الإلهية وهما
الزلازل والفيضان، فمحتا المعالم

خُسِفَتْ، ثُمَّ أُغْرِقَتْ، ثُمَّ بَادَتْ قُضِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانِ

وَأَتَى أَمْرُهَا فَاضْحَتْ كَأَن لَّمْ
لَيْتَهَا أُمِّهَلَتْ فَتَقْضِي حُقُوقاً
تَكُ بِالْأَمْسِ زِينَةَ الْبُلْدَانِ
مِنْ وَدَاعِ اللَّذَاتِ وَالْجِيرَانِ
اللذات: الأصحاب، المولدون في وقت واحد

بَقَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَلَيْهَا
تِلْكَ تَغْلِي حِقْداً عَلَيْهَا فَتَنْشَقُّ-
وَطَعَى الْبَحْرُ أَيَّماً طُغْيَانٍ
انْشِقَاقاً مِنْ كَثْرَةِ الْغَلْيَانِ
فَتُجِيبُ الْجِبَالُ رَجْماً وَقَدْناً
بِشُؤَاطٍ مِنْ مَآرِجٍ وَدُخَانٍ
مارج: لهب

وَتَسُوقُ الْبَحَارُ رَدّاً عَلَيْهَا
جَيْشَ مَوْجٍ نَائِي الْجَنَاحِينَ دَانٍ
والجيش له جناحان ميمنة وميسرة

فَهُنَا الْمَوْتُ أَسْوَدُ اللَّوْنِ جَوْنٌ
وَهُنَا الْمَوْتُ أَحْمَرُ اللَّوْنِ قَانٍ
الجون: الأسود، الموت الأسود: خنقاً أو غرقاً، والأحمر: جرحاً

جَنَّدَ الْمَاءَ وَالشَّرَى لِهَلَاكِ الْ-
خَلْقِ ثُمَّ اسْتَعَانَ بِالنُّيِّرَانِ
الموت جند الماء واليابسة بالطوفان والزلازل.. ثم استعان بنيران البركان

وَدَعَا السُّخْبَ عَاتِيّاً فَأَمَدَّتْ-
سُ وَخَارَتْ عِزَائِمُ الشَّجَعَانِ
وَشَفَى الْمَوْتُ غِلَّهُ مِنْ نَفُوسٍ
لَا تُبَالِيهِ فِي مَجَالِ الطَّعَانِ
شفى الموت غله، أي غيظه، من نفوس أهل المدينة التي ما كانت تبالي الموت في مجال الطعان،
الحرب والظعن بالرماح

رُبَّ طِفْلٍ قَدْ سَاحَ فِي بَاطِنِ الْأَرِ
ضٍ يُنَادِي: أُمِّي! أَبِي! أَدْرِكَانِي!

ساخ: غاص. يعلق المازني في كتابه المندوم عليه «شعر حافظ» على هذا البيت قائلاً: «على وفرة علامات النداء، لا يعقل أن السائح في باطن الأرض يستطيع شيئاً من ذلك».. وتعليقنا: يا مازني، ما أصدرته أنت من شعر، وهو كثير، غث غثاء لم نَحْتَمِلْهَا أَنْتَ نَفْسَكَ، فْتَبَرَأَتْ مِنْهُ. ولا والله لم أجِدْ لك بيتاً واحداً يحسن بالمرء أن يقرأه بله أن يحفظه. وقد كان حافظ يستقبلك في دار الكتب أحسن استقبال غافراً لك كتابك المشحون بالغضب من شعره. ولعلك هاجمت الرجل لموقف قديم ناداك فيه بيا ولد، عندما انتقدت ترجمته للبؤساء. ولك يا مازني، بعد، حستان: أولهما أنك كتبت مقالاً أبديت فيه الندم على كتابك، وثانيتهما أنك برهان عظيم على أن الناثر الكبير قد يكون مفلساً إفلاساً إدقاعياً في الشعر، فأنت ممن كتبوا أجمل نثر العربية في القرن العشرين. والآن إلى بيت الشعر الذي نحن بصدد: هذا تصوير هائل لطفل

بدأ جسمه ينفوس في الوحل أو حتى في الحمم البركانية وبقيت في صدره قوة تعينه على أن يدفع إلى حنجرتة بثلاث كلمات: أمي! أبي! أدركاني! فأين المستحيل في هذا؟ وانظر إلى الأبيات التي تلي هذا البيت فهي ترسم صورة مخيفة لمعاناة أولئك الضحايا في ساعة الموت المحقق

وَفَتَاةٍ هَيَفَاءُ تُشَوِّى عَلَى الْجَمْفِ رِ، تُعَانِي مِنْ حَرِّهِ مَا تُعَانِي
وَأَبٍ ذَاهِلٍ، إِلَى النَّارِ يَمْشِي مُسْتَمِينًا تَمْتَدُّ مِنْهُ الْبِدَانِ
بَاحِثًا عَنْ بَنَاتِهِ وَبَنِيهِ مُسْرِعَ الْخَطْوِ مُسْتَطِيرَ الْجَنَانِ
مستطير الجنان: منخلع القلب

تَأْكُلُ النَّارُ مِنْهُ: لَا هَوَ نَاجٍ مِنْ لَظَاهَا وَلَا اللَّظَى عَنْهُ وَإِنْ
وان: متوانٍ، متأخر

عَصَبَتِ الْأَرْضُ أَتَخِمَ الْبَحْرُ مِمَّا طَوِيَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْدَانِ
وَشَكَا الْحُوتِ لِلنُّسُورِ شَكَاةً رَدَدَتْهَا النُّسُورُ لِلْحَيْتَانِ
أَسْرَفًا فِي الْجُسُومِ نَقْرًا وَنَهْشًا ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِطْطَةِ يَشْكُوَانِ
الكظة: التخمة، الحوت والنسر يشكون التخمة لكثرة ما أكلا من لحوم الموتى

لَا رَعَى اللَّهُ سَاكِنَ الْقِمَمِ الشُّمِّ- وَلَا حَاطَ سَاكِنَ الْقِيَعَانِ
يدعو على ساكن القمم السماء العالية، النسر، وساكن قاع البحر، الحوت

قَدْ أَغَارَا عَلَى أَكُفِّ بَرَاهَا بَارِئُ الْكَائِنَاتِ لِإِلْتِقَانِ
لَهْفَ نَفْسِي وَأَلْفَ لَهْفٍ عَلَيْهَا مِنْ أَكُفِّ كَانَتْ صَنَاعَ الزَّمَانِ
صناع: حاذقة، متقنة لعملها

مَوْلَعَاتٍ بِصَيْدٍ كُلِّ جَمِيلٍ نَاصِبَاتٍ حَبَائِلَ الْأَلْوَانِ
فأبدي الإيطاليين تصب حبال، شباكاً، هي في الواقع الألوان لتصيد الفن الجميل

حَافِرَاتٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ الْبُنْيَانِ
مُنْطِطَقَاتٍ لِسَانٍ كُلِّ جَمَادٍ مُفْجِمَاتٍ سَوَاجِعَ الْأَفْنَانِ
سواجع الأفنان: الطيور المغردة على الأغصان

مُلْهَمَاتٍ مِنْ دِقَّةِ الصَّنْعِ مَا لَا يُلْهَمُ الشَّعْرُ مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِي
مِنْ تَمَائِيلَ كَالنُّجُومِ الدَّرَارِي يَهْرَمُ الدَّهْرُ وَهِيَ فِي عُنْفُوانِ
الدَّرَارِي: المتلألئة

إِنَّ إِيطَالِيَا بَنُوهَا بُنَاةً فَاطْمَنَنِي مَا دَامَ فِي الْحَيِّ بَانٍ

إيطاليا بنوها، أي أبنائها، بناءً، يحسنون البناء... فاطمئني يا مسينا فسوف يعاد بناؤك

فَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَوَلَّيْتُ سِتَّ يَمَا فِيكَ مِنْ مَغَانٍ حِسَانٍ

المغاني الحسان: الربوع الجميلة

وَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَعُودِي سَنَ كَمَا كُنْتَ جَنَّةَ الطُّلِيَانِ

وَسَلَامٌ عَلَى امْرِئٍ جَادٍ بِالْدَّمِ حِجٍّ، وَتَنَّى بِالْأَضْفَرِ الرُّثَانِ

ذَاكَ حَقُّ الْإِنْسَانِ عِنْدَ بَنِي الْإِنْدِ سَانٍ، لَمْ أَدْعُكُمْ إِلَى إِحْسَانٍ

التبرع لمسينا حق على الإنسان وليس إحساناً

٣٣ المتهم على الحاليين

ذكرى مصطفى كامل، أنشدها في ذكرى وفاته الأولى فبراير/شباط (١٩٠٩):

قَدْ أَتَهَمْنَا وَلَمَّا نَطْلُبْ جَلَلًا إِنَّ الضَّعِيفَ عَلَى الْحَالِيْنَ مُتَّهَمٌ

قالوا: لَقَدْ ظَلَمُوا بِالْحَقِّ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الظَّالِمِينَ هُمْ

إِذَا سَكَنَّا تَنَاجَوْا، تِلْكَ عَادَتُهُمْ وَإِنْ نَطَقْنَا تَنَادَوْا: فِتْنَةٌ عَمَمٌ

إن سكتنا نهامس الإنجليز يدبرون لنا تدبيراً، وإن نطقنا قالوا إننا ندعو لفتنة شاملة

٣٤ الانقلاب العثماني

نشرت في مايو/أيار (١٩٠٩)، بعد خلع عبد الحميد:

فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ النَّصَارَى فِيكَ قَبْلَ الدُّرُوزِ قَبْلَ الْيَهُودِ

شِمُّتُوا كُلُّهُمْ وَلَيْسَ مِنَ الْهَمِّ لِي أَن يَشِمَّتَ الْوَرَى فِي طَرِيدِ

نفي عبد الحميد إلى سلاطيك بعد عزله

لَكَ فِي الدَّهْرِ - وَالْكَمَالُ مُحَالٌ - صَفَحَاتٌ مَا بَيْنَ بَيْضٍ وَسُودِ

كَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بِالْأَمْسِ فَرْدًا فَعَدَا الْيَوْمَ أَلْفَ عَبْدٍ الْحَمِيدِ

٣٥ سقوط الطاغية

أنشدها حافظ في حديقة الأزبكية في يوليو/تموز (١٩٠٩)، بعد سقوط عبد الحميد

وصدور الدستور:

وَمَنْ لَمْ يُشَاهِدْ يَلْدِزَا بَعْدَ رَبِّهِ وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْمُلْكُ وَانْدَكَ جَانِبُهُ .

يلدز: قصر عبد الحميد، ربه: صاحبه

وَأَسْلَمَهُ أَحِبَّائِهِ لِقُضَائِهِ وَقَرَّ - وَلَمْ يَخْشَ الْمَعْرَةَ - كَاتِبُهُ .

وَقَلَّمَتِ الْأَقْدَارُ أَظْفَارَ بَطْشِهِ وَدَلَّ عَلَى مَا تَجْهَلُ الْجِنَّ حَاجِبُهُ .

حاجب عبد الحميد دلهم على مكانه الذي تجهله حتى الجن

فَمَا شَهِدَ الدُّنْيَا تَزُولُ وَلَا رَأَى بَلَاءَ قَضَاءِ اللَّهِ فِيْمَنْ يُحَارِبُهُ

من لم يشاهد تلك الأحداث فهو لم يشهد كيف تزول الدنيا، أي النعمة، وكيف يقع قضاء الله على رأس من يحارب الله بظلمه لعباده

وَلَمْ يُغْنِ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ دَهَاؤُهُ وَلَا عَصَصَتْ عَبْدَ الْحَمِيدِ تَجَارِبُهُ

وَلَمْ يُخْفِهِ عَنْ أَعْيُنِ الْحَقِّ مَخْدَعُ وَلَا نَفَقُ فِي الْأَرْضِ جَمِّ مَسَارِبُهُ

النفق الكثير المسارب لم يستطع مواراة عبد الحميد

وَأَسْرَفَ فِي حُبِّ الْحَيَاةِ فَحَاطَهَا بِسُورٍ مِنَ الْأَهْوَالِ لَمْ يَنْجُ رَاكِبُهُ

وَفِي كُلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ لَوْ تَكَلَّمَتْ لَمَّا شَكَّ فِي عَبْدِ الْحَمِيدِ مُخَاطِبُهُ

تَمَائِيلُ إِيْهَامٍ أَنْيَمَتْ وَأَقْعَدَتْ تَرَاءَى بِهَا أَعْطَافُهُ وَمَنَاكِبُهُ

كان في القصر صور وتمائيل لعبد الحميد في شتى الأراضع للتبويه، وتبدو فيها جوانب جسمه وكفاه، فهي صور وتمائيل كاملة للتبويه وليست لوحات بورتريه بغرض الفن

تُمَثِّلُهُ فِي نَوْمِهِ وَجُلُوسِهِ وَتَخْدَعُ فِيهِ الْمَوْتَ حِينَ يُقَارِبُهُ

أَقَامَ عَلَيْهِ أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ لِيُغْلِبَ مَوْتاً وَاحِداً عَزَّ عَالِبُهُ

وَأَخْرَجَهُ مِنْ بِلْدِيزِ رَبِّ بِلْدِيزِ وَجَرَدَهُ مِنْ سَيْفِ عُثْمَانَ وَاهِبُهُ

سيف عثمان: سيف توارثه سلاطين بني عثمان عن مؤسس دولتهم، وكان السلطان يتقلده بعد أسبوعين من توليه السلطنة

مَضَى عَهْدُ الْأَسْتِيْدَادِ وَانْدَكَ صَرْحُهُ وَوَلَّيْتُ أَفَاعِيهِ وَمَائَتْ عَقَارِبُهُ

٣٦ سقى الله «أيام زمان»

إلى البرنس حسين كامل باشا، رئيس مجلس شورى القوانين الذي سيصبح سلطاناً بعد ست سنين، ونشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٠٩):

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فَمَتَى تَنَامُ أَهْمٌ ذَاذَ نَوْمِكَ أَمْ هُيَامُ

نصل الدجى: بدا في سواد الليل بياض الفجر مثلما ينصل الشعر المصبوغ فيبدو البياض في أصوله، ذاذ نومك: صدّه

لَعَمْرُكَ مَا أَرَقْتُ لِغَيْرِ مُضِرٍ وَمَا لِي دَوْلَهَا أَمَلٌ يُرَامُ
ذَكَرْتُ جَلَالَهَا أَيَّامَ كَانَتْ تَصُولُ بِهَا الْفَرَاغَةُ الْعِظَامُ
وَأَيَّامَ الرِّجَالِ بِهَا رِجَالٌ وَأَيَّامَ الزَّمَانِ لَهَا غُلَامُ
هَلَاكَ الْفَرْدِ مَنْشَوُهُ تَوَانٍ وَمَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشَوُهُ انْقِسَامُ
وَلَنَا قَدْ وَنِينَا وَانْقَسَمْنَا فَلَا سَمْعِي هُنَاكَ وَلَا وِثَامُ

ونينا: توانينا وتكاسلنا

فساء مُقَامُنَا فِي أَرْضِ مِصْرٍ وَطَابَ لِغَيْرِنَا فِيهَا الْمُقَامُ
أسطوانة حافظ الأثير: الأجانب يرتعون في مصر وأوضاع المصريين سيئة

٣٧ تقييد الصحافة

من قصيدة في نحية العام الهجري، يناير/ كانون الثاني (١٩١٠):

إِن الْبَلِيَّةُ أَنْ تُبَاعَ وَتُشْتَرَى مِضْرٌ وَمَا فِيهَا وَأَلَّا تَنْطِقَا
كَانَتْ تُوَاسِينَا عَلَى آلَمِنَا صُحُفٌ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ وَأَطْبَقَا
كَانَتْ صِمَامًا لِلنَّفُوسِ إِذَا عَلَتْ فِيهَا الْهُمُومُ وَأَوْشَكْتَ أَنْ تُزْهَقَا
مَا لِي أَنْوُحُ عَلَى الصَّحَافَةِ جَارِعًا مَاذَا أَلَمَ بِهَا، وَمَاذَا أَحْدَقَا؟
قَصُّوا حَوَاشِيَهَا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَمِنُوا صَوَاعِقَهَا فَكَانَتْ أَضْعَقَا

٣٨ الأم مدرسة

أنشدها في حفل بيورسعيد لإعانة مدرسة البنات، مايو/ أيار (١٩١٠):

كَمْ ذَا يُكَابِدُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي فِي حَبِّ مِصْرٍ كَثِيرَةُ الْعُشَاقِ
إِنِّي لِأَحْمِلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً يَا مِضْرُ قَدْ خَرَجْتُ عَنِ الْأَطْوَاقِ
لعله يقصد: أحبك حباً خرج عن طوقى وقدرتى

لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكِ ظَلِيْقَةً يَحْمِي كَرِيْمَ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقٍ
مَا الْبَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءِ مِزَاجِهَا وَالشَّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسَبَاقِ..
ليست الخمر البابلية الصافية والشرب، أي الشاربون، الذين يتنافسون على ارتشافها..

وَالشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُؤُوسِ وَتَخْتَفِي وَالْبَدْرُ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِي..
بينما الخمر لامعة كالشمس ترسل أشعتها من الكؤوس الملأى وتخفي في حلق الشاربين،
والساقى الذي يدور عليهم بالخمير وجهه كالبدر..

بِالَّذِ مِنْ خُلُقِي كَرِيمٍ طَاهِرٍ قَدْ مَارَجَحْتُهُ سَلَامَةً الْأَذْوَاقِ

.. ليست الذم من الخلق الكريم الممزوج بسلامة الذوق

مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا فِي الشَّرْقِ عِلَّةٌ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ؛ إِذَا أَعَدَّدَتْهَا أَعَدَّدَتْ شَعْباً طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

حتى لو كان هذا أحد أشهر أبيات الشعر السائرة على الألسن فإن التربية الحسنة تنشئ شعباً طيب الخلق ومتقناً للعمل.. هذا شيء والأعراق.. أي النسب العالي شيء آخر. ولا أدري أين ذهبت كلمة «الأخلاق» عن شاعرنا كي يقعدها في مقعد القافية ويريحنا من أعراقه

الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الْحَيَا بِالرِّيِّ أَوْرَقَ أَيِّمًا إِيرَاقِ

الأم بستان إن تعهده الحيا، وافاه المطر، أصبح مورقاً بورق كثير

أَنَا لَا أَقُولُ دَعُّوا النِّسَاءَ سَوَافِرًا بَيْنَ الرِّجَالِ يَجُلْنَ فِي الْأَسْوَاقِ

يَفْعَلْنَ أَفْعَالَ الرِّجَالِ لَوَاهِيًا عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِسِ الْأَحْدَاقِ

لواهياً: لاهيات عابثات، «نواعس الأحداق» تعبير بارد لكنه يظل أحسن من مرادفه «الجنس اللطيف»

فِي دُورِهِنَّ شُؤُونُهُنَّ كَثِيرَةٌ كَشُؤُونِ رَبِّ السَّيْفِ وَالْمِزْزَاقِ

المزراق: الحربة

كَلَّا، وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا فِي الْحَجَبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالْإِرْهَاقِ

لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ خُلَى وَجَوَاهِرًا خَوْفُ الضَّبَاعِ نُصَانٍ فِي الْأَحْقَاقِ

الأحقاق: العلب الصغار، والمفرد حَقٌّ

لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ أَثَانًا يُقْتَنَى فِي الدُّورِ بَيْنَ مَخَادِعِ وَطَبَاقِ

المخادع: الحجرات، الطباق: لعلها الأدوار أو الطوابق

تَتَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا دُولًا، وَهَنَّ عَلَى الْجُمُودِ بَوَاقِ

الزمن يتغير دولاً، تتداوله الجوادث والأقوام، والنساء جامدات على وضعهن

فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا فَالْشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ

رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا فِي الْمَوْقِفَيْنِ لَهُنَّ خَيْرٌ وَثَاقِ

الموقفان: التقيد والإطلاق لحرية المرأة، الوثاق: الحبل

وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتُكُمْ نُورَ الْهُدَى، وَعَلَى الْحَبَاءِ الْبَاقِي

٣٩ رثاء تولستوي

نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩١٠):

ولستُ أبالي حينَ أبكيكَ للورى حَوْنَكَ جِنَانٌ أَمْ حَوَاكَ سَعِيرُ
فإنِّي أَحِبُّ النَّابِغِينَ لِعِلْمِهِمْ وَأَعَشَقُ رَوْضَ الْفَكْرِ وَهُوَ نَضِيرُ
دعوتُ إلى عيسى فضجَّتْ كَنَائِسُ وهُزَّ لها عرشُ وَمَادَ سَرِيرُ
وفي آخر حياته مال تولستوي إلى الدين ميل زهد

وقالَ أناسٌ إِنَّه قولٌ ملحدٍ وقال أناسٌ إِنَّه لبشِيرُ
إذا زُرْتَ رَهْنَ الْمُحِبِّينَ بِحُفْرَةٍ بها الزهدُ ثاوٍ والذكاءُ سَتِيرُ .
إن زرت حفرة رهين المحبين أبي العلاء المعري التي فيها الزهد ثاو، مقيم، والذكاء ستير،
مستور . .

فَقِفْ ثم سَلِّمْ، واحتشِمْ إِنَّ شَيْخَنَا مَهِيْبٌ على رَغَمِ الْفَنَاءِ وَقُورُ
وسَائِلُهُ عَمَّا غَابَ عَنْكَ، فإنه عليمٌ بأسرارِ الْحَيَاةِ بَصِيرُ
يُخَبِّرُكَ الْأَعْمَى وإن كنتَ مبصراً بما لم تُخَبِّرْ أَحْرَفُ وَسُطُورُ
يُنَادِيكَ: أهلاً بالذي عاشَ عَيْشَنَا وماتَ ولم يَدْرُجْ إليه غُرُورُ
وكان تولستوي من النبلاء ذوي المال والمزارع، وترك هذا كله في آخر عمره زهداً

قَضِيَتْ حَيَاةٌ مِلْؤُهَا الْبِرُّ وَالتَّقَى فأنتَ بِأَجْرِ الْمُتَّقِينَ جَدِيرُ
حَيَاةُ الْوَرَى حَرْبٌ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا سلاماً، وأسبابُ الْكِفَاحِ كَثِيرُ
أَبَتْ سُنَّةُ الْعُمَرَانِ إِلَّا تَنَاحِرَا وكدحاً. ولو أَنَّ الْبَقَاءَ يَسِيرُ
سنة العمران: طبيعة المجتمع الإنساني

ولولا امتزاجُ الشَّرِّ بِالْخَيْرِ لم يَقُمْ دليلٌ على أَنَّ الْإِلَهَ قَدِيرُ
ولم يبعثِ اللَّهُ النَّبِيَّينَ لِلْهُدَى ولم يتطَلَّعْ لِلْسَّرِيرِ أَمِيرُ
السريـر: العرش

ولم يَعشِقِ الْعَلِيَاءَ حُرٌّ ولم يَسُدْ كريمٌ ولم يَزُجْ الثَّرَاءُ فَقِيرُ
فكم في طريقِ الشَّرِّ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ وكم في طريقِ الطَّيِّبَاتِ شُرُورُ

٤٠ يا واور قل لي

إعانة ملجأ رعاية الأطفال، أنشدنا في حفل بالأوبرا، فبراير/شباط (١٩١١):

صفحة البرق أَوْمَضَتْ في الغمام أم شهابٌ يَشْتُقُّ جوفَ الظلام؟
يصف القطار: أهو في سرعته كالبرق بين الغيوم، أم كالشهاب الساقط وسط الظلام؟

أَمْ سَلِيلُ الْبُخَارِ طَارَ إِلَى الْقَصْدِ دِ فَأَعْيَا سَوَابِقَ الْأَوْهَامِ؟
أم أن هذا هو سليل البخار، ابن البخار أي القطار، يطير نحو مقصده فيعجز سوابق الأوهام،
الخيال السابق عصره؟

مَرَّ كَاللَّمَحِ لَمْ تَكَدْ تَقِفُ الْعَيْدَ نُنْ عَلَى ظِلِّ جِرْمِهِ الْمُتْرَامِ
أَوْ كَشَرَحِ الشَّبَابِ لَمْ يَذَرْ كَاسِبَ هُ تَوَلَّى فِي يَقْظَةٍ أَوْ مَنَامِ
مر القطار سريعاً كعصر الشباب الباكر الذي يمر ويتقضي سريعاً فلا يدري كاسيه، أي صاحبه
المكتسي به، أذهب الشباب في اليقظة أم في الحلم

لَا يُبَالِي السُّرَى إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْلُ لُ وَخَانَتْ مَوَاقِعُ الْأَقْدَامِ
يَقْطَعُ الْبَيْدَ وَالْفَيَافِي وَحِيداً لَمْ تُضْعِضْهُ وَحْشَةُ الْإِظْلَامِ
البيد هي الفيافي هي الصحارى

لَيْسَ يَشْنِيهِ مَا يُذَيِّبُ دِمَاعَ الضُّدِّ بَّ يَوْمَ الْهَجِيرِ بَيْنَ الْمَوَامِي
ليس يشني القطار عن عزمه الحر الشديد، الذي تصورت العرب أنه يذيب دماغ الضب في الهجير،
القيظ، بين الموامي، أي الصحارى

لَا وَلَا يَعْتَرِيهِ مَا يُخْرِسُ النَّأَ بَحْ فِي الزَّمْهَرِيرِ بَيْنَ الْخِيَامِ
ولا يعتريه البرد الذي يجعل الكلب يخرس عن النباح بين خيام القوم في الزمهرير
هَائِمٌ كَالظَّلِيمِ أَزْعَجَهُ الصَّبِّ دُ وَرَاعَتْهُ طَائِشَاتُ السَّهَامِ
الظليم: ذكر النعام

يَا حَدِيداً بِنَسَابٍ فَوْقَ حَدِيدٍ كَانَسِيَابِ الرَّقْطَاءِ فَوْقَ الرَّغَامِ
الرقطاء: الحبة المرقطة أي المنقطة، والرغام: التراب

قَدْ مَسَحَتْ الْبِلَادَ شَرْقاً وَغَرْباً: بِذِرَاعِي مُشْمَرٍ مِقْدَامِ
بَيْنَ جَنْبَيْكَ مَا بِجَنْبِي لَكِنْ مَا بِجَنْبِي مُسْتَدِيمُ الضَّرَامِ
بين جنبيك أيها القطار حرارة من الرجل المشتعل كي ينتج البخار، وفي جنبي أنا لهيب. لكن
ضرام لهيب، اشتعاله، دائم

أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْفَرَامَ، وَإِنْ كُنْتُ سَتَ تُرِينَا زَفِيرَ أَهْلِ الْفَرَامِ
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْحَنِينَ إِلَى الْإِلَهِ فَمَا هَذِهِ الدُّمُوعُ الْهَوَامِي
الهوامي: الهاطلة.. يتحدث عن قطار يسير بالبخر

لَا تُبَالِي أَرْغَتَ بِالْبَيْنِ أَحَبَا بَأْ وَأَسْرَفْتَ فِي أَدَى الْمُسْتَهَامِ..
لَا تُبَالِي أَرْعَتَ، أَخَفْتُ، بِالْفِرَاقِ أَحْبَاباً وَأَسْرَفْتُ فِي إِلْهَاقِ الْأَذَى بِالْمُسْتَهَامِ، الْعَاشِقِ الْهَائِمِ..
أَمْ جَمَعْتَ الْأَعْدَاءَ فَوْقَ صَعِيدٍ وَخَلَطْتَ الْأَسْوَدَ بِالْآرَامِ
أم جمعت الأعداء داخلك على صعيد واحد، وخلطت الأسود، الرجال، بالآرام، بالنساء. سيقول
أحمد رامي بعد ثلاثين سنة من هذه القصيدة «يا وابور لُلي رايح على فين.. قربت غريب
وبعدت قريب/وجمعت حبيب على شمل حبيب» والوابور هو القطار، من كلمة «فيبر» ومعناها بخار

قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الزَّكَاةَ سَبِيلُ الدِّ قَبْلَ الصَّلَاةِ قَبْلَ الصِّيَامِ
لَمْ أَقِفْ مَوْقِفِي لِأَنْشِدِ شِعْراً صَبَّ فِي قَالِبٍ بَدِيعِ النَّظَامِ
إِنَّمَا قُمْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ نَشْوَى مِنْ كُؤُوسِ الْهُمُومِ، وَالْقَلْبُ دَامِ
ذُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عَيْشاً دُونَ شُرْبِي قَذَاهُ شُرْبِ الْجِمَامِ
ذقت عيشة أخف من قذاها، شوائبها ووسخها، الموت نفسه

فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَاناً وَتَنَقَّلْتُ فِي الْخُطُوبِ الْجِسَامِ
وَمَشَى الْهَمُّ ثَاقِباً فِي فُؤَادِي وَمَشَى الْحُزْنُ نَاحِراً فِي عِظَامِي
ثَاقِباً: مشتعلاً

فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعِطِفُ النَّأَا سَ عَلَى الْبَائِسِينَ فِي كُلِّ عَامِ

٤١ رثاء المرتاب

رثاء الدكتور شبلي شميل، أنشدها في فبراير/شباط (١٩١١):

سَكَنَ الْفِيلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرَابِ إِنَّ ذَاكَ السَّكُونُ فَضْلُ الْخُطَابِ
حُزْنَ الْعِلْمِ يَوْمَ مُتَّ، وَلَكِنْ أَمِنْ الدِّينِ صَبِيحَةَ الْمُرْتَابِ
بموتك حزن العلم، واطمأن الدين من صبيحة رجل مرتاب في الدين هو أنت

كَنْتُ تَبْغِي بَرْدَ الْيَقِينِ عَلَى الْأَر ضٍ وَتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ اللَّبَابِ
حاولت معرفة حقيقة الإنسان وخلقه وأنت بعد على الأرض حياً.. وهذا شيء قد يعرفه المرء بعد
موته

فاسترخ أبها المجاهدُ واهداً قد بلغت المرادَ تحتَ الترابِ

هذا عزاًؤنا كلنا.. فبعد الموت سنعرف حقيقة الحكاية

وعرفت اليقينَ وانبلَجَ الحقَّ- لعينيكَ ساطعاً كالشهابِ
ليتَ شعري وقد قَضِيتَ حَيَاةَ- بينَ شكٍّ وحَيْرَةٍ وارتِيَابِ..
هل أَتَاكَ اليقينُ مِنْ طُرُقِ الشكِّ- فَشكُّ الحكيمِ بَدْءُ الصَّوَابِ؟
لم يَكُنْ مُلْحِداً وَلَكِنْ تَصَدَّى- لِشُؤُونِ الْمُهَيِّمِينَ الوَهَابِ
رَامَ إدْرَاكَ كُنْهِ مَا أعْجَزَ النَّا- سَ قَدِيمَا، فلم يَفْزُ بِالطَّلَابِ
إِيَّه سُبُلِي! قد أَكْثَرَ النَّاسُ فِيكَ الد- قُولَ حَتَّى تَفَجَّئُوا فِي عِتَابِي
قِيلَ: تَرْنِي ذَاكَ الَّذِي يَنْكُرُ التُّو- رَ وَلَا يَهْتَدِي بِهَذِي الْكِتَابِ؟
قُلْتُ: كُفُّوا فَإِنَّمَا قَمْتُ أَرْضِي- مِنْهُ خِلَاً أَمْسَى طَوِيلَ الْغِيَابِ
أَنَا وَاللَّهِ لَا أَحَابِيهِ فِي الْقَو- لِي فَقَدْ كَانَ صَاحِبِي لَا يُحَابِي
أَنَا أَرْضِي شَمَائِلاً مِنْهُ عِنْدِي كُنَّ أَحْلَى مِنَ الشُّهَادِ الْمُذَابِ
أَرْضِي شَمَائِلاً مِنْهُ، أَي أَخْلَاقاً، عِنْدِي كُنَّ، أَي كُنَّ بِالنِّسْبَةِ لِي، أَحْلَى مِنَ الشُّهَادِ، جَمَعَ شَهِدَ
كَانَ حُرّاً الْآرَاءِ لَا يَعْرِفُ الْحُثْ- لَ وَلَا يَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصُّحَابِ
الختل: الخداع

مُفْضِلاً مُحْسِناً عَلَى الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ رِ، جَمِيعَ الْفُؤَادِ رَحَبَ الْجَنَابِ
كَانَ جَمِيعَ الْفُؤَادِ: شَجَاعاً، كَانَ رَحَبَ الْجَنَابِ: وَاسِعَ الصَّدْرِ كَرِيماً

كَانَ فِي الْوُدِّ مَوْضِعَ الثِّقَةِ الْكَبِ- رِي، وَفِي الْعِلْمِ مَوْضِعَ الْإِعْجَابِ
نُكِبَ الطَّبُّ فِيهِ يَوْمَ تَوَلَّى وَأَصْيَبَتْ رَوَائِعُ الْآدَابِ

٤٢ فراش العاشق

من قصيدة مدح في الخديوي عباس حلمي (١٩١١):

أَشْكُو لِذَاتِ الْخَالِ مَا صَنَعْتَ بِنَا تِلْكَ الْعُيُونُ وَمَا جَنَاهُ الْمِعْصَمُ
لَوْ تَنْظُرِينَ إِلَيْهِ فِي جَوْفِ الدُّجَى مَتَمَلِّمَلاً مِنْ هَوْلِ مَا يَتَجَسَّمُ
يَمْشِي إِلَى كَنْفِ الْفِرَاشِ مُحَاذِراً وَجِلاً يُؤَخِّرُ رَجْلَهُ وَيُقَدِّمُ
يَرْمِي الْفِرَاشَ بِنَاطِرِيهِ وَيَنْشَنِي جَزَعاً وَيُقَدِّمُ بَعْدَ ذَاكَ وَيُحْجِمُ

يخشى العاشق دخول فراشه لأنه لن يستطيع النوم، وسيتقلب متألماً من عشقه

رُشِقَتْ بِهِ فِي كُلِّ جَنْبٍ مُذِيَّةٌ وَاَنْسَابَ فِيهِ بِكُلِّ رُكْنٍ اَرْقَمُ
فَكَانَ فِي كُلِّ جَنَابٍ فَرَاشَهُ مَدَى، سَكَكَيْنِ، وَقَدْ اَنْسَابَ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ اَرْقَمٍ، نَعْبَانِ

فَكَأَنَّهُ فِي هَوْلِهِ وَسَعِيرِهِ وَاِذْ قَدْ اَظْلَعَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ
هَذَا وَحَقِّكَ بَعْضُ مَا كَابَدْتُهُ مِنْ نَاطِرِيكَ، وَمَا كَتَمْتُكَ اَعْظَمُ
أَضَعْتُ إِلَى قَوْلِ الْوُشَاةِ فَأَسْرَفْتُ فِي هَجْرِهَا وَجَنْتُ عَلَيَّ وَأَجْرُمُوا
حَتَّى إِذَا يُسَّسَ الطَّبِيبُ وَجَاءَهَا أَنِّي تَلِفْتُ تَنَدَّمْتُ وَتَنَدَّمُوا

٤٣ المتصدي للخديوي

رثاء مصطفى رياض، رئيس وزراء مصر في ثلاث حكومات، وأنشدها في حفل الأربعين
يوليو/تموز (١٩١١):

وَقَفْتُ لِإِسْمَاعِيلَ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ وَفِي كَفِّهِ سَيْفٌ مِنَ الْبَطْشِ يَلْمَعُ
كَانَ رِيَاضُ بَاشَا نَائِبَ رَئِيسِ لَجْنَةِ التَّحْقِيقِ فِي الْوَضْعِ الْمَالِي لِمِصْرَ فِي آخِرِ عَهْدِ الْخَدِيوِيِّ
إِسْمَاعِيلَ، وَرَغْمَ أَنَّهُ صَنِيعَةُ إِسْمَاعِيلَ فَقَدْ أَدَّى دَوْرَهُ بِأَمَانَةٍ مِمَّا أَرَعَجَ الْخَدِيوِيُّ، لَكِنِ الْإِنْجِلِيزِ
وَالْفَرَنْسِيِّينَ دَعَمُوا رِيَاضًا. وَبَعْدَ ذَلِكَ بَسَنَةً وَبَعْضَ السَّنَةِ تَوَلَّى رِيَاضُ رِثَاةَ أَوَّلِ حُكُومَةٍ فِي عَهْدِ
الْخَدِيوِيِّ تَوَفَّقَ بَعْدَ عَزْلِ إِسْمَاعِيلَ

إِذَا صَاحَ لَبَّاهُ الْقَضَاءُ وَأَسْرَعْتُ إِلَى بَابِهِ الْأَيَّامُ، وَالنَّاسُ خُشَّعُ
كَأَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدْرَ كَانَا فِي خِدْمَةِ إِسْمَاعِيلَ

فَمَا أَغْلَبَ شَاكِي الْعَزِيمَةِ أَرْوَعُ يُصَارِعُهُ فِي الْغَابِ أَغْلَبُ أَرْوَعُ..
فَلَيْسَ الْأَغْلَبُ، أَيُّ الْأَسَدِ، الشَّاكِي الْعَزِيمَةِ، الْمُسْلِحَ بِجُرْأَتِهِ وَعِزْمِهِ، الْأَرْوَعُ، الشَّجَاعُ، الَّذِي
يُصَارِعُ مِثْلَهُ فِي الْغَابَةِ..

بِأَجْرٍ مِنْ ذَاكَ الْوَزِيرِ مَصَادِمًا إِرَادَةَ إِسْمَاعِيلَ وَالْمَوْتُ يَسْمَعُ
لَيْسَ بِأَجْرًا مِنْ هَذَا الْوَزِيرِ وَهُوَ يَصَادِمُ الْخَدِيوِيَّ إِسْمَاعِيلَ، وَهُوَ يَسْمَعُ صَوْتَ الْمَوْتِ يَتَهَدَّدُ

وَأَرَهَبْتُ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَارْعَوْا وَكَانُوا أَنْاسًا فِي الْجَهَالَةِ أَوْضَعُوا
أَرَهَبْتُ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَارْعَوْا، كَفُّوا عَنْ غِيهِمْ، وَكَانُوا قَدْ أَوْضَعُوا، أَسْرَعُوا، فِي طَرِيقِ الْجَهَالَةِ،
الضَّلَالِ

فَخَافُوكَ حَتَّى لَوْ تَنَاجَوْا بِنَجْوَةٍ لَخَالُوا رِيَاضًا فَوْقَهُمْ يَتَسَمَّعُ
تَنَاجَوْا: تَهَامَسُوا

أَقَمْتُ عَلَيْهِمْ زَاجِرًا مِنْ نَفْسِهِمْ إِذَا سَوَّلَتْ أَمْرًا لَهُمْ قَامَ يَرْدَعُ

٤٤ اعتذار عن التخلف

اعتذار إلى أحمد شوقي، عن عدم حضور زواج ابنته، نشرت في يناير/ كانون الثاني (١٩١٣):

قد عاقني سوء حظي عن حفلة المهرجان
وقد كفاني عقاباً ما كان من جرمانى
إن فاتني أن أوفي بالأمس حقّ الثّهاني
فأقبله مني قضاءً وكُن كريم الجنان

الجنان: القلب

والله يقبل منّا الصَّـ لاةً بـمعدّ الأوان

٤٥ القُعود

من محاوره بين حافظ و خليل مطران في حفل أقامته جمعية رعاية الطفل بالأوبرا:
نشرت في مارس/ آذار (١٩١٣):

قعدت شعوب الشرق عن كسب المَحامِدِ والمَفاخرِ
فَوَنت وفي شرعِ التَّنَا حُرْمَن وَنَى لا شَكَّ خَاسِرُ

ونت: توانت وكسكت

تَمشي الشعوبُ لِقَصْدِهَا قُدُماً وشعبُ النّيلِ آخِرُ

٤٦ رثاء متأخر

(١٩١٤):

مَلِيتُ وقوفي بينكم مُتَلَهِّفاً على راحلٍ فارَّقْتُهُ فَشَجَانِي
أفي كلِّ يومٍ يَبْضَعُ الحزنُ بَضْعَةً مِن القلبِ؟ إِنِّي قد فَقَدْتُ جَنَانِي

يبضع بضعة: يقطع قطعة، والجنان هو القلب

كفاني ما لُقيْتُ مِن لَوْعَةِ الأَسَى، وما نابني يومَ الإمامِ كَفَانِي

كفاني ذلك الحزن على الإمام محمد عبده

تَفَرَّقَ أَحبابِي وأهلي، وَأَخْرَتُ يَدُ اللَّهِ يَوْمِي فانتظرتُ أواني

وفي ذمّتي ليليازجيّ وديعةً وأخرى ليزيدان وقد سبّقاني
في ذمّتي وديعة، أمانة، برّاء إبراهيم اليازجي وتوفي قبل القصيدة بشماني سنين، وأخرى برّاء
جرجي زيدان، وقد سبقاني للقبر. . . وهل ترانا يا حافظ سنظن أنك سبقتهما؟

فيا ليت شعري ما يقولان في الثرى إذا التّقيا يوماً وقد ذكّراني
وقد رمّيا بالطّرف بين جموعكم ولم يشهدا في المشهدين مكاني
أيجملُ بي هذا العقوق، وإنّما على غير هذا العهد قد عرّفاني
دعائي وفائي يوم ذاك فلم أكن ضنيناً ولكنّ القريض عَصاني

٤٧ شعرنا وشعرهم

تحية إلى واصف غالي، وقد نشر ترجمة لقصائد من الشعر العربي القديم إلى
الفرنسية، يونيو/حزيران (١٩١٤):

غرست من زهراي الشرق طائفةً في أرض هيجو فجاءت طُرْفَةُ الجاني
غرست من زهراي الشعر العربي مجموعة في أرض هيجو، فرنسا، فكانت شيئاً طريفاً، غريباً،
لمن يجني هذه الزهراي أي لمن يقرأ هذه الأشعار

أسمعتهم من نسيب القوم فانطلقت شؤون كل شجي القلب ولهان
انطلقت شؤون كل شجي القلب: اندفعت الدموع من عينيه، «فالشؤون» مجاري الدمع في العيون

وزدّتهم من كلام البحّري قطعاً مثل الرياض كسّها كفّ نيسان
سلّ ألفريد ولامرتين هل جرّبا مع الوليد أو الطائي بميدان
ألفريد دي موسيه، ولامرتين من شعراء فرنسا، والوليد هو البحري، والطائي هو أبو تمام

ما لي أفاخرُ بالموثى وبين يدي من شعر أحيائنا ما ليس بالفاني
في شعر شوقي وصبري ما نتيه به على نوابغهم، دغ شعر مظران
أي ناهيك بشعر مظران

٤٨ فلهم القصاب

إلى فلهم الثاني إمبراطور ألمانيا وقد بدأت الحرب العالمية الأولى، نشرت في يناير/
كانون الثاني (١٩١٥):

لا تحسبنّ الفخر ما أحرزته الفخر بالذكر الجميل رهين
هل شدت في برلين غير معسكر قامت عليه معاقل وحصون

وَجَمَعْتَ شَعْبَكَ كُلَّهُ فِي قَبْضَةٍ إِنَّ لَمْ تَكُنْ لَأَنْتَ فَسُوفَ تَلِينُ
نَظَّمْتَ تِجَارَتُكَ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى فَالْنَيْلُ نَاءٌ بِهَا وَنَاءُ السَّيْنِ
النشاط التجاري الألماني انتشر في كل مكان، وناء به، تضرر من ثقله، الناس في مصر وفي
فرنسا. . والسين نهر باريس

فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجَالِكَ غُضْبَةٌ وَبِكُلِّ بَحْرٍ مِنْ لَدُنْكَ سَفِينُ
فَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْمُهَنْدُ مُغَمَّدُ وَالنَّهْيُ نَهْيُكَ وَالسَّرَى مَأْمُونُ
كان الأمر والنهي لك قبل الحرب، وكانت الطرق آمنة والسرى، سير الليل، آمناً. وكان للألمان
مع الدولة العثمانية عهود وتجارات وإنشاءات

فَعَلَامَ أَرَهَفْتَ الْوَرَى وَأَثَرَتْهَا شَعْوَاءَ فِيهَا لِلْهَلَاكِ فَنُونُ؟
تَاللَّهِ لَوْ نُصِرْتَ جِيوشُكَ لَا نَظَوَى أَجَلَ السَّلَامِ وَأَقْفَرَ الْمَسْكُونُ
سَبْعُونَ مِليوناً إِذَا وَزَعَتْهَا بَيْنَ الْحَوَاضِرِ نَالِنَا مِليونُ
لو انتصرت فسوف يقفر المسكون، أي العالم، وستوزع السبعون مليون ألماني على الدنيا،
وسيكون نصيب مصر منهم مليوناً. مع بدء الحرب العالمية الأولى كان عدد سكان ألمانيا ٦٨
مليوناً، وسكان مصر عشرة ملايين. اليوم في مطلع ٢٠١٧: ألمانيا: ٨٠، ومصر ٩٢ مليوناً

أَكْثَرْتَ مِنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ تَوَرُّعاً وَزَعَمْتَ أَنَّكَ مُرْسَلٌ وَأَمِينُ
عَجَباً أَنْذَكُرُهُ وَتَمَلُّاً كَوْنُهُ وَيَلَاءً، لِيَسْنَمَ شَعْبُكَ الْمَغْبُونُ
وَكَذَلِكَ الْقَصَابُ يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالنَّصْلُ فِي عُتْقِ الذَّبِيحِ دَفِينُ

٤٩ لا مثيل للإنجليز!

تهنئة السلطان حسين كامل بالسلطنة، يناير/ كانون الثاني (١٩١٥):

هَنِيئاً أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَجَلُ لَكَ الْعَرْشُ الْجَدِيدُ وَمَا يُظِلُّ
العرش الجديد: عرش مصر الذي أصبح صاحبه الآن سلطاناً لا مجرد خديوي، فدخل تركيا
الحرب العالمية الأولى مع المحور ضد بريطانيا جعل بريطانيا تلغي تبعية مصر لإستانبول، وتعزل
الخديوي عباساً وتولي حسين كامل العرش باسم «السلطان»، مضاهاة للقب «السلطان» العثماني.
فله العرش وله ما يظله هذا العرش، وهو يظل أرض مصر

وَجَدُّ سِيرَةِ الْعُمَرَيْنِ فِينَا فَإِنَّكَ بَيْنَنَا لِلْهُ ظِلُّ
العرمان: أبو بكر وعمر

فِعِشْ لِلْنَيْلِ سُلْطَاناً أَبِيّاً لَهُ فِي مُلْكِهِ عَقْدٌ وَحَلُّ

وَوَالِ الْقَوْمَ إِنَّهُمْ كِرَامٌ مَيَامِينُ النَّقِيبَةِ أَيْنَ حَلُّوا
 ينصحه بموالاة الإنجليز فهم ميامين النقية، كرام الطباع، ولهم في كل بلد يحلون مآثر. السلطان
 لم يكن بحاجة للتصيحة فالإنجليز هم الذين ولوه العرش، وأما أنهم كرام ففي هذا نظر
 لَهُمْ مُلْكٌ عَلَى التَّامِيزِ أَضَحَتْ ذُرَاهُ عَلَى الْمَعَالِي تَسْتَهْلُ
 ملكهم على نهر التمز، نهر لندن، ذراه، قمم تستهل، وتظهر، على المعالي
 فَإِنْ صَادَقْتَهُمْ صَدَقُوكَ وَدَا وَلَيْسَ لَهُمْ، إِذَا فَتَشْتَ، مِثْلُ
 وَإِنْ نَادَيْتَهُمْ لَبَّاكَ مِنْهُمْ أَسَاطِيلُ وَأَسِيفٌ تُسَلُّ

٥٠ شكسبير

في ذكرى ثلاثمئة عام على وفاة شكسبير، نشرت في مارس/ آذار (١٩١٦):

يُحْيِيكَ مِنْ أَرْضِ الْكِنَانَةِ شَاعِرٌ شَغُوفٌ يَقُولُ الْعَبْقَرِيِّينَ مُغْرَمٌ
 نظرت بعين الغيب في كل أمة وفي كل عصر ثم أنشأت تحكّم
 فلم تخطئ المرمى، ولا غرّو أن دنت لك الغاية القُصوى، فإنك ملهم
 أفتق ساعةً وانظر إلى الخلق نظرة تجدهم وإن راق الطلاء هم هم
 فليبتك تحيا يا أبا الشعر ساعة لينتظر ما يضمني ويذمي ويؤلم

بصمي: يصب إصابة قاتلة

وقائع حرب أجج العلم ناراها فكاد بها عهد الحضارة يُختم

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨

وَتَعْلَمَ أَنَّ الطَّبَعَ مَا زَالَ غَالِبًا سِوَاءَ جَهْوِ الْقَوْمِ وَالْمَتَعْلَمِ
 ولوع بتصوير الطباع فلم يجز بعاطفة إلا حَسْبْنَاهُ يَرْسُمُ
 لشكسبير ولع بتصوير طباع البشر فلم يجز، يمر، بعاطفة إلا وصفها كأنه يرسمها رسماً

وقالوا تَحَدَّانَا بِمَا يُعْجِزُ النَّهْيَ فَلَسْنَا إِذْ أَنْارَهُ نَتَرَسَّمُ

قال بعضهم: لن نرسم آثار شكسبير، ولن نحاكبه، لأنه تحدانا بما يعجز النهي، العقول

وَلَمْ يَتَحَدَّ النَّاسَ لَكِنَّهُ أَمْرٌ بِمَا كَانَ فِي مَقْدُورِهِ يَتَكَلَّمُ

لئن كان في ضخم الأساطيل فخركم لفخركم بالشاعر الفرد أعظم

أيها الإنجليز فخركم بشكسبير أعظم من فخركم بأساطيلكم الضخمة. لو عاش حافظ
 حتى عام ١٩٤٥ لراى بريطانيا تسلم قوتها البحرية للولايات المتحدة بكل هدوء ضمن
 خطة «الإعارة والإيجار» الأميركية. في هذا العام ٢٠١٦ - وأنا أكتب في اليوم قبل

الأخير من أيامه - احتفل العالم بالذكرى الأربعمئة على وفاة شكسبير . يبدو أن الرجل خالد فعلاً رغم ما رماه به تولستوي من نقد جارف ماحق، وأديب روسيا الكبير قرأ شكسبير بالإنجليزية وبالروسية ولم يجد فيه عظمة، ونال من الإنجليزي جورج أورويل ما يستحق من ردة . وحافظ إبراهيم لم يقرأ شكسبير لا بالروسية ولا بالإنجليزية، ولكنه اطلع على بعض مسرحياته من ترجمات صديقه مطران عن الفرنسية . وللأمانة أقول إنني قرأت عدداً من مسرحيات شكسبير في بداية سن الشباب في ترجمات مطران، وعندما قرأت بعضها بلغتها لم أجد فيها شيئاً مختلفاً، ولا ألوم نفسي، بل أتذكر آدم متز . فهذا المستشرق الألماني كتب كتاباً كبيراً عن الحضارة العربية استند فيه إلى عشرات المخطوطات والكتب القديمة التي حرثها حراثته وأظهر في كتابه معرفة عميقة باللغة العربية في شتى عصورها، آدم متز هذا عندما بدأ يتكلم عن الشعر العربي منح المتنبي فقرة صغيرة ونبذه ظهرياً واستخف بأبي فراس الحمداني استخفافاً، ثم رأته منح الصنوبري صفحات عدة ومدحه كثيراً! وجدته لا يحسن بما في الشعر من تيار خفي يتجاوز المعنى الظاهر . ولو عاش متز لسمع نصيح الفرنسي بلاشير في الصفحات الأخيرة من كتابه عن المتنبي لشاب إلى الرشد: لقد أقر بلاشير، وهو من خير من يفهم العربية بين كل المستشرقين، بأن الإحساس بالشعر هو شغل أبناء اللغة الأصليين، خيراً قال

٥١ بين شوقي وحافظ

نشرت القطعتان عام (١٩١٧) كتب شوقي من منفاه بإسبانيا:

يا سَاكِنِي مِصرَ إِنَّا لَا نَزَالُ عَلَى عهدِ الوفاءِ - وَإِنْ غَبْنَا - مُقِيمِينَا
هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءٍ نَهْرِكُمْ شيئاً نُبَلُّ بِهِ أَحْشَاءَ صَادِينَا

صادينا : عطشاننا

كُلُّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَ النِّيلِ آسِنَةٌ مَا أَبْعَدَ النِّيلَ إِلَّا عَنْ أَمَانِينَا

آسنة : راكدة فاسدة

فأجابه حافظ:

عَجِبْتُ لِلنِّيلِ يَدْرِي أَنْ بُلْبُلُهُ صَادٍ وَيَسْقِي رُبَا مِصرٍ وَيَسْقِينَا
وَاللَّهُ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوْرَدُهُ وَلَا ارْتَضَوْا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِمْ لِينَا
لَمْ تَنَأَ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتَ شَاطِئَهُ وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَا

٥٢ أيا صوفيا

قالها في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقد خيف أن تحتل دول الغرب إستانبول، وتعود آيا صوفيا كنيسة، ونشرت في (١٩٣٢):

أَيَا صُوفِيَا حَانَ التَّفَرُّقُ فَادْكُرِي عهدَ كرامٍ فَيْكِ صَلَّوْا وَسَلَّمُوا

نفذ حافظ يديه من إستانبول وظن دول الغرب ستمتلئها وتحول المعلم المشهور إلى كنيسة مثلما كان

فلا تُنْكِرِيْ عَهْدَ الْمَآذِنِ إِنَّهُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عَهْدِ النَّوَاقِسِ أَكْرَمُ
 وَكَيْفَ يَذُلُّ الْمُسْلِمُونَ وَبَيْنَهُمْ كِتَابُكَ يُتْلَى كُلَّ يَوْمٍ وَيُكْرَمُ؟
 نَبِيُّكَ مَحْزُونٌ وَبَيْتُكَ مُطْرِقٌ حَيَاءٌ وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نُومٌ
 عَصَيْنَا وَخَالَفْنَا فَعَاقَبْتَ عَادِلًا وَحَكَّمْتَ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ
 فِي كُلِّ الْعَصُورِ، عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَسِيحِيِّينَ وَعِنْدَ كُلِّ النَّاسِ فِي كُلِّ الْأَزْمَاتِ، تَتَرَدَّدُ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ
 عِبَارَةٌ: «عَصَيْنَا اللَّهَ فَهَذَا عِقَابُ مِنْهُ»، وَهِيَ عِبَارَةُ الْمَغْلُوبِينَ الْمُتَوَاكِلِينَ الْمُهْمَلِينَ اللَّاعِقِلَانِينَ
 الْكَسَالَى الَّذِينَ يَلْقَوْنَ بِاللُّومِ فِي هَزِيمَتِهِمْ عَلَى الْآلِهَةِ بَيْنَمَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا حَضَرَاتِهِمْ

٥٣ حياء السلطان المعطاء

رثاء السلطان حسين كامل، نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩١٧):

دُكَّ مَا بَيْنَ صَخَوَةٍ وَعَشِيٍّ شَامِخٌ مِنْ صُرُوحِ آلِ عَلِيٍّ
 انهدم صرح شامخ من صروح آل «محمد علي» مؤسس الدولة، وهذا الصرح هو السلطان حسين
 كامل

حَسَنَ الْخَطْبُ فَيْكَ أَلْسِنَةُ الْقَوِ لِي، وَأَعْيَا قَرِيحَةَ الْعَبَقَرِيِّ
 وَإِذَا جَلَّتِ الْخَطُوبُ وَطَمَّتْ أَعْجَزْتُ فِي الْقَرِيضِ طَوْقَ الرَّوِيِّ
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَى انْبِسَاطِكَ لِلضَّيْبِ فِيفَ وَذِيَالِكَ الْحَدِيثِ الشَّهِيِّ
 وكان السلطان يقرب حافظاً قبل تولي السلطنة وبعده

يَحْسَبُ الدَّارَ دَارَهُ وَهُوَ يَمْشِي فَوْقَ زَاهِيِ بَسَاطِكَ الْأَحْمَدِيِّ
 الضيف يحسب دارك داره، وأنت تبسط له البساط الأحمدي، أي تعامله بأريحية (وأصل العبارة
 بساط كان للسيد أحمد البدوي وكان كلما قعد ناس عليه اتسع)

خُلِقْتُ مِثْلَمَا نَشَقَّتْ أَرِيحَ الزَّيِّ هَرِ جَادَتْهُ زُورَةُ الْوَسْمِيِّ
 أخلاقك كانت كرائحة الزهر وقد جادته، أمطرته، مطرة الوسمي، وهي أول مطر الربيع
 وَاهْتِزَّازُ لِلْعُرْفِ مِثْلُ اهْتِزَازِ السَّيْفِ فِي قَبْضَةِ الشَّجَاعِ الْكَمِيِّ
 الكمي: المسلح

وَحَيَاءٌ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ يَنْفِي خَجَلَ السَّائِلِ الْكَرِيمِ الْأَبِيِّ
 رَحِمَ اللَّهُ يَا حُسَيْنُ خِلَالًا فَيْكَ لَمْ يَجْتَمِعْنَ فِي نَفْسٍ حَيٍّ

٥٤ العُمَرِيَّة

أَلْقَيْتَ فِي مَدْرَجِ وَزَارَةِ الْمَعَارِفِ مَسَاءَ الْجُمُعَةِ ٨ فَبْرَايِر/شِبَاط (١٩١٨):

حَسَبُ الْقَوَافِي وَحَسْبِي حِينَ أَلْقَيْهَا أَتَيْتُ إِلَى سَاحَةِ الْفَارُوقِ أَهْدِيهَا
حَسَبُ الْقَوَافِي، يَكْفِيهَا، شَرَفًا أَنَّهَا فِي الْفَارُوقِ

مَوْلَى الْمُغِيرَةِ، لَا جَادَتُكَ عَادِيَّةٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا
يَا مَوْلَى الْمُغِيرَةِ، يَا أَبَا لَوْلُؤَةَ قَاتِلَ عَمْرٍ، لَا جَادَتُكَ غَادِيَّةٌ، لَا أَمْطَرْتِكَ سَحَابَةً، مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا
ظَلَّتْ رَحْمَةُ اللَّهِ تَجُودُ بِالسَّحَابِ عَلَى الْبَشَرِ

طَعَنْتَ خَاصِرَةَ الْفَارُوقِ مَنْتَقِمًا مِنْ الْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَى مَجَالِيهَا
الحَنِيفَةُ: الدِّينُ الْحَنِيفُ، مَجَالِيهَا: تَجَلِيَّاتُهَا، فَالْخَلِيفَةُ هُوَ مِمثِلُ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَرَأْسُهُ

فَأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ حَائِرَةً تَشْكُو الْوَجِيعَةَ لَمَّا مَاتَ أَسِيهَا
الْوَجِيعَةُ: الْمَصِيبَةُ، أَسِيهَا: طَبِيبُهَا

وَاللَّهُ مَا غَالَهَا قَدْماً وَكَادَ لَهَا وَاجْتَتْ دَوْحَتَهَا إِلَّا مَوَالِيهَا
مَا اغْتَالَ الدِّينَ مِنْذُ الْقَدَمِ وَاجْتَتْ دَوْحَتَهُ، قَطَعَ شَجَرَتَهُ، إِلَّا الْمَوَالِي مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ

لَوْ أَنَّهَا فِي صَمِيمِ الْعُرْبِ قَدْ بَقِيَتْ لَمَّا نَعَاهَا عَلَى الْأَيَّامِ نَاعِيهَا
يَا لَيْتَهُمْ سَمِعُوا مَا قَالَهُ عُمَرُ وَالرُّوحُ قَدْ بَلَغَتْ مِنْهُ تَرَاقِيهَا
التَّرَاقِي: عِظَامُ أَعْلَى الصَّدْرِ

لَا تُكْثِرُوا مِنْ مَوَالِيكُمْ فَإِنَّ لَهُمْ مَطَامِعًا بِسَمَاتِ الضَّعْفِ تُخْفِيهَا
رَأَيْتُ فِي الدِّينِ آراءَ مُوَفَّقَةٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ قِرْآنًا يُزَكِّيهَا
كَانَتْ لِعَمْرِ آراءُ عِدَّةٍ وَافَقَهَا الْقُرْآنُ مِنْ بَعْدِ وَزَكَاهَا، أَفْرَها

سَمِعْتُ سُورَةَ طهَ مِنْ مُرْتَلِّهَا فَزُلْزِلَتْ نِيَّةٌ قَدْ كُنْتَ تَنْوِيهَا
سَمِعْتُ عَمْرَ سُورَةَ طهَ فَعَدَلَ عَنْ نِيَّتِهِ إِيقَاعَ الْأَذَى بِالْمُسْلِمِينَ، وَأَسْلَمَ

وَيَوْمَ أَسْلَمْتَ عَزَّ الْحَقُّ وَارْتَفَعْتُ عَنْ كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقَالَ يُعَانِيهَا
وَمَوْقِفٍ لَكَ بَعْدَ الْمَصْطَفَى افْتَرَقْتُ فِيهِ الصَّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيهَا
لَمَّا غَابَ الْهَادِي، الرَّسُولُ، افْتَرَقَ الصَّحَابَةُ بَيْنَ أَنْصَارٍ وَمُهَاجِرِينَ، وَكَانَ لِعَمْرِ مَوْقِفُ الْفَيْصَلِ

بَابِيعَتَ فِيهِ أَبَا بَكْرٍ فَبَايَعَهُ عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِبِيهَا وَدَانِيهَا

وأُطْفِئَتْ فِتْنَةٌ لَوْلَاكَ لاسْتَعَرْتُ بين القبائل، وانسابت أفاعيها
فَلَيْلَسَّقِيفَةٍ يَوْمَ أَنْتَ صَاحِبُهُ فيه الخلافةُ قد شيدتُ أواسيها
في سقيفة بني ساعدة كان ثمة يوم، يوم مشهود بطله عمر، وفيه شيدت وبنيت أواسي الخلافة،
دعائهما، جمع آسية

وقَوْلُهُ لِعَلِيِّ قَالَهَا عَمْرٌ أَكْرِمَ بِسَامِعِهَا أَعْظَمَ بِمُحْلِقِهَا!
«حَرَقْتُ دَارَكَ لَا أَبْقِي عَلَيْكَ بِهَا إن لم تباع»، وبنيت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حَفْصٍ يَفْؤُهُ بِهَا أَمَامَ فَارِسِ عَدْنَانَ وَحَامِيهَا
أبو حفص: عمر، فارس عدنان: علي بن أبي طالب

سَلْ قَاهِرَ الْفَرَسِ وَالرُّومَانِ هَلْ شَقَعْتُ له الفتوحُ وهل أَغْنَى تَوَالِيهَا
قاهر الفرس والروم: خالد بن الوليد

مَا وَقَعَ الرُّومَ إِلَّا فَرَّ قَارِحُهَا ولا رمى الفُرسَ إِلَّا طَاشَ رَامِيهَا
قارحها: كبيرها المجرب

وَلَمْ يَجْزُ بِلَدَّةٍ إِلَّا سَمِعَتْ بِهَا «اللَّهُ أَكْبَرُ» تَذْوِي فِي نَوَاحِيهَا
لم يجز بلدة: لم يمر بها

أَتَاهُ أَمْرُ أَبِي حَفْصٍ فَقَبَّلَهُ كَمَا يُقَبَّلُ آيَ اللَّهِ تَالِيهَا
أتى أمر أبي حفص، عمر، لخالد بالعزل، فقبل الكتاب وعزل نفسه

وَاسْتَقْبَلَ الْعَزْلَ فِي إِبَّانٍ سَطَوْتِهِ ومجده مُسْتَرِيحَ النَّفْسِ هَادِيهَا
إِنَّ الَّذِي بَرَأَ الْفَارُوقَ نَزَّهَهُ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْأَغْرَاضِ تَنْزِيهَا
قبل إن لعمر غرضاً من عزل خالد، هو الحسد لمكانته أو الحقد عليه لخصومة قديمة، ولكن
شاعرنا ينزه عمر عن النقائص والأغراض

وَرَاغَ صَاحِبَ كَسْرَى أَنْ رَأَى عُمَرَاً بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُطْلاً وَهُوَ رَاعِيهَا
رسول كسرى ريع، تعجب ودهش، لما رأى عمر عطلاً، معطلاً من الحراسة، يمشي بين الرعية

وَعَهْدُهُ بِمَلُوكِ الْفَرَسِ أَنَّ لَهَا سُوراً مِنَ الْجُنْدِ وَالْأَحْرَاسِ يَحْمِيهَا
رَأَةً مُسْتَفْرِقاً فِي نَوْمِهِ فَرَأَى فِيهِ الْجَلَالََةَ فِي أَسْمَى مَعَانِيهَا
فَهَانَ فِي عَيْنِهِ مَا كَانَ يُكْبِرُهُ مِنَ الْأَكَاسِرِ وَالْدُنْيَا بِأَيْدِيهَا
هان في عيني رسول كسرى ما كان يعظمه، ويبجله، من أكاسرة الفرس وهي الملوك التي تملك الدنيا

وَقَالَ قَوْلَهُ حَقٌّ أَصَبَحْتُ مَثَلًا
أَمِنْتُ لَمَّا أَقَمْتُ الْعَدَلَ بَيْنَهُمْ
وَمَا اسْتَبَدَّ بِرَأْيِي فِي حُكُومَتِهِ
إِنْ جَاعَ فِي شِدَّةِ قَوْمٍ شَرَكْتَهُمْ
وَأَصْبَحَ الْجَبِلُ بَعْدَ الْجَبَلِ يَرُوبِهَا
فَنِمْتُ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا
إِنَّ الْحَكُومَةَ تُغْرِي مُسْتَبِدِّيَهَا
فِي الْجُوعِ أَوْ تَنْجَلِي عَنْهُمْ غَوَاشِيهَا
غَوَاشِيهَا: جمع غاشية، مصائبها

فَمَنْ يُبَارِي أَبَا حَفْصٍ وَسِيرَتَهُ
يَوْمَ اسْتَهَتْ زَوْجُهُ الْحَلَوَى فَقَالَ لَهَا:
أَغْنَتْ عَنِ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ دِرَّتُهُ
فَكَمْ أَخَافْتُ غَوِيَّ النَّفْسِ عَاتِيهَا
أَوْ مَنْ يَحَاوِلُ لِلْفَارُوقِ تَشْبِيهَا
مَنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ الْحَلَوَى فَأَشْرِيهَا
دِرَّتُهُ: سوطه، وكان لعمر سوط يؤدب به المخالفين والعتاة، المتجبرين بالناس

أَخَافَ حَتَّى الذَّرَارِي فِي مَلَاعِبِهَا
وَرَاعَ حَتَّى الْعَوَانِي فِي مَلَاهِيهَا .
الذراري: الأولاد من ذرية الرجل، فقد فر منه الأولاد في لعبهم عندما ظهر، ولم يثبت له سوى
ولد واحد في قصة معروفة، وكذا الغواني، أي النساء، في لهنهن .

أَرَيْتَ تِلْكَ الَّتِي لِلَّهِ قَدْ نَذَرْتُ
أُنْشُودَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ تُهْدِيهَا
أَرَيْتَ، هل رأيت، تلك المرأة التي نذرت أن تهدي للرسول أغنية .

قَالَتْ: نَذَرْتُ لَشَيْءٍ عَادَ النَّبِيُّ لَنَا
وَيَمَّمْتُ حَضْرَةَ الْهَادِي وَقَدْ مَلَأَتْ
وَاسْتَأْذَنْتُ وَمَشَّتْ بِالْذُّفِّ وَانْدَفَعَتْ
مِنْ غَزْوَةٍ لَعَلَّى دُفِّي أُغْنِيهَا
أَنْوَارُ طَلَعَتْهُ أَرْجَاءُ نَادِيهَا
تُشْجِي بِالْحَانِيهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا
مشت بالدف تغني وتطرب بالحانها ما شاء الله الذي يشجي القلوب

وَالْمُصْطَفَى وَأَبُو بَكْرٍ بِجَانِبِهِ
حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بُعْدِ لَهَا عَمْرٌ
لَاحَ عَمْرٌ فَكَفَتْ عَنِ الْغَنَاءِ وَارْتَبَكَتْ حَتَّى كَادَ الْخَوْفُ يَرْدِيهَا، يَقْتُلُهَا .

وَحَبَّأْتُ دُفَّهَا فِي ثَوْبِهَا فَرَقَاً
مِنْهُ، وَوَدَّتْ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِيهَا
فَرَقَاً: خوفاً

قَدْ كَانَ جِلْمُ رَسُولِ اللَّهِ يُؤْنِسُهَا
فَجَاءَ بَطْشُ أَبِي حَفْصٍ يُخَشِّئُهَا
فَقَالَ مَهْطٌ وَخِي اللَّهُ مَبْتَسِمًا
وَفِي ابْتِسَامَتِهِ مَعْنَى يُوَاسِيهَا
مهبط الوحي: موضع هبوطه، وهو النبي

قد فَرَّ شَيْطَانُهَا، لَمَّا رَأَى عُمَرَاً إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَخْشَى بَأْسَ مُخْزِيهَا
وَفِتْنِيَةً وَلِعُمُوهُ بِالرَّاحِ فَاِنتَبَذُوا لَهُمْ مَكَانًا وَجَدُوا فِي نَعَاطِيهَا
ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ لَمَّا عَلِمَتْ بِهِمْ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ سَاجِيهَا
ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ وَتَسَوَّرَتْ عَلَيْهِمُ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ، مَظْلَمُ النَّوَاحِي، سَاجِيهَا، سَاكِنُهَا

سَفَّهَتْ آرَاءَهُمْ فِيهَا فَمَا لَبِسُوا أَنْ أَوْسَعُوكَ عَلَى مَا جِثَّتْ تَسْفِيهَا
سَفَهَتْ آرَاءَهُمْ، أَلْصَقَتْ السُّفْهَ بِعُقُولِهِمْ فِيهَا، فِي الْخَمْرِ، فَسَفَّهُوا فَعَلَكَ فِي التَّجَسُّسِ عَلَيْهِمْ
قَالُوا: مَكَانَكَ! قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ وَجِئْنَا بِثَلَاثٍ لَا تُبَالِيهَا
قَالُوا لَكَ مَكَانَكَ، قَفْ، فَأَنْتَ أَخْطَأْتَ فِي ثَلَاثٍ وَنَحْنُ فِي وَاحِدَةٍ

فَأَتِ الْبُيُوتَ مِنَ الْأَبْوَابِ يَا عُمَرُ فَقَدْ يُزَنُّ مِنَ الْحَيِّطَانِ آتِيهَا
يُزَنُّ: يُثَمِّمُ

وَأَسْتَأْذِنِ النَّاسَ أَنْ تَغْشَى بُيُوتَهُمْ وَلَا تُلِمَّ بِدَارٍ أَوْ تُحَيِّبِهَا
وَلَا تَجَسَّسْ فَهَذِي الْآيَةُ قَدْ نَزَلَتْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ فَلَمْ تَذْكُرْ نَوَاهِيهَا
فَعُدَّتْ عَنْهُمْ وَقَدْ أَكْبَرَتْ حُجَّتَهُمْ لَمَّا رَأَيْتَ كِتَابَ اللَّهِ يُمْلِيهَا
وَمَا أَنْفَتَ وَإِنْ كَانُوا عَلَى حَرَجٍ مِنْ أَنْ يَحْجَجَكَ بِالْآيَاتِ عَاصِيهَا
لَمْ تَأْنَفْ حَتَّى وَهَمَّ عَلَى حَرَجٍ، عَلَى إِثْمٍ، مِنْ أَنْ تَنْصَاعَ لِحُجَّتِهِمُ الْمَقْرُونَةَ بِالْآيَاتِ رَغْمَ أَنَّهُمْ
عَصَاةٌ

وَسَرَّحَهُ فِي سَمَاءِ السَّرْحِ قَدْ رَفَعَتْ بِبَيْعَةِ الْمِصْطَفَى مِنْ رَأْسِهَا نِيهَا
وَرَبُّ سَرْحَةٍ، شَجَرَةٍ، رَفَعَتْ رَأْسَهَا بَيْنَ الشَّجَرِ فِي السَّمَاءِ نِيهَاً، وَافْتِخَارًا، لِأَنَّهَا الشَّجَرَةُ الَّتِي
جَرَتْ تَحْتَهَا بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ

أَزَلَّتْهَا حِينَ غَالَوْا فِي الطَّوَافِ بِهَا وَكَانَ تَطَوُّافُهُمْ لِلدِّينِ تَشْوِيهَا
أَنْتَ قَطَعْتَهَا عِنْدَمَا بِالْغَوَا فِي الطَّوَافِ بِهَا وَتَقْدِيسُهَا

أُهْدِي مَنَاقِبِهِ فِي عَهْدِ دَوْلَتِهِ لِلشَّاهِدِينَ وَلِلْأَعْقَابِ أَحْكِيهَا
لَعَلَّ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ نَابِيَّةٌ تَجْلُو لِحَاضِرِهَا مِرَاةَ مَاضِيهَا
لَعَلَّ النَّابِئَةَ، أَيَّ الشَّبَابِ، يَجْلُونَ وَيَلْمَعُونَ مِرَاةَ الْمَاضِي لَخِدْمَةِ حَاضِرِهِمْ

٥٥ رثاء باحثة البادية

نشرت في سنة (١٩١٨):

مَلَكَ النُّهَى لَا تَبْعَدِي فَالْحَلْقُ فِي الدُّنْيَا سَيْرُ
ملك ابنة حفني ناصف كانت أدبية واشتهرت بلقب باحثة البادية، وجعلها ملاكاً للنهى، أي للعقل.
لا تبعدني: كلمة تقال للميتة. لتبقى ذكراك حاضرة فالتاس في هذه الدنيا ما هم إلا سير، ذكرى
وسيرة

إِنِّي أَرَى لَكَ سَيْرَةً كَالرَّوْضِ أَرْجَهُ الزَّهْرُ
أَرْجَهُ: عطّره

وَتَرَكْتَ شَيْخَكَ لَا يَعِي هَلْ غَابَ زَيْدٌ أَوْ حَضَرَ
تركت أبوك، وكان حفني ناصف معلماً ونحوياً، ذاهلاً لا يدري أغاب «زيد»، الاسم المستخدم
في أمثلة النحاة، أم حضر

نِمْلاً تُرْتَحُّهُ الْهُمُومُ إِذَا تَحَامَلَ أَوْ خَطَرَ
كَالْفَرْعِ هَزَّتْهُ الْعَوَا صِفْ فَالْتَوَى ثُمَّ انْكَسَرَ
ومات أبوها في السنة التالية

يَا بَرَّةً بِالْوَالِدَيْنِ مِنْ أَبُوكَ بَعْدَكَ لَا يَقْرَ
فَسَلِّي إِلَهَكَ سَلْوَةً لِأَبِيكَ فَهُوَ بِهِ أَبَرُّ
الله أبرُّ منك بأبيك

٥٦ العود «أحمد»

أعد حافظ هذه القصيدة لاستقبال شوقي عائداً من منفاه، ونشرها قبيل وصوله، نشرها
في أغسطس/ آب (١٩١٩):

وَرَدَ الْكِنَانَةَ عِبْقَرِيَّ زَمَانِهِ فَتَنْظُرِي يَا مِصْرُ سَحَرَ بَيَانِهِ
وَالْقُطْرُ فِي شَوْقٍ لِأَنْدَلُسِيَّةٍ شَوْقِيَّةٍ تَشْفِيهِ مِنْ أَشْجَانِهِ
مصر مشتاقة إلى قصيدة أندلسية من قلم شوقي تشفيها من أشجانها، أحزانها، الناتجة عن ثورة
(١٩١٩)

يُصْغِي لِأَحْمَدَ إِنْ شَدَا مُتَرَنِّمًا إِصْغَاءَ أُمَةٍ أَحْمَدٍ لِأَذَانِهِ
القطر، أي مصر، يصغي لأحمد شوقي وهو يترنم بشعره كإصغاء أمة أحمد، النبي، للأذان

وَأَذْكُرُ لَنَا الْحَمْرَاءَ، كَيْفَ رَأَيْتَهَا وَالْقَصْرَ، مَاذَا كَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ؟

حدثنا عن آثار العرب في إسبانيا التي أتيت منها

مَاذَا تَحَطَّمَتْ مِنْ دُرَاهُ، وَمَا الَّذِي أَبَقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أَرْكَانِهِ

قل لنا ماذا تحطم من ذرا، أعالي، قصر الحمراء، وما الذي أبقي الزمن من أركانه

إِذْ مُلِكُ أُنْدَلُسِ عَرِيضُ جَاهُهُ وَشَبَابُهُ الْمَبْكِيُّ فِي رِيْعَانِهِ

وكان ملك العرب هناك ذا جاه، ومنزلة، وكان في شبابه الذي أصبحنا نبكي على زواله وهو في ريعانه، في نضارته

زَالَتْ بِشَاشَتُهُ، وَزَالَ وَأَقْفَرَتْ مِنْ أَنْسِهِ الدُّنْيَا وَمِنْ إِنْسَانِهِ

ذهب أنس وبهجة ذلك الملك وذهب إنسانه أيضاً بجلاء العرب

أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَزُمْرَةٍ جَرَحَتْ فَوَادَ الشَّعْرِ فِي أَعْيَانِهِ

يشكو من زمرة المدعين الذين جرحوا قلب الشعر بانتقاصهم أعيانه، كبار أصحابه

كَمْ خَارِجٍ عَنْ أَفْقِهِ حَصَبَ الْوَرَى بِقَرِيضِهِ وَالْعُجْبُ مِلْءُ جَنَانِهِ

كم من شخص خارج عن أفق الشعر لا علاقة له به، قد حصب الناس بقريضه، رماهم بحجارة هي عبارة عن قصائده، والعجب، التيه والفخر، يملأ جنانه، قلبه

يَخْتَالُ بَيْنَ النَّاسِ مُتَّخِذَ الْخُطَا رِيحُ الْغُرُورِ تَهْبُ مِنْ أَرْدَانِهِ

يمشي هذا الشاعر المدعي بطيئ الخطا، تهب ريح الغرور من أردانه، أكماء ثوبه

كَمْ صَكٌّ مِسْمَعْنَا بِجَنْدَلٍ لَفِظِهِ وَأَطَالَ مِحْنَتَنَا بِطُولِ لِسَانِهِ

جندل: صخر

قُلْ لِلَّذِي قَدْ قَامَ يَشَاوُ أَحْمَدًا خُلُّ الْقَرِيضِ فَلَسَتْ مِنْ فُرْسَانِهِ

يشاو: يباري

مَا كَانَ يَأْمَنُ عَشْرَةً لَوْ لَمْ يَكُنْ رَوْحُ الْحَقِيقَةِ مُمَسِّكًا بِعِنَانِهِ

ما كان شوقي ليأمن الزلل لو لم تكن الحقيقة هي الممسكة بلجام فرسه

فَأَتَى بِمَا لَمْ يَأْتِهِ مُتَقَدِّمٌ أَوْ تَظْمَعِ الْأَذْهَانَ فِي إِتْيَانِهِ

فالحمد لله الذي قد رده من بعد غرْبَتِهِ إلى أوطانه

٥٧ مظاهر السيدات

قالها في (١٩١٩)، وتأخر نشرها حتى مارس/ آذار (١٩٢٩):

خَرَجَ الْغَوَانِي يَخْتَجِجُ نَ، وَرُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنَّ
فَإِذَا بِهِنَّ تَخِذْنَ مِنْ سُودِ الثِّيَابِ شِعَارُهُنَّ
فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبِ يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدُّجْنَةِ
وَأَخِذْنَ يَجْتَزْنَ الطَّرِيقَ قِ وَدَارُ سَفْدٍ قَصْدُهُنَّ
يَمْشِينَ فِي كَنْفِ الْوَقَا رِ، وَقَدْ أَبَنَّ شُعُورُهُنَّ

يمشين وقورات مع أنهن أبرزن شعورهن وسفرن

وَإِذَا بِجَيْشٍ مُقْبِلِ وَالْخَيْلُ مُطْلَقَةُ الْأَعِنَّةِ
وَإِذَا الْجَنُودُ سَيُوفُهَا قَدْ صُوبَتْ لِنُحُورِهِنَّ
وَإِذَا الْمَدَافِعُ وَالْبُنَا دَقُّ وَالصَّوَارِمُ وَالْأَسِنَّةُ..
وَالْخَيْلُ وَالْفَرَسَانُ قَدْ ضَرَبَتْ نِطَاقاً حَوْلَهُنَّ
وَالْوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ فِي ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحُهُنَّ
فَتَطَاخَنَ الْجَيْشَانِ سَا عَاتٍ تَشِيبُ لَهَا الْأَجِنَّةُ
فَتَضَعُضَعِ النَّسْوَانُ وَالنَّدَ سَوَانُ لَيْسَ لَهُنَّ مُنَّةُ

منة: قوة

ثُمَّ انْهَزَمْنَ مُشَتَّنَا تِ الشَّمْلِ نَحْوَ قُصُورِهِنَّ
فَلَيْهِنَا الْجَيْشُ الْفُخُو رُ بِنَصْرِهِ وَبِكَسْرِهِنَّ
فَكَأَنَّمَا الْأَلْمَانُ قَدْ لَيْسُوا الْبَرَاقِعَ بَيْنَهُنَّ
وَأَتَوْا بِهِنَّ دُنُجْرَجٍ مُخَ تَفِيأُ بِمُضَرٍ يَقُودُهُنَّ

باول فون هندنبرغ جنرال ألماني سيصبح رئيساً للجمهورية (١٩٢٥)، وسيعين هتلر مستشاراً، أي رئيس وزراء، عام (١٩٣٣)

فَلِذَاكَ خَافُوا بِأَسْهُنَّ- وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ

٥٨ أبق شيئاً

قيلت عام (١٩١٩)، وانتشرت بين الناس ولم تنشر في صحيفة:

يَا مَلِكًا يَرْغِمُهُ يَلْبَسُ الثَّآجَ، وَيَرْقَى لِعَرْشِهِ مَمْلُوكًا

المليك : السلطان فؤاد ابن الخديوي إسماعيل ، وتولى السلطنة عام (١٩١٧) ، وتسمى ملكاً عام (١٩٢٢)

إِنْ أَتَمَّتَ يَدَاكَ تَخْرِيبَ مِصْرٍ فَلَقَدْ مَهَّدَ الْخَرَابَ أَبُوكَ

وكان الخديوي إسماعيل ، الذي عزل عام (١٨٧٩) ، قد أسرف وأضر بمالية البلاد رغم إنشاءاته الكثيرة

أَبْقِ شَيْئًا - إِذَا مَضَيْتَ دَمِيمًا عَنْ قَرِيبٍ - يَأْتِي عَلَيْهِ بَنُوكَا

٥٩ الأب التاكل

رثاء عبد الحميد رمزي، قالها على لسان والد الشاب المتوفى، ونشرت في مارس/ آذار (١٩٢٠):

وَلَدِي، قَدْ طَالَ سُهْدِي وَنَحْبِي جِئْتُ أَدْعُوكَ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبِي؟

جِئْتُ أَزُورِي بِدَمْعِي مَضْجَعًا فِيهِ أودعتُ مِنَ الدنْيَا نَصْبِي

لَا تَخَفْ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ، وَلَا تَبْتَئِسْ إِنِّي مُوَافٍ عَنْ قَرِيبٍ

أَنَا لَا أَنْزُكُ شِبْلِي وَحْدَهُ فِي جَدِيدٍ مُوَجِّشٍ غَيْرِ رَحِيبٍ

أَوْحِينَ ابْتَزَّ دَهْرِي قُوَّتِي وَذَوَى عُودِي وَوَفَانِي مَشِيبِي

ابتر: سلب

وَاکْتَسَى غَصْنُكَ مِنْ أَوْرَاقِهِ تَحْتَ شَمْسِ الْعِزِّ وَالْجَاهِ الْخَصِيبِ

يَنْتَوِيكَ الْمَوْتُ فِي شَرْخِ الصُّبَا وَالشَّبَابُ الْعُضُّ فِي الْبُرْدِ الْقَشِيبِ

لَمْ يَدْعُ أَصِيكَ جُهْدًا إِنَّمَا غَابَ عِلْمُ اللَّهِ عَنْ عِلْمِ الطَّبِيبِ

آسيك: طيبك

إِيهِ يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ انْظُرْ إِلَى وَالِدِ جَمِّ الْأَسَى بَادِي الشُّحُوبِ

ذَاهِلٍ مِنْ قَرْطِ مَا حَلَّ بِهِ بَيْنَ أَتْرَايِكَ يَمْشِي كَالْغَرِيبِ

كَلَّمَا أَبْصَرَ مِنْهُمْ وَاحِدًا هَزَّ الشُّوقُ إِلَى وَجهِ الْحَبِيبِ

٦٠ البابا والباب

كتب بها إلى السيد محمد اليلوي لما أصبح نقيب الأشراف (١٩٢٠):

قُلْ لِلنَّقِيبِ لَقَدْ زُرْنَا فَضِيلَتَهُ فَذَاذَا عَنْهُ حِرَاسٌ وَحُجَابٌ

ذاذا عنه: حال بيتنا وبينه

لو أَنَّنِي جِئْتُ لِلْبَابِ لَاكْرَمَنِي وَكَانَ يُكْرِمُنِي لَوْ جِئْتُهُ الْبَابُ

الباب: إمام العقيدة البابية التي ورثتها البهائية، والباب أيضاً هو الباب، يقول حافظ، على المعنى الظاهر: لو جئت إلى الباب الخشبي لأكرمني من حيث ردني الحجاب

لَا تَخْشَ جَائِزَةً قَدْ جِئْتُ أَطْلُبُهَا إِنِّي شَرِيفٌ وَلِلْأَشْرَافِ أَحْسَابُ
فَاهُنَّا بِمَا نَلْتَمِسُ مِنْ فَضْلٍ وَإِنْ قُطِعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَسْبَابُ

٦١ مصر تتحدث عن نفسها

أُنْشَدَهَا فِي حِفْلٍ بِفَنْدُقِ الْإِتْرَاكُونْتِنَالِ لِتَكْرِيمِ عَدْلِي بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ أَوْرُوبَا قَاطِعاً
الْمُفَاوِضَاتِ مَعَ الْإِنْجِلِيزِ، وَمُسْتَقْبِلاً مِنَ الْوِزَارَةِ. نَشَرَتْ فِي دَيْسَمْبَرٍ/كَانُونِ الْأَوَّلِ
(١٩٢١):

وَقَفَّ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعاً كَيْفَ أَبْنِي قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَحَدِي
وَبُنَاةَ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مِرْ كَفَوْنِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحْدِي
أَنَا تَاجُ الْعَلَاءِ فِي مَفْرِقِ الشَّرِّ قِي وَدُرَّائُهُ فَرَايِدُ عَقْدِي
أَنَا إِنْ قَدَّرَ الْإِلَهِ مَمَاتِي لَا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ بَعْدِي
مَا رَمَانِي رَامَ وَرَاحَ سَلِيماً، مِنْ قَدِيمِ عَنَابَةِ اللَّهِ جُنْدِي
كَمْ بَعَثَ دَوْلَةً عَلَيَّ وَجَارَتْ ثُمَّ زَالَتْ وَتِلْكَ عُقْبَى التَّعْدِي
هَلْ فَهِمْتُمْ أَسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ عِلُومٍ مَخْبُوءَةٍ طَيِّ بَرْدِي؟

البردي: ورق شجر كتب فيه الفراعنة علومهم

إِنَّ مَجْدِي فِي الْأَوَّلِيَّاتِ عَرِيقٌ مَنْ لَهُ مِثْلُ أَوْلِيَّائِي وَمَجْدِي؟

الأوليات: المجد القديم

أَنَا أُمُّ التَّشْرِيعِ قَدْ أَخَذَ الرُّو مَا نَ عَنِّي الْأُصُولَ فِي كُلِّ حَدٍّ
الحد: الحكم القانوني، والقانون الروماني مشهور

وَرَصَدْتُ النُّجُومَ مِنْذُ أَضَاءَتْ فِي سَمَاءِ الدُّجَى فَأَحْكَمْتُ رَصْدِي
وَقَدِيماً بَنَى الْأَسَاطِيلَ قَوْمِي فَفَرَّقَنَ الْبِحَارَ يَحْمِلُنَ بَنْدِي
سفني فرقت، شقت، طريقها في البحار حاملة بندي، رايتي، والكلام لمصر

أَيُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّي بِعَيْشٍ وَارِفِ الظِّلِّ أَخْضَرَ اللَّوْنِ رَغْدٍ؟
أَمِنْ الْعَدْلِ أَنَّهُمْ يَرِدُونَ الـ مَاءَ ضَفُوءاً وَأَنْ يُكَدَّرَ وَرْدِي؟

يُصْفُ قَرْنٍ إِلَّا قَلِيلًا أَعَانِي مَا يُعَانِي هَوَانُهُ كُلُّ عَبْدٍ

منذ أن احتل الإنجليز مصر عام ١٨٨٢

نَظَرَ اللَّهَ لِي فَأَرْشَدَ أَبْنَا نِي فَشَدُّوا إِلَى الْعُلَا أَيَّ شَدٍّ

إِنَّمَا الْحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدَّيْبِ بَانَ أَمْضَى مِنْ كُلِّ أَبْيَضٍ هِنْدِي

قَدْ وَعَدْتُ الْعُلَا بِكُلِّ أَبِيِّ مِنْ رِجَالِي، فَأَنْجِزُوا الْيَوْمَ وَعْدِي

وَارْقِعُوا دَوْلَتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخْدِ لَاقِي، فَالْعِلْمُ وَحْدَهُ لَيْسَ يُجْدِي

إِنَّ فِي الْغَرْبِ أَغْنَيْنَا رَاصِدَاتٍ كَحَلَّتْهَا الْأَطْمَاعُ فِيكُمْ بِسُهِدٍ

في الغرب أعين ساهدة ساهرة طامعة تتربص الانقضاض على ثروات مصر

فَوْقَهَا مِجْهَرٌ يُرِيهَا خَفَايَا كُمْ وَيَطْوِي شُعَاعَهُ كُلَّ بُعْدٍ

وهذه الأعين تنظر بمجهر مكبر لترى الخفايا، وشعاع المجهر يقرب البعيد (أصبح تلسكوباً)

فَاتَّقُواهَا بِجُنَّةٍ مِنْ وِثَامٍ غَيْرِ رَثِّ الْعُرَا وَسَعْيٍ وَكَدٍّ

اتقوا مطامع الغرب بجنة، وقاية، هي الوثام الشديد غير رث العرا، غير مهترئ العرا، جمع عروة

وَاضْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ رَبُّ هَافٍ هَفَا عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ

الهنات: الذنوب الصغيرة

نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعَثَّرُ الْآ رَاءُ فِيهِ، وَعَثْرَةُ الرَّأْيِ تُرْدِي

تردي: تبيت

وَيَظُنُّ الْعَوِيُّ أَنْ لَا نِظَامَ وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جِدِّي

فَقِفُوا فِيهِ وَقِفَةَ الْحَزْمِ وَارْمُوا جَانِبِيهِ بِعَزْمَةِ الْمُسْتَعِدِّ

إن كنت لم تسمع بأن أم كلثوم غنت أحياناً من هذه القصيدة في لحن رياض السنباطي فاسمع،

واذهب واسمع الأغنية. مقدمتها وحدها تحفة

٦٢ سيرا إلى إنجلترا

وداع محمد بدر وأحمد بدر عند سفرهما إلى بلاد الإنجليز للتعلم:

سِيرَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْبَتَتْ عِزًّا وَأَضَحَّتْ لِلْمَلَا مَوْئِلَا

أصبحت بلاد الإنجليز للملا، للملا أي الناس، مويلاً، ملتجأً

يَمْشِي عَلَيْهَا الدَّهْرُ مُسْتَحْذِيًّا وَتَجْزَعُ الْأَحْدَاثُ أَنْ تَنْزِلَا

مستخذياً: خاضعاً

شِعَارُ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ وَأَنْ يَعْمَلَ
لَيْتُنْ غَدَا الدَّهْرُ بِنَا مُدِيرًا لَا بَدَّ لِلْمُدِيرِ أَنْ يُقْبِلَا
التسويد لعمران القفني، ويقول: لعل الدهر يقبل علينا، فمتذ زمن بعيد لم يقبل! وعدد المازني
لحافظ الدول التي أدبرت ثم استمر بها الإديار حتى الاندثار

٦٣ راتحة الاستقلال

نصريح ٢٨ فبراير/شباط، نشرت في أبريل/نيسان (١٩٢٢):

أَلْمَحْ لِاسْتِقْلَالِنَا لَمَعَةً فِي حَالِكِ الشُّكِّ فَاسْتَرْوَحْ
أستروح: أشعر بالراحة، لأن هذا الإعلان في ٢٨ فبراير/١٩٢٢ جاء فيه من طرف بريطانيا أن
الحماية رفعت عن مصر، وأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة وأن لبريطانيا الحق في حماية طرق
مواصلاتها وحمايتها ضد أي اعتداء خارجي، ويبقى الوضع في السودان على حاله

وَتَظْمِسُ الظُّلْمَةُ أَثَارَهَا فَأَنْتَنِي أَنْكِرُ مَا أَلْمَحْ
فقائل: لا تعجلوا إنَّكُمْ مَكَانَكُمْ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
بعضهم رفض الإعلان البريطاني لأنه لا يغير من الحال شيئاً فالיום مثل الأمس. مكانكم لم
تبرحوا، أي لم تبرحوا مكانكم

وَقَائِلٍ أَوْسَعِ بِهَا خُطْوَةً وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَظْمَحْ
وبعضهم قال إنها خطوة واسعة، وبعدها تتحقق الغاية التي نطمح إليها

وَقَائِلٍ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ: هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَافْرَحُوا
وبعضهم قال وبالغ: هذا هو الاستقلال الحق

إِنْ تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ عَاهِدُوا وَاسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرَبَّحُوا
العقل يقول، عقل شاعرنا طبعاً، اقبلوا المعاهدة، وأكدوها بالمواثيق

وَأَسُسُوا دَاراً لِنُؤَابِكُمْ لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْحِجَا أَفْسَحُوا
وأسسوا دار نواب واجعلوا للحجا، للعقل، المكان الفسيح فيها

أَوْ تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يَقُلْ حَاذِرُوا وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تُفْلِحُوا
والقلب يقول، وهو قلب شاعرنا، احذروا دهاء الإنجليز وصابروهم في نضال مستمر

إِنِّي أَرَى قَيْدًا فَلَا تُسْلِمُوا أَيْدِيَكُمْ فَالْقَيْدُ لَا يَسْجَحْ
المعاهدة تتضمن قيداً فلماذا نسلم أيدينا لمن يريد تقييدها، والقيد لا يسجح، لا يلين... وكانت
ذكريات ثورة ١٩١٩ طرية بعد في الأذهان

إِنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ فَهَوَّ عَلَى لَيْنٍ بِهِ أَفْدَحُ
 القيد الحريري أفدح، وأقسى، من القيد الحديدي

٦٤ جاء دوري

ذكرى الشيخ محمد عبده، أنشدها في حفل بالجامعة المصرية في يوليو/تموز
 (١٩٢٢):

راعني فَقَدْ شَبَابِي وَأَنَا لَا أَرَاكَ الْيَوْمَ مِنْ فَقْدِ مَشِيبِي
 حَنَّ جَنْبَايَ إِلَى بَرْدِ الثَّرَى حَيْثُ أَتُسَّى مِنْ عَدُوٍّ وَحَبِيبٍ
 أحن إلى التراب حيث ينساني العدو والحبيب

مَضَجُّ لَا يَشْتَكَِي صَاحِبُهُ شِدَّةُ الدَّهْرِ وَلَا شِدَّةُ الْخَطُوبِ
 لَا وَلَا يُسْئِمُهُ ذَاكَ الَّذِي يُسْئِمُ الْأَحْيَاءَ مِنْ عَيْشٍ رَتِيبِ
 قَدْ وَقَفْنَا سِتَّةً نَبْكِي عَلَى عَالِمِ الْمَشْرِقِ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ
 وَقَفَ الْخَمْسَةُ قَبْلِي فَمَضَوْا هَكَذَا قَبْلِي، وَإِنِّي عَنْ قَرِيبِ
 وقف ستة على قبر الإمام يؤبنونه، وهم على ترتيب التآبين: أحمد أبو خطوة، حسن عاصم،
 حسن عبد الرازق، قاسم أمين، حفني ناصف، حافظ إبراهيم. وماتوا واحداً بعد الآخر وبنفس
 الترتيب.. وعندما مات الرابع ١٩٠٨، كتب خامسهم، حفني ناصف، لشاعرنا حافظ:

أَتَذَكَّرُ إِذْ كُنَّا عَلَى الْقَبْرِ سِتَّةَ نَعْدُّذُ آثَارَ الْإِمَامِ وَنَنْدُبُ
 وَقَفْنَا بِتَرْتِيبٍ وَقَدْ دَبَّ بَيْنَنَا مِمَاتٌ عَلَى وَفْقِ الرِّثَاءِ مَرْتَبُ
 أَبُو خَطْوَةٍ وَلِي وَقَفَّاءَ عَاصِمُ وَجَاءَ لَعَبْدِ الرَّازِقِ الْمَوْتُ يَطْلُبُ
 فَلَبِي وَغَابَتْ بَعْدَهُ شَمْسُ قَاسِمٍ وَعَمَّا قَلِيلٍ شَمْسُ مَحْيَايَ تَغْرُبُ
 فَلَا تَخْشَ هُلُكاً مَا حَيِّتُ فَإِنْ أَمْتُ فَمَا أَنْتَ إِلَّا خَائِفٌ تَتَرَقَّبُ
 فَخَاطِرُ وَقَعَ تَحْتَ الثُّرْمَايَ لَا تَخَفُ وَنَمَ تَحْتَ بَيْتِ الْوَقْفِ وَهُوَ مَخْرَبُ
 وَخُضُّ لُجَجِ الْهَيْجَاءِ أَعَزَلَ أَمْنًا فَإِنَّ الْمَنَايَا عَنْكَ تَنَآيَ وَتَهَرَّبُ

.. وفي تكريم حفني ناصف (١٩١٢)، وقف حافظ وقال قصيدة:

أَخْشَى عَلَيْكَ الْمَنَايَا حَتَّى كَأَنَّكَ مِنِّي
 إِذَا شَكُوتَ صَدَاعاً أَطْلُتُ تَسْهِيْدَ جَفْنِي
 وَإِنْ عَمَرَكَ هَزَاؤُ هَيَّأْتُ لِحْدِي وَقُطْنِي

وإن دعوتُ لـحَيٍّ يوماً فلـيَاكَ أعني
عُمري بـعُمركَ رهَنٌ فعشْ أعشْ ألفَ قرنٍ

٦٥ رثاء إسماعيل صبري

أنشدها في حفل التأبين في مايو/ أيار (١٩٢٣):

نعاكَ النُّعَاءُ وَحُمَ القَدَرُ ولم يُغْنِ عَنَّا وعنكَ الحَذَرُ
حم القدر: وافى وحلَّ

أهْنِي الثَّرَى أَمْ أَعْزِي الْوَرَى لقد فازَ هذا وهذا خَسِرَ
رُحِمْتُ، فقد كنتَ حُلْوَ اللِّسَانِ جَلِيَّ البَيَانِ صَدوقَ الخَبَرِ
قليلَ التَّعْجِبِ، جَمَّ الأَناءِ حَكِيمَ الوُرودِ حَكِيمَ الصَّدَرِ
لقد كنتَ أَغشَاءُ في دارِهِ ونَادِيهِ فيها زَهاً وازْدَهَرَ
أغشاء: أزوره، ناديه: مجلسه

وأَعْرِضْ شِعْري على مِسْمَعٍ لَطِيفٍ يُحِسُّ نُبُوَّ الوَثَرِ
على سَمْعٍ بَاقِعَةٍ حَاضِرٍ يَمِيزُ القَدِيمَ مِنَ المُبْتَكِرِ
رجل باقعة: شديد الذكاء والحيلة

فِيضْقُلْ لَفْظِي صَفْلَ الجُمانِ وَيَكْسُوهُ رِقَّةً أَهْلَ الحَضَرِ
الجمان: اللؤلؤ

كَذَلِكَ كَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِمَاماً لِكُلِّ أَدِيبٍ شَعَرَ
شعر: قال شعراً. وكان إسماعيل صبري ينقح شعر شوقي أيضاً

٦٦ رحلة إلى إيطاليا

نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٢٣):

أَرْضُهُمْ جَنَّةٌ وَحُورٌ وَوِلْدَا نٌ كَمَا تَشْتَهِي، وَمُلْكٌ كَبِيرُ
تَحْتَهَا - وَالْعِبَادُ بِاللهِ - نَارُ وَعَذَابٌ وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
إِنَّ يَوْماً كَيَوْمِ رَدْجُوٍّ وَمَسِيٍّ نَا وَكَالْبُريَّا لَيَوْمٍ عَسِيرُ

مسينا في صقلية، وكالبريا منطقة مشط القدم في إيطاليا وضربتها زلازل كثيرة في ذلك الزمن وقبله، وردجو من مدنها الصغيرة، وضربها زلزال في سنة ١٩٠٨، وآخر سنة ١٩٢٣ عند نشر القصيدة

سَاعَةً مِنْهُ تُهْلِكُ الْحَرْتَ وَالنَّسْ
ذَاكَ فَيَزُوفُ قَائِماً يَتَلَطَّى
لَ وَتَمَحُّو مَا سَطَّرَتْهُ الدُّهُورُ
قَدْ تَعَالَى شَهِيْقُهُ وَالزَّفِيرُ
بركان فيزوف عند مدينة نابولي بإيطاليا

يُنْذِرُ الْقَوْمَ بِالرَّحِيلِ، وَلَكِنْ
وَكِذَاكَ الْأَوْطَانُ مَهْمَا تَجَنَّتْ
وَلِغَ الْقَوْمِ بِالنِّظَافَةِ حَتَّى
فَلِذَا سِرْتُ فِي الطَّرِيقِ نَهَاراً
أَفْرَطَ الْقَوْمُ فِي النَّظَامِ، وَعِنْدِي
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ مَا كَانَ قَوْضَى
فَلِذَا مَا سَأَلْتَنِي قُلْتُ عَنْهُمْ:
قَدْ بَلَوْتُ الْحَيَاةَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْ
مِنْ نَوَاءٍ فِيهِ الْمَلَالُ لِزَامٍ
لَيْسَ يُغْنِي مَعَ الْقَضَاءِ النَّذِيرُ
لَيْسَ لِلْحَرْ عَنْ حِمَاها مَسِيرُ
جُنَّ فِيهَا غَنِيَّتُهُمْ وَالْفَقِيرُ
خِلْتُ أَنِّي عَلَى الْمَرَابَا أَسِيرُ
أَنْ فَرَطَ النَّظَامِ أَسْرَ وَنِيرُ
لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطِرُ أَوْ أَمِيرُ
أُمَّةٌ حُرَّةٌ وَفَرْدٌ أَسِيرُ
بِ قَمَا فِي الْحَيَاةِ أَمْرٌ يَسِيرُ
أَوْ رَحِيلٍ فِيهِ الْعَنَاءُ كَثِيرُ
النَّوَاءِ: الإقامة والمكث

٦٧ هجاء للشعر

ضِغْتَ بَيْنَ النَّهْيِ وَبَيْنَ الْخِيَالِ
يَا حَكِيمَ النَّفُوسِ يَا ابْنَ الْمَعَالِي
النَّهْيُ: العقول

ضِغْتَ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمٍ هُجُودِ
قَدْ أَذَالُوكَ بَيْنَ أَنْسٍ وَكَأْسِ
وَنَسِيْبٍ وَمَذْحَةٍ وَهَجَاءِ
وَحِمَاسٍ أَرَاهُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ
عِشْتَ مَا بَيْنَهُمْ مُذَالاً مُضَاعاً
حَمَلُوكَ الْعَنَاءَ مِنْ حُبِّ لَيْلَى
وَبُكَاءٍ عَلَى عَزِيْزٍ تَوَلَّى
وَإِذَا مَا سَمَوْا بِقَدْرِكَ يَوْمَاً
أَنْ يَا شِعْرُ أَنْ نَفُكَ قُبُودَاً
لَمْ يُفِيْقُوا، وَأُمَّةٌ مَكْسَالِ
وَعَرَامٍ بِطَبِيْعَةٍ أَوْ غَزَالِ
وَرَثَاءٍ وَفِثْنَةٍ وَضَلَالِ
وَصَغَارٍ يَجُرُّ ذَيْلَ اخْتِيَالِ
وَكَذَا كُنْتُ فِي الْعَصُورِ الْخَوَالِي
وَسُلَيْمَى، وَوَقْفَةٍ الْأَطْلَالِ
وَرَسُومٍ رَاخَتْ بِهِنَّ اللَّيَالِي
أَسْكَنُوكَ الرِّحَالَ فَوْقَ الْجِمَالِ
قَيَّدْتَنَا بِهَا دُعَاةَ الْمُحَالِ

فَارْقَعُوا هَذِهِ الْكَمَائِمَ عَنَّا وَدَعُونَا نَشْتُمُ رِيحَ الشَّمَالِ

٦٨ إِيَّاكَ وَالْإِنْجِيلِيز

تهتة سعد زغلول بالنجاة من إطلاق الرصاص عليه في محطة القطار. نشرت في ١٣ يوليو/تموز (١٩٢٤):

لَا تَقْرَبِ التَّامِيزَ وَاحْذَرْ وَرَدَهُ مَهْمَا بَدَا لَكَ أَنَّهُ مَعْسُورٌ

لا تقرب التاميز، نهر التمز. . يعني الإنجليز الذين كان سعد يشايعهم من قبل، واحذر ورده، ماء، مهما بدا لك أنه ماء معسول، حلو

الْكَيْدُ مَمْرُوجٌ بِأَصْفَى مَائِهِ وَالْخَتْلُ فِيهِ مُذَوَّبٌ مَصْفُورٌ

الختل: الخداع

فَاحْذَرْ سِيَاسَتَهُمْ وَكُنْ فِي يَقْظَةٍ سَعْدِيَّةٍ إِنَّ السِّيَاسَةَ غُولٌ

نَصَلْتُ سِيَاسَتَهُمْ وَحَالَ صِبَاغُهَا وَلِكُلِّ كَاذِبَةِ الْخَضَابِ نُصُولٌ

نصلت سياستهم مثلما ينمو الشعر فينصل الخضاب، الصبغ، ويظهر لون الشعر الحقيقي

جَمَعُوا عَقَاقِيرَ الدَّهَاءِ وَرَكَّبُوا مَا رَكَّبُوهُ، وَعِنْدَكَ التَّحْلِيلُ

ركبوا سياستهم على نحو معقد، وعندك يا سعد القدرة على تحليل هذه السياسة إلى مكوناتها لترى ما فيها من سموم

فَادْفَعْ وَنَاضِلْ عَنِ مَطَالِبِ أُمَّةٍ يَا سَعْدُ أَنْتَ أَمَامَهَا مَسْئُولٌ

الإنجليز يعرفون الحق - يقول هذا صاحب الشرح الذي عايشهم سنوات طويلة - ولكنهم إذا ضويقوا كانوا متعالين متعجرفين عنصريين مخادعين. . بشراً عاديين. لكن، بصراحة. . برودهم الذي ضربت به الأمثال يضيف عليهم سمة الرُّوقَان. . الله أنتم أيها الإنجليز، تعلمت منكم الكثير، ورأيت رجالاً كثيراً ونساء، من عرب ومن هنود يعشقون أن يتنجلزوا، وقد رأيت في حانوت كتب بمطار مؤخراً كتاباً عنوانه «كيف تصبح بريطانياً». وقد حماني من مثل هذا الشعور، وأنا أعايش أولئك القوم، أنني كنت مُكبِّاً على مطالعة تراث قومي، وأنتي كنت أقول في نفسي كل يوم وكل ليلة: أنا عربي

٦٩ بَانِي الْهَرَمِ

سَخَّرَ الْعِلْمَ لِيَبْنِيَ آيَةً فَوْقَ شَطِّ النِّيلِ تَبْدُو كَالْعَلَمِ

آية: علامة، العلم: الجبل

هِيَ ذَكَرٌ خَالِدٌ، لَكِنَّهُ عَابِسُ الْوَجْهِ إِذَا الذُّكْرُ ابْتَسَمَ
كُلُّ مَا فِيهَا، عَلَى إِعْجَازِهَا، أَنَّهَا قَبْرٌ لِجَبَّارٍ حُطِمَ
حُطْمٌ: عَنِيفٌ مَسِطَرٌ

لَيْتَهُ سَخَّرَ مَا فِي عَهْدِهِ مِنْ قُوَى فِي غَيْرِ تَقْدِيسِ الرَّمَمِ
الرَّمَم: الرفات

٧٠ رثاء المنفلوطي

نشرت في سبتمبر/أيلول (١٩٢٤):

رَجِمَ اللَّهُ صَاحِبَ النَّظَرَاتِ غَابَ عَنَّا فِي أَخْرَجِ الْأَوْقَاتِ
مات المنفلوطي يوم إصابة سعد زغلول برصاص معتد، فانشغل الناس عن تشييع المنفلوطي بحادث سعد

كَيْفَ غَادَرْتَنَا سَرِيعاً، وَعَهْدِي بِكَ يَا مُصْطَفَى كَثِيرَ الْأَنَاءِ
التسويد لعمران القفيني

كُنْتُ فِي مِضْرَ شَاعِراً يَبْهَرُ اللَّبَّ - بِآيَاتِ شِعْرِهِ الْبَيِّنَاتِ
فَهَجَرْتُ الشَّعْرَ السَّرِيَّ إِلَى النَّثْ - رٍ فَجِئْتُ الْكُتَّابَ بِالْمُعْجِزَاتِ
السري: العالي الرافي. وللمنفلوطي بضع قصائد أشهرها قصيدة هجاء في الخديوي عباس حلمي
وهو عائد من إستانبول، مطلعها: (قدوم ولكن لا أقول سعيد/وملك وإن طال المدى سييبد).
وقيل اشترك في نظم القصيدة عدة أدباء فسميت قصيدة السفهاء، وانتشرت وطبع منها بشتى الطرق
آلاف النسخ، وجرت على المنفلوطي سجناً لأشهر ستة

مُتَّ عَنْ يَافِعٍ وَخَمْسِ بَنَاتٍ لَمْ تُخَلَّفْ لَهَا سِوَى الذِّكْرِيَّاتِ
وُثِرَاتُ الْأَدِيبِ فِي الشَّرْقِ حُزْنٌ لِبَنِيهِ، وَثُرْوَةٌ لِلرَّوَاةِ

٧١ دين طه حسين

عن طه حسين بعد نشر كتابه في الشعر الجاهلي (١٩٢٦)، وفي البيتين ذكر للدكتور
عبد الحميد سعيد عضو مجلس النواب الذي كان من المطالبين بإهدار دم طه حسين:

إِنْ صَحَّ مَا قَالُوا، وَمَا أَرْجَفُوا وَأَلْصَقُوا زُوراً بِدِينِ الْعَمِيدِ
أرجفوا: أشاعوا بغرض الفتنة

فَكُفِّرْ «طَه» عِنْدَ دِيَانِهِ أَحَبُّ مِنْ إِسْلَامِ عَبْدِ الْحَمِيدِ
الديان: الله

٧٢ رثاء أحمد حشمت

وكان وزيراً للمعارف، وهو من توسط لحافظ في وظيفة بدار الكتب وكان له إفضال كثير على الشاعر (١٩٢٦):

لَكَ مِنَّةٌ قَدْ طَوَّقَتْ غُنْفِي مَا إِن أُرِيدُ لَطَوِّقَهَا نَزْعَا
مَاتَ الْإِمَامُ وَكَانَ لِي كَنْفَا وَقَضَيْتَ أَنْتَ وَكُنْتَ لِي دِرْعَا
سَلَّنِي فَإِنِّي مِنْ صَنَائِعِهِ وَسَلِ «الْمَعَارِفَ» كَمْ جَنَّتْ نَفْعَا
اسألني أيها المستمع، واسأل وزارة المعارف كم جنت من المنافع في عهد وزيرها

وَعَدَوْتُ فِي بَلَدٍ تَكْنُفُنِي فِيهِ الشُّرُورُ وَلَا أَرَى دَفْعَا
تكفني: تحيط بي

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي يُحَاسِبُنِي وَكَأَنَّ تَحْتَ ثِيَابِهِ أَفْعَى
كَمْ حَاوَلْتُ هَدْمِي مَعَاوِلُهُمْ وَأَبَى إِلَهُ فَرَادَنِي رَفْعَا
وَلَرُبَّ حُرٍّ عَابَهُ نَفَرٌ لَا يَضْلُحُونَ لِنَعْلِهِ شِئْعَا
الشع للنعل: السير الجلدي بين الأصابع

٧٣ مبايعة شوقي

ألقيت في مهرجان تنصيب شوقي أميراً للشعراء، في ٢٩ أبريل/ نيسان (١٩٢٧):
يَعْبِيُونَ شَوْقِي أَنْ يُرَى غَيْرَ مُنْشِدٍ وَمَا ذَاكَ عَنْ عِيٍّ بِهِ أَوْ تَرْفُعِ
لا عيب في أن يدع شوقي إنشاد شعره لغيره، فليس هذا عن عي، قلة فصاحة، ولا عن ترفع
فَهَذَا كَلِيمُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ قَبْلَهُ بِهَارُونَ مَا يَأْمُرُهُ بِالْوَحْيِ يَضْدَعِ
فهذا موسى الذي كلم الله جاء بأخيه هارون ليصدع، ليجهز، بما يأمر الوحي به موسى

تَمَلَّكَتْ مِنْ مُلْكِ الْقَرِيضِ قَسِيحَهُ فَلَمْ تُبْقِ يَا شَوْقِي لَنَا قَبْدَ إَصْبَعِ
فِيَاللَّهِ دَعِ لِلنَّائِرِينَ وَسِيلَةً تُفِيءُ عَلَيْهِمْ، وَاتَّقِ اللَّهَ وَاقْنَعِ
ولعمري لشوقي نائر مبدع، بدا هذا في مقدمته للشوقيات في طبعة قديمة، وفي كتابه أسواق الذهب، واقطفنا منه عبارات في فصلنا الذي عن شوقي في الكتاب

أَمِيرَ الْقَوَافِي قَدْ أَتَيْتُ مُبَايَعَا وَهَذَا وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي

٧٤ صاحب القاف

قال حافظ في الدكتور محبوب ثابت، وهو طبيب كان يحلم بالوزارة، ويهتم بكل شأن سياسي في كل بلد، وكان يتكلم بالعامية محققاً القاف، وله حضور فكه في مجالس سعد زغلول، ولشوقي فيه أكثر من قصيدة (١٩٢٧):

يُرْعِي وَيُزِيدُ بِالْقَافَاتِ تَحْسِبُهَا قَصَفَ الْمَدَافِعِ فِي أَفْقِ الْبَسَانِينِ
مِنْ كُلِّ قَافٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا مِنْ مَآرِجِ النَّارِ تَصَوِيرَ الشَّيَاطِينِ
المارج: اللهب

قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْقَافَاتِ يَعْلُكُهَا وَاخْتَصَّ سَبْحَانَهُ بِالْكَافِ وَالتَّوْنِ
لَا يَأْمَنُ السَّامِعُ الْمُسْكِينَ وَثَبَّتَهُ مِنْ كُرْدُفَانٍ إِلَى أَعْلَى فَلَسْطِينِ
يقفز في حديثه من موضوع إلى آخر بعيد عنه

وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ طِيَشٍ وَلَا خَبَلٍ لَكِنَّهَا عِبْقَرِيَّاتُ الْأَسَاطِينِ

٧٥ رثاء سعد زغلول

أنشدها في حفل تأبينه في أكتوبر/ تشرين الأول (١٩٢٧):

إِيَّاهُ يَا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ الْمُصَابَا كَيْفَ يَنْصَبُ فِي النَّفُوسِ انْصِبَابَا؟
قَدْ يَا لَيْلُ مِنْ سَوَادِكَ ثُوباً لِلدَّرَارِي وَلِلضُّحَى جُلْبَابَا
اقطع أيها الليل قطعة من سوادك لتكون ثوباً يستر النجوم اللامعة والضحى.. حداداً على سعد
أَنْسُجِ الْحَالِكَاتِ مِنْكَ نِقَاباً وَاحْبُ شَمْسَ النَّهَارِ ذَاكَ النُّقَابَا
قُلْ لَهَا: غَابَ كَوْكَبُ الْأَرْضِ فِي الْأَرِ ضِ فَغَيْبِي عَنِ السَّمَاءِ احْتِجَابَا
أَيْنَ سَعْدُ؟ فَذَاكَ أَوَّلُ حَفْلٍ غَابَ عَنْ صَدْرِهِ وَعَافَ الْخِطَابَا
وكان سعد في كل حفل خطيباً فصيحاً

لَمْ يُعَوِّذْ جَنُودَهُ يَوْمَ خَطْبٍ أَنْ يُنَادَى فَلَا يَرُدُّ الْجَوَابَا
قُلْ لِمَنْ بَاتَ فِي فَلَسْطِينِ يَبْكِي إِنْ زِلْزَالُنَا أَجَلُ مُصَابَا

وكان ألمٌ بفلسطين ستنشذ زلزال مشهور ما زال الناس يؤرخون به. قالت لي عمتي رحمها الله - وكانت تخفي حقيقة عمرها - إنها تتذكر يوم الزلزال بمدينة نابلس فقد أخذها الأهل إلى الجبل وكان عمرها ثلاث سنوات.. هززت رأسي وقلت في نفسي: ٢٧ ناقص ٣ يساوي ٢٤، وعرفت تاريخ ميلادها

يا كبيرَ الفؤادِ والنفسِ والآما لَ أَيْنَ اعْتَزَمْتَ عَنَّا الذَّهَابَا؟
 كيف نَنسى مواقفَ لَكَ فِينا كُنْتَ فِيها المَهيبَ لا الهَبَابَا؟
 جَزَعُ الشَّرْقِ كُلُّهُ لِعَظِيمِ مَلاً الشَّرْقِ كُلُّهُ إِعْجَابَا
 تَفْتُلُ الدَّسَّ بِالصَّرَاحَةِ قِتْلاً وَتُسْقِي مُنَافِقَ القومِ صَابَا
 الصاب: نبات مر

قد جَمَعْتَ الأحزابَ حَوْلَكَ صَفًّا وَنَظَّمْتَ الشيوخَ والنُّوَابَا
 أي مجلسي الشيوخ والنواب
 قد بَلَّوْنَاكَ قَاضِيا ووزيراً ورئيساً ومِذْرَهاً خَلَّابَا
 ملدرة: زعيم

فوجدناكَ مِن جميعِ نواحيه لَكَ عَظِيماً مُوقِّفاً غَلَّابَا

٧٦ رثاء يعقوب صروف

أنشدھا في حفل تأبينه بدار الأوبرا في مارس/ آذار (١٩٢٨):

أُبْكِي وَعَيْنُ الشَّرْقِ تَبْكِي مَعِي عَلَى الأَرِيبِ الكَاتِبِ الأَلَمْعِي
 كُرِّمَ بِالأَمْسِ وَأَكْفَانُهُ تَنسُجُهَا الأَقْدَارُ لِلْمَصْرَعِ
 كان تكريمه قريباً وسرعان ما مات، فكأنه وهو في حفل التكريم كان غافلاً عن أن القدر جاذ في نسج أكفانه

يا صَائِغَ الدُّرِّ لِتَكَرِيمِهِ صُفِّهُ لِمَنْعَاهُ مِنَ الأَذْمَعِ
 قد زَيَّنَ العِلْمَ بِأَخْلَاقِهِ فَعاشَ مِلءَ العَيْنِ والمِصْرَعِ
 تواضَعَ العِلْمُ لَهُ رَوْعَةً يَنْهَارُ مِنْهَا صَلَفُ المُدَّعِي
 وَحُلَّةُ الفَضْلِ لَهَا شَارَةٌ أَزْهَى مِنَ السَّيْفَيْنِ والمِذْعِ
 يُشْبِعُ مَنْ حَصَلَ مِنْ عِلْمِهِ وَهُوَ مِنَ التَّحْصِيلِ لَمْ يَشْبَعِ

يشبع الناس الذين يحصلون علومه التي ينشرها في المقتطف (فتحى الشاعر العراقي الزهاوي، وهو أسن من حافظ تسع سنين، تربى معرفياً على يد مجلدات المقتطف في بيت والده)، لكن صروف نفسه لم يشبع من العلم. وكان من حسن طالع جيلنا أن أصدرت دولة الكويت مجلة «العربي» عام (١٩٥٨)، وكانت علمية أدبية كالمقتطف، وزادت عن المقتطف الصور الملونة الخلاية، وترأس تحريرها عالم جليل وصاحب لغة وأدب هو أحمد زكي الكيمياء المصري فجعلها مدرسة تعلم فيها جيل من الناس، وفي «العربي» قرأت أول الأسطر ومنها تعلمت، ومنها صرت لا أرى الآداب تقوم بغير العلوم المادية، وأحسب أن الزهاوي تعلم من المقتطف أن يكون أدبياً وطالب علم مادي في آن معاً

قَدْ غَالَتِ الْأَسْقَامُ أَضْلَاعَهُ وَالرَّأْسُ فِي شُغْلٍ عَنِ الْأَضْلَعِ

ظل تفكيره حيواً رغم المرض

يَفْتَتِطِفُ الزَّهْرَ وَيَخْتَارُهُ كَالنَّحْلِ لَا يَعْفُو عَنِ الْأَيْبِ

كان يقتطف في مجلته «المقتطف» الأزهار من رياض العلم والأدب، كالنحل الذي لا يعفو عن الزهرة ويتركها لأنها يانعة بل يغشاها

فَتَحَسَّبُ الْقُرَاءَ فِي جَنَّةٍ عُقُولُهُمْ فِي رَوْضِهَا تَرْتَعِي

صُرُوفٌ لَا تَبْعُدُ، فَلَسْتُ الَّذِي يَطْوِيهِ طَاوِي ذَلِكَ الْمَضْجِعِ

لا تبعد: كلمة تقال للميت، أي لا بُعد ذكرك

أَسْكَنَكَ الْمَوْتَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسْكِنِ الْآثَارَ فِي الْمَجْمَعِ

لم تبدد آثارك في المجمع، المجلس، ولم يكن أنشئ مجمع اللغة العربية في مصر بعد

٧٧ نضال النساء

نحية لجمعية المرأة الجديدة، نشرت في أبريل/ نيسان (١٩٢٨):

يَقُولُونَ: نَصَفَ النَّاسِ فِي الشَّرْقِ عَاطِلٌ نِسَاءً قَضَيْنَ الْعُمَرَ فِي الْحُجَرَاتِ

وَهَذِي بَنَاتُ النَّيْلِ يَعْمَلْنَ لِلنُّهْيِ وَيَغْرِسْنَ غَرْساً دَانِي الثَّمَرَاتِ

النهي: العقل

وَفِي السَّنَةِ السَّوْدَاءِ كُنْتُ قُدُوءَ لَنَا حِينَ سَالَ الْمَوْتُ بِالمُهْجَاتِ

في السنة السوداء، أثناء ثورة (١٩١٩)، بادرت النساء بالاحتجاج حين أودى الموت بمهيج وقلوب الناس

وَقَفْتُ فِي وَجْهِ الْخَمِيسِ مُدَجَّجاً وَكُنْتُ بِالْإِيمَانِ مُعْتَصِمَاتِ

وقفت النسوة في وجه الخميس، الجيش، وسلاحهن الإيمان بمطالب الشعب

تَعَلَّمْ مِنْكُنَّ الرِّجَالُ فَأَصْبَحُوا عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَهْلَ ثَبَاتِ

٧٨ رثاء محمود سليمان

كان محمود سليمان من كبار ملاك الأراضي، وقد وظف والد شاعرنا مهندساً للري في

ديروط، وأسكنه عوامة فيها ولد شاعرنا. نشرت في فبراير/ شباط (١٩٢٩):

قَسَمْتُ مَا جَمَعْتُ كَفَّأكَ مِنْ نَشَبٍ عَلَى بَنِيكَ فَكُنْتَ الْوَالِدَ الْحَانِي

وأصبح «محمد محمود» ابن الباشا رئيساً للوزراء وكان ينعم على حافظ إبراهيم كما كان ينعم أبوه على أبيه

مَا لَ حَلَالٍ مُرَكِّئِي مَا خَلَطْتَ بِهِ مِلِّيمَ سُحْبٍ وَلَا حَقًّا لِإِنْسَانٍ

السحت: الحرام

٧٩ الواقف على الستين

تحية الشام، أنشدها في الجامعة الأميركية ببيروت، ونشرت في ٢ يونيو/حزيران (١٩٢٩):

أَهْلَ الشَّامِ لَقَدْ طَوَّقْتُمْ عُنُقِي بِمِنَّةٍ خَرَجْتُ عَنْ طَوَّقِ نِيبَانِي
منة: نعمة

لِي مَوْطِنٌ فِي رُبُوعِ النِّيلِ أَعْظَمُهُ وَلِي هُنَا فِي حِمَاكُم مَوْطِنٌ ثَانٍ
سَكَنْتُمْ جَنَّةً فَبَحَاءَ لَيْسَ بِهَا عَيْبٌ سِوَى أَنَّهَا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ دُنْيَايَ فِي دَعَا قَلْبِي جَمِيعٌ، وَأَمْرِي طَوَّعٌ وَجْدَانِي
بل كان حافظ في دعة مرفهاً يقبض معاشاً محترماً من «دار الكتب»، ولكنه كان مقيداً في الوظيفة وأمره ليس طوع وجدانه، فالوظيفة المغرية حبست لسانه

أَفْضِي الْمَصِيفَ بِلُبْنَانٍ عَلَى شَرْفٍ وَلَا أَحُولُ عَنِ الْمَشْتَى بِحُلُوانٍ
ليتني وادع أقضي الصيف في لبنان على شرف، في مكان عالٍ، ولا أغير مشتاي في حلوان بمصر

تَاهَتْ بِقَبْرِ صَلَاحِ الدِّينِ تُرْبَتُهَا وَتَاهَ أَحْيَاؤُهَا نِهَا بِمُطْرَانٍ
تفتخر الشام بأن فيها قبر صلاح الدين، هذا عن الأموات، أما الأحياء فيفتخرون بمطران، وخليل مطران ابن زحلة بلبنان، وكانت لبنان في ذلك الزمن، ١٩٢٩، قد انفصلت سياسياً عن سوريا، ولكنها بقيت في وجدان الناس جزءاً من سوريا الكبرى

يَبْنِي وَيَهْدِمُ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَفِي الشَّدِّ - نَعْرِ الْحَدِيثِ فَنَعَمَ الْهَادِمُ الْبَانِي
إِذَا لَمَحْتُمْ بِشِعْرِي وَمَضَ بَارِقَةٍ فبَعْضُ إِحْسَانِهِ فِي الْقَوْلِ إِحْسَانِي
شَقَقْتُ أَسْوَاقَ بَيْرُوتٍ فَمَا أَخَذْتُ عَيْنَايَ فِي سَاحِهَا حَانُوتَ بُونَانِي
.. وليس كأسواق الإسكندرية. العامة بحوانيت اليونانيين.. وحوانيت الشام أيضاً

فَقُلْتُ فِي غِبْطَةٍ: لَلَّهِ دَرَهُمُ لَيْسَ الْفَلَاحُ لِيَوَانٍ غَيْرِ يَقْظَانٍ
ليس الفلاح، والنجاح، ليوانٍ، لكسول متوانٍ

مَتَى أَرَى الشَّرْقَ أَدْنَاهُ وَأَبْعَدُهُ عَنْ مَظْمَعِ الْغَرْبِ فِيهِ غَيْرَ وَسْنَانٍ
وسنان: نعلان

لا فَرْقَ ما بَيْنَ بُودِيَّيَ يَعِيشُ به ومسلمٍ وَيَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِي
 إن دَامَ ما نَحْنُ فِيهِ مِنْ مُدَابَرَةٍ وفتنةٍ بَيْنَ أَجْناسٍ وَأديانٍ
 المدابرة: أن يعطي كل واحد صاحبه دبره أي ظهره فيخاصمه

رَأَيْتُ رَأْيَ المَعْرِي حِينَ أرَهَقَهُ ما حلَّ بِالناسِ مِنْ بَغْيٍ وَعُدوانٍ
 لا تَظْهَرُ الأرضُ مِنْ رَجَسٍ وَمِنْ دَرَنِ حتى يُعاوِدَها نوحُ بِطُوفانٍ
 تمنى المعري، وكانت لزومياته تلازم حافظاً، طوفاناً يغسل الأرض من وسخها

وَلَى الشَّبَابُ وَجَّازَتْنِي فُتُوتهُ وهَدَمَ السُّقْمُ بعدَ السُّقْمِ أركاني
 وقد وَقَفْتُ على السَّتِينِ أسأَلُها أسَوِّفْتُ أم أَعَدَّتْ حُرّاً أَكْفاني
 وقفت قبيل بلوغ الستين أسأَلُها هل سوف أكفاني، وأجلتها، أم أعدتها وهبأتها. الحُر: من الوجه ومن المال ومن كل شيء هو حقيقته ووسطه. قد قلتُ وأنا في التاسعة والأربعين، ونشرتها في جريدة «الحال»، في شباط/فبراير (٢٠٠٥):

«وقفت على الخمسين» حيران في أمري كَانِي ناسٍ موعداً غابَ عن فكري
 أَمَسْتُ جبيني بالبنان، وإنسي لأَشُوقُ للنسيانِ مِنِّي إلى الذُّكْرِ
 بعيني أَرْنُو للفراغ، ولا أرى، ولو مَرَّ جُمُعٌ من أَمامي لم أدرِ
 وأطبقتُ أجفاني، زَفَرْتُ تَقْلَقَلْتُ بحلقي حُصَيَّاتٍ، وفاجأني عُمري

كنت أعرف أنني سرقت هذه الـ «وقفت على» من أحد، ونسيت من يكون، والآن عرفت أنني سرقتها من حافظ. وقد وقفت الآن على الستين وتجاوزتها بسنة، فأنا في العمر الذي مات عليه حافظ.. وتراني كلما قال لي أحدهم «أحسن الله ختامك» أتعجب، فلم أعد أحس بمر السنين، وتركت الأمر لصاحب الأمر.. ربما سأشعر بشيء من الفراغ بعد أن أكمل هذا الكتاب ذا المجلدات الخمسة، هذا إن بقي من الوقت وقت للشعور بالفراغ

كَم مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فَأَوْجَعَنِي وكم عَزِيزٌ مَضَى قَبْلِي فَأَبْكَانِي
 مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ وَلَوْ سِرَاعاً وَخَلَّوْا ذَلِكَ الْوَانِي
 الواني: الضعيف

إِنِّي مَلِلْتُ وَقُوفِي كُلَّ آوِنَةٍ أَبْكِي وَأَنْظِمُ أَحْزاناً بِأَحْزَانِ
 إِذَا نَصَفَحْتَ دِيوانِي لِتَقْرَأَنِي وَجَدْتُ شِعْرَ المَرَاثِي نِصْفَ دِيوانِي
 أَنَيْتُ مُسْتَشْفِياً وَالشُّوقُ يَدْفَعُ بِي إِلَى رُبَاكُم وَعُودِي غَيْرُ قَبِينِ
 العود الفينان: الساق الناضر ذو الأغصان

فَأَنْزِلُونِي مَكَاناً أَسْتَجِمْ بِهِ وَيَنْجِلِي عَنْ فَوَادِي بَرْحٍ أَحْزَانِي
البرح: الأذى

وَجَنَّبُونِي، عَلَى شُكْرِ، مَوَائِدُكُمْ بِمَا حَوَتْ مِنْ أَفَاوِيهِ وَالْوَانِ
الأفاويه: التوابل

حَسْبِي وَحَسْبُ الثَّهَى مَا نِلْتُ مِنْ كَرَمٍ قَدْ كِدْتُ أَنْسَى بِهِ أَهْلِي وَخُلَانِي

٨٠ تأبين محمد المويلحي

نشرت في أبريل/ نيسان (١٩٣٠):

دَمْعَةً مِنْ دَمُوعِ عَهْدِ الشَّبَابِ كُنْتُ خَبَّاتُهَا لِيَوْمِ الْمُصَابِ
لَبَّتِ الْيَوْمَ يَا مُحَمَّدٌ لَمَّا رَاعَنِي نَغْيُ أَكْتَبِ الْكُتَّابِ
وكان محمد المويلحي ناثراً مشهوراً وله «حديث عيسى بن هشام» على طريقة المقامات

هَذَا أَتُ لَوْعَتِي وَسَرَّتْ قَلِيلًا عَنْ فَوَادِي وَلَطَفْتُ بَعْضَ مَا بِي
سَرَّتْ عَنْ فَوَادِي تَسْرِيةً: خَفَّتْ عَنْهُ

لَوْ شَهِدْتُمْ مُحَمَّدًا وَهُوَ يُمْلِي آيَ «عِيسَى» وَمُعْجَزَاتِ الْكِتَابِ
كتاب «حديث عيسى بن هشام».. والتورية في آي عيسى أي معجزاته، ومعجزات القرآن التي
تكمن في بلاغته

وَقَفْتُ حَوْلَهُ صُفُوفُ الْمَعَانِي وَصُفُوفُ الْأَلْفَاظِ مِنْ كُلِّ بَابٍ
لَعَلِمْتُمْ بَأَنَّ عَهْدَ ابْنِ بَاحِرٍ عَاوَدَ الشَّرْقَ بَعْدَ طَوْلِ احْتِجَابٍ
ابن بحر: عمرو بن بحر الجاحظ

٨١ حنين للدموع

نشرت في فبراير/ شباط (١٩٣٢):

كَمْ رَوَّحَ الدَّمْعُ عَنْ قَلْبِي وَكَمْ غَسَلَتْ مِنْهُ السَّوَابِقُ حُزْناً فِي حَنَائِيهِ
كان الدمع يروح عني ويخفف حزن قلبي وكانت سوابق الدمع، الدمعات التي تنزل فوراً، تغسل
الحزن في حنايا قلبي، أنحائه

لَمْ أَدْرِ مَا يَدُهُ حَتَّى تَرَشَّقَهُ فَمُ الْمَشِيبِ عَلَى رُغْمِي فَأَفْنَاهُ
لم أعرف يد الدمع، نعمته، إلا بعد أن ارتشفه فم المشيب وأفناه فجفت دموعي

قالوا تَحَرَّزْتُ مِنْ قَيْدِ الْمِلَاحِ فِعْشُ حُرّاً فِيهِ الْأَسْرُ ذُلٌّ كُنْتُ تَأْبَاهُ
عَلَّلُونِي بِأَنِّي تَخَلَّصْتُ مِنْ أَسْرِ الْمَيْلِ لِلْحَسَنِ وَتَخَلَّصْتُ مِنْ ذُلِّ هَذَا الْقَيْدِ

فَقُلْتُ يَا لَيْتَهُ دَامَتْ صَرَامَتُهُ مَا كَانَ أَرْفَقَهُ عِنْدِي وَأَخْنَاهُ
لَكِنِّي أَتَحَسَّرُ عَلَى ذَلِكَ الْمَيْلِ لِلنِّسَاءِ، فِيهِ رَفَقٌ وَحَنٌّ. لَعَلَهُ نَادِمٌ أَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ
مِنَ الزَّوْجِاقِ وَيَبْقَى عَزْباً رُبْعَ قَرْنٍ فَدَهَمَتْهُ الشَّيْخُوخَةُ فَشَعَرَ بِالْوَحْدَةِ

بُذِّلْتُ مِنْهُ بِقَيْدٍ لَسْتُ أَقْلِيْتُهُ وَكَيْفَ أَقْلَيْتُ قَيْدًا صَاغَهُ اللَّهُ
الْقَيْدِ الثَّانِي فِيهِ نَظَرٌ. لَعَلَهُ الْمَيْلُ الْمُتَأَصِّلُ فِي نَفْسِ حَافِظِ الشُّبَّانِ! أَوْ لَعَلَهُ الْمَشِيبُ كَمَا يَصْرَحُ
الْبَيْتُ الْمَقْبَلُ

أَسْرَى الصَّبَابَةُ أَحْيَاءً وَإِنْ جَهَّدُوا أَمَّا الْمَشِيبُ فِيهِ الْأَمْوَاتِ أَسْرَاهُ

٨٢ فاض الكيل

نشرت (١٩٣٢):

أَخَذْتُمْ كُلَّ مَا تَبْغُونُ مِنَّا فَمَا هَذَا التَّحَكُّمُ فِي الْعِبَادِ؟
فَلَيْسَ وَرَاءَكُمْ غَيْرُ التَّجَنِّيِّ وَلَيْسَ أَمَانًا غَيْرُ الْجِهَادِ

٨٣ تعميم الخصب

أنشدهما في حفل أقامه لظه حسين طلبته بعد فصله من الجامعة، نشر البيتان في ٧
أبريل/ نيسان (١٩٣٢):

قَدْ أَجْدَبَتْ دَارَ الْحِجَا وَالنُّهَى بَعْدَكَ مِنْ آرَائِكَ النَّافِعَةَ
أَجْدَبْتَ، وَأَقْفَرْتَ، الْجَامِعَةُ الَّتِي هِيَ دَارُ الْحِجَا، الْعَقْلُ، وَالنُّهَى، الْعَقْلُ أَيْضاً، مِنْ آرَائِكَ النَّافِعَةِ
وَأَخْصَبْتَ أَرْجَاءَ مِصْرَ بِمَنْ صَيَّرَ مِصْرًا كُلَّهَا جَامِعَةً

٨٤ حكومة صدقي

من قصيدة في شؤون مصر السياسية، قالها في عهد وزارة إسماعيل صدقي، بعد إحالته
إلى التقاعد (١٩٣٢)، وقيل إنها بلغت مئتي بيت، وعثر من هذه الأبيات على قليل، منه
هذا الأقل:

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ وَابْنُ الْكِتَانَةِ فِي حِمَاهُ يُضَامُ
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُمَنِّي نَفْسَهُ بِوِدَادِكُمْ فَوِدَادُكُمْ أَحْلَامُ

أَمِنْ السِّيَاسَةِ وَالْمَرْوَةِ أَنَّنَا نَشْقَى بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
 إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صَفُوفَنَا سَنَمُوتُ، أَوْ نَحْيَا وَنَحْنُ كِرَامُ
 أَشْكُو إِلَى قَضَرِ الدُّبَارَةِ مَا جَنَى صِدْقِي الْوَزِيرُ وَمَا جَبَى عَلاَمُ
 قصر الدوبارة: مقر المعتمد البريطاني، وصدقي: رئيس الوزراء إسماعيل صدقي، وعلام: محمد
 علام وزير الزراعة

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي مُحَرَابِهِ الشَّيْخُ وَالْقَسِيسُ وَالْحَاخَامُ
 هذه لإسماعيل صدقي

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٤	وأفراح	٩	الكِسائي
٨	المُسَدِّدا	١٠	بالصُّهْبَاءِ
٢٤	حَدًّا	١٩	أبى
٢٥	والوَدَّادَا	٧٥	انصِيبَا
٢٧	يَدَا	٦	ارتِيَابُ
٨٢	العبَادِ	٣٠	والْحَسْبُ
٣٤	اليهودِ	٦٠	وَحُجَّابُ
٢١	مَجْهُودِي	٤١	الخطابِ
٦١	وَحَدِي	١٧	الطَّيِّبِ
٧١	الْعَمِيدُ	٨٠	المُصَابِ
١٥	أَثْرَا	١٣	بِاللَّهَبِ
٢	أَثْرُ	٥٩	مُجِيبِي
٢٠	الْكَوْثُرُ	٦٤	مَشِيبِي
٣٩	سَعِيرُ	٣٥	جَائِئُهُ
٦٦	كَبِيرُ	٧	الأمواتُ
١٨	نُشُورُ	٧٠	الأوقَاتِ
٦٥	الْحَذَرُ	٧٧	الحُجَرَاتِ
٥٥	سَيَرُ	٢٢	النَّضِرَاتِ
٤٥	والمَفَاخِرُ	١٦	حياتي
١١	وَحَدْسِ	٦٣	فَأَسْتَرَوْحُ

٥٢	وَسَلَّمُوا	٢٣	الطُّبَاعَا
٨٤	يُضَامُ	٧٢	نَزَعَا
٤٠	الظَّلَامُ	٤٣	يَلْمَعُ
٦٩	كَالْعَلَمِ	٧٦	الْأَلْمَعِي
١٤	مَا قَيْنَا	٧٣	تَرْقُعُ
٥١	وَيَسْقِينَا	٨٣	التَّافِعَةُ
٤٨	رَهِينُ	٣٧	تَنْطِقَا
٧٤	الْبَسَاتِينِ	٣١	يُلْحَقُ
٤٧	الْجَانِي	٣٨	الْعُشَّاقِ
٧٨	الْحَانِي	٥٨	مَمْلُوكَا
٣٢	الْفَرْقَدَانِ	٦٢	مَوْثِلَا
٤٤	المِهْرَجَانِ	٦٨	مَعْسُولُ
٧٩	تَبْيَانِي	٣	مِعْطَا
١	ثَانِ	٤٩	يُظَلُّ
٢٩	عُثْمَانِ	٦٧	الْمَعَالِي
٤٦	فَشَجَانِي	٢٨	تَقُلُّ
٥	فَاعِلَيْنِ	١٢	التَّنْدَمَا
٥٧	جَمْعَهُنَّ	٢٦	مَنْظَمَا
٥٦	بَيَانِهِ	٤٢	الْمِعْصَمُ
٥٣	عَلَيَّ	٣٣	مُتَّهَمُ
٥٤	أَهْلِيهَا	٥٠	مُغْرَمُ
٨١	حَنَائِيَاهُ	٣٦	هَيَامُ

معروف الرصافي (١٨٧٥م - ١٩٤٥م)

نامت جارتني الهندية، فهذا حين أقعد إلى حاسوبي لأكتب شيئاً.
أنصت وأصيح السمع.
نامت.

فجارتني - ولا أعرف لها وجهاً، ولا صادف أن التقينا في الردهة أو في
المصعد - لا تسكت ساعة من ساعات النهار أو المساء، فإذا ساد الصمت فلا
بد أنها نامت.

بقي أن أدعو الله ألا يُهيب بي ذلك الدافع الخفي فأهب من جلستي، غير
هائب ولا وجل، لكي أصقل الغرفة. ولا بأس أن أقول لمن يقرأ هذا إنني
أسكن منذ سنة وشهر في غرفة ملساء. أكثر ما أعجبنى فيها وقت اكتريتها أنها
ذات بلاط أملس، بخلاف شقة قديمة كنت أسكنها وكان بلاطها خشناً. وفي
غرفتي الصغيرة تحتل معدات التنظيف مساحة يمكن تقديرها بنسبة مئوية لا بأس
بها. ويطيب لي أن أمسح الغرفة بالممسحة مرتين أو ثلاثاً في اليوم، ليس لكي
أرى مقدار ما تساقط من شعر جسمي في الزمن الذي انقضى بين المسحة
والمسحة، ولكن كي أحس أنني أعيش في بانيو.

يا إلهي! عادت إلى الكلام. بيني وجارتني جدار صفيق، جدار أسمتي
حقيقي، ولكن صوت جارتني الهندية يخترق جدار الصوت. أسمعها دائماً
وحدها، يبدو أن زوجها مخلوق أنيس لا يلاسنها، أو أنه يكتفي بهمهمة
خفيفة.

يحسن بي أن أقوم ببعض التلميع عساها تنام.

نامت جارتني لا شك. وأنا الآن أجلس وتحتي شبه بحيرة، فالبلاط الأملس لا يجف بسرعة. ولا قومة لي لساعة أو ساعتين حتى يجف. الآن أشعر حقاً أنني أعيش في بانيو. وهذا جد ملائم للكتابة عن شاعر. فأنا إذ أكتب عن شاعر أحب ألا أعيش في بيئتي بل في بيئته. أحب أن أخرج من زماني ومكاني، وأنتقل إلى زمانه ومكانه.

لم يكن معروف الرصافي يعيش في المكان. فقد اهتزت الأرض من تحته طفلاً، وظلت تهتز. فإن ثبتت هزها.

كان سومرست موم الأديب البريطاني كذلك. كان مكانه الذي فيه يعيش ثروته الطائلة. في الأربعينات من القرن العشرين، كانت له سفرة في شرق آسيا، وحمل في حقيته مئة ألف دولار أميركي. استهوطني الفكرة، فقلت لنفسي يجب أن أجمع مالا كثيراً كي أقضي سنوات الشيخوخة عائشاً في ثروتي. وسألني صحفي يوماً عن أمنيته، فقلت له: أن أجمع مليون دولار. وتردد صدى هذا التصريح، وظل الأصدقاء يسألونني: هل اكتمل لك المليون؟ الجواب: لا. بل ها قد دخلت في الشيخوخة، وإنني لأرى أحياناً بجانبني ورقة، فأنظر ذات اليمين وذات الشمال، فإذا وجدت نفسي وحيداً استللت قلمي وبدأت أحسب القروش التي وفرتها. كذا يفعل كل من أوشك على التقاعد. وخير رزق للشيخ بعد أن تصد عنه الوظائف التوفير والتدنيق.

سنة، وأكون قد تخلصت من هذه السلسلة التي أحدثك فيها عن الشعراء وأسمعك شعرهم. سنة، ويأتي الزمن الشيخوخي الذي يحس فيه الإنسان بأنه يملك الكثير من الوقت، وهو في الحقيقة لا يملك منه سوى القليل. سنة، وتبدأ مرحلة جديدة تصبح فيها أحلام اليقظة صعبة. ربما لهذا السبب يقبل المسنون على الدين إقبالاً ملحوظاً، فعندما تنتهي أحلام يقظتهم ينتبهون إلى أن هناك حلماً خالداً ويركزون اهتمامهم فيه.

على أنني الآن قاعد في البانيو، وتحتي ما زال البلاط يلمع، ولمّا تجفّ البحيرة. ولا حيلة لي في القيام. إن جاءني فكرة حسنة فها أنذا أكتبها، وإن لم تجئ فعلى القارئ أن يحتمل كل ثرثرتي، فلا قومة لي حتى تجف بحيرتي.

جف الماء.. ليس ماء بحيرتي بل ماء حلقي. فقد عادت جارتني إلى

الكلام، ليس صراخاً هذه المرة بل كلام هادئ. ومع ذلك أقسم لو أنني أعرف لغتها لفهمت كل كلمة من كلامها، ففي صوتها خاصية غريبة هي الاستواء. إنه لا يصعد ويهبط مثل أصوات البشر، بل يظل على وتيرة واحدة، هادئاً كان أم صارخاً. وهو الآن ليس بصارخ، لكنه عالٍ، ومتواصل.

وعلى صوتها الهادئ، وكلامها الذي لا أفهمه، يمكنني أن أركز ذهني في حياة معروف الرصافي المضطربة. فإن لم أحسن التركيز فلا بأس.. فحياته كانت مضطربة.

هذا رجل بغداددي. والواقع أنه طفل بغداددي لا رجل. فعلى غير ما عودتك سوف أبدأ من شاعرنا منذ الولادة وأصعد درجة درجة حتى أوسده حفرتة.

معروف الرصافي

ولدت أم عربية، في بيت أبيها جاسم، وربته عربياً. فقد كان أبوه الكردي عبد الغني محمود، العريف في الجيش العثماني، ثم شرطي الجندرية، غائباً معظم الوقت، ثم مات ومعروف في نحو السابعة من العمر، فإن رأيت يذرف الدموع في أكثر من قصيدة على اليتيم فاعلم أنه يستقي من بئر حقيقته.

كانت فاطمة بنت جاسم تعتني بولدها وترسله مع شطيرته إلى الكتاب كل يوم. ثم أخذ معروف يتردد على «المدارس الدينية»، لا أدري طبيعة هذه المدارس، ولا الجهة التي كانت تنفق عليها، وأنا أنقل لك بعض المعلومات من نجدة فتحي صفوة في كتابه عن الشاعر ضمن سلسلة «الأعمال المجهولة»، والكتاب طيب وذو أسلوب قوي، رغم أنه المؤلف فيما بدا لي لم يدقق النص بعد أن دفعه إلى المطبعة.

بعد ذلك التصق الرصافي بأستاذ كبير هو الشيخ محمود شكري الآلوسي اثنتي عشرة سنة لا يفارقه. والآلوسي بحر زاخر في علوم اللغة والأدب القديم وعلوم الدين على مذهب أهل السنة. فمن نظر في كتابه «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» عرف أن الرصافي عب من البحر.

لقب الآلوسي تلميذه النابه «الرصافي» مستذكراً معروف الكرخي الصوفي الزاهد، والرصافة جانب بغداد الشرقي المقابل للكرخ، وكان التلميذ يتدرب على الشعر بمدح أستاذه.

عمل الرصافي في التدريس، وظل ينظم، وأخذ ينشر أشعاره في مجلات مصر وسورية وهو بعد فتى، فظن الناس أن «الرصافي» اسم يستخفي وراءه شاعر كبير لا يريد أن يتأذى بما في قصائده من صراحة. ومع إعلان الدستور العثماني ١٩٠٨، ثم خلع السلطان عبد الحميد في السنة التالية، كان الرصافي في الثالثة والثلاثين من العمر، معلماً واعياً لما تحدثه التغيرات في إستانبول على أحوال العراق. وقد نشط في تأييد ضباط جماعة «الاتحاد والترقي» الذين أرغموا السلطان على الدستور، فانقلب عليهم، فعزلوه. وكان لجماعة الاتحاد والترقي في بغداد حضور، وأصدروا صحيفة بالعربية والتركية، وتولى الرصافي تحرير نسختها العربية.

برزت في ذلك الحين الأفكار العلمانية للرصافي. كأن صاحبنا بعد أن أخذ عن أستاذه الكبير علمه الغزير باللغة والأدب خالفه في تمسكه القوي بالدين على المنهج السلفي القريب من الوهابية.

استدعى القطب الصحافي في إستانبول «أحمد جودت» الرصافي ليحرر جريدة في عاصمة الدولة، فذهب الرصافي، ليجد أن المشروع قد ولد ميتاً.

توجه الرصافي إلى بيروت حيث احتفت به الأوساط الأدبية، وطبع له هناك، عام ١٩١٠، ديوان بوبه وقدم له اثنان من كبار أهل الأدب (محيي الدين الخياط، ومصطفى الغلاييني)، وفي هذا ما يدل على أن أهل الأدب واللغة في ذلك الزمن عرفوا قيمة الرصافي الأدبية وعمق معرفته باللغة وأساليبها، وهو بعد في الخامسة والثلاثين من العمر. ثم عاد الرصافي إلى بغداد.

واستدعي الرصافي ثانية إلى إستانبول لتحرير صحيفة «سبيل الرشاد»، فذهب. وخلع في إستانبول الجبة والعمامة وتزوج امرأة تركية. وأخذ يدرّس الواعظين، وكان طلعت باشا أحد كبار رجال الاتحاد والترقي يدرس العربية على يديه، ويقول «شيخي معروف الرصافي».

وعلى يدي طلعت دخل الرصافي مجلس المبعوثان نائباً في عام ١٩١٢، و«زامل في ذلك المجلس نائباً شاباً من الحجاز اسمه الشريف فيصل ولم يكن يخطر لأي منهما في ذلك الوقت ببال أن هذا الشاب الحجازي سيتوج بعد أقل من عشر سنوات ملكاً على العراق، وأن الرصافي سيصبح من أشد مناوئيه»، اهـ عن نجدة فتحي صفوة.

بقي الرصافي في النيابة أزيد من أربع سنين مؤيداً للدولة العثمانية في حربها ضد نصف العالم، الحرب العالمية الأولى. كان على بعض اتصال مع الجمعيات العربية التي تتطلع إلى نيل العرب حقوقهم، ثم صارت تتطلع - بعد أن بدا واضحاً أن الدولة العثمانية آيلة للتفكك - إلى نيل بلاد العرب الاستقلال، وكان الرصافي ينتقد هذا التحرك. قد ظل الرصافي عثمانياً الهوى.

وعندما قام شريف مكة، الشريف حسين، بالتحرك ضد الدولة العثمانية بدعم بريطاني رماه الرصافي بخيانة الدولة العثمانية الإسلامية وممالأة أعدائها. وبدأت أعراض الهزيمة تظهر بوضوح متسارع على الدولة العثمانية وحليفاتها ألمانيا والنمسا في الحرب العالمية الأولى، وظل الرصافي عثمانياً.

توجع الرصافي عندما سقطت بغداد بيد الإنجليز عام ١٩١٧، وظل في إستانبول حتى انتهت الحرب في عام ١٩١٨. ودخلت تركيا نفسها مع انتهاء الحرب في أتون حروب داخلية ستنتهي بقيام الدولة التركية الحديثة على يد مصطفى كمال أتاتورك.

غادر الرصافي إستانبول إلى دمشق، حيث كان الأمير فيصل يهيء نفسه لتسلم العرش بدعم بريطاني، ولأن موقف الرصافي من الإنجليز معروف فقد تعذر عليه أن يمكث في دمشق، فتوسط له محمد كرد علي في وظيفة بالقدس.

مكث الرصافي في القدس عامين سعيدين احتفى فيهما به أدباء فلسطين. كان معلماً في مدرسة المطران. لا ندري إن كان الرصافي قد عرف قبل مقدمه أن هذه المدرسة إنما أنشأها المبشرون الأنجليكان الإنجليز قبل عشرين سنة من مقدمه، وظلوا يديرونها حتى يومنا هذا. على أن الأنجليكان، بخلاف كل الطوائف، يتسمون بسماحة لم يتسم بها الحكم الإنجليزي الذي كان قد وطد لنفسه في فلسطين قبل قدوم شاعرنا. لقد دخل الجنرال إدmond ألني القدس في أواخر عام ١٩١٧ راجلاً احتراماً للمدينة المقدسة، ولكن وزير خارجيته في لندن آرثر بلفور، صاحب الاعتقاد بالشعوذة والرئيس السابق لجمعية غيبية لا تؤمن بأن الإنسان يموت، كان قد أصدر الوعد المعروف باسمه لليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين قبل شهر وتسعة أيام من احتلال الإنجليز للقدس.

عاش الرصافي في القدس مع إخوته من الفلسطينيين وجلهم كان غافلاً عما يدبر للبلد رغم الإشارات الواضحة.

وبعد هذين العامين السعيدين استدعت بغداد ابنها. لقد بدأ زعماء العراق يحشدون قواهم تحت شعار «العراق للعراقيين». ذلك أن فيصلاً طرد من دمشق شر طردة بعد أن أخلاها الإنجليز للفرنسيين ودخلها الجنرال غورو دخولاً وقحاً وهو يبشر نفسه بأنه قد بلغ بالحروب الصليبية نهايتها بانتصار الغرب. وبدأ الإنجليز يرتبون لفصل كي يتسنى عرش العراق.

استدعى زعماء بغداد الرصافي المعادي للإنجليز كي يحرر جريدة لهم تدعم مطلبهم.

لكن الإنجليز شقوا صف الزعماء العراقيين وتوجوا فيصل ملكاً على العراق. وصل فيصل في صيف ١٩٢١، واستقبله الرصافي بقصيدة قدح ثم بقصيدة مدح. لكن فيصلاً زوى وجهه عن زميله القديم في المبعوثان. واستعطفه الرصافي برسالة بعد سنة. ولم يقبل عليه فيصل بوجهه. فأخذ شاعرنا يث في الناس أهاجيه في فصل.

سافر الرصافي إلى إستانبول، وكان قد طلق زوجته التركية قبل رحيله في نهاية الحرب، ورأى أن ما كانت عليه إستانبول وهي عاصمة الإمبراطورية تغير كثيراً. فلم تعد عاصمة دولة نصف أهلها عرب، بل كبرى مدن تركيا وحسب. وبسرعة مضى الرصافي إلى بيروت يريد أن يقيم بها. لكنه عدم في بيروت مورداً للرزق مع أنه اختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، فعاد إلى العراق وشارك في انتخابات المجلس التأسيسي ١٩٢٤، ولم ينجح. لا، ولم يقربه فيصل الذي بلغته أبيات الرصافي في هجائه.

عمل الرصافي في تدريس اللغة العربية موظفاً في المعارف. وأخذ يمدح الملك ورجال الحكم ويهجوهم طامعاً في منصب كبير. كان فيصل رجلاً حكيماً عاقلاً، وكان الرصافي شاعراً قلقاً. فعاش الملك مغضياً ومحتماً ما تجود به قريحة الشاعر، وعاش الشاعر آمناً ومقصي عن رفيع المناصب.

لكن الله أرسل للرصافي رجلاً رقيق القلب وصاحب سياسة هو رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون. أقنع السعدون الملك بأن يسمح للرصافي بالترشح لمجلس النواب. وانتخب الرصافي نائباً في عام ١٩٢٨. وممرت سنة وانتحر رئيس الوزراء السعدون، في الأغلب لأنه شعر أن المطلوب منه أن يكون لعبة ثانية بيد الإنجليز، حيث اللعبة الأولى فيصل نفسه.

بقي الرصافي في مجلس النواب أربع سنين، ثم ضاق رزقه فارتحل إلى الفلوجة على بعد ثمانين كيلومتراً من بغداد، وعاش في بيت أفرد له بعض من يقدر أدبه. ومات فيصل عام ١٩٣٣، ورثاه الرصافي. وعاد الرصافي إلى مجلس النواب عام ١٩٣٥ وظل فيه أربع سنين أخرى.

في الفلوجة، حيث مكث الرصافي سبع سنين، كتب كثيراً من النثر. فيها كتب «الشخصية المحمدية» الذي سنتحدث عنه بعد أن نوصل الرصافي بأمان إلى حفرة قبره.

عاد الرصافي إلى بغداد مع قيام انقلاب رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١. كان حكام البلد الإنجليز يخوضون حربهم العالمية الثانية، ولم يكونوا في مزاج يسمح لهم بقبول انقلاب مدعوم من هتلر. فقمعوا الانقلاب الذي أيده الرصافي بكل قوة.

كان الرصافي يعيش في بغداد في دار مستأجرة مع خادمه عبد بن صالح وأولاد الخادم الكثر. فتح الرصافي دكاناً لبيع السجائر، وتوسط له أهل الخير لكي يأخذ حصة من سجائر «غازي» من الشركة لبيعها. ونظم شاعرنا بيتاً، ربما رشحناه ليكون أسخف بيت شعر عربي، في الدعاية لسجائره: دُخِّنْ سيجارة غازي/ واشعُرْ بفخر اعتزاز. ونشر البيت في دعايات السيجارة المذكورة في صحف بغداد. ولكن هذا لم يشفع للدكان المنحوس فسرعان ما أغلق أبوابه. . إن كان له أكثر من باب. وقال شاعرنا: «والله لو حاولت بيع الأكفان لما استأثرت يد الرحمن بنفس من الأنفس».

خصص مظهر الشاوي، أحد شيوخ القبائل، مرتباً للرصافي. وشاعرنا صاحب مزاج، وهو سخي متلاف. يصف لنا أحمد حسن الزيات زيارته للرصافي في بيته ببغداد. . وسأقل لكم وصفه.

العودة عصر اليوم التالي

قد مضى ذلك المساء الذي كتبت فيه الصفحات السابقة. . والآن أكتب في عصر اليوم التالي. . فاسمعوا الآن معي ما أسمع من خلال الجدار الأسمنتي في غرفتي! كاكّا آآع. . ددي نيكاب أوز دوب. هل فهمتم شيئاً؟ لحظة. . سورات! ماذا؟ هنا بدأت الأحرف تتوالى على نحو يصعب معه تدوينها. إن كنت تفهم لغة هذه الآدمية فأنت بحول الله قد عرفت عن جبراني ما لا أعرف. همنا هاما دي! ما معنى هذا لو سمحت؟

وأسمع بوضوح شديد: تيكا ماسالا، كاري كاري. والصوت غير الصوت. هذا في الواقع صوت بطني. فقد أخذ يتجاوب مع جارتي الهندية تحت وقع الجوع بكلمات حببية إلى قلبي. وكيف لا تكون حببية وهذه الخلطة من البهارات الهندية كافية للقضاء على كل نكهة. أطيخ بها نعل جذك العتيق على نار هادئة وستجد له مذاقاً رائعاً. . مذاق المسالا طبعاً. لا أدري ماذا يقدمون لنا في المطاعم الهندية الرخيصة. . تأكل وتملاً بطنك وتدفع أقل مما تدفعه في شطيرة جبن.

سأقوم إلى إعداد غدائي الآن، فمنذ الصباح لم أتناول شيئاً. وعندي سمكة. ليست كالسمكة التي نصحني بها صديقي في لندن.

جلد السمك

كان الشاعر العراقي صلاح نيازي يقف أمامي في طابور مطعم الإذاعة البريطانية يسوق صينيته على السكة وأسوق صينيته خلفه، والتفت إليّ ووجهه مشرق بالفرح: «عيني شوف. سمك، سمك، وبجلده. عيني! لا تطرح جلد السمكة جانباً. أرجوك، أرجوك». وتغضن وجهه وكأنه يلقي قصيدة حزينة. «لا، لا. كل الفائدة في جلد السمكة. يود! مليء باليود. يصعد إلى قشرة الدماغ فوراً، وكُلُّش مفيد للذاكرة».

لا أذكر إن كنت عملت بنصيحته أم لم أعمل. لكنني من يومها وأنا أغمض عيني كلما قدمت إلي سمكة بجلدها، وأبلع قطعة من هذا الجلد بلعاً، وها هي ذاكرتي تسبّح بحمد ربها. سلني عن أي شاعر أكتب الآن؟

غدائي سمكة منزوعة القشر والشوك معاً. لا أريد يوداً، ولا أريد أن أخوض لعبة البحث عن الشوك. عندي نصف سمكة منزوعة الفائدة، وسأشحنها شحناً بالكاري والمسالا، وأعود إلى شاعرنا. كائناً من كان شاعرنا. وليكن في علمك أنني عندما أملاً بطني أكتب كتابة مملة مشحونة بالثرثرة. تماماً مثلما أفعل الآن وأنا أتضور جوعاً.

العودة إلى الرصافي

اللهم أدم النعمة، واحفظها من الزوال.

كنا نقول إن الرصافي قعد في سنيته الأخيرة في بغداد تحت حكم الإنجليز

الذين كرههم وكرهوه. ولكنه عرف دهاءهم. ورأى كيف تتحرك السياسة العراقية في زمنهم، فكان كمن يشهد مسرح العرائس.. يرى العرائس ولا يرى الأصابع الخفية التي تحركها.

استطراد عن الإنجليز

الإنجليزي مخلوق من مخلوقات الله، يمكن أن يكون ذكياً ويمكن أن يكون بغلاً. ولكن ستين مليون بغل يسرون في اتجاه واحد يحركون الجبال، وثلاثمئة مليون عربي - كل واحد منهم، زعيم، أو فقيه، أو ولي من أولياء الله، له قول في خالق الكون وفي فوائد جلد السمك - يسير كل منهم في اتجاه مختلف يتحركون فقط حركة موضعية، كان يسميها معلم التربية البدنية «مكانك سر».

قبل أزيد من ربع قرن خاطبني زميل إنجليزي يشتغل في الراديو القومي الثالث، المتخصص في الموسيقى، وقال لي: قد نصحوني بك لهذا البرنامج الذي نريد إنتاجه في لبنان. اسم البرنامج «نجوم فوق لبنان» وهذه ترجمة حرفية لـ «ستارز أوفر لبنان». هل رأيت كلمة لبنان وهي مكتوبة باللفظ الإنجليزي؟ في الواقع أهل ذلك البلد الشقيق ينطقونها لبنين. ولكنهم إذا استمروا في إهمال اللغة العربية قد يقولونها ليون، أو أي شيء آخر.

المهم، مضينا إلى لبنان. وذهبنا إلى الحازمية ورأينا وديع الصافي. قال لي: من وين حضرتك؟ قلت له: فلسطيني. قال لي كلمة واحدة: معلش. وكان لقاء طريفاً. أطرف ما فيه أن وديع الصافي لا يتحدث كلمة إنجليزية واحدة. فترك لي صاحبي الإنجليزي، وهو مخرج البرنامج وأنا المقدم، المجال لكي أسرح مع وديع الصافي في ذكريات أيام زمان مع صباح وفيروز، وبعلمك.

ثم ذهبنا إلى عجلتون لنرى فادية الحاج، وبعد السؤال الأول بدأت توجه كلامها للإنجليزي لا لي. ومثلها فعل وليد غلمية الذي قابلناه في معهد الموسيقى في سن الفيل. ما الذي يميز هذا الإنجليزي عني؟ أهو فهمه للموسيقى والغناء في لبنان؟ بالطبع لا. ولا هو عمره، فربما كان يصغرني ببضع سنوات. ولا حتى لغته الإنجليزية، فقد كنت أتكلم مع النجوم بالعربية أو بإنجليزية مبسطة كي أستل منهم بعض العبارات الإنجليزية، لأن البرنامج سيكون لجمهور إنجليزي.

عند الرحابنة في أنطلياس

ذهبنا إلى أنطلياس والتقىنا منصور الرحباني . كان قد دخل في مرحلة العزوف الشيخوخي ، وبدأ يحدثني - ويحمد الله أنه لم يكن يحسن شيئاً من الإنجليزية - عن العلاقات المميزة بين المسلمين والمسيحيين . ولم يكن هذا الأمر مما يعني ، لا في ذلك اللقاء ولا في أي لقاء آخر في حياتي كلها . فهؤلاء القوم في لبنان يتبادلون القبلات اليوم ويسحبون خناجرهم غداً ، وكلهم يقتتلون : طائفاً يقتتلون ، وعشائرياً يقتتلون . فإذا لم يكن ثمة تهديد من طائفة أخرى فإن أبناء الطائفة الواحدة يتسلون فيما بينهم بحرب أهلية صغيرة .

وخرجنا من عند منصور الرحباني . وفي الشارع أمام البيت وقفت كي ألقى في آلة التسجيل كلاماً يكون بمثابة المقدمة للقاء . لاحظت لون الشبايبك ، إنه أحمر أحمر . . في حمرة الدم . وأعادني هذا ، ليس إلى الدم الذي سفحه أشقاؤنا في حربهم الأهلية الأخيرة ، بل إلى هذا الوضوح الطفولي في أغاني الرحابنة . كانت الدنيا في العالم الرحباني بسيطة وملونة بألوان أساسية . كان أغرب لون عندهم اسم مغنيتهم «فيروز» ، وبخلافه فليس عندهم تلك الألوان المختلطة : الخمري والبطيخي والتركواز ، بل اكتفوا بالأحمر والأصفر والأخضر والأزرق بأبسط صورة . قلت أشياء من هذا القبيل .

وسقط في يد صاحبي الإنجليزي . وبدأ يحاججني في إشارتي إلى اللون الأحمر . قلت له : أحاجيك أن تجد لي في بيروت كلها شبايبك بهذا اللون . هذا لون اختاره ناس صنعوا عالماً في الهواء ، صنعوا دنيا أحلامية . هؤلاء ارتفعوا عن واقع بلدهم بما يكفي ليقولوا في كلامهم وموسيقاهم أشياء تصلح لكل زمان ومكان . لقد صنع الرحابنة في نحو سبع عشرة مسرحية عالماً من الخيال ، فيه الحب والسياسة ، وفيه المرح والنكتة ، وفيه أجمل الشعر وأجمل الموسيقى . وحرى بالمتقف العربي أن يربأ بنفسه عما تفعله إذاعات الإف إم من أعمال السكين في هذه المسرحيات ، واستخراج الأغاني منها ، وإلقاء الحوار في سلة المهملات . حرى بالمتقف العربي أن يعود إلى هذه المسرحيات فيسمعها كاملة لكي يدخل في هذا العالم الرحباني ، ويتذوق الفن على درجة تذوقه أرفع من درجة التذوق البسيطة بالأغنية وحدها منزوعة من المسرحية .

مكثت على حالي تلك مع مخرجي الإنجليزي أسبوعاً ذقت فيه مرارة عقدة الخواجا عند كبار أهل الفن، ومرارة ضيق الأفق عند هذا الرجل. وعدنا إلى لندن، وسجلت المزيد من الوصلات والمقدمات. وكان من محاسن شخصية صاحبي أنه منظم غاية التنظيم فجمع البرنامج من القصاصات الصوتية الكثيرة، وصاغه في أحسن صورة في ثلاث حلقات.

عودة ثانية إلى الرصافي

لا تنتظر من الرصافي أن يكون خائفاً للإنجليز، فهو حر، وفي شخصيته خليط من القسوة والرقّة والجلافة وطيبة القلب. ولا تنتظر منه أن يكون مفكراً رصيناً لما في شخصيته من تقلب وحدة مزاج. وربما أيضاً لأنه شاعر، وربما أيضاً لأنه كف عن المطالعة في سن مبكرة مكتفياً بما تعلمه من أستاذه الألوسي. وشر ما تعلمه الرصافي التعصب الطائفي. وهو في كتبه «السياسة في العراق»، و«الشخصية المحمدية» متحامل على الشيعة تحامل من هو واثق من أنه على حق. لكنك تراه يتعامل مع أبناء بلده من الشيعة بأريحية وطيب نفس. كان في حياته وفي أفكاره التي سترها واضحة كل الوضوح في شعره علمانياً بعيداً عن الدين. وترك لنا مصداق ذلك في كتابه الكبير «الشخصية المحمدية».

سمعت عن الكتاب من زكي مبارك.

فقد زار الأديب المصري الشاعر الرصافي وهو في الفلوجة، وقد أنهى لتوه كتاب «الشخصية المحمدية». وجاء الرصافي لزكي مبارك بمخطوط الكتاب، اسمع زكي مبارك: «ألح عليّ الشاعر في أن ألقى نظرة على ذلك الكتاب، وهو مخطوط في عشرة كراريس، وكنت قضيت ساعة في هدوء. فلما وقع بصري على بعض فقرات الكتاب ثرت ثورة عنيفة، وانطلقت أجادله بلا ترفق ولا تلطف. وقابل الشاعر ثورتي بأدب رائع دلني على أنه من أقطاب العقل [...] والرصافي، مؤلفاً، غير معروف، لكن كتابه عن النبي محمد كتاب هائل جداً، وترجع أهميته إلى ما فيه من نقد الأخبار والأحاديث، وقد لا تتسع الصدور لظهور هذا الكتاب، وهذا هو الشاهد على أن أسلافنا كانوا أوسع صدرأ وأعلى مقاماً، إه عن «وحي بغداد» لزكي مبارك.

قرأت هذه الفقرة عند زكي مبارك، وقلت في نفسي لعل كتاب الرصافي ضاع. وقرأت في مكان آخر ما يدل على أن نسخة منه محفوظة في بغداد. ثم

فجأة جاءني من يقول إن الكتاب قد طبع في ألمانيا. كنت أوشك على سفر إلى هناك، بل إلى المدينة نفسها التي زعم الزاعم أن الكتاب طبع بها.

لم أعثر على الناشر في مكتبه. ولكن صديقاً أهدي إليّ نسخه. فإذا هو كتاب كبير حقاً، يتجاوز السبعمئة صفحة. وقد عهدت الرصافي الناشر يكتب الفقر القصيرة والكتب الصغيرة ككتابه عن السياسة في العراق.

جعلت كتاب «الشخصية المحمدية» زادي في أسبوع قضيته في لندن وآخر في أمستردام. ويا له من كتاب! ولكثرة ما فيه من جحد الغيبات، والتشكيك في أحداث ظل الناس يروونها وكأنهم رأوها بأعينهم، ولكثرة ما فيه من نقد للدين بسن الرمح لا بسن القلم، لم يعد أحد قادراً على حجبته عن النت. فنسخته المصورة موجودة في كل مكان. والممنوع مرغوب. ولا أجادل الرجل في كلامه، وحتى عندما أورد له من الشعر بعض ما يشبه ما جاء في نثره فإنني إن ناقشته في مسألة لغوية فلا أناقشه في أفكاره.

لم يتزوج الرصافي بعد امرأته التركية. وعاش الثلاثين سنة الأخيرة من حياته عيشة بوهيمية، حتى وهو نائب في مجلس النواب. زاره الأديب المصري أحمد حسن الزيات، صاحب «الرسالة»، في بيته في بغداد بعد عودته من الفلوجة. وكتب عن هذه الزيارة عقب وفاة الرصافي: «... ودخلنا البيت فإذا هو بيت الشاعر الأعزب المتلاف، لا أثاث ولا نظام ولا حرمة... وليس في البيت مكتب ولا مكتبة، فقد كان لا يقرأ، وإنما يتكئ على شدة ذكائه وحدة فهمه، ويكتفي بما حصل في شبابه من أدبه وعلمه. وكان في الردهة قوم يأكلون ويشربون، وفي حجرة النوم آخرون يسمرون ويلعبون، وكان الرصافي يتصدر هؤلاء وفي يمينه كأس وفي يساره ورق [اللعب]، فلما رأيته فض اللعب وأقبل بأنسه علي، ثم أخذ يشرب ويتحدث عن الحقائق العارية في غير اكتراث ولا تحفظ، ويظلم الرصافي من يقيد عليه في مثل هذه الحال... هذه صورة مصغرة لحياة الفقيد الكريم، أما عقيدته فالأمر فيها لله لا للناس».

ويصف الشاعر محمد مهدي الجواهري الرصافي وهو في آخر أيامه: «... في تلك الغرفة الجرداء التي لا أنساها أبداً، وكأنما أنا فيها الآن، كان الرصافي على سرير من السرر الرخيصة... وقد أحس بي وأنا أدب على أطراف أصابعي لثلا أوقفه... وكانت الحيرة في أين أجلس إذ ليس في الغرفة

كرسي أو خشبة أو حتى حجر للجلوس، ويتحامل الرصافي على نفسه فألح عليه ملتصقاً ألا يفعل، فيأبى وأطيع، فأحدث إليه آخر حديث وأوجعه قبل أن يموت بأيام».

وكتب الرصافي وصيته وأودعها لدى محام صديق، وعند وفاته قرأها على الحاضرين صديقه وراويته مصطفى علي. أوصى الرصافي بكل ما يملك، وبحقوق مؤلفاته لأسرة خادمه عبد بن صالح. وأوصى أن يدفن في أي مقبرة كانت، «على أن يكون قبري في طرف منها، وأن يكون في أرض مظلومة وهي التي لم تحفر قبلاً». والتوقيع: «المؤمن بالله وحده لا شريك له معروف الرصافي».

أحسن إلى الرصافي كل الإحسان راويته مصطفى علي، وهو لغوي مدقق وأديب، بنشر ديوان الشاعر نشرأ محترماً في خمسة أجزاء. وعلى هذه الطبعة اعتمدنا. ومصطفى علي في هذه المجلدات الخمسة يروي وينقب لك عن المعنى القاموسي مع ضبط طيب للكلمة في الهامش ببيان بابها الصرفي، لكنه لا يشرح معنى دقيقاً ولا يشفي غليل من أراد أن يعرف مناسبة القصيدة أو تاريخ نظمها. فهو يورد من ذلك الشيء بعد الشيء. وقد أخذنا عنه تواريخ بعض القصائد، ولم نبحث كثيراً عند غيره.

الرصافي شاعر مهمل، يكتب قصيدته على ظهر مغلف أو علبة سجائر. أو هكذا أتخيله. يكتبها قبل الحفل الذي سيلقيها فيه بيوم أو بساعتين. وقد تأتي قافيته قلقة، أو قد يحشو البيت بحشوة منكرة. وقد نقبس له في القطعة بعد القطعة بيتاً من هذه الأبيات المتعبة لأنه يقيم لنا السياق. لا عليك من ذلك. الرصافي كان لسان زمنه وبلده، وكان جريئاً، وكان صاحب موقف، وكان يحسن أن يقول بين الحين والحين بيتاً رناناً يردده الناس في العراق. وخير لك أن تتحرى مزاج العراق عصرئذ في شعره من أن تقرأ كتب التاريخ. وقالوا: خياله ضيق. وأقر هو بذلك في أكثر من قصيدة، وافتخر بواقعيته.

كنا ونحن نقرأ ديوانه نشعر كأن الرصافي واقف أمامنا يلقي هذه القصائد، وهذا شيء جميل. لكنك قد لا تريد أن تقرأ الألف والسبعمئة صفحة التي هي الديوان. حسناً فهذه خمسون صفحة فقط هي أجمل ما قال معروف الرصافي.

١ الضمير لثاماً

(١٩٢٢):

وَلَرَبَّ خَافِيَةٍ يُكْتِمُهَا الْفَتَى والوجه منه بِسِرِّهَا يَنْكَلِمُ
كُلُّ يُشِيرُ إِلَى السَّرِيرَةِ وَجْهَهُ فكأنه بِضَمِيرِهِ مُتَلَثَّمُ

السريرة: الضمير وما يخفيه المرء، والمرء لا يستطيع أن يخفي مكنونه فكأنه يضعه على وجهه كما يضع الكوفية

إِنَّ الْوَجْهَ صَحَائِفَ مَطْمُوسَةً يَمْحُو كِتَابَتَهَا وَيُثَبِّتُهَا الدَّمُ

الدم الذي يتدفق إلى الوجه كأنه الحبر الذي يكتب في الوجه ما يخفيه الضمير... فالوجه يحمر أو يصفر بما يتدفق أو لا يتدفق من دم

إِنِّي أَرَى هَذِي الْوُجُوهَ نَوَاطِقاً بِالسَّرِّ لَكِنْ نُظْقُهُنَّ مُجْمَعِمُ

مجمم: مغمغم، غير واضح، مثل نطق الإنجليز عندما يتحدثون باليابانية، أو العكس

٢ المرأة بين الأب والزوج

مَا أَهْوَنَ الْأُنْثَى عَلَى ذُكْرَانِنَا فَلَقَدْ شَجَانِي ذُلُّهَا وَخُضُوعُهَا

ضَعُفَتْ فَحُجَّتْهَا الْبِكَاءُ لِحْصِمِهَا فَسَلَّحُهَا عِنْدَ الدَّفَاعِ دُمُوعُهَا

هِيَ مُتَعَةً الْمُسْتَمْتَعِينَ، وَلَيْتَهَا كَانَتْ لِرِزَاماً لَا يَجُوزُ مَبِيعُهَا

بيع اللزوم في الفقه: الذي لا يجوز للمشتري فيه رد السلعة

فَوَلَّيْتُهَا عِنْدَ الزَّوْاجِ يَبِيعُهَا وَحَلَّلْتُهَا عِنْدَ الطَّلَاقِ يُضِيعُهَا

ولي المرأة: أبوها أو من يقوم بتزويجها، حليها: زوجها

وَكَلَّاهُمَا مُتَحَكِّمٌ فِي أَمْرِهَا هَذَا يُعَرِّبُهَا وَذَاكَ يُجَبِّعُهَا

٣ كون عجيب

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْكَوْنَ فِي الْأَصْلِ وَاحِداً عَجِبْتُ لِأَنَّ الْخَلْقَ فِيهِ ضُرُوبُ

ضروب: أنواع

وَأَنَّ اخْتِلَافَ الْأَدَمِيِّينَ سِيرَةً وَهُمْ قَدْ تَسَاوَوْا صُورَةً لَعَجِيبُ

وَأَعْجَبُ مَا فِي الْكَائِنَاتِ ابْنُ آدَمَ فَمَا غَيْرُهُ فِي الْكَائِنَاتِ مُرِيبُ

يُذَمُّ فَعَلَ السُّوءَ وَهُوَ حَلِيفُهُ وَيَحْمَدُ قَوْلَ الصِّدِّيقِ وَهُوَ كَذُوبُ

تسويد البيت من عمران القفيني

ولو بَاحَ كُلِّ بِالَّذِي هُوَ كَاتِمٌ لَمَّا عُدَّ فِي هَذَا الْأَنَامِ أَدِيبٌ
المتأدبون هم كذلك لأنهم يكتُمون ما بأنفسهم من خساسة، ولو أظهر كل إنسان ما يكتُمه لما كان
في البشر أي شخص على خلق

وقد يفتري المال الفضائل لِلوَرَى وليس لَهُمْ مِمَّا افْتَرَاهُ نَصِيبٌ
المال يفتري الفضائل للورى: ينسب إلى الناس محاسن ليست لهم

٤ المصير

وما المرءُ إِلَّا بَيْتٌ شِعْرٍ عَرَوْضُهُ مَصَائِبُ، لَكِنْ ضَرْبُهُ حُفْرَةُ الْقَبْرِ
العروض: الجزء الأخير من الشطر الأول من بيت الشعر، الضرب: الجزء الأخير من الشطر الثاني
من البيت

وَتَنْظِمُنَا الْأَيَّامُ شِعْرًا، وَإِنَّمَا تَرُدُّ الْمَنَايَا مَا نَظَّمْنَ إِلَى النَّشْرِ
وَرُبَّ نِيَامٍ فِي الْمَقَابِرِ زُرْتُهُمْ يَمْنَهْلُ دَمْعٍ لَا يُنْهِنُهُ بِالزَّجْرِ
زرتهم ودعني منهل، مسكوب، لا ينهته، لا يُرَدِّعُ، بالزجر، بالنهر وبالتعنيف

أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ! هَلَّا ذَكَّرْتُمْ عُهْدًا مَضَتْ مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ عَلَى الظَّهْرِ
على الظهر: على ظهر الأرض

رَضِيتُمْ بِأَكْفَانٍ إِلَيَّ حُلَلًا لَكُمْ، وَكُنْتُمْ أَوْلَى الدِّيَابِ وَالْحُلَلِ الْحُمْرِ
رضيتُم بالأكفان حللاً، أي ملابس، وكُنْتُمْ أَوْلَى الدِّيَابِ، أصحاب الحرير، والملابس الحمراء..
وكانت الملابس الحمراء ملابس عليّة القوم، وحتى النساء فقد كن «حمر الجلابيب» كما وصفهن
المتنبي دلالة على العز

فَقُلْتُ، وَلِلْأَجْدَاثِ كَفِّي مُشِيرَةٌ: أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَفْجَعِ الشَّعْرِ

٥ الفوق والتحت

نَحْنُ عَلَى رَغَمٍ مَا عَلِمْنَا نَعِيشُ فِي غَيْهَبِ الْعَمَاءِ
غيب: ظلام، العماء: العمى.. وأصل العماء الغيم لكن شاعرنا في الأغلب قصد العمى وهمزها
كمن همز الرضا فجعلها الرضاء

نَشْرَبُ مَاءَ الظُّنُونِ عَبَّاءَ فَلَمْ نَعُدْ مِنْهُ بِأَرْتِوَاءِ
فليس فوق وليس تحت ولا اعتلاء لذي اعتلاء
هذا من العلوم المعاصرة التي فهمنا منها أنه لا يوجد فوق ولا تحت، وإلا كان سكان أستراليا
وكنغارها سقطوا في الفراغ.. وعلى هذا فلا صعود لمن يريد الصعود

وَأَتَمَّا نَحْنُ فَوْقَ نَجْمٍ نَحْيَا مُحَاطِينَ بِالْهَوَاءِ
على الأصح نحن فوق كوكب

فَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّ ارْتِقَاءٍ لِلرُّوحِ يَبْقَى، أَيُّ ارْتِقَاءٍ!
بانتهاء الفوق والتحت لم يعد للروح صعود بعد الموت!

٦ الماء المهدر

يَا مِيَاهَا جَرَتْ بِدَجْلَةٍ تَجْتَا زُ مُرُوراً بِجَانِبَيِ بَغْدَادِ
أَيُّهَا الْمَاءُ أَيْنَ تَجْرِي ضَيَاعاً وَحَوَالِيكَ قَاحِلَاتُ الْبَوَادِي
لَوْ زَرَعْنَا بِكَ الْبِقَاعَ حُبُوباً لَحَصَدْنَا النُّضَارَ يَوْمَ الْحَصَادِ
النضار: الذهب.. قد أخذ الترك والإيرانيون كل ماء دجلة تقريباً فلم يعد ثمة ماء مُهدَر

٧ شذوق الضراغم

سَعَى النَّاسُ وَالْأَقْدَارُ مَحْبُوءَةٌ لَهُمْ وَنَامُوا وَمَا لَيْلُ الْخُطُوبِ بِنَائِمِ
جَرَتْ سُفُنُ الْأَيَّامِ مَشْحُونَةٌ بِنَا عَلَى بَحْرِ عَيْشٍ بِالرَّدَى مُتَلَاظِمِ
دَأْبْتُ لِنَفْسِي فِي الْحَيَاةِ كَأَنَّنِي مِنْ الْعَيْشِ مُلْقَى فِي شَذُوقِ الضَّرَاغِمِ
دأبت وثابرت في كسب الرزق كأن العيش، الرزق، تنهشه شذوق الضراغم، أفواه الأسود، وأنا بينها. تعليق عمران القفيني: «حقوق الطبع للمتنبي القاتل: (فما لي وللدنيا طلابي نجومها/ ومسعاي منها في شذوق الأراقم)»

يُخَاصِمُنِي فِيهَا عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ أَنَا نَسٌّ فَأَبْدِي الصَّفَحَ غَيْرَ مُخَاصِمِ
وَأَقْنَعُ بِالْقَوْتِ الزَّهِيدِ لَطِيبِهِ حِذَارَ وَقُوعِي فِي خَبِيثِ الْمَطَاعِمِ
خيث المطاعم: الرزق الحرام

٨ الانعتاق الفكري

مَتَى تُطْلِقَ الْأَيَّامُ حُرِّيَّةَ الْفِكْرِ فَيَنْشَطُ فِيهَا الْعَقْلُ مِنْ عُقْلَةِ الْأَسْرِ
ينشط: يفتك من الربط، العقلة: العقدة

وَيَصْدَعُ كُلٌّ بِالْحَقِيقَةِ نَاطِقاً وَيَتْرَكَ مَا لَمْ يَذَرِ مِنْهَا لِمَنْ يَذَرِي
يصدع: يجهر

أَرَانَا إِذَا رُمْنَا بَيَانَ حَقِيقَةٍ غُرِينَا، مَعَاذَ اللَّهِ، فِيهَا إِلَى الْكُفْرِ
رَمْنَا: أَرَدْنَا، غُرِينَا: نُسَبْنَا

٩ بصراحة

أَحِبُّ صِرَاحَتِي قَوْلًا وَفِعْلًا وَأَكْرَهُ أَنْ أَمِيلَ إِلَى الرِّبَاءِ
وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ خَيْرًا بِإِيقَاءِ الْحَقِيقَةِ فِي الْخَفَاءِ
وَلَا مِمَّنْ يَرَى الْأَدْبَانَ قَامَتْ بِوَحْيٍ مُنْزَلٍ لِلْأَنْبِيَاءِ
وَلَكِنْ هُنَّ وَضَعٌ وَابْتِدَاعٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ أَرْبَابِ الدَّهَاءِ
وَلَسْتُ مِنَ الْأَلَى وَهَبُوا وَقَالُوا بِأَنَّ الرُّوحَ تَعْرُجُ لِلْسَّمَاءِ
الْأَلَى: الَّذِينَ

لَأَنَّ الْأَرْضَ تَسْبُحُ فِي فِضَاءٍ وَمَا تِلْكَ السَّمَاءُ سِوَى الْفِضَاءِ
وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ فَخْرًا لِمُفْتَخِرٍ بِإِهْرَاقِ الدِّمَاءِ
وَلَا مِمَّنْ قَدْ ارْتَبَطُوا بِمَاضٍ فَعَاشُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْوَرَاءِ
وَلَا مِمَّنْ تَوَدَّدَ فِي حُضُورٍ وَعِنْدَ الْغَيْبِ جَاهَرَ بِالْعَدَاءِ
وَلَا مِمَّنْ يَرَى الْأَنْسَابَ مِمَّا يَمُتُّ بِهِ الْأَنَامُ إِلَى الْعَلَاءِ
وَلَا مِمَّنْ إِذَا وُيِّئُوا اسْتَعَادُوا بِتَمَتُّمَةِ الدُّعَاءِ مِنَ الْوَبَاءِ
وَلَا مِنْ مَعْشَرٍ صَلَّوْا وَصَامُوا لِمَا وَعِدُوهُ مِنْ حُسْنِ الْجَزَاءِ
وَلَا مِمَّنْ يَرَوْنَ اللَّهَ يَجْزِي عَلَى الصَّلَوَاتِ بِالْخُورِ الْوُضَاءِ
الْحُور: النِّسَاء ذَوَاتِ الْأَعْيُنِ الْخَالِصَةِ السَّوَادِ وَسَطِ بَيَاضِ نَاصِعٍ، الْوُضَاء: الْبَيَاضُ

وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ فَضْلًا كَبِيرًا لِلرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ
وَلَكِنْ دَالَتْ الْأَيَّامُ حَتَّى تَهَاوَنَ هَؤُلَاءِ بِهَؤُلَاءِ
دَالَتْ: مِثْلُ دَارَتْ

١٠ حديث الروح

(١٩٢٩):

أَرَى لِلرُّوحِ بِالْبَدَنِ اتِّصَالًا خَفِيًّا لَا تَبِينُ لَهُ رُسُومُ
رُسُوم: أَثَارُ

هَما مُتَلازَمانِ فِما لِكلِّ بِغَيرِ قَرينِهِ أَبدًا لُزُومُ
ولَستُ أَظُنُّ أَنَّ الرُوحَ تَبقى إِذا مُحِيتَ مِنَ الجِسدِ الرُسُومُ

١١ الأديان

لو قاسَ كلُّ فتى سِواهَ بِنَفسِهِ فِما أَرادَ لَما تَعادى اثنانِ
لو أَنصَفَ الخََصمانِ ما اضْطَادَ الرُشا أَهلُ القَضاءِ بِما ادَّعى الخََصمانِ
لو أَخلَصَ الإنسانُ في إِحسانِهِ لَم يَزُجْ أَنَّ يُجزى على الإحسانِ
لو لَم يَشُكَّ بِربِّهِ مُتَفلِسِفٌ في الدينِ لَم يُحتَجَّ بِالبرهانِ
لو أَنَّ عَقلَ المرءِ يَغلبُ حُبَّهُ لِلنَفسِ لَم يَلجأَ إلى الأديانِ

حب النفس يجعل المرء يلجأ للدين لأنه يعده بالخلود

لولا جَموذٌ في الشرائعِ مُهلِكٌ لَتَغَيَّرَتِ بِتَغَيرِ الأزمانِ
لو كانَ أمرُ الحَجِّ مَعقولاً لَما كانَ اسْتِلامُ القومِ لِالأركانِ

استلام: لمس، وفي الكلمة معنى التقييل

لو حَكَّم العَقلَ الحَجيحُ بِحَجهِم أَبوا الطَّوافِ بِتِلْكَمُ الجُدرانِ

١٢ الأظافر الدامية

لقد قَدَّمَ الموتُ الحِياةَ أَمامَهُ نَذيراً وَمَنْ يُنذِرُ فَلِيسِ بِغادرِ
فلا عَجَبٌ أَنّا نرى كُلَّ ساعَةٍ أَكُفَّ المَنايا دَمايِاتِ الأَظافرِ

١٣ مساعدة الموت

في ذكرى الكاتب الفلسطيني رُوحى الخالدي، وقالها في القدس:

وماذا عسى يُجدي التَّوجُّعُ والأسى مِنَ المَوتِ إِذ كُلُّ عَلى المَوتِ وارِدُ
نُعيُنُ مَنايانا عَلينا بِحُزننا فَيَقَرُّبُ مِنّا أَجالنا المُتَباعِدُ

١٤ بلاد الدامعِين

في رثاء أستاذه محمود شكري الألوسي (١٩٢٤):

أزَمَعَت عَنّا إلى مَولَاكَ تَرحالاً لَما رَابتَ مُناخَ القومِ أَوحالاً

أزمعت: نويت، مولاك: ربك، مناخ: مكان

كَرِهْتَ طَوْلَ مُقَامٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا بَحِيثٌ تُبَصِّرُنَا لِلْحَقِّ خُذَالَا
خذال: متقاعسون ومقصرون عن النجدة

وَلَمْ تَرْقُ نَفْسَكَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ بِهَا لَسْنَا نُوَكِّدُ بِالْأَفْعَالِ أَقْوَالَا
وَمَا رَكَنْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا وَلَا أَرَدْتَ بِهَا جَاهًا وَلَا مَالَا
أَمَّا الْعِرَاقُ فَأَمْسَى الرَّافِدَانِ بِهِ سَطَرَيْنِ لِلدَّمْعِ مِنْ خَذْيِهِ قَدْ سَالَا
أصبح دجلة والفرات سطرين من الدموع حزناً عليك

مَا ضَرَّ مِنْ بَعْدِمَا خَلَّذْتَ مِنْ كِتَبٍ أَلَّا نَرَى لَكَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْجَالَا
لا ضرر من أنك لم تترك عقبا من الأولاد ففي كتبك ما يكفي، وخلف الألوسي نحو خمسين كتاباً

١٥ الدنيا المسببة

في أربعين الألوسي (١٩٢٤):

لَقَدْ تَرَحَّلْتَ فِي يَوْمٍ بِنَا انْقَلَبْتَ حَوَادِثُ الدَّهْرِ فِيهِ شَرٌّ مُنْقَلَبِ
وَبَاتَ يَحْسُو الظَّلَا بِالكَاسِ مِنْ ذَهَبٍ مَنْ كَانَ يَشْرَبُ رَنْقَ الْمَاءِ بِالْعَلْبِ
صار يشرب الطلا، الخمر، بكؤوس الذهب من كان يشرب رنق الماء، الكدر منه، بالعلب، بآنية من خشب

وَالْخَيْرُ قَدْ ضَاعَ حَتَّى إِنَّ طَالِبَهُ لَمْ يَلْقَ مِنْهُ سِوَى الْمَسْطُورِ فِي الْكِتَابِ
أَمَّا الرِّجَالُ فَنَارُ الشَّرِّ مُوقَدَةٌ فِيهِمْ، وَهُمْ بَيْنَ نَفَاخٍ وَمُخْتَطِبِ
الناس فيهم نار شر بعضهم ينفخ في هذه النار لتزداد اتقاداً، وبعضهم يجمع لها الحطب

أَفْعَالُهُمْ لَمْ تَكُنْ جِدًّا وَلَا لَعِبًا لَكِنْ تُرَاوِغُ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
هذه الميوعة.. لعل فحص مفهوم الميوعة مدخل طيب للدرس المجتمعات العربية اليوم

وَلَيْسَ تَنْدَى مِنَ النَّكْرَاءِ أَوْجُهُهُمْ كَأَنَّمَا الْقَوْمُ مَنجُورُونَ مِنْ خَشَبِ
لا تندى وجوههم، أي لا يخلطون، من النكراء، الفعل المخزي، فكأنهم من خشب

بَيْنَ الدَّوَاءِ وَبَيْنَ الدَّاءِ مُعْتَرِكٌ فِيهِ قَضَى رُبُّنَا لِلدَّاءِ بِالْعَلْبِ
لَا يَخْلُقُ اللَّهُ مَخْلُوقًا يَجُولُ بِهِ دَمُ الْحَيَاةِ بِلَا أُمٍّ لَهُ وَأَبِ
وَلَا يُمِيتُ بِلَا دَاءٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا يُعِيشُ بِلَا كَدٍّ وَلَا تَعَبِ
كل شيء له سبب.. سبب وجود المرء أمه وأبوه، وسبب الموت الداء وسبب العيش الكد

وليس ذلك مِنْ عَجَزٍ بِخَالِقِنَا عن أَيِّ رَجٍّ بِنَا فِي قَبْضَةِ الشَّجَبِ ..
لا يعجز الله عن زجنا، وإدخالنا في قبضة الشجب، الموت ..

لكنَّه جعلَ الدنيا مُسَبَّبةً لكلِّ أمرٍ بها لا بُدَّ مِنْ سَبَبٍ
لكنه جعل لكل شيء سبباً

١٦ أرثيك رغم السياسة

في ذكرى الشيخ الخالصي:

أنا أبكي عليه مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ هم وأغضني عن خَوْضِهِ فِي السِّيَاسَةِ
لا لِأَنِّي أراهُ فِيهَا مَلُوماً بل لِأَنِّي أَعِيبُ فِعْلَ السَّاسَةِ
ليس فِي هَذِهِ الْهَنَاتِ السِّيَاسِيَّةِ ماتَ إِلَّا ما يَنْجَلِي عَنْ خَسَاسَةِ
الهتات: الأمور، ينجلي: يتكشف

١٧ المعقول والمنقول

قد قتلْتُ الحِياةَ خُبْراً، ولكنَّ أنا مِنْها بِحَيْرَتِي مَقْتُولُ
كلُّ ما قِيلَ فِي الحِياةِ ظُنُونٌ جَرَّها فِي افْتِكَارِنَا التَّخْيِيلُ
وَيْكُ! إِنَّ الْمَعْقُولَ ما صَحَّ عِنْدِي فَمَتَى صَحَّ عِنْدَكَ الْمَنْقُولُ
ويحك! فالأمر الذي يقر به العقل لا أكاد أجده صحيحاً فكيف بالمنقول، ما ذكره الأقدمون
وتناقلوه

إِنَّ حُبَّ الحِياةِ أَوْهَمَ أَنَّ الـ مَوْتَ نَوْمٍ تَحْتَ الثَّرَى لا يَطُولُ
لحبنا للحياة نتوهم أن الموت مجرد نوم وتأتي بعده حياة أخرى

١٨ حافظ وشوقي

الشعرُ بَعْدَ مُصابِهِ بِكَبِيرِهِ فِي مِصرَ جَلَّ مُصابُهُ بِأَمِيرِهِ
كبير الشعر: حافظ، وأميره: شوقي

بَيْنَاهُ يَبْكِي حَافِظاً بِشَهِيقِهِ إِذْ قامَ يَبْكِي أَحْمَدُ بِزَفِيرِهِ
أَخَذْتُ فَرَزْدَقَهُ الْمَنُونُ وَضَاعَفْتُ جُلَّى مُصِيبَتِهِ بِأَخْذِ جَرِيرِهِ
يشبه حافظاً بالفردق وشوقي بجريز، وقد رحل شاعرا مصر متلاحقين بينهما أشهر، ورثي اللاحق السابق، ورحل جريز والفردق متلاحقين بينهما أشهر، ورثي اللاحق السابق

١٩ أسنان الحمار

كُلُّ مَنْ يَخْبُرُ الْإِنْسِيَّ خُبْرِي لَا يُبَالِي أَلْخَسَنُوا أَمْ أَسَاءُوا
أَنَا جَرَّبْتُهُمْ إِلَى أَنْ تَسَاوَى الـ يَوْمَ عِنْدِي سَبَابُهُمْ وَالثَّنَاءُ

٢٠ تقدم أيها العربي

أَجَلُ إِنَّ الْقَبَائِلَ مِنْ مَعَدٍّ عَلَوْا فَتَسَنَّمُوا الْمَجْدَ الْمَجِيدَا

معد: جد عرب الشمال، تسنموا: قعدوا فوق سنام الجمل، أي علوا وارتفعوا

وَلَكِنْ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ إِنِّي أَرَاكَ لِغَيْرِ مَا يُجْدِي مُرِيدَا
أراك أيها العربي مُريدًا، طالبًا، ما لا يجدي ولا ينفع

وَمَا يُجْدِي افْتِخَارُكَ بِالْأَوَالِي إِذَا لَمْ تَفْتَخِرْ فخرًا جَدِيدَا
الأوالي: الأوائل

أَرَى مُسْتَقْبَلَ الْأَيَّامِ أَوْلَى بِمَظْمَحٍ مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يَسُودَا
فَوَجْهُ وَجْهَ عَزْمِكَ نَحْوَاتٍ وَلَا تَلْفِتْ إِلَى الْمَاضِيْنَ جَدِيدَا
وهل إن كان حاضِرُنَا شَقِيًّا نَسُودُ بِكَوْنِ مَاضِيْنَا سَعِيدَا؟
تَقْدِمُ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ شَوَاطِأً فَإِنَّ أَمَامَكَ الْعَيْشَ الرَّغِيدَا
وَأَسْسِنْ فِي بِنَائِكَ كُلَّ مَجْدٍ طَرِيفٍ، وَاتْرُكِ الْمَجْدَ الثَّلِيدَا

الطريف: الجديد، التليد: الموروث

فَشَرُّ الْعَالَمِينَ ذُو وَخُمُولٍ إِذَا فَاخَرْتَهُمْ ذَكَرُوا الْجُدُودَا
وَخَيْرُ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٍ أَقَامَ لِنَفْسِهِ حَسَبًا جَدِيدَا
تَرَاهُ إِذَا ادَّعَى فِي النَّاسِ فخرًا تُقِيمُ لَهُ مَكَارِمُهُ الشُّهُودَا
فَدَعْنِي وَالْفَخَارَ بِمَجْدِ قَوْمٍ مَضَى الزَّمَنُ الْقَدِيمُ بِهِمْ حَمِيدَا
قَدْ ابْتَسَمَتْ وَجْوهُ الدَّهْرِ بِيضًا لَهُمْ وَرَأَيْنَا فَعَبَسْنَ سُودَا
وَقَدْ عَاهَدُوا لَنَا بِثَرَاتٍ مُلْكٍ أَضَعْنَا فِي رِعَايَتِهِ الْعُهُودَا
وَعَاشُوا سَادَةً فِي كُلِّ أَرْضٍ وَعِشْنَا فِي مَوَاطِنِنَا عَبِيدَا
إِذَا مَا الْجَهْلُ خَيَّمَ فِي بِلَادٍ رَأَيْتَ أَسْوَدَهَا مُسِيحَتْ قُرُودَا

٢١ الغاية الكبرى

كَتَبْتُ لِنَفْسِي عَهْدَ تَحْرِيرِهَا شِعْرًا وَأَشْهَدْتُ فِيهَا قَدْ كَتَبْتُ لَهَا الدَّهْرًا
لِذَاكَ جَعَلْتُ الْحَقَّ نُصْبَ مَقَاصِدِي وَصَيَّرْتُ سِرَّ الرَّأْيِ فِي أَمْرِهِ جَهْرًا
جَهَرْتُ بِمَا أَرَاهُ حَقًّا، وَلَمْ أَبْقِهِ سِرًّا

وَجَرَدْتُ شِعْرِي مِنْ ثِيَابِ رِيَائِهِ فَلَمْ أَكُتِبْهُ إِلَّا مَعَانِيَهُ الْغَرًّا
الغراء: الغراء، أي الناصعة

وَأَرْسَلْتُهُ نَظْمًا يَرُوقُ انْسِجَامُهُ فَيَحْسَبُهُ الْمُضْغِي لِإِنْشَادِهِ نَشْرًا
فَجَاءَ مُضِيئًا، لَيْلُهُ كُنْهَارُهُ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَزْعُمُهُ كُفْرًا
أَضْمَنْهُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ عَارِيًّا فَيَحْسَبُهُ جُهَالُهَا مَنْطِقًا هُجْرًا
جهاؤها: يعني الجاهلين بالحقيقة، الهُجْر: الفُحْش

وَيَحْمِلُهُ الْعَاوِي عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ فَيُوسِعُنِي شَتْمًا وَيَنْظُرُنِي شَزْرًا
رُؤْيَدَكَ إِنَّ الْكُفْرَ مَا أَنْتَ قَائِلٌ وَإِنَّ صَرِيحَ الْعُرْفِ مَا خِلْتَهُ نُكْرًا
هَلِ الْكُفْرُ إِلَّا أَنْ تَرَى الْحَقَّ ظَاهِرًا فَتَضْرِبَ لِلْأَنْظَارِ مِنْ دُونِهِ سِتْرًا
الكفر هو أن ترى الحق بادياً فتضرب، أي تنصب، ستاراً يواريه عن الأنظار

إِذَا كَانَ فِي عُرْيِ الْجُسُومِ قَبَاحَةٌ فَأَحْسَنْ شَيْءٍ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ تَعْرِى
إِنْ كَانَ الْعَرِي قَبِيحًا بِالْجَسَمِ، فَالْحَقِيقَةُ تَزْدَادُ حَسَنًا عِنْدَمَا تَكُونُ عَارِيَةً، مَكْشُوفَةً وَاضِحَةً
أَحْبَبُّ الْفَتَى أَنْ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ فَيَصْبِحَ فِي أَفْكَارِهِ مُظْلَقًا حُرًّا
وَأَكْرَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مُقْلَدًا فَيُخْشَرَ فِي الدُّنْيَا أَسِيرًا مَعَ الْأَسْرَى
يُخْشَرُ: يُعَدُّ

إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ لِلنَّاسِ غَايَةٌ فَحُرِيَّةُ الْأَفْكَارِ غَايَتُهَا الْكُبْرَى
فَأَوْطَانُكُمْ لَنْ تَسْتَقِلَّ سِيَاسَةً إِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِلُّوا بِهَا فِكْرًا
إِذَا السِّيفُ لَمْ يَغْضُدْهُ رَأْيٌ مُحَرَّرٌ فَلَا تَأْمَلُنْ مِنْ حَدِّهِ ضَرْبَةً بِكْرًا
يغضده: يدعمه، الضربة البكر: الضربة الأولى التي تصيب مقتلًا

إِذَا لَمْ يَعْشُ حُرًّا بِمَوْطِنِهِ الْفَتَى فَسَمَّ الْفَتَى مَيْتًا، وَمَوْطِنُهُ قَبْرًا
أَحْرَيْتَنِي إِنْنِي اتَّخَذْتُكَ قَبْلَةً، أَوْجَهُ وَجْهِي كُلَّ يَوْمٍ لَهَا عَشْرًا

وَأَمْسِكْ مِنْهَا الرُّكْنَ مُسْتَلِمًا لَهُ وَفِي رُكْنِهَا اسْتَبْدَلْتُ بِالْحَجَرِ الْحِجْرَا
الْمَسْ رُكْنَ الْحَرِيَّةِ وَأَسْتَلِمَهُ، أَيَّ أَقْبَلَهُ، وَقَدْ اسْتَبْدَلْتُ بِالْحَجَرِ الْحِجْرَا، أَيَّ الْعَقْلِ. أَجْعَلُ الْحَرِيَّةَ
كَعْبَةٍ يَقْدَسُهَا (وَالرُّكْنَ وَالْإِسْتِلَامَ وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْ لَوَازِمِ الْحَجِّ)

وَإِنْ لَا مَنِي قَوْمٌ عَلَيْكَ فَلِئَنِّي لَمُلْتِمَسٌ لِلْقَوْمِ مِنْ جَهْلِهِمْ عُذْرًا

٢٢ نَحِيَّةٌ لِلْعَبْقَرِيَّةِ

وَضَحَّ الْحَقُّ، وَاسْتَقَامَ السَّبِيلُ بِعَظِيمٍ هُوَ النَّبِيُّ الرَّسُولُ
قَامَ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى بِكِتَابٍ عَرَبِيٍّ قُرْآنُهُ تَرْتِيلُ
طَالِبًا غَايَةً مِنَ الْمَجْدِ قُضْوَى صَدُّهُ عَنْ بُلُوغِهَا مُسْتَحِيلُ
وَوُصُولًا إِلَى مَقَامٍ رَفِيعٍ عَزَّ مِنْ قَبْلِهِ إِلَيْهِ الْوُصُولُ
وَدِهَاءٌ لَوْ مَا كَرَّتُهُ دَوَاهِي الدَّ هَرِ طُرًّا لَا غَتَالَهَا مِنْهُ غُولُ
دهاء لو اتخذت معه دواهي الدهر، مصائب الزمن، طرأ، جميعاً، سبيل المكر لاغتيالها منه غول،
لقضى دهاؤه عليها

تَذَلَّهِمُ الْخَطُوبُ، وَالرَّأْيُ مِنْهُ فِي دُجَاهَا كَأَنَّهُ قِنْدِيلُ
تذلهم: تسود

كُلُّ أَوْصَافِهِ الْجَلِيلَةِ يَدْعُ فَهُوَ مِنْ عَبَقَرِيَّةٍ مَجْبُوبُ
بدع: جديد غير مسبوق

أَطْلَقَ النَّاسَ مِنْ تَقَالِيدِ جَهْلٍ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ بِهَا مَغْلُولُ
مغلول: مقيد

نَهَضَةُ عَالَمِيَّةٌ فِي وَغَاهَا مَنْ أَمَامَ الْبَعِيرِ قَرَّ الْفِيلُ
أحدث النبي نهضة عالمية، وفي وغاها، في حربها، يفر الفيل من البعير... يشير إلى غزو العرب
فارس وتغلب جمالهم على فيلة الفرس

يَعْرِفُ النَّيْلُ فَضْلَهَا وَغَلَاها مِنْ قَدِيمٍ وَيَشْهَدُ الدَّرْدَنِيْلُ
النيل، حيث السودان ومصر، والدردنيل، حيث تركيا، يعرفان فضل هذه النهضة

غَيْرَ أَنَّا عَنْ نَهْجِهَا الْيَوْمَ جِدْنَا وَاسْتَحْلَنَّا، وَكُلُّ حَالٍ تَحْوُلُ
استحلنا: تغيرنا، تحول: تتغير

وَاخْتَلَفْنَا فِي الدِّينِ حَتَّى افْتَرَقْنَا فِرْقًا لَا يُسِيغُهَا الْمَعْقُولُ
المعقول: العقل

لو رَأَى الشَّرُّ فِينَا كَثِيرٌ مُسْتَفِيزٌ، وَالْخَيْرُ نَزَرَ قَلِيلٌ

نزر: شحج قليل

وَالدَّعَاوَى فِي الْحَقِّ مِنَّا كِبَارٌ طَالَ فِيهَا التَّزْمِيرُ وَالتَّطْبِيلُ

دعأوانا في الحق: ادعأونا أننا على حق

قَالَ مُسْتَنْكَرًا لِمَا نَحْنُ فِيهِ: مَا بِهِذَا قَدْ جَاءَنِي جَبْرِيلُ

٢٣ دفاعاً عن الإسلام

يَقُولُونَ فِي الْإِسْلَامِ ظُلْمًا بَأَنَّهُ يَصُدُّ ذَوِيهِ عَنْ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ

وإن كان ذنبُ المسلمِ اليومَ جهلُهُ فماذا على الإسلامِ من جهلِ مُسلمٍ

هلِ العلمُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا فَرِيضَةٌ وهلِ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ

أَلَا قُلْ لِمَنْ جَاوَزُوا عَلَيْنَا بِحُكْمِهِمْ رُوَيْدًا فَقَدْ قَارَفْتُمْ كُلَّ مَائِمٍ

قارفتهم: ارتكبتم

عَلَّوْنَا وَكُنْتُمْ سَافِلِينَ، فَلَمْ نَكُنْ لِنُبْدِي إِلَيْكُمْ جَفْوَةَ الْمُتَهَكِّمِ

كنا في ازدهار بينما الغرب في انحطاط، ولم تكن نظهر له الجفاء والخشونة والازدراء

وَلَمْ نَتْرُكِ الْحَسَنَى أَوْانَ جِدَالِكُمْ وَتِلْكَ لَعَمْرِي شِمَّةُ الْمُتَحَلِّمِ

المتحلم: الرزين الحليم

٢٤ نحن والغرب

هِمُّ الرِّجَالِ مَقِيسَةٌ بِزَمَانِهَا وَسَعَادَةُ الْأَوْطَانِ فِي عُمرَانِهَا

إِنَّ التَّجَارِبَ لِلشُّيُوخِ، وَإِنَّمَا أَمَلُ الْبِلَادِ يَكُونُ فِي شُبَّانِهَا

هَذَا لَدَى الْعَرَبِ الْكَرَامِ مَبَادِيٌّ نَزَلَتْ بِهَا الْآيَاتُ فِي قُرْآنِهَا

وَالْعَرَبُ أَكْبَرُ أُمَّةٍ مَشْهُورَةٍ بِفَتْوحِهَا، وَعِلْمِهَا، وَبَيَانِهَا

يَا أُمَّةَ عَاشَ الْبَرِيَّةُ أَعْصُرًا فِي عَدْلِهَا رَغْدًا وَفِي إِحْسَانِهَا

البرية: الناس

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ الْعُصُورُ فَجَاءَهَا زَمَنٌ بِهِ انْقَادَتْ إِلَى عُبدَانِهَا

فَنَضَّتْ مَلَابِسَ عِزِّهَا وَتَشَاقَلَتْ فِي الذِّلِّ رَاسِفَةً بِقَيْدِ هَوَانِهَا
نضت أمة العرب، أي خلعت، ملابس العز، وأصبحت تسير متشاكلة بطيئة راسفة، أي ماشية ببطء،
في قيود هي الهوان والذل

٢٥ مريم وابنها

رَمَتْ مِسْمَعِي لَيْلًا بِأَنَّةِ مُؤَلِّمٍ فَالْقَتْ فَوَادِي بَيْنَ أَنْيَابِ ضَيْغَمٍ
رمت هذه المرأة في مسمعي، أي أذني، برنة مؤلم، بأنين شخص متالم، فكأنها رمت قلبي بين
أنياب ضيغم، أسد

تُقَطِّعُ فِي اللَّيْلِ الْأَنِينَ كَأَنَّهَا تُقَطِّعُ أَحْشَائِي بِسَيْفٍ مُثْلِمٍ
مثلم: غير حاد

يَهْزُ نِيَاظَ الْقَلْبِ بِالْحَزَنِ صَوْتُهَا إِذَا اهْتَزَّ فِي جَوْفِ الظَّلَامِ الْمُخِيمِ
فَمَا خَفَقَانُ النَّجْمِ إِلَّا لِأَجْلِهَا وَمَا الشُّهُبُ إِلَّا أَدْمُعُ النَّجْمِ تَرْتَمِي
خفقان النجم: اهتزازهما، وكانت العرب ترى في النجوم اهتزازاً. يتخيل الشاعر النجم يبكي وجسمه
يرتجف ودموعه تسيل وهي الشهب الساقطة

أَرَى فَحْمَةَ الظُّلُمَاءِ عِنْدَ أَنْبِيهَا فَأَعْجَبُ مِنْهَا كَيْفَ لَمْ تَنْضَرِّمْ
كان الليل فحم لسواده، وأعجب لما لا يتوهج جمرًا لحرارة أنبيها

وَبَيْتٍ بَكَّتْ فِيهِ الْحَيَاءُ نُحُوسَةً وَلَا حَتَّ بِوَجْهِ الْعَايِسِ الْمُتَجَهِّمِ
الحياة باكية ومنحوسة وعابسة ومتجهمة، مكشرة، في هذا البيت

دَخَلْتُ بِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ عَلَى الَّتِي سَقَانِي بُكَاهَا فِي الدُّجَى كَأَنَّ عُلْقَمِ
فَأَلْفَيْتُ وَجْهًا خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدَّهُ وَمُحَمَّرَ جَفْنٍ بِالْبُكَاءِ مُتَوَرِّمِ
خدَّد: شقق

لَقَدْ جَثَمْتُ فَوْقَ التُّرَابِ وَحَوْلَهَا صَغِيرٌ لَهَا يَرْنُو بِعَيْنِي مُبَيِّمٍ
جثمت، قعدت، في بيتها على التراب، وعندها طفل يرنو، أي ينظر، بعين اليتيم، أي أنه يتيم

تَرَاهُ وَمَا إِنَّ جَاوَزَ الْخَمْسَ عُمْرُهُ يُدِيرُ لِحَاظَ الْيَافِعِ الْمُتَفَهِّمِ
بَكَى حَوْلَهَا جُوعًا فَقَدَّتْهُ بِالْبُكَاءِ وَلَيْسَ الْبُكَاءُ إِلَّا تَعْلَةٌ مُعْدِمِ
ليس عندها ما تغذيه به إلا البكاء، والبكاء تعلة المعدم، تصيرة الفقير

وَقَفْتُ لَدَيْهَا وَالْأَسَى فِي عَيُونِهَا يَكْلُمُنِي عَنْهَا، وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

ومذَّ عَرَضْتُ لِلإِبنِ مِنْهَا التِّفَاةَ أشارت إليه بِالمِدامِ أن قَمِ
أَبوكَ تَرَامَتَ فِيهِ سَفَرَةُ رَاحِلِ إلى المَوْتِ لا يُرَجى له يَوْمُ مَقْدَمِ
مَشى أَرْمَنِيًّا فِي المَعَاهِدِ فَارْتَمَتْ به فِي مَهاوِي المَوْتِ ضَرْبَةً مُسْلِمِ
مَشى أبوكَ وَهو مِنَ الأَرمنِ فِي المَعاهدِ، مَواقِعَ، فَرَمته فِي مَهاوِي المَوْتِ، وَدِيانَه، ضَرْبَةً مِنْ
مَقاتِلِ مُسْلِمِ

وَلَوْلَاكَ لاخْتَرْتُ الحِمَامَ تَخْلُصًا بِنَفْسِي مِنْ أَتْعَابِ عَيْشِ مُذَمَّمِ
فَأَنْتَ الَّذِي أَخَّرْتَ أُمَّكَ مَرِيماً عَنِ المَوْتِ أَنْ يُودِيَ بِأُمَّكَ مَرِيماً
أَمَرِيْمُ مَهلاً بَعْضَ ما تَذَكَّرِيْنَهُ فَأَنَّكَ تَرْمِيْنَ الفُؤادَ بِأَسْنَهُمِ
لِئِنْ مَلَأُوا الأَرْضَ الفُضَاءَ جَرائِماً فَهُمْ أَجْرُمُوا وَالَّذِينَ لَيْسَ بِمَجْرِمِ
الَّذِينَ أَجْرَمُوا بِحقِّ الأَرمنِ مَجْرُمُونَ وَلَكِنْ لَيْسَ دِينُ الإِسْلامِ هُوَ المَجْرِمِ. وَكانَ الأَرمنُ تَعْرَضُوا
لِمَقْتَلَةِ كَبيرةٍ فِي زَمَنِ الخَرْبِ العالِمِيَةِ الأولى عَلى يَدِ الأَتراكِ

وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّوْمَ لَوْماً تِجَاهَها سَكْتُ فَلَمْ أَتَسَنَّ وَلَمْ أَتَبْرِمِ
وَأَظَرَقْتُ نَحْوَ الأَرْضِ أَطْلُبُ عَفْوَها وَمَا أَنَا بِالجانِي، وَلا بِالمُتَمِّمِ
طَلَبْتُ العَفْوَ مِنْها مَعَ أَنِّي لَسْتُ جَانِياً فِي تِلْكَ المَقْتَلَةِ، وَلَسْتُ مُتَمِّماً بِها، بَلْ مُشْفِقٌ عَلَيْها
بَكَيْتُ، وَمَا أَدرِي أَأَبْكِي تَضْجُراً مِنَ القَوْمِ أَمْ أَأَبْكِي لِشِقْوَةِ مَرِيْمِ؟
لا أَدرِي هَلْ كانَ بِكَائِي لِأَنِّي مَلَلْتُ مِنْ أَفعالِ التَّرَكِّ أَمْ لِشِقاءِ مَرِيْمِ. وَكانَ الرِّصافِي عِثمانيّ الهَوَى

٢٦ الروائع

هِيَ السَّاحَةُ النَّكْرَاءُ فِيها تَلَاعَبَتْ مَخارِقُ ضَمِيمِ تَخْلِطُ الجِدَّ بِالذِّدِ
فِي سَاحَةِ السَّجَنِ النَّكْرَاءِ، القَبِيحَةِ، تَرى السَّجَناءُ يَتَلَاعَبُونَ فِيما بَيْنَهُمْ كَأَنَّهُمْ مَخارِقُ، كَراتِ
قَماشٍ، لَكِنها تَعانِي الظُّلْمَ. . . وَلَعَبَهُم هُوَ بَيْنَ الجِدِّ وَالذِّدِّ، أَيِ اللَّعِبِ

تَصَعَّدَ مِنْ جَوْفِ المَراحِيضِ فَوْقَها بُخارٌ إِذا تَمَرَّرَ بِهِ الرِّيحُ تَفْسُدِ
وَفَوْقَ السَّاحَةِ رِوائِحُ المَراحِيضِ

هناكَ يَؤُدُّ المَرءُ لو قَواءِ نَفْسَها وَأَطَلَقَها مِنْ أَسْرِ عَيْشِ مُنْكَدِ
مَقابِرُ بِالأَحْياءِ عَصَتْ لُحُودُها بِخَمْسِ مِئَتِينِ أَنْفُسٍ أَوْ بِأَزِيدِ
يَخْوضُونَ فِي مُسْتَنَقَعِ مِنْ رِوائِحِ حَبائِثَ مَهما يَزِدُّ الحَرَّ تَزِدُّ
تَدورُ رُؤُوسُ القَوْمِ مِنْ شَمِّ نَتِجَها فَمَنْ يَكُ مِنْهُمُ عادِمُ الشَّمِّ يُحْسِدِ

٢٧ الشمس الخجلى

خَرَجْتُ بِعِيدِ النَّخْرِ صُبْحاً فَلَاخَ لِي مَسَارِحُ لِأَضْدَادٍ فِيْهِنَّ مَرْتَعُ
خرجت بعد ذبح الخراف في عيد الأضحي فرأيت مسارح ترتع فيها الأضداد، مشاهد فيها أبناء
الأغنياء وأبناء الفقراء

صَبَاحٌ بِهِ يَكْسُو الْغَنِيَّ وَلِيْدَهُ ثِيَاباً لَهَا يَبْكِي الْيَتِيْمُ الْمُضَيِّعُ
خَرَجْتُ وَقُرْصُ الشَّمْسِ قَدْ ذَرَّ شَارِقاً تَرَى النُّوْرَ سَيَّالاً بِهِ يَتَذَقُّعُ
عندما خرجت كان قرص الشمس قد ذر شارقاً، برز عند الشروق، والنور يسيل منه

وَلَمَّا بَدَتْ حَمْرَاءُ أَيْقَنْتُ أَنَّهَا بِهَا خَجَلٌ مِمَّا تَرَاهُ وَتَسْمَعُ
لما بدت الشمس وعليها احمرار أيقنت أنها خجلى مما تراه من تفاوت طبقي

٢٨ كلامي غير معقد

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْحُرَّ لَا يَتَقَيَّدُ أَلَا فَلْيَقُلْ مَا شَاءَ فِي الْمَفْنَدُ
المفند: المتقيد المؤتب

إِذَا أَنَا قَصَدْتُ الْقَصِيْدَ فَلَيْسَ لِي بِهِ غَيْرُ تَبْيَانِ الْحَقِيْقَةِ مَقْصِدُ
وَلَا عَجَبٌ أَنْ عَابَنِي الشَّاعِرُ الَّذِي يَقُولُ سَخِيْفَ الشَّعْرِ، وَهُوَ مُقْلِدُ
فَلِإِنَّ ابْنَ بُرْدٍ، وَهُوَ أَكْبَرُ شَاعِرٍ، تَنْقِصُهُ فِي الشَّعْرِ حَمَادُ عَجْرَدُ
ابن برد: بشار، وحمام عجرد: غريمه وكان بينهما هجاء متصل

إِذَا رُمْتُ نَصْحاً جِئْتُ بِالنُّصْحِ وَاضِحاً وَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِي الْكَلَامُ الْمُعَقَّدُ
بيدي الرصافي عذره لعدم وجود وثبات خيال جامع في شعره

٢٩ بلبل وذباب

إِذَا دُفِعَ الشَّرُّ الْقَبِيْحُ بِمِثْلِهِ نَحَصَلَ شَرٌّ ثَالِثٌ وَتَوَلَّدَا
وَلِي خُلُقٌ يَأْبَى عَلَيَّ انْطِبَاعُهُ عَلَى الْخَيْرِ تَسْلِيْمِي إِلَى الشَّرِّ مَقْوَدَا
وَتَكَرَّرَهُ نَفْسِي كُلَّ عَبْدٍ مُذَلَّلٍ فَقَدْ كَرِهْتُ حَتَّى الطَّرِيقَ الْمُعْبَدَا
لكرهي للعبودية كرهت حتى الطريق المعبد

إِذَا مَا أَتَقَتْ نَفْسٌ رَدَاهَا بِذِلَّةٍ فَعِنْدِي نَفْسٌ تَتَّقِي الذَّلَّ بِالرَّدَى
إِذَا تَجَنَّبَتْ نَفْسٌ مِنَ النَّفُوسِ رَدَاهَا، مَوْتَهَا، بَأَن تَذَلُّ، فَأَنَا أَحْمِي نَفْسِي مِنَ الذَّلِّ بِأَن أَعْرِضَهَا
لِلْمَوْتِ. التَّسْوِيدُ لِعِمْرَانَ الْقَفِينِي

وَكَمْ رَامَ إِسْكَاتِي أَنَا مَنْ أَبِي لَهُمْ خَنَا الطَّبْعِ إِلَّا أَنْ يُرَوْا لِي حُسْدَا
الخنا: العار

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَعشَقَ الرُّوضُ بِلْبُلٍ وَيَمْنَعَهُ ذِبَّانُهُ أَنْ يُفَرِّدَا

٣٠ ليس لمصر!

أَمَارِسُ دَهْرًا مِنْ جَدِيدَيِّ دَاهِرَا وَمَا زَالَ لِبْلِي بِالْعِرَاقَيْنِ سَاهِرَا
مِنْ جَدِيدَيِّ: أَيُّ مِنْ زَمَنِي، وَالْجَدِيدَانِ هُمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، الدَّهْرُ الدَّاهِرُ: الطَّوِيلُ الثَّقِيلُ،
وَالْعِرَاقَانِ: تَعْبِيرٌ قَدِيمٌ يُشِيرُ إِلَى عِرَاقِ الْعَرَبِ وَعِرَاقِ الْعَجَمِ

أَبَى الْحَقُّ إِلَّا أَنْ أَقُومَ لِأَجْلِهِ عَلَى الدَّهْرِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ ثَائِرَا
وَأَنْ أَتَمَادَى فِي جِدَالِ خُصُومِهِ وَأَقْرَعَ مِنْهُمْ بِالْبَيَانِ الْمُكَابِرَا
وَتَكَرَّرَ نَفْسِي أَنْ أَكُونَ مُخَادِعَا لِأَدْرِكَ نَفْعًا أَوْ لِأَدْفَعَ ضَائِرَا
وَمِنْ أَجْلِ مَقْتِي لِلْمَخَانِبِ أَنْكَرْتُ بَدِي أَنْ تُحَلَّى فِي الْجِنَانِ أَسَاوِرَا
فَقِي الْجَنَّةِ تَحَلَّى مَعَاصِمِ الْفَائِزِينَ بِالْأَسَاوِرِ

يَقُولُونَ لِي فِي مِصْرَ لِلْعَلَمِ نَهْضَةٌ تُفَتِّقُ أَذْهَانًا، وَتَجْلُو بِصَائِرَا
وَأَنَّ بِهَا لِلْعَلَمِ قَدْرًا وَحُرْمَةً وَإِنَّ بِهَا لِلْحَقِّ عَوْنًا وَنَاصِرَا
وَقَدْ ضَرَبُوا وَغَدَاً لِتَكَرِيمِ شَاعِرٍ تَمَلَّكَ صَيْتًا فِي الْأَقَالِيمِ طَائِرَا
هُوَ الشَّاعِرُ الْفَحْلُ الَّذِي رَاحَ شَعْرُهُ بِإِنْشَادِهِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ سَائِرَا
فَلَوْ قُلْتُ بَعْضَ الشَّعْرِ فِي يَوْمٍ حَفْلِهِمْ تَشُدُّ بِهِ مِنَّا لِمِصْرَ الْأَوَاصِرَا
يَقُولُونَ لِلرَّصَافِي: أَلَا قُلْتَ بَعْضَ الشَّعْرِ فِي هَذَا الْحَفْلِ لِتَكَرِيمِ أَحْمَدَ شَوْقِي أَمِيرًا لِلشُّعْرَاءِ فَتَشْدُ
أَوَاصِرَنَا بِمِصْرَ، أَيُّ رَوَابِطُنَا؟

فَقُلْتُ: أَجَلُ. وَالشَّعْرُ لَيْسَ بِمُعْجِزِي وَلَنْ تَعْدِمُوا مِنِّي عَلَى الشَّعْرِ قَادِرَا
أَلَا إِنَّ شَوْقِي شَاعِرٌ جَدُّ شَاعِرٍ يَفُوقُ الْأَوَالِي، بَلْ يَبْزُ الْأَوَاخِرَا
يَبْزُ: يَفُوقُ، الْأَوَالِي: الْأَوَّلُ

تَمَلَّكَ حُرَّ الشَّعْرِ فَهَوَ رَقِيقُهُ وَقَامَ عَلَيْهِ بِالَّذِي شَاءَ أَمِيرَا
الشعر رقيقه: الشعر عبده

إِذَا رَامَ جَزْلاً مِنْهُ أَنْشَدَ زَاخِراً وَإِنْ رَامَ سَهْلاً مِنْهُ أَنْشَدَ سَاحِراً
رام: أراد، زاخراً: متدفق

فَلَا عَجَبٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَغَيْرِهِمْ إِذَا عَقَدُوا مِنْهُمْ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرَا
عقدوا الخناصر: استحسنوا. والخنصر الإصبع الصغير.. ألا ترى أنك عندما تعد واحد اثنان ثلاثة على أصابعك فإنك تبدأ بالخنصر!

وَلَكِنِّي قَدْ أَنْظَرُ الْحَفْلَةَ الَّتِي نَقَامُ لَهَا الْيَوْمَ فِي مِصْرَ سَاحِرَا
إِذَا احْتَفَلْتُ مِصْرَ بِشَوْقِي فَمَا لَهَا تُقِيمُ عَلَى الْأَحْرَارِ فِي الْعِلْمِ حَاجِرَا
كيف تحتفل مصر بشوقي وتحجر على الأحرار وتسكتهم؟

فَقَدْ أَسْمَعْتُنَا ضَجَّةً أَمْطَرَتْ بِهَا عَلِيّاً وَطَهَ حَاصِباً مُتَطَايِرَا
أسمعتنا مصر ضجة حين أمطرت علي عبد الرازق وطه حسين حاصباً، ريحاً فيها حصى وتراب. وقد عاقبوا الأول على كتابه «أصول الحكم في الإسلام»، وحاكموا الثاني على كتابه «في الشعر الجاهلي»

فَمَا بَالُ هَذَا عُذَّ فِي مِصْرَ مَارِقاً وَمَا بَالُ هَذَا عُذَّ فِي مِصْرَ كَافِرَا
علي عبد الرازق عذوه مارقاً، خارجاً عن الشرع، وطه حسين كفروه

إِذَا لَمْ تَكُ الْأَفْكَارُ فِي مِصْرَ حُرَّةً فَلَيْسَ لِمِصْرَ أَنْ تُكْرِمَ شَاعِرَا
أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَيْسَ بِطَائِلٍ إِذَا كَانَ عَمَّا يَبْلُغُ الْعِلْمَ قَاصِرَا
ليس بطائل: لا فائدة منه

كَمَا أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ النُّفُوسُ حَرَّائِرَا
وَأَلَّا فَعَصْرُ الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلُنَا لَهُ السُّبْقُ فِي تَكْرِيمِ مَنْ كَانَ شَاعِرَا

٣١ الغربال

خَلْبِلِي إِنَّ الْأَرْضَ غِرْبَالٌ قُدْرَةٌ تَجَمَّعَتِ الْأَحْيَاءُ ضِمْنَ إِطَارِهِ
الأرض كغربال كبير يفحص القدرة، قدرة كل فرد على الصمود في المعترك، وكل الأحياء ضمن إطاره.. والبقاء للأصلح

فَلَا عِيشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا قَدِيرَا عَلَى دَفْعِ الْأَذَى وَالْمَكَارِهِ
فمن لم يكن ذا قدرة على دفع الأذى والمكروه عنه سقط من خروم الغربال ومات

وَمَنْ لَمْ يُهِنْ صَرَفَ الزَّمَانِ بِرَحْلَةٍ تَهِنُهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ فِي عُقْرِ دَارِهِ
 من لم يوجه إهانة إلى مصائب الدهر بأن يرحل لبحث عن تحقيق ذاته فإن المصائب تأتبه لتنهيه في
 عقر داره، في وسطها

وَمَا شَرُفَ الدُّرُّ الثَّمِينُ فَرِيدُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يَبْرَحْ بَطُونَ مَحَارِهِ
 لا يصبح اللؤلؤ الذي فريده ثمين، أي حياته الكيرة ثمينة، لا يصبح شريفاً إلا إذا غادر داره وهي
 بطن المحار، أي الصدف

أَرَى كُلَّ ذِي فَقْرٍ لَدَى كُلِّ ذِي غِنَى أَجِيرًا لَهُ مُسْتَحْدَمًا فِي عَقَارِهِ
 وَلَمْ يُعْطِهِ إِلَّا الْيَسِيرَ وَإِنَّمَا عَلَى كَدِّهِ قَامَتْ صُرُوحُ يَسَارِهِ
 ينال الفقير يسيراً من المال مع أن صروح الغنى واليسار، قصوره، قامت على تعب الفقير

لَعَمْرُكَ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي لِغَايَةٍ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَجَارِهِ
 وَلَيْسَتْ حَيَاةُ النَّاسِ إِلَّا الْكُفْلُ فِي إِبْسَاسِهِ وَاحْضِرَارِهِ

وَمَا النَّاسُ إِلَّا الْمَاءُ يُحْيِيهِ جَرِيُّهُ وَيُزِدِّيهِ مُكْتٌ دَائِمٌ فِي قَرَارِهِ
 الماء الجاري يكون نظيفاً حياً صالحاً للشرب والراكد يرديه، أي يمته، ركوده. والقاعدة العلمية
 هي العكس، فالماء الجاري يموت فيها الطحلب، أما الماء الراكد فتعيش به مخلوقات كثيرة

٣٢ الملاحق

وَكَمْ مُدَّعٍ فَضْلَ التَّمَدُّنِ مَا لَهُ مِنْ الْفَضْلِ إِلَّا أَكَلُهُ بِالْمَلَاعِقِ
 وَقَدْ تُعْرِضُ الْأَسْمَاعُ عَنْ ذِي فَصَاحَةٍ وَتُضْغِي إِلَى ذِي اللَّكْنَةِ الْمُتَشَادِقِ
 ذو اللكنة، العيب السيء النطق، المتشادق: الذي يحرك شذقيه أي جانبيه فمه متفاحاً

وَالطَّفُ جَوْرِ الدَّهْرِ جَوْرٌ نَرَى بِهِ تَدَلُّلَ مَعْشُوقٍ وَذُلَّةَ عَاشِقٍ
 جور: ظلم

نَفَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا يَدَيَّ لِأَتْنِي تَعَرَّفْتُ مِنْهَا مَا بَهَا مِنْ خَلَائِقِ
 الخلائق: الصفات

وَلِيَّ عِنْدَ إِخْوَانِ الصِّفَا أَرْجِيَّةٌ إِلَى كُلِّ خَلٍّ فِي الزَّمَانِ مُوَافِقِ
 إِذَا مَا عَقَدْنَا مَجْلَسَ الْأَنْسِ بِالطَّلَا قَبَّيْنِي وَبَيْنَ السُّكْرِ خَمْسُ دَقَائِقِ
 فَأَقْرَعُ بِالْكَأْسِ الرَّوِّيَّةِ جَبْهَتِي بِشُرْبٍ كَمَا عَبَّ الْقَطَا مُتَلَاحِقِ

الروية: الملائة، وطير القطا، وهو كحمامة سمينة، يشرب ويرفع رأسه مرة بعد مرة بشكل متلاحق

أَسَابِقُ نُدْمَانِي إِلَى السُّكْرِ طَائِرًا بِجِنِّحِ مِنَ الْأَنْسِ الْمُضَاعَفِ خَافِقِ
يسابق الندماء إلى الشرب مسرعاً كأنه يطير بجناح خافق، وما هذا الجناح سوى الأنس والفرح
فَمَا هِيَ إِلَّا بَعْدَ شُرْبِي سَوِيْعَةً وَقَدْ دَبَّ مِنْ رَأْسِي الطَّلَا فِي الْمَفَارِقِ
فَنَادَمْتُ أَصْحَابِي عَلَى غَيْرِ حِشْمَةٍ وَقُلْتُ لَهُمْ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُنَافِقِ
على السكر تزيد صراحته ويقول ما في قلبه

تَعَوَّدْتُ سَبْقِي فِي الْفَخَارِ فَلَمْ أَرِدْ مِنَ السُّكْرِ أَنْ أَحْظَى بِهِ غَيْرَ سَابِقِ
لكثرة ما تعودت أن أكون سباقاً إلى المكارم صرت لا أستطيع أن أحظى بالشرب إلا سابقاً غيري
كَمَا اعْتَادَ سَبْقًا فِي الْمَكَارِمِ خَزَعْلُ بَلَا سَابِقِ فِيهَا عَلَيْهِ، وَلَا حِقِ
إِذَا سَارَ سَارَ الْمَجْدُ فِي طَيِّ بُرْدِهِ يُرَافِقُهُ، أَكْرِمُ بِهِ مِنْ مُرَافِقِ
الشيخ خزعل والمجد يسيران معاً. وكان الشيخ خزعل محسناً لشاعرنا

فَيَرْحَلُ مِنْ أَنْسَابِهِ فِي مَوَاكِبِ وَيَنْزِلُ مِنْ أَحْسَابِهِ فِي سُرَادِقِ
يسير ويسير نسبه العريق معه كأنه في موكب لعظمة نسبه، وينزل فينزل معه حسبه، شرفه، فلا يكاد
يسعه السرداق، الخيمة الكبيرة

وَإِنْ جَاءَ أَغْضَى مَنْ رَأَى تَهَيَّبًا سَوَى نَظَرٍ مِنْهُمْ بِعَيْنَيَّ مُسَارِقِ
إن جاء خزعل غض الناس أبصارهم لهيبته، فلا ينظر الناظر إليه إلا باستراق النظر
جَوَادُ إِذَا اسْتَمْطَرَتْهُ جَادَ كَفُهُ بِأَغْزَرَ مِنْ وَبْلِ الْغُيُومِ الدَّوَافِقِ
إذا طلبت منه العطاء كان سخياً وكفه أغزر من وبل، مطر، الغيوم المتدفقة

٣٣ الضرب بالنعل

سَبَرْتُ زَمَانِي بِالنُّهَى وَمَخْضَتُهُ بِتَجَرِبَتِي حَتَّى تَجَلَّتْ عَوَاقِبُهُ
سبرت زماني: قست عمقه واختبرته، بالنهى: بالعقل، ومخضته: فحسته فحماً دقيقاً
وَلَمْ أَسْتَشِيرْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَجَارِبِي وَهَلْ يَضُدُّ الْإِنْسَانَ إِلَّا تَجَارِبُهُ
أَلَا رَبُّ شَيْطَانٍ مِنَ الْإِنْسِ قَدْ غَدَا يُخَايِلُنِي خَلْسًا وَعَيْنِي تُرَاقِبُهُ
يخايلني: يخدعني

فَقُلْتُ لَهُ اخْسَأْ إِنَّمَا أَنْتَ خَائِبُ وَقَبْلَكَ أَغْيَا الْجِنَّ مَا أَنْتَ طَالِبُهُ
فولّى على الأعقاب يخبو وقد درى، ولله دري، أنني أنا غالبه

فَأَتَّبَعْتُهُ مِنِّي شِهَابٌ تَسَامُحٌ يَشْقُ ظِلَامَ الْجَهْلِ بِالْجِلْمِ ثَائِبُهُ
يشبه جلمه وتسامحه بالشهاب الثاقب، أي المتوقد

وَلَوْ شِئْتُ أَرْسَلْتُ الْحَدِيدَةَ خَلْفَهُ تُطَارِدُهُ حَتَّى تَضِيقَ مَذَاهِبُهُ
ولكن أبي مني الخداع مهذب تعود فعل الخير مذ طر شاربه
رفض الخداع مني، أي شخصاً أنا هو، مهذب تعود فعل الخير مذ طر، نبت، شاربه

وَذِي سَفِهِ أَغْضَيْتُ عَنْهُ تَكْرُماً فَدَبَّتُ عَلَى رِجْلَيَّ غَدراً عَقَارِيهُ
فَقَمْتُ لَهُ بِالنَّعْلِ ضَرْباً، فَلَمْ تَزَلْ بَدَايَ بِهِ حَتَّى اطمَأْنَنْتُ غَوَارِيَهُ
اطمأنت غواريه: هبطت أمواجه، أي سكن وهذا

٣٤ طريد بغداد

لَقَدْ طَوَّحْتَنِي فِي الْبِلَادِ مُضَاعَاً طَوَائِحُ جَاءَتْ بِالْخُطُوبِ تَبَاعَا
طوحنتي: رمتني بعيداً

فَبَارَحْتُ أَرْضاً مَا مَلَأْتُ حَقَائِبِي سَوَى حَبِّهَا عِنْدَ الْبِرَاحِ مَتَاعَا
البراح: المغادرة والفراق

عَتَبْتُ عَلَى بَغْدَادَ عَتَبَ مُودِّعٌ أَمْضَتْهُ فِيهَا الْحَادِثَاتُ قِرَاعَا
أمضته الحادثات قراعاً: ألمته المصائب وهو يقارعها ويحاربها

أَضَاعَتْنِي الْأَيَّامُ فِيهَا، وَلَوْ دَرْتُ لَعَزَّ عَلَيْهَا أَنْ أَكُونَ مُضَاعَا
فيها: أي في بغداد

وَلَوْ شِئْتُ كَأَيْلْتُ الَّذِينَ انْطَوَوْا بِهَا عَلَى الْحِقْدِ صَاعاً بِالْعَدَاءِ فَصَاعَا
كابلتهم صاعاً فصاعاً: رددت عليهم بالمثل، والصاع كيل قديم

عَلَى أَنَّنِي ذَارَيْتُ مَا شَاءَ حِقْدَهُمْ فَلَمْ يُجِدْ نَفْعاً مَا أَتَيْتُ وَضَاعَا
داريت كيدهم ما شاء الله لي.. لكن سدى

وَأَشَقَى الْوَرَى نَفْساً وَأَضْيَعَهُمْ نَهْيَ لَبِيبٍ يُدَارِي فِي نُهَاهُ رَعَاعَا
النهي: العقل

تَرَكْتُ مِنَ الشَّعْرِ الْمَدِيحَ لِأَهْلِهِ وَنَزَّهْتُ شِعْرِي أَنْ يَكُونَ قَذَاعَا
القذاع: الشتم والتعير

وَأَرْسَلْتُهُ عَفْوَاً فَجَاءَ كَمَا تَرَى قَوَافِي تَجْتَابُ الْبِلَادَ سِرَاعَا
كَأَنِّي وَقَدْ جَدَّ الْفِرَاقُ سَفِينَةً أَشَالَتْ عَلَى الرِّيحِ الْهَجُومِ سِرَاعَا
كَأَنِّي سَفِينَةً أَشَالَتْ، رَفَعَتْ، شَرَاعَهَا لِتَسْتَقْبَلَ الرِّيحَ الْهَاجِمَةَ

فَمَالَتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْبَحْرُ مَائِجٌ وَقَدْ أَوْشَكْتَ أَلْوَا حُهَا تَتَدَاعَى
الأرواح: الرياح

فَتَحَسَّبُنِي مِنْ هَزَّةٍ فِيَّ أَفْدَعَا تَرَقَّى هَضَاباً زُلْزَلَتْ وَتَلَاعَا
تحسبني وأنا في غربي، وكأني راكب سفينة تتقاذفها الأمواج، أفدع، ملتوي الأقدام، يتضعض
كَأَنَّهُ يَتَرَقَّى وَيَصْعَدُ هَضَاباً وَتَلَاعَا، تَلَا، ضَرَبَهَا الزَّلْزَالُ

فَمَا أَنَا إِلَّا قَوْمَةٌ وَأَنْجِنَاءُ وَسِرٌّ أَذَاعَتْهُ الدَّمُوعُ قَذَاعَا
فأنا بعد التضعض أقوم ثم أنجني.. ومشاعري سر لكن دموعي تفضحه

٣٥ الحكم العسكري

نَفَضْتُ يَدَيَّ مِنْ أَبْنَاءِ دَهْرٍ أَهَانُوا الشَّهْمَ وَاحْتَرَمُوا الزُّرِّيَا
الزري: المستحق للاحتقار والازدراء

وَقُلَّ حَيَاؤُهُمْ حَتَّى رَأَيْنَا ظَنَيْنَ الْقَوْمَ يَتَّبِعُهُمُ الْبَرِيَا
الظنين: أخو الشبهات، المطعون في سلوكه

تَقَلَّدَتِ السِّيُوفُ رُعَاةَ مَغِزٍ وَكَانَتْ قَبْلَ تَحْتِمِلِ الْهُرْيَا
تحتمل الهري: تحمل العصي

وَكَيْفَ تُسَاسُ مَمْلَكَةٌ بِعَدِلٍ إِذَا مَا الْحُكْمُ أَصْبَحَ عَسْكَرِيَا؟

٣٦ العلم المفيد

إِثْنُوا الْمَدَارِسَ وَاسْتَقْفُوا بِهَا الْأَمَلَا حَتَّى نَطَاوَلَ فِي بُنْيَانِهَا زُحَلَا
سِيرُوا إِلَى الْعِلْمِ فِيهَا سَيْرٌ مُعْتَزِمٌ ثَمَّ ارْكَبُوا اللَّيْلَ فِي تَحْصِيلِهِ جَمَلَا
اركبوا في تحصيل العلم الليل، تقطعون بالدرس، اركبوه كأنه جمل

لَا تَجْعَلُوا الْعِلْمَ فِيهَا كُلَّ غَايَتِكُمْ بَلْ عَلِّمُوا النَّشْءَ عِلْماً يُنْتِجُ الْعَمَلَا
وَجَنَّبُوهُمْ عَلَى فَعْلٍ مُعَاقَبَةٍ إِنَّ الْعِقَابَ إِذَا كَرَّرْتَهُ فَتَلَا

فَجَيْشُوا جَيْشَ عِلْمٍ مِنْ شَبِيبَتِنَا عَرْمَرَمًا تَضْرِبُ الدُّنْيَا بِهِ الْمَثَلَا
العرمرم: الجيش الكبير

وإِنْ عَزَا مُسْتَظِلًّا ظِلَّ رَايَتِهِ هَزَّ الْبِلَادَ وَأَحْيَا الْأَغْصَرَ الْأَوَّلَا
إِنَّا لِمِنْ أُمَّةٍ فِي عَهْدٍ نَهَضَتْهَا بِالْعِلْمِ وَالسِّيفِ قَبْلًا أَنْشَأَتْ دَوْلَا
ماذا تقولون في نقدي مناهجكم وقد كَفَيْتُكُمْ التَّفْصِيلَ وَالْجُمْلَا؟
نقدت المناهج حتى كفيتمك التفاصيل والإجمال

وَأَيُّ نَفْعٍ لِمَنْ يَأْتِي مَدَارِسَكُمْ إِنْ كَانَ يَخْرُجُ مِنْهَا مِثْلَمَا دَخَلَا؟

٣٧ الدور قبوراً

إِذَا مَا عَقَّ مَوْطِنَهُمْ أَنْاسٌ وَلَمْ يَبْنُوا بِهِ لِلْعِلْمِ دُورَا
فَإِنَّ ثِيَابَهُمْ أَكْفَانُ مَوْتَى وَلَيْسَ بُيُوتُهُمْ إِلَّا قُبُورَا

٣٨ كذبة الدهر

كَمْ كَذَبَ الدَّهْرُ فِي فِعَائِلِهِ وَسُودَدَ الْجَاهِلِينَ مِنْ كَذِبِهِ
الدهر يكذب، ومن بعض أكاذيبه نيل الجاهلين مواقع السيادة

٣٩ التخصص

أَطْعِمِ الْعَقْلَ مَا اشْتَهَاهُ مِنَ الْعِلِّ سِمْ وَإِلَّا اسْتَقَاتَ مِنْ سُوءِ هَضْمِ
استقأت: تقيأت

لَيْسَ فِي أَرْوُسِ الرِّجَالِ دِمَاعٌ هَاضِمٌ فِي ذَكَائِهِ كُلِّ عِلْمٍ
فَمِنْ النِّقْصِ أَنْ تُحَاوَلَ أَنْ تُضَفَّ رُبِّ فِي كُلِّ ذِي الْعُلُومِ بِسَهْمٍ
أَوَّلَيْسَ الْبَدْرُ التَّمَامُ، وَإِنْ كَا نَ وَحِيداً، يَرْبُو عَلَى أَلْفِ نَجْمٍ

٤٠ نشيد لعبد الحميد

سَكَّنَا مِنْ جَهَالَتِنَا بِقَاعَا يَجُورُ بِهَا الْمُؤَمَّرُ مَا اسْتَطَاعَا
المؤمر: المجهول أميراً

فَكِدْنَا أَنْ نَمُوتَ بِهَا ارْتِيَاعَا فَهَبْنَا أُمَّةً هَلَكَتْ ضِيَاعَا

تَوَلَّى أَمْرَهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ

* * *

أَيَا حُرِّيَّةَ الصُّحُفِ اِرْحَمِينَا فَإِنَّا لَمْ نَزَلْ لِكَ عَاشِقِينَا
مَتَى تَصِلِينَ كَيْمَا تُظَلِّقِينَا عِدِينَا فِي وَصَالِكَ وَامْطَلِينَا
مَتَى تَصِلِينَ إِلَيْنَا حَتَّى نَنْطَلِقَ . . قَدِمِي لَنَا وَعِدْ بِالْوَصَالِ أَيْهَا الْمَعشُوقَةُ، ثُمَّ امْطَلِينَا، كُونِي مِمَّا طَلَّة

فَإِنَّا مِنْكَ نَقْنَعُ بِالْوُعودِ

* * *

تَنَعَّمْ فِي قُصورِكَ غَيْرَ دَارٍ أَعَاشَ النَّاسُ أَمْ هُمْ فِي بَوَارِ
بوار: هلاك

فَإِنَّكَ لَمْ تُطَالِبْ بِاعْتِدَارٍ وَهَبْ أَنَّ الْمَمَالِكَ فِي دِمَارِ
أَلَيْسَ بِنَاءٍ يَلْدِرُ بِالْمَشِيدِ
يلدز: قصر السلطان عبد الحميد في إستانبول

٤١ دخان ولهيب

إِنْ كَلَّفْتَنِي السُّكَارَى شَرْبَ خَمَرَتِهِمْ شَرِبْتُ لَكِنْ دَخَاناً مِنْ سِكَارَاتِي
سكاراتي: سيجاراتي، وفي العراق يكتبون القاف البدوية كافاً، وفي مصر جيماً، وفي بلاد الشام
يتعبرون، وفي الخليج يكتبونها قافاً فيقولون عن اللقافة زقارة
إِنِّي لَأَمْتَصُّ جَمِراً لَفَّ فِي وَرْقٍ إِذْ تَشْرَبُونَ لَهيباً مِلءَ كَاسَاتِ

٤٢ تحريم الغناء

رَطَّبْ حَيَاتَكَ بِالْغِنَاءِ إِذَا عَرَا هُمْ يُجَفِّفُ فِي الْحُلُوقِ الرِّيقَا
عرا: اعتري، وجاء مفاجئاً

وَاتْرُكْ مُجَادَلَةَ الَّذِينَ تَوَهَّمُوا هَزَجَ الْغِنَاءِ خَلَاعَةً وَفُسُوقَا
أَفَأَنْتَ أَغْلَظَ مُهْجَةً مِنْ نُوقِهِمْ فَقَدْ اسْتَحْثُوا بِالْحُدَاءِ النُّوقَا
الحداء: الغناء للإبل

أَرْقَى الشُّعُوبِ تَمِثْناً وَحَضَارَةً مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْفُنُونِ عَرِيقَا

٤٣ الاستهلاك

أَوْ مَا تَرَى أَهْلَ الْبِلَادِ تَقَيَّدُوا لِلْغَرْبِ مِنْ حَاجَاتِهِمْ بِقِيُودِ
الْغَرْبِ يَكْسُوهُمْ مَلَابِسَ هُمْ بِهَا يَسْلَخُونَهُمْ بِمَصْنُوعَاتِهِ
هَذِي سَفَائِنُهُمْ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي فَكَأَنَّمَا هِيَ لَامْتِصَاصٍ دِمَائِنَا
بِضَائِعِ لَمْ تُخَصَّ بِالتَّعْدِيدِ بَعْضُ الْمَحَاجِمِ أَوْ كِبَعْضِ الدُّودِ
تمتص بضائعهم دمنًا كما تمتصه المحاجم، المحجم أداة فصد الدم في الحجامة، أو الدود، العلق
الذي يستخذه المعالجون في امتصاص الدم

مَنْ كَانَ مَحْلُولَ الْعُرَا فِي مَالِهِ وَجَبَ أَنْجِلَالُ لَوَائِهِ الْمَعْقُودِ
من لم يحسن القيام على الميزانية وجب أن يتخلى عن حمل اللواء وقيادة البلد

٤٤ التموية

دَعِ الْآنَاسِيَّ وَانْسُبْنِي لِغَيْرِهِمْ إِنْ شِئْتَ لِلشَّاءِ، أَوْ إِنْ شِئْتَ لِلْبَقَرِ
فَإِنَّ فِي الْبَشَرِ الرَّاقِيِ بِخَلْقَتِهِ مَنْ قَدْ أَنْفَتَ بِهِ أَنْفِي مِنَ الْبَشَرِ
وَأَشْنَعُ الْكِذْبِ عِنْدِي مَا يُمَارِجُهُ شَيْءٌ مِنَ الصَّدَقِ تَمْوِيهًا عَلَى الْفِكْرِ
فَإِنَّ إِبْطَالَ هَذَا فِي النُّهْيِ عَسِرٌ وَلَيْسَ إِبْطَالُ مَحْضِ الْكِذْبِ بِالْعَسِيرِ

٤٥ تلخيص «رأس المال»

كُلُّ مَا فِي الْبِلَادِ مِنْ أَمْوَالٍ لَيْسَ إِلَّا نَتِيجَةُ الْأَعْمَالِ
تلخيص حسن للنظرية الماركسية في القيمة المضافة: قيمة كل سلعة هي مقدار ما وُضع فيها من
عمل. وسيبدو في الآيات المقبلة أن الرصافي كان يصدر عن إلزام بالنظرية الماركسية

عِنْدَنَا الْيَوْمَ لِلْحَيَاةِ نِظَامٌ قَدْ حَوَى كُلَّ بَاطِلٍ وَمُحَالٍ
حَيْثُ يَسْعَى الْفَقِيرُ سَعْيَ أَجِيرٍ لِعَبْنِي مُسْتَأْثِرٍ بِالْغِلَالِ
وَتَرَى الْغَائِصِينَ فِي الْبَحْرِ أَمْسَى لِسَوَاهُمْ مَا أَخْرَجُوا مِنْ لَالٍ
لَال: لآلى

أَكْثَرُ النَّاسِ يَكْدَحُونَ لِقَوْمٍ قَعَدُوا فِي قُصُورِهِمْ وَالْعَلَالِي
إِنَّمَا الْحَقُّ مَذْهَبُ الْاشْتِرَاكِيِّيِّ نَ فِيْمَا يَخْتَصُّ بِالْأَمْوَالِ

مَذْهَبٌ قَدْ نَحَا إِلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ - قَدِيمًا فِي غَايِرِ الْأَجْيَالِ

أبو ذر الغفاري: من الصحابة، وزهد ودعا إلى التسوية بين الناس في العطاء

لَيْسَ قَرَضُ الزَّكَاةِ فِي الشَّرْعِ إِلَّا خُطْوَةٌ نَحْوَ مَبْتَغَاةِ الْعَالِي

الزكاة خطوة أولى نحو هذا المذهب: الاشتراكية

مَا رُؤُوسُ الْأَمْوَالِ إِلَّا أَدَاةٌ لِلْمَسَاعِي كَالْحَبْلِ لِلْأَحْمَالِ

رؤوس الأموال أداة لتشغيل الناس ودوران عجلة الاقتصاد وليست للتخزين والكثرة

إِنَّهَا الْعَامِلُونَ إِنَّ اتِّحَادًا بَيْنَكُمْ مُرْخِصٌ لَكُمْ كُلِّ غَالٍ

وقال البيان الشيوعي: «يا عمال العالم اتحدوا»

فَلْيَكُنْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَصِيرًا وَمُعِينًا لَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ

٤٦ الازدراء

أَكْبَّ عَلَى الْخَوَانِ وَكَانَ خِفَاءً فَلَمَّا قَامَ أَثْقَلَهُ الْقِيَامُ

ووالى بينها لُقْمًا ضَخَامًا فَمَا مَرِئَتْ لَهُ اللَّقْمُ الضَّخَامُ

وَعَاجَلَ بَلْعَهُنَّ بِغَيْرِ مَضْغٍ فَهُنَّ فِيهِ وَضَعُ فَاَلْتَّهَامُ

فَضَاقَتْ بَطْنُهُ شِبَعًا وَشَالَتْ إِلَى أَنْ كَادَ يَنْقَطِعُ الْحِزَامُ

فَأَرْسَلْتُ اللَّحَاطَ إِلَيْهِ شِرَارًا وَقُلْتُ لَهُ: رُؤَيْدَكَ يَا غُلَامُ

أَرَى اللَّقْمَاتِ تَأْخُذُهَا حَلَالًا فَتَدْخُلُ فَاكَ وَهِيَ بِهِ حَرَامُ

فَلَا تَأْكُلْ طَعَامَكَ بِازْدِرَادٍ مُعَاجَلَةً فَيَأْكُلَكَ الطَّعَامُ

طَعَامُ النَّاسِ أَغْجَبُ مَا أَحْبَبُوا فَمَنْه حَيَاتُهُمْ وَبِهِ الْجِمَامُ

أعجب الأشياء التي يحبها الناس الطعام، فمنه يحيون وبه يموتون

وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ صِيَامَ دَهْرِي لَصُمْتُ فَكَانَ دَيْدَنِي الصِّيَامُ

ديدني: عادتي

وَلَكِنْ لَا أَصُومُ صِيَامَ قَوْمٍ تَكَاثَرَ فِي فُطُورِهِمُ الطَّعَامُ

وَنَامُوا مُتَحَمِّينَ عَلَى امْتِلَاءٍ وَقَدْ يَتَجَشَّأُونَ وَهُمْ نِيَامُ

يتجشأ: يخرج فقاعة هواء من بطنه... يخرجها من فمه بصوت

فَقُلْ لِلصَّائِمِينَ أَدَاءٌ قَرِضٌ أَلَا مَا هَكَذَا فَرِضَ الصِّيَامُ

٤٧ إلى الصديق اللدود

أرى بغداداً من بعد اغبرارٍ زَهَتْ بِقُدُومِ شاعرِها الزَّهاوي
وما الآدابُ في بغدادَ لولا يَراعُ جَميلِها إِلَّا دَعَاوِ
يراع: قلم، دعاوٍ: ادعاءات

إذا ما قالَ في بغدادَ شعراً رَوَاهُ لَهُ بِأَقْصَى الأَرْضِ راوٍ

٤٨ أبناء إماء

لقد غَمَطُوا حَقَّ النِّسَاءِ فَشَدَّدُوا عَلَيْهِنَّ فِي حَبْسٍ وَطَوَّلِ ثَوَاءِ
غمطوا الحق: لم يقرأوا به، طول ثواء: طول إقامة

وقد أَلَزَمُوهُنَّ الحِجَابَ وَأَنكَرُوا عَلَيْهِنَّ إِلَّا خَرَجَةً بِغِطَاءِ
أهَانُوا بِهِنَّ الأَمَّهَاتِ فَأَصْبَحُوا بِمَا فَعَلُوا مِنَ الأَمِّ اللُّؤْمَاءِ
ولو أَنَّهُمُ أَبْقَوْا لَهُنَّ كَرَامَةً لَكَانُوا بِمَا أَبْقَوْا مِنَ الكَرَمَاءِ
ألم تَرَهُمْ أَمْسَوْا عَبِيداً لِأَنَّهُمْ عَلَى الدُّلِّ شَبُّوا فِي حُجُورِ إِمَاءِ
صار رجالنا عبيداً للأجنبي لأنهم تربوا في حجور، أحضان، نساء هن كالإماء، الجواري

وَهَانَ عَلَيْهِمْ حِينَ هَانَتْ نِسَاؤُهُمْ تَحْمَلُ جَوْرِ السَّاسَةِ الغُرَبَاءِ
أَيَسَعِدُ مَحْيَاكُمْ بِغَيْرِ نِسَائِكُمْ وَهَلْ سَعِدَتْ أَرْضٌ بِغَيْرِ سَمَاءِ
المحيا: الحياة

وما العارُ أَنْ تَبْدُو الفَتَاةُ بِمَسْرَحٍ تُمَثِّلُ حَالِي عِرَّةٍ وَإِبَاءِ
ولكنَّ عاراً أَنْ تَزَيَّا رِجَالُكُمْ عَلَى مَسْرَحِ التَّمَثِيلِ زِيَّ نِسَاءِ

٤٩ النعجة والذئب

قُلْ لِلأُلَى ضَرَبُوا الحِجَابَ عَلَى النِّسَاءِ أَفَتَعْلَمُونَ بِمَا جَرَى تَحْتَ العَبَاءِ؟
شَرَفُ المَلِيحَةِ أَنْ تَكُونَ أَدِيبَةً وَحِجَابُهَا فِي النَّاسِ أَنْ تَتَهَذَّبَا
وَالوَجْهُ إِنْ كَانَ الحَيَاءُ نِقَابَهُ أَغْنَى فِتَاةَ الحَيِّ أَنْ تَتَنَقَّبَا
وَاللُّؤْمُ أَجْمَعُ أَنْ تَكُونَ نِسَاؤُنَا مَثَلُ النُّعَاجِ، وَأَنْ نَكُونَ الأَذْؤِبا

٥٠ الذين واللواتي

هِيَ الْأَخْلَاقُ تَنْبُتُ كَالنَّبَاتِ إِذَا سُقِيَتْ بِمَاءِ الْمَكْرُمَاتِ
وَلَمْ أَرِ لِلْخَلَائِقِ مِنْ مَحَلٍّ يُهَذَّبُهَا كَحِضْنِ الْأُمّهَاتِ
فَحِضْنُ الْأُمِّ مَدْرَسَةٌ تَسَامَتْ بِتَرْبِيَةِ الْبَنِينَ أَوِ الْبَنَاتِ
وَقَالُوا شِرْعَةُ الْإِسْلَامِ تَقْضِي بِتَفْضِيلِ الَّذِينَ عَلَى اللَّوَاتِي
وَقَالُوا إِنَّ مَعْنَى الْعِلْمِ شَيْءٌ تَضِيقُ بِهِ صُدُورُ الْغَانِيَاتِ
أَلَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ فَرَضًا عَلَى أَبْنَائِهِ، وَعَلَى الْبَنَاتِ؟
وَكَانَتْ أُمْنًا فِي الْعِلْمِ بَحْرًا تَحُلُّ لِسَائِلِهَا الْمَشْكَلَاتِ
أَمَّا: أُمُ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ

أَلَمْ نَرِ فِي الْحِسَانِ الْغَيْدَ قَبْلًا أَوَانَسَ كَاتِبَاتِ شَاعِرَاتٍ؟
وَقَدْ كَانَتْ نِسَاءُ الْقَوْمِ قَدَمًا يَرْحُنَ إِلَى الْحُرُوبِ مَعَ الْغُرَاقِ
يَرْحَنُ: أَرَادَ يَذْهَبُ

لَئِنْ وَأَدَا الْبَنَاتِ فَقَدْ قَبَرْنَا جَمِيعَ نِسَائِنَا قَبْلَ الْمَمَاتِ
الْجَاهِلُونَ وَأَدَا الْبَنَاتِ وَنَحْنُ قَبَرْنَا النِّسَاءَ بِإِبْقَائِهِنَّ فِي الْبُيُوتِ أَوْ بِالْحِجَابِ
حَجَبْنَاهُنَّ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي فَعِشْنَ بِجَهْلِهِنَّ مُهْتَكَاتِ
وَلَوْ عَدِمَتْ طِبَاعُ الْقَوْمِ لُؤْمًا لَمَّا عَدَّتِ النِّسَاءُ مُحَجَّبَاتِ
فِدَى لَخَلَائِقِ الْأَعْرَابِ نَفْسِي وَإِنْ وُصِفُوا لَدَيْنَا بِالْجُفَاءِ
فَكَمْ بَرَزَتْ بِحَيِّهِمُ الْعَوَانِي حَوَاسِرَ غَيْرِمَا مُتَرَيِّبَاتِ
حَوَاسِرُ: كَاشِفَاتُ الشَّعْرِ، غَيْرِمَا: مَتْرِبَاتِ: غَيْرِ وَاقِعَاتِ فِي شَبْهَةِ أَوْ رِيَّةِ

٥١ أمة ومحبوسة

لَمْ أَرِ بَيْنَ النَّاسِ ذَا مَظْلَمَةٍ أَحَقَّ بِالرَّحْمَةِ مِنْ مُسْلِمَةٍ
مَنْقُوصَةٍ حَتَّى بِمِيرَاثِهَا مُحَجَّبَةٌ حَتَّى عَنِ الْمَكْرُمَةِ
قَدْ جَعَلُوا الْجَهْلَ صِنَوَانًا لَهَا مِنْ كُلِّ مَا يَدْعُو إِلَى الْمَأْثَمَةِ
صَوَانًا: حَافِظًا صَانًا

وَالْعِلْمُ أَعْلَى رُتْبَةٍ عِنْدَهُمْ مِنْ أَنْ تُلَقَّاهُ وَأَنْ تَعْلَمَهُ

ما تَصْنَعُ المرأةَ مَحْبُوسَةً في بيتِها إنْ أَصْبَحَتْ مُغْدِمَةً
كم في بيوتِ القومِ مِنْ حُرَّةٍ تَبْكِي مِنَ البُؤْسِ بِعَيْنَي أُمَةٍ

٥٢ نحن السفوريين

نحنُ السُّفُورِيُّينَ أَعْلَمُ بالذي شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ مِنْ دِينِ
أَيَكُونُ ما شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ شيئاً يَخَالِفُ شِرْعَةَ التَّمْدِينِ؟

٥٣ يا شعبي الضائع

قالها والعراق تحت الحكم العثماني:

أَمَا آَنَ أَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ سُعُودُهَا وَيَذْهَبَ عَنْ هَذِي النَّيَامِ هُجُودُهَا
يغشى: يغطي، سعودها: حظها الحسن، هجودها: نومها

بَرِئْتُ إِلَى الْأَحْرَارِ مِنْ شَرِّ أُمَّةٍ أَسِيرَةٌ حُكَّامِ ثِقَالِ قُبُودُهَا
جَرَى الْجَوْرُ مِنْهَا فِي بِلَادٍ وَسِيعَةٍ فَضَاقَتْ عَلَى الْأَحْرَارِ ذُرْعَا حُدُودُهَا
عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يَخْضَعُونَ لِدَوْلَةٍ يَسُوسُهُمُ بِالْمُؤَيَّقَاتِ عَمِيدُهَا
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهُمْ يَرْهَبُونَهَا وَأَمْوَالُهَا مِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ جُنُودُهَا
وَصَارَتْ لِثَامِ النَّاسِ يَعلُو كِرَامُهَا وَعَابَ لِبَيْدٍ فِي النَّشِيدِ بَلِيدُهَا
صار الثام يرتفعون فوق الكرام، و صار البليد يعيب في الشعر لبليد الشاعر المشهور

وَمَا ثُلَّةٌ قَدْ أَهْمَلَتْهَا رُعَاتُهَا بِمَأْسَدَةٍ جَاعَتْ لِعَشْرِ أُسُودُهَا..
الثلة: قطيع الغنم، المأسدة: أرض كثرت أسودها، جاعت لعشر: مضت عليها عشرة أيام بلا طعام..

فَبَاتَتْ وَلَا رَاعٍ يُحَامِي مَرَاخِهَا فَرَائِسَ بَيْنَ الصَّارِيَاتِ تُبِيدُهَا..
بات القطيع بلا راع يحمي مراحه، أرضه، فأصبح فرائس تفترسها الأسود الضارية، المفترسة
بِأَضْيَعٍ مِنْكُمْ حَيْثُ لَا ذُو شَهَامَةٍ يَذِبُ الرِّزَايَا عَنْكُمْ وَيَذُودُهَا
ليست هذه الأغنام أشد ضياعاً منكم إذ لا شهم يذب الرزايا، يدفع المصائب ويذودها، يعيدها عنكم

٥٤ الإسلام ذنباً

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَسْتُمْ مِنَ الْغَرِ بِ إِحَالٍ تَسْتَوْجِبُونَ احْتِرَامَا

وَإِذَا مَا فَعَلْتُمْ الْخَيْرَ يَوْمًا حَسِبُوهُ جِنَايَةً وَأَنَامَا
وَإِذَا مَا افْتَرَىٰ عَلَيْكُمْ عَدُوٌّ أَيْدُوهُ وَصَدَّقُوا الْاَوْهَامَا
وَإِذَا مَا جَنَىٰ عَلَيْكُمْ أَنَاسٌ سَكَنُوا عَنْهُمْ وَمَرُّوا كِرَامَا
مرور الكرام: أي المرور بلا اهتمام. المعنى مأخوذ من صفة الكريم النفس الذي يرى الخطأ فيمر
به بلا تأنيب لصاحبه

كَمْ بِأَرْضِ الْبَلْقَانِ مِنْكُمْ قَتِيلٌ . وَأَيَّامِي مُضَاعَةٌ وَيَنَامِي
أيامى: أرامل. . وفي نهاية الحرب العالمية الأولى تفككت الدولة العثمانية وخلفت في مناطق
البلقان حيث كانت تحكم كثيرين من المسلمين يتعرضون للأذى

رَحِمَ اللَّهُ أُمَّةً أَصْبَحَ الْقَرُّ بُ يَرَىٰ كُلَّ ذَنْبِهَا إِسْلَامَا

٥٥ وعود العروبيين

عَجِبْتُ لِقَوْمٍ أَصْبَحُوا يُنْكِرُونَنَا وَقَدْ عَرَفُونَا فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَرَّا
هُمْ أَسْمَعُونَا نُغَرَّةَ عَرَبِيَّةً قَدَوَىٰ صَدَاها فِي الْمَسَامِعِ مُضْطَرًّا
نغرة: عصبية وحماسة للنسب، مصطر: مصطخب. ينتقد العروبيين

فَكَمْ مِنْ خَطِيبٍ قَامَ فِيهَا مُثَرَّرًا فَطَرَّىٰ لَنَا مِنْ يَابِسِ الْقَوْلِ مَا طَرَّىٰ
وكم شاعرٍ قد أَرَخَصَ الشَّعْرَ دُونَهَا وَكَمْ قَلَمٍ فَوْقَ الطُّرُوسِ بِهَا صَرَّا
كم من شاعر بذل شعره رخيصاً في سبيل الدعوة للعروبة، وكم قلم قد سُمع له صرير فوق
الطروس، الأوراق، وهو يشيد بها، بالنغرة العروبية

وَكُنَّا أَجَبْنَاهُمْ إِلَيْهَا إِجَابَةً بِهَا قَدْ تَرَكْنَا جَانِبَ الدِّينِ مُزَوَّرًا
وقد تفاعلت - يقول الرصافي - مع تلك الدعوات، مخالفاً بذلك الرابط الديني الذي يربطني بالدولة
العثمانية

رَجَاءَ اتِّحَادٍ فِي طَرِيقِ سِيَاسَةٍ تَعُمُّ مَرَامِيهَا بَنِي يَغْرُبِ طُرَّا
جارتهم رجاء التوحيد في سياسة تعم مراميها، أغراضها، العرب طراً، جميعاً
فَمُذْ حَانَ أَنْ يَخْضَلَ غُصْنُ اعْتِزَانَا وَبَرَّتْ بَعْدَ الْيَبْسِ رَطْبًا وَيَخْضَرَّا . .
منذ أن حان الوقت ليخضل، لينثل بالندى، غصن اعتزازنا ويخضر. .

نَصَبْنَا خَيَاشِيمَ الرَّجَاءِ لِرِيحِهِمْ فَهَبَّتْ لَنَا نَكَبَاءَ عَاتِيَةٍ صِرَّا
نصبنا أنوفنا راجين أن نشم رائحة طيبة، فهبت علينا ريح نكباء، مخربة، صير، باردة

٥٦ رويدك غورو!

رُوَيْدَكَ، غُورُو، اُبْهَذَا الْجَنْبِرَالُ فَقَدْ اَلَمْتْنَا مِنْ خِطَابِكَ اقْوَالُ

دخل الجنرال غورو دمشق وألم بقبر صلاح الدين ورفسه وقال: «قم فقد عدنا يا صلاح الدين، ووجودي هنا إيذان بانتصار الصليب على الهلال» العبارة في ص ٣٥٩ من كتاب «غزو الشرق الأوسط الحديث» لماير وبرايواك

ذَكَرْتَ لَنَا الْحَرْبَ الصَّلِيبِيَّةَ الَّتِي بِهَا الْيَوْمَ قَدْ تَمَّتْ لِقَوْمِكَ آمَالُ
وَلَوْ أَنَّنَا قُلْنَا كَمَا أَنْتَ قَائِلٌ لَأَنْحَى عَلَيْنَا بِالتَّعَصُّبِ عُدَالُ

أنحى بالتعصب: اتهم بالتعصب

وَقَالُوا لَنَا أَنْتُمْ أَوْلُو جَاهِلِيَّةٍ وَإِنْ خَالَفُوا وَجْهَ الصَّوَابِ بِمَا قَالُوا
فَقَدْ قَادَتِ الْأَعْرَابُ نَحْوَ عُدُوكُمْ خُبُولًا لَهَا فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ تَجْوَالُ

الأعراب في الحجاز والأردن بقيادة الشريف حسين مكة حاربوا عدوكم، يا غورو، وهو الدولة العثمانية

وَقَامَتِ لَكُمْ مِنْهُمْ بِمَكَّةَ رَايَةٌ لَكُمْ فُتِحَتْ فِيهَا مِنَ الْقُدْسِ أَقْفَالُ

ورفع الهاشميون في مكة راية قتال ساعدت الغرب في فتح القدس مع نهاية الحرب العالمية الأولى

٥٧ عندما يحيض الزمن

لَمَّا تَكْرَهْنِي الْأَرَاذِلُ سَرَّنِي أَنِّي إِلَيْهِمْ، يَا أَمِيمَ، بَغِيضُ
وَجَزَيْتُ كُلَّ صَنِيعَةٍ بِمِثَالِهَا إِنْ الصَّنَائِعُ فِي الرِّجَالِ قُرُوضُ

صنعة: معروف

لَا تَطْلُبَنَّ مِنَ الزَّمَانِ حَقِيقَةً مَا لِلْحَقِيقَةِ فِي الزَّمَانِ وَمِيزُ

تسويد عمران القفيني

وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ مِثْلُ نِسَائِهَا فِي الْحُكْمِ، تَطْهَرُ تَارَةً وَتَحِيضُ

أحداث الزمن تشبه في حكمنا عليها النساء تطهر وتحيض.. أي فيها ما يسر وما يسوء

وَإِذَا الْفَتَى قَعَدَتْ بِهِ أَعْمَالُهُ أَعْيَاهُ بِالنَّسَبِ الرَّفِيعِ نُهَوْضُ

تسويد عمران القفيني

٥٨ يا قوم لا تتكلموا

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام مُحَرَّمٌ
ناموا ولا تستيقظوا ما فازَ إلا النُّومُ
أما السياسةُ فاتركوا أبداً وإلا تَنذُموا
إن السياسةَ سِرُّها لو تعلمونَ مُطْلَسَمٌ

مطلسم: غامض

مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَمِيعَ شَ الْيَوْمَ وَهُوَ مُكَرَّمٌ
فَلْيُمْسِ لَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ لَدَيْهِ وَلَا قَمٌ
وَإِذَا ظَلِمْتُمْ فَاضْحَكُوا طرباً وَلَا تَتَظَلَّمُوا
إِنْ قِيلَ هَذَا شَهْدُكُمْ مُرٌّ فَقُولُوا عَلَقُمْ
أَوْ قِيلَ إِنَّ نَهَارَكُمْ لَيْلٌ فَقُولُوا مُظْلِمٌ
أَوْ قِيلَ إِنَّ بِلَادَكُمْ يَا قَوْمُ سَوْفَ تُقَسَّمُ
فَتَحَمِّدُوا وَتَشْكُرُوا وَتَرْتَحُوا وَتَرْتَمُوا

٥٩ حكم الدخيل

في حفل تكريم أمين الريحاني:

أَأْمِينُ لَا تَغْضَبْ عَلَيَّ فَإِنِّي لَا أَدْعِي شَيْئاً بغيرِ دَلِيلِهِ
مِنْ أَيْنَ يُرْجَى لِلْعِرَاقِ تَقْدُّمٌ وَسَبِيلُ مُمْتَلِكِيهِ غَيْرُ سَبِيلِهِ

ممتلكوه: حكامه

لا خيرَ في وطنٍ يكونُ السيفُ عندَ دَ جَبَانِهِ، والمالُ عندَ بَخِيلِهِ
والرأيُ عندَ طَرِيدِهِ، والعِلْمُ عندَ دَ غَرِيبِهِ، والحُكْمُ عندَ دَخِيلِهِ

استاء الملك فيصل مما رآه تعريضاً به في كلمة «دخيله»، فقالوا له: لعل الرصافي يقصد الإنجليز

وقد استَبَدَّ قَلِيلُهُ بِكَثِيرِهِ ظُلُمًا، وَذَلَّ كَثِيرُهُ لِقَلِيلِهِ
وَإِذَا الْمَخَاطَبُ كَانَ مِثْلَكَ وَاعِيًا أَغْنَى اخْتِصَارُ الْقَوْلِ عَنْ تَطْوِيلِهِ

يخاطب أمين الريحاني

يَا مَنْ يُكْتَمُ فَضْلُهُ مُتَوَاضِعًا وَالنَّاسُ مُجْمِعَةٌ عَلَى تَفْضِيلِهِ

شكوايَ بُحْتُ بها إِلَيْكَ وليس في
إنَّ المريضَ لَيْسَ تَرِيحُ إذا اشْتَكَى
شكوى الزميلِ غَضاضَةً لِرَمِيلِهِ
مِمَّا به لَطْبِييْهِ، وَخَلِيلِهِ

٦٠ ويل لبغداد

وَيْلٌ لِبَغْدَادَ مِمَّا سَوْفَ تَذْكُرُهُ
لَقَدْ سَقَيْتُ بِفَيْضِ الدَّمْعِ أَرْبُعَهَا
عَنِّي وَعنها اللَّبالي في الدواوينِ
على جوانِبِ وادٍ ليس يَسْقِينِي
ولَوْ نَأَذَمْتُ زُقُوماً بِغَسَلِينَ
به

تأدمت: اتخذت غموساً لخبزتي، الزقوم والغسلين: من طعام أهل النار

عَاهَدْتُ نَفْسِي وَالْأَيَّامُ شَاهِدَةٌ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ بَغْدَاداً تُحَلِّثُنِي
أَلَّا أَقَرَّ عَلَى جَوْرِ السَّلَاطِينِ
عن ماءٍ دَجَلَتْهَا يَوْماً وَتُظْمِئُنِي

تحلثني: تمنعني ورود الحوض

حَتَّى نَقَلَّدَ فِيهَا الْأَمْرَ زِعْفِيفَةً
مِنَ الْأُنَاسِ بِأَخْلَاقِ السَّرَاحِينِ

زعففة: شرذمة، حثالة، السراحين: الذئاب

لَأَجْعَلَكَ إِلَى بَيْرُوتَ مُنْتَسَبِي
قَدْ كَانَ فِي الشَّامِ لِلْأَيَّامِ مَذْزَمِي
لَعَلَّ بَيْرُوتَ بَعْدَ الْيَوْمِ تُؤْوِينِي
ذَنْبٌ مَحْتَهُ اللَّيَالِي فِي فَلَسْطِينِ

أذنبت الشام بحقي عندما جتتها وفصل فيها فلم أحظ باستقبال حسن، فذهبت إلى القدس فعملت هناك واحتفى الناس بي

إِنْ كَانَ فِي الْقُدْسِ لِي صَحْبٌ غَطَارِفَةٌ
فَكَمْ بِبَيْرُوتَ مِنْ غُرٍّ مَيَّامِينِ

الغطارفة والميامين: السادة من أشراف الناس

٦١ ملك ينتظر آخر الشهر

لَهُمْ مَلِكٌ تَأْتِي عَصَابَةٌ رَأْسِهِ
لَهَا غَيْرَ سَيْفِ التَّيْمُسِيِّينَ عَاصِبَا

تأبى عصابة رأسه، عمامته، أن يعصها ويلفها له إلا سيف الإنجليز، أي أن عرشه قائم بفضل وجودهم العسكري في العراق (التيمسين نسبة إلى نهر لندن التمز)

وَلَيْسَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُ
يُعَدُّ أَيَّاماً وَيَأْخُذُ رَاتِبَا

قيل عندما التقى الملك فيصل الرصافي بعد حين عاتبه قائلاً: أما زلت تقول إنني أعدد أياماً وأخذ راتباً؟ فقال الرصافي: أمل ألا يكون الأمر كذلك يا صاحب الجلالة

٦٢ الكراسي الخجلى

أنا بالحكومة والسياسة أعرُف أَلأُم في تَفَنيدِها وأَعَنُفُ

تَفَنيدُها : انتقادها

سَأَقُولُ فِيهَا مَا أَقُولُ وَلَمْ أَخْفَ مِنْ أَنْ يَقُولُوا شَاعِرٌ مُتَطَرِّفُ
هَذِي حُكُومَتُنَا وَكُلُّ شُمُوخِهَا كَذِبٌ، وَكُلُّ صَنِيعِهَا مُتَكَلِّفُ
عَلِمَ وَدُسْتُورٌ وَمَجْلِسُ أُمَمِ كُلُّ عَنِ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ مُحَرَّفُ
أَسْمَاءُ لَيْسَ لَنَا سِوَى أَلْفَاظِهَا أَمَّا مَعَانِيهَا فَلَيْسَتْ تُعَرَفُ

تعليق عمران القفيني: (مَنَعَ أسماء للوزن، ومنع المصروف قبيح حتى في الضرورات... الشعراء الكبار يصرفون الممنوع لا العكس)

مَنْ يَقْرَأِ الدُّسْتُورَ يَعْلَمُ أَنَّهُ وَفَقاً لِصَكِّ الْإِنْتِدَابِ مُصَنَّفُ
تَشْكُو الْبِلَادُ سِيَاسَةً مَالِيَةً تَجْتَاحُ أَمْوَالَ الْبِلَادِ وَتُنَلِّفُ
تُجَبِّى ضَرَائِبُهَا الثَّقَالَ وَإِنَّمَا فِي غَيْرِ مَصْلَحَةِ الرَّعِيَّةِ تُضَرِّفُ
يَا قَوْمُ خَلُّوا الْفَاشِيَّيَّةَ إِنَّهَا فِي السَّائِسِينَ قَظَاطَةٌ وَتَعَجِّرُفُ

الفاشيية: الفاشية، وكان بدأ بتشكيل حزب يأخذ بنهج الفاشية الإيطالية

لِلْإِنْجِلِيزِ مَطَامِعُ بِبِلَادِكُمْ لَا تَنْتَهِي إِلَّا بِأَنْ تَتَبَلَّشَفُوا

تتبلشفوا: تصبحوا بلشفيين، والحزب البلشفي هو حزب لينين الشيوعي في روسيا/الاتحاد السوفيتي

بِاللَّهِ يَا وُزَرَائِنَا مَا بَالُكُمْ إِنْ نَحْنُ جَادِلُنَاكُمْ لَمْ تُنْصِفُوا
هَذِي كَراسِيُ الْوِزَارَةِ تَحْتَكُمُ كَادَتْ لِقَرْطِ حَيَائِهَا تَتَقَصَّفُ
أَنْتُمْ عَلَيْهَا وَالْأَجَانِبُ فَوْقَكُمْ كُلُّ بِسُلْطَتِهِ عَلَيْكُمْ مُشْرِفُ
أَيَّعَدُ فَخْرًا لِلْوِزِيرِ جُلُوسُهُ فَرِحًا عَلَى الْكُرْسِيِّ وَهُوَ مُكْتَفُ

مكتف: مقيد بالحيال

كَمْ مِنْ نَوَاصِيٍّ لِلْعِدَى سَنَجُزُّهَا وَلِحَى بِأَيْدِي الشَّائِرِينَ سَتُنْتَفُ

نواصي: الناصية شعر مقدم الرأس، نجزها: نقصها. وكان من عادة العربي إذا أسر خصمه أن يحلق له شعره

٦٣ أم الدنيا

في زيارة مع وفد برلماني عراقي للقاهرة لحضور المعرض الصناعي (١٩٣٦):
إذا العروبة حلَّت عرشَ دولتها فمِصْرُ تاجٍ لها قد صيغَ من ذهبٍ
من أُنْفٍ فُسطاطها في الشرقِ قد طلَّعتْ شمسٌ إذا غابَ قُرْصُ الشمسِ لم تغِبِ
الفسطاط: القاهرة القديمة

٦٤ من العجائب

ومن العجائب في الزمانِ وأهله بَلَّهَ الْفَقِيهَ وَفُظْنَةَ الزُّنْدِيقِ

٦٥ الجمهورية

قالها في عهد السلطان عبد الحميد:

سوقُ تُباعُ بها المَرَاتِبُ سُمِّيتْ دارَ الْخِلَافَةِ عندَ مَنْ لم يَعْقِلِ
دار الخلافة: إستانبول

أَبَتِ السِّيَاسَةُ أَنْ تَدُومَ حُكُومَةٌ خُصَّتْ بِرَأْيِ مُقَدَّسٍ لَمْ يُسْأَلِ
المقدس الذي لا يُسأل: السلطان، فهو ليس موضع مساءلة. التسويد لعمران الفيني

إِنَّ الْحُكُومَةَ، وَهِيَ جُمْهُورِيَّةٌ كَشَفَتْ عَمَايَةَ قَلْبٍ كُلِّ مُضَلَّلِ
الحكومة، إذ تكون جمهورية، تكشف العماية، السحابة، التي تغطي قلب المضللين المغرر بهم

٦٦ الأمير المأمور

قالها عند قدوم فيصل إلى بغداد (١٩٢١):

خَرَجَ النَّاسُ يُهْرَعُونَ احْتِفَاءً بِقُدُومِ الْأَمِيرِ غَيْرِ الْأَمِيرِ
مَلَأُوا الشَّارِعَ الْكَبِيرَ لِأَمِيرٍ فِي كَبِيرِ الْعُقُولِ غَيْرِ كَبِيرِ
كَيْفَ جَاءَ الْأَمِيرُ قَبْلَ اتِّمَارِ الْ قَوْمِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِالتَّأْمِيرِ
اتِّمَار: تشاور

ثُمَّ سَمَّوْهُ بِالْأَمِيرِ، وَهَذَا مِنْ ضُرُوبِ الْخِدَاعِ فِي التَّعْبِيرِ
أَمِيرًا وَالْأَمْرُونَ سِوَاهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ سِوَى مَأْمُورِ
الأمرون هم الإنجليز الذين عينوا فيصلاً ملكاً على العراق

٦٧ العهد قيوداً

لَنَا مَلِكٌ وَلَيْسَ لَهُ رَعَايَا وَأَوْطَانٌ وَلَيْسَ لَهَا حُدُودٌ
وَأَجْنَادٌ وَلَيْسَ لَهُمْ سِلَاحٌ وَمَمْلَكَةٌ وَلَيْسَ بِهَا نَقُودٌ
وَكَمْ عِنْدَ الْحُكُومَةِ مِنْ رِجَالٍ تَرَاهُمْ سَادَةً وَهُمْ الْعَبِيدُ
كَلَابٌ لِلْأَجَانِبِ هُمْ، وَلَكِنْ عَلَى أَبْنَاءِ جِلْدَتِهِمْ أَسْوَدٌ
وَلَيْسَ الْإِنْجِلِيزُ بِمُنْقِذِينَا وَإِنْ كُتِبَتْ لَنَا مِنْهُمْ عُهْدٌ
مَتَى شَفِقَ الْقَوِيُّ عَلَى ضَعِيفٍ وَكَيْفَ يُعَاهِدُ الْخِرْفَانُ سَيِّدُ

شفق: أشفق، سيد: ذئب

وَلَكِنْ نَحْنُ فِي يَدِهِمْ أَسَارَى وَمَا كَتَبُوهُ مِنْ عَهْدٍ قِيُودٌ

٦٨ الوعد الكاذب

فَعَلَ الْإِنْجِلِيزُ فَيْكُمُ فِعَالاً قَدْ رَضُوهَا لَكُمُ وَلَمْ تَرْضُوهَا
تَتَشَكَّوْنَ فِي السِّيَاسَةِ مِنْهَا ثُمَّ أَنْتُمْ تَأْبُؤْنَ أَنْ تَرْضُوهَا
وَعَدُوكُمْ مِنْ قَبْلُ مَمْلَكَةَ الْعُرُ بٍ اجْتَلَوْهَا بِالْمَيْنِ وَافْتَرَضُوهَا
اجتلوها: رأوها، بالمين: بالكذب. وكان الإنجليز وعدوا الشريف حسين في سنوات الحرب
العالمية الأولى مملكة للعرب يكون على رأسها، ونكثوا

قُبَّةٌ زُخْرِقَتْ لَكُمُ بِالْأَمَانِيِّ هُمْ بَنَوْهَا لَكُمُ وَهُمْ قَوَّضُوهَا

٦٩ المخارة

قَالَهَا فِي وَاقِعَةٍ (تسوشيما) الْبَحْرِيَّةِ بَيْنَ الرُّوسِ وَالْيَابَانِ (١٩٠٤):

سَعَرُوهَا فِي الْبَحْرِ حَرْباً ضَرُوساً تَأْكُلُ الْمَالَ نَارُهَا وَالنَّفُوسَا
قُرْبُ ثُوشِيمٍ قَدْ تَصَادَمَ أُسْطُو لِأَنَّ أَرْدَى الْيَابَانَ فِيهِ الرُّوسَا
أردى: أَمَات

كُلُّ مَخَّارَةٍ إِذَا حَرَكْتَ دُفَّ بَاعَهَا خَضَخَضَتْ بِهِ الْقَامُوسَا
مخارة: سفينة تتمرعر عباب الماء، الدُّفَّاع: السيل العظيم، القاموس: البحر... المعنى الملموح أن
السفينة عندما تتحرك بمن عليها من الجند تضعض سطح البحر

أَلْبَسُوهَا مِنَ الْحَدِيدِ وَشَاحاً فَتَهَادَتْ عَلَى الْعُبَابِ عَرُوسَا

٧٠ لو أن سيفي في يدي

تعرضت برقة (في ليبيا اليوم) لغزو الإيطاليين عام (١٩١١)، وتصدى لها جنود الدولة العثمانية التي كانت تحكم بلاد العرب آنذاك، وكان مصطفى كمال أتاتورك على رأس القوة العثمانية التي أبلت بلاء حسناً، ولكن إيطاليا بمئة وخمسين ألف جندي مقابل عشرة آلاف سيطرت على كل ليبيا في خريف (١٩١٢):

يَعِزُّ عَلَيْنَا أَهْلَ بُرْقَةٍ أَنْكُمْ تَدُورُ عَلَيْكُمْ بِالْدمارِ رَحَى الحربِ
وَأَنَا إِذَا مَا تَسْتَغِيثُونَ لَمْ نَجِدْ إِلَيْكُمْ عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ مِنْ دَرْبِ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَعْدَاءُ أَنَّ سَيُوفَنَا تَمَلَّمُ فِي الْأَعْمَادِ شَوْقاً إِلَى الضَّرْبِ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا اللَّيْثُ شُدَّتْ قِيودُهُ وَأُلْقِيَ حَيًّا شِبْلُهُ فِي فَمِ الذَّنْبِ

٧١ عذر المدبرين

في الحرب العثمانية الإيطالية في ما سيعرف بـ «ليبيا» (١٩١١):

لَكُنْ أَدَبَرَ الطُّلُبَانُ عِنْدَ كِفَاحِنَا فَإِنَّ لَهُمْ فِي بَطْشِ شَجَعَانِنَا عَذْرَا
أدبر: فر، لشدة بطش جنودنا فالإيطاليون معذورون أنهم فروا من القتال

فإِنَّا لَقَوْمٌ إِنْ نَهَضْنَا لِحَادِثٍ مِنَ الدَّهْرِ أَفْزَعَنَا بِنَهَضَتِنَا الدَّهْرَا
وَنَأْكُلُ مَرَّ الْمَوْتِ حَتَّى كَأَنَّا نَلُوكُ بِهِ مَا بَيْنَ أَضْرَاسِنَا تَمْرَا
وَكَمْ قَدْ نَثَرْنَا بِالسَّيُوفِ جَمَاجِمَا نَظَّمْنَا بِهَا فَوْقَ الثَّرَى لِلْعِدَى شِعْرَا
وَهَلْ حَسِبُوا قَتَلَ النِّسَاءِ شِجَاعَةً وَقَدْ تَرَكُوا عِنْدَ الرِّجَالِ لَهُمْ ثَارَا
يَعِزُّ عَلَى أَسْيَافِنَا الْيَوْمَ أَنَّهَا تُقَارِعُ قَوْمًا قَرَعَهُمْ بِالْعَصَا أُخْرَى

الواقع أن الدولة العثمانية سلمت ليبيا بعد كفاح طويل للمملكة الإيطالية في معاهدة لوزان الأولى في أكتوبر/تشرين الأول ١٩١٢

وَمِنْ مُبَكِّياتِ الدَّهْرِ أَوْ مُضْجِكَاتِهِ لَدَى النَّاسِ: حُرٌّ لَمْ يَكُنْ خَصْمُهُ حُرًّا
سَنَشَارُ حَتَّى تَسَامَ الْحَرْبُ ثَارَنَا وَنَقْتُلُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ أَنْفُسًا عَشْرَا

وعلى ذكر العشرة فإن المحتلين الإيطاليين طبقوا في ليبيا أثناء ثورات الشعب عليهم ممارسة رومانية قديمة - حسب التافهون أنهم حقاً ورثة الإمبراطورية الرومانية - هي التعشير البشري، فكانوا يصفون رجال المقاومة صفوفاً ويعدونهم واحداً واحداً ويقتلون كل عاشر تاديباً

٧٢ الشعر الواضح

ألا لا اهْتَدَتْ لِلشَّعْرِ يوماً هَواجِسِي إِذَا هِيَ لَمْ تَنْزِعْ إِلَى مُسْتَبِينِهِ
ليجعل الله هواجسي، وأفكاري، لا تهتدي إلى الشعر إن هي لم تنزع، وتيل، نحو الشعر الواضح
المستبين

وَلَا غُضُّتْ فِي بَحْرِ الْقَرِيضِ مَخَاطِرًا إِذَا لَمْ أَقْزُ مِنْ دُرِّهِ بِشَمِينِهِ
إِذَا انْتَظَمَتْ أُبْيَاثُهُ فِي قِصَائِدِي تَرَى كُلَّ بَيْتٍ مُمَسِكَاً بِقَرِينِهِ
وَمَا كَانَ دَوْحُ الشَّعْرِ يَوْمًا لِتُجْتَنِّي بِغَيْرِ الْيَدِ الطُّوَلَى ثِمَارُ غُصُونِهِ
دوح الشعر، شجرته، لا تقطف ثماره إلا بيد طويلة. . أي من جانب شاعر قدير

وَلِلشَّعْرِ عَيْنٌ لَوْ نَظَرْتَ بِنُورِهَا إِلَى الْقَيْبِ لاسْتَشْفَقَتْ مَا فِي بُطُونِهِ
فَكَمْ بَتْ فِي نَهْرِ الْمَجْرَةِ فِي الدُّجَى مِنْ الشَّعْرِ أُجْرِي مُنْشَاتِ سَفِينِهِ
كنت أبات ليلاً في نهر المجرة، محلقاً بخيالي بين النجوم، وأنا أسير في هذا النهر منشآت سفن
الشعر، أي سفنه العالية الأشعة

هُوَ الشَّعْرُ لَا أَعْتَاضُ عَنْهُ بِغَيْرِهِ وَلَا عَنْ قَوَافِيهِ وَلَا عَنْ فُنُونِهِ

٧٣ الأرملة المرضعة

لَقِيْتُهَا لِبِتْنِي مَا كُنْتُ أَلْقَاهَا تَمْشِي وَقَدْ أَنْقَلَ الْإِمْلَاقُ مَمْشَاهَا
الإملاق: الفقر

أَثْوَابُهَا رَنَّةٌ وَالرَّجُلُ حَافِيَةٌ وَالدمْعُ نَذْرُهُ فِي الْخَدِّ عَيْنَاهَا
رغم تسويدي لهذا البيت الرقيق، فعمران القفني يقول: (شكراً على هذه المعلومة، أول مرة نعرف
أن الدمع يذرف، لا بل من العينين، وفوق ذلك يسيل على الخد. . ما شاء الله)

بَكَتْ مِنَ الْفَقْرِ فَاحْمَرَّتْ مَدَامِعُهَا وَاصْفَرَّ كَالْوَرْسِ مِنْ جَوْعٍ مُحَيَّاهَا
الورس: الكرم، نبات أصفر يصبغون به الطعام. وفيه بعض مرارة. وصبغوا الأرز بالصُفْرُ،
وبالزعفران

مَاتَ الَّذِي كَانَ يَحْمِيهَا وَيُسَعِّدُهَا فَالدهْرُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْفَقْرِ أَشْقَاهَا
الْمَوْتُ أَفْجَعُهَا، وَالْفَقْرُ أَوْجَعُهَا، وَالْهَمُّ أَنْحَلَهَا، وَالنَّعْمُ أَضْنَاهَا
أنحلها: جعلها نحيلة

تَمْشِي بِأَطْمَارِهَا وَالْبَرْدُ يَلْسَعُهَا كَأَنَّهُ عَقَرَبٌ شَالَتْ زُبَانَهَا
الاطمار: الأسماك.. الملابس المهترئة، شالت: رفعت، زباناها: الزباني أداة اللسع في ذيل
العقرب

حَتَّى غَدَا جَسْمُهَا بِالْبَرْدِ مُرْتَجِفًا كَالْقُصْنِ فِي الرِّيحِ، وَاصْطَكَّتْ ثَنَائِيهَا
ثنائها: أسنانها

تَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَشْرُكْ بِلَا لَبِّنِ هَذِي الرُّضِيعَةُ وَارْحَمْنِي وَإِيَّاهَا
يَا رَبِّ مَا حِيلَتْنِي فِيهَا وَقَدْ ذَبَلْتُ كَزَهْرَةِ الرُّوْضِ فَقَدْ الْعَيْثُ أَظْمَاهَا
مَا بِأَلْهَاهَا وَهِيَ طَوَّلَ اللَّيْلِ بَاكِئَةً وَالْأُمُّ سَاهِرَةٌ تَبْكِي لِمَبْنِكَاهَا
يَكَادُ يَنْقُذُ قَلْبِي حِينَ أَنْظَرُهَا تَبْكِي وَتَفْتَحُ لِي مِنْ جُوعِهَا فَاهَا
ينقذ: يتقطع

كَانَتْ مُصِيبَتُهَا بِالْفَقْرِ وَاحِدَةً وَمَوْتُهَا بِالدِّهَانِ بِالْيُسْرِ ثَنَاءَهَا
هَذِي حِكَايَةُ حَالِ جِئْتُ أَذْكُرُهَا وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى الْأَحْرَارِ مَغْزَاهَا
أَوْلَى الْأَنَامِ بِعَظْفِ النَّاسِ أَرْمَلَةً وَأَشْرَفُ النَّاسِ مَنْ فِي الْمَالِ وَاسَاهَا

٧٤ أرذل العمر

وَاهَا عَلَى شَرِّخِ الشَّبَابِ الْمُشْتَهَى خَلَّفَ ذِكْرَاهُ بِقَلْبِي وَمَضَى
أَطْيَبُ عَيْشِ الْمَرْءِ فِي شَبَابِهِ، فَإِنْ تَوَلَّى فَهُوَ عَيْشٌ مُزْدَرَى
وَهَلْ يَطِيبُ الْعَيْشُ لِلْهَمِّ الَّذِي إِنَّ هَمَّ بِالنَّهْضَةِ خَانَتْهُ الْقَوَى
الهم: الشيخ، المسن

وَلِإِنَّ ظَهَرَ الْأَرْضِ يَسْتَنْقِلُ مَنْ قَامَ يَدِبُّ فَوْقَهَا عَلَى الْعَصَا

٧٥ يقيني يقيني

أَيَا بَغْدَادَ لَا جَارَ لَكَ سُحْبٌ وَلَا حَلَّتْ بِسَاحَتِكَ الْجُدُوبُ
يدعو الله ألا تتجاوز الغيوم بغداد بل تجودها بالمطر، وألا يحل بها الجذب، القحط
تَطَاوَلَ سَاكِنُوكَ عَلَيَّ ظُلْمًا فَضَاقَ عَلَيَّ مَغْنَاكَ الرَّحِيبُ
مغناك: ريبك، والمغاني هي الربوع

رَمَانِي الْقَوْمُ بِالْإِلْحَادِ جَهْلًا وَقَالُوا عِنْدَهُ شَكٌّ مُرِيبٌ

فَمَنْ ذَا مِنْكُمْ قَدْ شَقَّ قَلْبِي وهل كُشِفَتْ لَكُمْ فِي الْغُيُوبِ
فَعِنْدَ اللَّهِ لِي مَعَكُمْ وَقُوفٌ إذا بَلَغْتَ حَنَاجِرَهَا الْقُلُوبِ
تبلغ القلوب الحناجر في يوم القيامة

يَقِينِي شَرٌّ فِرْيَتِكُمْ يَقِينِي بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ رَقِيبٌ
يحفظني من شر افتراءكم عليّ يقيني، إيماني، بأن الله يعلم كل شيء

٧٦ ذكرى المتنبي

ألقاها في الجامعة الأميركية ببيروت (١٩٣٥):

لو حَارَ مُوسَى مَضَاءَ عَزَمَتِهِ ما تَأَه في التَّيِّهِ عندما دَخَلَهُ
لو امتلك موسى عزيمة المتنبي لما تاه في التيه، أي صحراء سيناء. وكان المتنبي قطع هذه
الصحراء فاراً من كافور، وافتخر بذلك

كَمْ شَاعِرٍ قَدْ قَفَا لَهُ أَثَرٌ وناقِدٍ رَاحَ يَبْتَغِي زَلَّةَ
اقضى الشعراء أثر المتنبي وقلدوه، وانتقده المتقدون طالين له زلاً، غلطاً

فَأَخْفَقُوا عَاجِزِينَ عَنْ دَرْكِ لِبَعْضٍ مَا كُتِلَ تَيْسَرُ لَهُ
عجزوا عن إدراك بعض المجد الذي حازه كله المتنبي

٧٧ أنشودة للمعري

في ذكرى أبي العلاء المعري (١٩٣٨):

حَيَّهْلُ يَا أَخَا مُضَرٍّ نَذَكِرُ خَيْرَ مُدَّكَرٍ
يا أخا مضر، أيها العربي، هيا نذكر خير من هو جدير بالذكر

نَذَكِرُ شَاعِرَ الْبَشَرِ خَيْرَ مَنْ قَالَ وَافْتَكَّرَ

* * *

نَفْسُهُ وَهِيَ ثَائِرَةٌ تَرَكَّتْ غَيْرَ خَاسِرَةٍ
كل دنيا وأخرة

نفس أبي العلاء تركت الدنيا والآخرة، ونفى عقله كل المعتقدات التي استقر عليها
الناس، (فأبو العلاء، وارجع إلى شرحنا لحياته ولشعره في كتابنا «تألق الشعر» ترك
الدنيا لأهلها، ولم يعلق كبير أمل على الآخرة. ولم نقل في مقدمتنا لشعر الرصافي قبل
صفيحات إنه كان كذلك، فهي نحن نقول: كان كذلك في عدم تعليقه أملاً على الآخرة،

فأما عن ملذات الدنيا فصاحبنا نهل وعلَّ منها). استقرَّ: هي استقرَّ بتشديد الراء، وفي موضع كهذا، عند القافية، كان أبو العلاء يكره وضع الشدة، ونحن في العادة نضعها كي يدرك القارئ الكلمة بالنظر سريعاً، ولكننا هنا - إكراماً لأبي العلاء - رفعناها

* * *

جَعَلَ الْحَقَّ دَوْقَهُ بَاذِلًا فِيهِ طَوْقَهُ

طوقه: طاقته

شَاعِرٌ لَيْسَ فَوْقَهُ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ

* * *

لَيْسَ لِلْمَوْتِ عِنْدَهُ مِنْ تَقَارِيَعٍ بَعْدَهُ

تقاريع: عقاب وتأنيب

إِنْ عَرَا السَّحْيَ رَدَّهُ فَاقْدَ الْحَسَّ كَالْحَجَرِ

إن عرا الموت الحي، أي جاء الموت للإنسان، رده، أي جعله، فاقد الحس فكانه حجر

* * *

نَحْنُ أَسْرَى ذَوَاتِنَا خَشْيَةً مِنْ مَمَاتِنَا

نحن أسرى لذواتنا التي تعلق آمالاً على الخلود وذلك لشدة خشيتنا من الموت

كَمْ وَكَمْ فِي حَيَاتِنَا مُبْتَدَأَ مَا لَهُ خَبَرٌ

فنحن نقول كل شيء له أول وله آخر، لذا لا بد من وجود حياة أخرى، ولكن، يقول الرصافي، كثيرة هي الأمور التي لها أول وليس لها آخر

٧٨ الأرض مسجدنا

الْأَرْضُ مَسْجِدُنَا فَفِيهِ مَسَاجِدُ أَمْسَتْ تُعَدُّ الْيَوْمَ بِالْآلَافِ؟

كَانَ الصَّلَاةُ بِمَسْجِدٍ وَبِغَيْرِهِ فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَدَى الْأَسْلَافِ

هَلَّا جُعِلْنَ مَدَارِسًا فَيَاضَةً مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِالزُّلَالِ الصَّافِي

هلا بنيت المدارس بدل المساجد

يَنْتَابُهَا أَبْنَاؤُكُمْ كَيْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ فَنٍّ بِالنَّصِيبِ الْوَافِي

٧٩ أمة وحدها

أُمَّ كُلُّشُومَ فِي فَنُونِ الْأَغَانِي أُمَّةٌ وَحَدَهَا بِهِذَا الزَّمَانِ
هِيَ فِي الشَّرْقِ وَحَدَهَا رَبَّةُ الْفَنِّ - فَمَا إِنَّ لِّلْفَنِّ رَبَّ ثَانٍ

٨٠ الاحتشام العاري

زَهْرَةٌ قَدْ بَدَتْ مِنَ الْأَكْمَامِ فَتَجَلَّى مِنْهَا الْجَمَالُ السَّامِي
هذه الفتاة كزهرة بدت بين أكمامها، بتلاتها، فتجلى جمالها

إِنَّ تَجْرِيدَهَا مِنَ الثَّوبِ يَحْكِي أَنْفُساً جُرِّدَتْ مِنَ الْآثَامِ
إِنَّ قُدْسَ الْأَقْدَاسِ يَغْضَبُ مِنْ أَنْ تَنْوَارِي وَسَامَةَ الْأَجْسَامِ
خَلَعَتْ ثَوْبَهَا وَأَغْضَتْ حَيَاءَ فَأَزْنَا خِلَاعَةً فِي احْتِشَامِ
لِسُقُوطِ الرَّدَاءِ عَنْ مَنْكِبَيْهَا نَهَضَ الْفَنُّ قَائِماً بِاحْتِرَامِ
يبدو أنه يصف لوحة لعارية

٨١ المتربص

وَمَا عَرَّنِي ذُو ظَاهِرٍ مُتَوَدِّدٍ إِذَا كَانَ فِيهِ بَاطِنٌ مُتَلَصِّصٌ
وَيَا رَبُّ وَجْهِ لَمْ يَرْقُنِي بَيَاضُهُ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ أَبْرَصٌ
رب وجه أراه من بعيد أبيض ولكنني لفراسني أحس أنه لا يعجيني فلما دنا مني إذا الشخص
أبرص، فيياضه بياض علة لا بياض جمال

دَعُوا كَشَفَ مَكْنُونِ الصُّدُورِ لِفُطْطَنِي فَلِإِنِّي بِذَا مِنْ دُونِكُمْ مَتَخَصِّصٌ
ذِكَاؤُ لَوْ اجْتَزَتْ الْجِدَارُ بِسُورِهِ لَشَفَّ لِعَيْنِي الْجِدَارُ الْمُجْصَّصُ
المجصص: المطلي بالجصين

عَلَى أَنْ لِي فِي مَعْرِضِ الشُّكِّ رِبْصَةٌ وَرُبَّ يَقِيمِنٍ نَالَهُ الْمُتَرَبِّصُ
إذا شككت في أمر فإن لي ربصة، وقفة للتروي، والمتروي يحصل على اليقين

٨٢ تعصب في مصر

مِنْ جَوْرِ مِصْرَ عَلَى الْعُرُوبَةِ أَنَّهَا تَتَعَمَّدُ التَّمْصِيرَ فِي آدَابِهَا
فَتَرَى بِمِصْرَ تَعْصَباً لِأَدِيبِهَا مَتَحَكِّمَ النَّزَعَاتِ فِي أَعْصَابِهَا
النزعات: الوساس

فَاذْكُرْ أُولِي الْأَدَابِ مِنْ غَيْرِ الْأُلَى فِي مَصْرَ يَغْضَبُ مِنْكَ أَهْلُ جَنَابِهَا
جَنَابِهَا : منطقتها

فَالشَّاعِرُ الْمَصْرِيُّ فِيهَا فَاضِلٌ وَسِوَاهُ مَفْضُولٌ وَإِنْ يَكُ نَابِهَا

٨٣ المختصر

لِسَانُكَ يَسْحَرُ فِي ظَرْفِهِ وَجَفْنُكَ يَفْتِنُ فِي ضَعْفِهِ
وَقَدْ كُذِّبَ بِخَطَرُ فِي لُظْفِهِ فَيُطْنَبُ رِدْفُكَ فِي وَضْفِهِ
وَيُوجِزُهُ خَضْرُكَ الْمُخْتَصَرُ

يطنب: يكثر القول

٨٤ النجوم الهاربة

وَاللَّيْلُ قَدْ طَالَ عَلَى مَنْ شَتَا وَصَارَ لَيْلًا بَارِدًا مُظْلَمًا
لَعَلَّ هَذَا الرِّعْدَ مُذْ صَوْتَا هَرَبَ مِنْهُ تِلْكَ الْأَنْجُمَا

٨٥ أموت غراماً

إِسْمَعِي لِي قَبْلَ الرَّحِيلِ كَلَامَا وَدَعِينِي أَمُوتُ فِيكَ غَرَامَا
كَلَّمَا زَادَ عَاذِلِي فِيكَ عَذْلًا زِدْتُ فِي حُسْنِكَ الْبَدِيعِ هِيَامَا

٨٦ العصية على القياس

وَصَاحَ وَجَّهَ التُّدْمَاءُ كَأْسًا إِلَيْهِ فَقَالَ لَسْتُ لَهَا بِحَاسٍ
رَبُّ رَجُلٍ صَاحٍ غَيْرِ سَكَرَانَ، أَعْطَاهُ التُّدْمَاءُ كَأْسًا فَقَالَ لَسْتُ حَاسِيًا، شَارِبًا

وَعَالَى فِي الْإِبَاءِ فَمَارَسُوهُ فَلَانَ أَبْيُّهُ بَعْدَ الْمِرَاسِ
بَالِغٍ فِي الرِّفْضِ لَكُنْهُمْ مَارَسُوهُ، أَلْحَا عَلَيْهِ، فَلَانَ أَبْيُّهُ، مَا كَانَ رَافِضًا الْكَأْسَ فِي نَفْسِهِ

فَقَالَ، وَقَدْ مَشَتْ فِيهِ وَدَبَّتْ دَبِيبَ الْمَاءِ فِي وَرَقِ الْغِرَاسِ
مَشَتْ الْخَمْرُ فِي جِسْمِهِ كَمَا يَمْشِي الْمَاءُ فِي وَرَقِ الشَّجَرِ

لَعَمْرُكَ إِنَّ فِي الصَّهْبَاءِ مَعْنَى دَقِيقًا لَيْسَ يُعْرَفُ بِالْقِيَاسِ
فِي الْخَمْرِ شَيْءٌ لَا يَدْرِكُهُ الْمَرءُ بِأَنْ يَقَارَنَهُ بِمَفْعُولِ شَيْءٍ آخَرَ. . . فِيهَا شَيْءٌ فَرِيدٌ

٨٧ المتكهرب

قامت تَمِيسُ بِأعطافٍ وأوراكِ رَقصاً على نغماتِ المِقْوَلِ الحاكي
أعطاف: خصور، المقول: اللسان في الأصل، وكل ما يصدر كلاماً، الحاكي: اليك أب،
الفونوغراف

قالت وقد شاهدتُ وَجدي المُبْرَحَ ما أغراك؟ قلتُ لها: عيناكِ عيناكِ
فاستضحكتُ وَهِيَ تَجْنِي الوردَ قائلَةً ما أحسنَ الوردَ! قلتُ: الوردُ حَدَاكِ؟
وقلتُ: أهوى، فقالتُ بالدلالِ: وَمَنْ تهوى؟ فقلتُ لها: إِيَّاكِ إِيَّاكِ
الحسنُ يَفْتِنُ والألحاطُ فاتِكَةٌ وأحيرتني بينَ فَنَانٍ وفَنَّاكِ
أمسى غرامُكِ يَجري في عُرُوقِ دَمِي كالكَهْرَباءِ التي تَجري بِأسلاكِ
تعلق عمران القفيني: (هذا ملطوش من البارودي لطشاً ذريعاً: وسرت بجسمي كهرباءة حسنة/ فمن
العروق بها سلوكك تخبر)

٨٨ تحية الوفد المصري

رجالَ النيلِ حُبِيئُكُمْ رِجالاً بِما لِلْعُرْبِ فيكُمْ مِنْ سِماتِ
بِكُمْ طَرِبَ الفراتُ وقالَ جَهْرًا لِوادي النيلِ إِنَّكَ مِنْ لِداتِي
لداتي: رفاقي المولدون في زمن معي، أترابي

كِلانا جَارِيانِ على سُهولِ بِأبناءِ العُرُوبَةِ أهْلانِ
وَتَجَمَّعُنا جوامِعُ كُبرياتِ وَأَكْبَرُهُنَّ سَيِّدَةُ اللُّغاتِ

٨٩ بمتهى الدقة

مَثَلْتُ في دَلالِها عُرِيانَةً فَأَرْتُنِي محاسناً فَتَّانَةً
حيثُ طارَحْتُها الفِرامَ بِبيتِ بِالمرابا قد زَوَّقُوا جُذْرانَهُ
ما أرى البيت إلا حجرة في مبقى. وقال الزيات إن الرصافي كان يسكن في بغداد في حي البغايا
هِيَ عَمَّارَةُ اللَّحَاظِ لَعوبٌ ذاتُ دَلٍّ ظَريفَةٍ لَحَّانَةٌ
لحانة: تتكلم بدلال وتلوي الكلمات لئلا. لو كنت أشرح هذا لشخص سويدي لاضطرت لكثير من
الكلام، ولكنك فاهم ما أعني!

بِضَّةٌ، فَعَمَةٌ، لَمِيسٌ، رَدَاحٌ عَادَةٌ، أَخَوْرِيَّةٌ، بَهْنَانَةٌ
 بضه: طرية، فعمه: ممثلة، لميس: لينة، رداح: سمينة الأرداف، عادة: ناعمة، أخورية: بيضاء،
 بهنانة: مرحة

نَاهِدُ النُّوْذَلَيْنِ مَحْطُوطَةٌ الْمَتِّ نَيْنٌ، خَوْذٌ، رَجْرَاجَةٌ، وَرْكَانَةٌ
 النودلان: الثديان، محطوطة المتين: مصقولة الظهر على جانبي العمود الفقري، خوذ: ناعمة،
 رجراجة: تمشي وتهزّ، وركانة: ممثلة الوركين

خَذْلَةٌ سَافُهَا، مُهْفَهْفَةُ الْحَصْرِ رِ، كَعَابٌ، بَرَّاقَةٌ، سَيْفَانَةٌ
 خذلة ساقها: ساقها ممثلة، مهفهفه الصدر: ضامرة البطن، كعاب: بارزة الصدر، براقه: ذات
 دلال تشير للرجال، سيفانة: طويلة

ذَاكَ وَجْهِ كَأَنَّهُ بَدْرٌ يَمُّ وَقَوَامٌ كَأَنَّهُ خَوْطٌ بَانَةٌ
 خوط بانه: غصن شجرة البان

لَوْ رَأَاهَا كِسْرَى الْمَلُوكِ لَخَلَّى مُلْكُهُ تَارَكَالَهَا إِيَوَانَهُ
 وتدلّى قُرْطٌ بِسَالِفَتَيْهَا رُضِعَتْ فِيهِ مَاسَةٌ بِجَمَانَةٍ
 الجمان: شذرات فضة على شكل اللؤلؤ

وَقَفْتُ لِي عُرْيَانَةً فَتَقَدَّمْتُ ثُ إِلَيْهَا بِذِلَّةٍ وَاسْتِكَانَةٍ
 فَتَمَشَّتْ تَحْلُعًا، وَتَنَنَّتْ، وَتَلَوْتُ كَأَنَّهَُا خَيْرُ رَأَانَةٍ
 ثُمَّ صَدَّتْ فَأَدْبَرَتْ عَنْ دَلَالٍ ثُمَّ عَادَتْ فَأَقْبَلَتْ عَنْ مَجَانَةٍ
 المجانة: الفحش وترك الحياء

وَلَقَدْ رَاعَنِي، وَزَادَ فَوَادِي وَلَهَا مَا رَأَيْتُ تَحْتَ الْمَشَانَةِ
 رَكْبًا، كَغُغْبَاءٍ، عَضُوضًا، مَضُوضًا، نَاشِزًا، ذَا بَضَاضَةٍ وَرَزَانَةٍ
 يصف ما لا يصفه المتحرج من المرأة، وكل تلك أسماء لذلك العضو

مُشْرِفَ السَّطْحِ، رَابِئًا، ذَا انْتِصَابٍ، حَامِي الْجَوْفِ، ضَنْكُهُ، رِيَانَةٌ
 رائبًا: بارزًا، ضنك: ضيق، ريان: ممتلئ

قَدْ حَكَى كَوْمَةً مِنَ اللُّؤْلُؤِ الرَّطِّ بِ وَإِنْ كَانَ فَائِقًا أَثْمَانَهُ
 حكى: أشبه

نِعْمَةُ الْعَيْشِ أَتَرَفَّتُهُ، وَأَخْلَتْ أَسْكِنِيهِ مِنَ الْأَذَى، وَعِجَانَةٌ
 الأسكتان: الشفران، خاليان من الأذى: أي من البرص، والعجان: ما بين السيلين

عِطْرُ الرِّيحِ، قَدْ تَشَمَّمْتُ مِنْهُ إِذْ تَشَمَّمْتُهُ شَذَا أَفْحَوَانَةٍ

الريح: الرائحة

وَشَرِبْتُ الرَّحِيقَ وَهُوَ تَجَاهِي جَائِمٌ فَاتَّخَذْتُهُ فِنَجَانَهُ
لَوْ رَأَى الْعَيْنُ يَوْماً لَأَمْسَى مُبْراً مِنْ رَحَاوَةٍ وَعَنَانَهُ
سَلِسْتُ فِي انْقِيَادِهَا بَعْدَ أَنْ قَدْ أَظْهَرْتُ لِي تَمْنَعاً وَحَصَانَهُ
فَدَعَيْتُنِي إِلَى الْكَفَاحِ بِغَمَزٍ كَرَّرْتُهُ مِنْ عَيْنِهَا الْوَسْنَانَهُ
فَتَعَرَّيْتُ مِثْلَهَا ثُمَّ أَشْرَعْتُ إِلَى الطَّغْنِ صَغْدَةً مُرَّانَهُ

الصعدة: الريح، المرانة: الريح

فَرَمْتُ كَفَّهَا عَلَى ذَلِكَ الدَّوِّ سَرٍ كَيْمَا تَشُوصُهُ بِالْبَنَانَةِ

الدوسر: المسمار، يشوص: يدلك، البنانة: الأصابع

وَعَدْتُ فِي تَجَضُّمٍ وَامْتِلَاجٍ بِشِفَاءٍ وَرَذِيَّةٍ، غَيْسَانَةٍ

التجضم: الأخذ بالقم، الامتلاج للصبي: مص ندي الأم

ثُمَّ أَضْجَعْتُهَا عَلَى الْأَرْضِ وَاعْرَوُ رَبْتُ مِنْهَا مَطِيَّةً خَيْفَانَةً

اعروى فرسه: ركبها بلا سرج، خيفانة: الفرس الخفيفة

فَتَبَطَّنْتُهَا وَقَدْ أَخَذَ الشَّاءُ قَوْلٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَحَلِّ مَكَانَهُ

الشافول: من اسم عضو الذكر

وَاضِعاً قَائِيً فَوْقَ فِيهَا وَكُلٌّ قَدْ أَمَصَّ الضَّجِيعَ مِنْهُ لِسَانَهُ

فَالْتَصَفْنَا صَدْرًا بِصَدْرٍ، وَبَطْنًا فَوْقَ بَطْنٍ، وَعَانَةً فَوْقَ عَانَةٍ

فَعَدْتُ فِي ارْتِهَازِهَا تَتَلَكَّا بِكَلَامٍ لَا تَسْتَتِمُّ بَيَانَهُ

دهز: هز

ثُمَّ قَالَتْ وَقَدْ ذَوْتُ مُقْلَتَاهَا وَشَكْتُ مِنْ فُؤَادِهَا خَفَقَانَهُ

أَطْعَنُ الطَّاعِنِينَ لِلضَّادِ مَنْ بِالضُّدِّ إِذْ قَدْ أَنْطَقَ الْإِلَهُ لِسَانَهُ

الضاد: عضو التأنث

٩٠ المهندس يتأمل

كُلُّ الْقُصُورِ عَبِيدٌ وَهُوَ سَيِّدُهَا إِذْ كَانَ أَكْرَمُهَا صُنْعاً وَبُنْيَاناً

هذا قصر شيراغان على البفور

يَمْشِي الْمَهْنَدُسُ فِيهِ وَهُوَ يَنْظُرُهُ مَشْيَ الْمُقْبِدِ يَسْتَقْصِيهِ إِمَاعَانَا

ومهندس القصر، الأرمني باليان، يمشي ببطء كأنه مقيد ويتأمل بديع ما صنعت يده

يَضُمُّ كَفِّهِ لِلْإِبْطَيْنِ مُنْبَهراً مُقْلَباً فِي الْأَعَالِي مِنْهُ أَجْفَانَا

لو كان عرشاً ليلقيس لَمَا خَضَعَتْ لِلْأَمْرِ حِينَ أَنَاهَا مِنْ سَلِيمَانَا

فلو رأيت وقد شَبَّ الحريقُ به وَالرَّيْحُ تَضْفِقُ لِلنَّيْرَانِ أَرْدَانَا

أردان: أكام، كأن الريح إذ تلعب بالنيران شخص يحرك أكامه الواسعة

رَأَيْتَ مُلْكاً كَبِيراً ثُمَّ مُحْتَرَقاً يُذِيبُ مِنْهُ لَهَيْبُ النَّارِ عَفْيَانَا

العقيان الذهب. وقد حدث الحريق بعيد الدستور وخلع السلطان عبد الحميد. وهذا القصر أصبح

اليوم فندقاً، وأجرة الليلة الواحدة للجناح السلطاني فيه ٣٥ ألف دولار (من ويكيديا. حتى لا

يحسب أحد أنني فعلتها)

٩١ الصادق الوحيد.. الخورنق

لَقَدْ خَامَرْتَنِي فِي الزَّمَانِ وَأَهْلِيهِ شَكُوكٌ عَلَيْهَا يُغْدَرُ الْمُتَزَنِّدُ

الشكوك التي خامرتني، انتابتي، في الزمن والناس كبيرة إلى درجة أن الزنديق بالمقارنة بها يصبح معذوراً، فشكوكه أقل من شكوكي

أَرَى الدَّهْرَ فِي أَمْرَيْنِ يَعْمَلُ دَائِباً صَنَاعَ الْيَدَيْنِ فِيهِمَا يَتَأَنَّقُ..

الزمن يعمل عملين وهو فيهما صناع اليدين، ماهر، ومتأنق..

يَجِدُّ لِلْمَوْتِ مَنَاقِبَ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِمْ، وَلِلْأَحْيَاءِ يُبْلِي وَيُخْلِقُ

مرور الزمن يكسب الموتى مناقب، محامد، لم تكن أصلاً موجودة فيهم، ويبلي ويخلق، يتلف، الأحياء لأنهم يكبرون ويمرضون

فَكَمْ مِنْ قُبُورٍ عَظَّمَ النَّاسُ أَهْلَهَا بِمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ النُّهَى يَنْحَقُّ

قبور كثيرة يبجل الناس أصحابها، ولكن لأمر غير حقيقة في النهى، العقول

وَرُبَّ امْرِئٍ قَدْ عَاشَ يَسْتَقْطِرُ الثَّنَا فَلَمَّا قَضَى سَالَ الثَّنَا يَتَدَفَّقُ

رب شخص عاش يستجلب الثناء من الناس قطرة بعد قطرة، فعندما مات تدفق عليه الثناء والمديح

سَقَى الدَّهْرُ لِلْأَمْوَاتِ عَرَسَ مَنَاقِبٍ بِمَيِّنٍ فَظُلَّ الْعَرَسُ يَنْمُو فَيَبْسُقُ

الزمن يسقي للأموات عرساً بمناقب، بكذب، وتظل هذه الأشجار تنمو وتبسق، تعلقو

إِذَا شَطَّ جَيْلٌ خَطَّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ أَكَاذِيبَ عَنْهُ بِالثَّنَاءِ تُزَوِّقُ

شط: يحد

فَمَا كُتِبَ التَّارِيخُ فِي كُلِّ مَا رَوَتْ لِقُرَائِهَا إِلَّا حَدِيثٌ مُنْلَقٌ
نَظَرْنَا لِأَمْرِ الْحَاضِرِينَ قَرَابَنَا فَكَيْفَ بِأَمْرِ الْغَابِرِينَ نُصَدِّقُ
نظرنا في سيرة الموجودين قرابنا ما رأينا، شككتنا فيه، فكيف سنصدق ما يروى عن الغابرين،
الذاهبين

وَهَلْ قَدْ خُصِمْنَا دُونَ مَنْ مَاتَ قَبْلَنَا بِحُبِّ السَّجَايَا؟ شَدْمًا نَتَحَقَّقُ!
فهل السجايا الخبيثة، الصفات السيئة، لنا نحن، ولم يكن للميتين مثلها؟ ما أشد حمقنا!
خَلِيلِي هَلْ مَنْ بِالرُّصَافَةِ عَالِمٌ بِأَنِّي إِلَى مَنْ بِالرُّصَافَةِ شَيْقُ
يا صاحبي هل يعلم أحد في الرصافة، الشاطئ الشرقي لدجلة في بغداد، أنني مشتاق إلى من
بالرصافة

إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الْعَجُوزَ بِكَيْثُهَا بِدَمْعٍ بِهِ الْأَهْدَابُ تَطْفُو وَتَغْرَقُ
أتذكر أُمِّي فأبكي بدموع تطفو فوقها أهداب، رموش، العين، ثم لكثرة الدموع تغرق هذه الأهداب
فيها

لَحَى اللَّهُ قَوْمًا لَا يَعِيشُ بِأَرْضِهِمْ سِوَى مَنْ يُدَاجِيهِمْ، وَمَنْ يَتَمَلَّقُ
لحى الله، لعن، قوماً لا يعيش بأرضهم مرتاحاً إلا من ينافقهم ويتملق لهم
وَلَمْ يَحْظَ إِلَّا اثْنَانِ مِنْهُمْ بِحُظْوَةٍ مِنَ الْمَالِ مُثَرٍّ، أَوْ مِنَ الْعَرَضِ مُمْلِقُ
الذي يحظى بالقبول عند الناس واحد من اثنين: ثري، أو فقير في العرض والشرف

قَتَلْتُ الْوَرَى خُبْرًا فَلَيْسَ بِخَادِعِي حَدِيثٌ مُطَرَّى أَوْ كَلَامٌ مُنَمَّقُ
هَذَاذِيكَ! لَا تَحْفَلْ مَقَالَ مُؤَرِّخٍ وَلَا يَسْتَفِزُّكَ الْكَلَامُ الْمُشَقَّقُ
هذاذيك: قف! قف! واسمعي، لا تحفل بكلام المؤرخين، ولا تشعر بحماسة واستفزاز من
الكلام المشقق: المنمق

كِذَابٌ عَلَى وَجْهِ الطُّرُوسِ مُسَطَّرُ يَغْصُ بِهِ الْعَقْلُ السَّلِيمُ وَيَشْرِقُ
هذا كله كذاب، كذب، مسطر على الطروس، الأوراق، ولا يقبله العقل السليم بل يخلص به
ويشرق، أي يلفظه ويرفضه

فَدَعْ عَنْكَ لَغْوَ النَّاطِقِينَ وَخُذْ بِمَا رَوَاهُ مِنَ الْأَثَارِ مَا لَيْسَ يَنْطِقُ
فَإِنْ ذَكَرُوا النُّعْمَانَ يَوْمًا فَلَا تَثِقُ بِأَكْثَرِ مِمَّا قَالَ عَنْهُ الْخَوَزَنْقُ
لا تصدق الروايات التي يوردونها عن الملك النعمان، إلا ما بقي من أثر ملموس من قصره
المعروف «الخوزنق»

فَأَصْدَقُ مِنْهُمْ فِي الْمَسَامِعِ لَهَجَةً ضَفَادِعُ فِي الْمُسْتَنْقَعَاتِ تُنْقِنِقُ
مَلَكَتُ مِنَ الدُّنْيَا حَقِيقَةً أَهْلِهَا وَإِنِّي عَلَى الدُّنْيَا بِهَا أَتَصَدَّقُ

٩٢ السكران بمجد زائل

أَلَا فَادْكُرُوا يَا قَوْمَ أَرْبُعَ مَجْدِكُمْ فَقَدْ دَرَسَتْ إِلَّا بَقِيَّةَ أَطْلَالِ
أربع: ربوع، درست: بليت

وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا كَسَكْرَانَ طَافِحٍ تَحَسَّى مِنَ الصُّهْبَاءِ عَشْرَةَ أَرْطَالِ
كانوا يقيسون الشراب بالرطل ولعله كأس كبيرة

مَشَى بِأَرْتَعَاشٍ فِي الطَّرِيقِ فَتَارَةً يَقُومُ، وَأُخْرَى يَنْهَوِي فَوْقَ أَوْحَالِ
يَمُدُّ إِلَى الْجُدْرَانِ كَفَّ اسْتِنَادِهِ فَتَقْذِفُهُ الْجُدْرَانُ قَذْفَةً إِذْلالِ
وَيَفْتَحُ لِلطَّرَاقِ مُقْلَةً حَانِئِي فَيُغْمِضُهَا خَزْيَانٌ عَنْ شَتْمِ عُذَالِ
هذا السكران يفتح عينه بحق و غضب للطراق، المشاة في الطريق، ثم يغمضها بخزي وذل إذ
يسمع شتم من يلومونه. القصيدة طويلة جداً ويروي فيها الرصافي سيرة الطبيب القديم أبي بكر
الرازي

٩٣ سقوط عبد الحميد

لَقَدْ جَمَعُوا الْجُمُوعَ فَمِنْ نَصَارَى وَمِنْ هُودٍ هُنَاكَ وَمُسْلِمِينَا
جمع قادة المعارضة في سلاطيك باليونان، وكانت تحت الحكم العثماني، جمع الجند لكي
يردعوا السلطان الذي تراجع عن الدستور

فَكَانُوا الْجَيْشَ أَلْفَ مِنْ جُنُودٍ مُجَنَّدَةً وَمِنْ مُتَطَوِّعِينَا
تَرَاهُمْ فِيهِ مُتَّحِدِينَ عَزْمًا وَمَا هُمْ فِيهِ مُتَّحِدِينَ دِينَا
وَلَمَّا جَدَّ جِدُّهُمْ اسْتَقَلُّوا عَلَى ظَهْرِ الْقَطَارِ مُسَافِرِينَا
فَلَمْ يَتَصَرَّمِ الْأُسْبُوعُ إِلَّا وَهُمْ بِرُبَا فُرُوقٍ مُخَيَّمُونَا
لم يمض أسبوع حتى نصبوا خيامهم في ربا فروق، من أسماء إستانبول

هَنَالِكَ قَمْتُ مُرْتَجِلًا إِلَيْهِمْ لِأُبْصِرَ مَا أَوْمَلُ أَنْ يَكُونَا
وَبَاخِرَةً عَلَتْ فِي الْبَحْرِ حَتَّى حَكَّتْ بِعُجَابِهِ الْحِصْنَ الْحَصِينَا
وفي الميناء رست باخرة ذات مداخن عالية كأنه الحصن المنيع في عباب البحر

يُؤَثِّرُ جَرُّهَا فِي الْبَحْرِ أَثَرًا تَكَادُ بِهِ تَظُنُّ الْمَاءَ طِينًا
ترك سير الباخرة أثراً في الماء يدوم بعض الوقت فكان الماء طين

رَكِبْتُ بِهَا عَلَى اسْمِ اللَّهِ بَحْرًا غَدَا بِسُكُونٍ لُجَّتِهِ رَهِينًا
أَتَيْنَا دَارَ قُسْطَنْطِينٍ صُبْحًا وَقَدْ فُتِحَتْ لَهُمْ فَتْحًا مُبِينًا
دار قسطنطين: القسطنطينية، إستانبول

وَزَلَّ الْجَيْشُ جَيْشُ اللَّهِ يَشْفِي بِحَدِّ سَيْوْفِهِ الدَّاءَ الدَّفِينَا
وَحَطُّوا قَصْرَ يِلْدَرٍ عَنْ سَمَاءٍ لَهُ فَاِنْحَطَّ أَسْفَلَ سَافِلِينَا
هوى عبد الحميد به هويًا إِلَى دَرَكِ الْمَلُوكِ الظَّالِمِينَا
أسقطوا السلطان عبد الحميد فهوى ليكون مع الظالمين

وَأُنْزِلَ عَنْ سَرِيرِ الْمُلِكِ خَلْعًا وَأُفْرِدَ لَا نَدِيمَ، وَلَا قَرِينَا
فَسِيقَ إِلَى سَلَانِيكَ احْتِبَاسًا لَهُ كَيْ يَسْتَرِيحَ بِهَا مَضُونَا
أخذته المعارضون من الجيش إلى سلانيك باليونان، وحبسوه في قصر هناك

وَمَوْتُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ مُقَامٍ لَهُ بَيْنَ الَّذِينَ سَقَوْهُ هُونَا
لَقَدْ نَقَضَ الْيَمِينَ وَخَانَ فِيهَا فَذَاقَ جِزَاءَ مَنْ نَقَضَ الْيَمِينَ
فَقَرَّتْ أَعْيُنُ الدُّسْتُورِ أَمْنًا وَشَاهَتْ أَوْجُهُ الْمُتَمَرِّدِينَ

٩٤ المقيدون بأوجالهم

لِمَنْ الْقَصْرُ لَا يُجِيبُ سْؤَالِي أَهْلَاتُ رِبْوَعِهِ أَمْ خَوَالِي؟
لمن هذا القصر؟ وما له لا يجيب سؤالي؟ هل ربوعه مسكونة أهلة أم خالية مهجورة؟

مَا تَدَاعَى مِنْكَ الْبِنَاءُ، وَلَكِنْ قَدْ تَدَاعَى بِنَاءُ تِلْكَ الْمَعَالِي
ما تداعى، تهدم، بناؤك، ولكن ذلك المجد قد انهدم

كُنْتُ مَأْوَى الْعُلَا مَثَارَ الدُّنَايَا مَهِيْطُ الْعِزِّ، مَصْدَرُ الْإِذْلَالِ
كان فيك العلا، المجد، وكنت مثار الدنيا، سبب الرذائل، وكنت مهبط، موضع، العز، ومصدر
الإذلال للناس.. كنت كل هذا يا قصر يلدز

أَيْنَ خَاقَانُكَ الَّذِي كَانَ يُدْعَى قَاسِمَ الرِّزْقِ، بَاعَثَ الْأَجَالَ
خاقان: أمير تركي.. وكان يقال عن عبد الحميد إنه يقسم الرزق للناس ويحدد آجالهم بقتلهم أو
العفو عنهم

وَعَزَاءٌ .. فَلَسْتُ أَوْلَ قَصْرِ نَكَّسَ الدَّهْرُ مِنْ ذُرَاهُ الْعَوَالِي
ذراه العوالي : قممه الشامخة

قَدْ تَدَاعَى مِنْ قَبْلُ إِيوَانُ كَسْرَى بَعْدَ أَنْ طَالَ شَاهِقَاتِ الْجِبَالِ
إِنَّمَا نَحْنُ أُمَّةٌ تَذُرُّ الصَّبِيَّ سَمَ وَتَأْبَى أَنْ تَسْتَكِينَ لِوَالِ
نحن، رعايا الدولة العثمانية، ندرأ الضيم، ندفع الظلم ولا نستكين لولاة الأمر

يَا مُلُوكَ الْأَنَامِ هَلَّا اعْتَبَرْتُمْ بِمُلُوكِ تَجُورُ فِي الْأَفْعَالِ !
لَيْسَ عَبْدُ الْحَمِيدِ فَرْدًا وَلَكِنْ كَمْ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ مِنْ أَمْثَالِ
فَاتَرَكُوا النَّاسَ مُطْلَقِينَ وَإِلَّا عِشْتُمْ مُوثَقِينَ بِالْأَوْجَالِ
أعطوا الناس حريتهم، وإلا فإنكم أنتم ستكونون مقيدين أيضاً لكن بالأوجال .. بمخاوفكم

٩٥ الخطيب الساكت

يَا سَاكِتًا وَهُوَ مَشْنُوقٌ عَلَى عَمَدٍ لَأَنْتَ أَبْلَغُ مَنْ نَادَى وَمَنْ خَطَبَا
رغم سكوتك فأنت خطيب بليغ أيها المشنوق على عمود خشبي

طَالِبَتِ بِالشَّرْعِ حَتَّى قَدْ قُتِلَتْ بِهِ كَذَاكَ مَنْ جَهَلَ الشَّيْءَ الَّذِي طَلَبَا
يَا ظَالِمَ الشَّعْبِ مَظْلُومًا بِفِعْلَيْتِهِ عَلَيْكَ أَمْ مِنْكَ يَبْكِي الشَّعْبُ مُتَجِدِّبَا
يَا مُفْسِدًا قَامَ تَحْتَ الدِّينِ مُسْتَتِرًا لِيَجْعَلَ الْأَمْرَ فِي الْبُلْدَانِ مُضْطَرِبَا
انْظُرْ إِلَى ذَلِكَ الْمَصْلُوبِ مُتَعَطِّيًا فَإِنَّمَا قَتَلَهُ فِي الشَّرْعِ قَدْ وَجَبَا
انظر أيها السامع إلى هذا المشنوق واتعظ به .. جعل المشنوق مصلوباً كي يأتي بشاهد قرآني في البيت التالي ..

وَأَيُّهُ اللَّهِ فِي التَّنْزِيلِ قَائِلَةٌ مَنْ كَانَ يُفْسِدُ فِي أَوْطَانِهِ ضَلَبَا
الآية : «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض»

٩٦ رجال الدين

لَا دَرَّ دَرُّ رِجَالِ الدِّينِ إِنَّهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا فِيهِ مِنْهُمْ غَيْرَ مَا كَتَمُوا
لا در درهم: عكس لله درهم

وَاسْتَعْمَلُوهُ كَمَا تَهْوَى مَارِبُهُمْ كَأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا آلَةٌ لَهُمْ

وإن تصادمت بالمعادت تنكرها فانت في زعيمهم بالدين تضطد
وإن أتيت ببرهان فاعجزهم لم يخلصوا الرد، بل من عجزهم شتموا
وإن تقل لهم قولاً لتقنعهم شدوا عليك وردوا قبلما فهموا
خلائق كظلام الليل من برها يقل بأمثال هذي تمسخ الأمم

٩٧ سأرحل عنهم

يخاطب الشاعر محمد مهدي الجواهري:

أقول لرب الشعر مهدي الجواهري إلى كم تناغي بالقوافي السواجر!
تناغي: تترنم

ركبت بحور الشعر قبلك خائضاً لعمرك منها كل طام وزاجر
وسيرت من غر القوافي بلجها قصائد سارت كالسفين المواخر
سيرت في لج بحور الشعر، في عمقا، قصائد كأنها السفن التي تمخر، تشق الماء

فلم ألف إلا منكبرين مكانتي يحيدون عني كالوحوش النوافر
فقابلتهم بالصّفح عنهم ترعاً وأعرضت عن شتم السفين المهاتر
أنا اليوم من هذي الحياة على شفاً أشارف منه مرقدي في المقابر
أنا على شفا، على طرف، الحياة أشرف على مرقدي الأخير

سأرحل عنهم عائداً من شروهم برّب كريم، قابل الثوب، غافر
عائد: ملتجئ

٩٨ وداع بمرارة شديدة

قال الرصافي في أواخر أيامه (١٩٤٣):

يا موطناً لست منه في موادعة عش بعد موتي عيش الوداع الهاني
يا وطني الذي لا موادة منه لي، لم يكن وديعاً معي، عش وادعاً هانئاً

فكل من فيك تعني سعادتهم وكل أبنائك الأعداء إخواني
أعدائي من أبناء الوطن هم في الواقع إخواني

إن سرّك الدهر يوماً سرّني، وإذا أذاك بالمزعجات الدهر آذاني

ما ضَرَّنِي أَنْ كُلَّ النَّاسِ تَحْقِرُنِي إِنْ كُنْتَ أَنْتَ جَلِيلَ الْقَدْرِ وَالشَّانِ
وليس يَنْفَعُنِي عِزٌّ وَلَا شَرَفٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ ذَا عِزٍّ وَسُلْطَانِ
يَا قَوْمُ إِنِّي مِنَ الدُّنْيَا ضَحِيَّتُكُمْ فَاقْرَبُوا مِنِّي حَيَاتِي كُلَّ قُرْبَانِ
أنا ضحية من ضحاياكم فلاكن قريانا تتالون به الرضا

لَا تَحْسَبُونِي مِنْكُمْ جَارِعاً ضَجِراً وَإِنْ يَكُنْ شَطْفِي فِي الْعَيْشِ أَضْوَائِي
أضواني: أنحلني وأهزلي

إِنِّي أَلْفْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مَحْمَصَتِي فَالْتُمِ الْبُؤْسُ عِنْدِي الْيَوْمَ سَيَّانِ
مخمصتي: جوعي

تَخْتَارُ نَفْسِي الطَّوَى بِالْعِزِّ قَانِعَةً وَتَتْرُكُ الْقَصْفَ فِي دُلِّ لِمِبْطَانِ
الطوى: الجوع، القصف: اللهو، المبطان: كبير البطن

يَا لَاهِجِينَ بِشْتَمِي فِي مَجَالِسِهِمْ نَامُوا عَلَى الْأَمْنِ فِي أَحْضَانِ غُفْرَانِي
جَادَلْتُمُونِي فَمَا أَحْسَنْتُمْ جَدَلِي حَتَّى بَدَيْتُمْ بِذَاءِ الْمَاجِنِ الْخَانِي
بديتم: قلت البذات، الخاني: المفحش

وَمِنْ عَنَاءِ اللَّبَالِي أَنْ يُجَادِلَنِي مَنْ لَيْسَ يَقْرَعُ بِالْبُرْهَانِ بُرْهَانِي
كَمْ تُظْهِرُونَ عِفَافاً فِي تَدْيِينِكُمْ وَتُضْمِرُونَ ضَمِيرَ الْفَاجِرِ الزَّانِي

٩٩ ليل متحجر

وَلَيْلٍ بِهِ قَدْ بَتُّ أَخْتَلِسُ الْكُرَى وَأَرْقُبُ فِيهِ النُّجْمَ أَنْ يَتَغَوَّرَا
يتغور: يغيب

تَمَطَّى عَلَى الْأَكَامِ مِنْهُ بِغَيْهَبٍ تَكَاثَفَتْ حَتَّى خِلْتُهُ قَدْ تَحَجَّرَا
تمطى الليل، تمدد، على الأكام، التلال، بغيب، بسواد، كان كثيفاً حتى خلت هذا السواد قد
تحجر

وَكَادَ دُجَاهُ يُمَكِّنُ الْكَفَّ لَمَسَهُ فَلَوْ سَارَ سَارٍ فِي دُجَاهِ تَعَثَّرَا
ولكن كثافة الظلمة كانت كأن بإمكان المرء لمسها بكفه، ولو سار فيها لتعثر بها.. أليست قد
تحجرت؟

١٠٠ استسلام الفصحى

الشعرُ ما قلت يا عبودُ فأنحُ به مدحُ الصناديدِ لا هَجَوُ الرُعاديـ
يخاطب الملا عبود الكرخي الشاعر الشعبي : انح بالشعر، توجه به، إلى مدح الصناديد،
الشجعان، لا هجاء الرُعاديـ، الجبناء

دَعْ هذه اللُّغَةَ الفُصْحى فنحن بها ظَلَنَّا نُخاطِبُ جيلًا غيرَ مَوْجودِ
فالناسُ غَيَّرَتِ الأيامُ لَهَجَتَهُمْ بِكُلِّ لحنٍ على الأفواهِ مَعْقُودِ
فانظِمْ لنا زَجَلًا في الشعرِ يفهمُه مَنْ في الرِّسَاتِيقِ مِنْ تلكَ العباديدِ
انظم زجلاً يفهمه أهل الرساتيق، القرى، من العباديد، جماعات الناس

١٠١ الالتفات

لَقِيْتُهَا في الطريقِ عابِرةً يَهْصِرُ مِنْ قَدْهَا تَبَخُّثُهَا
يهصر: يُمِل. كانت المرأة مقبلة عليه وهو ماش والتقيا وجهاً لوجه.. ومضى كل في طريقه..
أعجَبَها منظري وأعجَبَنِي بالحسنِ عند اللقاءِ منظرُها
فصارَ قلبي بِالعُحْبِّ يَأْمُرُنِي وقلْبُها بالغرامِ يَأْمُرُها
وحينَ مَرَّتْ والشَّوقُ يُسْكِرُنِي بِخَمْرِهِ تارةً وَيُسْكِرُها
لَفْتُ جِيْدِي أرى أَتَنْظُرُنِي والتَفَّتْ لي ترى أَأَنْظُرُها
بعد أن اجتازتني التفت لأرى هل ستلتفت هي إلي، والتفت هي للغرض نفسه

فقلتُ والشَّوقُ فيَّ مُلْتَهَبُ إِنَّ عَذْرَتُنِي فسوف أَعْزِرُها
إن عذرتني على عدم التعرض لها فسوف أعزرها على ما فعلت بقلبي.. والمرأة - لمن يقرأ هذا
ولا يعرف النساء - تغفر لك أن تتغنى بجمالها، ولا تغفر لك أن تتجاهله. هذه قطعة عذبة عذوبة
أخاذه.. هذا موقف سجله قلم شاعر فصيح

١٠٢ بكل بساطة

أرى الحياةَ بسيطاً أَمْرُ صَاحِبِها فكيفَ يَشْكُونُ منها كَثْرَةُ الحَاجِ
إِن الحياةَ لَعَمَرُ اللّهِ قائِمةٌ بِحُكْمِ شَيْئَيْنِ إِدخالٍ وإِخراجِ
الحياة هي أكل وتخلص من الفضلات ليس غير، ولا حاجة حقيقية للإنسان سوى هذا

١٠٣ شيخ وفية

أنا شيخٌ وذِي عَصَايَ قَتِيَّةٌ قد آتَنِي مِن مَّظْهَرٍ لِي هَدِيَّةٌ
جاءته عصا مفضضة من مظهر الشاوي الذي كان يحسن إليه في أخريات حياته

صَاغَةُ الصَّابِئِينَ قد أَلْبَسُوها حَلِيَّةٌ ذاتُ صَنْعَةٍ عِبْقَرِيَّةٍ
الصابئة في العراق اشتهروا بالصياغة. الصنعة العبقرية: المتقنة جداً، كأن من صاغها من الجن الذين يسكنون وادي عقر

فَسَأْمَشِي بِها قَوْيَاً سَوِيًّا بعدما كنتُ ماشِياً كالحَنِئَةِ
الحنية: القوس

١٠٤ معلومات وهمية

لَقَنْتُ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ حَقَائِقاً فِي الدِّينِ تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَفْهَامُ
تلقت شاباً معلومات دينية كثيرة ومعقدة لا تكاد تستوعبها أفهام، عقول، الناس
ثم انقضى عصرُ الشبابِ وطيشُهُ فإذا الحقائقُ كُلُّها أَوْهَامُ

١٠٥ التجارة بالوطن

لا يَخْدَعَنَّكَ هُتَافُ الْقَوْمِ بِالْوَطَنِ فَالْقَوْمُ فِي السَّرِّ غَيْرُ الْقَوْمِ فِي الْعَلَنِ
أُحْبَوْلُهُ الدِّينِ رَكَّتْ مِنْ تَقَادُيْها فاعتاضَ عنها الْوَرَى أُحْبَوْلَةُ الْوَطَنِ
أحبولة: مصيدة، ركت: أصبحت ركيكة ضعيفة

١٠٦ ملك بلا شعب!

قُلْ لِمَنْ صَيَّرَ الْمَلِيكَ عِماداً لِأُمُورٍ فِي الْمُلْكِ تَأْبَى الشَّرِيكا . .
قل لمن جعل الملك صاحب أمر لا يشاركه فيه أحد ولا يشاور أحداً . .
قد رأينا شعباً بِغَيْرِ مَلِيكِ هل رَأَيْتُمْ بِغَيْرِ شَعْبٍ مَلِيكا؟

١٠٧ كان آدمياً

إِنَّ نُورِي السَّعِيدِ قد كانَ قَبْلاً آدَمِيًّا قَرْدُ بِالْمَسِيخِ قِرْدا
قد أبى أن يعيشَ حراً مَعَ الشُّرِّ كِ وَأَمْسَى لِلتَّيْمُسِيِّنَ عَبْدا
التيمسين: الإنجليز، نسبة لنهر التمز الذي يقطع لندن

مَثَلُ إِبْلِيسَ مَا أَطَاعَ سُجُوداً وَأَطَاعَ الْهَوَانَ لَغْنَاءً وَطَرْدَا

١٠٨ المعاهدة القيد

قَدْ أَبْلَعُونَا حَبَّةَ اسْتِعْبَادِنَا لَكِنْ مُمَوَّهَةً بِالاستِنْقَالِ

جعلونا نبلع حبة دواء هي الاستعباد لكنها مموهة بمعاهدة تعد بالاستقلال، وحة الدواء المرة تكون مغلفة بالسكر

مَنْ ذَا رَأَى ذَنْبَ الذَّنَابِ مُصَافِحاً يَتَوَدَّدُ حَمَلاً مِنَ الْأَحْمَالِ

لَكِنَّهُمْ خَافُوا أَنْفِكَافَ قِيودِنَا فَاسْتَوَثَّقُوا مِنْهُمْ بِالْأَقْفَالِ

١٠٩ الحثالة

قَدْ كَانَ لِي وَطَنٌ أَبْكِي لِتَكْبِيهِهِ وَالْيَوْمَ لَا وَطَنَ عِنْدِي وَلَا سَكَنَ

وَلَا أَرَى فِي بِلَادٍ كُنْتُ أَسْكُنُهَا إِلَّا حُثَالَةً نَاسٍ قَاءَهَا الزَّمَنُ

١١٠ جربوني

يَا مُبْعِدِي بِظُلْمٍ عَنِ مَنَاصِبِهِمْ وَقَاطِعِينَ إِلَى مَا أَبْتَغِي طُرْقِي

عَلِمْتُ كُلَّ خَفِيٍّ مِنْ ضَمَائِرِكُمْ وَمَا عَلِمْتُ الَّذِي تَرْضَوْنَ مِنْ خُلُقِي

لا أعرف ما الذي تريدونه من صفات تتوفر فيّ لكي تولوني منصباً

مَاذَا يُوَافِقُكُمْ مِنْ شَأْنِ صَاحِبِكُمْ حَتَّى يَكُونَ لَدَيْكُمْ حَازِرُ السَّبَقِ

إِنْ كَانَ عَقْلٌ فَلِإِنِّي عَاقِلٌ قَطِنٌ أَوْ كَانَ حُمُقٌ فَعِنْدِي أَحْمَقُ الْحُمُقِ

فَجَرَّبُونِي تَفَوَّزُوا عِنْدَ تَجَرِّبَتِي بَمَا تُرِيدُونَ مِنْ طَيْشٍ وَمِنْ نَزَقِ

النزق: الخفة والطيش. لابن الرومي - قبل ألف سنة من الرصافي - قصيدة تشبه هذه شبيهاً كبيراً يشبه الشبه بين هذين الشاعرين البغداديين. انظرها في كتابنا «تألق الشعر» ضمن الفصل الضافي عن ابن الرومي

وإِنْ أَبَيْتُمْ سِوَى مَنْ عَرَضَهُ دَنَسٌ فَلَسْتُ مَعَكُمْ عَلَى شَيْءٍ بِمُتَّفِقِ

لَا أَبْعَدُ اللَّهَ غَيْرِي عَنْ مَنَاصِبِكُمْ إِنِّي بَتَدْنِيسٍ عَرَضِي غَيْرُ مُرْتَزِقِ

فليكن غيري قريباً من مناصبكم فأنا لا أرتزق بتدنيس شرفي

١١١ لا يبالون لأنهم موتى

قَالَ دُو الْجِرْبِ إِذْ أَتَاهُ مَقَالِي نحن لَسْنَا بِمَا يُقَالُ نُبَالِي
صَادِقٌ فِي الَّذِي ادَّعَاهُ، وَأَتَى يَأْلُمُ الْمَيِّتُ مِنْ جُرُوحِ النَّصَالِ
هو لا يلتفت لقولي.. فأتى، كيف، يتألم الميت من الجرح بنصل السيف؟

إِنَّمَا تَجَزَعُ الْكَرَامُ مِنَ الدَّمِّ- وَتَخْشَى الْأَمْجَادُ لَذْعَ الْمَقَالِ
الأمجاد: أهل المجد

١١٢ سنلتقي

قُلْ لِلَّذِي أَنْحَى عَلَيَّ بِظُلْمِهِ سَفْهًا وَجَارَ بِقَوْلِهِ وَبِفَعْلِهِ
الْمَوْتُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَسَنَلْتَقِي عِنْدَ الَّذِي تُثِقُ الْخُصُومُ بِعَدْلِهِ

١١٣ أثواب الرياء

سَوَدَ اللَّهْ مِنْكَ يَا شَيْخَ وَجْهًا غَشَّ حَتَّى بِاللَّحْبَةِ السُّودَاءِ
لِحْيَةً طَالَ ذَقْنُهَا فَهَوَ فِيهَا أَلِفٌ خُطَّ بَيْنَ عَيْنٍ وَرَاءِ
لحيته مقسومة نصفين وذقنه في الوسط مثل الألف.. وحرف الألف هذا واقع بين العين والراء..
ففي وجهه كلمة «عار»

لَوْ نَتَفَنَّا مِنْ شَعْرِهَا وَغَزَلْنَا لَنَسْجُنَا خَمْسِينَ ثَوْبَ رِيَاءِ
وَصَفُوهُ بِالْمُسْتَقِيمِ فَقُلْنَا إِنَّهُ الْمُسْتَقِيمُ فِي الْأَمْعَاءِ
المستقيم في علم الأحياء: الجزء الأخير من الأمعاء

١١٤ استطراد

وَشَامِخِ الْأَنْفِ مَا يَنْفِكُ مُكْتَسِبًا ثَوْبَ التَّكْبُرِ فِي بُحْبُوحَةِ النَّادِي
قَدْ لَازَمَ الصَّمْتَ عِيًّا فِي مَجَالِسِهِ كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ نُوَابِ بَغْدَادِ
هذا في الشعر أسلوب الاستطراد الذي يرع فيه أبو تمام والبحري. أن يتناول الشاعر موضوعاً ثم يفتل عنه ليجري مقارنة كقولك: «رئيس الدولة قلبه مفتوح لا يخفي شيئاً، فكان ملفات مخابراته في أيدي العدو»، فأتت قد مدحته توصلاً إلى الإساءة إليه

١١٥ أكل الثوم

ما أقبح الجهل يُبدي عيب صاحبه لِلنَّازِرِينَ، وَعَنْ عَيْنَيْهِ يُخْفِيهِ
كَذَلِكَ الثُّومُ لَمْ يَشْمَمَهُ أَكَلُهُ وَالنَّاسُ تَشْتَمُ نَتْنَ الرِّيحِ مِنْ فِيهِ

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٢٠	المجيدا	١٩	أساءوا
١٠٧	قردا	٩	الرَّيَاءِ
٢٩	وتولَّدا	١١٣	السوداءِ
٢٨	المُفَنِّدُ	٥	العماءِ
٦٧	حُدودُ	٤٨	نَوَاءِ
١٣	وارِدُ	٤٩	العبا
١٠٠	الرَّعَادِيْدِ	٩٥	خَطْبَا
١١٤	النادي	٦١	عاصبا
٢٦	بِالدِّدِ	٧٥	الجُدُوبُ
٦	بَغْدَادِ	٣	ضُرُوبُ
٤٣	بِقِيُودِ	٧٠	الحربِ
٥٣	هُجُودُهَا	٦٣	ذَهَبِ
٢١	الدِّهْرَا	١٥	مُنْقَلَبِ
٣٧	دُورَا	٣٣	عَوَاقِبُهُ
٣٠	سَاهِرَا	٨٢	آدَابِهَا
٧١	عُذْرَا	٣٨	كُذِبُهُ
٥٥	مَرَّآ	٥٠	الْمَكْرُمَاتِ
٩٩	يَتَغَوَّرَا	٤١	سِيَّكَارَاتِي
٨	الْأَسْرِ	٨٨	سِمَاتِ
٦٦	الْأَمِيرِ	١٠٢	الْحَاجِ

١٤	أَوْحَالًا	٩٧	السَّوَاجِرِ
٣٦	زُحَلًا	٤	القَبْرِ
٥٦	أَقْوَالُ	١٢	بِغَادِرِ
٢٢	الرَّسُولُ	٤٤	لِلْبَقْرِ
١٧	مَقْتُولُ	٧٧	مُدَّكَّرُ
٩٢	أَطْلَالِ	١٠١	تَبَخَّرُهَا
٤٥	الْأَعْمَالِ	٣١	إِطَارِهِ
١٠٨	بِالْإِسْتِقْلَالِ	١٨	بِأَمِيرِهِ
٩٤	خَوَالِ	٦٩	وَالنُّفُوسَا
١١١	نُبَالِي	٨٦	بِحَاسِ
٦٥	يَعْقِلِ	١٦	السِّيَاسَةِ
٧٦	دَخَلَهُ	٨١	مُتَلَصِّصُ
٥٩	دَلِيلِهِ	٧٤	وَمَضَى
١١٢	وَبِفِعْلِهِ	٥٧	بَغِيضُ
٥٤	احْتِرَامَا	٦٨	تَرْتَضُوهَا
٨٥	عَرَامَا	٤٠	اسْتَطَاعَا
٨٤	مُظْلَمَا	٣٤	تِيَاعَا
١٠٤	الْأَفْهَامُ	٢٧	مَرَّعُ
٤٦	الْقِيَامُ	٢	وُخْضُوعُهَا
١٠	رِسُومُ	٦٢	وَأَعْنَفُ
٩٦	كَتَمُوا	٧٨	بِالْآلَافِ
٥٨	مُحَرَّمُ	٨٣	ضَعْفِهِ
١	يَتَكَلَّمُ	٤٢	الرَّيْقَا
٢٣	التَّقَدُّمُ	٩١	الْمُتَزَنِّدُ
٨٠	السَّامِي	٦٤	الزَّنْدِيقِ
٧	بِنَائِمِ	٣٢	بِالْمَلَاعِقِ
٢٥	ضَيِّعِمِ	١١٠	طُرْقِي
٣٩	هَضْمِ	١٠٦	الشَّرِيكَا
٥١	مُسْلِمَةً	٨٧	الْحَاكِي

٨٩	فَتَانَةٌ	٩٠	وَبُنَيَانَا
٢٤	عُمْرَانِهَا	٩٣	وَمُسْلِمِينَا
٧٢	مُسْتَبِينِهِ	١٠٩	سَكَنُ
٧٣	مَمَشَاهَا	١١	اِثْنَانِ
٤٧	الرَّهَآوِي	٦٠	الدَّوَائِينِ
٣٥	الرَّزِيَا	٧٩	الزَّمَانِ
١٠٣	هَدِيَّةٌ	١٠٥	الْعَلَنِ
١١٥	يُخَفِّيه	٩٨	الْهَانِي
		٥٢	دِينِ

محمد مهدي الجواهري

(١٩٠٢م - ١٩٩٧م)

عاش الجواهري عُمرين.

عاش خمساً وتسعين سنة ميلادية.

ومن يعيش عمرين يكمل الدائرة مرتين: رثى الجواهري زوجتين، وسقط سقطتين، وخلف لنا مذكراته في جزأين اعترف فيهما بالسقطتين، وسماههما الهاويتين. وخاض في الجزأين - وأتم ثانيهما في عام ١٩٩١ - مبارزات دونكشوتية مع ناس ماتوا.

ولما كنت أدخلت نفسي في دوامة ضمير المثني المزعج، فلأخاطب اثنين: القارئ والقارئة، في موضوع مختلف، ثم ستكون لي عودة إلى «شاعر العرب الأكبر» كما سماه الناس. طبعاً «الأكبر»! فمن قهر عزرائيل كل هذه السنين، فقد أمارت المنافسين، وأمارت الشعر العمودي، وبقي متربعا على خرائبه.

أيتها القارئة،

القارئ يكون رجلاً أو امرأة، فإن قلنا «شخصاً» كي نريح أنفسنا من توجيه الكلام دائماً إلى مذكر «الشخص» مذكر، ويصبح علينا عندئذ أن نقول «شخصة»! لم تحلّ المشكلة.

ليس عند الإنجليز هذه المشكلة، فهم يقولون قارئ، ريدر، وهي تنصرف إلى مذكر ومؤنث. قد ارتاحوا من هذه. فأما إن جاءوا للضمائر فيلحق بهم ما يلحق بنا.

انتفضت نساء الغرب في مطلع القرن العشرين انتفاضة كبيرة، ولنَ في

معظم دول العالم حق التصويت. ولأن لم يهدأن: يُرَدَّن تخليص البشرية من تراث عمره آلاف السنين جعلَ الذكر ذا حقوق أكثر من الأنثى. أولئك هن «النسويات»، وفي هذه الفئة رجال كثر هم «النسويون». وفي أواخر القرن العشرين ثارت النسويات والنسويون على الضمائر. فأصبح الكاتب في البلاد الناطقة بالإنجليزية يقول عبارة «هو أو هي» في كل مرة ورد فيها ضمير الغائب المفرد. بعضهم تفنن فصار يقول «هي أو هو»، مقدماً الهي على الهو. وبعضهم صار يقول «هو» مرة، و«هي» مرة. ولحقنا من هذا العنت شيء، ولكن ضمائرنا مفصلة تفصيلاً يعود علينا بإزعاج لا تعرفه الإنجليزية، فضمير الجمع عندنا «هم وهن» فيه تذكير وتأنيث، وعند أولئك القوم للجنسين ضمير واحد في الجمع.

أنا فيما أكتب أقول «هو» ولا أبالي، تاركاً للأجيال المقبلة أن تتخلص من عبء الإرث القديم.

وقد تحمس شعراء مصر والعراق للمرأة ولتحررها. وفي كتابنا الذي بين يديك ثلاثة شعراء من مصر وثلاثة من العراق، فأما شعراء مصر فقد وقفوا وقفة الهائب من دعوة نصير المرأة ورائد الفكر النسوي قاسم أمين (ت ١٩٠٨) المصري. وتلجلجوا في شأن المرأة ومكانتها، ولم يخرج من شعرهم ولا من حياتهم فكر نسوي واضح. وأما ثلاثة شعراء العراق فقد كان لهم شأن آخر.

وقبل أن نمضي في هذا الشأن نقف وقفة قصيرة بإزاء سلسلتنا هذه: «الزبدة»، التي استعرضنا فيها أشعار نحو أربعين شاعراً منذ الجاهلية حتى خبا الشعر العمودي في أواسط القرن العشرين. ونسجل على أنفسنا أننا لم نأخذ شاعرة واحدة. فلماذا؟ لم نسلك في هذا الأمر سبيل النسويين الذين يريدون حشر المرأة في كل مجال لمجرد إعطائها فرصة. التاريخ العربي ذكوري والشعر العربي ذكوري. وعندما ثارت في العراق نازك الملائكة على الشعر العمودي، وسارت في درب شعر التفعيلة، ونظرت له تنظيراً باسماً في كتاب هو أحد أهم كتب التقعيد لصناعة الشعر منذ مئات السنين، وعندما تبعته شاعرة فلسطين فدوى طوقان، وانحرفت بسرعة عن العمودي إلى التفعيلي، كان الشعر العمودي يزوي. وهكذا فمع دخول شاعرتين كبيرتين إلى ساحة الشعر العربي كان هذا الشعر قد شق طريقاً جديداً، وإحداهما كانت من أوائل من شق الطريق، والثانية تحولت بسرعة وسارت فيه. وسلسلتنا تتناول الشعر العمودي فقط.

فلماذا لم آخذ الخنساء ضمن شعرائي؟

دبوانها صغير ومحوره ضيق. فأخذت لها قصيدة في موضوعها الوحيد:
الرناء.

ونعود إلى شعراء العراق. كان هؤلاء من أشد أنصار المرأة في كل العالم العربي، كانوا على يسار قاسم أمين. وقد اقتطفنا من أشعارهم النسوية الكثير لأنهم قالوا ذلك الشعر بحماسة، وكانوا رواد فكر في العالم العربي كله. وهنا يتدخل توجهي الشخصي، فأنا نسوي مؤيد لنيل المرأة كل ما للرجل من الحقوق. ولكن بعد ذلك في أعماق نفسيتي ذلك الإرث الذكوري المتغلغل فينا الذي لا نملك له صداً. تربية النفس على شيء جديد أبطأ من الاقتناع به فكرياً.

كان الجواهري شاعراً عمودياً. بدأ باكراً، وله أشعار كثيرة معاصرة لشوقي وحافظ والزهاوي والرصافي. وخاض عالم الشعر مع هؤلاء الذين أنهضوا الشعر العمودي نهضته الأخيرة. لكنه عاش طويلاً، فحضر في اليوتوب، ورآه شباب زمننا هذا.. فنال بطول العمر تقديساً. وسنعود إلى الجواهري، فهذه السطور هي في التقديم لما اخترناه من شعره.

فهل مات الشعر العمودي؟

لم يمت الشكل. فما زال بعض الشباب ممن قرأ الشعر القديم وأكبَّ عليه إكباب درس وتمحيص يقول شعراً على البحور المعروفة.. أو على الأصح على بعضها. ولكن مصطلح «الشعر العمودي» يعني شيئين لا شيئاً واحداً. فهو الشعر الموزون المقفى على الطريقة القديمة، وهو أيضاً الشعر الذي يتناول المعاني بانضباط كلاسيكي. وكثير من العمودي الذي يكتبه شباب العرب اليوم رومنسي، مفرط في المجاز المزدوج، فهو عمودي وزناً، رومنسي محتوى.

لن نحكم على الشعر العمودي بالموت. لكنه - حتى عند شوقي والبارودي والرصافي وكل شعراء كتابنا هذا «إحياء الشعر» - شعر «يحاول» أن يكون قديماً.. يحاول أن يضاهي البحري.. يحتفل بالمفردة المهجورة.. هو شعر لاهت. لم ينجح شوقي في الوصول إلى البحري ولا إلى المتنبي. ولن أنجح أنا إن كتبت لك بلغة عتيقة في أن أبلغ الجاحظ، سأبقى مغموط الحظ مضئوز النصيب، واقفاً أمام صوان ملابس عتيق أتخير منه أبراداً وطيالسة وقلانس أرتديها كي تظنني عتيقاً، ثم يضحك مني الزمن. نثرُ الجاحظ لزمن الجاحظ

وشعر المتنبي لزمن المتنبي. واللغة تتغير حتى لو صك المنفلوطي رأسه بالجدار.

كان الجواهري من ساقه شعراء الإحياء، غير أنه فعل فعل صاحب لوائهم البارودي في أنه كان يلتمس الأسلوب العتيق.

أيها القارئ،

بالله عليك إلا ما ذهبت عني الآن، ومضيت إلى شعر الجواهري تقرأه! هذه الأسطر التي أكتبها لك في هذه المقدمة، بعد فراغي من الاختيار فالتشكيل فالشرح، فضلة قلم، وبقية مداد أنشره فوق الصفحة، فكأنها قطرات العرق تتساقط من جبين الراكض الذي وصل شريط النهاية في جري المسافات الطويلة. قد أنصبت نفسي وأنا أتخير لك الشعر وأشرحه، ثم أراك بعد ذلك تمر به مر الكرام. حرام عليك أن تتسلى بقراءة مقدمتي هذه - على ما فيها من استطراد، يشي بضعف الاستعداد، وعلى ما يلوح عليها من غثاثة، تمشي في كتابتي كأنما بوراثه - وترك شعر الجواهري وذلك الجهد الكبير الذي وضعته في انتخاله وشرحه.

خذ قصيدة الجواهري المشهورة «أم البساتين». ها هي مجلوة لك هنا كالعروس في ثلاثين بيتاً، قصيدة من بذيع الشعر. صعبة قاسية حليتها بشرح يفتح لك مغاليقها. فأما أصلها فمئة وخمسة وستون بيتاً. قرأها لك صاحب هذه الأسطر في طبعة ديوان الجواهري ذات الأجزاء السبعة الصادرة في بغداد، ١٩٧٣، في حياة الشاعر، وعارضها على الطبعة التي أصدرها ذووه لديوانه الكامل بعد وفاته. قرأتها وانتخلت لك منها الأبيات الثلاثين، وأتعبت القاموس والصحاح وأسهرت المصباح.

قد فعلت مثل هذا بكل ما سيأتيك من أشعار الجواهري. ثم أراك تقرأ بيتاً أو بيتين، وتقول لنفسك: لا أريد المختارات، أريد القصيدة الأصلية كاملة. فاذهب عني، ورح اقرأ الدواوين؛ ما الذي أتى بك أصلاً.

قد اشتغلت بهذه الأشعار زمناً طويلاً، وإلا أكن مللت منها فإنني مللت من القراء الكرام، وإن كان عندي أمل في أن يأتي زمن يجد فيه الناس في هذا الجهد ما ينفع. أنا، والحال هذه، كالشيخ الذي رآه كسرى ملك الفرس يزرع شتلة زيتون، فقال له: أنت شيخ هرم، ولن تعيش لتأكل من ثمر هذه الشتلة!

فقال الشيخ: غرسوا فأكلنا، ونغرس فيأكلون. فقال كسرى: زه. وأعطاه ألف شيء.. ماذا كان اسم العملة الفارسية العتيقة؟ لا أدري. لكنني أدري أن الناشرين في عالمنا لا يقولون زه.

بعض أصحابي، ولهم في القلب موضع، يرددون عليّ أبياتاً من قصيدة للجواهري، يقولون إنها رائعة وعظيمة.. يصدعون رأسي بها. عظيمة فقط لأنهم سمعوها منه في اليوتيوب. ولم يسمعوها من شعره غيرها. فهم مثل رجل دخل كهف علاء الدين - بعد أن فتح له سمسم - فوجد في فم الكهف قفة دراهم فملأ منها كيسه وخرج. ليتة تعمق ليجد الذهب والألماس. أنا تعمقت يا بعض أصحابي. وأخرجت لكم ألماس الجواهري، فلا تصدعوا رأسي برنين نحاسكم.

للأسف، الجواهري صعب، وأشعاره تتعطش للشرح: صعب في مفرداته، التي يلوي أعناقها لتؤدي معاني منحرفة بعض انحراف عما وضعت له؛ وصعب في معانيه التي تختفي وراء ستار من لفظ رنان.

هو معاصر لأنه عاش السياسة في زمنه، وذاق كثيراً من النفي وقليلاً من السجن والأذى، وأصدر الجرائد، ومدح الرؤساء والملوك، ودخل في الفكر الاشتراكي من باب الشيوعية بعض دخول؛ وهو قديم لأنه عاش في شعر المتنبي والبحتري وشب على الجبة والعمامة في النجف؛ وهو مثقف قرأ الكتب، لكنه لم يُغرق فيها فلم تغرق شاعريته؛ وهو شاعر لأن الله خلقه شاعراً.

لا أخفي عليك أنني دخلت عالم الجواهري متأخراً. قد صرفني عنه أولئك الأصحاب الذين جعلوني أظن أن الرجل إنما نال عندهم من المكانة ما نال لأنه عاش خمساً وتسعين سنة، فسجل حضوراً في دفاترهم. لكنني، في هذه على الأقل، كنت متواضعاً. قلت في نفسي: ليكن! يقولون إن الجواهري شاعر كبير، فلا فحص عن الأمر. وفحصت. ورأيت الجواهري شاعراً كبيراً فعلاً. ورأيت تلك الشلالات الغزيرة التي هي قصائده الطويلة تحجب عن العين المعاصرة ما عنده من شاعرية.

هو في قصيدته خطيب، وكان يلقي القصائد في شتى المحافل، وكان يطرب لما يراه من إعجاب الجمهور بأبياته الرنانة. وهو في قصيدته مطيل يروي أحداثاً. وهو في قصيدته صائغ يتعب في تركيب البيت، فيتعب معه البيت ويأتي معوجاً.

ما أخرج شاعراً كهذا إلى منخلي.

استندت في اختياراتاتي إلى المجموعتين اللتين أشرت إليهما سابقاً، وقد خلّتا، كِلتاهما، من الشرح، إلا من سطر في الصفحة بعد الصفحة فيه المعنى القاموسي لمفردة.

محمد مهدي الجواهري

الجواهري من النجف بالعراق، واسم الأسرة منسوب إلى كتاب «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» الذي كتبه أحد قدامى الأجداد واسمه محمد حسن. وكانت لأسرته أواصر نسب مع أسر عريقة كثيرة في النجف والحلة. كان أبوه عبد الحسين فقيهاً وشاعراً. وأراد لولده الثاني «مهدي» أن يكون فقيهاً، وأراد الله غير ذلك.

نشأ الطفل مهدي مدلاً من أم تحنو عليه - هل تلاحظ أنني بدأت أكتب كما يكتب رقعاء منتديات النت. - لا ينقصني الآن إلا أن أقول «منذ نعومة أظفاره» حتى يكتمل الانحدار، وهل هناك أم لا تحنو على طفلها؟ - الجواهري نشأ مدلاً. أمه تحنو عليه، وأبوه يحنو عليه، والأمة التي في بيتهم، واسمها تفاحة، تحنو عليه وتقص عليه القصص. وجدته لأبيه تحنو عليه. وهذه الجدة اسمها صيته. وماتت والجواهري طفل في الخامسة، وأقيم للجدة «صيته» عزاء مهيب لم يقم من قبل لامرأة، كما يخبرنا الجواهري.

في هذا المحفل، وفي محافل تشبهه، سمع الجواهري شعر الشعراء. وكانت النجف مدينة شعر وأدب، وكانت مدينة علم. نقصد ما كان يقصده القدماء بكلمة «علم»: علوم الدين واللغة والأدب.

لم يكمل محمد مهدي - قد أضيف اسم محمد لاسمه فيما بعد - علومه الشرعية واللغوية في حوزات النجف كي يصبح فقيهاً. بل أخذ منها ما تحتاج إليه روحه الشاعرة. كان يتعلم في بيته على أبيه وأقاربه، وليس في ذهنه سوى أنه يريد أن يصبح شاعراً. ونظم باكراً، لا ندري درجة نعومة أظفاره عندما بدأ ينظم، لكنه قرزم مثلما يقرزم الشعراء ثم استوى له الشعر وهو في نحو الثامنة عشرة. وفي هذه السن الطرية شهد الجواهري ثورة العشرين في العراق ضد الحكام الجدد: الإنجليز.

كان كثيرون من أبناء النجف لا يحملون «الجنسية» العراقية. ففي العهد

العثماني حمل الكثيرون منهم الجنسية الإيرانية فراراً من الجندية. وكان الزلزال الكبير الذي حدث بانحسار الظل العثماني عن العراق والوطن العربي، وزلزال ثورة العشرين على المحتل الإنجليزي، لم يكونا كافيين للخروج من حالة انعدام الجنسية العراقية لدى الكثيرين.

ثم بدأ العهد الفيصلي مع تتويج الإنجليز فيصل بن الحسين ملكاً على العراق سنة ١٩٢١. ونالت الجواهري الشاب، وكثيرين من الشيعة في العراق، بقية باقية غير قليلة من أذى الطائفية، التي كانت لذلك الزمن في العراق مثل ألم الضرر الذي يتقح عليك نقحاً خفيفاً: لا يخفت فتستطيع له نسياناً، ولا يشتد فيجعلك تهرع إلى طيب الأسنان.

ولو صدقنا الجواهري في أن عشرة بالمئة فقط من أعضاء مجلس النواب المستحدث كانوا من الشيعة، وحتى لو كذبناه وجعلنا النسبة عشرين بالمئة، فإن مجرد هذه المعلومة تدل دلالة محملة بالمغازي على أن مئات السنين التي انصرمت على حكم العثمانيين السنة للعراق، بما وقع فيها من تحاك وتنافس مع إيران الشيعية، تركت العراق محكوماً برجال السنة.

عُيِّن الجواهري مدرساً، ثم قيل له أنت لست عراقياً، فأين الجنسية؟ وفصل من التعليم، وعاد إلى التعليم. وزار إيران، حيث كان يعمل أخوه الأكبر، مرتين. وقال شيئاً في قصيدة طهرانية جعل ساطع الحصري، المسؤول عن شؤون التعليم في حكومة فيصل والكاتب القومي المشهور، يفصله، ثم تدخل وزير شيعي فأعاده. ثم استقال الجواهري.

ولما كان صاحبنا قد أصبح شاعراً له كلمة مسموعة بين الناس فقد تلافي البلاط الأمر بتعيينه في التشريفات. وفي هذه الوظيفة كان الشاب الشاعر لصيقاً بالملك فيصل يتمرغ في رعايته ويميل على جوانبه ميل الطفل على أبيه. ووصف لنا ذلك في صفحات كثيرة مدهشة: يندهش القارئ لهذا الأدب الملوكي الجرم عند ذلك الملك العربي. كان لفیصل بعض ما لأخيه الأصغر عبد الله بن الحسين ملك الأردن من دهاء، وكان له أضعاف ما لأخيه من رقة وحلم. وكان الرصافي موظف التشريفات يتمرد في شعره وينتقد، وكان الملك يتغمد كل ذلك بالنسيان، أو بعتب ناعم. كان فيصل يتذوق الشعر كأخيه عبد الله، وكان يبشر الجواهري بأنه سيكون شاعر العراق الأكبر.

واستقال الجواهري من القصر بعد ثلاث سنين، متمرداً على التشريفات

وعلى الملك فيصل، ولم يفت الملك أن يقرص أذن الشاعر الذي انصرف عن ملكه. ولم يفت الجواهري أن يمدح الملك السعودي الذي سلب الهاشميين ملكهم الحجازي نكاية بفيصل.

أصدر الجواهري بعد إذ تمرد وتحرر صحيفة «الفرات». ثم عاد إلى الوظيفة في التعليم ثم في ديوان وزارة المعارف. ومات الملك فيصل عام ١٩٣٣، وتولى الحكم ابنه غازي، فلم تكن للجواهري حظوة.

ومع انقلاب بكر صدقي، تموز/يوليو ١٩٣٦، أحس الجواهري بقرب الفرج، فأيد الانقلاب، وأصدر صحيفة باسم «الانقلاب». لا غرو، كان هذا أول الانقلابات التي زركشت سياسة العالم العربي في القرن العشرين فلم تكن كلمة «انقلاب» قد اكتسبت معناها السلبي، وكانت الحركة الدستورية العثمانية قبل نحو ثلاثين سنة قد سميت انقلاباً، وكان العرب يعدونها حركة حميدة. ثم بعد سنة وشهر اغتيل بكر صدقي فانقضى بذلك أول تموز يمر على رأس الجواهري. فجعل اسم جريدته «الرأي العام».

ومات الملك غازي في عام ١٩٣٩ بحادث سيارة، يزعم الجواهري أن السياسي الداهية نوري السعيد قد دبّره، وبعد موته بأشهر قامت الحرب العالمية الثانية وعلى عرش العراق الطفل فيصل بن غازي وهو ابن خمس سنوات، وتولى الوصاية عليه خاله الأمير عبد الإله.

وفي عام ١٩٤١ انقلب على الحكومة - وكان قطباها الوصي عبد الإله، والسياسي نوري السعيد المدعوم إنجليزياً - رشيد عالي الكيلاني، فهرب «الوصي» و«السياسي» كلاهما من العراق، ولم يسع الإنجليز أن يسكتوا على الأمر لميول الانقلابي الألمانية، ففضوا على الحركة الانقلابية بعد أشهر، وعاد عبد الإله ونوري السعيد إلى بغداد. لم يؤيد الجواهري الانقلاب فسافر إلى إيران ومكث بها زمناً قصيراً.

نجدته في سنة ١٩٤٤ في سورية يشارك في إحياء الذكرى الألفية لأبي العلاء المعري. ونراه - وهو الآن رجل في أوائل الأربعين من العمر - شاعراً له صوت عالٍ في أحداث البلاد، وله صيت ذائع. قد كانت له علاقة طيبة بالشاعر الزهاوي الذي توفي قبل سنوات، وله الآن علاقة طيبة بالشاعر الرصافي الذي سيموت عام ١٩٤٥ قبيل انتهاء الحرب. ويموت الرصافي صار الجواهري «شاعر العراق الأكبر» فعلاً.

أصبح الجواهري نائباً عن كربلاء في برلمان ١٩٤٧، ووالى نشر قصائده، في العراق وخارجه. وفي العام التالي هب العراقيون في انتفاضة ضد معاهدة بورتسموث التي أراد الإنجليز بها التمسك بأكبر قدر ممكن من النفوذ في العراق، بعد أن انتصروا في الحرب العالمية الثانية انتصاراً هو أشبه شيء بالهزيمة. فبعد انتصارهم الباهظ طلب التاريخ - وأميركا - من الإنجليز أن يفككوا إمبراطوريتهم.

في هذه الانتفاضة على المعاهدة قتل الأخ الأصغر للجواهري، جعفر. فتدفق الجواهري بشعر كأنه النار. وبعد سنة أعدم الحكم عدداً من الشيوعيين، من بينهم يوسف سليمان يوسف، المعروف بفهد. ولم نجد للجواهري رثاء في الرجل. كان الجواهري يعطف على الشيوعيين، لكنه لم ينتظم حزبياً في حياته.

نجده في عام ١٩٥٠ في مصر بدعوة من طه حسين، ثم عام ١٩٥١ في لبنان يؤبن عبد الحميد كرامي. وعقب انتفاضة تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٢ سجن الجواهري في معتقل أبو غريب ثم رحل إلى سورية حيث وجد الملجأ الآمن. وعاد إلى العراق عام ١٩٥٧، وفي العام التالي كان انقلاب عبد الكريم قاسم، تموز/يوليو ١٩٥٨. هذا التموز الثاني للجواهري كان الضربة القاضية للملكية في العراق. فقد اغتال الانقلابيون العائلة المالكة، وجروا جثة الوصي عبد الإله في الشوارع. وقتل، أو انتحر، نوري السعيد.

قربت حكومة قاسم الشيوعيين، وتقربت من الاتحاد السوفيتي. لكن حكم العسكر يظل حكم عسكر، وقد تحير الجواهري في قاسم فقد كان يقرب هذا الاتجاه ثم ذاك لغيرما غرض سوى أن يتخلص من خصومه.

تغنى الجواهري بعبد الكريم قاسم وحكمه. ولكنه لم يتخل عن وجدانه العروبي. كان عبد الكريم قاسم لا يرد طلباً للجواهري. ولكن شاعرنا أحس بعد قليل أنه عالق في شبكة تأييد الحكم. هذا الحكم الذي دخل في مهزلة المحاكمات الصورية حتى قبل انقلاب عبد الوهاب الشواف الفاشل. فقد عين قاسم ابن خالته «عباس المهداوي» رئيساً لمحكمة «ثورية» أخذت تهين المتهمين على شاشة التلفزيون، الذي كان دخل العراق حديثاً، قبل أن ترسل العديد منهم إلى حتفهم. واصطدم الجواهري بقاسم في أكثر من مناسبة.

انسلاً الجواهري سنة ١٩٦١ إلى بيروت ليشارك في تكريم الأخطل

الصغير، بشارة الخوري، ومضى بعدها إلى تشيكوسلوفاكيا البلد الاشتراكي ضمن «المعسكر السوفيتي».

أطبح بعبد الكريم قاسم، أوائل ١٩٦٣، وقتل قتلة شنيعة في ستوديو الإذاعة بعد محاكمة مضحكة مدتها نصف ساعة.

لكن الجواهري بقي في تشيكوسلوفاكيا سبع سنين، حتى جاء تموزه الثالث.

في ١٧ تموز/يوليو ١٩٦٨ انقلب البعثيون على الرئيس عبد الرحمن عارف الذي كان خلف أخاه عبد السلام عارف. كان انقلاباً أبيض بقيادة أحمد حسن البكر وصدام حسين، وعاد الجواهري إلى العراق ليجد التكريم والراتب التقاعدي. وهو الآن أهم شاعر عربي عمودي. فالجواهري بحكم السن والعادة لم يتمكن من السباحة في تيار شعر التفعيلة، وحافظ على طريقته.

لم تطب الإقامة للجواهري في العراق، فرحل إلى سورية عام ١٩٧٣، وعاش في كنف الرئيس حافظ الأسد بضع سنين. وظل يتنقل بين دمشق وبغداد وبراغ في تشيكوسلوفاكيا حتى سنة ١٩٨٠ عندما غادر العراق للمرة الأخيرة، وأخذ يعيش في دمشق حتى وفاته عام ١٩٩٧. وظل محتفظاً ببيته في براغ معظم هذه الفترة الأخيرة.

يصدع رأسك «أبو فرات»، وهذه كنيته وفرات هو ابنه الشيوعي، على مدى ألف صفحة وهو يقص قصة السبعين ديناراً الفلانية، والمئة دينار العلانية. وهو مدرك أن طفولته الفقيرة - رغم رجحان شأن والده وأسرته في ميزان النسب - ظلت تعيش في أعماقه.

لا ألوم الأب الذي يغدق على أطفاله، ويهين نفسه في سبيل أن يجنبهم أي شعور بالعوز. فمن جاع صغيراً ظل جائعاً طول عمره حتى لو اغتنى كبيراً. وأدركها الجواهري وسجلها على نفسه وعلى عبد الكريم قاسم الذي نشأ في أحضان الحرمان.

في نفوسنا حجرات مغلقة، مفاتيحها في يد الطفولة.

عندما كنت في نحو الخامسة من العمر رماني أبواي في القسم الداخلي بمدرسة راهبات مار يوسف أسبوعين ليقتضيا شهر غسل متأخراً في مصر. قالت لنا المعلمة جانيت: انسخوا الدرس. ولم يكن عندي ورقة. فنسخت الكلمات

على نصف الصفحة في ذيل الدرس. ولم يكن نصف الصفحة فارغاً، بل كانت عليه كلمات مكتوبة بخط دقيق، هي أسئلة وتوجيهات للمعلم، إلخ. نسخت بقلم الرصاص فوق الكلمات الصغيرة المطبوعة. ووبختني المعلمة وتراقصت شامة كبيرة مخيفة في خدها أمام وجهي. والآن وبعد أكثر من نصف قرن تراني أبخل خلق الله في الورق. اطلب مني رقم هاتف، وستراني أقص لك من طرف الورقة قطعة صغيرة لا تكاد تكفي للرقم.

سقط الجواهري عندما تصالح مع الرجعية فأنشد قصيدة في تنويع فيصل الثاني، وسقط عندما التصق بعبد الكريم قاسم. لكنه عاش حياته نابذاً للطائفية باذلاً في سبيل ذلك جهده، متعاطفاً مع الفقراء كارهاً التفاوت في الرزق بين الناس، ووجد هذان الاتجاهان صدى طيباً في شعره.

كانت حياته الطويلة بكاملها المرحلة الأولى من طفولة العالم العربي. فبعد أن رمتنا الدولة العثمانية من رحمها إلى حضن الاستعمار أخذنا نتبؤل لإرادياً. وما زلنا.

إذ انغمست في تاريخ العراق في القرن العشرين كي أتمكن من فهم الجواهري وعصره عشت كوابيس الإعدامات والسحل وحكم الفرد. وصادف أن تعثرت بكتاب عن تاريخ بريطانيا، فقلت أروح عن نفسي قليلاً. وأي ترويح! قرأت كيف أعدم هنري الثامن اثنتين من زوجاته الست، وكيف ترك ثالثة تموت في سجنها. وكيف أعدمت ابنته إليزابيث الأولى «ماري ملكة الاسكوتلنديين» على الوضم.

الوضم

الوضم خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم.

جئي بالملكة ماري وصعدت إلى المنصة وهي في أتم زينتها. خلعت طيلسانها بابتسامة وهي تقول: ما تعودت أن أخلع طيلساني على مشهد من الناس. وأقعى قصابها ومساعدته على الركبتين وطلبا المغفرة، فغفرت لهما. ثم أقعت هي بركبتيها على وسادة وثيرة، ووضعت رأسها على الوضم بعد أن قالت: بين يديك أيها الرب أضع روحي. وبضربتين من البلطة قطع رأسها، وعندما رفعه الجلاد صائحاً «عاشت الملكة»، يقصد إليزابيث، سقط الرأس لأن الشعر كان مستعاراً.

وكانت حرب أهلية، وأعلنت بريطانيا الجمهورية، وأقعى تشارلز الأول على ركبتيه أمام الوجود، وكانت ضربة واحدة. ثم أعيدت الملكية بعد بضعة عقود، وعاقب تشارلز الثاني أنصار الجمهورية قديماً استطاع. وجاء جيمس الثاني وحاول أن يكون الحاكم الفرد، ولكن بريطانيا كانت قد شبت وتحول برلمانها إلى مؤسسة تعرف كيف ترعى مصالح الطبقة التي تمثلها. لا أصبحت بريطانيا ديمقراطية ولا غدت حريصة على حقوق الإنسان، لكنها تبنت الطريق إلى «حكم الطبقة» لا حكم الفرد. تخلصت من نزوات الفرد يوم عزلت جيمس الثاني عن الحكم فيما عرف بـ «الثورة المجيدة»، ١٦٨٨.

التاريخ ليس فيزياء، والمستقي العبر منه كالأعمى يدخل بيته الجديد. أدري أن الشعوب العربية تعيش طفولتها، ولا أدري كم جيلاً سيعيش ويموت قبل أن تشب.

ها هو الجواهري يمدح قاسماً ويجعله البطل و«الزعيم الأوحده» ثم بعد سنة يفر من وجهه، ثم بعد سنة يصله خبر قتله فيحمد الله ويوقد الشموع. وها هو يمدح عبد الناصر قبيل الهزيمة ويرثيه بعدها. لا نضع الشعراء على درجات، ولا نصنفهم، ولا نحكم عليهم بحصافة فكرهم الاجتماعي أو السياسي، بل بجودة شعرهم: بحرارة، وبصدق، وبما فيه من صنعة متقنة.

١ الأمنيات

النصف (١٩٢١):

جَلَبْتُ لِي الْهَمَّ، وَالْهَمُّ عَنَا أَوْ مَا أَرْوَحَنِي لَوْلَا الْمُنَى
الأمنيات وأحلام اليقظة جلبت لي الهم، وهو عناء، وما كان أروحي، أي ما كان أكثر ارتياحي،
لولا هذه الأمنيات

إِنَّمَا أَشْكُو حَيَاةَ كُلِّهَا تَبِعَاتُ كُنْتُ عَنْهَا فِي غِنَى
عَرَدَ الطَّيْرُ فَقَالُوا: مُسْعَدُ رَبِّ نَوْحٍ خَالَهُ الْفِرُّغْنَا
يظنون الطير عندما يغرد سعيداً، لكن ربَّ نوح، أنين، ظنه الفر، الغشيم الجاهل، غناء.. وكذا
الشاعر يتغنى بالشعر ولكنه متألم

وَأَنْتَنِي الْفُصْنُ، وَلَوْلَا أَنَّهُ حَامِلٌ مَا لَمْ يُطْفِئْهُ مَا أَنْتَنِي
ويتنى الفصن فيظنونه يتمايل غنجاً.. لكنه ما انتنى إلا من ثقل الثمر الذي يحمله

٢ القنوط

النجف (١٩٢٣):

قد كنتُ أقربَ للرجَا ءِ فصِرْتُ أقربَ للقُنوطِ
القنوط: اليأس

كلُّ البلادِ إلى صَعُو دِ والعراقُ إلى هَبُوطِ
يا نائماً ما نَبَّهْتُ هُ الحادِثاتُ مِنَ الغَطِيطِ
الغنيط: الشخير

لم يبقَ مِنَ نَسَجِ الأَكُفِّ - المُحَكِّماتِ سوى الخيوطِ
لم يبقَ من أمجاد الماضي، التي هي كاللبساط الذي أحكم نسجه، سوى خيوط

٣ هَذَبَه الحب

النجف (١٩٢٤):

عاطفاتُ الحبِّ ما أبَدَعَهَا هَذَبْتُ طَبِيعِي وَصَفْتُ خُلُقِي
حُرَّقَ تَمَلُّاً رُوحِي رِقَّةً انا لا أنكرُ فضلَ الحُرْقِ
ثِقُ بأنَّ القلبَ لا تَشْفَلُهُ ذكرياتُ غيرِ ذِكرَاكَ ثِقِ
لستَ تَدْرِي بالذي قاسَيْتُهُ، كيفَ تَدْرِي طَعَمَ ما لم تَذُقِ
لم تَدْعُ مِنِّي إِلَّا رَمَقاً، وفداءً لكَ حتى رَمَقِي
رمق: بقية من حياة

أنا، ما عِشْتُ، على دينِ الهوى فَهَوَاكُم بَيْعَةٌ فِي عُنُقِي
بيعة: عهد ومبايعة. سودت هذه القطعة كلها لأنني كنت قرأتها في برنامج تلفزي اسمه «قال الشاعر»، ثم سمعت نفسي أقرأها من اليوتيوب بضع مرات فأخذت مكانها في أذني، كذا هو الشعر... نسمع القصيدة مراراً فنخلع عليها ما قد لا يكون لها من حلل الجمال

٤ فارس الشعر

النجف (١٩٢٤):

أنا في الشعرِ فارسٌ إنْ أَغَالَبَ يَكُنِ الطَّبِيعُ لِي مِجَنًّا وَتُرْسًا
أغالب: أبارى، الطبع: القريحة الطبيعية، والشاعر المطبوع هو الذي يقول الشعر منطلقاً من طبع، وليس بعد طول فكر وصناعة، المجن: الترس

وَإِذَا مَا ارْتَمَتْ عَلَيَّ الْقَوَافِي نِلْتُ مُخْتَارَهَا وَعِفْتُ الْأَخْسَا

إذا رمت القوافي نفسها علي اخترت أحسنها وعفت وكهرت الخسيس منها

إِنْ أَكُنْ أَصْغَرَ الْمُجِيدِينَ سِنًا فَأَنَا أَكْبَرُ الْمُجِيدِينَ نَفْسًا

النفس الكبيرة: الشخصية الواثقة الشامخة

طَبَّقْتُ شُهْرَتِي الْبِلَادَ وَمَا جَا وَزَّ عُمْرِي عَشْرًا وَسَبْعًا وَخَمْسًا

الجواهري من مواليد ١٩٠٢، وفي الأمر خلاف شديد اقتضى من علي جواد الطاهر صفحات كثيرة .. ضاعت سدى

٥ عَزَّ الْمُرْتَقَى

النجف (١٩٢٤):

وَطَنِي، وَمَنْ لَكَ أَنْ تَعُودَ فَتَرْتَقِي؟ مِنْ بَعْدِ مَا أَعْيَا وَعَزَّ الْمُرْتَقَى

كيف لك يا وطني أن تعود للصعود، بعد أن أعيا، صُعبَ، المرتقى، طريق الصعود، وصار عزيزاً، صعباً

لَوْ يَعْلَمُ الشَّجَرُ الَّذِي أَنْبَتَهُ مَا حَلَّ فِيكَ مِنَ الْأَذَى مَا أَوْزَقَا

٦ السهر اللذيذ

إيران (١٩٢٦):

كَمْ أَرَى مُنْتَظِرًا وَغَدَاكُمْ ثَقُلَ الْوَعْدُ عَلَى الْمُنْتَظِرِ

قَدْ سَهَرْنَا فَوَجَدْنَا أَنَّهُ فَوْقَ طَعْمِ النَّوْمِ طَعْمُ السَّهْرِ

وجدنا السهر في حبكم لذ من النوم

٧ نظرية

(١٩٢٦):

سَحَرْتُنَا ظَوَاهِرُ الْأَمْرِ حَتَّى أَوْهَمْتُنَا أَنَّ الْبِلَادَ قَوِيَّةٌ

نَتَعَنَّى، وَعَصَرْنَا مِنْ نُحَاسٍ، بِأَغَانِي عُصُورِنَا الذَّهَبِيَّةِ

كُلْنَا بِالَّذِي تَمَنَّى سَعِيدٌ لَا نُبَالِي أَنَّ الْبِلَادَ شَقِيَّةٌ

كَثُرَ الْمُدَّعَوْنَ، لَمَّا اخْتَلَفْنَا فِي الْبَدِيهِيِّ، فِكْرَةَ فَلَسَقِيَّةِ

عندما نختلف في موضوع بديهي يأتي الأدباء والنقاد بفكرة يدعون أنها فلسفية

لو يقول الأديب في الشرق «إن الـ أرضَ تحتي»، لَسُمِّيتَ نظريَّة

٨ القصائد الشاربة الأكلة

بغداد (١٩٢٧):

أَيَدْرِي مَنْ يُرَدِّدُهَا حِسَاناً خَلَاءَ مِنْ زِحَافٍ أَوْ سِنَادٍ ..

هل علم من يردد أشعاري الخالية من المشكلات العروضية كالزحاف والسناد ..

بِأَنَّ الشَّعْرَ تَشْرَبُ مِنْ عُيُونِي قَوَافِيهِ، وَتَأْكُلُ مِنْ فَوَادِي؟

هل يعلم أن قوافي الشعر ترهقني كأنها تشرب الماء من عيوني، وتأكل من قلبي؟ فالشعر ينطلق من أعماق وجداني

٩ حبس الغيث

بغداد (١٩٢٨):

سَكْتُ حَتَّى شَكَنْتَنِي غُرُّ أَشْعَارِي وَالْيَوْمَ أَنْطِقُ حُرّاً غَيْرَ مِهْذَارٍ

ثُرِّيَا شَعُورٌ عَلَى ضَمِيمٍ تُكَابِدُهُ أَوْ لَا، فَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ بِثَوَارٍ

ثر يا شعور على ظلم تعانيه، وإن لم تفعل فلست ثائراً على شيء

لَوْ فِي يَدَيَّ، لَحَبَسْتُ الْغَيْثَ عَنْ وَطَنِ مُسْتَسْلِمٍ، وَقَطَعْتُ السَّلْسَلَ الْجَارِي

السلسل الجاري: الماء المترقق كأنه، وهو يجري، سلسلة من حلقات. وفي العراق سلسلان جاريان: دجلة والفرات

الْعَذْرُ يَا وَطْناً أَغْلَيْتُ قَيْمَتَهُ عَنْ أَنْ يُرَى سِلْعَةً لِلْبَائِعِ الشَّارِي

العذرة: أطلب المعذرة

وَكَيْفَ يُسْمَعُ صَوْتُ الْحَقِّ فِي بَلَدٍ لِلْإِفْكِ وَالزُّورِ فِيهِ أَلْفُ مِزْمَارٍ؟

الإفك والزور: الكذب والافتراء.. ففي البلد كثيرون ممن يزمرون للكاذبين ويمجدونهم. تسويد عمران القفيني

مَاذَا السُّكُونُ؟ أَلَا تَهْتَاجُ نَحْوَتُكُمْ أَنَّ الْعُرُوبَةَ قَدْ حُقَّتْ بِأَخْطَارٍ؟

ما ذا: أي ما هذا

١٠ الإنجليز يقتلون شابين

بغداد (١٩٢٨):

مَشَى نَعَشٌ يَجْرُ وَرَأَهُ نَعَشٌ سَحَابٌ مُقْلِعٌ قَفَى سَحَاباً

النعرش يأتي بعده نعرش والمشيوعون كالسحاب المقلع، المنكشف الزائل، الذي يقضي سحاباً زال قبله . يصور جمهورين كبيرين يشيعان نعرشين واحداً بعد الآخر

سَيَعْلَمُ مَنْ يَخَالُ الْجَوَّ صَفْواً بِأَنَّ الْجَوَّ مَمْلُوءٌ ضَبَاباً
وَمَنْ ظَنَّ الْمَجَالِسَ عَامِرَاتٍ بِمَدْحٍ، أَنَّهَا شُجِنَتْ سَبَاباً
وَلَوْ عَرَفْتُ بِلَادِي مَا أَرَادْتُ بِهَا النُّوَابُ لَمْ تُرِدْ انْتِخَاباً
وَقَدْ تَخِذُوا لِحُومِ بَنِيهِ زَاداً وَقَدْ لَبِسُوا جُلُودَهُمْ نِيَاباً
فِيَا وَطَنِي مِنَ النُّكْبَاتِ فَأَمَنْ فَقَدْ وَقَّتْكَ حَظُّكَ وَالنُّصَاباً
بهذا: أنت يا وطني آمن من حلول المصائب بك لأنك أخذت منها النصاب، أي النصيب، الوافي

١١ أزمات وصدمات

بغداد (١٩٢٩):

سَتَبْقَى طَوِيلاً هَذِهِ الْأَزْمَاتُ إِذَا لَمْ تُقْصِرْ عُمَرَهَا الصَّدَمَاتُ
مَشَتْ كُلُّ جَارَاتِ الْعِرَاقِ طَمُوحَةً سِرَاعاً، وَقَامَتْ دُونَهُ الْعَقَبَاتُ

الدول المجاورة تقدمت، والعراق بينه وبين التقدم عقبات، صعاب

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الَّذِينَ تَكَفَّلُوا بِإِنْقَاذِ أَهْلِيهِ هُمُ الْعَثَرَاتُ
من تكفلوا بإنقاذ أهل العراق هم أنفسهم العثرات، العقبات المعيقة

غَدَا يُمْنَعُ الْفَتْيَانُ أَنْ يَتَعَلَّمُوا كَمَا الْيَوْمَ، ظُلُمًا، تُمْنَعُ الْفَتَيَاتُ
أَقُولُ لِقَوْمٍ يَحْمَدُونَ أَنَاثَهُمْ وَمَا حُمِدَتْ فِي الْوَاجِبَاتِ أَنَاةُ
الأناة: التروي والبطء

بِأَسْرَعٍ مِنْ هَذِي الْخُطَى تُدْرِكُ الْمُنَى، بِطَاءٍ لَعَمْرِي مِنْكُمْ الْخُطَوَاتُ
تحقيق الأمانني إنما يتم بخطى أسرع من خطاكم البطيئة

١٢ الأمم تتعثر وتقوم.. وتندثر أيضاً

بغداد (١٩٢٩):

هَلْ أَنْقَذَ الشَّامَ كُتَّابٌ بِمَا كَتَبُوا أَوْ شَاعِرٌ صَانٌ بَغْدَاداً بِمَا نَظَّمَا؟
يَا أُمَّةً غَرَّهَا الْإِقْبَالُ نَاسِيَةً أَنَّ الزَّمَانَ طَوَى مِنْ قَبْلِهَا أُمَمَا
غرّ الأمة الإقبال، الازدهار، ونسيت أن الزمن طوى، أبداً، أمماً في السابق

سُـلِّحْـقَوْنَ فِـلَسْـطِـنَا بِأَنْدَلُسِ وَيَعْـطِفُونَ عَلَيْهَا الْبَيْتَ وَالْحَرَمَا
وَيَسْـلُبُونَكَ بَغْدَاداً وَجَلَقَةً وَيَتْرَكُونَكَ لَا لَحْماً وَلَا وَضْماً
سـيـلـبـونـك أيتها الأمة بغداد وجلقة، دمشق، ويتركونك وليس بك لحم ولا وضـم، والوضـم هو
الخشبـة التي يقطع عليها القصاب اللحم. . ولم ترض القافية هنا بكلمة عظم فجاء الشاعر بكلمة
رضيت عنها القافية ولم يرض المعنى

يَا أُمَّةً لِيُخْصِومَ ضِدَّهَا احْتَكَمْتُ كَيْفَ ارْتَضَيْتَ خَصِيماً ظالماً حَكَمَا
سَلِيِ الْحَوَادِثُ وَالتَّارِيخُ هَلْ عَرَفَا حَقّاً وَرَأياً بِغَيْرِ الْقُوَّةِ احْتَرِمَا

١٣ ضد الغالبية

أَنَا ضِدُّ الْجُمْهُورِ فِي الْعَبَثِ وَالتَّف كَبِيرٌ طُرّاً وَضِدُّهُ فِي الدِّينِ
الجمهور: الغالبية

كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ مُتَعٍ الْعِي شٍ وَمِنْ لَذَّةٍ بِهَا يَزْدَهِيَنِي
يزدهيني: يفرحني

ابْسِمِي لِي تَبْسِمُ حَيَاتِي، وَإِنْ كَا نَتَّ حَيَاةً مَلِيئَةً بِالشُّجُونِ
أيتها الحبيبة ابسمي لي فحياتي مملوءة بالشجون، الهموم
أَنْصِفْنِي تَكْفُرِي عَنْ ذُنُوبِ النَّاسِ طُرّاً، فَإِنَّهُمْ ظَلَمُونِي
طُرّاً: جميعاً

مَتَّعْنِي قَبْلَ الْمَمَاتِ، فَمَا يُدُّ رِيكَ مَا بَعْدَهُ وَمَا يُذْرِينِي
فَسَتُّغْرِينَ بِالْمَحَاسِنِ رَضُوا نَأً فَيُلْقِيكَ بَيْنَ حُورٍ وَعَيْنِ
بعد الموت ستذهبن ليوم الحساب وستقومين بإغراء رضوان حارس الجنة فيجعلك ضمن الحور العين

وَأَنَا فِي جَهَنَّمَ مَعَ أَشْيَا خُ غَوَاةٍ بِغَيِّهِمْ عَمَرُونِي
عَنْ بَسَارِي أَعْمَى الْمَعْرَةِ وَالشَّيْ خُ الزَّهَاوِيُّ مُقْعِداً عَنْ يَمِينِي
يحشر الجواهري نفسه، محقّقاً، مع اثنين من كبار الشاكرين في تاريخ شعرنا العربي: الزهراوي،
والمعري. . وزاد فجعل الزهراوي مقعداً حتى لا يكون المعري الوحيد صاحب العاهة

١٤ الشريف حسين

بغداد (١٩٢٩):

سَلامٌ عَلَى شَيْخِ الْجَزِيرَةِ كُلِّهَا سَلامٌ عَلَى تَارِيخِهِ الْمُتَأَلَّقِ

الشریف حسین کان شریف مکة، وجعله شیخ الجزيرة العربية كلها . . وفي هذا تعريض بحكام نجد
السعودیین الذین أخذوا الحجاز من الحسین

أبا فیصل بعض التَّعْزِي فَكَمْ رَمَتْ شَهَامَةٌ قَوْمٍ شَمَلَهُمْ بِالتَّفَرُّقِ
كثيراً ما شتت الشهامة شمل القوم وفرقتهم . . والحسین تفرق بنوه فمنهم من ملَّك الأردن ومنهم
من ملَّك العراق، وهو نفسه ذهب إلى قبرص متقیاً عن الحجاز سنة ١٩٢٥

ولي فيك قبل اليومِ غُرٌّ قَصَائِدٍ كفهاها سُموّاً أَنَّهَا بَعْضُ مَنْطِقِي
يكفي قصائدي فيك علواً أنها من شعري أنا

مِنْ اللَّاءِ غَذَاهَا جَرِيرٌ بِرُوحِهِ ولَاءَمَ شَطْرَئِهَا نَسِيجُ الْفَرَزْدَقِ
ومن قبلُ كانوا إن أرادوا انتِقَاصَةً مِنَ الشَّعْرِ قالوا عنه لم يَتَعَرَّقِ

كانوا ينتقصون من شعر الشاعر إذا لم يكن زار العراق وأقام بها «فتعرق» شعره

فإن لا تَبْذُ الْمُفْلِقِينَ فَإِنَّهَا يُقْصَرُ عَنْهَا شَاعِرٌ غَيْرُ مُفْلِقٍ
إن لم تَبْذُ، أي تَفُقْ، هذه القصيدة الشعراء المفلقين، الفحول، فإنها لا تصدر عن شاعر غير فحل

سَهَرْتُ لَهَا اللَّيْلَ التَّمَامَ أَجِيدُهَا أَغْوَصُ عَلَى غُرِّ الْمَعَانِي، وَأَنْتَقِي
الليل التمام: أطول ليلة في السنة

فَمَنْ يَتَنَكَّرُ مِنْ هُمومٍ فَإِنِّي لَأُنَكِّرُ أَنْ أَعْتَادَ غَيْرَ التَّحَرُّقِ
من يتنكر من الهموم، يعتبر حضورها في نفسه شيئاً منكراً رديئاً، فانا أستغرب أن أعود شيئاً سوى
التحرق والتوهج

وَأُنَكِّرُ نَفْسِي أَنْ تُرَى فِي انْبِسَاطَةٍ وَأُنَكِّرُ صَدْرِي أَنْ يُرَى غَيْرَ ضَيْقٍ
أَخِفُ إِلَى الْمَرَاةِ كُلَّ صَبِيحَةٍ أَرَى هَلْ أَشَابَ الْهَمُّ بِالْأَمْسِ مَفْرِقِي
أخف، أسرع، إلى المرأة، صباحاً لأرى هل جعل الهم مفرق رأسي يشيب مما عانيته ليلاً من هموم

١٥ جنس الشعراء

بغداد (١٩٣١):

غريبٌ عَالَمُ الشعراءِ تَقْسُو ظُرُوفُهُمْ، وَأَلْسُنُهُمْ تَرِقُ
كـبعضِ الناسِ هُمْ، فإذا اسْتَشِيرُوا فـبينَهُمْ وـبينَ الناسِ فَرَقُ

١٦ علي وعمر

قال الجواهري محبياً بعثة الجامعة المصرية إلى العراق، بغداد (١٩٣١):

إِنَّ السِّيَاسَةَ لَمْ تُبَقِّ- عَلَى الْبِلَادِ وَلَمْ تَذَرِ
وَبِرْغَمِ مَا فِي الرَّافِدَيْنِ- مِنْ الْمَصَائِبِ وَالْغَيْرِ
الغیر: المصائب

وَبِرْغَمِ أَنَا قَدْ تَزَعَّ- مَ عِنْدَنَا حَتَّى الْبَقَرِ
فَهُنَا شَبَابٌ نَاهِضُو- نَ عُقُوقَهُمْ إِحْدَى الْكُبَرِ
عقوقنا نحن للشباب وتخلينا عنهم إحدى الكبر، الآثام

تَمْشِي عَلَى نُورِ الثَّقَا- قَةِ مَشْيِ مُوْتَوِي الظَّفَرِ
تمشي الشباب على نور الثقافة بثقة بالظفر، الفوز. لم تقعد كلمة «واثق» في صندوق الوزن فأقعد
الشاعر موثقاً... وصلت الفكرة

فِيهَا الشَّجَاعَةُ مِنْ عَلَيٍّ- وَالسِّيَاسَةُ مِنْ عُمَرَ
شَوْقِي يَعْيشُ كَمَا يَلِي- نِ بِمَنْ تَفَكَّرَ أَوْ شَعَرَ
يعيش أحمد شوقي عيشة منعمة تليق بالمفكر وبالشاعر

وَتَحُوطُ إِبْرَاهِيمَ عَا- طِفَّةُ الْأَمِيرِ مِنَ الصُّغَرِ
وحافظ إبراهيم تحوطه رعاية أمير الشعراء شوقي من وقت أن كانا صغيرين... ليس كذلك
بالضبط... فقد كان بينهما دائماً تنافس، وانتقد حافظ شوقي في كتابه «اليالي سطيح»، ثم صارا
صديقين ودودين في آخر عشرين سنة من حياتهما، وسيموتان كلاهما بعد سنة واحدة من قصيدة
الجواهري هذه

أَمَّا هُنَا فَالشَّعْرُ شِيءٌ لِيَلْتَمَلُحَ يُدْخِرُ
أما في العراق فالشعر يدخر ويخبأ للتملح، للتسليّة

١٧ الطموح

بغداد (١٩٣١):

مَضَتْ حِجَجٌ عَشْرٌ وَنَفْسِي كَأَنَّهَا- مِنْ الْغَيْظِ سَيْلٌ سُدَّ فِي وَجْهِهِ الْمَجْرَى
حجج: سنوات

خَبِرْتُ بِهَا مَا لَوْ تَحَلَّلْتُ بَعْدَهُ- لَمَا اَزْدَدْتُ عِلْمًا بِالْحَيَاةِ وَلَا خُبْرًا

وَأَبْصَرْتُ مَا أَهْوَى عَلَى مِثْلِهِ الْعَمَى وَأَسْمِعْتُ مَا أَهْوَى عَلَى سَمْعِهِ الْوَقْرَا
أَبْصَرْتُ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَحِبُّ لَوْ عَمِيتَ فَلَمْ أَرَهَا، وَأَسْمَعُنِي النَّاسُ أَشْيَاءَ كَانَ الْوَقْرُ، ضَعْفُ السَّمْعِ،
أَحِبُّ إِلَيَّ مِنْ سَمَاعِهَا

وَلَيْسَ بِحُرٍّ مَنْ إِذَا رَامَ غَايَةً تَخَوَّفَ أَنْ تَزِمَنِي بِهِ مَسْلَكَاً وَعَرَا
رام غاية: سعى نحو هدف

وَمَا أَنْتَ بِالْمُعْطِيِ التَّمَرَّةَ حَقَّةً إِذَا كُنْتَ تَخْشَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَعْرِى
مَشَى الدَّهْرُ نَحْوِي مُسْتَتِيراً خُطُوبُهُ كَأَنِّي بِعَيْنِ الدَّهْرِ قَبِصَرُ أَوْ كِسْرَى
وَقَدْ كَانَ يَكْفِي وَاجِدٌ مِنْ صُرُوفِهِ لَقَدْ أَسْرَقْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ زُمْراً تَتْرَى
من صروفه: من مصائب الدهر، تترى: متواترة متتابعة

وَمَا كَانَ ذَنْبِي عِنْدَهُ غَيْرَ أَتْنِي إِذَا مَسَّنِي بِالْخَيْرِ لَمْ أَطْلِ الشُّكْرَا
طُمُوخٌ يُرِينِي كُلَّ شَيْءٍ أَنَالُهُ وَإِنْ جَلَّ قَدْرًا، دُونَ مَا أَبْتَغِي قَدْرَا
حُبِيتُ بِنُدْمَانٍ وَخَمَرٍ فَمَا ظَنَنِي بِأَنِّي لَا مُلْكَاً حُبِيتُ وَلَا قَصْرَا
حُيت: أُعْطِيتُ

وَلَوْ بِهِمَا مُتَّعْتُ مَا زِلْتُ سَاخِطاً عَلَى الدَّهْرِ، إِذْ لَمْ يَحْبُنِي حَاجَةً أُخْرَى
وَجُوزِيْتُ شَرّاً عَنْ طُمُوحي، فَهَا أَنَا بِرَغَمِي لَا خَلّاً تَخِذْتُ وَلَا خَمْرَا
لَا حَصَلَتْ عَلَى خَمْرٍ وَلَا عَلَى خَلٍ. وَصَانَعُ النِّيْدِ إِذَا لَمْ يَحْسَنْ عَمَلَهُ تَحُولُ عَصِيرُ عَنَبِهِ إِلَى خَلٍ لَا
خَمْرَ.. وَالْخَلُّ أَقْلُ سَعِراً بَكْثِيرٍ

وَإِنْ تُلْهِبِ الشَّكْوَى قَوَائِي حُرْقَةً وَغِيظاً فَلِئَنِّي قَادِحٌ كَبِداً حَرَى
وَلَوْ حُمَّ لِي أَنْ أَحْكُمَ النَّاسَ سَاعَةً وَأَنْ أَتَوَلَّى فِيهِمُ النَّهْيَ وَالْأَمْرَا..
حم: قُضِيَ. كُلُّ وَاحِدٍ فِينَا يَحْلُمُ أَنْ يَتَحَكَّمَ فِي رِقَابِ النَّاسِ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ الزَّمَنِ لِيرْفَعَ رَايَةُ
الْعَدْلِ.. هَكَذَا نَظَنُّ كَلْنَا. وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ غَشُومٌ. فَلَوْ جَاءَتْهُ سَاعَةٌ كَهَذِهِ السَّاعَةِ لَمَا صَنَعَ إِلَّا مَا
يَصْنَعُهُ كُلُّ طَاغِيَةٍ. مُحَمَّدٌ مَهْدِي الْجَوَاهِرِي يُرِيدُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ أَنْ يِعَاقِبَ الْمُنَافِقِينَ الطَّعَانِينَ فِي
الظَّهْرِ

لَمَزَقْتُ وَجْهًا بِالْخَدِيعَةِ بِاسِماً وَلَا شَيْئَ تُغَرِّأُ بِالضَّغِينَةِ مُفْتَرَاً
لا شيت: أفيت، مفترأ: مبتسماً

وَقَطَّعْتُ كَفِّي مَنْ يَمُدُّ يَمِينَهُ يُصَافِحُنِي فِي حِينَ تَطْعُنُنِي الْيُسْرَى

١٨ النواميس المفسرة

بغداد (١٩٣١):

حُرْيَةُ الْفِكْرِ مَا زَالَتْ مُهَدَّدَةٌ فِي الرَّافِدِينَ بِهَمَّازٍ وَمَشَاءٍ
هَمَاز: مُغْتَاب، مَشَاء: يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ نَاقِلًا أَقْوَالَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ إِفْسَادًا، وَتَمَامِ الْعِبَارَةِ الْقَرَأَنِيَّةِ:
مَشَاءَ بَنِيمٍ

وَبِالنَّوَامِيسِ مَا كَانَتْ مُفَسَّرَةً إِلَّا لِصَالِحِ هَيْئَاتٍ وَأَسْمَاءٍ
النواميس: القوانين، ما كانت: لم تكن. بعد سنين سيجد الجواهري نفسه مقرباً من وزير معارف،
وسيطب منه طلباً واحداً: أن يجعل ولده ينتج في إحدى السنوات بالمدرسة الثانوية بعد أن
أسقطته درجاته المدرسية، وكان للجواهري ما أراد. المصدر: مذكرات الجواهري

١٩ عذبيني لو سمحت

بغداد (١٩٣٢):

لَا تَشْخِي وَلَا تَجُودِي، وَلَكِنْ أَتُرْكِينِي مَا بَيْنَ جَزْرِ وَمَدٍّ
ثُمَّ قَوْلِي هَاكَ الَّذِي تَبْتَغِيهِ ثُمَّ لَمَّا أَقُولُ: هَاتِيهِ، رُدِّي
لَوْحَةً مَا لَهَا النَّظِيرُ وَقُوفٌ أَلْ عَاشِقِ الصَّبِّ بَيْنَ أَخْذٍ وَرَدٍّ
هذه لوحة نفسية لا نظير لها: وقوف الصب، أي العاشق، محتاراً في أمر المعشوق

لَا لِأَجْلِي لَكِنْ لِأَجْلِ التَّلَهِّيِّ بِقَوَائِي حَرَكَاتٍ بَعْضُ وَجَدِي
يريدها أن تحرك وجدّه، أي غرامه، ليس لأجله بل كي يتلّه، ويتلى، بالقوافي أي يقول شعراً

٢٠ أسود وثلالب

بغداد (١٩٣٢):

وَفَاتَتْ أَنْسَاءً قُدْرَةً فَتَمَسَكْنُوا وَلَمْ يُخْلَقُوا أَسْدًا، فَعَاشُوا ثَعَالِبًا
إِلَى رُوحِ مَكْيَافِيلٍ نَفْحُ تَحِيَّةٍ وَصُوبُ غَمَامٍ يَتْرُكُ الْقَبْرَ عَاشِبًا
أهدي نفح تحية، أي تحية منقوطة بمنوحة، إلى روح مكيافيلي الإيطالي صاحب كتاب «الأمير»
الذي وصف غشم القوي وصلفه ودهاء الضعيف ومكره، وأهديه دعاء بصوب غمام، أي بمطر،
يجعل العشب ينبت على جنبات القبر

أَبَانَ لَنَا وَجْهَ الْحَقِيقَةِ بَعْدَمَا أَقَامَ الْوَرَى سِتْرًا عَلَيْهَا وَحَاجِبًا
وَلَوْ رُمْتُ لِلْمَعْرُورَاتِ كَشْفًا أَرَيْتُكُمْ مِنْ النَّاسِ حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ عَجَائِبًا

٢١ إقرار بالتفوق لشوقي

قال الجواهري ضمن رثاء أحمد شوقي، وكان رثى حافظاً قبله، بغداد (١٩٣٢):
لقد فات بالسَّبقِ كلَّ الحِيا في الشعرِ هذا الجوادُ الأغرَّ
الجواد الأغر: الفرس الذي في جبهته غرة بيضاء

كَأَنَّ عُيُونََ القوافي الحسا ن، مِنْ قَبْلُ كَانَتْ لَهُ تُدَخَّرُ

٢٢ تغير حُسن الجعفري

قال الجواهري وزار في سامراء أطلال «الجعفري»، قصر الخليفة المتوكل على الله:

والجَعْفَرِيُّ فلم يُقَصِّرَ رَسْمُهُ الد باقِي بِرَغَمِ الدهرِ عن تمثيلِهِ
الجعفري، قصر الخليفة العباسي جعفر المتوكل، قبل نحو ١٢٠٠ سنة، لم تقصر رسومه، أي
أطلاله، في تمثيل القصر، أي إعطاء صورة عما كان عليه. . رغم مرور كل هذه السنين

بادي الشُّحوبِ، تكادُ تَقْرَأُ لَوَعَةً لِنعيمِهِ المسلوبِ فوق طُلُولِهِ
وكأنما هُوَ لم يَجِدْ عن جَعْفَرٍ بَدَلًا يُسَرُّ بِهِ، ولا عن جِيلِهِ
جعفر المتوكل الخليفة الذي بناه

ولقد شَجَّنِي عِبْرَةٌ رَقْرَاقَةٌ حَيْرَانَةٌ فِي العَيْنِ عند دُخُولِهِ
إِنِّي سَأَلْتُ الدهرَ عن تَخْطِيطِهِ عن سَطْحِهِ، عن عَرْضِهِ، عن طُولِهِ
فأجَابَنِي: هَذِي الخُرْبَةُ صَدْرُهُ والبَلَقُ الخالي مَجَرُّ ذُبُولِهِ
صدر القصر، واجهته، هي هذه الأطلال الخربة، ومجر ذبوله، أي بقية مرافقه، بلقع خال، أرض
قاحلة

وَسَلِ الرِّيحَ السَّافِيَاتِ فَإِنَّهَا أَدْرَى بِكُلِّ فُرُوعِهِ وَأَصُولِهِ
السافيات: التي تأتي بالتراب

وَتَعْلَمَنَّ أَنَّ الزَّمَانَ إِذَا انْتَحَى شُهِبَ السَّمَاءِ كَانَتْ مَدَاسَ خُبُولِهِ
انتحى: قصد

مَدَّتْ بَنُو العَبَّاسِ كَفَّ مُطَاوِلٍ فَمَشَى الزَّمَانُ لَهُمْ بِكَفِّ مَغُولِهِ
استطال بنو العباس ومدوا سلطانهم فوق الناس، فنكبهم الزمن بالمغول الذين أنهوا خلافتهم في
العراق

٢٣ تقصير اللغة

بغداد (١٩٣٢):

كَمْ فِي الطَّبِيعَةِ مِنْ مَعْنَى يُضَيِّعُهُ عَلَى الْقَرَاتِيسِ نَقْصٌ فِي التَّعَابِيرِ
القراطيس: الأوراق

حَتَّى كَأَنَّ عَيُونََ الشَّعْرِ يُعَوِّزُهَا وَصَفُ الدَّقَائِقِ مِنْ هَذِي التَّصَاوِيرِ
فَمَا تُلِمُّ بِهَا إِلَّا مُقَارَبَةً وَلَا تُحِيطُ بِهَا إِلَّا بِتَقْدِيرِ
يتألم الشاعر، وحق له، لأن الشعر واللغة عاجزان عن أداء المعاني.. هذه أبيات يقولها رجل كان
يمد يده عميقاً داخل روحه وهو يقول الشعر، ويحاول أن يمسك بأبداع سمكة ملونة.. ثم قد
تخرج يده وبها سمكة شبوط

٢٤ إذا لم تكن ذنباً..

بغداد (١٩٣٣):

دَعِ النَّبْلَ لِلْعَاجِزِ الْقُعْدُودِ وَمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ مَغْنَمٍ فَارْزُدِ
القعدود: القاعد عن القتال، الجبان

وَلَا تُخْذَعَنَّ بِقَوْلِ الضُّعَافِ مِنَ النَّاسِ إِنَّكَ عَفُ الْيَدِ
الضعاف يمدحونك لأنك نظيف اليد.. فلا تنخدع بذلك، أنت فقط جبان لا يجرؤ على الوصول
إلى الشمار المحرمة

سَفَاسِيفُ تَضْحَكُ مِنْ أَمْرِهَا صَرَامَةٌ ذِي الْقُوَّةِ الْأَيْدِ
أقوال الناس هذه سفاسف، أي سخافات، يضحك منها الأيد، أي القوي

فَلَا تَغْدُ طَوْعاً لَأَمْثَالِهَا مَتَى مَا تُغَرَّرُ بِهَا تَنْقَدِ
فلا تنخدع بأقوالهم، فإنك إن تغرر بها وتنخدع أصبحت مقوداً لا حراً

إِلَيْكَ النَّصِيحَةُ مِنْ مُضْطَلِّ بِنَارِ التَّجَارِبِ مُسْتَحْصِدِ
مستحصد: مجرب ناضج

رِدِّ الْعَيْشَ مُزْدَحِمَ الضَّفَقَتَيْنِ مِنَ الْغِشِّ مُلْتَحِمَ الْمَوْرِدِ
رد العيش، عليك ورود العيش، وهو كالنهر المزدحمة ضفتاه بالغش وقد التحم الناس وتكاثفوا
وتقاتلوا على الخيرات

وَكُنْ رَجُلَ السَّاعَةِ الْمُجْتَلِي مِنَ الْيَوْمِ مَا يُرْتَجَى فِي غَدِ
كن رجل الساعة الواقعي الذي يجتلي، أي يرى، اليوم ما يرجى حدوثه غداً.. أي أنه ذو بصيرة

إِذَا مَا مَحَضَّتْ نَفُوسَ الرِّجَالِ: مِنَ الْأَقْرَبِينَ إِلَى الْأَبْعَدِ..

محضت: محضت وفحصت بدقة

تَيَقَّنْتُ أَنَّ الَّذِي يَدْعُونُ مِنَ الْمَجْدِ لِأَنَّ لَمْ يُوَلَّدِ

المجد كما يصفونه شيء خرافي لم يوجد بعد

هُمُ النَّاسُ لَا يَفْضُلُونَ الْوُحُوشَ بِغَيْرِ التَّحِيلِ لِلْمَقْصِدِ

الناس يتميزون عن الوحوش فقط بأنهم ذوو حيلة في الوصول إلى مقاصدهم

فَلَا تَأْتِ سَاحَةٌ هَذِي الذُّثَابِ تُنَازِلُهَا بِفَمٍ أَدْرَدٍ

فم أدرد: فم سقطت أسنانه

وَمَا اسْطَعْتَ فَاقْطَعْ يَدَ الْمُعْتَدِي عَلَيْهِ، وَقَبَّلْ يَدَ الْمُعْتَدِي

كن ظالماً - ذلك أحسن من أن تكون مظلوماً - وشارك الظالمين في قطع يد الضعيف الذي اعتدي عليه، وقبّل يد المعتدي.. يا لها من نصيحة.. لكننا رأينا كثيراً من الرجال «الناجحين» يرمون كل المبادئ في سلة المهملات حرصاً على أن يكونوا مع القوي، وعلى من يخدم مصالحهم. قال البريطاني بول ميسون، في كتاب له صدر عام ٢٠١٥: «في أغسطس ٢٠١٤، قضيت عشرة أيام في غزة، في مجتمع يتم تدميره تدميراً منتظماً بقصف طائرات بلا طيار، وبالقفص المدفعي، وبالقتل. قتل ١٥٠٠ مدني، ثلثهم أطفال. وفي فبراير ٢٠١٥ رأيت الكونغرس الأمريكي يصفق واقفاً خمساً وعشرين مرة للرجل الذي أعطى الأوامر بتلك الهجمات» اه بول ميسون

أَقُولُ لِنَفْسِي وَقَدْ عَرَبِدْتُ رِجَالاً لِغَايَاتِهَا: عَرَبِدِي

وَأَنَّكَ إِنْ لَمْ تُتَوَاتِي الْحَيَاةَ بِنَفْسِ الْمُخَاطِرِ تُسْتَعْبِدِي

يا نفسي إذا لم تواتي الحياة، تُقبلي عليها، بنفسية المجازف فسيكون نصيبك الاستعباد

٢٥ التجارب المؤذية

بغداد (١٩٣٤):

لَمْ يَبْقَ مَنْ يَسْتَشِيرُ الشَّعْرَ نَخْوَتَهُ وَمَنْ يُحَرِّكُهُ لُطْفُ التَّرَاكِبِ

تعليق عمران القفيني: (يبدو أن الشعر سيخيب ظننا - ونرجو ذلك - ويبقى صامداً. في زمن الجواهري «لم يبق من يستشير الشعر نخوته»، وفي زمن المتنبي قبله بأكثر من ألف سنة كذلك تعب «بيع الشعر في سوق الكساد»، وإن قصد المتنبي شيئاً في ذلك السياق، إلا أنه كان يشكو كساد بضاعته في المحصلة)

أَعْلَى مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَ الْقَوْمِ مَنْزِلَةٌ نَفْخُ الْبُطُونِ وَتَطْرِيزُ الْجَلَابِيبِ

أهم من الشعر عند الناس أن يأكلوا حتى الانتفاخ، وأن يلبسوا الجلابيب المطرزة

قالوا: استفدت من الأيام تجرّيةً. والموت أروح من بعض التجاربِ
قالوا لي إنك استفدت من مصائب الأيام تجارب، وأقول إن الموت أروح، أخف وقعاً، من بعض
التجارب التي يمر بها الإنسان

تُعْفِي الشَّدَائِدُ أَقْوَاماً بِلا أدبٍ وَتَبْتَلِي غَيْرَ مُحْتَاجٍ لِتَأْدِيبٍ

٢٦ الْجَلْب

بغداد (١٩٣٤):

أَلَا إِنَّ وَضَعَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ عِنْدَنَا غَرِيبٌ، وَأَهْلُ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ أَغْرَبُ
الأمر والنهي: يقصد الحكم

تَدَاوَلَ هَذَا الْحَكَمَ نَاسٌ لَوْ أَنَّهُمْ أَرَادُوهُ طَيْفَافاً فِي مَنَامٍ لَخَيَّبُوا
تداول الحكم، وتبادله فيما بينهم، ناس غير لائقين للحكم حتى لو أنهم - في أوضاع طبيعية -
أرادوا أن يحملوا به حُلماً لما استطاعوا

وإِنَّ مِنَ الْمُسْتَحْدَثِ الْحَكَمِ عَادَةً يَرَى فُرْصَةً مِنْهُ اقْتِدَاراً فَيَضْرِبُ
إنها لعادة عند المستحدث الحكم، الجديد عليه، أن يقتصص الفرصة فيضرب بقسوة. وفي هذا
تعريض بالملك فيصل وبمن جاء معه من سورية وأصبح يتحكم في الناس بالعراق، ومن هؤلاء
ساطع الحصري المسؤول عن التعليم، وكان الجواهري ناقماً عليه

وَمَا جِئْتُ أَهْجُوهُ فَلَمْ يَبْقَ مَوْضِعٌ نَزِيهٌ لَهُ بِأَلْهَجٍ يُؤْتَى فَيُثْلَبُ
يثلب: يذم

أَفَنِي كُلَّ يَوْمٍ بِالْعِرَاقِ مُؤَمَّرٌ غَرِيبٌ بِهِ، لَا أَلَمٌ مِنْهُ وَلَا أَبٌ
مؤمَّر: صاحب أمر ونهي

أَكُلُ بَغِيضٍ يُثْقَلُ الْأَرْضَ ظِلُّهُ وَتَأْبَاهُ، يُجَبِّي لِلْعِرَاقِ وَيُجَلِّبُ؟
أكل شخص بغيض، كرهه، ثقیل.. وحتى ظله على الأرض ثقیل، وترفضه الأرض يجبي، يؤتى
به، للعراق؟

٢٧ أَحَبَّ نَفْسَكَ

بغداد (١٩٣٤):

لِأَمِّ الْقَوَافِي الْوَيْلُ إِنَّ لَمْ يَقُمْ لَهَا ضَجِيجٌ، وَلَمْ تَرْتَجَّ مِنْهَا الْمَحَافِلُ
الويل للشعر إن لم يكن مؤثراً

أَرَى الْقَوْمَ مَنْ يَفْذَعُ يُقَرَّبَ إِلَيْهِمْ وَمَنْ يَجْتَنِبُ يَكْثُرُ عَلَيْهِ التَّحَامُلُ

الشاعر المقذع، الشَّام، يصبح مقرباً لتفادي ضرره، ومن يجتنب الشتم يتحاملون عليه

وَأَعْلَمُ عِلْماً يَقْطَعُ الظَّنَّ أَنَّهُ لِكُلِّ امْرِئٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَوَازِلُ

أعرف يقيناً أن الإنسان يجد من يعذله، يلومه، على كل شيء يأتي به. تسويد عمران القفيني

فَمَا اسْطَغَتْ فَاجِعِلْ دَابَّ نَفْسِكَ خَيْرَهَا وَلَا تُدْخِلَنَّ النَّاسَ فِيمَا تُحَاوِلُ

فَمَا الْحُرُّ إِلَّا مَنْ يُشَاوِرُ عَقْلَهُ وَأُمُّ الَّذِي يَسْتَنْصِحُ الْغَيْرَ شَاكِلُ

نَصِيحُكَ إِمَّا خَائِفٌ أَوْ مُعَرَّرٌ كَلَا الرَّجُلَيْنِ فِي الْمِلَمَّاتِ خَاذِلُ

الذي تطلب نصيحته إما خائف فلا يمحضك النصح، أو مغرر، مضلل، وكلاهما يخذلك في الملمات، الصعاب الطارئة

٢٨ الحكم بالترقيع

بغداد (١٩٣٤):

هُوَ الْحُكْمُ، إِنْ حَقَّقْتَ، لُعْبَةً لَاعِبٍ يُسَمُّونَ تَرْقِيعَاتِهِ بِالتَّجَارِبِ

الحكم مجرد ترقيع وإرضاء فلان على حساب فلان، ويسمون هذا الترقيع «التجارب». «هو» في أول البيت ضمير شأن كَقَوْلِهِ هُوَ اللَّهُ أَكْبَرُ وقد أُولع به شعراء العراق

فَتَجْرِبَةٌ لِلْحُكْمِ خَلَقَ مُوْظِفٍ وَتَجْرِبَةٌ لِلشَّعْبِ تَخْرِيجُ نَائِبٍ

فمن هذه «التجارب» خلق وظيفة لموظف، ومنها انتخاب الشعب لنائب

وإِنَّ بِلَاداً بِالتَّجَارِبِ هُدِمَتْ وَضُيِّعَ أَهْلُهَا لِأَحَدِي الْعَجَائِبِ

تُعْطَلُ أَرْبَابُ الْمَوَاهِبِ رَيْثَمَا يُتَمَّمُ تَخْرِيجُ الضُّعَافِ الْمَوَاهِبِ

يتم تعطيل أصحاب المواهب بحجة منح فرصة للصف الثاني... والنتيجة تخريج، وتعيين، غير الموهوبين. ومن ذلك تعيين الجواهري، وهو الشاعر الفصيح، مدرساً في مدرسة ابتدائية، وحجب المناصب اللائقة به عنه

مِنَ الظُّلَمِ أَنْ تَأْتِيَ قَصِيدَةُ شَاعِرٍ لِتُصْلِحَ حَالاً، أَوْ مَقَالَةُ كَاتِبٍ

فَمَا دَامَ حُكْمُ لِلتَّجَارِبِ رَاهِناً فَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ انْتِظَارِ الْعَوَاقِبِ

ما دام الحكم في بلادنا مرهوناً للتجارب فلن تنفع فيه القصائد والمقالات، بل نجلس وننتظر العواقب، النتائج

وَمَا خَيْرُ شَعْبٍ لَسْتُ تَعْتَرُّ بَيْنَهُ عَلَى قَارِيٍّ مِنْ كُلِّ أَلِفٍ وَكَاتِبٍ

وما خيرُ شعب: أي لا خير في شعب، أسلوب قديم

تَمْشَى يَجُرُّ الْفَقْرَ رِذْأً وَرَاءَهُ؛ وَأَتَعَسَ بِمَصْحُوبٍ وَأَتَعَسَ بِصَاحِبِ
مشى هذا الشعب يجر الفقر وراءه كأنه أردفه خلفه على حصان؛ وما أتعس المصحوب، هذا
الراكب، وما أتعس صاحبه الفقر

٢٩ فيضان الفرات

(١٩٣٥):

طَفَى نَضُوعٌ مِنْهُ الْحَسَنُ وَالْخَطَرُ وَفَاضَ فَالْأَرْضُ وَالْأَشْجَارُ تَنْفَعِمُ
طفى الفرات بفيضانه فتضاعف جماله وخطره معاً

وَرَاعَتِ الطَّائِرَ الظَّمْآنَ هَيْبَتُهُ فَمَرَّ وَهُوَ جَبَانٌ فَوْقَهُ حَذِرُ
الطيور خافت هيبة النهر إذ فاض

هُوَ الْفَرَاتُ وَكَمْ فِي أَمْرِهِ عَجَبٌ فِي حَالَتَيْهِ، وَكَمْ فِي آيِهِ عِبَرُ
بَيْنَا هُوَ الْبَحْرُ لَا تُسْطَاعُ غَضْبَتُهُ إِذَا اسْتَشَاظَ فَلَا يُبْقَى وَلَا يَذَرُ..
بينما الفرات كالبحر لا يطيق الناس غضبه..

إِذَا بِهِ وَاهِنُ الْمَجْرَى يُعَارِضُهُ عُودٌ، وَيَمْنَعُهُ مِنْ سَيْرِهِ حَجَرُ
إذا به بعد حين واهن المجرى، ضعيف الجريان، يعترض مجراه عود فيؤثر فيه، ويعترضه حجر
فينع جريانه

٣٠ الكراسي الشواغر

بغداد (١٩٣٥):

تَصَفَّحْتُ أَعْمَالَ الْوَرَى فَوَجَدْتُهَا مَخَازِي غَطَّوْهَا بِشَتَّى السَّنَائِرِ
وَحُبِّبَ تَدْلِيْسٌ، وَدُمَّتْ صَرَاخَةٌ
وَلَمْ يَبْقَ مَعْنَى لِلْمَنَاصِبِ عِنْدَنَا
تُسَنُّ ذُبُولٌ لِلْقَوَانِينِ يُبْتَغَى
وَكَانَتْ طِبَاعُ الْعِشَائِرِ تُرْتَجَى
وَكَانَ لَنَا مِنْهُمْ سِلَاحٌ فَأَصْبَحُوا
وَلَا تَحْسَبَنَّ الشَّعْرَ سَهْلًا مَهْبُهُ
لا تحسب الشعر سهل الهبوب وسط هذه المساوي..

فإنَّ عَظِيماً أَن يَخْلَدَ شَاعِرٌ مَخَازِي جِيلٍ بِالقَوَافِي السَّوَائِرِ
فإن عَظِيماً، فظيماً، أن يخلد الشاعر مخازي جيله بقصائد سائرة مشهورة

سَنُضَحِكُ قُرَاءَ التَّوَارِيخِ بَعْدَنَا وَنَبْدُو لَهُمْ فِيهِنَّ إِحْدَى النُّوَادِرِ
فلو قصرنا شعرنا على التنديد بالماوئ سيضحك منا قراء التاريخ مستقبلاً، وسيتندرون بنا

٣١ دموع يزيد

بغداد (١٩٣٥):

تَوَلَّى يَزِيدُ دَفَّةَ الحُكْمِ فَانطَوَى عَلَى الجَمْرِ مَنْ قَدْ كَانَ بِالحُكْمِ أَجْدَرَا
تولى يزيد الحكم بعد أبيه معاوية فأحس الجديرون بالحكم، من نسل علي، بجمر في أحشائهم

بَنُو هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ وَفِيهِمْ تَرَعَرَعَ هَذَا الدِّينُ غَرَساً وَأَثْمَرَا
هؤلاء هم بنو هاشم قوم النبي الذين ترعرع فيهم الدين مغروساً وحين أثمر وانتشر

تَرَدَّى عَلَى كُرْسِيِّهِ رِدَاءُ خِلَافَةٍ وَلَمْ يُلْقِ عَنْهُ بَعْدُ لِلْخَمْرِ مِثْرَا
تردى، لبس، يزيد ثوب الخلافة كارهاً له.. ذلك أنه لم يخلع عنه مئزر، أي ثوب، الخمر. وكان
يزيد صاحب شعر وخمر وسماع وصيد

وَشَقَّ عَلَيْهِ أَن يُصَوِّرَ نَفْسَهُ عَلَى غَيْرِ مَا قَدْ عُوِّدَتْ أَن تُصَوِّرَا
وشق عليه، صعب عليه، أن يصور نفسه بغير صورتها، فلم يغير عاداته

وَأَن يُبْتَلَى بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ مُكْرَهًا وَأَن يَجْمَعَ الضُّدَّيْنِ سُكْرًا وَمِنْبَرًا
وصعب عليه أن يبتلى بالأمر والنهي، أي بالحكم، وأن يجمع بين السكر واعتلاء المنبر لخطبة
الجمعة

عَلَى أَنَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ سَقَطَاتِهِ وَقَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الحُسَيْنِ تَأْثُرَا
لكنه رغم سقطاته، عيوبه، تأثر عندما ورده خبر مقتل الحسين بن علي

أَقُولُ لِأَقْوَامٍ مَضَوْا فِي مُصَابِهِ يَسُومُونَهُ التَّحْرِيفَ حَتَّى تَغَيَّرَا
أقول للشيعه الذي أخذوا يعرضون مصاب الحسين، نكبة كربلاء ومقتل الحسين، للتحريف حتى
تغيرت الرواية

دَعُوا رَوْعَةَ التَّارِيخِ تَأْخُذُ مَحَلَّهَا وَلَا تُجْهِدُوا آيَاتِهِ أَن تُحَوَّرَا
اتركوا روعة التاريخ، ذلك الفرع الذي حدث في التاريخ، تأخذ محلها التاريخي الحقيقي، ولا
تلوا أعناق الحقائق لكي تبدلوا آيات، علامات، التاريخ

٣٢ على قبر الزهاوي

بغداد (١٩٣٦):

على رَغْمِ أَنْفِ الْمَوْتِ ذِكْرُكَ خَالِدٌ تَرْنُ بِسَمْعِ الدَّهْرِ مِنْكَ الْقَصَائِدُ
لَقَدْ كُنْتُ فَخْرًا لِلْعِرَاقِ وَزِينَةً تُزَانُ نَوَادِيهِ بِهَا وَالْمَعَاهِدُ
وَكُنْتُ عَلَى خِصْبِ الْعِرَاقِيِّ شَاهِدًا إِذَا أَعْوَزْتَنَا فِي التَّبَاهِي شَوَاهِدُ
ثَوَى الْيَوْمَ فِي هَذِي الْحُفَيْرَةِ عَالِمٌ بِأَسْرَارِهَا، لِلَّهِ بِالْعَقْلِ نَاشِدُ
ثَوَى، أَقَامَ، بهذه الحفيرة، القبر، عالم بأسرار القبر والموت، وناشد، أي ساع، لمعرفة الله بالعقل

أَقَامَ عَلَى الْعِلْمِ الصَّحِيحِ اعْتِقَادَهُ عَدُوٌّ لِأَشْبَاحِ الْخُرَافَاتِ طَارِدُ
وَكَانَ نَقِيًّا فِكْرَةً وَعَقِيدَةً عَزِيزًا عَلَيْهِ أَنْ تُسِفَّ الْعَقَائِدُ

تسف: تحطّ

يُؤَكِّدُ أَنَّ الدِّينَ حُبٌّ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ وَاحِدُ
وَأَنَّ الَّذِي قَدْ سَحَّرَ الدِّينَ طَامِعًا يُتَاجَرُ بِاسْمِ اللَّهِ لِلَّهِ جَاوِدُ
جَمِيلٌ أَعَانَ الرَّافِدِينَ بِثَالِثٍ مِنَ الشُّعْرِ تَنْمِيهِ بِحُورٍ رَوَافِدُ
أعان بلاد الرافدين، نهري دجلة والفرات، رافد ثالث هو الشعر... وشعره كانت ترفده بخور من الفكر والفصاحة

٣٣ التكريم الموعود

بغداد (١٩٣٦):

حُبَانِي الْعِرَاقُ السَّمُحُ أَحْسَنَ مَا حَبَا بِهِ شَاعِرًا لِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ دَاعِيَا
رَجَاءٌ كَمَا اسْتَمْطَرْتُ فِي الصَّيْفِ مُزْنَةً وَرِزْقًا كَمَا أُسَارَتُ فِي الْكَأْسِ بَاقِيَا
منحني العراق أملاً ضعيفاً، كضعف أمل من يطلب المطر من مزنة، أي غيمة، في الصيف،
ومنحني رزقاً قليلاً كأنه ما أسارت، أي أبقيت في قعر الكأس

وَعَيْشًا إِذَا اسْتَعْرَضْتُهُ قُلْتُ عَنْده «كُفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا»
عندما أنظر في عيشتي في العراق أردد مع المتنبي قوله... يكفيك مما بك من الضيق الذي يشبه
الداء أن تعتبر الموت جيداً لأنه يشفيك

وَوَاعَدَنِي بَعْدَ الْمَمَاتِ احْتِفَاءً يُجَوِّدُ فِيهَا الْمُنْشِدُونَ الْمَرَاثِيَا
ووعدني العراق بعد مماتي باحتفاء ينشد فيه الشعراء المراثي، فالمرء يكرم بعد موته لا في حياته

٣٤ الخرافات

بغداد (١٩٣٧):

وَرَبُّ رُؤُوسِ بَرْزَةِ عَشَّشَتْ بِهَا خُرَافَاتُ جَهْلِ فَاشْتَكَيْنَ صُدَاعَا
برزة: مشهورة

وساوسُ لو حَقَّقَتْهَا لَوَجَدَتْهَا مِنْ الْمَهْدِ كَانَتْ أَذْؤِيًّا وَضِبَاعَا
أصل هذه الوساس والخرافات التي يؤمنون بها تخويف الطفل بالذئب والضبع وهو صغير
بها نَوَمْتُنَا الْأُمَّهَاتُ تَخَوُّفَا وَمَا أَيْقَظْتُنَا الْحَادِثَاتُ تِبَاعَا
وإنَّ شَبَابَا يَرْقُبُ الْمَوْتَ جَائِعَا مَتَى اسْتَطَاعَ عَنْ حَوْضِ الْبِلَادِ دِفَاعَا؟
الجائع لن يستطيع الدفاع عن الوطن

يَرَى فِي الصَّنَاعَاتِ احْتِقَارَا، وَيَزْدَهِي إِذَا طَمَّأَنَ التَّوْظِيفُ مِنْهُ طَمَاعَا
يحقر الشباب المهنة، ويزدهون، يفرحون، إذا طمأن التوظيف طمعهم في نيل الرزق
وَجَدْتُ جَبَانَا مَنْ وَجَدْتُ مَهْذَبَا وَجَدْتُ جَهْلَا مَنْ وَجَدْتُ شُجَاعَا
المهذب أجده جباناً، والشجاع.. اكتشف أنه جاهل

٣٥ نِعَمِ الْخَصْمِ

في ذكرى ياسين الهاشمي رئيس الوزراء، بغداد (١٩٣٨):

سَايَرْتُ حُكْمَكَ نَاقِمَا لَمْ أَدْرُعْ حِزْبَا، وَلَمْ أَرْحَفْ بِظِلِّ زَعِيمِ
عشت أثناء حكمك ناقماً معارضاً، ولكنني لم أتخذ حزباً درعاً لي، ولم أناصر زعيماً أثقياً ظله
حاشا! وَلَمْ أَهْتِفْ لِغَيْرِكَ دَاعِيَا أَوْ أَنْ أَخْصَّ سِوَاكَ بِالتَّقْدِيمِ
لم أكن داعية لغيرك، ولم أفضل غيرك عليك.. رغم معارضي لك

لَكِنْ طُمُوحٌ لَيْسَ يُرْضِي أَهْلَهُ أَنْ تَسْتَمِرَّ سِيَاسَةُ التَّرْمِيمِ
لكن، كان عندي طموح. ولا يرضى أصحاب مثل هذا الطموح بسياسة الترقيع والترميم غير الجذرية
سَايَرْتُ حُكْمَكَ نَاقِمَا، وَوَجَدْتُنِي بِإِزَاءِ شَهْمٍ فِي الْخَصَامِ حَلِيمِ
وجدت نفسي أمام رجل حلیم وشهم مع خصومه

رَحِبٌ بِنَقْدِ خُصُومِهِ مُتَفَتِّحٌ بِالْبِشْرِ آوَنَةٌ وَبِالتَّفْهِيمِ
رحب، واسع الصدر، لنقد يوجهه الخصوم إليه، ويستميل الناس بالبشر، والبشاشة، ويفهمهم مقاصده

يُعْطِيهِمْ نِصْفًا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ رَجُلٌ يَسُوسُ وَلَيْسَ بِالْمَعْصُومِ
يعطيهم نصفاً، يصفهم، وهو يدرك أنه رجل سياسة وليس نبياً معصوماً

٣٦ بكاء زوجة

في رثاء زوجته أم فرات، بغداد (١٩٣٩):

خَلَعْتُ ثَوْبَ اضْطِبَارٍ كَانَ يَسْتُرُنِي وَبَانَ كِذْبُ ادَّعَائِي أَنَّنِي جَلِيدُ
تركت التظاهر بالصبر، وتبين للناس أن ادعائي بأنني جلد، صبور، ادعاء كاذب
بَكَيْتُ حَتَّى بَكَى مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُنِي وَتُحِثُ حَتَّى حَكَانِي طَائِرٌ عَرِدُ

٣٧ الطبيعة ترقص

ألقاها في مهرجان بلبنان (١٩٣٩):

زَهْوُ حُمْرِ الْقَبَابِ فِي الْجَبَلِ الْأَخْضَرِ ضَرِي سَبِي كَزَهْوِ أَهْلِ الْقَبَابِ
إشراق القباب، الخيام، الحمر في هذه الجبال الخضراء بلبنان يسبي العقل مثل إشراق الناس هناك
وَالْكُرُومُ الْمُعَرَّشَاتُ حَبَالِي مُرْضِعَاتٍ كَرَائِمَ الْأَعْنَابِ
الكروم المعرشة، المرفوعة أغصانها فوق العرائش، حبل بالثمر.. وهي تُرضع من مائها عناقيد
العنب الكريمة، أي التي من النوع الأصيل الذي - كما سيأتيك - يصلح للخمر
حَانِيَاتٍ عَلَى الدَّوَالِي تَحَلَّى - نَ عَنَاقِيدَ زِينَةٍ لِلْكَعَابِ
تحنو الكروم بأوراقها على الفصوص الدوالي، والمتدلية، والمتحلية بالعناقيد التي تصلح زينة
لللكاب، للفتاة الشابة

رَافِعَاتِ الرُّؤُوسِ شُكْرًا، وَأُخْرَى سَاجِدَاتِ شُكْرًا عَلَى الْأَعْتَابِ
بعض غصون العنب رافع الرأس كأنما تشكر الله، وبعضها منبطح على الأرض ساجد شكرًا.
والأعتاب تذكر المرء «بالعبات المقدسة» في النصف بلد الشاعر، وفيها سجود كثير وعبادة
سِيلَنَّ فِي الْحَقْلِ مِثْلَ رُوحٍ لِحِجْسٍ وَتَمَدَّدَنَّ فِيهِ كَالْأَعْصَابِ
وتصايحن: أين، أين الندامي؟ وتغامزن ثم للأكواب
تصايحت الكروم: أين الندامي ليشربوا خمري؟ وتغامزن ثم، أي هناك، للأكواب المهيأة

وَتَخَازَرْنَ وَالْمَعَاصِرَ أَبْصَا رَأً حِدَادًا مَلِيَّةً بِالسَّبَابِ
تخازرت الكروم ومعاصر الخمر، أي نظر بعضها إلى بعض بأطراف العيون.. وهي نظرات غصبي
لأن المعاصر أبطأت في استقبال العنب لعصره

نظراتٍ كانتِ خطاباً بليغاً ولدى العاصرينَ فحوى الخطابِ
أصحاب المعاصر عندهم الجواب فسرعان ما سيأشرون القطف فالمصر
كيف لا تَرْقُصُ الطبيعةُ في أر ضٍ ثراها مُحَضَّبٌ بِالشَّرَابِ

٣٨ المهادنة

بغداد (١٩٤٠):

أنا اليومَ إذْ صَانَعْتُ أَحْسَنَ حَالَةً وأُحْدُوثةً مِنِّي كَغَيْرِ مُصَانِعِ
اليومَ إذْ صَانَعْتَ، دَارِيْتُ وَتَنَازَلْتُ، أَحْسَنَ حَالاً وأُحْدُوثةً، سيرةً، مما كنتَ عليه قبلكَ وأنا عنيدٌ
حَبَبْتُ جُذُوَّةً لَا أَلْهَبَ اللَّهُ نَارَهَا إذا كانَ حَتَمًا أَنْ تَقْضَ مَضَاجِعِي
فلتَنْطَفِئْ وَلِتُخَبِّ جَذْوَةً، جَمْرَةً، عَنَادِي، وَلَا أَعَادَ اللَّهُ اتِّقَادَهَا، إِنْ كَانَتْ سَتَقْضُ مَضَاجِعِي،
سَتَقْلِقُنِي.. ومؤكد أنها ستقلقني
بلى، وشكرتُ العُمَرَ أَنْ مَدَّ حَبْلَهُ إلى أَنْ حَبَانِي مُهْلَةً الْمُتَرَاجِعِ
وشكرتُ عمري لأنه طال، فمَنَحَنِي بِذَلِكَ مهلةً للترجيع عما كنتُ عليه
تَمَنَيْتُ مَنْ قَاسَتْ عَنَاءَ مَطَامِحِي تَعَوَّدُ لِيَتَهَنَّا فِي رَحَاءٍ تَوَاضَعِي
تمنيت لو تعود زوجتي المتوفاة أم فرات، التي عانت من طموحاتي، حتى تجد الهناء والراحة في
ظل تواضع هذه الطموحات والتخفف منها

٣٩ شكر

إلى نوري الأورفه لي، بغداد (١٩٤١):

كَمْ مِنْ يَدٍ بِيضَاءَ ضِيْقَتْ بِشُكْرِهَا دَزَعَا، وَعَاشَتْ - لَا تَضِيقَ - يَدَاكَ!
ما أكثر الأباذي البيض، المعاريف.. جمع معروف، التي لم أعرف كيف أشكرك عليها فضقت بها
دزعا؛ أَدْعُو الله أَنْ تَعِيشَ يَدَاكَ وَأَلَّا تَضِيقَ هَاتَانِ الْيَدَانِ
حَاشَايَ لَمْ أَذْلِفْ إِلَيْكَ تَزْلُفًا كَلًّا، وَلَسْتُ تُرِيدُهُ حَاشَاكَ
حاشاي أن أكون دلفت إليك، دخلت خلصة، دخول متزلف متملق.. وحاشاك أن تريد من المرء
مثل هذا التذلّل
لِلشَّعْرِ مِنْزِلَةً لَدَيْ أَجْلِهَا وَأُجِلُّهَا - لَوْ أَقْدِرُ - الْأَفْلَاكَ
لَكِنْ وَجَدْتُ الشَّعْرَ مِهْنَةً حَاجِزٍ إِنْ لَمْ يَقُمْ عَنِّي بِشُكْرِ نَدَاكَ
نداك: سخاوك

٤٠ المتشاغل

لبنان (١٩٤٢):

عَجَّ الرصيفُ بأسرابِ المَها وهفا قلبي بِزُفْرَةٍ قَنَاصٍ، ولم يَصِدْ
عج، ازدحم، الرصيف بأسراب الحسان، وهفا وتطلع قلبي إليهن وزفرت زفرة صياد.. لكن لم يصد
فَمِنْ مُوَافِيَةٍ وَغَدَاً، وَرَاقِبَةٍ وعداً، وأينَ التي وَفَّتْ ولم تَعِدْ؟
فواحدة منهن تعطي وعداً، وأخرى تترقب وعداً، ولكن أين التي وفّت حتى دون أن يكون هناك وعد؟
قَالُوا تَشَاغَلَ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ وَلَدٍ فقال نَهْدَاك: لِمَ يَشْغَلُهُ مِنْ أَحَدٍ
سِوَى رَضِيْعِي لِبَانٍ تُوْأَمُ حُبِّسَا رَهْنِ الْغِلَالَةِ إِشْفَاقاً مِنَ الْحَسَدِ
لم يشغلني سوى النهدين، اللذين كأنهما طفلان رضيعان محبوسان في غلالة، ثوب رقيق، كأنما
للاستار من عيون الحساد

٤١ السوفيت

قال الجواهري في معركة ستالينغراد التي صدّ فيها السوفييت الألمان، بغداد (١٩٤٣):

أُمُّ غُورَكِي لَيْتَ عِنْدِي وَخِيَهُ لِأَوْفِي بِنْتِكَ الْيَوْمَ النَّئَاءُ
يخاطب الأم بطلّة رواية «الأم» لمكسيم غوركي الروائي الروسي، ثم السوفيتي: ليت عندي إلهام
غوركي لكي أوفي بتك، المرأة الروسية المحاربة ضد الغزو الألماني، ما تستحقه من ثناء
لَوْ يَعُودُ الْيَوْمَ حَيًّا لَرَأَى مِثْلَهَا أَلْفًا تَهْزُّ الْبُلْغَاءُ
لو عاد غوركي للحياة لراى ألف امرأة مثلك تهز مشاعر البلغاء
بَلْ وَلَوْ أَنَّ غُورَكِي أُمُّهُ مِثْلُ هَٰذِي لَمْ يَبْزُ النَّبْعَاءُ
ولولا أن أم غوركي نفسه كانت مثل الأم التي كتب عنها لما بَزَّ البلغاء، تفوق عليهم
يَا تُؤْلُسْتُوِي، وَلَمْ تَذْهَبِ سُدَى ثَوْرَةُ الْفِكْرِ، وَلَا طَارَتْ هَبَاءُ
يخاطب روح الأديب الروسي تولستوي، الذي مات سنة ١٩١٠: لم تذهب سدى الثورة الفكرية
التي انبثقت عنك

يَا ثَرِيًّا وَهَبَ النَّاسَ الثَّرَاءَ قُمْ تَرَ النَّاسَ جَمِيعاً أَثْرِيَاءَ
يا تولستوي، أيها الثري الذي وهب ثروته للفلاحين، قم من قبرك لترى كيف أصبح الناس كلهم
أثرياء في ظل الحكم الشيوعي. (قد خاطب تولستوي وهو في قبره الشاعر حافظ إبراهيم في قصيدة
له «رقم ٣٩» في هذا الكتاب ضمن الفصل عن حافظ، وخاطبه في قبره أحمد شوقي في القصيدة
«رقم ١٣٤» هنا أيضاً)

فَمَ تَجِدُهُمْ مَالِكِي غَلَّتِهِمْ مِنْ عَلَى عَهْدِكَ كَانُوا أَجْرَاءَ
هَكَذَا الْفِكْرَةُ تَزْكُو ثَمَرًا إِنْ زَكَّتْ غَرَسًا وَإِنْ طَابَتْ نَمَاءَ

٤٢ الطحالب

بغداد (١٩٤٤):

أُمِّمْ تَجِدُهُ، وَنَلْعَبُ وَيُعَذِّبُونَ وَنَطْرَبُ

الأمم الأخرى تلقى العذاب بالجهد والعمل وخوض الحروب. . ونحن نظرب، والقصيدة من بنات الحرب العالمية الثانية

وَنَعِيشُ نَحْنُ كَمَا يَعِيبُ شُئْنَ عَلَى الضُّفَافِ الطُّحْلُبُ
مَنْطَفِئِينَ عَلَى الْوَجُو دِ نَعُومُ فِيهِ وَنَرُسُبُ
نُوحِي التَّطْيِيرَ كَالْفُرا بِ إِلَى النُّفُوسِ وَنُنْعَبُ

التطير: التشاؤم، النعيب: صوت الغراب

وَنُبْتُ رُعباً فِي الصَّفْو فِي بِمَا نَدُسُّ وَنَكْذِبُ
نَدْعُو إِلَى الْمُسْتَعْمِرِ نَ، لِسَوْطِهِمْ نَتَجَنَّبُ

ندعو لمهادنة المستعمرين كي نتجنب سياطهم. وكان رشيد عالي الكيلاني في العراق انقلب على الحكم في أوائل الأربعينات، ولكن الإنجليز خلال الحرب العالمية الثانية قمعوا انقلابه، وتعاون عدد من الساسة في العراق مع الإنجليز لتجنب بطشهم وللاتفاد بالتقرب منهم

نَهْوَى تَقَرُّبَهُمْ وَفِي هِ حَتَفْنَا يَتَقَرَّبُ
إِنْ الْعِرَاقَ بِمَا نُحَشُّ دُ ضِدَّهُ وَنُؤَلِّبُ

نؤلب: نحشد الرأي المعادي

بَيْتٌ عَلَى يَدِ أَهْلِهِ مِمَّا جَنَوْا يَتَخَرَّبُ
إِنَّ الْحَيَاةَ سَرِيعَةٌ وَجَرِيئَةٌ لَا تُغْلَبُ
وَتَدُوسُ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ عِ لِحَاقِهَا وَتُؤَدَّبُ

٤٣ المغامر المجاهر

قالها للرصافي وأجاب عنها الرصافي بقصيدة مطلعها: بَكَ الْيَوْمَ لَا بِي أَصْبَحَ الشَّعْرُ
زَاهراً/ وقد كنتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مِثْلَكَ شاعراً بغداد (١٩٤٤):

تَمَرَّسْتُ بِالْأُولَى فَكُنْتُ الْمَغَامِرَا وَفَكَرْتُ بِالْأُخْرَى فَكُنْتُ الْمَجَاهِرَا

الأولى: الدنيا، الأخرى: الآخرة

وَفَضَّلْتَ عَيْشاً بَيْنَ تِلْكَ وَهَذِهِ بِهَ كُنْتُ - بَلْ لَوْلَا - مَا كُنْتُ شَاعِراً

فضلت أن تعيش بين المغامرة في الحياة وبين المجاهرة برأيك في شأن الآخرة.. وبهذا كنت شاعراً ولولا تمسكك بالأمرين: المغامرة والمجاهرة لما كنت شاعراً

وَكُنْتُ جَرِيئاً حِينَ يَدْعُوكَ خَاطِرٌ مِنَ الْفِكْرِ أَنْ تَدْعُو إِلَيْكَ الْمَخَاطِرُ

كنت جريئاً حين يدعوك خاطر من خواطر الفكر لذا كأنك كنت تدعو المخاطر لتلم بك

عَلَى ثِقَةٍ أَنْ لَسْتُ فِي النَّاسِ وَاجِداً عَلَى مِثْلِهِ - إِلَّا الْقَلِيلَ - مُنَاصِراً

وكنث واثقاً أنك لن تجد مناصراً على مثله، على مثل ذلك الخاطر الفكري، إلا قليلين

وَكُنْتُ صَرِيحاً فِي حَيَاتِكَ كُلِّهَا وَكَانَ - وَمَا زَالَ - الْمُصَارِحُ نَادِراً

فإن شأبها ما لم تجد عنه ندحة شَفَعَتْ بِهِ حُكْمَ الظُّرُوفِ مُسَاطِراً

إن شاب الحياة ضرورة لم تجد ندحة عنها، مخرجاً منها، فإنك تسامر الناس بحكم الظروف، وليس لأنك تخلت عن فكرك. وهكذا كان الرصافي.. يهادن قليلاً ثم يعود ويطلق أفكاره الجريئة

فَقَدْ كُنْتُ عَنْ وَحْيِ الضَّرُورَةِ نَاطِقاً وَقَدْ كُنْتُ عَنْ مُحَضِّ الطَّبِيعَةِ صَادِراً

وإنني إذ أهدي إليك تحييتي أَهْزُ بِكَ الْجِيلَ الْعَقُوقَ الْمُعَاصِرَا

أَهْزُ بِكَ الْجِيلَ الَّذِي لَا تَهْزُهُ نَوَاسِئُهُ، حَتَّى تَزُورَ الْمَقَابِرَا

هذا الجيل العاق لا تهز وجدانه أفكار ومعاناة النوايغ إلا بعد موتهم. ومات الرصافي بعد القصيدة بسنة على سرير معدني من الذي لا يكلف سوى دينار، بحسب تقدير الجواهري الذي زاره في آخر أيامه، وبعد موته نصبوا له تمثالاً معدنياً أيضاً ولكنه كلف آلاف الدنانير

٤٤ قف بالمعرة

ألقاها في دمشق في الاحتفالات بألفية أبي العلاء المعري (١٩٤٤):

قَفْ بِالْمَعْرَةِ وَامْسَحْ خَدَّهَا التَّرْبَا وَاسْتَوْحِ مَنْ طَوَّقَ الدُّنْيَا بِمَا وَهَبَا

قف بالمعرة، بلد أبي العلاء، وامسح بكفك خدّها المغبر، واستوح، استنزل الوحي والإلهام، من شاعرها الذي طوق عنق الدنيا بطوق متمثل في فكره وأدبه

وَاسْتَوْحِ مَنْ طَبَّبَ الدُّنْيَا بِحُكْمَتِهِ وَمَنْ عَلَى جُرْجِهَا مِنْ رُوحِهِ سَكَبَا

أَبَا الْعَلَاءِ، وَحَتَّى الْيَوْمِ مَا بَرَحَتْ صَنَاجِدُ الشَّعْرِ تُهْدِي الْمُتَرَفَ الطَّرْبَا

يا أبا العلاء ما زالت صناجة الشعر، صاجاته الإيقاعية الرنانة، كمهدّها تطرب المترف، الغني. أي أن الشعر ما زال مجرد تسلية للأغنياء الممدوحين

يَسْتَنْزِلُ الْفِكْرَ مِنْ عُليا مَنَازِلِهِ رَأْسٌ لِيَمْسَحَ مِنْ ذِي نِعْمَةٍ ذَنْبًا
ترى رأس الشاعر، أي ذهنه، ينزل بالفكر من مراتبه العليا لكي يمسح ذيل ذي النعمة، الغني،
فيمدحه تملقاً

وَزُمْرَةُ الْأَدبِ الْكَابِي بِزُمَرَتِهِ تَفَرَّقَتْ فِي ضَلَالَاتِ الْهَوَى عَصَبًا
وزمرة الأدب الكابي بزمرته، الخامد بسبب هذه الزمرة، تفرقوا عصباً، جماعات شتى، وكلهم
منشغلون بضلالات أهوائهم، مصالحهم

تَصَيِّدُ الْجَاهِ وَالْأَلْقَابَ نَاسِيَةً بِأَنَّ فِي فِكْرَةٍ قُدْسِيَّةٍ لَقْبًا
هذه الزمرة تصيد، أي تصيد، الجاه والألقاب ناسية أن الفكر بما فيه من قدسية هو خير لقب

وَأَنَّ لِلْعَبْقَرِيِّ الْفَذُّ وَاحِدَةٌ إِمَّا الْخُلُودَ وَإِمَّا الْمَالَ وَالنَّشْبَا
وناسية أن العبقرى الفذ، المتفرد، له احتمال واحد من اثنين: الخلود أو نيل النشب، المال

على الحصير، وكوز الماء يرفده وذهنه، ورفوف تحمل الكتب..
وهو جالس على حصير وليس لديه سوى كوز ماء وذهن وقاد، وحوله رفوف عليها الكتب..

أَقَامَ بِالضُّجَّةِ الدُّنْيَا وَأَقْعَدَهَا شَيْخٌ أَظَلَّ عَلَيْهَا مُشْفِقًا حَذِيبًا
.. بهذه الصفة أقام الدنيا وأقعدا هذا الشيخ، المعري، الذي نظر إلى الدنيا نظرة إشفاق
وحذب، حنان، لما يلاقيه أهلها من عناء

لَمْ يَنْسَ أَنْ تَشْمَلَ الْأَنْعَامَ رَحْمَتُهُ وَلَا الطُّيُورَ وَلَا أَفْرَاحَهَا الرُّغْبَا
لم ينس المعري أن تشمل رحمته المواشي والطيور وأفراحها الزغب، التي ما نبت من ريشها إلا
الضعيف.. وكان المعري نباتياً جارفاً

حَنَّا عَلَى كُلِّ مَغْصُوبٍ فَضَمَدَهُ وَشَجَّ مَنْ كَانَ، أَيَّا كَانَ، مُغْتَصِبَا
كان يحنو على كل مظلوم فيضمد جرحه، وكان يشج، يجرح، المغتصبين أيأ كانوا بنقده لهم

سَلِّ الْمَقَادِيرَ، هَلْ مَا زَلَّتْ سَادِرَةٌ أَمْ أَنْتِ حَاجِلِي لِمَا أَرَهَقْتِهِ نَصْبًا؟
اسأل الأقدار هل ما زلت سادرة، لامبالية، أم أنت تشعرين بالخلل لكثرة ما أرهقت المعري
نصباً، ما حملته من العناء؟

نَعُوا عَلَيْكَ، وَأَنْتَ النُّورُ، فَلَسَفَةٌ سَوْدَاءٌ لَا لَذَّةَ تَبْغِي وَلَا طَرَبَا
نددوا بفلسفتك لأنها سوداء لا فيها لذة ولا طرب.. لكنك كنت مستتيراً

لَا أَكْذِبَنَّكَ إِنَّ الْحُبَّ مُتَّهِمٌ بِالْجَوْرِ يَأْخُذُ مِنَّا فَوْقَ مَا وَهَبَا
الحب والعشق متهم بالجور، بالظلم، فهو يعطينا قليلاً من المتعة، ويأخذ منا الكثير من راحة البال

عَانَى لَظَى الْحُبِّ بَشَارٌ وَعُضِبَتْهُ فهل سِوَى أَنَّهُمْ كَانُوا لَهُ حَطَبَا
فبشار بن برد وصحبه ذاقوا عذاب الحب، وكانوا حطباً لئاره

هل كُنْتَ تَحُلِدُ إِذْ ذَابُوا وَإِذْ غَبَرُوا لو لم تَرْضَ مِنْ جِمَاحِ النَّفْسِ مَا صَعُبَا
فبينما أولئك الشعراء قد ذابوا وغبروا، مضوا وانتهت سيرتهم، لكنك باقي خالد لأنك رضت جماح النفس، روضت نفسك المنفلتة وضبطت شهواتك

تَأْبَى انْجِلَالاً رِسَالَاتٍ مُقَدَّسَةً جاءتْ تَقْوَمُ هَذَا الْعَالَمَ الْخَرِبا
أَجَلَلْتُ فَبِكَ مِنَ الْمِيزَاتِ خَالِدَةً: حُرِيَّةَ الْفِكْرِ، وَالْجِرْمَانَ، وَالْعُضْبَا
لثورة الفكر تاريخٌ يُحَدِّثُنَا بِأَنَّ أَلْفَ مَسِيحٍ دُونَهَا صُلْبَا
تاريخ ثورة الفكر يقول إن ألف مفكر صلب كالمسيح دونها، أي حماية لثورة الفكر

٤٥ ترحيب بطه حسين

وعد طه حسين بزيارة العراق، دمشق (١٩٤٤):

أُنْبِيكَ أَنَّ الرَّافِدِيَيْنِ تَطَلَّعَتْ ضِيْفَاؤُهُمَا وَاسْتَهْضَ الشَّجَرُ الزَّرْعَا
تطلعت ضفاف النهرين اللذين يرفدان العراق إلى مقدمك وأخذ الشجر يطلب من الزرع أن ينهض لاستقبالك

نَمَى خَبْرٌ أَنْ سَوْفَ تَسْمَى إِلَيْهِمَا فكَادَ إِلَيْكَ النَخْلُ مِنْ طَرَبٍ يَسْعَى

وصل خبر أنك ستأتي فكاد النخل يمشي لاستقبالك. مجنون طه حسين! سمع بيتين كهذين في الترحيب به ثم لا يزور العراق. من يُقَلِّ فيه بيتان كهذين يأت إلى العراق زحفاً على ركبتيه وراحته. قد ألقى الجواهري القصيدة في دمشق، في خضم احتفال بذكرى المعري، وردّ طه ردّاً جميلاً قائلاً إنه ينتظر أن تنهيا الأسباب. وطه حسين الذي كان في ذلك المهرجان مثل أم العروس متصدراً الندوات ويلقي خطباً كأنها مكتوبة لرئيس دولة - نقل ذلك كله لنا كتاب صدر عن مجمع دمشق - كان «اليطأ»، والأليط في لغة أهل مصر: المتكبر تكبراً أنيقاً، العارف قدر نفسه، التارك بينه وبين الآخرين مسافة محسوبة بالسنتيمتر. لكن طه أحب الجواهري وساعده ورفده، وكان طه حسين يعرف أقدار الناس؛ ويذل للأدباء من جابه، ومن مال الدولة

٤٦ يافا

(١٩٤٥):

يَافَا يَوْمَ حُطَّ بِهَا الرُّكَّابُ تَمَطَّرَ عَارِضٌ وَدَجَا سَحَابُ
يوم أنزل ركابنا في يافا، أي وصلناها، أمطر عارض، غيم، ودجا سحب، أي عقد ظلمة في الجو

وَقَفْتُ مُوزَّعَ النِّظَرَاتِ فِيهَا لِيَطْرَفِي فِي مَغَانِيهَا انْسِيَابُ
وَمَوْجُ الْبَحْرِ يَغْسِلُ أَخْمَصِيهَا وَيَالْأَنْوَاءُ تَغْتَسِلُ الْقِيَابُ
الأنواء: الأمطار

وَبَيَّارَاتُهَا ضَرَبَتْ نِطَاقاً يُحَطِّطُهَا، كَمَا رُسِمَ الْكِتَابُ
اليارات: بساتين البرتقال، وكانت تحيط بيافا وتخطط لها حدودها، كما تكون الكتابة في صفحة
الكتاب، أي المصحف، محاطة بإطار

أَقْلَنْتَنِي مِنَ الزَّوْرَاءِ رِيحٌ إِلَى يَافَا وَحَلَّقَ بِي عُقَابُ
حملتني من الزوراء، لقب بغداد، ريح، وحلق بي عقاب، العقاب من الكواسر. سافر الجواهري
إلى فلسطين بالطائرة (أول مرة يفعلها، ثم إن شاعرنا وقع في حب السفر جواً) . . . وحط في مطار
اللد القريب من يافا

رَكِبْنَاهُ لِيُبَلِّغَنَا سَحَاباً فَجَاوَزَهُ لِيَبْلُغَنَا السَّحَابُ
ركبنا هذا العقاب، الطائرة، ليلعب بنا السحاب، فتجاوز السحاب علواً فصار السحاب هو الذي
يريد أن يصعد إلينا

أَحَقّاً بَيْنَنَا اخْتَلَفَتْ حُدُودُ؟ وَمَا اخْتَلَفَ الطَّرِيقُ وَلَا الثَّرَابُ
وَلَا افْتَرَقَتْ وُجُوهٌ عَنْ وُجُوهٍ وَلَا الضَّادُ الْفَصِيحُ وَلَا الْكِتَابُ
لَئِنْ حُمَّ الْوَدَاعُ فَضِيقْتُ ذُرْعاً بِهِ، وَاشْتَفَّ مُهْجَتِي الذَّهَابُ
حم: أذف وحن وقضي، اشتف مهجتي: برى قلبي برياً

فَمِنْ أَهْلِي إِلَى أَهْلِي رُجُوعٌ وَعَنْ وَطَنِي إِلَى وَطَنِي إِيَابُ
وقال الجواهري من بعد: ليتني ما كنت رأيت فلسطين كي لا أتحرر على ضياعها

٤٧ تقحمت صدري

في ذكرى الحسين، بغداد (١٩٤٧):

تَقَحَّمْتُ صَدْرِي وَرَيْبُ الشُّكُوكِ بِضِجِّ بُحْدَرَانِهِ الْأَزْجِعِ
يخاطب الحسين: دخلت في قلبي بقوة رغم أن قلبي مملوء بالشكوك في أمر الدين
وَقَدَسْتُ ذِكْرَكَ لَمْ أَنْتَحِلْ ثِيَابَ الثَّقَاةِ وَلَمْ أَدْعِ
وقدست ذكرك، لكن دون أن ألبس لبوس الأتقياء ودون ادعاء بأنني متدين

٤٨ جراح الشهيد

ألقاما في حفل بعد سبعة أيام من مقتل أخيه الأصغر جعفر، بغداد (١٩٤٨):

أَتَعْلَمُ أَمْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ بِأَنَّ جِرَاحَ الضَّحَايَا قَمُ؟
يَصِيحُ عَلَى الْمُذْقِعِينَ الْجِيَاع أَرِيْقُوا دِمَاءَكُمْ تُطْعَمُوا

هذا الفم يصيح على المدقعين، الفقراء، طالباً منهم أن يثوروا لكي ينالوا رزقهم وحقهم

وَيَهْتَفُ بِالنَّفَرِ الْمُهْطِعِينَ أَهْيُونَا لِئَامَكُمْ تُكْرَمُوا
المهطعين: الخانعين

أَتَعْلَمُ أَنَّ جِرَاحَ الشَّهِيدِ تَظَلُّ عَنِ النَّارِ تَسْتَفْهِمُ
تَمُصُّ دَمًا نَمَ تَبْغِي دَمًا وَتَبْقَى تُلِحُ وَتَسْتَظْعِمُ
تستظم: تطلب الطعام.. من دم العدو

فَقُلْ لِلْمُقِيمِ عَلَى ذِلَّةٍ هَجِينًا يُسَخَّرُ أَوْ يُلْجَمُ
الهجين: غير الأصيل، يلجم: يوضع له لجام لكي يروض ويدل

تَقَحَّمْ، لُعِنْتَ، أَزِيرَ الرِّصَاصِ وَجَرَّبَ مِنَ الْحَظِّ مَا يُفْسَمُ
اقتحم الرصاص وجرب الحصول على ما قسمه الله لك من حظ

وَحُضِّهَا كَمَا خَاضَهَا الْأَسْبَقُونَ وَتَنْ بِمَا افْتَتَحَ الْأَقْدَمُ
نن: كن ثانياً بعد آبائك الأمجاد.. أي أكمل مسيرتهم

يَقُولُونَ مَنْ هُمْ أَوْلَاءِ الرَّعَا؟ فَأَفْهِمُهُمْ بِدَمٍ مَنْ هُمْ
وَأَفْهِمُهُمْ بِدَمٍ أَنَّ هُمْ عَبِيدُكَ إِنْ تَدْعُهُمْ يَخْدُمُوا
أفهم المستعمرين بأنهم، بأن المستعمرين، عبيدك

وَأَنَّكَ أَشْرَفُ مِنْ خَيْرِهِمْ وَكُغْبُكَ مِنْ خَدِّهِ أَكْرَمُ
أنت أشرف من أحسنهم، وكعبك أكرم من خد هذا الذي هو أحسنهم

أَرَى أَفْقًا يَنْجِيحُ الدِّمَاءِ تَنْوَرُ، وَاخْتَفَّتِ الْأَنْجُمُ
أرى الأفق محمراً لكن احمراره هذا من النجيع، الدم

سَتَبْقَى طَوِيلًا تُجَرُّ الدَّمَاءَ وَلَنْ يُبْرِدَ الدَّمَ إِلَّا الدَّمَ
ستواصل الدماء جر مزيد من الدماء، ولن يبرد دم شهدائنا إلا سكب دم الأعداء

وَأُخْتُ تُنَاشِدُ عَنْكَ النُّجُومَ لَعَلَّكَ مِنْ بَيْنِهَا تَنْجُمُ

تنجم: تظهر

وَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَأْتِي الصَّبَاحَ وَقَدْ كَذَّبَ الْقَبْرُ مَا تَزْعُمُ

تزعّم أختك أنك ستأتي في الصباح، ولكن قبرك يكذب زعمها

يَمِيناً لَتَنْهَشُنِي الذِّكْرِيَّاتُ عَلَيْكَ كَمَا يَنْهَشُ الْأَرْقَمُ

الأرقم: الثعبان

٤٩ ضياع فلسطين

بغداد (١٩٤٨):

فَمَا ذَهَبَتْ فِلَسْطِينَ بِسِحْرِ وَلَا كُتِبَ الْفَنَاءُ بِلا مِدَادٍ

فلسطين لم تذهب بقدرة سحرية بل بسبب عدو قوي، والفناء للشعوب والبلاد لا يكون من الطلاس بل من أسباب واضحة كأنها كتبت بالمداد، الحبر

وَلَا طَاحَ الْبِنَاءُ بِلا انْجِرَافٍ وَلَا بَنَتِ الْيَهُودُ بِلا عِمَادٍ

طاح: سقط، عماد: قوة واستعداد، وهو في الأصل عمود الخيمة

٥٠ الذوق، وقلة الذوق

بغداد (١٩٤٩):

تَعَالَيْ أَذُقْكَ فَكُلُّ الثُّمَارِ تَرِفٌ، وَنَوَازُهَا يُقْطَفُ

يريد أن يذوق المحبوبة! فالثمار تمايل على غصونها ومصيرها أن تقطف لتأكلها لا أن تبقى لتفرج عليها

صِرَاعٌ يَطُولُ فَكَمْ تَهْدُفِينَ إِلَى الرُّوحِ مِنِّي وَكَمْ أَهْدُفُ..

صراع يطول بين الفتى والفتاة.. هو صراع الغزل والدلال.. والفتاة تهدف إلى امتلاك روح فانها.. وهو يهدف إلى..

إِلَى الْجِسْمِ مِنَّا، وَكَمْ تَعْرِفِي نَ أَيْنَ الْمَحَزُّ وَكَمْ أَغْرِفُ

يهدف إلى جسمها.. وهي تعرف أين المحز، المفصل، وهو يعرف.. والبارع هو الذي «يطبق المفصل» مثلما يعرف القصاب جيداً أين مكان التقاء العظمتين فيدس سكينه في المكان الصحيح. يقول إن العاشقين كليهما يعرفان طقوس هذه اللعبة جيداً

وَمَا بَيْنَ هَذَيْنِ يَمْشِي الزَّمَانُ وَيُقْنِي مُلُوكاً وَيَسْتَخْلِفُ

وبين هدف المرأة إلى امتلاك روح الرجل وتكوين أسرة، وهدف الرجل إلى المغامرة تنشأ الأجيال ويمشي الزمن ويخلد الجنس البشري

٥١ صبية الاستعمار

ألقاها في لبنان، في تأبين عبد الحميد كرامي (١٩٥٠):

باقٍ، وأعمارُ الطُّغاةِ قِصارُ، مِنْ سِفْرِ مَجْدِكَ، عَاطِرُ مَوَارٍ
سَيَقِي ذِكْرُ عَاطِرِ مَوَارٍ، مَتَرَقِّقٍ، مِنْ كِتَابِ مَجْدِكَ . . . بَيْنَمَا أَعْمَارُ الطُّغَاةِ قَصِيرَةٌ، إِذْ لَا يَدُومُ لَهُمْ ذِكْرُ
فَإِذَا ذَكَرْتُ بِكَ الْبِلَادَ فَعَاذِرُ فَهِيَ الْحَبِيبُ لِنَفْسِكَ الْمُخْتَارُ
فَإِنْ ذَكَرْتُ فِي تَأْيِينِكَ أَوْضَاعَ الْبِلَادِ فَأَنْتَ تَعَذَّرَنِي لِأَنَّهَا الْحَبِيبَةُ إِلَى نَفْسِكَ
عَبْدُ الْحَمِيدِ وَمَا تَزَالُ كَعَهْدِهَا شَعْبٌ يُذَلُّ، وَأُمَّةٌ تَنْهَارُ
الْبِلَادِ يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ عَلَى حَالِهَا

تَنْهَى وَتَأْمُرُ مَا تَشَاءُ عِصَابَةٌ يَنْهَى وَيَأْمُرُ فَوْقَهَا اسْتِعْمَارُ
وَقِيلَ إِنْ الْقَصِيدَةُ سَبَّيْتُ لِلشَّاعِرِ مُشْكَلَةٌ مَعَ السُّلْطَانِ اللَّبْنَانِيَّةِ، فَمَنْعَ مِنْ دُخُولِ لُبْنَانَ مَدَّةً مِنَ الزَّمَنِ،
وَأُزِيلَ الْمَنْعُ ابْنِ الْمُؤَيَّنِ «رَشِيدِ كَرَامِي» عِنْدَمَا صَارَ رَئِيسَ وَزَرَاءِ

٥٢ نامي

(١٩٥٠):

نَامِي جِياعِ الشَّعْبِ نَامِي حَرَسَتْكَ آلِهَةُ الطَّعَامِ
نَامِي فَإِنْ لَمْ تَشَبَّعِي مِنْ يَقْظَةٍ فَمِنْ الْمَنَامِ
نَامِي عَلَى زَبَدِ الْوَعُودِ دِ يُدَاوِي فِي عَسَلِ الْكَلَامِ
نَامِي يَا جَمُوعَ الشَّعْبِ عَلَى زَبَدِ الْوَعُودِ، وَالزَّبَدُ الرِّغْوَةُ، يَدَاوِي، يَخْلُطُ، بِالْكَلَامِ الْمَعْسُولِ مِنْ
الْحَاكِمِينَ بِقَرَبِ تَحْقِيقِ الرِّخَاءِ

نَامِي تَزُرُّكَ عَرَائِيسُ الْأَحْلَامِ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ
تَتَنَوَّرِي فُرْصَ الرِّغْيِ فِي كَدُورَةِ الْبَدْرِ التَّمَامِ
نَامِي حَتَّى تَتَوَرِّي، تَشَاهِدِي، الرِّغْفِ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ

وَتَرَيَ زَرَائِبَكَ الْفِيسَا حَ مُبَلَّطَاتٍ بِالرُّخَامِ
فِي الْأَحْلَامِ تَرَى الشُّعُوبَ بِيُوتِهَا - الَّتِي هِيَ كَالزَّرَائِبِ، بِيُوتِ الْمَاشِيَةِ - قُصُورًا مُبَلَّطَةً بِالرُّخَامِ
نَامِي تَصِحِّي، نِعْمَ نَوُ الْمُمرءِ فِي الْكُرْبِ الْجِسَامِ
نَامِي إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ رِ وَيَوْمَ يُؤْذَنُ بِالْقِيَامِ
النُّشُورُ: الْبَعْثُ مِنَ الْقُبُورِ

نامي وسيري في منا بك ما استطعت إلى الامام
نامي على تلك العظا ت الغر من ذاك الامام
نامي يساقط رزقك الـ مؤعود فوقك بانتظام
نامي فما الدنيا سوى جسر على نكد مقام
نامي على المجيد القديـ م وفوق كرم من عظام
النائم على كوم هو المفتخر بعظام أجداده، هو «العظامي» في مقابل «العصامي» المفتخر بما أنجز بنفسه

٥٣ العواء

بغداد (١٩٥٣):

عدا علي كما يستكلب الذئب خلق ببغداد أنماط أعاجيب

عدا علي: ظلمي، استكلب: توحش

يسمعون كلباً عوى خلفي وفوقهم ضوء من القمر المنبجح مسكوب

يشير إلى المثل: كلب ينبج القمر، لمن يشتمك ولا يستطيع أن يؤذيك

وقبل ألف عوى ألف فما انتقصت أبا محسد بالشتم الأعاريب

قبل ألف عام عوى ألف كلب على أبي محسد، المتنبي، ولم يتقص ذلك شيئاً من مجده

٥٤ انتظار الفرج

بغداد (١٩٥٥):

كُنَّا نقول إذا ما فاتنا سحر لا بُدَّ من سحر ثانٍ يواتينا

السحر: قيل الشروق، يواتينا: يتاح لنا

لا بُدَّ من مطلعٍ للشمس يفرحنا ومن أصيلٍ على مهلٍ يحينا

واليوم نرقب في أسحارنا أجلاً تقوم من بعده عجلي نواعينا

٥٥ صنائع الاستعمار

ألقيت بدمشق في ذكرى عدنان المالكي، الضابط الذي اغتيل بتدبير نوري السعيد كما قيل، وأراد الشاعر إغاية حكام العراق بقصيدته، ومنح بعد القصيدة اللجوء السياسي في الشام (١٩٥٦):

واهزأة الأحلاف بين مسخر ومسخرين، وسيد وإماء

يا للسخرية لحلف يقوم بين السيد والعبد، وبين المستعير والقوم الذين تحت استعمار

يَا مَنْ رَأَى حِلْفًا عَجِيبًا أَمْرُهُ بَيْنَ الثَّرَى وَكَوَاكِبِ الْجَوَازِ
دَوَّى عَلَى الْمُسْتَعْمِرِينَ صَوَاعِقًا وَغَيَّ الشُّعُوبِ وَفَقَطَةُ الدَّهْمَاءِ
الدَّهْمَاءُ: عامة الناس.. ويستعملها الجواهري بالمعنى الإيجابي خلافاً للمألوف

وَتَكْشَفُوا غُرِيًّا عَلَى أَضْوَائِهَا مِثْلَ اللَّصُوصِ بِلَيْلَةِ قَمَرَاءِ
وَتَقَيَّحَتْ مِنْ زِمْنَةٍ فَتَعَفَّنَتْ بِصَدِيدِهَا ضَمَائِرُ الْأَجْرَاءِ
ضماير المأجورين الذين يعملون لصالح المستعمر تقيحت من الزمنة، المرض المزمن، وتعفت بما فيها من صديد، ملةً وقيح

فَهُمْ كَفَاجِرَةٍ تُغَطِّي جَهْدَهَا صِدْقُ الْفُجُورِ بِكَاذِبِ الْخُبْلَاءِ
السَّائِرُونَ الْقَهْقَرَى، لم يعرفوا بَيْنَ الْجِهَاتِ السَّتِّ غَيْرَ وَرَاءِ
وَهُمْ يَزُمُونَ الْحَقَائِبَ خَشِيَّةً مِنْ فَجْأَةِ الْأَقْدَارِ كَالنُّزْلَاءِ
يجعلون متاعهم وأموالهم في حقائب لكي يفروا من البلد إن فاجأتهم الثورة. وكان الوصي عبد الإله ونوري السعيد قد فرا فرااً من العراق في خضم حركة رشيد عالي الكيلاني قبل القصيدة بخمس عشرة سنة

٥٦ البساتيل

دمشق (١٩٥٦):

جَزَائِرُ! دَارَتْ بِمُسْتَعْمِرٍ رَحَى مَنْ يُضَرَّسُ بِهَا يَهْلَعُ
أيتها الجزائر لقد دارت على المستعمر الرحى، الطاحون، التي تجعل من يضرس بها، يطحن، يشعر بالهلع

مَشَتْ لَكَ بَارِيسُ أُمُّ الْحَقْوِ قِ وَخَشَا يَدِيبُ عَلَى أَرْبَعِ
تَهَلَّدُ بِسَتِيلٍ فِي مَوْضِعٍ وَتَبْنِي بَسَاتِيلَ فِي مَوْضِعِ
هدمت فرنسا الباستيل، رمز سطوة الملكية، بباريس؛ وبنيت بساتيل في مستعمراتها لاضطهاد الشعوب

٥٧ بردى والنيل

في ذكرى عدنان المالكي، دمشق (١٩٥٧):

هُنَا بِجَلَقٍ عَمَلَاقٌ عَلَى بَرْدَى وَثُمَّ فِي مِصْرَ يَحْمِي النَّيْلَ جَبَّارُ
هنا في الشام وعلى ضفاف بردى يقف عملاق هو الجيش السوري الذي كان من بناته عدنان المالكي صاحب الذكرى وثم، أي هناك، جبار يحمي النيل

اسْلَمَ جَمَالٌ لَنَا نَسْلَمَ، فَقَدْ عَرَفْتُ بِكَ الْكَرَامَةَ فِي الشَّرَافَيْنِ أَمْصَارُ
جمال عبد الناصر، وكان يتم آنذاك الإعداد لوحدة مصر وسورية التي تمت وشيكاً
وانصاعَ يَبْرِي سِيوفَ الهِنْدِ لَاهِبَةً مُهَنَّدٌ يَغْرِي الحَدَّ بَثَارُ
انصاع: انشغل

تَغْشَى الْمَشَاكِلُ مَتْنِيهِ فَيَحْسِمُهَا لَا حَيْثُ تَطْفَى وَلَكِنْ حَيْثُ يَخْتَارُ
هذا السيف العربي الذي هو عبد الناصر تغشى المشاكل متنيه، تحل المشاكل بجانيه، فيحسم
أمرها ليس بالضرورة في مكان وقوعها بل في المكان الذي يختاره هو

لَمْ يَعْرِفِ الدَّهْرُ مِثْلَ الْعَرَبِ مِنْ صُبْرٍ بِهِمْ عَلَى الضَّرِّ إلْحَاحٌ وَإِصْرَارُ
صبر: صابرون، وفيهم على الضر، أي رغم الضيق، إصرار

نَحْنُ الَّذِينَ أَعْرَنَّا الْكَوْنَ بِهَجَّتِهِ لَكِنَّمَا الدَّهْرُ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ
شِدْنَا الْحَيَاةَ وَكُوفِئْنَا الصَّمَاتَ كَمَا شَادَ الْخَوْرَنَقَ كَيْ يَرْدَى سِيَمَارُ
شاد العرب حياة وحضارة عنت الآخرين وكوفئوا بهبوط وانحطاط دولتهم، فهم مثل «سمنار»
المهندس الذي بنى للنعمان قصر الخورنق ثم قتله النعمان

٥٨ الرتوع

إلى شكري القوّلي، رئيس سورية، دمشق (١٩٥٧):

أَنَا وَاللَّهِ رَاتِعٌ فِي ذَرَا لُظْ فَحِكَ مَا بِي إِلَى سِوَاكَ احْتِيَاجُ
يخاطب رئيس سورية شكري القوتلي، وكان الجواهري في ضيافة سورية. في ذرا: في كف
غَيْرَ أَنِّي بِالْمَالِ أَضْوَى، وَإِنْ أَشَدَّ مَنَ غَيْرِي، إِنَّ النُّفُوسَ مِزَاجُ
بالمال أضوى، أصبح مهزولاً، وإن كان المال يجعل غيري سميناً. وكان الجواهري يتلقى المال
من الحكومة السورية والعراقية والتشيكوسلوفاكية والمصرية ومن بعض أثرياء العراق.. كل هذا في
أوقات مختلفة تلقي وتفترق.. وتألفته الحكومة العراقية بعد انتفاضة تشرين بمزرعة من ثلاثة آلاف
دونم معظمها غامر، بور غير صالح للزراعة، واعتبر المنحة حقاً، لكنه سكت زمناً بعدها

٥٩ الذئب

بغداد (١٩٥٩):

مَنْ مِنْكُمْ، رَغَمَ الْحَيَاةَ وَعَبَّيْهَا لَمْ يَحْتَسِبْ لِلْمَوْتِ أَلْفَ حِسَابِ
ذئبٌ تَرَصَّدَنِي وَفَوْقَ نُيُوبِهِ دَمٌ إِخْوَتِي وَأَقَارِبِي وَصِحَابِي
الموت ذئب يقف لي بالمرصاد، وأنا أرى على أنيابه دم من مات من أهلي وأصحابي

٦٠ في تمجيد الحاكم

في افتتاح المستنصرية متحفاً ومزاراً (١٩٦٠):

أَعِذْ مَجْدَ بَغْدَادٍ وَمَجْدُكَ أَغْلَبُ وَجَدِّدْ لَهَا عَهْداً وَعَهْدُكَ أَطْيَبُ
تَسْرَبَ هَمْسٌ أَنْ فَقْعاً بِقَرْقَرٍ يُعِدُّ شِرَاكاً لِلْهَزْبِ وَيَنْصِبُ
الفقع الفطر، والقرقر المكان المنخفض (وقع بقرقر: أي شخص تافه)، وقد بلغني أن هذا
الشخص ينصب شباكاً للأسد، والأسد هو عبد الكريم قاسم. وكان الجواهري ذا منزلة عنده.. ثم
تغير الوضع في أواخر عهده

وَأَنْ الَّذِي خَلَفَ الْحُدُودَ يَمُدُّهُ كَلِصَّ يَجُوسُ الْبَيْتَ لَيْلاً وَيَهْرُبُ
المتآمرون على حكمك تمُدُّهم بالمال جهة خارجية

أَبَا الشَّعْبِ لَا يَتَعَبُ حَوْوُنٌ مُغَامِرٌ فَخَلَقَكَ شَعْبٌ لِلْحَوْوَيْنِ مُتَعِبٌ
أبو الشعب: عبد الكريم قاسم، حاكم العراق

سَلِ الشَّعْبَ رَحْفاً تَذِرْ كَيْفَ رُحُوفُهُ وَبَدَلاً تَجِدْ أَرْوَاحَهُ كَيْفَ تُوهَبُ
ستهوي رؤوس ما اشتكى منك إصبعٌ وتُلَوِّى رِقَابُ مَا التَوَى مِنْكَ مِنْكَ
وكان قاسم تعرّض لمحاولة اغتيال أصيب فيها في كتفه برصاصة

٦١ فاوست

في مهرجان الأخطل الصغير، بيروت (١٩٦١)، وقد اتخذ الجواهري المناسبة حجة
ليفر من بطش عبد الكريم قاسم

يَا مَنْ يُقَايِضُنِي صَدَى الْـ هَمَسَاتِ وَالسَّمَرِ الْمُرِيبِ
يريد أن يعقد مقايضة.. فمن ذا يمنحني السمر المريب؛ هذا سمر مريب غير بريء بل به خمر
ونساء..

وَتَنَابُزَ الْقُبُلَاتِ فِي نَجْوَى كُمُسْتَرَقِ الدَّبِيبِ
من ذا يعطيني تنابز، تبادل، القبلات مع نجوى، همس، كأنها ديب على أطراف الأصابع مسترق
استراقاً:.

وَيْدَا تَخَبَّطُ فِي الْهُوَى وَيَدَا تُعَابِثُ فِي الْجُيُوبِ
ومن يعطيني يد محبوب تتخبط أثناء العناق، ويد حبيب تعبت في الجيوب.. والجيب هو فتحة
العنق في القميص

يَا مَنْ يُقَايِضُنِي رَبِي عَ الْعُمَرِ ذَا الْمَرَجِ الْعَشِيبِ
من ذا يعطيني الشباب الذي هو كالربيع المعشب

بِالْمَبْقَرِيَّةِ كُلِّهَا بِخُرَافَةِ الذَّهْنِ الْخَصِيبِ
وله مقابل ذلك العبقرية الشعرية وخرافة الذهن الخصيب

شَيْطَانٌ غَوْتَةٌ! يَا رَبِي بَ الْغَدْرِ وَالْدَّمِ وَالْحُرُوبِ
يا شيطان غوته، يا مفسد فليس الذي جعله غوته في ملحمة يخوض مقايضة شبيهة مع البطل
فاوست (شيطان غوته عرض العلم اللامتناهي والمملكات مقابل أن يمتلك روح البطل)

وَمُقَايِضَ السَّبْعِينَ بِالْ عِشْرِينَ عَنْ ثَمَنٍ رَهِيْبٍ
يا من يقايض فيعطيني سن العشرين بدل سن السبعين مقابل الثمن الرهيب

لَوْ جِئْتَنِي لَوَجَدْتَنِي مَحْضَ السَّمِيعِ الْمُسْتَجِيبِ
لَبْنَانُ يَا وَطَنِي إِذَا حُلُّتُ عَنْ وَطَنِي الْحَبِيبِ
حلكت: أبعدت عن الماء

أَبْشَارَةٌ! وَبِأَيِّمَا شَكَايَ أَهْرُوكَ يَا حَبِيبِي
هَلْ صَاحَكَ سَمِعَكَ أَتَنِي مِنْ رَافِدَتِي بِلَا نَصِيبِ؟
هل وصل إلى سمعك يا بشارة الخوري أنه لا نصيب لي من الرافدين، العراق؟

٦٢ المنفي

براغ (١٩٦١):

أَنَا مِنْ تِلْكَمُ الضَّحَايَا، رَمَتْ بِي فِكْرَةٌ خُرَّةٌ وَرَاءَ الْحُدُودِ
لَمْ أَطُقْ كَتْمَهَا، وَأَعْلَمُ كُلَّ الـ عِلْمٍ أَنِّي بِهَا أَحْزُ وَرَيْدِي
أَنَا فِي عِزَّةٍ هُنَا، غَيْرَ أَنِّي فِي فُؤَادِي بِنَزْ جُرْحِ الشَّرِيدِ
لِي عِتَابٌ عَلَى بِلَادِي شَدِيدٌ وَعَلَى الْأَقْرَبِينَ جَدُّ شَدِيدِ
يَا لِبَغْدَادَ حِينَ يَنْتَصِفُ الثَّأِ رِيخُ مِنْ كُلِّ نَاكِيرٍ وَجَحُودِ

٦٣ أم البساتين

قال الجواهري عام (١٩٦١) وهو لاجئ سياسي في براغ:

حَيِّتُ سَفْحَكَ عَنْ بُعْدٍ فَحَيِّتَنِي يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ يَا أُمَّ الْبَسَاتِينِ
يا دجلة.. يا ساقية البساتين فكانك أمها.. حيث سفحك، شاطئك، وأنا بعيد عنه

حَبِيتُ سَفْحَكَ ظَمَانًا أَلَوْدُ بِهِ لَوْدَ الْحَمَائِمِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ
يا دِجْلَةَ الْخَيْرِ يَا نَبْعًا أَفَارِقُهُ عَلَى الْكَرَاهَةِ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ
إِنِّي وَرَدْتُ عَيُونَ الْمَاءِ صَافِيَةً نَبْعًا فَنَبْعًا فَمَا كَانَتْ لِتَرْوِينِي
وَأَنْتَ يَا قَارِبًا تَلْوِي الرِّيحَ بِهِ لَيَّ النَّسَائِمِ أَطْرَافَ الْأَقَانِينِ
تلوي الرياح القارب يميناً ويساراً كما تلوي النسائم أطراف الأفانين، الأغصان، لَبَّأُ

وِدِدْتُ ذَاكَ الشَّرَاعَ الرَّخْصَ لَوْ كَفَّنِي يُحَاكُ مِنْهُ عَدَاةَ الْبَيْنِ يَطْوِينِي
وددت أن الشراع الرخص، الناعم، يخاط لي منه كفني عندما يغيني البين، الفراق. فالموت أسهل
من فراق الوطن

يَا أُمَّ بَغْدَادَ مِنْ ظَرْفٍ وَمِنْ غَنْجٍ مَشَى التَّبَعْدُ حَتَّى فِي الدَّهَاقِينِ
من ظرفك يا أم بغداد، التي لولاها لما كانت بغداد، ومن رقتك وغنجك انتشر التبغدد،
التمدين والركة والدلال والنعمة، حتى في الدهاقين، ملاك الأرض من العجم. وظلت كلمة البغدة
حتى يومنا تعني الدلال والنعمة

يَا أُمَّ تِلْكَ الَّتِي مِنْ أَلْفٍ لَيْلَتَهَا لِأَنَّ يَغْبَقَ عِظْرٌ فِي التَّلَاحِينِ
يخاطب دجلة: يا أم تلك المدينة (بغداد) التي ظل أثر قصصها المسماة «ألف ليلة وليلة» عابقاً في
التلاحين، الغناء

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ مَا يُغْلِيكَ مِنْ حَنْقٍ يُغْلِي فُؤَادِي، وَمَا يَشْجِيكَ يَشْجِينِي
ما يجعلك تغلين من الحنق والغضب يجعل فؤادي يغلي أيضاً

أَدْرِي بِأَنَّكَ مِنْ أَلْفٍ مَضَتْ هَدْرًا لِأَنَّ تَهْزِينَ مِنْ حُكْمِ السَّلَاطِينِ
من ألف سنة مضت هدرًا، مهدورة لم تشهد فيها ازدهاراً، وحتى اليوم أنتِ تهزين من حكم
السلطين

تَهْزِينَ أَنْ لَمْ تَزَلْ فِي الشَّرْقِ شَارِدَةً مِنَ النَّوَاوِيسِ أَرْوَاحُ الْفَرَاعِينِ
تهزين لأن الشرق يعاني من المستبدين، فكان أرواح الفراعة ظلت شاردة من النواويس، القبور،
ونحل في أجساد الحكام الحاليين. . وفرعون العراق وقتذاك عبد الكريم قاسم

تَهْزِينَ مِنْ خِصْبِ جَنَّاتٍ مُنْتَرَةً عَلَى الضُّفَافِ وَمِنْ بُؤْسِ الْمَلَائِينِ
تهزين من هذا التضاد بين الخصب والجنان على شاطئيك وبين وجود الملايين من الفقراء

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ كَمْ مِنْ كَنْزٍ مَوْهَبَةٍ لَدَيْكَ فِي الْقُمْمِ الْمَسْحُورِ مَخْزُونِ
ما أكثر المواهب التي كبت في العراق كأنها مخزونة في قمقم مسحور، جرة النحاس التي يحبس
فيها المارد

لَعَلَّ يَوْمًا عَصُوفًا جَارِفًا عَرِمًا آتٍ فَتَرْضِيكَ عُقْبَاهُ وَتَرْضِيَنِي

لعل هناك ثورة عارمة ستأتي ونرضى بعقباها، بتيجتها

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ إِنَّ الشَّعْرَ هَذَهْدَةٌ لِّلسَّمْعِ مَا بَيْنَ تَرْخِيمٍ وَتَنْوِينِ
هذهدة للسمع: تحريك هادئ له، كما تحرك الأم وليدها كي ينام، التوين: الغنة، الصوت الأنفي
الحنون

حَتَّى الضَّفَادِعُ فِي سَفْحَيْكَ سَارِيَةٌ عَاطِيْتُهَا فَاتِنَاتِ حُبِّ مَفْتُونِ
حتى الضفادع في شاطئك أحيتها وتبادلته معها وهي سارية، ماثية ليلاً، وفاتنة، حب المفتون
بها. وسبقت للجواهري أبيات جعل فيها تقيق الضفادع رسولاً بين المحبين

عَارَ لُتْهُنَّ خَلِيعَاتٍ وَإِنْ لَبِسَتْ مِنَ الطَّحَالِبِ مَزْهُوُ الْفَسَاتِينِ
خليعات: عاريات.. رغم أن الضفادع تلبس لباساً معجباً من الطحالب

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ الْأَلَى خَبِرُوا بَلَوَايَ لَمْ أَلَفْ حَتَّى مَنِ يُوَاسِينِي
من بين كل من عرفوا بمصيبي لم أجد من يواسيني

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ يَا مَنْ ظَلَّ طَائِفُهَا عَنْ كُلِّ مَا جَلَّتِ الْأَحْلَامُ يُلْهِينِي
طائف دجلة، طيفها الذي يتابني في صحو أو منام، يلهني عن كل طيف تجلوه، وتبديه، الأحلام

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ خَلِّينِي وَمَا قَسَمْتُ لِيِ الْمَقَادِيرُ مِنْ لَذْغِ الثَّعَابِينِ
وَأَزْكَبُ الْهَوَلَ فِي رِيْعَانٍ مَأْمَنَةٍ حُبِّ الْحَيَاةِ يَحُبُّ الْمَوْتَ يُغْرِينِي
أركب المخاطر في ريعان مأمنة، في عز زمن الأمان، وحيي للحياة الكريمة يغريني بأن أستهيئ
بالموت.. بل بأن أحبه

وَمَا الْبُطُولَاتُ إِعْجَازٌ وَإِنْ قَنَعَتْ نَفْسُ الْجَبَانِ عَنِ الْعَلْيَاءِ بِالْهُونِ
البطولات ليست معجزات بل هي سهلة على الشجاع، فأما نفس الجبان فترضى بالهون، الذل،
بدلاً من العلياء، المجد

لَا يُوَلِّدُ الْمَرْءُ لَا هِرًّا وَلَا سَبْعًا لَكِنْ عَصَاةَ تَجْرِيْبٍ وَتَلْقِينِ
إِنَّ الْمَصَائِبَ طَوْعًا أَوْ كَرَاهِيَةً أَعْدَنْ نَحْتِي، كَمَا أَبْدَعَنْ تَلْوِينِ
يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ كَمْ مَعْنَى مَرَّجَتْ لَهُ دَمِي يَلْحَمِي فِي أَحْلَى الْمَوَاعِينِ
ما أكثر المعاني التي وضعت فيها دمي ولجمي، أي الأشعار التي كانت قطعة من روحي، ثم
جعلت ذلك في أحلى المواعين، الآنية.. وأواني المعنى في الشعر هي الأبيات والقوافي

سَهَرْتُ لَيْلَ أَخِي ذُبْيَانَ أَحْضَيْتُهُ حَضَنْتِ الرَّوَاضِعَ بَيْنَ الْعَتِّ وَاللَّيْنِ

سهرت ليل كليلة النابتة الذبياني الموصوف بالطول والكآبة، وأنا أحضن الشعر كما تحضن المرضع رضيعها وهي تعالجه بين جذب ولين (تلقمه نديها بقوة ليأخذه ويبدأ يمص، ثم تترقق به حتى ينسجم ويرضع).. خوش تشيه

أَعْبَدُ مِنْ خَلْقِهِ نَحْتاً وَخَضْخَضَةً وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ تِلْكَ التَّمَارِينِ

أكتب شعري وأغير فيه وأبدل والمعاني والألفاظ والأوزان تتفاعل وتعتلج اعتلاجاً.. أنحت الألفاظ نحتاً ثم أخضخضها لتستقر.. ولا أحد معي سوى النجم يراقبني ويعجب لهذه التمارين الغريبة

حَتَّى إِذَا آصَ رَيَّانَ الصَّبَا غَضِرَا مَهَوَى قُلُوبِ الْحَسَانِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ..

حتى إذا آص، أي صار، الشعر مكتملاً كأنه الفتى الشاب الممتلئ حيوية، وصار مهوى، موضع، قلوب الفتيات الحسان الخرد، الناعمات، العين ذوات الأعين الواسعة

أَتَاحَ لِي سُمْ حَيَاتٍ مُرَقَّطَةً تَدِبُّ فِي حَمَأٍ بِالْحَقْفِ مَسْنُونِ

عندئذ.. جلب علي الشعر هجمات الأعداء التي هي مثل سم حيات مرقطة، منقطة، تزحف في حمأ مسنون، في طين نتن، هو الحقد

فَهَلْ بِحَسْبِ اللَّيَالِي مِنْ صَدَى أَلْمِي أَنِّي مَضِيعَةٌ أَنْيَابِ السَّرَاحِينِ؟

ألا يكفي الليالي، المصائب، من صدى ألمي، من بعض آلامي، أنني صرت مضغة بين أنياب السراحين، الذئاب؟

٦٤ غريب الدار

براغ (١٩٦٢):

يَا غَرِيبَ الدَّارِ، وَالْأَيِّ— أَمْ كَالنَّاسِ تُدَارَى

وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَغْلِبُ— نَ بَنِي الدَّهْرِ ابْتِكَارَا

بنات الدهر، أي المصائب، تغلب أبناء الدهر، أي الناس، بما تبتكره من أفانين العذاب

يَا غَرِيبَ الدَّارِ لَمْ تَكِ— قُلْ لَهُ الْإِيَامُ دَارَا

يَا لِبَغْدَادَ مِنَ النَّا— رِيخِ هُرْءَا وَاحْتِقَارَا

حَلَاثَتُهُ وَمَسَرَّتْ لِي— وَغَدِ أَخْلَافَا غِزَارَا

حالات بغداد المغترب، صدته عن الماء، ومرت للوغد، أي حلبت له، أخلاقاً غزارا، أي ضروعاً مليئة بالحليب

واضْطَفَتْ بُوماً وَأَجَلَّتْ عَنْ ضِفَافِهَا كَنَارَا

بغداد اصطفت، اختارت، البوم، وطردت عن ضفافها، ضفتها على دجلة، الكنار

لَيْسَ عَارَاً أَنْ تُؤَلِّيَ مِنْ مُسِفِّينَ فِرَارَا

يقول لنفسه: ليس عاراً أن تفر من وجه المسفين، الهابطين أهل الإسفاف

جَافِهِمْ كَالنَّسْرِ إِذْ يَأْ نَفْ دِيدَانَا صِفَارَا

جافهم: عالجهم بالجفاء والبعد

خِلْقَةً صُبَّتْ عَلَى الْفَجْرِ رَرَةً دَعَاها وَالْفَجَارَا

الخلقة التي جبلت على الفجور دعاها وفجورها

أَنْتَ لَا تَقْدِيرُ أَنْ تَزُرَ رَعَ فِي السُّورِ اخْوَرَارَا

الاحورار: شدة سواد يؤبؤ العين مع شدة بياض حوله.. وهذه صفة حميدة وهيات أن تزرعها فيمن هو أعور

يَا غَرِيبَ الدَّارِ فِي قَا فَلَمَّا سَارَتْ وَسَارَا

لِمَصِيرٍ وَاحِدٍ تَمَّ تَنَاسَتْ أَيْسَنَ صَارَا

سَامِحِ الْقَوْمَ انْتِصَافاً وَاخْتَلَقْ مِنْكَ اعْتِذَارَا

اختلق أعذاراً لمن أساءوا إليك

عَلَهُمْ مِثْلَكَ فِي مُفٍّ تَرَقَّى الدَّرَبُ حَيَازَى

فَلِذَا مَا عَاصِصُ الدَّهْرِ بِكُمْ أَلْوَى وَجَارَا

ألوى بكم الدهر: رماكم

فَكُنِ الْأَوْثَقَ عَهْداً وَكُنِ الْأَوْفَى ذِمَّارَا

الذمار: الشرف

أَوْ، فَلَا لَوْمْ، وَلَا عُذْرٌ وَلَا قَوْلٌ يُمَارَى

يمارى فيه: يجادل بشأنه

٦٥ كردستان

ميونخ (١٩٦٣):

قَلْبِي لِكُردِستَانِ يُهْدَى وَالْفَمُ وَلَقَدْ يَجُودُ بِأَصْغَرِيهِ الْمُعْدِمُ

المعدم، أي الفقير، ليس له ما يقدمه سوى أصغريه: قلبه ولسانه

شَعَبٌ دَعَائِمُهُ الْجَمَاجِمُ وَالْدَّمُ تَتَحَطَّمُ الدُّنْيَا وَلَا يَتَحَطَّمُ

٦٦ حلم النصر

قالها قبيل نكسة (١٩٦٧)، وكنا وقتها نحلم بنصر وشيك ومؤكد، براغ:

يَا نَاصِرَ الْأُمَّةِ الْكُبْرَى وَحَاضِنَهَا لَا الْعُجْبُ يَمْلَأُ بُرْدِيهِ وَلَا الْبَرَمُ..
يا عبد الناصر الذي نصر الأمة الكبرى، كل الأمة العربية وليس مصر فقط، ولا يملأ نوبك
العُجب، التكبر، ولا البرم، الملل..

أَنْقِذْ فَلَسْطِينَ مَرْدُوداً بِهَا حَرَمٌ عَلَى ذَوِيهِ، وَمَرْكُوزاً بِهَا عَلَمٌ
التركيب للمنتبي: (مخلو له المرج، منصوباً بصارخة/ له المنابر، مشهوداً بها الجمع). وكان
المنتبي يسلي بقصيدته سيف الدولة عن هزيمة ألت بجيشه، والجواهري هنا يحث عبد الناصر
على حرب ستفضي إلى هزيمة نكراء

وَلَبَّ فِي جَنَابِ الْقُدْسِ صَارِخَةً مِنْ قَبْلُ أَدْرَكَهَا فِي الرُّومِ مُعْتَصِمٌ
قم بتلبية امرأة تصرخ في نواحي القدس، وكان المعتصم قد أدرك وأنقذ مثل هذه المرأة عندما
اعتدى عليها الروم

جَمَعَتْ تِسْعِينَ مِليوناً كَمَا جَمَعَتْ لُبْدَ اللَّيْثِ عَلَى أَشْبَالِهَا أَجَمٌ
جمعت التسعين مليون عربي مثلاً جمعت الأجم، الغابات، الأسود اللبد، التي لها لبدة من شعر
الرأس، ومعها أشبالها

وَصُفَّتْ مِنْ أَنْهَرِ شَتَى وَأَخْلَجَتْ بَحْراً بِمُضْطَخِبِ الْأَمْوَاجِ يَلْتَظِمُ
وَصُنْتُ بِالْقُوَّةِ الْحَقِّ الَّذِي دَلَّكَتْ تَسْعُونَ عَاماً عَلَيْهِ وَهُوَ يُهْتَضَمُ
دلفت: مثت، يهتضم: يظلم

٦٧ اشتياق

براغ (١٩٦٧):

سَهْرَتْ وَطَالَ شَوْقِي لِلْعِرَاقِ وَهَلْ يَدْنُو بَعِيدٌ بِاشْتِيَاقِ

٦٨ الصفو والكدر

من قصيدة في حفل تكريم أقامته له وزارة الإعلام العراقية، بعد انقلاب البعث، بغداد
(١٩٦٩):

يَا سَائِرَ الْحَيِّ إِنَّ الدَّهْرَ ذُو عَجَبٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ الْجُلَى عَلَى الْفِكَرِ
مذاهبه الجلى: أفعاله العظيمة التي يذهب بها كل مذهب

كَأَنَّ نَعْمَاءَهُ حُبْلَى بِأَبْوَسِهِ مِنْ سَاعَةِ الصَّفْوِ تَأْتِي سَاعَةُ الْكَدْرِ

كَأَنَّ النعمة حبلَى وستلد قريباً البؤس والشقاء

يُنْغَصُّ الْعَيْشَ أَنَّ الْمَوْتَ يُدْرِكُهُ فَنَحْنُ مِنْ ذَيْنِ بَيْنِ النَّابِ وَالظُّفْرِ

ينغصص علينا حياتنا أن الموت سيدرك هذه الحياة ويفنيها.. فنحن بين ذين، أي هذين، بين ناب السبع وظفره

٦٩ ضد الشعر الحديث

بغداد (١٩٦٩):

فِي الشَّعْرِ مِنْ فَرَطٍ مَا اخْتَكُّوا بِهِ دَبْرٌ كَمَا تَأْكُلُ عَظْمَ النَّاقَةِ الْقَتْدُ

في الشعر دبر، أي قروح وجروح كالتي في قفا البعير، أو مثلما يحفر خشب القتد، الرجل، عظم الناقة

تَشَكَّتِ الضَّادُ مِمَّا يُنْزِلُونَ بِهَا كَمَا اسْتَكَى الْجِسْمُ مِمَّا تُفْرِزُ الْعُدْدُ

نَجَّوْا بِزَعْمِهِمْ مِنْ أَسْرِ قَافِيَةٍ وَالشَّعْرُ لَوْلَا إِسَارُ نُشْرَةٍ قَدَدُ

يزعمون أنهم استراحوا من أسر القافية، ولولا هذا الأمر لصار الشعر مثثوراً وصار قدداً، قطعاً

يَا شَاتِمِيَّ وَفِي كَفِّي غَلَاصِمُهُمْ كَمُوسِعِ اللَّيْثِ شَتْمًا وَهُوَ يَزْدَرِدُ

يا من يشتموني وفي يدي غلاصمهم، غضاريف حناجرهم، أنتم مثل من يشتم الليث وهو يفتربه ويزدرده، يبلعه

أَتَلْطَمُونَ جَبِينَ الشَّمْسِ أَنْ قَذَيْتَ عُيُونُكُمْ قَبِهَا مِنْ ضَوْئِهَا رَمَدُ

إذا أصبح في عيونكم قذى وأصابها الرمد لشدة ضوء الشمس فلا ينفعكم أن تلطموا الشمس

٧٠ النساء

بغداد (١٩٦٩):

إِنِّي وَرَبُّ صَاعَغُهُنَّ كَمَا اسْتَهَى هِيفًا لَطَافًا

يحلف بالله الذي صاغ وخلق الفتيات هيفاً، هيفات ممشوقات، ولطيفات

لَأَرَى الْجِنَانَ إِذَا خَلَّتْ مِنْهُنَّ أَوْلَى أَنْ تُعَافَا

تُعاَفُ الجنة بدونهن. لا يخش الجواهري شيئاً فالجنة طافحة بهن، فأما أنه سيدخل الجنة ففي الأمر نظر

٧١ النصف الأفضل

براغ (١٩٧٠):

لَجَاجُكَ فِي الْحَبِّ لَا يَجْمَلُ وَأَنْتَ ابْنُ سَبْعِينَ لَوْ تَعْقِلُ
اللجاج: كثرة الأخذ والعطاء

نَقَضْتِ الشَّبَابَ وَوَدَّعْتَهُ وَرُحْتَ عَلَى إِثَرِهِ تُرْقِلُ
انقضى وزال الشباب، وأنت الآن ترقل، تسرع، وراء الشباب الذاهب متجهاً صوب الموت
مَضَى مِنْكَ فِيهِ رَبِيعُ الْحَيَاةِ وَمَاتَ بِهِ نِصْفُكَ الْأَفْضَلُ
ما كان ضرره لو قال: نصفك «الأسفل»

٧٢ هَلْمِي

براغ (١٩٧٠):

وَقَالَ مُحَمَّدُ الْمِصْبَاحُ يَوْمًا لِفَاتِنَةٍ مِنَ الْغَيْدِ الْحَسَانِ
مِنَ الْجِيكِ السَّوَاجِرِ لَسْتُ تَدْرِي بِهِنَّ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الزَّوَانِي:
الجيكي: التشيك

هَلْمِي أَرْضَمْنِي غَدًا، فَقَالَتْ: غَدَاةٌ غَدٍ، وَفِي الْمَقْهَى الْفُلَانِي
فَقَالَ: بِمَرَسَمِي حَيْثُ اسْتَتَمْتُ مِنَ الرَّسْمِ الْمَعَانِي وَالْمَبَانِي
فَقَالَتْ: لَا، وَمَنْ أَعْطَاكَ ذَهْنًا وَعَلَّمَكَ التَّفَنُّنَ فِي الْبَيَانِ!
قالت له: لا، وحق من منحك المخ، وعلمك التفنن في الكلام مع النساء!

أَدَاةُ الرَّسْمِ تَحْمِلُهَا سِلَاحًا عَلَى فَخِذَيْكَ مَشْخُودَ السَّنَانِ
وَلَكِنْ، كُلُّ مَا تَبْغِيهِ مِنِّي خُفُوتُ الضَّوْءِ فِي ضَنْكَ الْمَكَانِ
ضنك: ضيق

٧٣ رثاء عبد الناصر

براغ (١٩٧١):

أَكْبَرْتُ يَوْمَكَ أَنْ يَكُونَ رِثَاءُ الْخَالِدُونَ عَهْدُتُهُمْ أَحْيَاءُ
قَدْ كُنْتَ شَاخِصَ أُمَّةٍ، نَسَمَاتِهَا وَهَجِيرَهَا، وَالصُّبْحَ وَالْإِمْسَاءَ
شاخص أمة: نصبها ورمزها، هجيرها: ظهرتها

قَدْ كَانَ حَوْلَكَ أَلْفٌ جَارٍ يَبْتَغِي هَذَا، وَوَحْدَكَ مَنْ يُرِيدُ بِنَاءَ
أُنْثَى عَلَيْكَ، عَلَى الْجُمُوعِ يَصُوغُهَا الرُّدَّ عَمَاءُ، إِذْ هِيَ تَخْلُقُ الزُّعَمَاءَ
أمدح الجموع التي جمعها أنت حولك فصارت جماهير موحدة، وغيرك من الزعماء تخلقه
الجماهير لا يخلقها

وَنُكِسَتْ، فَأَنْتَكِسَتْ، وَكُنْتَ لَوَاءَهَا يَهْوِي، فَمَا رَضِيتَ سِوَاكَ لَوَاءَ
الجموع انتكست بنكستك في عام ٦٧، وهوى لواءها وهو أنت، ولكنها ظلت تريدك. فبعد هزيمة
٦٧ تنحى عبد الناصر، فخرجت الجماهير، في مصر وغير مصر، تطالبه بالبقاء رئيساً

٧٤ النفط

براغ (١٩٧٢):

خَمْسُونَ عَاماً وَالْعِزَّاءُ قُ عَلَى الْبَلَاءِ مُصَفَّدُ
مصفد: مقيد

ذَهَباً يَسِيلُ وَفِي مَصَا رِفٍ لَنَدَنِ يَتَجَمَّدُ
يسيل البترول ذهباً ويرسله مصاصو الدم إلى بنوك لندن ليتجمد هناك بأسمائهم

صُهِبُ السَّبَالِ يَهْزُهَا طِفْلٌ جَمِيلٌ أَسْوَدُ
صهب السبال، شُفِرَ اللحي أي الإنجليز، يهز عواطفهم الطفل الجميل الأسود، يعني الذهب
الأسود.. النفط

يَتَخَطَّفُونَ نَظِيرَهُ مِنْ أَيِّ جِضْنٍ يُوَلَّدُ
فهم يتخطفونه من أي بلد يكتشف فيه

٧٥ ثورة على الموت

فارنا، بلغاريا (١٩٧٣):

فِي دَمِي ثَوْرَةٌ عَلَى الْمَوْتِ تَكْفِي أَنْ تُعْقِيَّ عَلَيْهِ، لَوْ كَانَ يُكْفَى
في دمي عفوان يكفي أن يعفي على الموت، يمحوه محواً.. هذا لو كان الموت يكفي، يكفي
شُرُّه

يَنْقَدُ الْعَمْرُ شَدِّمَا كَانَ حَوْجاً كَسِرَاجٍ فِي فَحْمَةِ اللَّيْلِ يُظْفَأُ
ينفد العمر وينتهي والمرء في أمس الحاجة إليه، كالسراج الذي ينطفئ والليل حالك السواد

لَيْتَ أَنَّ الْجِمَامَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ بُدًّا . مِّنَ الْمَوْتِ، عِلَّةٌ ثُمَّ تُشْفَى
يَجِدُ الْمَرْءَ بَعْدَهَا الْعَيْشَ أَحْلَى . وَهِيَاتِ الدُّنْيَا أَلَدُّ وَأَضْفَى
لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَوْتُ مِثْلُ عُقَابِ الدِّمَى . جَوًّا يُدْمِي بِنَا مَخَالِبَ عُقْفَا .
الموت مثل العقاب، الطائر الكاسر، يدمي مخالبه المعقوفة بقبضه علينا . . فليت شعري . .
أَقْرَابِينَ نَحْنُ شَوْهَاءُ تُزَجَّى . لِّلْإِلَهِ الْغَضَبَانِ قُرْبَى وَزُلْفَى؟
أنحن قرايين شوهاء، مشوهة لأننا نموت في سن الشيخوخة عادة، تقدم للإله زلفى، تقرباً منه؟

٧٦ المتصابي

براغ (١٩٧٣):

لَا تَلُمْ أَمْسَكَ فِيمَا صَنَعَا . أَمْسِ قَدْ فَاتَ، وَلَنْ يُسْتَرْجَعَا
أَمْسِ قَدْ مَاتَ، وَلَنْ يَبْعَثَهُ . حَمْلُكَ الْهَمَّ لَهُ، وَالْهَلَعَا
إِطْرَحْهُ وَاسْتَرِحْ مِنْ ثِقْلِهِ . لَا تُضِغْ أَمْسَكَ وَالْيَوْمَ مَعَا
مَا أَحْسَنَ الْمَرْءُ بِشَكْوِ يَوْمِهِ . فَلِذَا وَلَّى بَكَاهُ جَزَعَا
نظل نشكو في يومنا . . فلذا ذهب بكينا

يَا بَقَايَا ذِكْرِيَاتٍ كُلَّمَا . جُسَّ عُوْدٌ مِّنْ صَدَاهَا رَجَّعَا
الذكرى مثل عود بأوتار كلما لمسناه رجَّع صداها، كررها وذكرنا بها
حَدَّثَنِي مَا شِئْتَ عَنْ أَبْدُوعَةٍ . وَلَقَدْ يَأْتِي الزَّمَانُ الْبِدْعَا
أيتها الذكريات قُصِّي على الناس أبدوعة، عجيبة من العجائب

عَنْ فَتَى أَحْصَبَ فِي شَتَوْتِهِ . لَاعِنًا فِيهَا الرِّبِيعَ الْبَلَقْعَا
قصي قصة فتى جاءه الخصب والإلهام الشعري في شتاء العمر، وهو عجوز . . والجواهري الآن قد
تخطى السبعين، وراح يلعن الربيع الذي لا يكون فيه إلهام

عَاشَ فِي الْعِشْرِينَ شَيْخًا، وَرَعَى . بَعْدَ سِتِّينَ شَبَابًا مُّمرَعَا
عندما كان في العشرين كان وقوراً كشيخ مسن، وبعد الستين صار صاحب شباب ممرع، خصب
قَفَّ عَلَى بُرَاهَا وَجُبَّ أَرْبَاضَهَا . وَسَلَ الْمُصْطَافَ وَالْمُرْتَبَعَا
براها: الاسم التشيكي لبراغ. يريد أن يجوب أرباض براغ، هضباتها، وأن يسائل أماكن
الاصطياف والارتباع، الأماكن التي ينزلها القوم صيفاً وربيعة

وَسَلِ الْخَلَاقَ هَلْ فِي وُسْعِهِ فَوْقَ مَا أَبَدَعَهُ أَنْ يُبْدِعَا
مَرَّتِ الْأَسْرَابُ تَثْرَى.. مَقْطَعٌ مِنْ نَشِيدِ الصَّيْفِ يَثْلُو مَقْطَعَا
مرت أسراب الحسان تثرى، متلاحقة متواترة، فكأنها مقطع من نشيد الصيف

وَتَخَفُّفَنَ فَمَا زِدْنَ عَلَى مَا ارْتَدَّتْ حَوَاءُ إِلَّا إِضْبَعَا
حواء ارتدت ورقة توت.. وهن ارتدتين تنانير تزيد عن ورقة التوت بإصبع

رَحْمَنَا لِابْنِ زُرَيْقٍ لَوْ رَأَى فَلَكَ الْأَزْزَارِ مَاذَا أَطْلَعَا
وكان ابن زريق البغدادي قال «أستودع الله في بغداد لي قمراً/ بالكرخ من فلك الأزرار مطلعاً متخيلاً
زوجته المحبوبة قمراً ولكن هذا القمر يطلع - ليس من فلك من أفلاك السماء، بل - من فلك أزرار قميصها
كُلَّ مَضْمُومٍ إِلَى صَاحِبِهِ مُشْرِئُ بَيْنٍ إِلَى النُّورِ مَعَا
ومن وراء أزرار قميص التشبيكية الجميلة لمح الجواهري نهداً مضموماً إلى صاحبه وقد اشرأباً معاً،
أي رفعاً رأسيهما، نحو النور. سيأتي مظفر النواب ويشبه النهدي برأس القط

٧٧ إلى أمونة

براع (١٩٧٣):

مَا لَذَّةُ الْوَصْلِ لَمْ يَلَوْ الصَّدُودُ بِهِ وَالْحُبُّ لَمْ يَخْتَلِسْ مِنْ أَمْنِهِ الْفَرْقُ؟
ما لذة الوصل الذي لم يلو به، لم يذهب به، الصدود.. وما لذة الحب الذي لم يسرق منه الأمان
الفرق، الخوف؟ يقول إن لذة وصل الحبيبة يكون في وجود احتمال صدودها، ولذة الحب في تلك
المخاوف من الوشاة

تِلْكَ الثَّلَاثُونَ وَالتَّسْعُ الَّتِي دَلَفْتُ تَسْتَأْقِنَا عَنَّا طَوْرًا وَتَرْتَفِقُ
دلفت، أي مضت، على زواجنا ٣٩ سنة، وكانت تسوقنا أمامها سوقاً عتيقاً تارة وترتفق، تتلطف
بنا تارة أخرى

سِرْنَا عَلَى الشَّوْكِ يُدْمِينَا وَنَأْلُفُهُ وَفِي مَفَاوِزِ تَرْمِينَا وَنَلْتَصِقُ
مفاوز: صحارى

كُنَّا نَرَى الْجَمْرَ مَشْبُوبًا وَنَخْتَرِقُ وَمَغْرَسَ الرَّجْلِ مَلْفُومًا وَنَخْتَرِقُ
مغرس الرجل: موضع غرس القدم

إِنِّي وَعَيْنِيكَ لَا أُمْنَى بِدَاجِيَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ لِي الْإِصْبَاحُ وَالْفَلَقُ
لا أمنى، أصاب، بداجية، بمشكلة مظلمة، إلا وأنت لي صبح وقلق، إشراق الشمس. وسيفقد
الجواهري زوجته أمنة بعد عشر سنين وسيقول: (ها نحن أمونة نأى ونفترق)/والليل يمكث
والتشهيد والحرق

٧٨ محكُّ الرجال

المغرب (١٩٧٤):

تَقَحَّمْتُ الْوَعَى وَتَقَحَّمْتَنِي وَخُضْتُ عَجَاجَهَا حَرْباً سِجَالاً
الوعى: الحرب، عجاجها: غبارها. وما عرف الجواهري حرباً ولا عرف ضرباً، إن كانت إلا
مماحكات وخصومات

وَلَمْ أَرَ كَالْخُصُومَةِ مِنْ مِحْكٍ يُبَيِّنُ لَكَ الرُّجُولَةَ وَالرَّجَالَ
عندما تخاصم رجلاً تكشف فيه الرجولة والشهامة، أو العكس

٧٩ فرح ومرح

طنجة (١٩٧٤):

لَلَّهِ دُرُّكَ طَنْجُ مِنْ وَطْنٍ وَقَفَ الدَّلَالُ عَلَيْهِ وَالْعَنْجُ
طنجة وقف عليها الدلال، صار وفقاً عليها ثابتاً صفة لها

صَفَتِ النُّفُوسُ فَلَقَّهَا مَرَحٌ يَهْفُو بِهَا، وَتَلَاقَتِ الْمُهَجُ
النفوس صافية ويهفو بها، يحركها المرح، والقلوب تتلاقى

فَيَدُّ عَلَى خَضِرٍ وَلَا رَصْدٌ وَقَمَّ عَلَى ثَغْرِ وَلَا حَرْجُ
يتراقصون ويده على خصرها ولا رصد، دون رقيب.. والبقية عندك

٨٠ ابتسام في الطرقات

براغ (١٩٨٠):

كَعْهَدِكَ مَا تَزَالُ بِرَاغٍ تُزْهِى كَأَنَّ ثُلُجَ شَتَوَتِهَا اغْتِلَامُ
ما زالت براغ كعهدك بها زاهية، والثلج الخفيف في شتوتها كأنه اغتلام، شيق..

أَعْنَهَا قَلْتُ أَمْ عَنِّي؟ سِوَاءٍ كِلَانَا عِنْدَهُ كَلَفٌ عَرَامُ
فهل تراني شبهت هذا التشبيه وفي ذهني براغ، أم في ذهني نفسي؟ كلا الأمرين سواء، فكلانا لديه
كلف، أي رغبة، عارمة. نعم يا محمد مهدي.. تشبيه الثلج بالاغتلام يصرف الذهن إلى هذا
الرجل الثمانييني وقد صحا من نومه وأحس بعارض أبيض يعرض له..

تَحَدَّبَتِ الثَّلُوجُ عَلَى زُرُوعٍ تَغْشَاهَا لِیُذْفِنَهَا رُكَامُ
أحاطت الثلوج بالزروع، وهذا الركام تغشاها، وضمها، ليدفنها

وَبَيَّضَتِ الْفَجَاجُ فِكُلْ دَرْبِ عَلَى شَفَتَيْهِ يَضْطَرُّ ابْتِسَامُ
وساد البياض الفجاج، الطرق الضيقة، فكل طريق كأنه قم مفتوح تظهر فيه الأسنان. . كأنه قم
يتبسم

٨١ الدخول في الثمانين

براغ (١٩٨٢):

حَسْبُ الثَّمَانِينَ مِنْ فَخْرٍ وَمِنْ جَدَلٍ غَشْبَانُهَا بِجَنَانٍ يَافِعٍ خَضِلٍ
يكفي الثمانين فخراً وفرحاً أنني أغشاها، آتياها، بقلب يافع، فتى، خضل، ريان مبتل بماء الشوق
كَمْ هَزَّ دَوْحَكَ مِنْ قِرْمٍ يُطَاوِلُهُ فَلَمْ يَنْلُهُ وَلَمْ تَقْصُرْ، وَلَمْ يَطْلُ
كثيراً ما هز دوحك، شجرتك الكبيرة، قزم يريد أن يطاول هذا الدوح. . فلا هو ناله ولا الدوح
قصر

وَكَمْ سَعَتْ إِمَاعَاتٌ أَنْ يَكُونَ لَهَا مَا ثَارَ حَوْلَكَ مِنْ لَغْوٍ وَمِنْ جَدَلٍ
كثيرون من الإماعات، الناس الذين لا شخصية مستقلة لهم، سموا أن يثور حولهم ما ثار حولك من
جدل، ومن لغو، كلام فارغ أيضاً

ثَبَّتْ جَنَانَكَ لِلْبَلَوَى فَقَدْ نَصِبَتْ لَكَ الْكَمَائِنُ مِنَ الْغَدْرِ وَالْخَتْلِ، الْخَدَاعِ
ثبت قلبك للمصيبة، فقد نصبت لك الكمائن من الغدر والختل، الخداع

لَا تَنْسَ أَنَّكَ مِنْ أَشْلَاءِ مُجْتَمَعٍ يَدِينُ بِالْحَقْدِ وَالثَّارَاتِ وَالذَّجْلِ
كنت الغريب به: لا أنت تألفه فتستريح، ولا عنه بمنعزل
أنت من مجتمع مريض بالحقْد والثار والذجل، وكنت غريباً فيه لكنك لم تكن عنه بمعزل

فَكَيْفَ تَظْمَعُ أَنْ تُعْفِيكَ ثَاكِلةً أَنْتَ النَّذِيرُ لَهَا بِالْوَيْلِ وَالثَّكَلِ؟
فكيف تطمع أن تركك ثاكلة أنت الذي جتها بالثكل وفقدان الولد. يعني كيف يعفيك المجتمع
الفاقد وأنت الذي شنت عليه حرب الإصلاح لتقتل فساداً؟

٨٢ إلى عدن

(١٩٨٢):

مِنْ مَوْطِنِ الثَّلَجِ رَحَّافاً إِلَى عَدَنٍ حَبَّتْ بِي الرِّيحُ فِي مُهْرٍ يَلَا رَسَنِ
ذاهباً من براغ حيث الثلج إلى عدن. . حبت، أسرع، بي الريح وأنا في مهر لكن ليس له رسن،
أي مقود، وهذا المهر هو الطائفة

حَسِبْتُنِي، وَعُقَابُ الْجَوِّ يَصْعَدُ بِي إِلَى السَّمَاوَاتِ، مَحْمُولاً إِلَى وَطَنِي
وأنا راكب الطائرة ظننتني ذاهباً إلى العراق

ما أَقْرَبَ الشَّمْسِ مِنِّي، غَيْرَ أَنَّ دَمِي . ما إِنْ يُصَلِّي لِغَيْرِ الشَّعْرِ مِنْ وَثْنٍ
يرى نفسه في الطائرة قريباً من الشمس معبودة القدماء، لكنه لا يصلي إلا للشعر

٨٣ الانسلاال

دمشق (١٩٩٣):

خَطَرُ أَنْ يُصْبِحَ الْمَرْءُ خَطِيراً يَمْلِكُ الدُّنْيَا، وَيَنْسَلُ حَسِيراً
خطير: مهم. ما أصعب أن ينال المرء في دنياه كل المجد... ثم ينسل منها حسيراً، متحسراً على
فقدان كل شيء

وَاجِماً وَالرَّوْضُ مِنْ صَنْعَتِهِ وَظَمِئاً وَهُوَ يَنْسَابُ غَدِيراً
صعب أن يقف المرء واجماً، ساكناً حزيناً، بينما هو الذي زرع الروض. وصعب أن يكون عطشان
وهو ينساب غديراً متدفقاً بالشعر العذب. الشاعر يخلق الجمال ولا يستمتع به

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٦٩	الْقَتْدُ	٧٣	أَحْيَاءُ
٣٢	الْقَصَائِدُ	٤١	الْثَنَاءُ
٣٦	جَلْدُ	٥٥	وِإِمَاءُ
٧٤	مُصَفَّدُ	١٨	وَمَشَاءُ
٦٢	الْحُدُودِ	٢٠	ثَعَالِيَا
٨	سِنَادِ	١٠	سَحَابَا
٢٤	فَارِزْدَدِ	٤٤	وَهَبَا
٤٩	مِدَادِ	٦٠	أَطِيبُ
١٩	وَمَدَّ	٥٣	أَعَاجِيبُ
٤٠	يَصِيدِ	٢٦	أَعْرَبُ
٣١	أَجْدَرَا	٤٦	سَحَابُ
٤٣	المجَاهِرَا	٤٢	وَنَظَرُبُ
١٧	الْمَجْرَى	٢٥	التَّرَاكِبِ
٦٤	تُدَارَى	٣٧	الْقِيَابِ
٨٣	حَسِيرَا	٦١	الْمُرِيبِ
٢٩	تَنْغِيرُ	٢٨	بِالتَّجَارِبِ
٥٧	جَبَّارُ	٥٩	حِسَابِ
٥١	مَوَّارُ	١١	الصَّدَمَاتُ
٢٣	التَّعَابِيرِ	٥٨	اِحْتِيَاجُ
٣٠	السَّتَائِرِ	٧٩	وَالْعَنْجُ

٣٩	يَدَاكَ	٦٨	الْفِكْرِ
٧٨	سِجَالًا	٦	الْمُتَّظِرِ
٢٧	الْمَحَافِلُ	٩	مِهْذَارِ
٧١	تَعْقِلُ	٢١	الْأَغَرَّ
٨١	خَضِلِ	١٦	تَذَرُ
٢٢	تَمْثِيلِهِ	٤	وَتُرْسَا
١٢	نَظْمًا	٢	لِلْقُنُوطِ
٨٠	اِغْتِلَامُ	٤٥	الزَّرْعَا
٦٦	الْبَرَمُ	٣٤	صُدَاعَا
٦٥	المُعْلِمُ	٧٦	يُسْتَرْجَعَا
٤٨	قَمٌ	٤٧	الْأَرْبَعِ
٥٢	الطَّعَامِ	٣٨	مُصَانِعِ
٣٥	رَّعِيمِ	٥٦	يَهْلَعِ
١	الْمُنَى	٧٠	إِطَافَا
٥٤	يُؤَاتِينَا	٧٥	يُكْفَى
٦٣	البَسَاتِينِ	٥٠	يُقْطَفُ
٧٢	الْحِسَانِ	٥	الْمُرْتَقَى
١٣	الدِّينِ	٧٧	الْفَرْقُ
٨٢	رَسَنِ	١٥	تَرْقُ
٣٣	دَاعِيَا	١٤	الْمُتَأَلَّقِ
٧	قَوِيَّةُ	٦٧	بِاشْتِيَاقِ
		٣	خُلْفِي

فهرس القوافي العام (القافية، فرقم القطعة، فاسم الشاعر)

أبواب الكتاب

١ البارودي ٢ الزهاوي ٣ شوقي ٤ حافظ ٥ الرصافي ٦ الجواهري	
أحياء ٧٣ الجواهري	بالصَّهْبَاءِ ١٠ حافظ
الثَّنَاءُ ٤١ الجواهري	دوائِي ١٠٦ شوقي
شاء ٢٦ شوقي	وإِماءٍ ٥٥ الجواهري
ماء ٢١٥ شوقي	ومَشَاءٍ ١٨ الجواهري
مساء ٢٥٩ شوقي	السَّمَاءُ ٢٥٦ شوقي
الثَّنَاءُ ٨ شوقي	شفاءها ٢١٩ شوقي
الرجاء ١٠ شوقي	بنائِهِ ٢٥٥ شوقي
إِماء ١١٨ شوقي	سَوَاء ١ البارودي
شَمَاء ١٦٠ شوقي	أَسَاءوا ١٩ الرصافي
وَنَاء ١٤١ شوقي	أَفْيَاء ٢ الزهاوي
الأحياء ٢٦٠ شوقي	سَمَاء ٦٧ الزهاوي
الأضواء ٥٠ شوقي	عِيَاء ٥ البارودي
الكَرْماء ١٥٣ شوقي	الرِّيَاء ٩ الرصافي
الِكِسَائِي ٩ حافظ	السوداء ١١٣ الرصافي

والرِّيَا ٩٤ شوقي	العماء ٥ الرصافي
وانتصبا ١٣ البارودي	ثواء ٤٨ الرصافي
وهبا ٤٤ الجواهري	سماء ٣ البارودي
أب ١٧ شوقي	سماء ٤ البارودي
ارتباب ٦ حافظ	شيفائي ٢ الزهاوي
أطيب ٦٠ الجواهري	وشقاء ٧٠ الزهاوي
أعاجيب ٥٣ الجواهري	أثنائه ٢ البارودي
أغرب ٢٦ الجواهري	أبي ١٩ حافظ
أغيب ٢ الزهاوي	الثعلبا ٥٨ شوقي
الجُذوب ٧٥ الرصافي	العبا ٤٩ الرصافي
الحرب ١٢ البارودي	الكتابا ٢١٤ شوقي
نَضْرِبُ ٢٤ شوقي	انصبابا ٧٥ حافظ
ثعلب ٥٧ شوقي	ثعالبا ٢٠ الجواهري
جواب ٤ الزهاوي	ثوابا ١٧٣ شوقي
خَسَبُ ٣ الزهاوي	خَطبا ٩٥ الرصافي
دُروب ٥ الزهاوي	سحابا ١٠ الجواهري
دَهَبُ ٢٥ شوقي	طَلبا ١٨٤ شوقي
سحاب ٤٦ الجواهري	عاصبا ٦١ الرصافي
ضُروب ٣ الرصافي	عتابا ١٥٢ شوقي
عَرَبُ ١١ البارودي	غضابا ٢ الزهاوي
كثيب ٢ الزهاوي	لعبا ٩٨ شوقي
والحب ٢٣٧ شوقي	واكتسابا ١٩٢ شوقي

بِاللَّهَبِ ١٣ حافظ	وَالْحَسَبِ ٣٠ حافظ
بِذَاهِبِ ١٠ البارودي	وَحُجَابُ ٦٠ حافظ
تَكَهْرُبِ ١ الزهاوي	وَنَظَرَبُ ٤٢ الجواهري
حِسَابِ ٥٩ الجواهري	وَيُعَجَبُ ٦ البارودي
دَهَبِ ٦٣ الرصافي	أَبِي ١٥ البارودي
شَيْبِ ٨١ الزهاوي	أَبِي ٢ شوقي
عُرَابِي ٨٦ شوقي	أَحِبِّ ٢٢٢ شوقي
كَعْذَابِ ٢٤٢ شوقي	اِكْتَنَابِي ٢ الزهاوي
مَا بِي ٨ البارودي	الْأَعْقَابِ ٦ الزهاوي
مُجِيبِي ٥٩ حافظ	التَّجْرِيبِ ٧ البارودي
مَشِيبِي ٦٤ حافظ	التَّرَاكِيِبِ ٢٥ الجواهري
مُنْقَلَبِ ١٥ الرصافي	الْحُبِّ ١٤ البارودي
وَالرُّتَبِ ٢ الزهاوي	الْحَرْبِ ٧٠ الرصافي
الصَّخْبِ ٢ الزهاوي	الْخَطَابِ ٤١ حافظ
الْعَضْبِ ٩٦ شوقي	السَّرْبِ ١ الزهاوي
دَهَبِ ٨٥ الزهاوي	الشَّبَابِ ٩ البارودي
ذِنَابِ ٨٦ الزهاوي	الطَّيِّبِ ١٧ حافظ
عَجَبِ ٢٥٨ شوقي	العَرَبِ ١٨٩ شوقي
جَائِئُهُ ٣٥ حافظ	الْقِيَابِ ٣٧ الجواهري
عَوَاقِبُهُ ٣٣ الرصافي	المُرِيبِ ٦١ الجواهري
يَحِبُّهَا ٢٨ شوقي	المُصَابِ ٨٠ حافظ
آدَابِهَا ٨٢ الرصافي	بِالتَّجَارِبِ ٢٨ الجواهري

أَذْنَابِهِ ١ الزهاوي	الْمَكْرُمَاتِ ٥٠ الرصافي
كِتَابِهِ ١٨٥ شوقي	الموتِ ١٠٣ شوقي
كُذِّبَهُ ٣٨ الرصافي	النَّصْرَاتِ ٢٢ حافظ
لِشُحُوبِهَا ٧ الزهاوي	بِالصَّلَاةِ ١٤ الزهاوي
أَبْيَاتَا ٨ الزهاوي	بَيَّتِ ١٦ البارودي
حَانَا ٢٠٨ شوقي	حَيَاتِي ١٦ حافظ
الْأَمْهَاتُ ٢ الزهاوي	حَيَاتِي ٢ الزهاوي
الْأَمْوَاتُ ٧ حافظ	سِكَارَاتِي ٤١ الرصافي
الصَّدَمَاتُ ١١ الجواهري	سِمَاتِ ٨٨ الرصافي
الكَائِنَاتُ ١٠ الزهاوي	عَرَافَاتِ ١٢٨ شوقي
بَاثُوا ٩ الزهاوي	مُتَّصِلَاتِ ١٣ الزهاوي
تُبُوتُ ٢ الزهاوي	مَرَّتِ ٢٣ شوقي
تُبُوتُ ٨٢ الزهاوي	مَرَّتِ ٢٤٩ شوقي
سُبَاتُ ١٠٤ شوقي	وَالْمَشْرِفِيَّاتِ ٣٦ شوقي
وَالْأَمْهَاتُ ١١ الزهاوي	وَالنَّسَمَاتِ ١٢ الزهاوي
وَتَبَيَّتُ ٢ الزهاوي	دَسْتُهُ ٥ شوقي
يَقُوتُ ٢ الزهاوي	فَأَيُّتُهُ ١٦٢ شوقي
الْأَوْقَاتِ ٧٠ حافظ	فَزَحَمَتُهُ ٢١٠ شوقي
الْحَادِثَاتِ ٣٣ شوقي	إِحْدَائِي ١٥ الزهاوي
الْحُبْرَاتِ ٧٧ حافظ	احْتِيَاجُ ٥٨ الجواهري
الْحَرَكَاتِ ٢ الزهاوي	وَالْغَنَجُ ٧٩ الجواهري
المُشْكَلَاتِ ٢ الزهاوي	يَتَمَوَّجُ ١٦ الزهاوي

قَيْدًا ٩ شوقي	الحَاج ١٠٢ الرصافي
نَقْدًا ١٩ الزهاوي	مُذَلِّج ١٧ البارودي
وَالْوِدَادًا ٢٥ حافظ	عَلَّاجُهَا ٨٨ شوقي
وَتَوَلَّدًا ٢٩ الرصافي	مُسْتَبَاحًا ٢١٨ شوقي
يَدًا ٢٧ حافظ	فَأَسْتَرْوُحُ ٦٣ حافظ
اِسْتَعْدَاذُ ٢٤ الزهاوي	الْأَفْرَاحِ ١٩٣ شوقي
الْأُسْدُ ٢٤ البارودي	فَسِيحُ ٢٠ البارودي
الْقَتْدُ ٦٩ الجواهري	مَدَائِحِي ٢ الزهاوي
الْقَصَائِدُ ٣٢ الجواهري	وَأَفْرَاحٍ ٤ حافظ
الْمُقَنَّدُ ٢٨ الرصافي	نَصَحُ ١٩ البارودي
النَقْدُ ٢١ شوقي	رَجَحَتْ ١٨ البارودي
نَبِيذُ ٢٥ الزهاوي	يَتَسَبَّخُ ١١٦ شوقي
تَتَجَدَّدُ ٢ الزهاوي	الشُّدَادَا ٢١٧ شوقي
تُسَدُّ ٢٤٣ شوقي	الْعِدَا ٣١ البارودي
جَلِيدُ ٣٦ الجواهري	المجيدا ٢٠ الرصافي
جَمَادُ ١ الزهاوي	الْمُسَدَّدَا ٨ حافظ
حُدُودُ ٦٧ الرصافي	بِالْعِدَى ١٨ شوقي
دَدُ ٣٢ البارودي	حَدًّا ٢٤ حافظ
سَنَدُ ٧٦ الزهاوي	خَالِدَا ٧٧ الزهاوي
صَيَّادُ ٧٤ شوقي	شَرِيدَا ١٩٥ شوقي
مَحْدُودُ ٢٠ الزهاوي	قَدْ قَدْ ١٨ الزهاوي
مَدِيدُ ١٢ شوقي	قِرْدَا ١٠٧ الرصافي

مُسْتَدُ ١٧ الزهاوي	بِالْعُنُقُودِ ١ شوقي
مُصَفَّدُ ٧٤ الجواهري	بِالْمُرْصَادِ ٢ الزهاوي
مُلْحُودُ ٢١ الزهاوي	بِعَدِي ٣١ شوقي
وَارِدُ ١٣ الرصافي	بِعَدَادِ ٦ الرصافي
وَجِهَاذُ ٢٥٧ شوقي	بِفَوَادِي ٢٧ البارودي
وُلْدُوا ٢ الزهاوي	بِقِيُودِ ٤٣ الرصافي
وِيُهَدَّدُ ٢٢ الزهاوي	بِيَدِي ٢٨ البارودي
الْأَجْوَادِ ٢٦ البارودي	جَلَدِي ٢ الزهاوي
الْأَعْوَادِ ١٧٤ شوقي	سِنَادِ ٨ الجواهري
الْأَكْبَادِ ٢ الزهاوي	سُهْدِي ٣٠ البارودي
الْجَمَادِ ٢٦ الزهاوي	عَهْدِ ٢٣ البارودي
الْحُدُودِ ٦٢ الجواهري	عَدِ ٢٢ البارودي
الْحَسَدِ ٣٣ البارودي	فَارَزَدِ ٢٤ الجواهري
الرَّعَادِيْدِ ١٠٠ الرصافي	لِلْسَيِّدِ ٣٥ شوقي
الضَّادِ ١٨٢ شوقي	مَجْهُودِي ٢١ حافظ
الْعِبَادِ ٣٤ البارودي	مِدَادِ ٤٩ الجواهري
الْعِبَادِ ٨٢ حافظ	نَادِي ١٣٩ شوقي
الْعَوَادِي ٢٥٤ شوقي	وَأَقْعِدِ ١٣ شوقي
النَّادِي ١١٤ الرصافي	وَالْوِدَادِ ٢٠ شوقي
اليَهُودِ ٣٤ حافظ	وِإِعَادِ ٢٩ البارودي
بِالْأَجْسَادِ ٢٨ الزهاوي	وَحْدِي ٦١ حافظ
بِالدِّدِ ٢٦ الرصافي	وَحِيدِ ٢٧ الزهاوي

وَمَدَّ ١٩ الجواهري	الكُبْرَى ١١ شوقي
يَصِدِّ ٤٠ الجواهري	الْكُرَى ١٣٧ شوقي
يُنَادِي ٢٢٠ شوقي	المجَاهِرَا ٤٣ الجواهري
أَرَادَ ١١٩ شوقي	الْمَجْرَى ١٧ الجواهري
الْأَسَدُ ٢٤٠ شوقي	تُدَارَى ٦٤ الجواهري
الْعَمِيدُ ٧١ حافظ	جَرَى ٩٠ شوقي
الْمَنْفِرْدُ ٤٧ شوقي	حُرًّا ٨٨ الزهاوي
لُبْدُ ٢٦٣ شوقي	حَسِيرَا ٨٣ الجواهري
مَخْلَدُ ١٠٥ شوقي	دُورَا ٣٧ الرصافي
أَشْدَّهَا ١٩٤ شوقي	سَاهِرَا ٣٠ الرصافي
تُجِيدُهُ ٢ الزهاوي	عُذْرَا ٧١ الرصافي
رُقَادَةُ ٢ الزهاوي	مَرًّا ٥٥ الرصافي
بَرِيدُهُ ٢٥ البارودي	وَنَارَا ٣١ الزهاوي
حُقُودُهَا ٢٣ الزهاوي	يَتَعَوَّرَا ٩٩ الرصافي
زَنْدُهُ ٢١ البارودي	يَطِيرَا ٢ الزهاوي
عَوْدُهُ ١٢٩ شوقي	أُنْرُ ٢ حافظ
هُجُودُهَا ٥٣ الرصافي	أَشْعُرُ ٣٦ الزهاوي
أُنْرَا ١٥ حافظ	الْأَكْبَرُ ٣٤ شوقي
أَجْدَرَا ٣١ الجواهري	الْحُرُّ ٣٣ الزهاوي
الْجَوْهَرَا ٢١٦ شوقي	الضَّمِيرُ ٢ الزهاوي
الدَّهْرَا ٢١ الرصافي	الْكَوْنُرُ ٢٠ حافظ
الْعِثَارَا ٨٢ شوقي	تَبَوَّرُ ٢٣٣ شوقي

تَغْيِيرُ ٨٩ شوقي	الأمير ٦٦ الرصافي
تَنْغَمِرُ ٢٩ الجواهري	التَّعَايِيرُ ٢٣ الجواهري
تَنْفَطِرُ ٢ الزهاوي	الحصارِ ٦٢ شوقي
جَبَّارُ ٥٧ الجواهري	الحُورِ ٧٩ الزهاوي
جَدِيرُ ٢٤٤ شوقي	السَّائِرِ ٣٠ الجواهري
سَعِيرُ ٣٩ حافظ	السَّوَاغِرِ ٩٧ الرصافي
صَابِرُ ٣٨ البارودي	الصَّحَارِ ٤٨ شوقي
كَبِيرُ ٦٦ حافظ	الغفورِ ١٢٦ شوقي
كَسِيرُ ٣٥ الزهاوي	الفَجْرِ ٤٢ شوقي
مَوَارُ ٥١ الجواهري	الفِكْرِ ٦٨ الجواهري
نُشُورُ ١٨ حافظ	القبرِ ٤ الرصافي
والأبرارُ ٢ الزهاوي	المَزَارِ ٣٧ الزهاوي
والعَشِيرُ ٢ الزهاوي	المُتَنَظِّرِ ٦ الجواهري
والفِكْرُ ٣٤ الزهاوي	بالأبكارِ ١٥٩ شوقي
وجوارُ ٢٦١ شوقي	بِغَادِرِ ١٢ الرصافي
وذُكُورُ ٢ الزهاوي	تَكْفِيرِ ٣٨ الزهاوي
وفَقِيرُ ١٣٤ شوقي	ثَبِيرِ ٣٩ الزهاوي
ونَكِيرُ ٣٢ الزهاوي	حُصَّارِ ١٢٧ شوقي
يَسِيرُ ٣٧ البارودي	خبرِ ٩٧ شوقي
أَصْبِرُ ٤١ البارودي	صَخْرِ ٣٦ البارودي
الأسْرِ ٨ الرصافي	صدري ٢ الزهاوي
الأقْدَارِ ٨٥ شوقي	عَمْرُو ٤٤ البارودي

للكَذْر ١٥٤ شوقي	كِبَارِ ١٣٨ شوقي
مُدَّكِرُ ٧٧ الرصافي	كَدَرِ ٤ شوقي
والمَفَاخِرُ ٤٥ حافظ	لِلبَقَرِ ٤٤ الرصافي
الْآخِرَةُ ٤٥ البارودي	مَسْتَطِرِ ٤١ شوقي
الْجِدَارَةُ ٢ الزهاوي	مِهْذَارِ ٩ الجواهري
الشَّجَرَةُ ٦١ شوقي	وَبِالْخِذْرِ ٨١ شوقي
تَارَةُ ٣٠ الزهاوي	وَتَغْيِيرِ ٤٦ البارودي
كَعْتَرَةُ ١٠٨ شوقي	وَسَطَرِ ١٤٠ شوقي
مُدَارَةُ ١٩٨ شوقي	وَسَعِيرُ ٦٩ الزهاوي
مُدَخَّرَةُ ١٧٥ شوقي	وَطَرِ ٣٩ البارودي
مَسْتِيرَةُ ٦٣ شوقي	وَعَرِ ٤٣ البارودي
مَسَرَّةُ ٦٠ شوقي	وَكُرِ ٣٥ البارودي
مُسْتَطِرَّةُ ٤٠ البارودي	الْأَخْضَرُ ٣ شوقي
وَالْجَارَةُ ١٩٧ شوقي	الْأَغَرُ ٢١ الجواهري
وَسُمْرَةُ ٤٢ البارودي	الْحَذَرُ ٦٥ حافظ
تَبَخُّرُهَا ١٠١ الرصافي	الْخَوَاطِرُ ١٦ شوقي
إِطَارِهِ ٣١ الرصافي	الْعُمُرُ ١٨١ شوقي
بِأَمِيرِهِ ١٨ الرصافي	الْكَدَرُ ١٥٨ شوقي
يَجَارُهُ ٩١ شوقي	تَذَرُ ١٦ الجواهري
النَّاسَا ٢ الزهاوي	سَقَرُ ٢٩ الزهاوي
وَالنَّفُوسَا ٦٩ الرصافي	سَيَّرَ ٥٥ حافظ
وَتُرْسَا ٤ الجواهري	كَغَابِرُ ٨٠ شوقي

أُنْسُ ٨٣ شوقي	الطُّبَاعَا ٢٣ حافظ
فَارِسُ ٢ الزهاوي	تِبَاعَا ٣٤ الرصافي
يَسُوسُ ٢٣٥ شوقي	صُدَاعَا ٣٤ الجواهري
أُمْسِ ٢ الزهاوي	صِرَاعَا ٤٠ الزهاوي
أُنْسِي ١٧١ شوقي	قَرَا ٢٠٧ شوقي
يَحَاسِ ٨٦ الرصافي	نَزْعَا ٧٢ حافظ
نَفْسِي ١ الزهاوي	وَرَعَى ٢٣٩ شوقي
وَحْدَسِ ١١ حافظ	يُسْتَرْجَعَا ٧٦ الجواهري
السِّيَاسَةُ ١٦ الرصافي	الْوَسِيعُ ٤٢ الزهاوي
يَطِيشُ ٢ الزهاوي	تَتَصَدَّعُ ٤١ الزهاوي
مُخْلِصَا ٤٧ البارودي	تَظْلَعُ ٤٣ الزهاوي
مُتَلَصِّصُ ٨١ الرصافي	جَزَوْعُ ٢ الزهاوي
تَنْقَضَا ١٣٣ شوقي	مَرَتَعُ ٢٧ الرصافي
وَمَضَى ٧٤ الرصافي	مَوْضِعُ ٥٠ البارودي
بَغِيضُ ٥٧ الرصافي	وَالْفَجَائِعُ ٤٩ البارودي
الأَرْضِ ٢ الزهاوي	وَلَعُ ١٨٨ شوقي
تَرْتَضُوهَا ٦٨ الرصافي	وَمَسْمُوعُ ٥١ البارودي
لَغَطُ ٤٨ البارودي	يَلْمَعُ ٤٣ حافظ
لِلْقَنُوطِ ٢ الجواهري	الأَرْبَعِ ٤٧ الجواهري
أَجْمَعَا ٦ شوقي	الأَلْمَعِي ٧٦ حافظ
اسْتَطَاعَا ٤٠ الرصافي	المَطْلَعِ ٤٤ الزهاوي
الرَّزْعَا ٤٥ الجواهري	النَّاعِي ٢٠٢ شوقي

الأشرف ١٩١ شوقي	بأعي ٥٢ البارودي
الألف ٦٨ شوقي	بالضفدع ٦٤ شوقي
السلف ٧٥ الزهاوي	ترفع ٧٣ حافظ
الطواف ٢ الزهاوي	لبرقع ٢٠٥ شوقي
بالآلاف ٧٨ الرصافي	مصابيح ٣٨ الجواهري
ظريف ٦٥ شوقي	يهلج ٥٦ الجواهري
وأكتفي ٥٣ البارودي	وقع ١٨٣ شوقي
عفيفة ٢ الزهاوي	أرجعك ١٤٢ شوقي
ضعفه ٨٣ الرصافي	النافعة ٨٣ حافظ
الريقا ٤٢ الرصافي	معه ٢٣٦ شوقي
المرتقى ٥ الجواهري	إيقاعه ٢٥٢ شوقي
تنطقا ٣٧ حافظ	وخضوعها ٢ الرصافي
حنيقا ٤٥ الزهاوي	ومنبه ١٠٠ شوقي
أخلق ٦٠ البارودي	كفى ٣٢ شوقي
إشفاق ٣٨ شوقي	لطافا ٧٠ الجواهري
الأصادق ٥٨ البارودي	يُكفى ٧٥ الجواهري
الفرق ٧٧ الجواهري	الترف ٥٤ البارودي
المترنق ٩١ الرصافي	تجف ٥٥ البارودي
المتشق ٢٤٨ شوقي	تطوف ٢ الزهاوي
ترق ١٥ الجواهري	وأعنف ٦٢ الرصافي
تغدق ١٧٩ شوقي	يقطف ٥٠ الجواهري
دمشق ٢٢٥ شوقي	اختلاف ٤٦ شوقي

مَزَقَّ ٧٣ شوقي	لأَحْمَقِ ٦١ البارودي
مُشتاقٍ ٩٩ شوقي	مَطْرُوقُ ٤٧ الزهاوي
وُثُوقِي ٢ الزهاوي	والسَّنُّ ٢ الزهاوي
وضيقٍ ٥٩ البارودي	يُلَحَقُ ٣١ حافظ
ويُلاقِي ١٤٦ شوقي	الباقي ٥٧ البارودي
حَقَّهَا ٤٦ الزهاوي	الرُّنْدِي ٦٤ الرصافي
فراقِهِ ٩٥ شوقي	الطُّبَاقِ ١٦١ شوقي
الشَّرِيكَ ١٠٦ الرصافي	العُشَّاقِ ٣٨ حافظ
مَمْلُوكًا ٥٨ حافظ	العَلَّاقِ ٦٢ البارودي
يَدَاكَ ٣٩ الجواهري	المُتَأَلِّ ١٤ الجواهري
الحاكي ٨٧ الرصافي	المَذَاقِ ١٤٨ شوقي
المَلِكِ ٢٧ شوقي	المَذَاقِ ١٩٩ شوقي
بَنِيكَ ١٩٠ شوقي	المُنْطَلِقِ ٢ الزهاوي
شِباكي ٢٢٩ شوقي	بِاشْتِياقِ ٦٧ الجواهري
يَحْمُوكِ ١٤٧ شوقي	بِالْمَلَاعِقِ ٣٢ الرصافي
أَرِيكَ ٤٩ شوقي	بِخِناقِي ٤٨ الزهاوي
يَتَحَرَّكَ ٢ الزهاوي	خَالِقِي ٨٠ الزهاوي
يَرَاكَ ١٥ شوقي	خُلُقِي ٣ الجواهري
فَبَكَهَا ٢٣٢ شوقي	طُرُقِي ١١٠ الرصافي
الأحوال ٥٠ الزهاوي	طَلاقِي ١١٠ شوقي
الملا ١١٧ شوقي	طَلِيقِ ٢ الزهاوي
النِيل ١١٥ شوقي	لَقِي ٥٦ البارودي

النَّيْلَا ١٥٦ شوقي	تَقِيلُ ٧١ الزهاوي
انتقالا ٢٤٥ شوقي	صَعْلُ ٦٧ البارودي
أَوْحَالًا ١٤ الرصافي	غَزَالُ ٥١ شوقي
تَوَلَّى ٢ الزهاوي	قَلَائِلُ ٦٤ البارودي
جميلًا ٢٥٠ شوقي	قَلِيلُ ٨٤ شوقي
رسولًا ٢٠٦ شوقي	مَعْسُومٌ ٦٨ حافظ
رُحَلًا ٣٦ الرصافي	مَقْتُولُ ١٧ الرصافي
سِجَالًا ٧٨ الجواهري	مُهْمَلُ ٢ الزهاوي
علا ١١٢ شوقي	وعويلُ ٥٦ الزهاوي
قليلاً ٢٣١ شوقي	يُحْمَلُ ٦٩ شوقي
مالًا ٨٣ الزهاوي	يُسْأَلُ ٥٤ الزهاوي
مَقَالًا ١٣٥ شوقي	يُظَلُّ ٤٩ حافظ
مَوْئِلًا ٦٢ حافظ	يَمِيلُ ١٤٩ شوقي
وَطُلُولًا ٤٩ الزهاوي	أَطْلَالُ ٩٢ الرصافي
أَرْتَجِلُ ٥٣ الزهاوي	أَقْوَالِي ٢ الزهاوي
أَقْوَالُ ٥٦ الرصافي	الْأَعْمَالُ ٤٥ الرصافي
الرجلُ ٥١ الزهاوي	الْبُئْبُلُ ١٣١ شوقي
الرسولُ ٢٢ الرصافي	التَّرْلِي ٣٠ شوقي
الطويلُ ٥٥ الزهاوي	الْعَالِي ٥٨ الزهاوي
الْمَحَافِلُ ٢٧ الجواهري	الْقَلَلُ ٦٣ البارودي
تَعْقِلُ ٧١ الجواهري	الْمَالُ ٢٢٤ شوقي
تَوُّوُلُ ٥٢ الزهاوي	الْمُسْتَدِلُّ ٦٨ الزهاوي

رَحَلَهُ ١٢٥ شوقي	المَعَالِي ٦٧ حافظ
مَالَهُ ٢٣٤ شوقي	النَّشَائِلِ ١١١ شوقي
أَفْعَالُهَا ٢ الزهاوي	بِالْإِسْتِقْلَالِ ١٠٨ الرصافي
تَبْدِيلُهَا ٧ شوقي	تَقْلٍ ٢٨ حافظ
شَمَائِلُهُ ٦٦ البارودي	خَضِيلِ ٨١ الجواهري
اعتدَالُهُ ١٨٦ شوقي	خَوَالٍ ٩٤ الرصافي
تمثِيلُهُ ٢٢ الجواهري	لي ٥٩ الزهاوي
دَلِيلُهُ ٥٩ الرصافي	مَالِي ٥٧ الزهاوي
وَبِفِعْلِهِ ١١٢ الرصافي	مُعَلَّلِ ٧٨ الزهاوي
احتراما ٥٤ الرصافي	نُبَالِي ١١١ الرصافي
أَضْمَى ١٧٠ شوقي	وإِذْلالٍ ١٥٠ شوقي
الأَقْوَامَا ١٣٦ شوقي	وَتَخْيِيلِ ٦٥ البارودي
الأناما ٨٧ شوقي	ومِثَالِ ١٥١ شوقي
التَّنَدُّمًا ١٢ حافظ	يَعْقِلِ ٦٥ الرصافي
الرُّمَامَا ١٣٢ شوقي	الطَوِيلِ ١٠٧ شوقي
الصَّمْمَامَا ٢ الزهاوي	قِيلُ ١٧٨ شوقي
العَلَقَمَا ٧٣ البارودي	مَلَلُ ٧٠ شوقي
جَحِيمَا ٨٤ الزهاوي	البِطَالَةُ ٥٩ شوقي
رُؤَامَا ٦٠ الزهاوي	أَنسَالُهَا ٢٤٦ شوقي
عَلَامَا ٢١٣ شوقي	الْبَاكِي ٢٤٧ شوقي
عَرَامَا ٨٥ الرصافي	بِذَلَّةٍ ٥٢ شوقي
فَأَقَامَا ٢٦٢ شوقي	دَحَلَهُ ٧٦ الرصافي

كَتَمُوا ٩٦ الرصافي	كَرِيمَا ١٢٠ شوقي
كَرِيمُ ١٢٣ شوقي	مُظَلَّمَا ٨٤ الرصافي
مَتَّهَمُ ٣٣ حافظ	نَظَّمَا ٢٦ حافظ
مُحَرَّمُ ٥٨ الرصافي	نَظَّمَا ١٢ الجواهري
مُغَرَّمُ ٥٠ حافظ	هَشِيمَا ٨٧ الزهاوي
مُقَسَّمُ ٨٠ البارودي	اغْتِلَامُ ٨٠ الجواهري
مَلَامُ ٧٥ البارودي	الْأَفْهَامُ ١٠٤ الرصافي
مِنْهُمْ ٦٢ الزهاوي	الْأَيَّامُ ١١٤ شوقي
نَعْتَصِمُ ٦١ الزهاوي	الْأَيَّامُ ٨٢ البارودي
هَيَّامُ ٣٦ حافظ	الْبَرَمُ ٦٦ الجواهري
والإسلامُ ١٤٥ شوقي	الدرهمُ ٢٠٠ شوقي
وَتَرَحَّمُوا ٧٧ شوقي	السهمُ ٧٨ البارودي
وَسَلَّمُوا ٥٢ حافظ	الْفَطِيمُ ٥٥ شوقي
يَتَكَلَّمُ ١ الرصافي	الْقِيَامُ ٤٦ الرصافي
يُضَامُ ٨٤ حافظ	المُعْدِمُ ٦٥ الجواهري
يَقْهَمُ ٨٩ الزهاوي	المِعْصَمُ ٤٢ حافظ
يَنْدَمُ ٧٩ البارودي	بَرَمُ ٢ الزهاوي
الْأَمَمُ ١٠٢ شوقي	خَادِمُ ١٩٦ شوقي
التَقَدُّمُ ٢٣ الرصافي	رِسْوَمُ ١٠ الرصافي
الْحُرْمُ ١٢٤ شوقي	سَلَامُ ٦٨ البارودي
السامي ٨٠ الرصافي	غَنَمُ ٢ الزهاوي
السَّوَائِمُ ٦٩ البارودي	قَمُ ٤٨ الجواهري

هاشِم ٢٥٣ شوقي	الشِّيم ٧٦ البارودي
القيامة ٢٢٣ شوقي	الطَّعام ٥٢ الجواهري
حمامة ٥٦ شوقي	الظلام ٤٠ حافظ
مُسْلِمَة ٥١ الرصافي	بالَمَلام ١٠١ شوقي
لِحْكِمِهِ ٧١ البارودي	بِدَم ٨١ البارودي
وتَحْمِيها ٩٢ شوقي	بِناثِم ٧ الرصافي
إِدْسُونَا ٢ الزهاوي	تَحْكِيم ٧٧ البارودي
اقتِرانا ٤٠ شوقي	تُعْلِم ٧٤ البارودي
الرَّائِنَا ٣٩ شوقي	دِعام ٢٣٠ شوقي
الغابِرِنا ١٨٧ شوقي	دَمِي ٢٠١ شوقي
المُنَى ١ الجواهري	زَعِيم ٣٥ الجواهري
الواعِظِنا ٥٤ شوقي	ضَبِعَم ٢٥ الرصافي
إِنسانا ١٤٤ شوقي	كَهَام ٧٢ البارودي
تَبِينَا ٢ الزهاوي	مِعْطالُ ٣ حافظ
جبانَا ١٧٦ شوقي	مُلْهِمِي ٩٠ الزهاوي
حُسْنَا ٢٢٨ شوقي	هَضَم ٣٩ الرصافي
خالِدِنا ٧٢ الزهاوي	وقدِيم ٧٣ الزهاوي
دَيَّدْنَا ١٦٩ شوقي	الأنامُ ٧٠ البارودي
فَعَنَى ٨٦ البارودي	القَلَم ٢٣٨ شوقي
لِوَادِنا ١٥٧ شوقي	المُقَطَّم ٥٣ شوقي
مآقِنا ١٤ حافظ	عَدَم ٩٣ شوقي
مُقِيمِنا ١٦٨ شوقي	كالْعَلَم ٦٩ حافظ

الحاني ٧٨ حافظ	وَبُنَيَانَا ٩٠ الرصافي
الحِسانِ ٧٢ الجواهري	وَمُسْلِمِينَا ٩٣ الرصافي
الْحَيَوَانِ ٧٦ شوقي	وَسَقِينَا ٥١ حافظ
الدواوينِ ٦٠ الرصافي	يُبْنَى ٢ الزهاوي
الدينِ ١٣ الجواهري	يَنْهَانَا ٢ الزهاوي
الزمانِ ٧٩ الرصافي	يُواتِنَا ٥٤ الجواهري
الْعَلَنِ ١٠٥ الرصافي	الْعَنَاوِينُ ٦٤ الزهاوي
الْفَرْقَدَانِ ٣٢ حافظ	أَهْوَنُ ٢ الزهاوي
الْمِحْنُ ٨٤ البارودي	رَهِيْنُ ٤٨ حافظ
المِهْرَجَانِ ٤٤ حافظ	سَكَنُ ١٠٩ الرصافي
الهاني ٩٨ الرصافي	نَحْنُ ٢ الزهاوي
اليدينِ ٢ الزهاوي	وَأَدْيَانُ ٦٣ الزهاوي
بِالْأَمَانِي ٨٥ البارودي	وَأَزْمَانُ ٢١١ شوقي
بِالْحُسَيْنِ ٢٢١ شوقي	وَعِلْمَانُ ٢ الزهاوي
تَبْيَانِي ٧٩ حافظ	اِثْنَانِ ١١ الرصافي
تَرْعِيَانِ ٧١ شوقي	الْأُسْنَانِ ٧٢ شوقي
ثَانِ ١ حافظ	الْبَرَاهِينِ ٢ الزهاوي
جنوني ٢ الزهاوي	الْبَسَاتِينِ ٦٣ الجواهري
دِينِ ٥٢ الرصافي	الْبَسَاتِينِ ٧٤ حافظ
رَسَنِ ٨٢ الجواهري	الْتَمَنِّي ٨٧ البارودي
سِنِّي ٨٣ البارودي	الجاني ١٤ شوقي
شُجُونِي ٢ الزهاوي	الجاني ٤٧ حافظ

عثمان ٢٩ حافظ	أرسانيه ١٧٧ شوقي
عني ٧٩ شوقي	بيانه ٥٦ حافظ
فَسْجَانِي ٤٦ حافظ	زمانه ٢٢٦ شوقي
مَظُون ٨٨ البارودي	شانه ٦٥ الزهاوي
مَوازِين ٢ الزهاوي	عُمرانها ٢٤ الرصافي
والدَّاني ١٢٢ شوقي	مُسْتَبِينِه ٧٢ الرصافي
وامْتِهان ٢ الزهاوي	فتاها ٦٧ شوقي
يُؤذِنِي ٦٦ الزهاوي	مَمشاهها ٧٣ الرصافي
أَبُونُ ٢٢ شوقي	يَراها ١٥٥ شوقي
السُّنُونُ ٢٠٩ شوقي	الرَّهَّاهِي ٤٧ الرصافي
فاعلين ٥ حافظ	كَبُوءَ ٣٧ شوقي
فَكَانَ ١٩ شوقي	الأغانيا ٨٩ البارودي
فَنَنْ ٦٦ شوقي	الجوازي ٢٢٧ شوقي
مُعْجَبِينَ ١٧٢ شوقي	الدنيا ٧٤ الزهاوي
وطِين ١٤٣ شوقي	الرَّزِيَّا ٣٥ الرصافي
ويزين ٢١٢ شوقي	ثانيا ١٣٠ شوقي
المُعِينَةُ ٧٥ شوقي	داعيا ٣٣ الجواهري
جَمْعُهُنَّ ٥٧ حافظ	شَيَّا ٢٠٤ شوقي
فَتَانَةٌ ٨٩ الرصافي	غاليا ٤٤ شوقي
والسَمِينَةُ ٧٨ شوقي	هَمَسَرِيَّا ٤٥ شوقي
رُكْبَانُهَا ٢٠٣ شوقي	هَيَّا ١٨٠ شوقي
سُجُونُهُ ٤٣ شوقي	والمعانيا ١١٣ شوقي

قَوِيَّةُ ٧ الجواهري	عَلِيٍّ ٥٣ حافظ
هَدِيَّةُ ١٠٣ الرصافي	الْأَنَانِيَّةُ ٢٤١ شوقي
يُعَادِيهَا ١٢١ شوقي	الثَّانِيَّةُ ٢٩ شوقي
عَلَيْهِ ١٠٩ شوقي	أُهْدِيهَا ٥٤ حافظ
يُخْفِيهِ ١١٥ الرصافي	ثَنَائِيهَا ٢٥١ شوقي
	حَنَائِيَاهُ ٨١ حافظ

إحياء الشعر

البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ والصحاري والجواهري

عندما بايعوا أحد شوقي بإمارة الشعر، قال الزهاوي: «منكم أمير ومنا أمير»، فكأنه هس في أذن عقلي الباطن همسة تحلت في هذا الكتاب، فما إن فرغت من وضع خطته حتى رأيته قد أخذت ثلاثة شعراء من مصر، وثلاثة من العراق زاعماً أن هؤلاء قد أحيوا الشعر العربي بعد قرون من الموت السريري. في البدء كان البارودي، لا خلاف، قد لبث زمناً يحاول أن يلبس عباءة المتنبي، ويراهها فضفاضة عليه، حتى تقاذفته رياح السياسة فرفعته إلى رئاسة الوزراء، ثم رتمه بعد أشهر في سيلان منفيًا، فلبس عباءة نفسه، فكان بشير عصر جديد في الشعر العربي. ثم مضيت أرتب الشعراء بحسب سنة الميلاد. أفهمنا الزهاوي أن الشعر يمكن أن يقال بلغة عصرية، وزاد فشحن شعره بالفكر والفلسفة. وفي مصر اعتلى شوقي كتفي البارودي، وظل مثله يقلد القدماء؛ ولكنه، بثقافته العريضة وبعيانه مصر السياسية النشطة في زمنه حلق فوق السور. والقلب كان شاعريته. وواكب حافظ إبراهيم شوقي ونافسه في محافل التهاني والتأبين شعر فيه نرين يصلح للنابر، وعاش شعر حافظ بما فيه من سهولة وفصاحة ولقطة ما فيه من إيهات تاريخية اكتظ بها شعر شوقي. وأسهل من شعر حافظ كان شعر الرصافي، فشاعر العراق، على فصاحة لسانه، كان يشبه حافظاً في بوهيميته وفي قلة احتفاله بالإشارات التاريخية. وخاتمة شعراء هذا الكتاب الجواهري، هذا شاعر عاش القرن العشرين كله، تنقص سنتان من أوله وثلاث من آخره. كان منبري الأسلوب كحافظ، وكانت حياته ترجمة شعرية لحياة العراق السياسية في القرن العشرين، قال الشعر في زمن بني عثمان، وزمن الإنجليز، وزمن فيصل، وكان مقرباً لعبد الكريم قاسم ثم هجره، وناوش العهد البعثي قريباً وبعداً. أصدق التاريخ ما تمجده في قصائد الشعراء، فإن زعم زاعم أن هذا الكتاب كتاب تاريخ فليزعم.

مرفق مع الكتاب تسجيلات صوتية من قصائد «إحياء الشعر» بصوت المؤلف عارف حجاوي، وهي مرقمة بحسب ترقيمها في الكتاب.

تم التسجيل في استديوهات مركز الجزيرة للتدريب الإعلامي.



القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashreq.books@gmail.com



1 2 3 4 5 9 6 8 7 5 4 4 8



إحياء الشعر
3